

جامعة طنطا

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

منهج الراغب الأصفهاني في التفسير

مع تحقيق مقدمته وتفسيره لسورتي الفاتحة والبقرة

رسالة مقدمة لنيل درجة

(الدكتوراه)

في الآداب

﴿ بالمداد ﴾

الباحث / محمد عبد العزيز بهسيوني شحواس

﴿ إشراف ﴾

الأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم شحات

أستاذ الأدب العربي المساعد، بكلية الآداب

جامعة طنطا

الأستاذ الدكتور / مصطفى الصاوي الجويني

أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

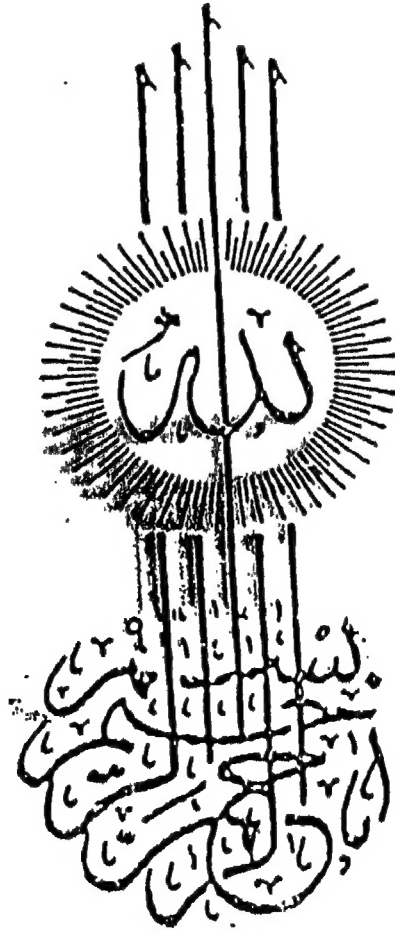
جامعة الإسكندرية

د. وحيد الخط

﴿ القسم الثاني ﴾

تحقيق مقدمة الراغب، وتفسيره لسورتي الفاتحة والبقرة

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م



(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا)

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

الآيَةُ (٣٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ﴾

صدق الله العظيم

الآية (١٩) سورة النمل .

تفسير الراغب ونسبته

﴿ تَفْسِيرُ الرَّاعِبِ وَنَسْبَتُهُ ﴾

جاءنا تفسير الراغب في عنواناتٍ شتى ، فهو :
تفسير القرآن العظيم ، وجامع التفسير ، وجامع التفاسير ، وتفسير الراغب .
فهذه أربعة عنوانات فصلها فيما يلي :

١ . فقد سماه صاحب أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون بتفسير القرآن
العظيم^(١) .

٢ . جامع التفاسير أو جامع التفسير :

وقد قال فيه السيوطي في (بغية الوعاة) : هو تفسير معتبر أورد في أوله مقدمات
نافعة في التفسير وطرزه - أسلوبه - أنه أورد جملا من الآيات ، ثم فسرهما تفسيراً
مشبعاً ، وهو أحد مآخذ أنوار التنزيل للبيضاوي^(٢) . كما ذكره السيوطي أيضاً في
(الإتقان في علوم القرآن) عدة مرات ، وعده من تفاسير غير المحدثين^(٣) .
وقال الزركلي : (جامع التفاسير، كبير ، طبعت مقدمته ، أخذ عنه البيضاوي في
تفسيره) .^(٤)

وكذلك سماه صاحب أعيان الشيعة ، فقال جامع التفاسير الذي يستمد منه
البيضاوي في تفسيره كثيراً ، طبع الجزء الأول منه^(٥)

١ . أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون عبد اللطيف بن محمد رياض زاده - تحقيق : محمد

النويجي - القاهرة مكتبة الخانجي ط ١ - ١٩٧٧م .

٢ . بغية الوعاة السيوطي ج ٢ ط ١ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة .

٣ . الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٧٢ .

٤ . الأعلام الزركلي ج ٢ ص ٢١٩ ط ٣ ١٩٥٤م .

٥ . أعيان الشيعة العاملي ج ٢٧ ص ٢٢٣ ط ١ دمشق ١٩٤٨م .

٣. التفسير الكبير :

وقد قال فيه صاحب البلغة في تاريخ أئمة اللغة : له التفسير الكبير في عشرة أسفار ، غاية في التحقيق ^(١) .

وقال صاحب معجم المطبوعات العربية والعربية :

(له كتاب في التفسير ، ومنه أخذ الإمام البيضاوي غالب تحقیقاته) ^(٢) .

وسماه صاحب كشف الظنون تفسير الراغب ^(٣) ، وقال : (هو تفسير أوله : الحمد لله على آلائه) ، وهي البداية التي رأيناها في مخطوطات تفسير الراغب ، ويبدو أن حاجي خليفة قد اطلع على تفسير الراغب كله ، ولو وجد فيه نقصاً لذكره .

وذكره كارل بركلمان ، ونقلت عنه دائرة المعارف الإسلامية ^(٤) .

غير أنهم رجحوا أن تفسيره المفقود الآن (كذا) هو الرسالة المعنونة بالرسالة المنبهة على فوائد القرآن.

كما أن الراغب قد ذكر تفسيره بنصه (جامع التفسير) في كتابه : (درة التأويل وغرة التنزيل) ، أو (أسرار التأويل وغرة التنزيل) ^(٥) ، وقد أشار فيها إلى ما فسر في سورة (الكافرون) ، وهي في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم ، مما يدل ويؤكد على أن للراغب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم .

١. البلغة في تاريخ أئمة اللغة الفيروز آبادي تحقيق : محمد المصري ص ٦٩ دمشق ١٣٩٢ هـ .

٢. معجم المطبوعات العربية والعربية - ص ١٠٠٠ - دار سرخس ج ١ ص ٩٢١ مطبعة يوسف تيان سركيس ط ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م القاهرة .

٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ج ١ ص ٣٠٦ ط طهران : المطبعة الإسلامية ١٩٤٧ م .

٤. تاريخ الأدب العربي كارل بركلمان ج ٣ ص ٥٠٥ ٥٠٦ دائرة المعارف الإسلامية ج ٩ .

٥. أسرار التأويل وغرة التنزيل مخطوطة رقم ٧ تفسير معهد المخطوطات العربية القاهرة .

وذكر تفسير الراغب أيضاً بدر الدين الزركشي في كتابه:

(البرهان في علوم القرآن) (١١) أكثر من عشر مرات .

أما صاحب روضات الجنات، فقد ذكر تفسير الراغب ، وعده في تفسير المركبات ، ولكنه قال: إنه لم يره (١٢) .

هذا ولقد أفاد من تفسير الراغب كل من الإمام البيضاوي والإمام الرازي والإمام بدر الدين الزركشي والإمام السيوطي ، والإمام أبي حيان الأندلسي الغرناطي في تفسيره البحر المحيط وكذلك الإمام الآلوسي ، في تفسيره روح المعاني والسمين الحلبي، وغيرهم من أئمة التفسير المشهود لهم .

كل هذا يدل على شهرة وذووع تفسير الراغب، واهتمام العلماء به، وأخذهم عنه، وصحة نسبة التفسير للراغب. وقد أثبتت هذه النسبة - جل الكتب التي ترجمت للراغب، كما أن المادة الواردة في ثانيا ما عثرنا عليه من تفسيره تؤكد ثبوت هذه النسبة له ، كما كان لوضوح اسم كتاب تفسير الراغب على أغلفة نسخ المخطوطات التي عثرنا عليها تأكيداً لجميع هذه الشواهد .

ومن أكبر الأدلة التي نستند إليها في ذلك هو ما جاء بخط الناسخ في صفحة العنوان من نسبة التفسير إلى الراغب بعبارة صحيحة لا يرقى إليها أدنى شك ، فقد جاء على غلاف النسخة المخطوطة بمكتبة فيض الله ما نصه :

(تفسير القرآن العظيم للعالم العلامة الراغب الأصفهاني) . وعلى نسخة

(دار الكتب المصرية) .

١. البرهان في علوم القرآن الزركشي ج ١ . ص ٢٩٠ ، ٢٩١ - تحقيق : محمد

أبو الفضل إبراهيم ط الحلبي .

٢. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات . الخوانساري ج ٣ - ص ١٩٧ .

التي أشرنا إليها في التوصيف لنسخ مقدمة تفسير العلامة الشهير أبي القاسم
الراغب الأصفهاني - رحمه الله -

يضاف إلى ما تقدم بعض القرائن التي وقفت عليها أثناء تحقيقي للمقدمة وتفسير
سورتي الفاتحة والبقرة وشواهدا التي جاءت جميعها مؤكدة لتوثيق نسبة الكتاب
إلى الراغب ، فقد كان للصلة الوثيقة بين كتاب (مفردات ألفاظ القرآن) للراغب
وتفسيره أعظم الأثر في تأكيد نسبة التفسير للراغب ، حيث تشابهت قضايا
التفسير ومسائله إلى حد كبير، وتطابقت مع ما ورد في ثانيا كتابه (مفردات ألفاظ
القرآن) ، وكتبه الأخرى مثل كتابه: (الذريعة إلى مكارم الشريعة) ، وكتاباه:
(تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين) ، وكتاباه: (المحاضرات)، وغير ذلك
من مخطوطات الراغب .

ولهذا فإنني أتفق مع ما ذهب إليه الدكتور / عمر الساريسي من أن تفسير
الراغب لا شك في وجوده كاملاً في إحدى المكتبات، وعسى الأيام أن تسعف
للكشف عن هذا الكنز، ليزهوا هذا المفسر بجوهره الأصلي المدفون تحت ركام
التراب والنسيان.

مصادر التحقيق

مصادر التحقيق

يعد تفسير الراغب - بحق - موسوعة في تفسير القرآن الكريم ، فقد تناول فيه صاحبه كل آية من القرآن الكريم ، مبيناً ما يمكن أن يصل إليه الفهم فيها من معان وأحكام ، وما ورد للعلماء فيها وفي ألفاظها من الأقوال كل في اختصاصه .

ومن هنا وجدنا الراغب الأصفهاني قد طوف بالتفاسير والكتب المختلفة التي استطاع الإفادة منها في تفسيره ، ووفى كل آية حقها حسب منهجه وطريقته . ولذا وجب على الباحث أن يطوف بمصادر عدة لتساعده في التحقيق .

ولعل ذلك مما دفع إلى النظر في التفاسير ، وكتب علوم القرآن ، وكتب أحكام القرآن ، وكتب الإعراب ، حيث إن الإعراب فرع المعنى كما يقول النحاة . ولذا اقتضت الضرورة أن أرجع إلى كتب إعراب القرآن التي استعان بها الراغب ، ولكي تعينه على إعراب آيات القرآن ، وبالتالي على توضيح معانيها ، ثم عرجت على كتب القراءات القرآنية التي أفاد الراغب منها في توضيح القراءات وتوجيهها .

ولما كان الحديث النبوي الشريف بيانا للقرآن الكريم ، يوضح مبهمه ، ويفصّل مجملته ، ويخصّص عامه ، ويقيد مطلقه ، فقد لجأت إلى كتب الحديث المختلفة كالصالح والسنن والمسندانيذ التي نهل منها الراغب في تفسيره ، وذلك لكي أوثق تلك الأحاديث التي استعان بسبها على تفسير الآيات وتوضيح ما ترمى إليه .

هذا ولما كان تفسير الراغب قد حفل بأرائه الفقهية المختلفة ، اقتضت الدراسة أن أرجع إلى كتب الفقه الشافعي والمالكي وكتب الأحكام لاسيما وأن الراغب لم يكن من أولئك الفقهاء المقلدين . بل كان مجتهداً في تحرى الحق واتباعه والرد على أصحاب المذاهب المختلفة في العقيدة . مما اقتضى ضرورة الرجوع كذلك إلى كتب العقيدة والتوحيد .

وأما في المجال اللغوي ، فقد رجعت إلى كتب اللغة التي أفاد منها الراغب . كما رجعت إلى كتب الأدب ودواوين الشعر التي نقل عنها الراغب وكذلك كتب التاريخ والسير وغيرها ، كما رجعت إلى عدة مصادر مختلفة في دراسة وترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في متن التفسير وذلك لمعرفة مراتبهم وتوثيقها .

وقد اقتضت الدراسة أن أرجع في مجال التفسير وتوثيقه إلى كتب التفسير المختلفة ، ومسرر

أهمها :

- ١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
- ٢- الجامع بأحكام القرآن - لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .
- ٣- البحر المحيط - لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي .
- ٤- تفسير القرآن الكريم - للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير .
- ٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للحافظ جلال الدين السيوطي .
- ٦- تفسير مفاتيح الغيب - للفخر الرازي .
- ٧- تفسير الكشاف - للزمخشري .
- ٨- تفسير معالم التنزيل - للبغوي .
- ٩- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي .
- ١٠- تفسير روح المعاني - للآلوسي .
- ١١- تفسير روح البيان - للبروسوي .

وفي كتب علوم القرآن رجعت إلى كثير من المؤلفات التي تعنى بهذا الجانب ، وفي مقدمتها

- ١- مجاز القرآن - لأبي عبيدة .
- ٢- معاني القرآن - للفراء .
- ٣- معاني القرآن - للأخفش .
- ٤- معاني القرآن - للكسائي .

وفي مجال القراءات القرآنية عولت على المصادر المتصلة بهذا المجال ، ومن أهمها :

- ١- كتاب الحجة في القراءات السبع - لأبي علي الفارسي .
- ٢- المحتسب في تبين القراءات والإيضاح عنها - لأبي عثمان بن جني .
- ٣- معجم القراءات القرآنية - إعداد د. عبدالعال سالم مكرم وآخرين .

ولما كتب الحديث الشريف التي استعنت بها في توثيق وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة التي أوردها الراغب في تفسيره ، فهي كثيرة ومتنوعة ويأتي في مقدمتها :

- ١- صحيح البخاري - لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري .
- ٢- صحيح مسلم بشرح النووي - للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .
- ٣- الموطأ - للإمام مالك بن انس الأصبحي .
- ٤- سنن النسائي - لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي .
- ٥- المسند - للإمام أحمد بن حنبل .

٦-فتح البارى بشرح صحيح البخارى - لابن حجر العسقلانى.

وأما بالنسبة لكتب اللغة والإعراب فقد استعنت بأمهات الكتب التى تدور فى هذا الجانب ، وفى طليعتها :

١ - الكتاب لسيبويه أبى بشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر .

٢ - المقتضب - لأبى العباس بن محمد بن يزيد المبرد .

٣ - إعراب القرآن - لأبى جعفر النحاس .

٤ - المجل فى اللغة - لابن فارس .

٥ - معانى القرآن - للفراء .

٦ - العين - للخليل .

٧ - معانى القرآن - للزجاج .

وفى مجال الشعر وجدت أن الراغب قد استعان بالشعر فى تفسير القضايا النحوية و الصرفية ، وتوضيح قضايا المعانى ، كما وجدته استعان بكلام العرب فى أمثالهم وحكمهم ، وبتعبيرات النحاة ونماذجها .

والراغب قد انتزع شواهد الشعرية فى تفسيره من شعر الجاهليين ومنبع لهم إلى نهاية عصر الاحتجاج الشعرية ، ثم طمح إلى ما بعد هذا العصر فأخذ من شعر شعراءه ، ولا غرو ! فالراغب فى هذا أدرك أن الشعر متعة الأديب ، وذوق البلاغى ، وحجة المفسر ، وسند الأصولى ، ودليل الفقيه ، وشاهد النحوى ، ووثيقة المؤرخ ، ثم هو من قبل ومن بعد تجربة التحكيم ، ولذا فقد استودعه العربى أسرار حياته ، واستراح إليه ، فأفضى إليه بمواجهه ، وقيد به المأثر ، وحفظ به الأنساب ، وذكر به الأيام ، واستنهض به المهم ، لذا وجدنا الراغب يستعين بهذه الشواهد الشعرية ، فجاء تفسيره حافلاً بها مما اقتضى بالباحث أن يرجع إلى دواوين الشعراء فى عصور الشعر الأولى ، وفى العصر الجاهلى ، وعصر صدر الإسلام رجعت إلى بعض الدواوين من أهمها :

١-ديوان الأعشى .

٢-ديوان امرئ القيس .

٣-ديوان أبى الأسود الدؤلى .

٤-ديوان أمية ابن أبى الصلت .

٥-ديوان حسان بن ثابت .

٦-ديوان الحطيئة .

٧-ديوان طرفة بن العبد .

٨-ديوان لبيد بن ربيعة .

٩-ديوان النابغة الذبياني .

١٠ - ديوان تأبط شراً

١١ - ديوان كعب بن زهير .

وفى العصر الأموى ، رجعت إلى دواوين كبار الشعراء فى هذا العصر ، ومن أهمها :

١-ديوان الأخطل .

٢-ديوان جرير .

٣-ديوان الفرزدق.

٤-ديوان ذى الرمة .

٥-ديوان ديك الجن .

٦-ديوان روبة بن العجاج .

٧-ديوان عمر بن أبى ربيعة .

٨-ديوان عدى بن زيد .

٩-ديوان عبید الله بن قيس الرقيات .

إضافة إلى كل من :

١-ديوان أبى العتاهية .

٢-ديوان أبى نواس .

٣-ديوان ابن الرومى .

٤-ديوان حميد بن ثور .

هذا ولا يمكن إغفال أهمية المؤلفين الجيدين فى هذا المجال وهما :

١-معجم شواهد العربية - لعبد السلام هارون .

٢-مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد - لمحمد بن أيدمر .

وغير ذلك من الدواوين التى استعنت بها فى تخريج الشواهد الشعرية التى أوردها الراغب تسمى

تفسيره ، والتى يقصر المكان عن ذكرها .

وأخيراً : فإننى لأعترف أن العمل جد كبير ، ولقد بذلت فيه ما وسعنى من جهد ، وتحملت من

المشاق ما أحسبه عند الله .

وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت إلى ما هدفت إليه .

وسبحان من له الكمال وحده ، وبالله التوفيق

منهج التحقيق

(منهج التحقيق)

علم التفسير من أشرف العلوم ، وهو أولى ما يعكف عليه الباحث ، ويلزمه الدارس والمصنفات فيه لا تدرج تحت حد وحصر ، فمنها المطبوع والمخطوط والمفقود .

وإمامنا الراغب الأصفهاني خليق بالإعجاب ، جدير بالتقدير والإعظام ، فقد اخلص نفسه وعقله وفكره ودينه للغة ، وقد أثابه الله على إخلاصه بما أفاض على كتبه من الفسول ، وعطس نحوها القلوب والعقول ، فلست ترى أديبا أو متادبا قرأ كتبه الا وقد شعر تجاهها بالمودة ، وأحس نحوها بالثناء والتقدير .

وتفسير الراغب يعد بحق -- دائرة معارف شاملة تمثل ارقى ما وصل اليه الفكر في القرنين الرابع والخامس الهجريين ومن ثم فهو خليق بالدرس ، جدير بالنشر .
ومن هنا كان اهتمامي بتحقيق مقدمة الراغب وتفسيره لسورتى الفاتحة والبقرة ، وجساء تحقيقى وفق منهج التزمته به تمثل فيما يلى :-

- ١- حررت النص من المخطوطات بمقابلته على عدة نسخ خطية .
- ٢- قمت بضبط بعض المفردات والألفاظ التى قد تشكل على القارئ .
- ٣- خرجت الشواهد القرآنية الكريمة بذكر أرقامها من سورها وجعلت ذلك فى الهامش تحفيضا للمتن .
- ٤- قمت بتخريج القراءات القرآنية وتوجيهها ، ونسبة كل فراءد الى قارئها سبينا القراءات الصحيحة من القراءات الشاذة معتمدا فى ذلك على مصادر القراءات واعايب القرآن .
- ٥- قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة والآثار الواردة من كتب الصحاح والسين ، ثم أوضحت مدى درجة هذه الأحاديث من الصحة والحسن والضعف .
- ٦- خرجت الشواهد الشعرية بإتمام ما ورد ناقصا منها ، مع نسبته إلى قائله ، وبيان موضعه من ديوان صاحبه وغيره من أمهات كتب النحو والشواهد النحوية والمعاجم اللغوية ، وثم بضبطها وأثبت جميع مراجعها .
- ٧- اعتنيت بما ورد فى النص من أمثال العرب ومأثور كلامهم معتمدا فى ذلك على كتب الأئمة وغيرها من كتب اللغة .
- ٨- عرفت بالأعلام الذين ورد ذكرهم فى اصل النص مع الإسناد الى مظان ترجمتهم من كتب التراجم والسير ، وكذا من كتب الجرح والتعديل .
- ٩- تتبعت أقوال الخلفاء ورجال الصحابة فى مظانها فى كتب الاداب والخطب والرسائل

- ١٠ - قمت بشرح المفردات اللغوية والجمل التي قد تحتاج إلى شرح أو توضيح .
- ١١ - وثقت النصوص الواردة في نص التفسير ، وذلك بالرجوع إلى مظانها من كتب أصحابها .
- ١٢ - بذلت جهدى فى تحقيق النص حتى يخرج على أقرب صورة تركها عليها المؤلف إن لم تكن مثلها .
- ١٣ - استخدمت علامات الترقيم قدر جهدى ، وحصرت الآيات الواردة فى التفسير بين قوسين مسع الالتزام برسم المصحف .
- ١٤ - وضعت ما سقط أو زاد فى بعض النسخ من الكلمات أو العبارات ما بين معقوفين واشترت إلى ذلك فى الهامش .
- ١٥ - أنشأت عدة فهرس حتى أسهل على القارئ الإفادة بالرجوع والاطلاع عليها.

هذا وبالله التوفيق ... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

توصيف النسخ

﴿ توصيف النسخ ﴾

لقد اعتمدت في تحقيق مقدمة الراغب في التفسير وتفسيره لسورتي الفاتحة والبقرة على خمس نسخ مخطوطة ، ونسخة مطبوعة للمقدمة ، ومخطوطتين فقط منهن لتفسير سورتي الفاتحة والبقرة .

المخطوطة الأولى :

وهي في مكتبة معهد إحياء المخطوطات بالقاهرة والتابع لجامعة الدول العربية ، وقد صورت على الفيلم المصغر الميكروفيلم من مكتبة (ولي الدين جبار الله) في جامع بايزيد في استانبول بتركيا عن رقم (٦٩ فيض الله) ، ثم اتخذت في معهد رقم (٩٨ تفسير) للجزء الأول ، ورقم (٩٩ تفسير) للجزء الثاني . ويقع الجزء الأول والثاني من هذه المخطوطة في (٣٩٥) ورقة ، وفي كل ورقة لوحتان ، وتحتوي كل لوحة على واحد وعشرين سطراً ، وفي هذه المخطوطة تفسيرُ لسور: البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة .

وينتهي بتفسير الآية الأخيرة من سورة المائدة قول الله تعالى : (لِلَّهِ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ) وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

ونحن في هذا الجزء نفقد الصفحة الأولى وصفحة العنوان وما عليها من نسبة المخطوط لصاحبه ، بل نفقد المقدمة التي وجدناها في مخطوطتي ،

(أياصوفيا) ، و (طبقبوسراي) ، وكذلك في مخطوطة دار الكتب المصرية ،

ونسخة مطبوعة (نور محمد) .

وتمتاز هذه النسخة بخط نسخي واضح قديم قليل الأخطاء ، قلما نجد فيه طمسًا أو بياضًا ، ولكنها مهمة النقط في غالب الحروف ، وبها آثار رطوبة طمست على بعض الكلمات، وبعض الحبر المسكوب على بعض الصفحات ، ونحن في هذا الجزء نفقد من شروعه في تفسير سورة الفاتحة ما فسرته من البسملة إلى الرحمن الرحيم ، ونقرأ أول ما نقرأ قوله : (فإذا قولك زيد حسن لفظ مشترك يصح أن يعنى به أن هذا اللفظ حسن) .

وقد كتبت هذه المخطوطة بخط نسخي مقروء ، لا يلبث أن يتغير لدى تفسير الآية (٨٨ من سورة / آل عمران) ، حيث تكتب الآيات المفسرة بخطوط يبدو عليها العناية وتكبير الحجم عن تفسيرها ، ثم لا تلبث أن تعود إلى مساواة الآيات بتفسيرها في حجم الخط عند تفسير الآية : (٦٣) من سورة / النساء ، وقد أشار إلى هذا أيضا الدكتور / عمر عبد الرحمن الساريسي في كتابه : (الراغب وجهوده في اللغة والأدب) (١) .

ويوجد بهامش هذه النسخة تصحيحات ولحق ، وكلاهما يثبت أن النسخة قد قرئت بعناية .

غير أن تغيير الخط في هذه النسخة قد يشير إلى أن أكثر من ناسخ قد أدلى بدلوه في نسخها .

وتوجد بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة نسخة مصورة من هذه النسخة تحت رقم فيلم (٥٨٢٥)

وعدد أوراقها (٣٩٢) ورقة ، ويوجد منها أيضا نسخة في قسم المخطوطات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، غير أن هذه النسخة ينقصها المقدمة أيضا ، ولكنها أوضح في خطوطها وفي تصويرها من نسختي : الجامعة الإسلامية والمعهد العربي لإحياء المخطوطات .

وقد تَحَصَّلْتُ بفضل الله وعونه على نسخة من كل منهما .
هذا وقد جعلتُ هذه النسخة هي الأصل ، نظراً لاكتمالها ووضوحها ، ورمزت إليها بالرمز (و-ج) .

وأما المخطوطة الثانية من مخطوطات تفسير الراغب ، فتقع في مائة وثمان وستين ورقة ، وهي باسم : (جامع التفاسير) ، وتحمل هذه المخطوطة الرقم (٢١٢) في مكتبة (أياصوفيا) بتركيا ، وكل ورقة من هذه المخطوطة تحتوي على لوحتين ، وفي كل لوحة خمسة وعشرون سطرا ، ونقرأ في مقدمة هذه النسخة النسبة الصريحة التي رأيناها في النسخ الأخرى لمقدمة تفسير الراغب بكل من مكتبة (فيض الله) ، ومكتبة (طبقبوسراي) ومكتبة (دار الكتب المصرية) ، ونسخة مطبعة (نورمحمد) حيث نجد النسبة الصريحة للراغب الأصفهاني في هذه النسخة .

وتنتهي هذه النسخة بالآية الكريمة (٢٢٣) من سورة البقرة وهي قوله تعالى :
(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) ، وهي مكتوبة بخط نسخي جيد مقروء ، ويوجد بهامش بعض الصفحات في هذه النسخة بعض الاستدراكات ، وتبتديء مقدمة الراغب في هذه النسخة ب : (الحمد لله على آلائه ، وصلى الله على النبي محمد وأوليائه) ، وبها اختتام على الصفحة الأولى ، وكذا بين ثنايا الصفحات مفادها : (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما

كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) ، وقف محمود خان) ، وكتبت على الصفحة الأولى عبارة مفادها : (قد وقف هذه النسخة حضرت سلطاننا الأعظم ، والخاقان الأكرم - غياث الإسلام والمسلمين السلطان بن السلطان العادل محمود خان ، لا زالت أوراق حسناته مرموقة إلى آخر الأيام ، وأنا الفقير إلى آلاء ربه . المستعان نعمة الله (...) الحرمين الشريفين غفر الله له) .

وقد ورد في تعليق قسم المخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على هذه النسخة أنها ترجع في تاريخ نسخها إلى القرن السادس الهجري .

وقد لاحظ الدكتور / عمر عبد الرحمن الساريسي في النسخة التي رآها في تركيا أن الصفحة الأولى من هذه النسخة تحمل هذه الإشارة^٢ : (القطعة الأولى " كذا" من تفسير الإمام أبي القاسم الراغب الأصفهاني (رحمه الله تعالى) ، ولاحظ أيضا على هذه الصفحة أن عدد أوراقها ٢٧٤ ورقة ، غير أنه لم يجد منها في هذه النسخة سوى ١٦٨ ورقة فقط ،) .

هذا وتوجد نسختان من هذه المخطوطة بكل من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالملكة العربية السعودية برقم فيلم (٥٢٥٣) ، وعدد أوراقها (١٦٨) ورقة فقط ، ولدي نسخة من كل منهما ، وقد رمزت لهذه النسخة ب (أ - ص) .

وأما المخطوطة الثالثة : فهي مصورة من مقدمة الراغب مع تفسير الفاتحة ومطالع سورة البقرة إلى قوله تعالى : (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ، وتوجد هذه المخطوطة في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت عنوان : (النُّكَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ) ، وهي مصورة من مكتبة (طبقبوسراي) التركية ، ووردت بالمكتبة تحت رقم (9009E-111616) ، وهي تقع في سبع وستين ورقة ، وفي كل ورقة لوحتان ، وفي كل لوحة تسعة عشر سطرًا ، واللوحة الأولى منها مُذهَّبةٌ ، وبعض الكلمات كتبت بالخط الأحمر ، والخط في هذه النسخة فارسي واضح نسخي جميل ، وليس فيها اسمُ الناسخ ، ولا بيانٌ لتاريخ النسخ ، والظاهر من الخط في هذه النسخة أنها ليست قديمة ، ومسطرتها ٢٠,٥ × ١٣ سم ، وهي تحتوي على مقدمة التفسير وتفسير سورة الفاتحة ومطالع سورة البقرة وتبدأ بقول الراغب : (الحمد لله على آلائه ، وصلى الله على النبي محمد وأوليائه) ، وتنتهي عند الورقة ٠ (٦٧) في تفسير الآية الخامسة من سورة البقرة كما أسلفنا ، وآخر كلمات الشرح والتفسير هي قوله تعالى : (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) - الآية : (٦٤) - سورة العنكبوت .

وتحمل نفس المخطوطة اسم تفسير القرآن ، ورقمها (١٧١) بمكتبة (أياصوفيا) بجامع السلিমانيّة في استانبول ، وتقع هذه المخطوطة في تسع وستين ورقة ، وقد رسم العنوان على الصفحة الأولى على النحو التالي : (تفسير الراغب الأصفهاني على سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة) . وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز : (ط-س) .

وأما المخطوطة الرابعة من المقدمة فهي مخطوطة مكتبة : (فيض الله أفندي بتركيا) ، ومنها نسخة مصورة في كل من معهد إحياء المخطوطات العربي بالقاهرة ، ومكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وتحمل هذه المخطوطة الرقم (٩٨ ج١ تفسير) ، بإضافة عبارة (مكرر) في معهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة .

ونجد على هذه النسخة نسبةً صريحةً لتفسير الراغب وذلك على الصفحة الأولى، حيث نجد مكتوباً عليها عبارة : (تفسير القرآن العظيم للعالم العلامة الراغب الأصفهاني) ، ثم نجد أيضاً عبارةً مكتوبةً بخط نسخي جميل بقلم نفيس : (مما كُتب برسم خزانة الكتب لحضرة عمدة العلماء، وقدوة الفضلاء، أسوة الكاملين، وذخر العارفين، مفتي العصر والأوان، معلم سلطان الزمان، شيخ مشايخ الإسلام سلّمه الله السلام إلى آخر الأيام السيد الشريف فيض الله حَفَّ بعون الإله ، عم آله ، ثبت الله سرادق دولته بأوتاد الدوام بما تعاقبت الليالي والأيام .) ، وقد كتبت هذه النسخة من المخطوطة بخط فارسي جميل ، وعدد ورقاتها : (١٣) ورقة ، وفي كل ورقة لوحتان ، وفي كل لوحة واحد وثلاثون سطراً ، وتبديء المقدمة بقول الراغب : (الحمد لله على آلائه ، وصلى الله على النبي محمد وأوليائه) ، وتنتهي بقول الراغب عند تفسير

قوله تعالى (مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ) أما بالنظر الخاصي، فهو في الحقيقة اسم لمن يملك ذلك في نفسه وما يختص به) .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز : (ف - ض) .

وأما المخطوطة الخامسة من التفسير، فهي مصوّرةٌ في دار الكتب المصرية ، ونسختنا هذه تقع في : (٣٣) ورقة ، والورقة في صفحتين ، وفي كل صفحة (١٩) سطرا ، ومكتوب على الصفحة الأولى منها : (مقدمة تفسير العلامة الشهير أبي القاسم الراغب الأصفهاني - رحمه الله تعالى) ، وعليها ختم مفاده (وقف دار الكتب المصرية) .

والنسخة على حواشيتها بعض الإشارات إلى أن بعض العبارات مكرر ، أو أن في الموضع نقصاً ، وهذه النسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم : (٣٦١) تفسير تيمور ، وهي مكتوبة بقلم نسخي واضح ، وهي نسخة فريدة نرجح أنها كتبت في عهد متأخر ، وقد رمزت إليها بالرمز : (د - ك) .

وتبتديء هذه النسخة بقول الراغب : (الحمد لله على آلائه ، وصلى الله على النبي محمد وأوليائه) ، وتنتهي بقوله : وما ألقاهم بإنشاد ما قاله أبو تمام :

(فَإِنْ نَكَأْهُمْ لَأَهْلُهَا فَأَضَعُ بِسَعِينَا * * * * * وَإِنْ نَكَأْهُمْ لَأَهْلُهَا فَأَضَعُ بِسَعِينَا) ،

ومكتوبٌ في نهايتها : (كان الفراغ من هذه المقدمة في ١٩ شعبان سنة ٩٢٥ هـ على يد حامد التقي) .

وأما النسخة الأخيرة للمقدمة ، فهي تلك النسخة المطبوعة الصادرة عن مطبعة (نور محمد) بإيران ، وتقع هذه النسخة في صدر كتاب :

(مفردات ألفاظ القرآن) للإمام الراغب ، وهو صادر عن نفس المطبعة بإيران ونسخة هذا الكتاب بدون تحقيق .

قلت زيدا ما جازة عن النبي والرواية بعلمت ومن إلى غير النبي فانه يظهر إلى من قدام حيث
 اني زيدا زيد اسم حسن وانما عني اي سميت بهذا اللفظ الذي هو في هذا اللفظ اعلم عليه الحسن
 فاذا قلنا زيد حسن لفظ مشترك يصح ان يقال ان هذا اللفظ حسن يصح ان يقال ان اسمي
 حسن في قوله الاستثناء في قولك هذا انسان اي اسم انسان والثاني ان اسمي حسن في قوله
 فيقال هذا انسان اي هو من الانسائه وكثير من المواضع ما يقع فيه اللطافة واما تصور من قال
 لو كان الاسم هو المسمى كان من قال القار اهرقت فيه فهو تصور بعيد لان ما لا يقال في ذلك هو ايراد
 منو تحض واشتقاق اسم قيل من هو سميت لان الاسم عالمه المسمى وهذا ان كان من مشتق
 يصح منصرف الكلمة مطلقا لمسميتة والتسمية والمسمى لان اللفظ يصلح ان يدخل في كل واحد فانه هو علة
 وزنه والصحيح ان اصله من السمو لان الاسم شعار المسمى وردفه له واصله سمو كعضو وعضوا وكسمو كحما
 وجعل لقولهم في الجمع اسما وقد كثر افعال في جميع هذات البناين والاعمال فعلا كترس وان اس لان باب
 فعل لم يكثر فيها اخره وواشئتة اكل فاما في قول الشاعر سم الله الذي في كل سورة سمه فقد قيل انما ضم انا
 لما بعده ولو كان المسم مكمورا لم يخرج في السبب فيه فاما لفظ الله سبحانه ان يعلم ان اسم الله تعالى كما اشتقه
 بانفاق اهل اللغة لفظ الله فانها تختلف فيها بعضهم جعلها كما تعلم مستند لانه موصوف ولا توصف
 به كما سما الماعلم ونقوى ذلك انه تعالى للسموية الما ورائه قال تعالى من علم له سميا وعني به الله
 واخرون قالوا مشتق فاختلف بعد ذلك فيه فقيل له اصل المصغر من اليه ياله اي عبد سمى
 به كقولهم في ضمانه تعالى السلام وهو في الفعل مصدر وسمو الشمس اليه لعبادتهم لها وكذلك في اسم الله
 تعالى عن عبادتها لقوله لا تشركوا الشمس ولا القمر واسجدوا لله الذي خلقهن وسموا الحصان اليه كذلك
 واصله الله فخر فواثمة وجعلوا الحلف واللام عوضا منها وكذا عوضا استخبر قطع المنة الموصلة
 واذا قال حرف النداء عليه في قولهم بالله وقال سيبويه في موضع اصل له على فعل كحل من لاله قولهم
 بي انك فعل من جندب وجند وقيل من الم اليه اي فرغ واليه اي اجاره وآمنه والاله اسم المزرع
 اليه كما لم يزل يسم به وقيل من اليه اذ الخير وكانه عن ذلك انه المسمى علم يقول كل من
 اللوحة الاولى من النسخة

MILLET GENEL KUTUPHANESI

Y. Carullah

84

١٢



در وقت هذه السيرة المستمرة حضرت سادتنا الأعظم والحاكم الأكرم
 عن الاسلام في الملك بين السلطان والسلطان السلطان العاصم
 محمود خان الثالث اوردان حسانه برموده الى احرار الامام واما العنصر
 الى الادارة السعيا نعمة الله العنصر
 بحرين السيرة المستمرة
 فخره



صورت في الغلاف للنسخة

" ١ - ص "

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على الآتية وصلى الله على النبي محمد وأوليائه ونسأله أن يجعلنا
 ممن ابتدأه بفضلهم ونعمته وأعقبه برفقته ورحمته وأن يجعلنا من أسبل
 عليه نور عصمة الأنبياء وحسن قلوبهم بطهارته النقاء أنه لطيف
 لما يشاء قال الشيخ أبو القاسم الراغب رحمه الله تعالى القصد
 في هذا الاملاء أن نفس الله في العمر ووقانا من نوب الدهر وسرور
 أن يسعنا بالأمم أن نبين من تفسير القرآن وتأويله كتاباً بارعة
 تفلو على تفصيل ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين ومن
 من السلف المتفكرين رحمهم الله بجملة ونبين من ذلك ما ينكشف
 عنه السرييلج به الصدد ونفنا الله لمضاته برحمته وجعل سعيها
 وفعلنا في الدارين مجوداً فمنه يستجلب مبدأ التوفيق ومنتهى
 نف من الأبد حتى بيانها في مبدأ الكتاب فصل في بيان ما وقع فيه الاشتباه
 من الكلام المفرد والمركب الكلام مفردان مفرد ومركب المفرد المسمى
 بالاسم والفعل والحرف وذلك بالوضع الاصطلاحي سمي بذلك
 فاما بالوضع الاول فكله يسمى اسماً ويحق أن صار ثلثة أقساماً فإن
 الكلام اما أن يكون مخبراً عنه وهو الملقب بالاسم واما خبراً
 وهو الملقب بالفعل واما رابطاً بينهما وهو الملقب بالحرف والقسمة
 لا يقتضي غير ذلك وما كان من الخبر مخوفاً على ومفعول والبصريون
 يسمونه اسماً اعتباراً بأحكام لفظية لأنه يدخل ما يدخل الاسماء
 من التنوين والجور وحروفه والالف واللام ويخبر عنه والكوفيون

يسمونه

اللوحة الأولى للنسخة

اهل البيت الآية ... ورجل نساوكم حرث لكم فانوخرتكم اني شتم
 وقد موالاتفسكم والتقوالله واعلموا انكم ملائكة وبشر المؤمنين الفرق
 بين الحرث والزرع ان الحرث القا البذر وهدى الارض والزرع مراعاة
 وايثاته ولهذا قال افرستم ما تحنثون انتم تزرعونه فانبت لصد
 احرث ونفى عنهم الزرع وقد جعل الله النساء محرما للرجل وجعله قوة
 النكاح حفظا للنسل ولولا طلب النسل لما رخص العقل في الجماع لما بحديث من اب
 البدن واضعاف البصر مع انه ليس بضروري للانسان كالجوع والعطش
 لكن استحسن منه لطلب النسل المدعوا اليه بقوله تناكحوا تكثروا
 ولهذا قيل في الحكمة خير النساء الولود وشرها العقيم وحرم اتيان الرجال
 على كل حال والنساء في محاسن اذ لم يكن محرما ما سماه عليه السلام اللواطنة
 الصغرى وقيل لامير المؤمنين كيف النساء ان توتين في اربابهن سلب
 سئل الله لك سم تلاتون الفاشنة ما سبقكم بها من احد وقوله فانوخرتكم
 اني شتم اي كيف واين بعد ان لا يتجاوزا حرث واعا ولفظ الحرث ولما
 يقل فانوه ليراعى المعنى المقصود بذلك لئلا يتوهم ما يتصوره قوم لم يتعمقوا
 النظر وانما قال اني تنبيهها على كذب اليهود حيث زعموا ان المرأة اذا لم
 ثوت مستقلة ياتي الود ذاحيل اي احول وقوله عقيب ذلك وقد موالاتفسكم
 هو ان الله اذا اطلق احراما من الشهوات الدنيوية لا يخلى ذكره من الحساب
 مراعاة العقبى والتقوى لئلا يلحق غفلة عما خلق لاجله وقول هو التسمية
 عند الجماع وقول ابن عباس هو الطاب للولد على سبيل المال

الوردية

اللوحة الأخيرة للنسخة

تفسير القرآن العظيم للعالم العلامة الشافعي

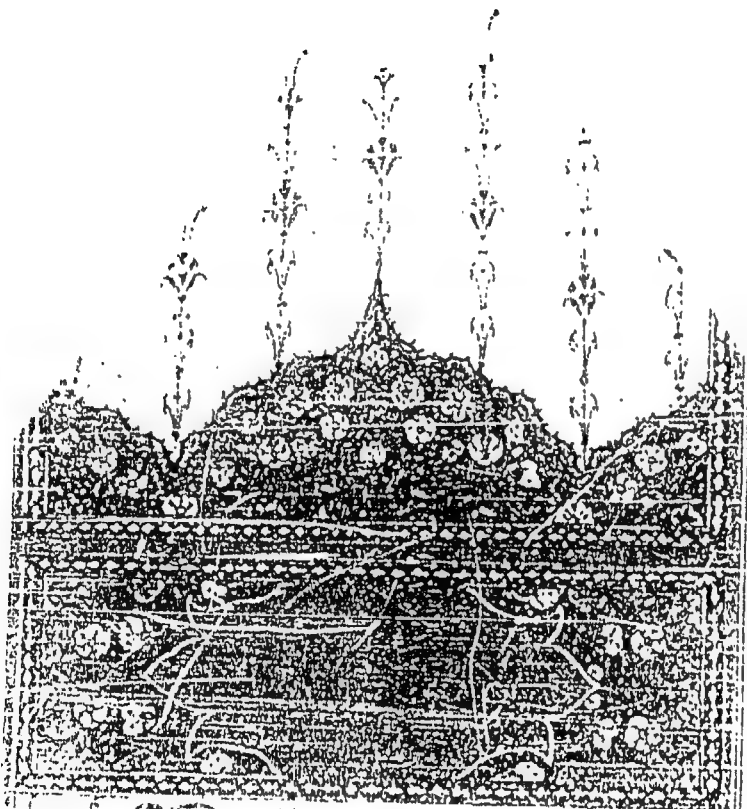
ما كتب برسم خزانة الكتب لحضرة عمدة
العلماء قدوة الفضلاء أسوة الكاملين ذوالعيا
مفتي العصر والادان معلم سلطان الزمان
مشايخ الاسلام سلاية السلام الى اخر الامم السنية
الشريف فضيلة حف بعون الاله عم الاله ثبت التبر
دولته باوقار الدوم ماتعاقب الليالي والايام

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله على آلائه ١ وصلى الله على النبي محمد وآل آلته ٢ ولبيد ان يجعلنا من تبارك بفضله ونعمته ٣ وعقبه
 برافته ورحمته ٤ وان يجعلنا ممن سبيل عليه نور عصمة الانبياء ٥ وحسن قلوبهم بطهاره النقا ٦ اله الحنيف
 لما يشاء ٧ الشيخ ابو القاسم الراغب رحمه الله عليه القصد في هذا الاطار ان النفس السلي في العلم
 ووقفا من ثوب الله بهر وهو جوارح يعفنا بالامير ان يتبين من تفسير القرآن وتأويله كتابا بارعة تنطوي
 على تفصيل ما اشار اليه اعيان الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف المتقدمين رحمهم الله بحجته ونبيته
 من ذلك ما يكشف عنه السر ويبلغ به الصواب وفقنا الله لرضاه برحمته وجعل سعيا له ٨ واذا فعلت
 في الدارين محمودا ثمنه يستجلب به التوفيق ومنتهاه ٩ لا بد من بيانها في مبتدأ الكتاب
 في بيان ما وقع فيه الاشتباه من الكلام المقدر والمركب ١٠ الكلام المقدر هو المفرد والمركب
 فالفرد المسمى بالاسم والفعل والحرف وذلك بالوضع الاصطلاحي سمي بذلك تقاما بالوضع الاول فكل ما سمي
 اسما وكفى صار له اقسام فان الكلام اما ان يكون مجزعا عنه وهو الملقب بالاسم ١١ واما خبرا وهو الملقب
 بالفعل ١٢ واما رابطا بينهما وهو الملقب بالحرف ١٣ والقسمة لا تقضي غير ذلك ١٤ وما كان من خبر نحو فعل
 ومفعول فالخبر يكون ليشتمونه اسما اعتبارا باحكام لفظه لانه يدخل في الاسماء من السوون والجر وحروفه
 والالف واللام ١٥ والمجزعة ١٦ والكوفية ١٧ ليشتمونه الفعل الدائم ١٨ اما الفعل المجزعا بالمعنى وهو ان قال
 فيه مني فمجزع ١٩ واما الدائم فلا يشتمل على المجزعة ٢٠ وان كان كحال اولي به ٢١ والاصل في الالفاظ
 ان يكون مجزعا بحسب اختلاف المعاني لكن ذلك لم يكن في الامكان اذ كانت المعاني بلا نهاية
 ٢٢ والالفاظ مع اختلاف تركيبها ذات نهاية وغير المتناهية لا يجوز ان يكون لها من وقوع اشتراك
 في الالفاظ ٢٣ ويجب ان يعلم ان اللفظ مع المعنى خمس احوال للاول ان يتفق في اللفظ والمعنى فيسمى
 اللفظ المتواطئ نحو لالت ان اذا استعمل في زيد وعمر ٢٤ الثاني ان يختلف في اللفظ والمعنى فيسمى المتباين
 ٢٥ وفيه موضع ثالث ان يتفق في المعنى دون اللفظ ويسمى المترادف مثل محسام والصمام
 ٢٦ وفيه موضع رابع ان يختلف في اللفظ ويختلف في المعنى ويسمى المشترك والمتفق نحو العبد المستعانة في الجارحة ومنتجع
 ٢٧

الصفحة الأخيرة من أ - ف - ص

اللوحة الأخيرة من النسخة

" ف - ص "



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على الآلاء والنعمة
والسلامة التي جعلنا من ابتداء
وآخيره برأفة ورحمة
عليه نور محمد وآله وصحبه
الذين آتاهم بطيعة لما يشاء
الراغب القند في هذا الآلاء
في النعم والكرامات
التي يستغنى بالأميرين
الذين آتاهم وتأولوا
أما أشار إليه
الحسن في ذكرهم من
اللوحة الأولى من النسخة ٦ ط - ٧

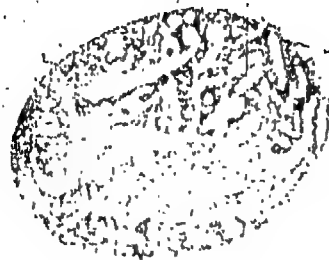
تفرد فرج الله تعالى عليه السلام لا يعيش إلا بميثاق الآخرة
وتقول له تلك، فإن الدار الآخرة
لهي الجودان
بسم

اللوحة الأخيرة من النسخة

ط - س "

مقدمة التفسير للعلاقة الشبيهة
إلى القاسم الزاغب الأصغر

مرحمه الله
تعالى
آمين



صورة الغلاف للنسخة

١٠ - ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ومصلى الله على النبي وأوليائه ونسائه
يجعلنا من أتائه بفضله ونعمته وأعقبه برأفته وبرحمته
وإن يجعلنا ممن أسبغ عليه نور عصمة الأنبياء وحسن
قلوبهم بطهارة التقى أنه لطيف لما يشاء قال الشيخ
أبو القاسم الراغب رحمه الله تعالى القصد في هذا
الاملاء أن نفس الله في العمر ووقانا من نوب
الدهر وهو مرجو أن يسقنا بالأميرينات
نبين من تفسير القرآن وتاويله نكتا بارعة تطلوشت
على تفصيل ما أشاء رايه اعيان الصانعة والتابعين
ومن دونهم من السلف المتقدمين رحمهم الله جليلة
وبين من ذلك ما ينكشف عنه البسر ويبلغ به الصبر
وفقنا الله لمرضاته برحمته وجعل سبحانه مسودا
وفعلنا في الدارين محمودا فمنه يستجلب مبدأ
التوفيق ومنتهى

فصول لا بد من بيانها في مبدأ الكتاب
فصل في بيان ما وقع فيه الاشتباه من الكلام
المفرد والمركب . الكلام ضربان مفرد ومركب

فاخذ

اللوحة الأولى من النسخة

١٠ ك - ث ١١

وكتبت قواه في مواضعها فيقبلها بالتساع قلب ويتعاطاها
 بانشر اح صدر وقد تضمن ذلك قوله تعالى لكل جعلنا
 منكم شريعة ومذاهبا وقول النبي صلى الله عليه وسلم اعلموا عملوا
 فكل ميسر لما خلق له فلما روي اهل البلاغة والخطابة
 الذين يريهمون في كل واحد من المعاني بسلاحة الستم
 وقد دعا الله بها عنهم الى معاضة القرآن وعجزهم عن
 الاثيان بمثله وليس يتر غرائزهم للتعاضد لمعاضة
 لم يحف على ذي لب ان صار قاريا يصرفهم عن ذلك
 وادى اعجاز اعظم من ان يكون كافة البلفا بحجة في
 من يمارضوه وحجة في الباطن عن ذلك وما البقم
 ما سار ما قال ابو عامر
 فانك اهلنا فاضعف سمينا وان لك اجرا فقيم شفع
 والله ولي المؤمنين

اللوحة الأخيرة من النسخة



الحمد لله على آلائه . وصلى الله على النبي وآلِهِ . ونسأله أن يجعلنا من ابتداء
بفضله ونعمته . وأعقبه برأفته ورحمته . وأن يجعلنا من أسهل عليه نور عصمة الأنبياء .
ووجهن قلوبهم بطهارة النقاء . انه لطيف لما يشاء . قال الشيخ أبو القاسم الراغب
رحمته الله تعالى : القصد في هذا الاملاء ان نفس الله في العبر ووفانا من نوب الدبر
وهو مرجو أن يسعفنا بالامرئين أن نبين من تفسير القرآن وتأويله نكتة بارعة تنطوي
على تفصيل ما أشار اليه أعيان الصحابة والتابعين ومن دونهم من الساف المتقدمين
رحمهم الله مجملة ونبين من ذلك ما ينكشف عنه الدبر ويتأرجح به الصدر وفقنا الله لمرضاته برحمته
سوجعل سعينا مسعودا . وفعلنا في الدين مسعودا . فله يستجاب مبدأ التوفيق ومشتاه .

[فصول لامد من بينها في مبدأ الكتاب]

(فصل) في بيان ما وقع فيه الاشتباه من الكلام المفرد والمركب . الكلام ضرران
مفرد ومركب فالمفرد المسمى بالاسم والفعل والحرف وذلك بالربح الاصطلاحي يسمى
بذلك فأما بالوضع الاول فكله يسمى اسما ويحق أن صار ثلاثة أقسام فان الكلام إما أن
يكون شذرا عنه وهو الملقب بالاسم وإما حرا وهو الملقب بالفعل وإما رابطا بينهما وهو
الملقب بالحرف والقسم لا تقتضي غير ذلك وما كان من الخبر نحو فاعل ومفعول
والبصريون يسمونه اسما اعتبارا باحكام لفظية لانه يدخل الاسماء من التنوين
والجر وحروفه والألف واللام ويخبر عنه والكوفيون يسمونه الفعل الدائم أما الفعل

اللوحة الأولى من النسخة

ن ن م ~

وأى اعجاز أعظم من أن تكون كثافة البغاء شيرة في الظاهر أن يعارضوه وشيرة في
الباطن عن ذلك وما أليقهم بانشاد ما قال أبو تمام :

فإن لك أهما لنا فاضعف بسعيننا وإن لك أجبرنا فقيم نتعن

والله ولي التوفيق .



اللوحة الأخيرة من النسخة

ن - ص ٣

التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه، وصلى الله على النبي محمد^(١) وأوليائه، ونسأله أن يجعلنا ممن ابتدأه بفضله ونعمته وأعقبه برأفته ورحمته وأن يجعلنا ممن أسبل عليه نور عصمة الأنبياء، وحصن قلوبهم بطهارة النقاء، إنه لطيف لما يشاء. قال الشيخ أبو القاسم الراغب رحمه الله تعالى:

القصد في هذا الإملاء إن نفس الله في العمر، ووقانا من نوب الدهر، وهو مرجو أن يسعفنا بالأمرين أن نبين من تفسير القرآن وتأويله نكتاً بارعة تنطوي على تفصيل ما أشار إليه أعيان الصحابة والتابعين ومن دونه من السلف المتقدمين رحمهم الله^(٢) إشارةً مجملةً، نبين^(٣) من ذلك ما ينكشف عنه السر ويُنلج^(٤) به الصدر. وفقنا الله لمرضاته برحمته وجعل سعيينا مسعوداً وفعلنا في الدارين^(٥) محموداً، فمنه يستجلب مبدأ التوفيق ومنتهاه.

(فصول لأبد من بيانها في مبدأ^(٦) الكتاب)

”فصل في بيان ما وقع فيه الاشتباه من الكلام المفردة والمركبة“

الكلام ضربان: مفرد ومركب، فالمفرد المسمى بالاسم والفعل والحرف وذلك بالوضع الاصطلاحي سمي بذلك، فأما بالوضع^(٧) الأول، فكله يسمى اسماً، ويحق^(٨) أن صار ثلاثة أقسام، فإن الكلام إما أن يكون مخبراً عنه وهو الملقب بالاسم، وإما خبراً وهو الملقب بالفعل، وإما رابطاً بينهما وهو الملقب بالحرف، والقسمة لا تقتضي^(٩) غير ذلك، وما كان من الخبر نحو ”فَاعِلٍ“ و”مُفْعَلٍ“، والبصريون يسمونه اسماً اعتباراً بأحكام لفظية، لأنه يدخله ما يدخل الأسماء من التنوين والجر وحروفه^(١٠) الألف واللام، ويُخبر عنه، والكوفيون يسمونه الفعل الدائم.

١- ساقطة من «ن - م» ومن «د - ك»

٢- زيادة لأبد منها ليستقيم الكلام.

٣- في «ن-م» ونبين

٤- في «أ-ص» ويبلغ وكذلك في «د - ك» .

٥- في ن - م في الدين

٦- في «أ-ص» مبدأ. وفي «ن . م» مبدأ، وكذلك في «د-ك»

٧- يريد بالوضع الأول ما جاء في قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها)، وقال الراغب في مفرداته: الأسماء: أي الألفاظ والمعاني مفرداتها ومركباتها.

٨- في ن - م والحق.

٩- في «أ-ص» لا يقتضي، وهو خطأ من الناسخ.

١٠- في «أ - ص» وحروفه والألف واللام وكذلك في (ن - م).

أما الفعل: فاعتباراً بالمعنى، وهو إن قائماً فيه معنى يقوم، وأما الدائم فلأنه يصلح للآزمنة الثلاثة وإن كان الحال أولى به في أكثر المواضع ^(١) والأصل في الألفاظ: أن تكون مختلفة بحسب اختلاف المعاني، لكن ذلك لم يكن في الإمكان، إذ كانت المعاني بلا نهاية، والألفاظ مع اختلاف تراكيبها ^(٢) ذات نهاية، وغير المتناهي لا يحويه المتناهي، فلم يكن بد من وقوع اشتراك في الألفاظ. ويجب أن يُعلم أن للفظ مع المعنى خمس أحوال. الأول: أن يتفقا في اللفظ والمعنى، فيسمى "اللفظ المتواطئ"، نحو "الإنسان" إذا استعمل في "زيد" و"عمرو". الثاني ^(٣): أن يختلفا في اللفظ والمعنى، ويسمى المتباين نحو "رَجُلٌ" و"فَرَسٌ"، والثالث: ^(٤) أن يتفقا في المعنى من دون ^(٥) اللفظ، ويسمى: "الترادف"، نحو "الحُسام" و"الصُّمَّام". الرابع: أن يتفقا في اللفظ ويختلفا في المعنى، ويسمى: "المشترك" والمتفق، نحو "العَيْن" المستعملة في "الجراحة" و"مَنْعِ الماءِ" و"الْدَيْدَانِ"، ^(٦) وغير ذلك. والخامس: أن يتفقا في بعض الألفاظ ^(٧) وبعض المعنى، ويسمى "المشتق"، نحو: "ضارب" و"ضرب"، والذي يقع فيه الاشتباه من هذه الخمسة: "الألفاظ المشتركة"، و"الألفاظ المتواطئة": هل هي عامةٌ أو خاصةٌ، و"المشتقة" مما اشتق! كقولهم: "النبي"، و"البرية"، منهم من قال: من "أنبأ"، و"برأ"، فترك ^(٨) الهمزة، ومنهم من قال: من "النبوة"، ^(٩) وهي الربوة، ومن "البرى" وهو: التراب...

(فَصْلٌ فِي أَوْصَافِ اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ)

اللفظ إنما يحصل فيه التشارك بأن يستوي اللفظان في ترتيب الحروف وعددها وحركاتها، ويختلفا في المعنى نحو: "عين" ^(١٠) و"كلب" فأما ^(١١) إذا اختلف ترتيب الحروف نحو "حِلْمٌ" و"حَمْلٌ" أو

١ - زيادة من "أ" - ص ١.

٢ - في "أ" - ص ١ تركيبها، وكذلك في ن - م .

٣ - في "أ" - ص ١ والثاني، وكذلك في ن - م . د . ك .

٤ - في ن - م الثالث، وكذلك في "د-ك"

٥ - في "أ" - ص ١ دون.

٦ - قال صاحب لسان العرب: "الديدان" الطليعة، وفي المعجم الوسيط: الديدان: الطليعة وهو لفظ فارسي معرب، وأصله ديدان، فلما أعرب غيرت الحركة وجعلت الذال دالاً، وذكره السيوطي في كتابه: "المزهر" ضمن الألفاظ التي تدل عليها كلمة (عين). وهو في: "أ" - ص ١ الديدان.

٧ - في "أ" - ص ١ في بعض اللفظ وكذلك في "ن - م" ..

٨ - في ن - م فتركت.

٩ - في "د - ك" من النبوة: أي الرفعة، وقال الراغب في المفردات: قال بعض العلماء وسُمي نبياً لرفعة محلّه عن سائر الناس.

١٠ - قال الراغب في المفردات: العين الجراحة قال: والعين بالعين، لنطمسنا على أعينهم، وأعينهم تفيض من الدمع، قرءة عين لي ولك، كي تقر عينها، وتُسْتَعَارَ العين لمعان هي موجودة في الجراحة بنظرات مختلفة، واشتق منها "سقاء عين"، و"معين" إذا سال منها الماء.. وقيل للمتجسس: عين تشبّيهاً بها في نظرها، ويقال لمنع الماء: عين، تشبّيهاً بها لما فيها من الماء، وانظر "الزهر للسيوطي: ٣٧٢/١-٣٧٥. وقال الراغب في المفردات: الكلب: الحيوان النباح.. والكلب: المسمار في قائم السيف.. والكلب: نجم في السماء مشبّه بالكلب لكونه تابعاً لنجم يقال له: "الراعي" مقدمة جامع التفاسير ص ٣١.

١١ - في ن - م فأنما

العدد نحو ^(١) العناء والعناء، و"قَدَّرَ" و"قَدَّرَ"، أو الحركة نحو: "قَدِمَ"، و"قَدِمَ"، أو لم يختلفا في المعنى نحو: "الإنسان" إذا استُعْمِلَ في "زيد" و"عمرو" فليس شئٌ من ذلك من الأسماء المشتركة، فإن الذي اختلف في العدد ربما كان من المشترك نحو: "ضاربٌ" و"ضَرْبٌ"، وربما كان من المتباينة نحو "القنا"، و"القنابل" ^(٢)، وربما كانت الكلمة صورتها صورة المشترك في اللفظ، وتكون ^(٣) من المشتقة لاختلاف تقديرهما ^(٤)، نحو "المختار: إذا كان فاعلاً، فإن تقديره: "مُفْتَعِلٌ"، وإذا كان مفعولاً فإن تقديره "مفتعل"، وكذا فلانٌ منحلٌ، وأمرٌ منحلٌ فيه، و"الفلك" إذا كان واحداً "كقفل"، وإذا كان جمعاً فإنه كَوْنٌ، وناقيةٌ "هجان"، وامرأةٌ "ضناك" ^(٥) فإنها كحمار، ونوقٌ "هجان" كقويم كرام، وعلى ذلك: هم "يغزون" نحو: "يخرجون، وهنٌ "يغزون" نحو ^(٦) "يخرجن" وأنت "تَعْصين" نحو "تشتمين"، وأنتن "تَعْصين" نحو، "تشتمن"، ونحو "دبرٌ" مصدر دَبَرَ" وجمع "الدابر" نحو "ركب"، وكثيراً ما يلتقي فرعان بوضعنا ^(٧) للفظين متفقين في الصيغة، وهما مختلفان في المعنى، نحو "المصباح" لما يُشْرَبُ منه الصبوح، ولما يُشْتَق من "صَبَحَتْ" أى أَسْرَجَتْ ^(٨)، واشتكى لإظهار الشكوى، ولاتخاذ شِكْوَة ^(٩) اللبن..

(فصل : الاشتقاق في اللفظ يَتَجَّ لِحَادٍ وَجَوَه)

إما أن يكون في لغتين نحو "الصقر" للبن إذا بلغ غاية الحموضة في لغة أكثر العرب ^(١٠) و"الصقر" للدبس في لغة أكثر أهل المدينة، وإما أن يكون أحدهما منقولاً عن الآخر أو مستعاراً، والفرق بينهما: أن المنقول هو الذي ينقله أهل صناعةٍ ما عن المعنى المصطلح عليه أولاً إلى معنى آخر قد تفردوا بمعرفته، فيبقى من بعد مشتركاً بين المعنيين وعلى ذلك الألفاظ الشرعية نحو الصلاة

١ - في (ف-ض)، ٢ - ص: العنا- العنا وهو تصحيف وفي "ط-س" الغناء، والغناء، وهذا هو الأصح، لأن المراد: اختلاف عدد الحروف، والعدد في الكلمتين لا يختلف إلا بتشديد أحد الحروف.. وفي ن-م القنا والغنا وكذلك في (د-ك) .

٢ - القنابل : جمع قنبل، والقنبل: الطائفة من الناس ومن الخيل، وقيل: هم ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو نحو ذلك.. لسان العرب- المعجم الوسيط.

٣ - في (ف - ض) ، ٢ - ص: ويكون وكذلك في «د-ك» ، وفي «ط-س» ، (وتكون)، وهو الأصح.

٤ - في «ط-س»: تقديرها، وكذلك في ن-م

٥ - الضناك: الضخمة، وفي المعجم الوسيط: الضناك: الموثق الخلق الشديد، ، وفي «د-ك» ضنال

٦ - ساقطة من ن - م

٧ - ساقطة من (ط - س). وكذلك من «ن-م»

٨ - في (ط-س) أسرحت، وهو تصحيف. وقال الراغب في المفردات: المصباح ما يُسقى منه، ومن الإبل ما يبرك فلا ينهض حتى يصبح، وما يجعل فيه المصباح قال تعالى: (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زحاجة)، ويقال للسراج مصباح والمصابيح أعلام الكواكب.

٩ - قال الراغب في المفردات: الشكو، والشكاية، والشكاة، والشكوى : إظهار البث .. وأهل الشُّكُو : فتح الشكو وإظهار ما فيه وهي سقاء صغير يجعل فيه الماء.

١٠ - قال صاحب اللسان: "والصقر: اللبن الشديد الحموضة.. وقال الأصمعي: إذا بلغ اللبن من الحمض ما ليس فوقه شئ فهو "الصقر"، وقال شمر: الصقر: الحامض الذي ضربته الشمس فحمض.

والزكاة، والألفاظ^(١) التي يستعملها الفقهاء والمتكلمون والنحويون. وأما المستعار: فالاسم الموضوع لمعنى فتستعيـره لمعنى آخر له اسم وضعي غيره، فتستعمله فيه لمواصلة توجد بين المعنيين كتسميتها^(٢) الشجاع بالأسد، والبلید بالحمار. والفرق بين حكم المنقول والمستعار أن المنقول شرطه أن يتبع فيه أهل تلك الصناعة والمستعار لكل أحد^(٣) أن يستعير فيستعمله إذا قصد معنى صحيحاً، فيكون متضمناً لمعنى التشبيه نحو أن تقول^(٤): ركبت "برقاً"، فتعنى^(٥) به فرساً كالبرق سرعة، ورأيت بحراً، أى سخياً كالبحر. وأما المشتق: فشرطه أن يشارك المشتق منه في حروفه الأصلية ويوجد فيه ببعض^(٦) معناه، ويخالفه إما في الحركات نحو "ضَرَبَ" و"ضُرِبَ" أو في الزوائد من الحروف نحو "ضَرَبَ" وضارب" و"استضرب" أو في التقدير نحو "المختار" إذا كان فاعلاً أو مفعولاً وسائر ما تقدم، فقد بان بهذه الجملة أنواع مفردات الألفاظ وما يقع فيه الاشتباه، وأما المركب من اللفظ: فما ركب من هذه الثلاثة، والتركيب على ضربين: تركيب يحصل به جملة مفيدة، وذلك: إما «من»^(٧) اسمين أو «من»^(٨) اسم وفعل، أو تقدير^(٩) ذلك، وتركيب لا يحصل به ذلك، ويكون إما من اسمين يجعلان اسماً^(١٠) واحداً، نحو خمسة عشر، وبعليك، أو اسم مضاف إلى اسم نحو عبد الملك، أو اسم وفعل نحو: تأبط شراً، أو اسم وحرف^(١١) نحو "سيبويه"^(١٢)، أو فعل وحرف نحو "هلم"، أو حرفين نحو "إنما" أو من جمل من الكلام، وذلك لا يكون إلا بحذف بعضها نحو "بسملة"، و"حيلة"، و"حويلة" في قولهم: بسم الله، وحي على الصلاة، ولا حول ولا قوة إلا بالله - وجميع ما يقع فيه الشبهة^(١٣) من الكلام المركب لا يخلو: إما أن يكون لشيء يرجع إلى مفردات الكلام وذلك على

١- في ن-م أو الألفاظ.

٢- في ن-م كتسمية وكذلك في (د-ك).

٣- في ن-م لكل واحد.

٤- في: (ط-س): يقول.

٥- في: (ط-س): فيعنى.

٦- في (ط-س) بعض.

٧- في: «ط-س»: في.

٨- في: «ط-س»: في.

٩- أو تقديره ذلك في ن-م.

١٠- ساقطة من ن-م.

١١- في ن-م وصوت، وكذلك في «د-ك» وفي (أ-ص): اسم وصوت ولعل هذا أصوب من (حرف)، لأن الكلمة فارسية

١٢- جاء في لسان العرب: "والسيب: التفاح - فارسي - قال أبو العلاء: وبه سُمي (سيبويه)، سيب، تفاح و"ويه" رائحته. فكأنه رائحة

تفاح.. وفي المعجم الوسيط: السيب: مجرى الماء، والتفاح، ومنه (سيبويه): ومعناه رائحة التفاح.

١٣- في: (أ - ص) الشبه. وكذلك في (ن-م).

التفصيل المتقدم، وأما لشيء لا يرجع إلى ذلك، وذلك لا يخلو إما أن يكون من جهة المعنى، أو من جهة اللفظ، فأما ما كان من جهة المعنى: فلا سبيل إلى إزالته بتغيير^(١) العبارات وذلك أن المعاني ضربان، جليّ وغامض، فالجليّ: ما يمكن إدراكه بأدنى تأمل، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٣) إلى قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَا كَانَ لَكُمْ بِهِ لَكُم تَقُونَ﴾^(٤)، وأما الغامض: فعلى ثلاثة أضرب، الأول: أن يكون المعنى في نفسه خفيًا، نحو الكلام في صفات الباري- سبحانه- ونفى التشبيه عنه، والثاني: أن يكون الكلام أصلًا يشتمل على فروع تتشعب^(٥) منه كآليات الدالة على الأحكام، والثالث: أن يكون مثلًا وإيماء^(٦)، كقولهم: "الصيف ضيّعت^(٧) اللبنة"، وذلك لأن ظاهره ينبي عن شيء والمقصود غيره، وذلك في القرآن كقصة موسى مع الخضر في كسر^(٨) السفينة، وقتل النفس^(٩) الزكية بغير نفس، وإقامة جدار من غير^(١٠) نفع ظاهر، وكقصة الخصمين "إذ دخلوا على داود ففزع منهم^(١١)"، وكقوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾^(١٢)، واللفظ أيضًا ضربان: لفظ جليّ، وهو أن يقع كيفيات الله للفظ وكمياته على حسب ما يجب^(١٣) نحو: «قوله تعالى»^(١٤): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٥) ولفظ غامض، وذلك من ثلاثة أوجه: إما من جهة الكيفية، وذلك بتقديم ما يقدر تأخيرها.

١- في: (أ-ص): بتعيين، وهو تصحيف، وكذلك في (ن-م).

٢- سورة النساء: الآية (٣٦).

٣- سورة الأنعام: الآية (١٥١).

٤- سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

٥- في: (أ-ص) يتشعب.

٦- في ن-م دائماً.

٧- في: (أ-ص): "في الصيف ضيّعت اللبنة"، وكذلك في (د-ك).

٨- يريد: خرق السفينة، وذلك إشارة إلى قوله تعالى: (فلما ركبا في السفينة خرقها) الآية. (٧١) من سورة الكهف

٩- يريد بذلك الإشارة إلى قوله تعالى: (حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس) الآية: (٧٤) من سورة الكهف

١٠- يشير بهذا إلى قوله تعالى: (فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) الآية: (٧٧) سورة الكهف

١١- يشير إلى قوله تعالى: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) الآية (٢١) سورة ص.

١٢- سورة النمل: الآية (٨٢).

١٣- زيادة من: (ف-ض).

١٤- ساقطة من (ن-م).

١٥- سورة الفاتحة - الآية: (٢).

أو تأخير ما يقدر تقديمه نحو قول الشاعر:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا . . أَبَوَاهُ حَتَّى أَبَوُهُ يُقَارِبُهُ (١)

وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوهُمْ فَتُدْبِرُكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّدُخْلِ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ مِنْ يَّشَاءُ لَوْ تَوَلَّوْا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٢).

وأما من جهة الكمية، وذلك إما من جهة البسط في الكلام، أو من جهة الحذف والإيجاز، فما كان من جهة البسط فكقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ (٣) وكقوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٤)، وما كان من جهة الإيجاز والحذف، كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (٥)، وأما من جهة الإضافة، وذلك بحسب اعتبار حال المخاطب نحو قولك: افعل في الطلب والشفاعة والأمر..

(فصل (٦) في الآفات (٧) المانعة من فهم المخاطب هواد المخاطب)

الآفات المانعة من ذلك ثلاثة: الأولى: راجعة إلى الخطاب؛ إما من جهة اللفظ، أو من جهة المعنى، وقد تقدم ذلك، والثانية: راجعة إلى المخاطب، وذلك لضعف تصويره لما قصد (٨) الإنباء عنه، أو قصور عبارته عن تصوير ما قصد الإنباء عنه، وخطاب الله - عز وجل - منزه عنها.. والثالثة: راجعة إلى المخاطب، وذلك إما لبلادة فهمه عن تصور أمثال ذلك من المخاطبة، وإما لشغل خاطره بغيره، وذلك وإن كان موجوداً في بعض المخاطبين بالقرآن، فغير جائز أن يشمل كافة المخاطبين، إذ من المستبعد أن يكون الناس قاطبة لا يفهمونه.

١- البيت للفرزدق كما في ديوانه: ص ١٠٨، وقاله الفرزدق يمدح فيه هشام بن إسماعيل وهو خال هشام بن عبد الملك، وهو فيه بيتاً مفرداً وذكر جامع الديوان - رحمه الله - أنه لم يرد في أصول الديوان هذا الشاهد دائر في كتب النحو والبلاغة والأدب، وهو من إنشادات أبي الحسن الأخفش على نسخته من كتاب سيبويه.
راجع: الكتاب - ج ١: ص ٣٢، وانظر المعاني الكبير ص ٥٠٦، والكامل ج ١: ص ٢٨ والأصول ج ٢: ص ٤٦٧ والخصائص ج ١: ص ١٤٦، ص ٣٢٩، ج ٢: ص ٣٩٣، وأسرار البلاغة ص ٦٦، ٢٠، والفصول الخمسون - ص ٢٧٦ وضرائر الشعر ص ٢١٣، وشروح التلخيص ج ١: ص ١٠٤ وشرح أبيات المغني - ج ٤: ص ١٤، وكتاب الشعر ج ١: ص ٢٦٧.
مقدمة جامع التفاسير ص ٣٦ - الانتخاب في أبيات مشكلة الإعراب ص ٢٠ - منشور الفوائد - لابن الأنباري - ص ٥٥ - الإفصاح للفراري - ص ٨٤ - الاستغناء في أحكام الاستثناء - ص ٦٥٥.

٢- سورة الفتح: الآية (٢٥).

٣- سورة البقرة: الآية (١٧٩)، ويقصد ببسط الكلام اجتماع الكاف مع (مثل) في قوله: (كمثل)، وقد أوضح ذلك في كتابه المفردات حيث قال: "وضرب لبسط الكلام، نحو: (ليس كمثله شيء)، لأنه لو قيل: ليس مثله شيء كان أوضح للسامع."

٤- سورة الروم: الآية (٢٨).

٥- عنوان هذا الباب ساقط من (د.ك.).

٦- في (ن-م) المانعة المخاطب من فهم مراد المخاطب.

٧- في: (ط-س): ما.

(فَصْلٌ فِي عَامَّةِ مَا يُوقَعُ الْاِخْتِلَافُ وَيُكْثَرُ الشُّبُه)

وذلك ثلاثة أشياء^(١) حق العالم أن يعنى بتهذيبها وسد الثلم المنبتقة^(٢) عنها.. أحدها: وقوع الشبه من الألفاظ المشتركة وقد تقدم. والثاني: اختلاف النظريين^(٣) من جهة الناظرين، وذلك كنظر فرقتي- أهل الجبر والقدر، "حيث اعتبر أهل الجبر"^(٤) السبب الأول فقالوا: الأفعال كلها من جهة الباري سبحانه «وتعالى»^(٥) - إذ لولاه لم يوجد شيء منها، وقال أهل القدر: إن الممكنات من جهتنا، حيث اعتبروا السبب الأخير، وهو المباشر للفعل دون السبب الأول، والثالث: اختلاف نظر الناظرين من اللفظ إلى المعنى، أو من المعنى إلى اللفظ، وذلك كنظر الخطابي^(٦) إلى اللفظ في إثبات ذوات الأشياء، ونظر الحكماء من ذوات الأشياء إلى الألفاظ.

وذلك نحو الكلام في صفات الباري- عز وجل- فإن الناظر من اللفظ وقع عليه الشبهة العظيمة في نحو قوله تعالى:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٧)، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(٨)، وما يجرى مجراه..

وأهل الحقائق لما بينوا^(٩) بالبراهن أن الله تعالى واحدٌ منزّهٌ عن التكثر^(١٠)، فكيف عن الجوارح؟ بنوا الألفاظ على ذلك، وحملوها على مجاز اللغة ومشاع^(١١) الألفاظ، فصينوا عما وقع فيه الفرقة الأولى..

١ - ناقصة من : (ط-س).

٢ - في (ن-م) المنبتقة، وكذلك في (د-ك)، وهو تصحيف.

٣ - ساقطة من (ن-م)، وكذلك من : (د-ك).

٤ - ناقصة من : (ط-س).

٥ - ساقطة من : (د-ك).

٦ - الخطابي : هو حمد بن إبراهيم بن خطاب المتوفى سنة ٣٨٨هـ، وهو صاحب كتاب: (بيان إعجاز القرآن)، وقد نقل رأيه في الإيمان بالصفات شيخ الإسلام ابن تيمية في (رسالة الفتوى الحموية الكبرى) ص ٤٦، وأشار ابن تيمية إلى مصدره في النقل وهو رسالة الخطابي المصهورة في الغنية عن الكلام وأهله)، وقد قال الخطابي في هذه الرسالة: "فأما ما سألت عنه من الصفات وما جاء بها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبتته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريق المستقيمة بين الأمرين. ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه مقدمة جامع التفاسير - ص ٤٠

٧- سورة المائدة : الآية (٦٤). ويقصد بالشبهة العظيمة شبهة التشبيه، غير أن الخطابي الذي اعتبره الراغب ناظراً من اللفظ إلى المعنى قد صرح تصريحاً قاطعاً ينفي ذلك كله حينما قال: (ولا نقول إنها جوارح ولا تشبيهها بالأيدي والاسماع والابصار التي هي جوارح وأدوات للفعل..)، ومما يوضح رأي الخطابي ما ذكره ابن تيمية في "الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى" من ص ٨ إلى ص ١٢ مقدمة جامع التفاسير - ص ٤١

٨ - سورة القمر : الآية (١٤).

٩- في (أ-ص)، (ط-س) تبينوا.

١٠- في (ن-م) التكثر، وكذلك في : (د-ك).

١١- في (ن-م) ومساغ.

(فَصْلٌ فِي أَقْسَامِ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ)

وقد تقرر أن أنواع الكلام المركب الخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي، والطلب، والشفاعة^(١) والوارد في كلام الله تعالى من ذلك: الخبر والأمر والنهي،^(٢) وذاك أن علام الغيوب لا يحتاج إلى الاستخبار وكل ما ورد من ألفاظ الاستخبار فعلى الحكاية أو على الإنكار والتوبيخ، والمولى لا يطلب من عبده ولا يتشفع إليه، فإذا هذه الثلاثة ساقطة من القرآن، والخبر: ما ينطلق عليه الصدق والكذب، وخاصيته أن يتعلق بالآزمان الثلاث، والأمر والنهي لا ينطلق عليهما ذلك، ولا يتعلقان^(٣) إلا بالمستقبل، وفائدة الخبر ضربان: أحدهما: إلقاء ما ليس عند المخاطب إليه ليتصوره نحو أمور الآخرة من الثواب والعقاب.

والثاني: إلقاء ما قد تصوره ليتأكد عنده. وعلى ذلك جميع ما ورد في القرآن مما قد علم بالعقل مثل "الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد". وفائدة الأمر والنهي شيان: أحدهما: حث المخاطب على اكتساب محمود واجتناب مذموم. والثاني: حثه على الوجه الذي به يكتسب المحمود ويجتنب المذموم المقرر^(٤) عند المخاطب، والغرض الأقصى من الخطاب الخبري: إيصال المخاطب إلى الفرق بين الحق والباطل ليعتقد الحق دون الباطل. ومن الأمر والنهي أن يفرق بين الجميل والقيبح، ليتحرى الجميل، ويجتنب القبيح. فكل خبر: فإما^(٥) أن يكون معرباً عما يلزم اعتقاده، فيسمى "الخبر الاعتقادي"، وذلك نحو ما ينطوي عليه قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٦) وإما أن يكون مبيناً^(٧) عما يقتضى الاعتبار به، فيسمى "الخبر الاعتباري"، كأخبار الأنبياء وأمهم والقرون الماضية، والأخبار عن خلق السماوات والأرض.

وكل أمر ونهي: فإما أن يكون أمراً بما يقتضي العقل حسنه، ونهياً عما يقتضي العقل قبحه، فيسمى "الأوامر والنواهي العقلية"، أو أمراً^(٨) بما تقصر عقولنا عن معرفة حسنه، ونهياً عما تقصر^(٩)

١- قال ابن فارس في "الصاحبي" ١٧٩-(باب معاني الكلام). وهي عن أهل العلم عشرة: "خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب. وعرض وتخصيص، وتمن وتعجب"- مقدمة جامع التفاسير - ص ٤٢ .

٢- في: (ط-س): وذلك .

٣- في: (ط-س): يتعلق ، وهو خطأ من الناسخ.

٤- في: (ط-س) : المقرران، وهو خطأ من الناسخ.

٥- في (ن-م) إمّا .

٦- سورة النساء: الآية (١٣٦) .

٧- في: (ط-س): مبيناً. وفي (ن-م) مُنبئاً وهي الأصح.

٨- في: (ط-س) : أمر وهو تصحيف.

٩- في: (ط-س): بما يقصر.

عقولنا عن معرفة قبحه، فيسمى^(١) : "الأوامر والنواهي الشرعية" والفرق بين العقلي منها والشرعي :

أن العقلي لا يتغير على مرور الأيام ولا ينسخ في شيء من الأزمان.

والشرعي: ما يتسلط عليه النسخ والتبديل، بحسب ما يتعلق به من المنافع.

(فَصْلٌ فِي كَيْفِيَّةِ بَيَانِ الْقُرْآنِ)

اعترض "بعض"^(٢) الناس فقال : كيف وُصفَ القرآن بالبيان، فقال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ

لِلنَّاسِ ﴾^(٣)، وقال: ﴿ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾^(٤) وقال: ﴿ يَلْسَنَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٥)، وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا

إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ﴾^(٦)، وقد عُلِمَ ما فيه من الإشكال والمتشابه وما يجرى مجرى الرموز، نحو قوله

تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾^(٧) وقوله: ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ

وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾^(٨) وقد^(٩) وصفه تعالى بالمتشابه وبأنه لا يعلم تأويله إلا هو؟ فالجواب أن

البيان المشترط فيه إنما هو بالإضافة إلى "أعيان"^(١٠) أرباب أهل الكتاب لا إلى كل من يسمعه^(١١)

ممن دبٌ ودرج، فقد علمنا أن ذلك ليس ببيان لمن ليس من أهل العربية، ثم أحوال أهل العربية مختلفة

في معرفته. ولو كان البيان لا يكون بياناً حتى يعرفه العامة لأدى إلى أن يكون البيان^(١٢) في الكلام

السوقي^(١٣) العامي^(١٤) أو إلى أن لا يكون بياناً^(١٥) بوجه، إذ كل كلام بالإضافة إلى قوم بيان،

وبالإضافة إلى آخرين ليس ببيان، وقد عُلِمَ أن قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَفَفَّهُتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّذْ بِهِمْ مَنْ

١- في : (ط-س)، وفي (ف-ض)- فتسمى.

٢- سقطت من : (ط-س).

٣- سورة آل عمران : الآية : (١٣٨).

٤- سورة النساء: الآية (١٧٦).

٥- سورة الشعراء: الآية (١٩٥).

٦- سورة النور: الآية (٢٤).

٧- سورة البقرة : الآية (١٠٢).

٨- سورة الأنبياء : الآية (٩٦).

٩- في : (ط-س)- (قد).

١٠- ساقطة من : (ف-ض). وكذلك من (ن-م).

١١- في : (أ-ض) يستمعه وكذلك في (ن - م) ، (د.ك).

١٢- ساقطة من : (أ-ض).

١٣- في : (أ-ض).. كلام السوقي وكذلك في (ن -م).

١٤- في: (ط-س): والعامي.

١٥- في: (أ-ض)، (ط-س) بيان.

خَلَقَهُمْ»^(١) وقوله: ﴿وَأَمَّا تَخَافُنْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَابْذِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾^(٢) من أشرف كلام، ولأحظ في معرفته لمن لم يتوفر نصيبه من البلاغة، وكذلك قول الشاعر:

فَاقْطَعْ لِبَانَةً مَنْ تَعْرِضُ وَصَلَّةً...^(٣)

وقول الآخر:^(٤)

وَمَا الْمَرْءُ مَادَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ بِمُدْرِكِ اطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا آلِ

من أفصح كلام ولا يعرفه جميع الأنام، ثم إن القرآن وإن كان في الحقيقة هداية للبرية، فإنهم لن يتساووا في معرفته، وإنما يحيطون^(٥) به بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم، فالبلغاء تعرف من فصاحته، والفقهاء من أحكامه، والمتكلمون من براهينه العقلية، وأهل الآثار من قصصه ما يجهله غير المختص بفنه، وقد علم أن الإنسان بقدر ما يكتسب من قوته في العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه، وعلى ذلك أخبار النبي ﷺ، ولهذا^(٦) قال عليه السلام:

«نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا كَمَا سَمِعَهَا حَتَّى يُؤَدِّيَهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»...^(٧)

(فَصْلُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ)

الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبيء عنه البول تفسره، وتسمى بها قارورة الماء^(٨)، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سمرت المرأة عن وجهها^(٩)، وأسفر الصبح، وسمرت البيت إذا كنسته...، والتأويل من آل يؤول:

١- سورة الأنفال: الآية (٥٧).

٢- سورة الأنفال: الآية (٥٨).

٣- البيت للبيد من معلقته وشطره الثاني: "ولشر وأصل خلة صرامها"، الديوان: ١٦٧- دار صادر- بيروت.

٤- البيت لامرئ القيس، وقد جاء قبله: ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي الديوان- ص ١٤٥- دار صادر - بيروت.

٥- في: (أ-ص): يخطئون- وهو تصحيف. وكذلك في (ن-م).

٦- في: (أ-ص): ولذلك. وكذلك في (ن-م)، و(د-ك).

٧- الحديث في مسند الإمام أحمد - ٤٣٧/١ ولفظه: (نضر الله امرأ سمع منا حديثاً وحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)، وفي سنن ابن ماجه برقم ٣٠٥٦٠ ولفظه: (نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه). وهو أيضاً في جامع الأصول: ١٨/٨.

٨- قال الراغب في مفرداته: "الفسر: إظهار المعنى المعقول. ومنه قيل لما ينبيء عنه البول: تفسره، وسمى بها قارورة الماء. والتفسير في المبالغة- كالفسر. والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها. قال: (وأحسن تفسيراً) وقال السيوطي في الإتيان: "وقال الأصبهاني في تفسيره: "أعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره" الاتقان في علوم القرآن ج: ٤-ص ١٦٨.

٩- في: (د-ك) زوجها، وهو تصحيف.

إذا رجع، والتفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير فى الألفاظ، والتأويل: فى المعاني كتأويل الرؤيا. والتأويل: يُستعمل أكثره فى الكتب الإلهية، والتفسير يُستعمل فيها وفى غيرها، والتفسير: أكثره يُستعمل فى مفردات الألفاظ^(١)، والتأويل أكثره "يُستعمل"^(٢) فى الجمل، فالتفسير: إما أن يُستعمل فى غريب الألفاظ نحو "البحيرة"^(٣) والسائبة^(٤) والوصيلة^(٥)، أو فى «وجيز يبين» ويُشرح^(٦) كقوله: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٧). وإما فى كلام مُضْمَنٍ بقصة لا يمكن تصويره "إلا"^(٨) بمعرفتها نحو قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾^(٩)، وقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾^(١٠) الآية...، وأما التأويل: فإنه يُستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً، نحو "الكفر" المستعمل تارة فى الجحود المطلق، وتارة فى جحود البارئ خاصة. والإيمان" المستعمل فى التصديق المطلق تارة، وفى تصديق دين الحق تارة. وإما فى لفظٍ مشتركٍ بين معانٍ مختلفةٍ نحو لفظة "وجد" المستعملة فى الجدة والوجد والوجود. والتأويل نوعان: مستكره ومنقاد: فالمستكره: ما يستبشع إذا سُبِرَ بالحجة، ويستقبح بالتدليسات^(١١) المزخرفة المزوجة^(١٢) وذلك على أربعة أضرب:

الأول: أن يكون لفظ عام فيخصص فى بعض ما يدخل تحته، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَاهِرَ عَلَيْهِ فِرَاقُ اللَّهِ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٣) حمله بعض الناس على علي بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقط. والثاني: أن يلفق^(١٤) بين اثنين نحو قول من زعم أن الحيوانات كلها مكلفة محتجاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْزُقُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ أَمَرَ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١٥)، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾^(١٦)، فدل بقوله «أمم أمثالكم» أنهم مكلفون كما نحن مكلفون،

١- فى : (ن - م) فى معاني مفردات .

٢- ساقط من : (ط - س) وفى (ن-م) كالبحيرة وكذلك فى (د-ك).

٣- قال الراغب فى المفردات: (وذلك ما كانوا يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقوا أذنهما، فيسببها، فلا تُركب ولا يُحمل عليها

٤- قال الراغب فى المفردات: "السائبة" التى تسبب فى الرعى، فلا ترد عن حوض ولا علف، وذلك إذا ولدت خمسة أبطن .

٥- قال الراغب فى المفردات : وقوله: (ولا وصيلة): "وهو أن أحدهم كان إذا ولدت له شاته ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها، فلا يذبون أخاها من أجلها".

٦- فى : (ن-م) أو فى تبين وشرح ، وفى (د.ك) أو فى جزئين وشرح .

٧- فى : (ف-ض)، (أ-ص) (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وهى فى سورة البقرة الآيتان : (٤٣ ، ٨٣)، ووردت فى سور أخرى كثيرة

٨- سقطت من : (ط-س).

٩- سورة التوبة : الآية (٣٧)، وقال الراغب فى المفردات: "ومنها النسئ الذى كانت العرب تفعله ، وهو تأخير بعض الأشهر الحرم إلى شهر آخر".

١٠- سورة البقرة : الآية (١٨٩).

١١- فى (ن-م) بالتدليات وهو تصحيف.

١٢- سقطت من : (ط-س).

١٣- سورة التحريم: الآية (٤).

١٤- فى : (أ-ص)- أن تلفق، وكذلك فى (ن-م) ، و(د-ك).

١٥- سورة فاطر: الآية (٢٤).

١٦- سورة الانعام: الآية (٣٨).

الثالث^(١) ما استعين فيه بخبر مزور أو كالمزور كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾^(٢)، قال بعضهم: عنى به الجارحة مستدلاً بحديث موضوع^(٣). والرابع: ما يستعان فيه باستعارات^(٤) واشتقاقات بعيدة، كما قاله بعض الناس فى البقر: إنه "إنسان"^(٥) يبقّر عن أسرار العلوم، وفى الهدد: إنه إنسان "موصوف"^(٦) بجودة البحث والتنقيب.

فالأول: أكثر ما يروج^(٧) على المتفقهة^(٨) الذين لم^(٩) يقولوا فى معرفة الخاص والعام، والثانى على المتكلم الذى لم يقو فى معرفة شرائط النظم، والثالث على صاحب الحديث الذى لم يتهذب فى شرائط قبول الأخبار، والرابع: على الأديب الذى لم^(١٠) يتهذب بشرائط الاستعارات والاشتقاقات، والمنقاد من التأويل: ما لا يعرض فيه البشاعة المتقدمة، وقد يقع الخلاف فيه بين الراسخين فى العلم لإحدى جهات ثلاث: إما لاشتراك فى اللفظ: نحو قوله تعالى:

﴿لَا تُذِرْكُمُ الْاَنْبَارُ﴾^(١١) هل هو من بصر العين، أو من بصر القلب؟ أو لأمر راجع إلى النظم نحو قوله: ﴿أَوَلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾^(١٢) هل هذا الاستثناء مقصور على المعطوف، أو مردود إليه وإلى المعطوف عليه معاً؟ وإما لغموض المعنى ووجازة اللفظ، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١٣) والوجوه التى يُعتبر بها^(١٤) تحقيق أمثالها أن ينظر: فإن كان ما ورد فيه ذلك أمراً أو نهياً عقلياً فزاع فى كشفه إلى الأدلة العقلية، فقد حث تعالى على ذلك فى قوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١٥) وإن كان أمراً شرعياً فزاع فى

١- فى : (أ-ص): والثالث.

٢- سورة القلم: الآية (٤٢).

٣- لعله يريد بالحديث الموضوع ما جاء فى تفسير ابن كثير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يوم يكشف عن ساق» يعنى: عن نور عظيم يخرون له سجداً، وقد علق عليه ابن كثير بقوله: ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به، وفيه رجل «هم والله أعلم». - مقدمة جامع التفاسير - ص ٤٩ .

٤- فى : (ط-س) به.

٥- سقطت من : (ط-س).

٦- سقطت من : (ط-س).

٧- فى : (ط-س) : روج .

٨ - فى : (ط-س): على المتفقهة.

٩ - فى : (ط-س): يقولوا ، وهو تصحيف ظاهر.

١٠- فى (ن-م) الذى يتهذب.

١١- سورة الأنعام : الآية (١٠٣).

١٢- سورة النور : الآيتان : (٤ ، ٥).

١٣- سورة البقرة : الآية (٢٢٧).

١٤- فى : (أ - ص) فيها .

١٥- سورة ص : الآية (٢٩).

كشفه إلى آية محكمة أو سنة مبينة، وإن كان من الأخبار الاعتقادية فزاع إلى الحجج العقلية، وإن كان من الأخبار^(١) الاعتبارية فزاع فيه إلى الأخبار الصحيحة المشروحة في القصص.

(فصل في الوجوه التي بها يُعبّر عن المعنى وبها يُبين^(٢))

لما كان المعنى الواحد^(٣) يقرب من الأفهام بعبارات مختلفة لأغراض متفاوتة، وجب أن يبين الوجوه التي منها "تختلف"^(٤) العبارات عن المعنى الواحد. فالمعنى الواحد قد يدل عليه بأشياء كثيرة: إما باسمه نحو "إنسان"، أو بنسبه^(٥) نحو "أدمي" و"ولد حواء"، أو بإحدى خصائصه اللازمة له: نحو "المنتصب القامة" أو "الماشي برجليه" أو "العريض الأنف"، وإما بفصله^(٦) اللزم كقولك "الناطق"، "المائت"^(٧). وكما يبين الشيء بأوصاف كثيرة، كذلك قد يتبين بأسماء كثيرة متضمنة لأوصاف مختلفة، كقولك^(٨) في الجرم^(٩) العلوي: "السما" لما اعتبر^(١٠) ارتفاعها بالإضافة إلى الأرض، و"الجرباء": لما "اعتبروا نجومها"^(١١)، وأنها كجرب في الجلد و"الخلقاء" و"المساء" لما اعتبر^(١٢) بحالها عند فقدان نجومها بالنهار^(١٣)، و"الرقيع"^(١٤) تشبيهاً بالثوب المرقوع لظهور نجومها ظهور الرقاع في المرقع والخضراء" لما اعتبر^(١٥) لونها، وعلى ذلك قولهم "في المرأة"^(١٦): "الزوج" لما اعتبرت بازدواجها بالرجل، و"الطعينة" لما اعتبر ظلعنها معه، و"القعيدة" لما اعتبرت بقعودها في البيت أو بكونها مطية له

١- ساقطة من (ن-م)، و(د-ك).

٢- في: (أ-ص): ويبين بها، وكذلك في (ن-م).

٣- سقط من (ط-س).

٤- في (ف-ض): يختلف.

٥- في: (أ-ص): نسبه.

٦- في: (ف-ض): (أ-ص) بأحد، وفي: (أ-ص): بفضل، وهو تصحيف. وكذلك في (ن-م) و(د-ك).

٧- في (أ-ص): المائتة. وكذلك في (ن-م)، (د-ك).

٨- في: (أ-ص)، وفي (ط-س) كقولك وفي (ن-م) كقولهم.

٩- في (أ-ص): الجرام.

١٠- في (ن-م) لما اعتبروا وهو الأصح.

١١- في (ط-س) لما اعتبر بنجومها.

١٢- في (ن-م) لما اعتبروا.

١٣- ساقطة من (ن-م).

١٤- في (ن-م) والرقعاء.

١٥- في (ن-م) لما اعتبروا ظهور شبه الرقاع في المرقع وهي كذلك في (د-ك).

١٦- سقطت من: (أ-ص)، (ط-س).

كالقعود من الجمال، والقعدة من الأفراس، ألا ترى أنها سميت "مَطِيَّة" في قول الشاعر:

مَطِيَّاتُ السُّرُورِ فَوْقَ عَشْرِ
إِلَى عَشْرِينَ ثُمَّ قَفِ الْمَطَايَا^(١)

و"حليلة"^(٢) إذا اعتبر حلولها معه، أو حل الأزار له. وذلك يفعل لأحد أمرين: إما لأن الشيء "في نفسه"^(٣) لا يمكن إبرازه إلا بالعبارات الدالة على أوصافه كعرفة الله - عز وجل - لما صعبت^(٤) لم يكن لنا سبيل "إليها"^(٥) إلا بصفاته، وكأن الله تعالى جعل لنا أن نصفه بهذه الأوصاف لتكون لنا ذريعة إلى معرفته، إذ لا سبيل لنا إليها إلا استدلالاً بأوصافه وأفعاله، ولذلك قال "موسى"^(٦) - عليه السلام - لما سأل فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟^(٧) قال: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾^(٨). ولما قال له: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾؟^(٩) قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(١٠)، فلم يجبه عن الماهية، لما كان البارئ تعالى منزهاً عنها، وأحاله عن صفاته الكثيرة، وإما لأن الشيء له تركيبات "وأحوال"، فيجعل له بحسب كل واحد منها اسم كما تقدم في أسماء السماء، وبحسب ذلك قال النبي^(١١) عليه السلام: "سُمِّيْتُ مُحَمَّدًا، وأحمد، وخاتماً، وحاشراً، وعاقباً ومأحياً"^(١٢) لأنه محمود، وحامد، وخاتم الأنبياء، وحاشر، لأنه بُعث مع الساعة "نذيراً لكم بين يدي عذابٍ شديد"، وعاقب: لأنه عقب الأنبياء، ومأحي: لأنه محى به سيئات من اتبعه.

١- البيت ورد في أمالي الزجاجي منسوباً لمحمد بن عبدالله بن طاهر بلفظ.

إلى عشرين ثم قف المطايا
بنات الأربعين من الرزايا
إذا أولتتهن من البلايا

مطيات السرور بنات عشر
وقد جاء بعده: فإن جاوزتهن فسر قليلاً
إلى أن قال: مقاساة النساء مع الليالي

مقدمة جامع التفاسير - ج ٥ تحقيق: د/ أحمد فرحات .

وأورده صاحب الدر الفريد، ونسبه إلى دعل الخزاعي - ج: ٥ - ص ١١٤ .

٢- في (ن-م) وحلية وهو تصحيف.

٣- سقطت من: (ط-س).

٤- في: (ط-س): لما صعب.

٥- سقطت من: (ط-س).

٦- سقطت من: (ط-س).

٧- سورة الشعراء: الأيتان: (٢٣، ٢٤).

٨- في: (ط-س): كما، وهو خطأ من الناسخ.

٩- سورة طه: الآية (٤٩).

١٠- سورة طه: الآية: (٥٠).

١١- ساقطة من (ن-م).

١٢- الحديث في "فتح الباري": ٥٥٤/٦ برقم ٣٥٢٢ بلفظ: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». وقد تكرر أيضاً في ٦٤٠/٧ برقم: ٤٨٩٦. كما ورد أيضاً في تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي والزيادة ذكرها الراغب وهي غير موجودة في كتب الحديث: ١٢٩/٨ برقم ٢٩٩٦. وورد أيضاً في موطأ الإمام مالك وفي شرح الزرقاني على الموطأ: ٤٣٢/٤ ورقمه: ١٩٥٥ وكل هذه الروايات متفقة على الأسماء الخمسة التي ذكرها البخاري وليس فيها الزيادة التي ذكرها الراغب وهي "خاتم" مقدمة جامع التفاسير - ص ٥٤ ..

(فَصْلُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ)

الحقيقة مشتقة من الحق، والحق يستعمل على وجهين^(١) : أحدهما: فى الموجود الذى وجوده بحسب مقتضى الحكمة بنحو قولنا: الموت حق، والبعث حق، والحساب حق، والثانى: للاعتقاد المطابق لوجود الشئ فى نفسه، أو فى القول المطابق لمعنى الشئ الذى هو عليه، نحو أن يقال: إن اعتقاد فلان فى البعث حق، وقوله فى الثواب والعقاب حق، ويضاد "الحق"، الباطل، وإذا فهم الحق فهم الباطل، لأن العلم بالمتضادين واحد، وأما الحقيقة: فإنها تستعمل فى المعنى تارة، وفى اللفظ تارة: فأمّا استعمالها^(٢) فى المعنى: فعبارة^(٣) عما ينبئ عن الحق ويدل عليه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لحارثة: لما قال: «أصبحت مؤمناً حقاً»: قال: لكل حق حقيقة فما حقيقة^(٤) إيمانك؟ أى: ما الذى ينبئ عن ذلك؟^(٥)

ويستعمل فى العمل والاعتقاد والخبر، فيقال: هذا فعلٌ وخبرٌ وقولٌ له حقيقة. ويستعمل فى ضدها المجاز، والتسميح، والتوسع، فيقال: هذا فعل واعتقاد وخبر فيها تجوز وتسمح وتوسع ولا فرق "بين"^(٦) أن يكون مثل هذا الخبر بلفظ مجاز أو لفظ حقيقة فى أنه يقال هو حقيقة إذا كان مطابقاً لما عليه الشئ فى نفسه، وإذا استعملت فى اللفظ، فالمراد به: اللفظ المستعمل فيما وضع له فى أصل اللغة من غير نقل ولا زيادة ولا نقصان، والمجاز على العكس من ذلك، وكلاهما ضربان: أحدهما فى

١- قال الراغب فى مفرداته: أصل الحق المطابقة والموافقة، كمطابقة رجل الباب فى حقه لدورانه على استقامة، والحق يقال على أوجه: الأول: يقال لموجد الشئ بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل فى الله تعالى هو الحق، قال الله تعالى: "ثم رددوا إلى الله مولاهم الحق"، وقيل بعيد ذلك: "فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأتى تصريفون" والثانى: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كله حق وقال تعالى: (هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً) إلى قوله تعالى: (ما خلق الله ذلك إلا بالحق)، وقال فى القيامة: (ويستنبئونك أحق هو قل إى ربى إنه لحق) (ويكتمون الحق) وقوله عز وجل: (الحق من ربك)، (وإنه للحق من ربك). والثالث: فى الاعتقاد للشئ المطابق لما عليه ذلك الشئ فى نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان فى البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق. قال الله تعالى: (تهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق). والرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وفى الوقت الذى يجب، كقولنا: فعلك حق، وقولك حق: قال الله تعالى: (كذلك حققت كلمة ربك)، (حق القول منى لأملائى جهنم)- مقدمة جامع التفاسير - ص ٥٥ - مفردات الراغب - ص ٢٤٦.

٢ - فى: (أ-ص)، (ط-س)، (ف-ض) استعماله .

٣- ساقطة من (ن-م)،

٤- فى (ن-م) فما إيمانك؟

٥- جاء فى مجمع الزوائد ٥٧/١: عن الحارث بن مالك الأنصارى أنه مر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى، وأطمأت نهارى وكأنى أنظر عرش ربى بارزاً، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، قال: يا حارثة: عرفت الأمر فالزم. روى الطبرانى فى الكبير، وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه، وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لقي رجلاً يقال له حارثة فى بعض سكك المدينة، فقال: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال أصبحت مؤمناً حقاً، قال: إن لكل إيمان حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسى عن الدنيا، فأطمأت نهارى وأسهرت ليلى، وكأنى بعرض ربى بارزاً، وكأنى بأهل الجنة فى الجنة ينعمون فيها، وكأنى بأهل النار يعذبون، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - أصبت فالزم. مؤمن نور الله قلبه - روى البزار - وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به، وانظر مقدمة جامع التفاسير - ص ٥٦.

٦- ساقط من: (ط-س).

مفردات الألفاظ، والثاني في الجمل: فالمجاز في المفردات: إما أن يكون بنقل، نحو فلانٌ عظيم الحافر، ويراد به القدم، أو زيادة^(١) نحو أنظور في "انظر"، وأرأيت لو كان على أيبك دين فقضيته "أى قضيته"^(٢) أو بنقصان نحو:

دَرَسَ الْمَنَّا بُمَتَالِمْ فَأَبَانَ^(٣) - ، أى : المنازل.

وربما يكون اللفظ الواحد من وجه حقيقة، ومن وجه مجازاً، نحو قولهم: "فلانٌ عظيم الإقدام"، فمن حيث استعمل القدم حقيقة، ومن حيث أتى بلفظ الجمع مجازاً^(٤)، وأما المجاز في الجمل، فمن حيث هي^(٥) جملة لا يكون إلا بحذف أو زيادة، أما الحذف: فما كان المحذوف منه شيئاً مستغنى عنه لدلالة، عليها، فذلك^(٦) من الإيجاز نحو حذف الخبر "عنه"^(٧) تارة، والخبر تارة، والمضاف تارة، والمضاف إليه تارة، والمفعول تارة، والفاعل تارة، وأمثلتها مشهورة يُستغنى عن ذكرها، وأما الزيادة: فلا شبهة أن كل زيادة تقتضي^(٨) زيادة معنى، أو بسط مختصر، أو شرح مبهم، فإنها مستحسنة متى حصل^(٩) فيها شرائط البلاغة، نحو ذكر "جبريل" و"ميكائيل"^(١٠) بعد ذكر "الملائكة"، وذكر "النخل" و"الرمان" بعد ذكر "الفاكهة"، وكذلك^(١١) ما كان من نحو زيادة اللزوم في "شَكَرْتُهُ وَشَكَرْتُ لَهُ"، وأما المستنكر المستكره عند أكثر المحصلين - فكل زيادة ادعى فيها أن وجودها وعدمها سواء كما زعم بعضهم أن ذلك "كالكاف" في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١٢) و"الوجه" في قوله: ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ﴾^(١٣) أى: الله^(١٤) وقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ، أى بالله، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾^(١٥) أى: أن تسجد، وكل ذلك يجيئ الكلام عليه في مواضعه في أنها ليست بزائدة، وأن

١- في (ن-م) أوزيادة.

٢- زيادة من (ط-س)، وفي (ف-ض)، (أ-ص) فقضيته وهو تصحيف.

٣- هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة .

وعجزه : فتقادت بالحبس فالسويان.

والبيت بعده :

فنعاف صارة فالقنان كائنها ... زبر يرجعها وليد يمان

والحبس وأبان جبلان بالبادية، والسويان واد لبني تميم

وتقادت : أى قدمت . ديوان لبيد ص ٢٠٦ . دار صادر - بيروت

٤- في (أ-ص) : مجازاً ٥- سقط من : (ط-س).

٦- في (ن-م) (فكذلك) ٧- سقط من : (ط-س).

٨- في : (ط-س) : يقتضي.

٩- في : (ف-ض)، (أ-ص)، (ط-س) : فإنه مستحسن متى حصل فيه .

١٠- في (ن-م) ثم ذكر الملائكة.

١١- في (ن-م) ولذلك.

١٢- سورة الشورى: الآية (١١)، وقد قال فيها الراغب في المفردات: "وأما الجمع بين الكاف والمثل"، فقد قيل: ذلك لتأكيد النفي - تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال "المثل" ولا "الكاف"، فنفي ب"ليس" الأمرين جميعاً. وقيل: المثل - ههنا: هو بمعنى الصفة، ومعناه ليس كصفته صفة، تنبيهاً على أنه وإن وُصف بكثير مما يوصف به البشر، فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر

- مفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٥٩.

١٣- سورة البقرة : الآية (١١٥).

١٤- ساقطة من : (ط-س).

١٥- سورة الأعراف : الآية (١٢).

لها معاني صحيحة. وبعض الناس تحرّوا في آيات ذكرها الله تعالى على سبيل المثل تطّلب الحقائق، ورأوا أن ذلك المعنى إذا لم يكن له وجود "على سبيل" الحقيقة كان كذباً، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿عَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾^(٢) حتى إن بعضاً^(٣) حمل قول النبي عليه السلام: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يُكَذِّبْ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ كُلُّهَا يُعَاجِلُ بِهَا عَنْ دِينِهِ». قال: «إني سقيم، وهذه أختي وبِلْ فعله كبيرهم» على الحقيقة، وخفي عليه أن المذكور على وجه المثل إذا تحرّى به معنى صحيح لم يكن كذباً^(٤)، نحو قولنا لمن نحته على عمل: "أطري فإنك فاعلة"^(٥) كما يقال لمن^(٦)

١- سورة ص: الآية (٢٢).

٢- سورة الأنبياء: الآية (٦٣).

٣- في: (أ-ص) بعضنا، وكذلك في (ن-م).

٤- قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: (فقال إني سقيم): إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، لأنه قد كان أزعج خروجهم إلى عيد لهم، فاحب أن يختلي بالهتهم ليكسرهم، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقده فأمّا حديث (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتين في ذات الله تعالى، قوله: "إني سقيم"، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)، وقوله في سارة: (هي أختي) فهو حديث مخرّج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، حاشا وكلا وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني - مقدمة جامع التفاسير ص ٥٨.

٥- في: (ط-س) فاعلة، وقد جاء في كتاب: (فرائد اللال في مجمع الأمثال) للشيخ إبراهيم بن السيد علي الأحمد الطرابلسي -

ج: ١-ص ٣٦٤-٣٦٥ ما يلي: ياذي أطري أن تكوني فاعلة إنك أنت يا فتاة فاعلة

الإطار: أن تركب طرر الطريق وهي نواحيه، وقيل معناه: أدلي، وقيل: اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه. وأصله أن رجلاً قال لراعية كانت له ترمى في السهولة وتدع الحزونة: أطري، أي: خذي .. طرر الوادي، وهي نواحيه، فإن عليك نعلين، كأنه عنى هما غلظ جلد قدميهما، وقيل: "أطري": خذي أطرار الإبل، أي: نواحيها، يريد: حوطيها من أقاصيها واحفظيها، ويضرب لمن يؤمر بارتكاب الأمر الشديد لاقتداره عليه، ويخاطب به المفرد والمثنى والجمع مذكراً كان أو مؤنثاً، مقدمة جامع التفاسير - ص ٥٩

٦- كلمة: (كما يقال)، وكلمة (وقع منه) بعدها لم ترد في: (ف-ض) أو في (أ-ص) أو في (ط-س) بل وردت هكذا في (ن-م) وهو

الأصح.

تعاتبه في تضييع أمر وقع فيه «الصيف ضيعت اللب»^(١) وأنكر بعضهم قول المفسرين: إن هذا كذا مضمراً، وقال: الإضممار إنما يُسْتَعْمَلُ فيمن له قلبٌ وخاطرٌ والله تعالى منزّه عن ذلك، وليس يراد بالإضممار هذا المعنى، وإنما يعني أن بنية الكلام تؤدي معنى ذلك عن غير نطقٍ به، نحو قولهم: أحشفاً وسوء كيلة^(٢) فإن هذا الكلام يقتضي اتّجمع على، وبه مضمون الكلمة، وذلك معلوم للسامع..

١- يقال هذا المثل لمن ضيع مافي يده ثم طلبه بعد فواته، قالوا تزوجت امرأة من العرب رجلاً ذا مال، لكنه كان شيخاً تقدمت به السن، فاختلفا فطلقها، وكان ذلك وقت الشتاء الذي يكثر فيه المرمى، ويدر اللب، وتزوجت المرأة بعد طلاقها شاباً جميلاً، لكنه كان غير ثري، فلما جاء الصيف احتاجت إلى اللب، ولم يكن اللب وجود في ذلك الوقت إلا عند زوجها الأول، فبعثت إليه ترجوه حلوبة منه، فأبى وصاح قائلاً: «في الصيف ضيعت اللب» أي أنك بسوء رأيك وفساد تدبيرك قد فوتت على نفسك هذا اللب الذي كنت ستجدينه في الصيف عند الحاجة إليه، فحقك المنع وأولئك الندامة، وهكذا يقال هذا المثل لمن ضيع مافي يده ثم طلبه بعد فواته، وقد جاء في كتاب الأمثال: ياهذه في الصيف ضيعت اللب: أي رمت ماقد فأت نيلاً من زمن. وقيل: طلق الأسود بن هرمز امرأته العنود الشنيئة رغبة عنها إلى امرأة من قومه ذات جمال ومال، ثم جرى بينهما ما أدى إلى المفارقة فتبعت نفسه العنود فراسلها، فأجابته بقولها:

اتركتني حــــتــــى إذا علقت أبيض كالشطرن
أنشأت تطلب رملــــاً في الصيف ضيعت اللب

وعلى هذه الرواية تكون التاء مفتوحة لأنه خطاب لمذكر.

الأمثال - للميداني - ج: ٢- ص ٥٤.

ورد في كتاب الأمثال للميداني:

أحشفاً وسوء كيلة نري تجمع يا زيدا علينا المنكرا

وقيل أن هذا المثل لعمر بن معدى كرب، ويضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين والكيله فعله من الكيل، وهى تدل على الهيئه والحاله، نحو الجلوسه والركبه والحشف: أردأ التمر، أي: أتجمع حشفاً وسوء كيل.

كتاب الأمثال ج: ١- ص ١٧١، وانظر مقدمة جامع التفاسير ص ٥٩: ص ٦٠، وكتاب: المنتخب من أمثال العرب - عبد السلام العشري.

(فَصْلُ فِي الْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى)

وذلك ثلاثة أضرب : عام مطلق: وهو الجنس، نحو قولنا: "الحيوان أو الحبوب، وخاص مطلق مثل" (١): زيد، وعمرو، وهذا الرجل، وعام من وجه خاص من وجه، نحو كإلنسان (٢)، فإنه بالإضافة إلى الحيوان خاص، وبالإضافة إلى زيد وعمرو عام، والعام: إذا حُمِلَ على الخاص صدق القول، نحو قولنا (٣) "زيد" (٤): إنسان وحيوان، والإنسان حيوان. والخاص: إذا حُمِلَ على العام كذب، نحو الحيوان: إنسان. والإنسان: زيد، إلا إذا قُيدَ لفظاً وتقديراً (٥)، فيقال: هذا الإنسان زيد، أو الإنسان زيد، ويجعل الألف واللام للعهد لا للجنس، أو يراد أن معنى الإنسانية كمال (٦) موجود في زيد (٧). فإذا ثبت ذلك فالمفسر إذا فسر العام بالخاص، فقصده أن يبين تخصيصه (٨)، «بالذكر» ويذكر مثاله، لأنه لم (٩) يرد أنه هو ولا غير، وكثير ممن لم يتدرب بالقوانين البرهانية إذا رأى عاماً مستعملاً في خاصين قَدَّرَ أن ذلك جارٍ مجرى الأسماء المشتركة، فيجعله من بابها، وعلى ذلك رأيت كثيراً (١٠) ممن صنفوا في نظائر القرآن، فقالوا: الإثم: ارتكاب الذنب، والإثم: الكذب، احتجاجاً بقوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأَلِيمًا﴾ (١١)، والإثم عام في المقال والفعال وإنما خُصَّ في هذا الموضع لأن السَّماع ليس إلا في المقال (١٢) على ذلك قال اللحياني (١٣): "الخوف: القتال، بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾ (١٤)، والقتل لقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (١٥)، والعلم، لقوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسَى جَنًّا أَوْ إِلَهًا﴾ (١٦) أي: عَلم، وذلك من ظهور سوء التصور بحيث لا يحتاج إلى تبين (١٧). وأما الخاص: فتفسيره بالعام فجائز إذا قصد تبين جنسه، نحو: "الحرياء دُويبة. والحرياء حيوان" (١٨).

١- ساقط من: (ط - س).

٢- في (ن-م) نحو الإنسان.

٣- ساقطة من (ن-م).

٤- زيادة من (ط - س).

٥- في (ن-م) أو تقديراً.

٦- في (ن-م)، وفي (د-ك) كله وهو الأصح.

٧- في: (ط - س)؛ وإذا.

٨- ساقطة من (ن-م) و (ف-ض)، (أ-ص).

٩- في: (ط-س): لا أنه يريد.

١٠- في: (ط-س): وعلى ذلك كثير.

١١- سورة الواقعة: الآية (٢٥).

١٢- ساقطة من (أ-ص)، (ف-ض)، (د-ك).

١٣- في (ط-س): في الخوف، واللحياني هو علي بن حازم، راجع أخباره في إنباء الرواة - للقفطي - ج: ٢ ص ٢٥٥

١٤- سورة الأحزاب: الآية (١٩).

١٥- سورة النساء: الآية (٨٣).

١٦- سورة البقرة: الآية (١٨٢).

١٧- في: (ط-س) - تبين.

١٨- في (ن-م) الحيوان، وكذلك في (د-ك).

(فَصْلُ فِي تَبْيِينِ الْوُجُوهِ الَّتِي يُجْعَلُ لِأَجْلِهَا الْأَسْمُ فَاعِلًا فِي اللَّفْظِ)

كل فعل من أفعال غير الله تعالى نحو: التجارة^(١)، والكتابة يحتاج في حصوله إلى أشياء إلى فاعل يصدر عنه الفعل كالنجار، وإلى عنصر يعمل فيه كالخشب، وإلى عمل كالنجر، وإلى مكان وزمان يعمل فيهما، وإلى آلة يعمل بها كالمنجر والمنحت، وإلى مثال يعمل عليه ويحتذى نحوه، وإلى غرض يعمل لأجله ما يعمل، ثم الفاعل قد يحتاج إلى من يسدده ويرشده. والغرض قد يكون على نحوين: قريب وبعيد، فالقريب: اتخاذ النجار الباب ليحصل به نفعاً، والبعيد: ليحصن «به»^(٢) البيت، وكل ذلك قد ينسب إليه الفعل^(٣)، فيقال^(٤): أعطاني زيد إذا باشر العطاء، وأعطاني الله لما كان هو الميسر له. وربما جمع بين السبب القريب والبعيد، فيقال: أعطاني الله وزيد. قال الشاعر:

حَبَانًا بِهِ جَدُّنَا وَالْإِلَهُ
وَضَرْبٌ لَنَا جَذْمٌ صَانِبٌ^(٥)

فنسب إلى المسبب الأول، وهو الله تعالى وإلى السبب الأخير، وهو الضرب، وإلى المتوسط وهو الجد. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَلَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَلَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٧)، فأسند الفعل في الأول إلى الأمر به، وفي الثاني إلى المباشرة، وقال الشاعر في صفة درع: «وَالْبَسْنِيهِ الْهَالِكِي»^(٨)، وقال آخر: «كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ»^(٩)، (فنسب في الأول إلى عاملها، وفي الثاني إلى مستعملها)^(١٠)، «وقال»^(١١) في صفة نبال: نِبَالٌ كَسَتْهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ^(١٢)، فنسب كسوتها إلى

١- في: (ط-س)، (ن-م) التجارة، ولكن سياق الكلام يدل على أن المراد بها «التجارة».

٢- زيادة من: (ط-س).

٣- ساقط من: (ط-س).

٤- في: (ط-س) فتقول.

٥- ساقطة من: (ط-س)، وقد أورد البيت في (الذريعة إلى مكارم الشريعة)، وجاء شطره الثاني: وضرب لنا أجذم صارم. ص ٤٢-

تحقيق: الدكتور/ أبو اليزيد العجمي.

٦- سورة الزمر: الآية (٤٢).

٧- سورة السجدة: الآية (١١).

٨- في (ن-م) «والبسنيه إليها لكى» وهو تصحيف وقد قال الراغب في المفردات: «والهالكى كان حداداً من قبيلة هالك، فسمي كل

حداد هالكياً. - مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٤٤ - تحقيق: صفوان داوودي.

٩- لم أجد هذا البيت ولا الذى قبله.

١٠- سقطت من (ط-س).

١١- ساقطة من: (ن-م).

١٢- جاء فى لسان العرب: المضر حى من الصقور: ما طال جناحاه وهو كريم. - مقدمة جامع التفاسير - ص ٦٤.

الطير التي اتخذ منها ريشها. وقيل: "يداك أوكتاوفوك نفخ"^(١)، فنسبه إلى الآلة المتصلة، ويقال: سيفٌ قاطع، فنسب إلى الآلة المنفصلة، وقيل: ضربٌ فيصل، وفاصل، وطعنٌ جانفٌ، فنسب إلى الحدث، وقيل: "سرٌ كاتم"، و"عيشة راضية"، فنسب إلى المفعول، وقال: "حرماً آمناً"، فنسبه إلى المكان، وقيل: "يومٌ صائمٌ"، و"ليلٌ ساهرٌ"، وقال: - وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ^(٢) فنسبه إلى الزمان، فلما كانت أفعالنا على ذلك صح في الفعل الواحد أن ينسب^(٣) لأحد الأسباب مرةً، وينفى عنه بنظرين مختلفين، على ذلك قول الشاعر:

أَعْطَيْتَ مَنْ لَمْ تَعْمَلْ وَلَوْ انْقَضَى حُسْنُ الْإِقَاءِ حَرَمْتَ مَنْ لَمْ تَحْرِمِ^(٤)

فأثبت له الفعل "مرة"^(٥) ونفاه عنه معاً بنظرين مختلفين، ويقال "هذا الخشب قطعته أنت"^(٦) لم يقطعه السكين، بمعنى أنه جعل تأثيره^(٧) لك لا للسكين، ويقال: قطعه السكين لم يقطعه، وبتصور هذا الفصل تزول الشبهة فيما يرى من الأفعال منسوبةً إلى الله تعالى، منفيًا عن العبد، ومنسوبةً إلى العبد تارةً منفيًا عن الله تعالى، نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٩) وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾^(١٠). وبيان ذلك أن الأفعال التي نباشرها^(١١) تعتبر على وجهين: أحدهما^(١٢) بالإضافة إلى مباشره، فيقال: فعل فلان كذا، ولم يفعل كذا، والثاني: الاعتبار بميسره والمقدر له

١- ذكره البكري في: (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال)- ص ٥٨ تحت عنوان: (باب الشماعة بالجاني على نفسه الحين) قال أبو عبيد: ويقال في مثله: (يداك أوكتا وفوك نفخ)، وذكر أصله عن الفضل، وقال صاحب كتاب العين، خلاف ما ذكر، قال: كان من شأن هذا المثل أن شاباً انتهى إلى جوار يستقيين بالقرب، وكان يلاميهن ويأخذ بعض القرب، فينفخ فيه ثم يوكته فاطلع عليه أخ لجارية منهن، فقتله غيرة، فجاء أخو المقتول فوجده قتيلاً، فأخبر بما كان يصنع من ملاحبة الجواري، فقال: (يداك أوكتاوفوك نفخ) وعزى نفسه ورجع، وهكذا يحمل كل امرئ نتائج عمله، وعاقبة ما صنعت يده، انظر: مقدمة جامع التفاسير ص ٦٤، والمنتخب من أمثال العرب ص ٢٨٧.

٢- البيت لجريير وهو في كتاب سيبويه: ج: ١- ص ٨٠، ونصه

لَقَدْ لُمْتَا يَأْمَ غَيْلَانٍ فِي السَّرَى وَبِمَتْ وَمَا لَيْلُ الْمَطَايَا بِنَائِمٍ

وورد في المقتضب ج: ١٠٥/٣، وفي النقاظ- ص ٧٥٣، وفي المحتسب لابن جني- ج: ٢- ص ١٨٤، وأمالى ابن الشجري ج: ١- ص ٣٦، ٣٠١، وفي الإنصاف لابن الأنباري ص ٢٤٣ وفي خزانة الأدب- ج: ١- ص ٢٢٣، وديوان جريير ص ٥٥٣ - مقدمة جامع التفاسير - ص ٦٤.

٣- في: (أ-ص)، (ط-س) أن يثبت. وكذلك في (ن-م) و (د-ك).

٤- لم أجد هذا البيت.

٥- زيادة من (ط-س).

٦- زيادة من: (ط-س) و (د-ك).

٧- في: (أ-ص) (ف-ض) و (د-ك) أن جُلُ، وفي: (ن-م) «أنه جعل» وهي ساقطة من: (ط-س).

٨، ٩- سورة الأنفال: الآية (١٧).

١٠- سورة النساء: الآية (٧٩).

١١- في (ن-م): الفعل الذي تباشره يعتبر.

١٢- ساقطة من (ط-س).

والموفق لسبيله، وأنه لولا سوابق نعمه لما وجد ذلك، بل ما وجد شيء "من" ^(١) أفعالنا وذواتنا، وأنه تعالى السبب الأول الذي يصح ارتفاع ماسواه، ولا يصح ارتفاعه - تعالى علواً كبيراً، فإذا: النظر إلى أفعالنا وإلى من يسرها لنا نظران:

نظر من أفعالنا إلى فعل البارئ، فيتوصل بها إلى معرفته.

ونظر من إنعامه علينا بقوانا وتسهيل سبيلنا إلى إيجاد أفعالنا.

وهذا الثاني لا سبيل إلى تصويره لمن لم يتقو ^(٢) في الأول ولم يجعله ذريعة إلى "الوصول" ^(٣)

إلى هذا، وبهذا السبيل دعا الناس إلى الإيمان فقال: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ ^(٤) ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ

صَالِحًا﴾ ^(٥)، ﴿وَأَن لَّسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ^(٦)، فلما نبههم ^(٧) عرفهم أن ذلك كله بتوقيفه، فقال تعالى:

﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَاكُمْ﴾ ^(٨)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا

فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ ^(٩)، فلما علم تعالى أن قد صار لهم قوة يمكنهم أن ينظر وأمن آلائه ^(١٠) إلى أفعالهم

قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْنُتُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَنَظَهُم﴾ ^(١١) وقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ^(١٢)،

فأضاف أفعالهم إلى نفسه عند تنامي معارفهم بخلاف ما فعل في الأول، فإذا تقررت ^(١٣) هذه الجملة

علم أنه لا فاعل في الحقيقة منفرداً غير الله تعالى، إذ كل فاعل يحتاج إلى معاون على ما تقدم البيان

فيها، والله تعالى: كل أفعاله ^(١٤) إبداع لا في مادة، ولا من شيء ولا على مثال ولا في زمان ولا في

مكان، ولا بآلة ولا بمرشد ومعين، فهو الفاعل الحقيقي، وما سواه فاعل على ضرب من التوسع...

وبهذا النظر ورد الشرع وأجمع الصدر الأول من المؤمنين "على" ^(١٥) أن الأفعال كلها بمشيئة الله

وإرادته، ومن جهته. وأطلقوا على "الله" لفظ "الشيء" كما يطلق على غيره بنظرين مختلفين: فإن بعض

الناس قد ذكر أن "الشيء" في الأصل مصدر "شاء"، فإذا استعمل فيه تعالى فبمعنى "الشائي"، وإذا

استعمل في غيره فبمعنى "المُشَاء" ^(١٦)، وذلك في اللغة مستمر، لأن المصدر يُطلق على الفاعل والمفعول

جميعاً، قال: وتصور هذه الحقيقة من لفظة "الشيء" مما ينبهنا أن هذه اللفظة من جهة الله تعالى:

١- في (ط-س) في

٢- في (ن-م)، (د-ك) لمن لم يوفق،

٣- في (ط-س) أو للوصول،

٤- سورة الحديد: الآية (٧)،

٥- سورة الكهف: الآية (٨٨) وتامها "فله جزاء الحسن"،

٦- سورة النجم: الآية (٣٩)،

٧- في (أ-ص) نبأهم، وكذلك في (ن-م)،

٨- سورة الحجرات: الآية (١٧)،

٩- سورة النور: الآية (٤٠)،

١٠- في (ط-س) الآية، وهو تصحيف،

١١- سورة الأنفال: الآية (١٧)،

١٢- في (ط-س) تفردت، وهو تصحيف،

١٣- في: (ط-س) فافعله،

١٤- ساقطة من: (ط-س)، (د-ك)،

١٥- في: (ف-ض)، وفي (أ-ص) المشئ، وفي (ط-س) المشئ، وكذلك في (د-ك)،

(فَصْلٌ فِي بَيَانِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَجِيءُ مُتَنَافِيَةً فِي الظَّاهِرِ)^(١)

كثيراً ما تجيئ الألفاظ^(٢) في الظاهر كالمتنافي عند من لم يتدرب بالبراهين العقلية والعلوم الحقيقية، وربما يغالط الملحد بالفاظ من القرآن^(٣) في نحو ذلك العجزة فيشككهم مثل أن يقول: قد ثبت من بداية^(٤) العقول أن النفي والإثبات في الخبر الواحد إذا اجتمعا لا بد من صدق أحدهما وكذب الآخر، نحو أن يقال: زيدٌ خارجٌ، زيدٌ ليس بخارج. وقد رأينا في القرآن أخباراً متنافيةً، فلا بد من أن يكون أحدهما صدقاً، والآخر كذباً، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٥)، مع قوله: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٦) وقوله إخباراً عن الكفار أنهم يقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٧) مع قوله تعالى ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾^(٩) مع قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١٠)، وقوله تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمَةً وَرُكْمًا وَصُمًّا﴾^(١١) مع قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾^(١٢)، وقوله تعالى: ﴿دَعُوا هَٰئِلِكَ ثُبُورًا﴾^(١٣)، وقوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾^(١٤) وقوله تعالى: ﴿قُورَيْكَ لَتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٥) مع قوله تعالى: ﴿قِيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^(١٦) وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(١٧) مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(١٨).

١ - ساقط من: (ط-س).

٢ - في: (ط-س) - ألفاظ.

٣ - في (ط-س) بالفاظ القرآن.

٤ - في: (ط-س) في بداية.

٥ - سورة الصافات: الآية (٢٧) ، سورة الطور: الآية (٢٥).

٦ - سورة المؤمنون: الآية: (١٠١).

٧ - سورة الانعام: الآية (٢٣).

٨ - سورة النساء: الآية (٤٢).

٩ - سورة المرسلات: الآية (٣٥).

١٠ - سورة الصافات: الآية (٢٧) ، سورة الطور: الآية (٢٥).

١١ - سورة الإسراء: الآية (٩٧).

١٢ - سورة الكهف: الآية (٥٣).

١٣ - ساقطة من (ط-س).

١٤ - سورة الفرقان: الآية (١٣).

١٥ - سورة الفرقان : الآية (١٢).

١٦ - سورة الحجر : الأيتان (٩٢) ، (٩٣).

١٧ - سورة الرحمن : الآية (٣٩) ،

١٨ - سورة مريم : الآية (٧١).

١٩ - سورة الأنبياء : الآية (١٠١).

وقبل الجواب عن ذلك يجب أن نقدم^(١) مقدمة تزول الشبهة بها عن ذلك وعن أمثاله^(٢)، ويكتفى بتصورها عن آحاد هذه "الأسئلة"^(٣) ونظائرها، وهو أن الخبرين اللذين أحدهما نفياً والآخر إثباتاً إنما يتناقضان إذا استويا في الخبر والمخبر عنه، وفي المتعلق بهما، وفي الزمان والمكان، وفي الحقيقة والمجاز. فأمّا^(٤) إذا اختلفا في واحد من ذلك فليس بمتناقضين نحو أن يُقال زيد مالك، زيد ليس بمالك، وتريد بأحد الزيدين غير الآخر، أو تريد بأحد المالكين المبني "من"^(٥) الملك، وبالأخر المبني من الملك الذي هو الشد^(٦)، أو تريد بأحدهما: المالك في الحال، وبالأخر^(٧) أنه ممن يصح ملكه كالعبد، أو تعني بأحدهما بأصبهان وبالأخر ببغداد، أو تعني بأحدهما في زمان، وبالأخر في زمان^(٨) آخر غير الزمان الأول، فكل هذا لا تناقض فيه^(٩)، فإن المراد بأحد الخبرين غير المراد بالأخر، وعلى ذلك كل ما يوصف بوصفين متضادين على نظرين مختلفين، نحو من يقول: في "الرحى" و"البكرة الدائرة على مركزها": إنها سائرة أو منتقلة لاعتبار بعض أجزائها ببعض، ويقول آخر: إنها غير سائرة أو غير منتقلة اعتباراً بجملة أجزائها^(١٠)، وأنها لا تتبدل^(١١) عن المركز، فإن ذلك لاتضاد بينهما، وكذلك إذا قيل: فلان لين العود- ويراد به في السخاء- وقول آخر^(١٢): ليس بليّن العود- ويراد به في الشجاعة، وعلى ذلك ما يختلف به الحال في الإضافة إلى حالين أو إلى نفسين، نحو أن يقال: المال صالح- اعتباراً بحال ما أو بذات ما، ويقول الآخر: إن المال ليس بصالح- إعتباراً بحال أخرى أو بذات أخرى، وعلى ذلك الحكم في كل ماله مبدأً وغايةً، مثل "الإيمان، والشرك، والتوكل"، وذلك أن "الإيمان" لما كان مبدؤه إظهار الشهادتين كما قال عليه الصلاة والسلام في الجارية التي أشارت إلى السماء: "إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ"^(١٣)، وكان

١- في (ط-س): يقدم.

٢- في : (أ-ص) : أمثاله.

٣- في : (ف-ض)، وفي (أ-ص)، وفي (ط-س): الأسئلة. وهو خطأ من الناسخ.

٤- في (أ-ص): أما.

٥- ناقصة من (ط-س).

٦- في (ط-س) السد، وهو خطأ من الناسخ، وقد قال الراغب في المفردات: "... وملك العجين شددت عجنه، وحائط ليس له ملك، أي تماسك".

٧- في : (ط-س) والآخر.

٨- ساقطة من : (ط-س).

٩- في : (ط-س) بينهما.

١٠- في (ط-س) لجملة ، وفي (د-ك) بجملة.

١١- في (ن-م) لا تبدل ، وكذلك في : (د-ك).

١٢- في (ن-م) قول مع قول آخر ، وكذلك في : (د-ك).

١٣- الحديث أخرجه أبو داود في (الإيمان والنذور) باب (الرقبة المؤمنة) ورقمه ٣٢٨٤، ونصه: (عن أبي هريرة رضي الله قال: إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم - بجارية سوداء، فقال: يارسول الله: إن على رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله، أين الله؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها. فقال لها: فمن أنا؟ فأشارت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- وإلى السماء تعني: أنت رسول الله. قال: اعتقها فإنها مؤمنة. ورد في جامع الأصول: ج: ١- ص ٢٣١).

غايته ما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١) الآية صح أن يقال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)^(٢)، وأن يقال «يزني الزاني وهو مؤمن» وعلى ذلك كل ما هو مركب من شيئين، أو كان له مبدأ وغاية كما تقدم صدق فيه أربعة أخبار بأربع نظرات، نحو أن يقال: السكنجبين حلوا، السكنجبين حامض، "السكنجبين حلوا حامض"^(٣)، السكنجبين لا حلوا ولا حامض، ومتى تصورت هذه المقدمة سهل الجواب عن هذه الآيات إذ كل ذلك راجع إلى أحد الأسباب المذكورات^(٤) من المخالفات.

(فصل في بيان انطواء كلام الله تعالى على الحكم كلها علميها وعمليها)

كتاب الله تعالى منطوق على كل ذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٥)، وقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٨)، لكن ليس يظهر ذلك إلا للراسخين في العلم، ولكونه منطوقاً على الحكم كلها قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٩)، أنه عني به تفسير القرآن ثم منازل العلماء تتفاوت في تفهمه ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(١٠)، وأعظم ما يقصر تفهم الأكثرين عن إدراك حقائقه شيان: أحدهما: راجع إلى اللفظ، والآخر راجع إلى المعنى فالراجع إلى اللفظ شيان: أحدهما: ما اختص به اللغة العربية من الإيجاز، والحذف، والاستعارات والإشارات اللطيفة، واللمحات الغامضة مما ليس في سوى هذه اللغة، والآخر: ما يوجد

١ - سورة الأنفال : الآية (٢).

٢ - الحديث أخرجه ابن ماجه فى كتاب الفتن تحت رقم ٣٩٣٦- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن» والحديث روايات عند البخاري: ٨٦/٥ فى المظالم، وعند مسلم رقم ٥٧ فى الإيمان، وعند أبي داود رقم ٤٦٨٩، وعند الترمذي رقم ٢٦٢٧ فى الإيمان، وعند النسائي: ٦٤/٨ فى السارق.

٣ - ساقط من : (ط-س).

٤ - فى : (ط-س) المذكورة.

٥- سورة يس : الآية (١٢) والظاهر أن الإمام المبين لا يراد به- هنا: القرآن، كما يفهم من كلام الراغب، وسياق الآية فى سورة «يس»: (إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين)، فالإمام المبين: إما هو صحائف الأعمال، وإما اللوح المحفوظ، كما ذهب إليه الراغب نفسه فى مفرداته، حيث قال: وقوله تعالى: (وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين): فقد قيل: إشارة إلى اللوح المحفوظ.

٦- سورة يوسف : الآية (١١١).

٧- سورة الأنعام : الآية (٣٨).

٨- سورة النحل : الآية (٨٩).

٩- سورة البقرة : الآية (٢٦٩).

١٠- سورة النساء : الآية (٨٣).

فى القرآن خاصة من الإيجازات والحذف مما ليس فى غيره من الكلام، ولما فيه من اللفظ "اليسير"^(١) المنطوي على المعنى الكثير، قال عليه الصلاة والسلام: «أوتيتُ جوامعَ الكلام»^(٢)، فمن مثال الإيجاز: قوله تعالى فى وصف ارتفاع الأسباب المكروهة عن أوليائه ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) فنفى بذلك كل تنغيص^(٤) إذا كان جميعه فى حصول مكروه وفوت محبوب، وقد نفاهما بذلك، وقال فى فاكهة أهل الجنة ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(٥)، فنفى بذلك جميع الآفات العارضة لمطاعم الدنيا، وقال فى صفة خمرهم: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(٦)، فنفى بذلك كل مكروه يعرض فيها، وأخبر بكل ما كان من أمر فرعون وآله بالفاظ يسيرة، وذلك فى قوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُدُّوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاعْبِهِنَّ﴾^(٧).

فذكر فيه ما قيل إنه ينطوي عليه "من"^(٨) أوراق وجلود من السفر، ومن عجيب ما فيه أن كل ما علم (بالسامع استغناء عنه)^(٩) من الألفاظ ترك ذكره وتخطى إلى ما بعده نحو قوله تعالى: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾^(١٠)، فترك ما كان من موسى، ثم ترك ما كان منه ومن أصحابه فى دخولهم البحر، وتخطى^(١١) إلى ذكر ما صنع بهم، وأما الرجوع إلى المعنى: فذكره تعالى - أصولاً منطوية على فروع بعضها بينه النبى عليه السلام، وبعضها فوض استنباطه إلى الراسخين فى العلم تشريفاً لهم وتعظيماً لمحلهم، لكى يقرب^(١٢) منزلة علماء هذه الأمة "من"^(١٣) منزلة الأنبياء فى استنباطهم بعض الأحكام، واختصاص هذه الأمة بهذه المنزلة الشريفة قال عليه الصلاة والسلام: «كادت أمتى تكون أنبياء»^(١٤)، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١٥) - الآية - وقال: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١٦) فجعلهم فى ذلك بمنزلة الأنبياء...

١ - سقطت من : (ط-س).

٢ - هذه رواية مسلم: شرح النووي: ج: ٦/٥ كما ذكر روايات أخرى بلفظ "أعطيت" و"بعثت": ج: ٥/٥، وكذلك رواه البخاري ج: ٦/ص ٩٠ فى الجهاد، وفى التعبير، والترظي فى السير برقم ١٥٥٣، والنسائي فى الجهاد-ج: ٦-ص ٣، ٤.

٣ - سورة يونس: الآية (٦٢).

٤ - فى (ن-م) تنقيص، وهى كذلك فى (د-ك).

٥ - سورة الواقعة: الآية (٢٣).

٦ - سورة الصافات: الآية (٤٧).

٧ - سورة الدخان: الآيات: (٢٥، ٢٦، ٢٧).

٨ - ناقصة من: (ط-س)، ومن (د-ك)،

٩ - فى (ن-م)، (د-ك) السامع واستغنى عنه

١٠ - سورة الشعراء الآية: (٦٣).

١١ - فى (ط-س) يخطئ.

١٢ - فى (ن-م) تقرب.

١٣ - ناقصة من (ط-س).

١٤ - هذه الجملة جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد فى مسنده -ج: ١-ص ٢٩٦، وقد جاء قبلها: «... فإذا أراد الله عز وجل أن يصدع بين خلقه نادى مناد: أين أحمد وأمته؟ فنحن الآخرون الأولون، فنحن آخر الأمم وأول من يحاسب فتفرج لنا الأمم عن طريقنا، فنمضي غراً محجلين من أثر الطهور. وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها».

١٥ - سورة البقرة: الآية (١٤٣).

١٦ - سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(فَصِّلْ فِي أَنْطَوَاءِ الْقُرْآنِ عَلَى الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ)

ما من برهان ولا دلالة^(١) وتقسيم وتحديد "ينبئ" عن "كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أوردته تعالى على عادة العرب. دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين-لأمرين: أحدهما: بسبب ما قاله^(٢): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٣) الآية، والثاني: إن المائل إلى دقيق الحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجلي^(٤) من الكلام. فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح. الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط^(٥) إلى الأغمض الذي لا يعرفه "إلا"^(٦) الأقلون ما لم يكن ملغزاً. فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليها^(٧) ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم^(٨) الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الحكماء، وعلى هذا النحو قال "عليه الصلاة والسلام"^(٩): «إِنْ لِكُلِّ آيَةٍ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ»^(١٠) ولكل حرفٍ حداً ومطلعاً لا على ما ذهب إليه الباطنية. ومن هذا الوجه كله مَنْ كان حظه في العلوم أوفر، كان نصيبه من علم القرآن أكثر، ولذلك، إذا ذكر "تعالى"^(١١) حجة على ربوبيته ووحدانيته أتبعها مرةً بإضافتها^(١٢) إلى أولى العقل، ومرةً إلى أولى العلم، ومرةً إلى السامعين، ومرةً إلى المفكرين، ومرةً إلى المتذكرين- تنبيهاً "على"^(١٣) أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١٤)، وغيرها من الآيات...

١- في: (ط-س): ودلالة.

٢- في: (أ-ص): مبني على ، وكذلك في (ن-م).

٣- في: (ط-س) ما قال.

٤- سورة إبراهيم : الآية (٤).

٥- في: (ط-س) بالجليل.

٦- في: (ط-س) : تنحط.

٧- ساقط من: (ط-س).

٨- في: (ط-س) جليها.

٩- في: (ن-م) ويفهم، وكذلك في: (د-ك).

١٠- ساقط من: (ط-س).

١١- أخرجه الفريابي من رواية الحسن مرسلاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع). وأخرج الديلمي من رواية عبد الرحمن بن عون مرفوعاً: "القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يُحاج العباد).. الإتيان- للسيوطي - ج: ٤-ص ١٩٦.

١٢- ساقط من: (ط-س).

١٣- في: (ط-س) بإضافته، وكذلك في (د-ك).

١٤- ساقط من: (ط-س).

١٥- سورة الرعد : الآية (٤) ، وسورة النحل : الآيتان (١١ ، ١٢).

(فَصْلُ فِي الْأَحْكَامِ الَّتِي عَلَيْهَا سَدَارُ الْأَدْيَانِ وَمَا يَجُوزُ فِيهِ النَّسْخُ وَمَا لَا يَجُوزُ فِيهِ مِنْ الْأَحْكَامِ) ^(١)

الأحكام التي تشتمل عليها الشرائع ستة: الاعتقادات، والعبادات، والمشتبهات والمعاملات، والزاجرات ^(٢)، والآداب الخلقية.. فالاعتقادات خمسة: إثبات وجود الباري -جل ثناؤه- بصفاته، وإثبات الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين خلقه، والكتاب، والرسول، والمعاد، وقد انطوى على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ^(٣) الآية، وأما العبادات فثمانية: الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف والقرايين والكفارات.

والمشتبهات ^(٤) أربع: المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمعاملات أربع: المعاوضات كالبيع والإجارة وما يجري مجراها، المخاصمات - كالدعوى والبيئات والأمانات كالودائع والعواري، - والتركات - كالوصايا والمواريث، والمزاجر خمس: مزجرة عن فوات الأرواح حفظاً للنفوس - كالقصاص والدية، ومزجرة لحفظ الأعراض - كحد القذف والفسق ^(٥).

ومزجرة لحفظ الأنساب - كالجلد والرجم -، ومزجرة لحفظ الأموال - كالقطع والصلب - ومزجرة لحماية البيضة - كالقتل للمرتد ^(٦)، وقتال البغاة، وأما الآداب الخلقية فثلاثة: ما يختص به الإنسان في نفسه وإصلاح أخلاقه كالعلم، والطم، والسخاء، والعفة، والشجاعة، والوفاء، والتواضع. وما يختص به في معاشرته ونبيه ومختصيه: كبر الوالدين، وصلة الأرحام، وحفظ الجار، ورعاية الحقوق، ومواساة أهل الفقر، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف. وما يختص به أولو الأمر من سياسة الرعية. والفرق بين الشرعيات والآداب الخلقية: أن الشرعيات: محدودة الكميات والكيفيات، ولتارك عامتها عقوبة محدودة. وأما الآداب الخلقية: فغير محدودة الكميات والكيفيات، وليس لتاركها عقوبة، بل هي موكولة إلى ذوى الأنفس الزكية، ﴿وَمَا يَعْزِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ ^(٧)، وعلى جمهور ذلك دل قوله تعالى:

١ - ساقط من: (ط-س).

٢ - في: (ط-س) والمزاجر.

٣ - سورة النساء: الآية (١٣٦).

٤ - في: (د-ك) والمشتبهات.

٥ - في: (ط-س) والتفسيق.

٦ - في: (ط-س) للردة.

٧ - استشهاد بالآية القرآنية: ٤٣ من سورة العنكبوت (وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَنْفَرَنَّ مِنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنْ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ لَكُمْ رِزْقُهُمْ وَإِلَّا تَكُنْ لَكُمْ خِطَابًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَتِيمِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْلِقَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا﴾^(١)

وأشرف هذه الأنواع الستة^(٢): الاعتقادات، لأنه في حيز^(٣) العلم، والباقيات في حيز العمل، والعلم: هو المبدأ. والعمل تمامه، ولا يكون تمام بلا مبدأ. وقد يكون مبدأ بلا تمام، ولأن العلم أصل، والعمل فرع، وإثبات الفرع إلا بالأصل كما لا "كمال"^(٤) للأصل إلا بالفرع، ومتفق عند كل أحد أن الاعتقاد مقدم على العمل، حتى إنهم يتباينون بما ينفع من الاختلاف في الاعتقادات دون الأعمال. "وتصير"^(٥) بفساد الاعتقاد المحاسن كلها مقايح، ثم يتبعه أمر العبادة، فإن المخل بالصلاة والصيام والاعتقاد عند المسلمين أعظم من مرتكب الظلم، وكذا ترك السبت عند اليهود وترك العبادة عند النصارى، وترك الزمزمة عند المجوس أعظم عن ظلم العباد، فإن العبادة هي المحافظة على حق الله، والورع عن ظلم الناس بالمحافظة على أحكامه، والعابد أعلى من الورع.

١- سورة الإسراء: الآيات (من ٢٣ إلى ٣٩).

٢- في: (ط-س) الخمسة وعلى هامشها الستة، وهو المطابق لما سبق أن ذكره، وفي (ن-م) الخمسة.

٣- في (د-ك) في خير، وهو تصحيح.

٤- في: (ط-س): زكاً.

٥- في: (ط-س): ويصير.

وبعد ذلك يجب أن نبين ما يجوز في النسخ وما لا يجوز، وقد علم أن النسخ لا يصح إلا في التعبد الذي هو الأمر والنهي بون الإخبار كما يصح ذلك في الاعتقادات المذكورة إذ كان ذلك أشياء أمرنا أن نعرفها على ما هي بها^(١)، فنعتقد بها بحسب ما هي عليه، وذلك لا يتغير، وما كان من الآداب الخلقية، فإنما هي ما هي عقليات ظاهرة لا يأتي شرع بخلاف مقتضاها. وأما العبادات، والمعاملات، والمزاج فلا يصح^(٢) في أصولها النسخ، وإنما يصح في فروعها، وذاك أنه محال أن تنفك شريعة من الشرائع عن عبادة الله تعالى واقعة في حيز البدن، وهي مثل الصلاة، وعبادة في حيز المال، وهي كالزكاة، وعبادة في إمساك الشهوة كالصوم. وأن تنفك عن معاملات تحثهم على العدالة وتمنعهم عن التهارج، وعن مزاج تزجرهم عن استباحة نفوس الغير وأعراضهم وأموالهم وأنسابهم، وأما هيئاتها وإشكالاتها وأمكناتها وأزمنتها وأعدادها، فهي فروعها التي لم تزل تُعرض للنسخ^(٣) على حسب ما عرفه الله تعالى من مصلحة كل قوم، ومما يدل^(٤) على أنه لا نسخ في عامة أصول هذه الأشياء ماورد من النصوص على ذلك في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(٦) الآية، وقال حكاية عن عيسى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٧).

وقال في الزكاة: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُفْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(٨)، وقال في القبلة^(٩): ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾^(١٠)، وقال في الصوم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١١)، وقال

١- في: (د-ك) به، وكذلك في (ن-م).

٢- في: (ط-س): ينفك. وفي (ن-م) فما لا يصح، وكذلك في (د-ك).

٣- في (ن-م) بعرض النسخ وهو كذلك في (د-ك) ولعل الصواب تعرض للنسخ.

٤- في (ن-م) مما يدل.

٥- سورة الشورى: الآية (١٣).

٦- سورة البينة: الآية (٥).

٧- سورة مريم: الآية (٣١).

٨- سورة فصلت: الأيتان: (٦)، (٧).

٩- يذكر المؤلف ما قيل في القبلة، ولعل في الكلام سقطاً والمناسب أن يقال: وقال في القبلة: (وما بعضهم يتابع قبلة بعض) - الآية

(١٤٥) - سورة البقرة.

١٠ - سورة الحج: الآية (٣٤).

١١ - سورة البقرة: الآية (١٨٣).

فى الاعتكاف: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِفِينَ﴾^(١)، وقال فى القرايين: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾^(٢)، وحكى عن اليهود ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾^(٣)، وفى الجهاد: ﴿وَكَايِنَ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ﴾^(٤)، وقال فى القصاص: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾^(٥)، وقال فى المطاعم والمشارب: ﴿كُلْ الطَّعَامَ كَانَ حِلاَءَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾^(٦)، وقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾^(٧)، وقال فى المزاجر: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(٨)، وقال فى أخرى: ﴿لَهْدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِعَ﴾^(٩)، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾^(١٠)، وذكر فى الآداب وصايا لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُصَغِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾^(١١)، إلى غير ذلك من الآيات، وأكد من ذلك كله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(١٢) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(١٣)، وقال فى الفروع^(١٤): ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١٥)، فإن قيل: إن المزاجر ليست فى كل شريعة، ألا ترى أنه قيل: لم تكن^(١٦) فى النصرانية، لما روى عن عيسى عليه السلام: "إذا لطم أحدكم على أحد جانبيه فليعرض عليه الجانب الآخر" وقال: "أدع الناس إلى الدين بالمقال دون القتال"، قيل: إن المزاجر كما تكون^(١٧) بالقتال قد تكون^(١٨) بالمقال، فلا بد أن يكون لهم مزاجر، ثم إن مزاجرهم قد وردت^(١٩) بها التوراة، فاستغنى بها عيسى عليه السلام عن تبیینها وما ذكر من تمكين الجانب الآخر من اللطم، فحثُّ منه على العفو واحتمال المكروه.

-
- ١- سورة البقرة: الآية (١٢٥).
 - ٢- سورة المائدة: الآية (٢٧).
 - ٣- سورة آل عمران: الآية (١٨٣).
 - ٤- سورة آل عمران: الآية (١٤٦).
 - ٥- سورة المائدة: الآية (٤٥).
 - ٦- سورة آل عمران: الآية (٩٣).
 - ٧- سورة النساء: الآية (١٦٠).
 - ٨- سورة البقرة: الآية (٢٥١).
 - ٩- سورة الحج: الآية (٤٠).
 - ١٠- سورة الإسراء: الآية (٣٢).
 - ١١- سورة لقمان: من الآية (١٣) إلى الآية (١٨).
 - ١٢- سورة الأعلى: الآيتان (١٤)، (١٥).
 - ١٣- سورة الأعلى: الآيتان (١٨)، (١٩).
 - ١٤- فى (ن-م) الردع وهى كذلك فى (د-ك). وهو تحريف.
 - ١٥- سورة المائدة: الآية (٤٨).
 - ١٦- فى (ط-س): يكن، وكذلك فى (د-ك).
 - ١٧- فى (ط-س) يكون.
 - ١٨- فى: (ط-س) يكون.
 - ١٩- فى: (أ-ص) و (ط-س) ورد به.

(فَصْلٌ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي التَّفْسِيرِ مِنَ الْفُرْقِ بَيْنَ النُّسخِ وَالتَّخْصِصِ)

النسخ^(١) والمسوخ يتقاربان، كذا قال الخليل، إلا أن "المسخ" في نقل الأعيان، والنسخ في نقل الصور، نحو نسخ الكتاب، وهو نقل صورة الكتابة إلى غيره من غير إبطال لرسمه^(٢) الأول، ونسخ الظل الشمس إذا أزالها. وحقيقة النسخ : إزالة مثل الحكم الثابت بالشرع بشرع آخر مع التراخي... والفرق بينه وبين التخصيص أن التخصيص قد يكون في الخبر، والنسخ لا يكون فيه، والتخصيص إخراج مالم يرد بالخطاب من الأعيان والمعاني والأمكنة، والنسخ إخراج مالم يرد به من الحكم في بعض الأزمنة، والتخصيص في الأكثر مقرون بالمخصوص لفظاً أو تقديراً، والنسخ لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ، ومتى اقترن به سمي تخصيصاً، «وكان النسخ في الحقيقة ضرباً»^(٣) من التخصيص، إلا أنهما في المتعارف^(٤) مختلفان..

وقد تصور عدة ممن صنفوا في النسخ بعض ما هو بيان للمجمل أو تخصيص للعام^(٥) بصورة لناسخ، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٦). وقال بعضهم: نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٧)، وهذا بيان مالم ليس بظلم من أكل مالم، ونحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾^(٨) قال: فلم تحرم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ﴾^(٩) - الآية - وهذا أيضاً بيان الأول،^(١٠) وذلك أن ما كان حضرته أكثر من منفعته^(١١).

١ - قال الراغب في مفرداته: النسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه كنسخ الشمس الظل والظل الشمس والشيب الشباب، فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران ونسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه.. قال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قيل: معناه: ما تُزيل العمل بها أو نَحذفها عن قلوب العباد، وقيل: معناه: ما توجد وتُنزل من قولهم نسخت الكتاب وما ننسأه أي نُؤخره فلم ننزله فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ونسخ الكتاب نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى، بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى كإتخاذ نقش الخاتم في شموع كثيرة... الخ - المفردات - ص ٨٠٩ .

٢ - في: (أ-ص): لرسم، وفي (ط-س): الرسم.

٣ - في (د-ك) ، وفي (ن-م) - (وكان النسخ في الحقيقة ضرباً من التخصيص).

٤ - في: (ط-س) التعارف.

٥ - في: (ف-ض)، (ط-س)، (أ-ص) - لعام-

٦ - سورة النساء : الآية (١٠) .

٧ - سورة النساء : الآية (٦).

٨ - سورة البقرة : الآية (٢١٩).

٩ - سورة المائدة : الآية (٩٠).

١٠ - في: (أ-ص) للأول وكذلك في (ن-م) ، و(د-ك).

١١ - في: (د-ك) ، (ن-م) نفعه.

فالعقل بالجملة يقتضي تجنبه، ولكن لما كان "ذاك"^(١) غير صريح أكده بالآية الأخرى، ومن التخصيص الذى يُعد نسخاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾^(٢) مع قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(٣)، وعلى هذا ما حكى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤) شق ذلك على بعض أولي الضرر، فنزل قوله تعالى: (غير أولي الضرر) مقروناً بقوله تعالى: (القاعدون من المؤمنين)، وهذا القدر يدل على كثير مما ذكره من أمثال ذلك^(٥).

(فَصَلْ فِي أَنَّهُ هَلْ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا تَعْلَمُ الْآمَةُ تَأْوِيلَهُ)^(٦)

اختلفوا فى ذلك، فذهب عامة المتكلمين إلى أن كل القرآن يجب أن يكون معلوماً^(٧)، وإلا أدى إلى بطلان فائدة الانتفاع به وأن لا معنى لإنزاله، وحملوا قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على أنه عطف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٨) وجعلوا قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ فى موضع الحال^(٩) كما قال:

الرِّيحُ يَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي غَمَامِهِ^(١٠)

١- فى : (أ-ص)، وسقطت من : (ط-س).

٢- سورة البقرة : الآية (٢٢١).

٣- سورة المائدة : الآية (٥).

٤- سورة النساء : الآية (٩٥).

٥- ساقطة من : (ط-س).

٦- سقط هذا الفصل بأكمله من (ط-س) وجزء من الفصل الذى يليه.

٧- وهو قول مجاهد والضحاك، وأحدى الروایتين عن ابن عباس، واختاره النووي، وقال فى شرح مسلم: "إنه الأصح، لأنه يبعد أن يخاطب به عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته". وقال ابن الحاجب: إنه الظاهره مقدمة جامع التفاسير ص ٨٦ - تحقيق: الدكتور / أحمد فرحات ..

٨ - سورة آل عمران: الآية (٧).

٩- وقد استبعد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي الحالية هنا وقال : "المعروف فى اللغة العربية أن الحال قيد لعاملها ووصف لصاحبها، فيشكل هنا تقييد هذا العامل الذى هو "يعلم" بهذه الحال التى هى "يقولون آمنا"، إذ لا وجه لتقييد علم الراسخين بتأويله بقولهم: "آمنا به"، لأن مفهومه أنهم فى حال عدم قولهم "آمنا به" لا يعلمون تأويله وهو باطل، وهذا الإشكال قوي، وفيه الدلالة على منع الحالية فى جملة "يقولون" - على القول بالعطف - مقدمة جامع التفاسير - ص ٨٦.

١٠- البيت ليزيد بن مفرغ الحميري من قصيدة قالها يهجو فيها عباد بن زياد ومطلعها:-

أصبرمت حبلك من أمانه من بعد أيام يرامه
فالريح تبكي شجوها والبرق يلمع فى الغمامه
لهفى على الأمر الذى كانت عواقبه ندامه

انظر ديوانه- ص ١٤٢- تحقيق : الدكتور داود سلوم. والبيت فى أمالي المرتضى - ج: ١- ص ٣٩، ج: ٢- ص ٩٦ والأضداد لابن الأنباري- ص ٣٧٢- وتأويل مشكل القرآن- ص ٧٤ بتحقيق الأستاذ/ السيد أحمد صقر، خزائن الأدب - ج : ٤ - ص ٢٢٩ - الشعر والشعراء - ص ٢٢٧ ، وطبقات فحول الشعراء - ج : ٢- ص ٨٩، والصاحبي - ص ٣٩٧ ، وهو شاعر إسلامي ، وهذه الأبيات من أجود شعره ، وقالها فى بيع غلام له كان قد رباها يقال له (بُرد)، وكان يعدل عنده ولده .

أى البرق يبكي لامعاً، وقوى ذلك بقراءة ابن مسعود فيما قيل: (ويقولون آمنا به) بالواو، وعامة أعيان الصحابة^(١) وكثير من المفسرين بعدهم، ذهبوا إلى أنه يصح أن يكون فى القرآن بعض ما لا يعلم تأويله إلا الله. قال ابن عباس: «أنزل^(٢) القرآن على أربعة أوجه: وجه حلال وحرام لا يسع أحداً جهالته. ووجه يعرفه العرب، ووجه تأويله يعلمه العالمون، ووجه لا يعلم تأويله إلا الله، ومن انتحل فيه علماً فقد كذب»^(٣). وحمل الآية على أحد وجوه ثلاثة:

- أحدهما: أنه جعل التأويل بمعنى ما تؤول إليه حقائق الأشياء من كيفياتها وأزماتها وكثير من

أحوالها..

وقد علمنا أن كثيراً من العبادات والأخبار الاعتقادية كالقيامة والبعث ودابة الأرض لا سبيل لنا إلى الوقوف على حقائقها وأزمانها، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾^(٤) الآية.. والثاني: أن من ألفاظه ما أمرنا بأن نتلوها تلاوةً، وبها نتعبد دون معرفة تأويلها، كما تعبدنا بحركات تحصل فى كثير من العبادات فى الصلاة والحج، وعلى ذلك حمل قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾^(٥) أى أنهم أمروا بالتفوه بهذه اللفظة، والثالث: أن كثيراً من الآيات مما اختلف المفسرون فيه، ففسروه على أوجه كثيرة تحتملها الآية، ولا يقطع على واحد من الأقوال، فإن مراد الله تعالى منها غير معلوم لنا مفصلاً، بحيث يقطع به. والذين ذهبوا المذهب الثاني قالوا: قد علم أن الآية نزلت إنكاراً على قوم طمعوا فى الهجوم على ما لا سبيل لهم إليه، فأراد تعالى حسم أسباب الخوض، ومضى كان فيه تشارك لم ينقطع الشغب إذ كل يدعى معرفته، فإن قيل: إن هذا لأقوام معينين، فرجع القول إلى ما يقوله الإمامية أن آيات من القرآن لا يعرف تأويلها إلا الإمام، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٦).

١- منهم: عمر وابن عباس- فى أقوى الروايتين- وعائشة وعروة وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز وابن مسعود، وأبي بن كعب، ونقله عنهم القرطبي وغيره. ونقله ابن جرير عن يونس عن أشهب وعن مالك بن أنس، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد، وقرأ أبي وابن عباس وطائفة: (ويقول الراسخون فى العلم) - معجم القراءات القرآنية - ج: ٢ - ص ٧.

٢- ساقطه من: «د-ك»، و«ط-س».

٣- وقال فى الإتيان:

وقد أخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس، قال:

التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب، من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى. ثم رواه مرفوعاً بسند ضعيف بلفظ: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى. ومن ادعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذب». الإتيان فى علوم القرآن - ج: ٤، ص ١٨٨.

٤ - سورة الاعراف: الآية (٥٣).

٥ - سورة البقرة: الآية (٥٨).

٦ - سورة النساء: الآية (١٦٢).

(فَصْلٌ فِي بَيَانِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَعْلِهِ بَعْضَ الْآيَاتِ مُتَشَابِهًا)

سُئِلَ بعضُ العابدين، فقيل له: ما بال القرآن جُعِلَ بعضه محكماً وبعضه متشابهاً؟ وهلاً جُعِلَ كله على نمط المحكم حتى كان يكفي الإنسان مؤونة النظر الذي قل ما سلم متعاطيه من زلة؟ وهذه مسئلة نسأل عنها في الأحكام أيضاً فنقول^(١) : هلاً بينها كلها حتى يستغني عن جهد الرأي الذي لا يؤمن خطؤه؟ بل سنل عنها أيضاً في أصل التكليف، فيقال: هلاً خولنا الله إنعامه بلا مشقة ولا مؤنة حتى كان عطاؤه أهناً منالاً؟ فقال: (الجواب) عن جميع ذلك واحد، وهو أن الله تعالى خَصَّ الإنسان بالفكر^(٢) والتميز، وشرفه بهما، حتى قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣)، وجعله بذلك خليفة في الأرض فقال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٦) الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٧)، وكفاه شرفاً بما أعطاه من هذه المنزلة أنه قد يصير لأجلها شريفاً موصوفاً بالعلم والحلم والحكمة، وكثير من الصفات التي هي من صفاته تعالى، وإن لم تكن^(٨) على حدها وحقيقتها.

ولما خصه الله^(٩) تعالى بهذه الفضيلة- أعني بالفكر والروية- أعطاه كل ما أعطاه من المعارف^(١٠) قاصرة عن درجة الكمال، ليكملة الإنسان بفكرته، لئلا تتعطل^(١١) فائدتها، وإلا كانت موجداً^(١٢) لما لا فائدة فيه، وذلك شنيع يُنزّه عنه البارئ سبحانه، وعلى ذلك أحوال كل ما أوجده لنا من المأكولات والمشروبات، لأنه أوجد لنا أصول الأغذية، ثم هدانا بما خولنا من التميز إلى تركيبها، وتناول ما يحتاج^(١٣) إليه على الوجه الذي يحتاج^(١٤) وفي الوقت الذي يحتاج^(١٥)، فإذا ثبت ذلك فتأويل كتاب الله تعالى وأحكام شرائعه وسائر معانيه^(١٦) قسمان :

-
- ١- في (د-ك) فقال.
 - ٢- في (ن-م) بالكفر وهو تحريف واضح.
 - ٣- سورة الإسراء : الآية (٧٠).
 - ٤- سورة البقرة : الآية (٢٠).
 - ٥- سورة النور : الآية (٥٥).
 - ٦- سورة الأعراف : الآية (١٢٩).
 - ٧- سورة هود : الآية (٦١).
 - ٨- في : (ط-س) يكن.
 - ٩- ساقط من : (ط-س).
 - ١٠- في : (ط-س) المعاين، وهو تصحيف.
 - ١١- في : (ط-س)، (أ-ص)، (ف-ض) يتعطل.
 - ١٢- في (ن-م) كانت موجوداً لفائدة فيه ، وهي كذلك في (د-ك).
 - ١٣- في : (ن-م) و (د-ك) نحتاج.
 - ١٤- في : (ن-م) و (د-ك) نحتاج.
 - ١٥- في : (ن-م) و (د-ك) نحتاج.
 - ١٦- في : (ط - س) ، (أ - ص) ، (ف - ض) معاينه وهو تصحيف .

جليّ ، وخفيّ: فالجليّ: ما أدركناه إما بالحاسة، أو ببديهة العقل، والخفيّ^(١): ما يتوصل إليه بوساطة أحد هذين، فسبحان الذى شرف الإنسان بهذه المنزلة السنية لتكون ذريعة له إلى إدراك الحياة الأبدية وتحصيل ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر، كما قال تعالى:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٢).

(فَصْلٌ فِي شَرَفِ عِلْمِ التَّفْسِيرِ)

أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسيرُ القرآنِ وتأويلُهُ، وذلك^(٣) أن الصناعات الحقيقية إنما تشرف بأحد ثلاثة أشياء: إما بشرف موضوعاتها، وهى المعمول فيها، نحو أن يقال: الصياغة أشرف من «الدباغة» لأن موضوعها - وهو الذهب والفضة - أشرف من جلد الميتة - الذى هو موضوع الدباغة^(٤) وإما بشرف صورها: نحو أن يقال: طبع السيوف أشرف من طبع القيود... وإما بشرف أغراضها وكمالها، كصناعة الطب - التى غرضها إفادة الصحة - فإنها أشرف من الكناسة - التى غرضها تنظيف المستراح. فإذا ثبت ذلك، فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث، وهو أن موضوع المفسر كلام الله تعالى: الذى هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضلة. وصورة فعله: إظهار خفيات ما أودعه مُنْزِلُهُ من أسرارهِ ﴿لِيَذْكُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْتَابَ﴾^(٥)، وغرضه: التمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التى لا فناء لها. ولهذا عَظَّمَ الله محله بقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٦). "قيل: هو تفسير القرآن"^(٧).

١ - فى : (ط-س) فالخفي.

٢ - سورة السجدة : الآية (١٧).

٣ - فى (ن-م) وذلك وهى الأصوب.

٤ - ساقطة من : (ط-س).

٥ - سورة ص: الآية (٢٩).

٦ - سورة البقرة - الآية : (٢٦٩).

٧ - ساقطة من : (ط-س).

وقد نقل الإمام السيوطي هذا الفصل فى "الإتقان" ببعض اختلاف من زيادة ونقصان - انظر : ج : ٤ - ص ١٧٣.

(فَصْلٌ فِي بَيَانِ آيَاتِ التِّي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا ^(١) الْمُفَسِّرُ)

اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فبعض يشدد ^(٢) في ذلك وقال: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى له ^(٣) عن النبي ﷺ وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين، واحتجوا في ذلك بما روي عنه عليه السلام: «من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار» ^(٤)، وقوله عليه السلام: «من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» ^(٥)، وفي خبر ^(٦) «من قال في القرآن برأيه فقد كفر» ^(٧)، وبما روي عن أبي بكر - رضي الله عنه - «أى سماء تظلني وأى أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيه». وذكر آخرون أن من كان هذا الباب يوسع له أن يفسره، فالعقلاء والأدباء "فوضى فضاء" ^(٨) في معرفة الأغراض، واحتجوا في ذلك بقوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ^(٩)

وذكر بعض المحققين "أن المذهبين" ^(١٠) هما الغلو والتقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد «ترك كثيراً مما يحتاج إليه» ^(١١)، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه، فقد عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ^(١٢).. والواجب: أن يبين أولاً ما ينطوى عليه

١ - في : (ط-س) إليه.

٢ - في (ط-س): تشدد.

٣ - ساقطة من : (أ-ص).

٤ - انظر روایات الحديث في تفسير الطبري - ج: ١ - ص ٧٧، ٧٨ وتعليق الأستاذ/ محمود شاكر عليها حيث يميل إلى تضعيف الحديث.

٥ - قال ابن كثير: عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ»، وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطيعي، وقال الترمذي: غريب وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل، وفي لفظ لهم: «من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ». تفسير القرآن العظيم ج: ١ - ص ٥.

٦ - ساقطة من (ن-م).

٧ - انظر ما قاله فيه ابن كثير في تفسيره - ج: ١ - ص ٥.

٨ - في (د-ك) فوضى فوضى. وجاء في اللسان: ... وكذلك جاء القوم فوضى، وأمرهم فيضي وفوضى: مختلط، عن اللحياني، وقال: معناه: سواء بينهم كما قال ذلك في "فضا" ومتاعهم فوضى بينهم إذا كانوا فيه شركاء، ويقال أيضاً فضاءً قال:

طعامهم فوضى فوضى فوضى في رجالهم ولا يحسبون السوء إلا تتادياً

وفي المعجم الوسيط: قوم فوضى: ليس لهم رئيس. قال الألفه الأودي:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سألوا.

وقد جاءت الكلمتان في : (ط-س) فوضى...

٩ - سورة ص: الآية (٢٩).

١٠ - ساقطة من : (ط-س).

١١ - ساقطة من (د-ك).

١٢ - سورة: ص - الآية : (٢٩).

القرآن، وما يحتاج إليه المفسر من العلوم، فنقول وبالله التوفيق: إن جميع شرائط الإيمان والإسلام التي دعينا إليها واشتمل القرآن عليها ضربان: علم غايته الاعتقاد، وهو الإيمان بالله، وملئكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وعلم غايته العمل، وهو معرفة أحكام الدين والعمل بها.^(١) والعلم مبدأ والعمل تمام، ولا يتم العلم من دون العمل، ولا يخلص العمل من دون العلم، ولذلك لم يفرد - تعالى - أحدهما من الآخر في عامة القرآن، نحو قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَقَابِرُهُمْ﴾^(٤)، ولا يمكن تحصيل هذين إلا بعلم لفظية وعقلية وموهبية، فالأول: معرفة الألفاظ: وهو علم اللغة، والثاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض وهو الاشتقاق. والثالث: معرفة أحكام ما يعرض للألفاظ^(٥) من الأبنية والتعاريف والخصائص والواجب، وما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات، والخامس: ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأقسام التي تنطوي^(٦) عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار.

والسادس: ذكر السنن المنقولة عن النبي ﷺ وعن شهد الوحي مما اتفقوا عليه^(٧) وما اختلفوا فيه، مما هو بيان لجمل، أو تفسير لبهم المتبأ عنه بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٨)، وبقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبُهْدَاهُمُ الْقُدَّةُ﴾^(٩) وذلك علم السنن.

والسابع: معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف^(١٠) والمجمل والمفسر، والقياسات الشرعية، والمواضع التي يصح فيها القياس، والتي لا يصح، وهو علم أصول الفقه.

١ - في: (أ-ص) والعمل به وكذلك في (ن-م).

٢ - سورة التغابن: الآية (٩) وتتمتها (يكفر عنه سيئاته) والآية: (١١) من سورة الطلاق، وتمامها: (يدخله جنات).

٣ - سورة غافر: الآية (٤٠)

٤ - سورة الرعد: الآية (٢٩)

٥ - في: (د-ك) الألفاظ

٦ - في: (ط-س) ينطوي

٧ - في: (ط-س) فيه

٨ - سورة النحل: الآية (٤٤).

٩ - سورة الانعام: الآية (٩٠)

١٠ - في: (د-ك)، (ن-م) والاختلاف.

والثامن: أحكام الدين وآدابه، وآداب السياسات الثلاث، التي "هي" ^(١) سياسة النفس، والأقارب والرعية، مع التمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزهد....

والتاسع: معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية، والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونيات وغير ذلك، وهو علم الكلام.

والعاشر : علم الموهبة، وذلك علم يورثه الله مَنْ عَمِلَ بِمَا عَمِلَ ^(٢)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) - رضي الله عنه:

قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ما علم. ثم تلا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ ^(٣) وما روى عنه حيث سئل: «هل عندك علمٌ عن النبي ﷺ لم يقع إلى غيرك؟ قال: لا، إلا كتاب الله وما في صحيفتي، وفهم يؤتية الله مَنْ يشاء» وهذا هو التذكير الثاني ^(٤) رجاله تفضلني - إبرازاً بفعل الصالحات، حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٥).

وهو الهداية المزيدة للمهتدي في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ ^(٦) الآية، وهو الطيب من القول المذكور في قوله: ﴿وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ ^(٧) فجملة العلوم التي هي كالألة للمفسر، ولا يتم صناعة إلا بها هي هذه العشرة: علم اللغة، والاشتقاق والنحو، والقراءات، والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة. فمن تكاملت "فيه" ^(٨) هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه. ومن نقص عن بعض ذلك مما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن وأحسن من نفسه في ذلك بنقصه واستعان بأربابه واقتبس منهم واستضاء بأقوالهم لم يكن - إن شاء الله من المفسرين برأيهم ^(٩)، فإن القائل بالرأي - هاهنا - من لم

١ - ساقطة من : (ط-س).

٢ - في : (ط-س)، و(ف-ض)، (أ-ص)، (د-ك) : علم ما يعلم، ويبدو أنها جزء من الحديث الوارد: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

٣ - سورة الزمر : الآية (١٨).

٤ - سورة النحل : الآية (٩٠)، وتمامها : (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون).

٥ - سورة محمد : الآية (١٧).

٦ - سورة الحج : الآية (٢٤).

٧ - ساقطة من : (ط-س).

٨ - في : (ط-س) برأيه.

تجتمع^(١) عنده الآلات التى يستعان بها فى ذلك^(٢)، ففسره وقال فيه تخميناً وظناً. وإنما جعله النبى ﷺ مخطئاً وإن أصاب، فإنه مخبر بما لم يعلمه، وإن كان قوله مطابقاً لما عليه الأمر فى نفسه.

ألا ترى أن الله تعالى قال : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فشرط مع الشهادة العلم^(٤) وكذب المنافقين فى قولهم : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾^(٥)، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٦) ومن حق من تصدى للتفسير أن يكون مستشعراً لتقوى الله مستعيذاً من شرور نفسه والإعجاب بها، فالإعجاب بالنفس أسوأ كل فساد وأن يكون اتهامه لفهمه أكثر من اتهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل، وبالله التوفيق..

(فصل فى جواز إرادة المعنيين المختلفين بعبارة واحدة)

العبارة الموضوعة لمعنيين على سبيل الاشتراك حقيقةً فيهما أو مجازاً فى أحدهما؟ متى تتفق معناه^(٧) فى المراد لم يصح أن يراد معاً بعبارة واحدة، نحو أن يقال : صل صلاةً واحدةً على سبيل الوجوب والندب. وإذا^(٨) لم يتنافيا^(٩) صح ذلك، نحو اللبس - المراد به المسيس - واللبس. وإلى ذلك ذهب الشافعي - رحمه الله -، وهو مقتضى مذهب سيبويه، لأنه قال فى قولهم: "الويل له": إنه دعاء^(١٠) عليه وإخبار عن حاله، فجعله للأميرين فى حالة واحدة، إلى غير ذلك مما دل من كلامه^(١١) عليه. والدلالة على جواز ذلك قولهم: "افعلوا كذا" - فى مخاطبة الرجال والنساء - وقولهم: "الرجال والنساء فعلوا"، وهذه العبارة للمذكر حقيقة، وللمؤنث مجاز. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(١٢)، وعناه والمؤمنين، فهو حقيقة فيه ومجاز فيهم.

-
- ١ - فى : (ط-س) يجتمع.
 - ٢ - فى : (ط-س) فيها بذلك.
 - ٣ - سورة الزخرف : الآية (٨٦).
 - ٤ - فى : (ط-س) والعلم.
 - ٥ - سورة المنافقون : الآية (١).
 - ٦ - سورة المنافقون : الآية (١).
 - ٧ - فى : (ف-ض)، (ط-س) معنيهما.
 - ٨ - فى : (ف-ض)، (ط-س) والى.
 - ٩ - فى : (ط-س)، (أ-ص) - تتنافيا.
 - ١٠ - فى : (ط-س) عاء. وهو تصحيف.
 - ١١ - فى : (ط-س) كلامه.
 - ١٢ - سورة الطلاق : الآية (١).

وقال الشاعر:

ثِقَالُ الْجِفَانِ وَالْحُلُومِ رَحَاهُمْ رَحَى الْمَاءِ يَكْتَالُونَ كَيْلًا عُدْمَدًا^(١)

فوصفُ "الجفان بالثقل حقيقة، ووصف "الحلوم" به مجاز، وقد نظمهما بلفظ واحد، وقال آخر:
وَمَاءٍ أَجْنِ الْجَمَّاتِ قَفْرٍ^(٢).

فذكر الماء "وأراد به"^(٣) ومكانه، فقد يسمَّى مكان الماء ماء، والدلالة على أنه أرادهما^(٤) أنه قد وصفه^(٥) "بأجن الجمَّات" وذلك من صفة الماء نفسه، و"بقفر"^(٦) وهو من صفة المكان، وقال ابن هرمة:

وَالْحَوْتُ يَسْبَحُ فِي السَّمَاءِ كَسَبَّحَ فِي الْمَاءِ^(٧)

وهو بكلُّ سبَّح عن معنى الحوت، والحوت السابح في السماء غير السابح في الماء، وقالوا: القمران، للشمس والقمر، وذلك في الشمس مجازاً لا محالة، فإن قيل: إن ذلك لا يصح من حيث أن المتكلم به يكون مريداً استعمال اللفظ فيما وضع له، والعدول به عن الموضوع له في حالة واحدة، وذانك^(٨) أمران متنافيان في المراد، وهذه عمدة من منع من جواز ذلك، قيل: إن ذلك إنما ينافي إذا وضع لفظ فاستعمل في معنى واحد على أنه منقول إليه عن غيره، ومستعمل في موضعه. «أما إذا استعمل^(٩) في أحد معنييه» لاعلى النقل بل على الوضع له، وفي الآخر على النقل إليه صح إرادتهما معاً.

١ - لم أجد هذا البيت، وفي اللسان: الموت العدمد : الذي لا يبقى شيئاً.

٢ - البيت لربيعة بن مكرم كما جاء في شرح اختيارات المفضل. ج: ٢- ص ٨٥١- ص ٨٥٨- للخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور/ فخر الدين قباوة، وقد جاء قبل هذا البيت:

ألا صرمت مودتك الرواح
ضربير قد هنأناه فأمسى
وجد البين منها والوداع
عليه في معيشته اتساع
تعمق في جوانبه السباع
وماء أجن الجمَّات قفر

والأجن هو المتغير. والجمَّات: جمع جمّة، وهو: ماكثر من الماء. والقفر: الخالي، والتعقن التشدد والخبث أى: لا يطور به أحد.. وقال المرزوقي: "تعقن": أى تتخذ السباع في جوانبه عقماً لأمنها فيه، والاعتقام في الحفر: المضى سفلًا. مقدمة جامع التفاسير- ص ٩٩.

٣ - فى: (ط-س) وأراد به.

٤ - فى: (أ-ص) على إرادتهما.

٥ - فى: (ط-س) وصف.

٦ - فى: (ط-س) ويقفر.

٧ - لم أعثر على البيت في ديوان ابن هرمة المطبوع، وقصده بالحوت السابح في السماء النجم الذى يسمى الحوت، مقدمة جامع التفاسير- ص ٩٩.

٨ - فى: (أ-ص)، (ط-س) وذلك.

٩ - ساقطه من: (ط-س) ومن (د-ك).

ثم ليس من شرط المتكلم أن يخطر بباله كيفية وضع اللفظ من حقيقة ومجاز، وأيضاً: فما من لفظ مستعمل في شيئين: حقيقةً فيهما أو مجازاً في أحدهما إلا ويجمعهما معنى عام لهما على طريقة من يراعى مناسبة الألفاظ، نحو أن يقال: اتق^(١) الأسد والحصار، ويعنى "بالأسد": الحيوان الجريء، و"بالحصار": الحيوان البليد، وذلك متناول للبهيمة والإنسان معاً، فيصح أن يُراد^(٢) كما لو قال: ^(٣) "وَالْحَيَّاتُ الْجَرِيَّةُ وَالْحَيَّاتُ الْبَلِيدُ، وَمَا يُحْمَلُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾"^(٤)، وذلك عام^(٥) في الإنسان وغيره، وقد علم أن الإنسان يسبح بلسانه وفعاله، والجمادات ليست تسبح كذلك وقد قرئهما بلفظ واحد، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا لِّسَاعَتِنِ﴾"^(٦) قيل: عنى بذلك الغنى بالكفاية والغنى بالقناعة معاً، وأمثال ذلك في القرآن أكثر من أن تحصى. وهنا.

ولمثل هذه المعاني المجتمعة فيه قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾"^(٧)، وعلى ذلك روى في الخبر "لِكُلِّ حَرْفٍ"^(٨) ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌ ومطلعٌ " تنبيهاً على كثرة معانيه المجتمعة تحت اللفظة بعد اللفظة..

(فَصْلٌ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ)

المعجزات التي أتى بها الأنبياء - عليهم السلام - ضربان : حِسِّيٌّ وعَقْلِيٌّ: فالْحَسِّيُّ : ما يُدْرِكُ بالبصر، كَنَاقَةِ صَالِح، وَطُوفَانَ نُوحٍ، وَنَارَ إِبْرَاهِيمَ وَعَصَى مُوسَى - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - والعَقْلِيُّ: ما يُدْرِكُ بالبصيرة، كَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ تَعْرِيفاً وَتَصْرِيحاً، وَالْإِتْيَانِ بِحَقَائِقِ الْعُلُومِ الَّتِي حَصَلَتْ عَنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ، فَأَمَّا الْحَسِّيُّ: فَيَشْتَرِكُ فِي إِدْرَاكِهِ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ، وَهُوَ أَوْقَعُ عِنْدَ طَبَقَاتِ الْعَامَّةِ، وَأَخَذُ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ، وَأَسْرَعُ لِإِدْرَاكِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَكَادُ يَفْرُقُ - بَيْنَ مَا يَكُونُ مُعْجِزَةً فِي الْحَقِيقَةِ، وَبَيْنَ مَا يَكُونُ كَهَانَةً أَوْ شَعْبِزَةً أَوْ سِحْرًا، أَوْ سَبَبًا اتِّفَاقِيًّا، أَوْ مُوَاطَئَةً، أَوْ احْتِيَالًا هَنْدَسِيًّا، أَوْ تَمْوِيهًا وَافْتِعَالًا - إِلَّا

١ - في : (أ-ص) التثنية، وهو تحريف.

٢ - في : (أ-ص)، (ف-ض)، (ط-س) يراد ، وهو تصحيف.

٣ - في (ن - م) كما يقال .

٤ - سورة الإسراء : الآية (٤٤).

٥ - ساقطة من : (ط-س).

٦ - سورة الضحى: الآية (٨).

٧ - سورة لقمان : الآية (٢٧).

٨ - ساقطة من (أ-ص)، (ف-ض)، (ط-س).

نوسعة في العلوم التي يعرف بها هذه الأشياء. وأما العقلي: فيختص بإدراكه كملة الخواص من ذوي العقول الراجحة، والأفهام الثاقبة، والروية المتناهية، الذين يغنيهم^(١) إدراك الحق . وجعل تعالى أكثر معجزات بنى إسرائيل حسياً لبلادتهم، وقلة بصيرتهم.

وأكثر معجزات هذه الأمة عقلياً لذكائهم وكمال أفهامهم التي صاروا بها كالأنبياء. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «كَانَتْ أُمَّتِي أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءً»^(٢). ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على وجه الدهر غير معرضة للنسخ، وكانت العقليات باقية غير مبتذلة، جعل أكثر معجزاتها مثلها باقية. وما أتى به النبي ﷺ من معجزاته الحسية، كتسبيح الحصى في يده، ومكالمة الذئب له، ومجيء الشجرة إليه، فقد حواها وأحصاها أصحابه، وأما العقليات: فمن تفكر فيما أورده ﷺ من الحكم التي قصرت عن بعضها أفهام حكماء الأمم بأوجز عبارة، اطلع على أشياء عجيبة. ومما خصه الله تعالى به من المعجزات القرآن: وهو آية حسية عقلية صامتة ناطقة باقية على الدهر ماثلة في الأرض، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾^(٣)، ودعاهم ليلاً ونهاراً مع كونهم أولى ببسطة في البيان إلى معارضته^(٤) بنحو قوله: ﴿وَأَن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾^(٥) وفي موضع آخر: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦)، وقال: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٧).

فجعل عجزهم علماً للرسالة، فلو قدروا ما أقصروا^(٨) بوبذلو أرواحهم في إطفاء نوره وتوهين أمره، فلما رأيناهم تارة يقولون ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ﴾^(٩)، وتارة يقولون: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾^(١٠)، وتارة يصفونه بأنه ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١١)، وتارة يقولون: ﴿لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

١- في (ن - م) ، (د-ك) يفنيهم وهو تصحيف .

٢- الحديث في مسند الإمام أحمد - ج: ١- ص ٢٩٦

٣- سورة العنكبوت : الايتان (٥٠) ، (٥١).

٤- في (د-ك) المعارضة

٥- سورة البقرة : الآية (٢٣).

٦- سورة يونس : الآية (٢٨)

٧- سورة الإسراء : الآية (٨٨).

٨- في (ن - م) ماقصروا ، وهو تصحيف ، وفي (د-ك) ماقصروا.

٩- سورة فصلت : الآية (٢٦).

١٠- سورة الأنفال : الآية (٣١).

١١- سورة الأنفال : الآية (٣١) ، وسورة النحل : الآية (٢٤) ، وسورة الفرقان : الآية (٥) ووردت كذلك في عديد من السور.

جُمْلَةً وَاحِدَةً ^(١)، وتارةً يقولون: **﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾** ^(٢) كل ذلك عجزاً عن الإتيان بمثله، علمنا قصورهم عنه، ومحالٌ أن يقال: إنه عورض فلم ينقل، "فالنفوس" ^(٣) مهتزة لنقل مادق وجلّ. وقد رأينا كتباً كثيراً صنفت في الطعن على الإسلام قد نقلت وتدولت ^(٤). وهذه الجملة المذكورة، وإن كانت دالة على كون القرآن معجزاً، فليس بمقنعٍ إلا بتبيين فصلين: أحدهما: أن يبين ما الذي هو معجز: أهو اللفظ، أم المعنى، أم النظم؟ أم ثلاثتها؟ فإن كل كلام منظومٍ مشتملٍ على هذه الثلاثة. والثاني: أن المعجز: هو ما كان نوعه غير داخل تحت الإمكان، كإحياء الموتى وإبداع الأجسام.

فأما ما كان نوعه مقدوراً، فمحله محل الأفضل، "وما كان من باب الأفضل" ^(٥) في النوع، فإنه لا يحسم نسبة مادونه إليه. وإن تباعدت النسبة حتى صارت ^(٦) جزءاً من ألف، فإن النجار الحاذق وإن لم يبلغ شأوه لا يكون معجزاً. إذا استطاع ^(٧) غيره جنس فعله، فنقول وبالله التوفيق: إن الإعجاز "قد ذُكِرَ" ^(٨) في القرآن علي وجهين: أحدهما: إعجاز متعلق بفصاحة، والثاني: بصرف الناس عن معارضته: فأما الإعجاز المتعلق بالفصاحة: فليس يتعلق ذلك بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، ^(٩) وذلك أن الفاظه ألفاظهم، ولذلك قال تعالى: **﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾** ^(١٠)، وقال: **﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾** ^(١١) تنبيهاً على أن هذا الكتاب مركبٌ من هذه الحروف التي هي مادة الكلام. ولا يتعلق أيضاً بمعانيه، فإن كثيراً منها موجود في "الكتب المتقدمة" ^(١٢)، ولذلك قال تعالى: **﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾** ^(١٣)، وقال: **﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾** ^(١٤) وما هو معجز ^(١٥) فيه من جهة المعنى، كإخبار بالغيب فأعجازه ليس يرجع إلى القرآن بما هو قرآن، بل هو لكونه خبراً بالغيب، وذلك سواء كونه بهذا النظم أو بغيره.

وسواء كان مورداً بالفارسية أو بالعربية أو بلغةٍ أخرى أو بإشارةٍ أو بعبارةٍ. فإذا بالنظم المخصوص صار القرآن قرآناً، كما أنه بالنظم المخصوص صار الشعر شعراً، أو الخطبة خطبةً.

١ - سورة الفرقان: الآية (٣٢).

٢ - سورة يونس: الآية (١٥).

٣ - ساقطة من - (ط-س).

٤ - في: (أ - ص) وتدولت.

٥ - ساقطة من (ط-س).

٦ - في: (أ-ص) صار.

٧ - في: (ط-س) استعمله.

٨ - ساقطة من: (ط-س)، وهو تحريف.

٩ - في (د-ك) وذلك.

١٠ - سورة يوسف - الآية رقم (٢)، سورة طه - الآية رقم (١١٣)، سورة الزمر - الآية رقم (٢٨)، سورة فصلت - الآية رقم - (٣)،

سورة الشورى - الآية رقم (٧)، سورة الزخرف - الآية رقم (٢).

١١ - سورة البقرة - الأيتان: (٢، ١).

١٢ - في: (أ-ص) و (ط-س) كتب الأقدمين.

١٣ - سورة الشعراء: الآية (١٩٦).

١٤ - سورة طه: الآية (١٣٣).

١٥ - في (ن - م) بمعجز.

فالنظم صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره، وبإختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره، كالأتم والقسط والخلال تختلف^(١) أحكامها وأسمائها باختلاف صورها لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة. فإذا ثبت [هذا ثبت]^(٢) أن الإعجاز المختص بالقرآن متعلق بالنظم المخصوص. وبيان كونه معجزاً هو أن نبين نظم الكلام، ثم نبين أن هذا النظم مخالف لنظم سائر، فنقول : لتأليف الكلام خمس مراتب : الأولى : ضم^(٣) حروف التهجي بعضها إلى بعض، حتى يتركب منها الكلمات الثلاث : الاسم والفعل والحرف. والثانية : أن يؤلف بعض ذلك مع بعض حتى يتركب منها لجمل المفيدة، وهى النوع الذى يتداوله الناس جميعاً فى مخاطباتهم، وقضاء حوارهم، ويقال له : المنثور من الكلام، والثالثة : أن يضم بعض ذلك إلى بعض ضمّاً له مبادئ ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له المنظوم، والرابعة : أن يجعل له فى أواخر الكلام مع ذلك تسجييع ويقال له^(٤) : المسجع. والخامسة : أن يجعل له مع ذلك وزن مخصوص، ويقال له الشعر. وقد انتهى.

وبالحق صار كذلك : فإن الكلام إما منثور فقط، أو مع النثر نظم، أو مع النظم سجع، أو مع السجع وزن. والمنظوم : إما محاور، ويقال^(٥) لها : الخطابة، وإما مكاتبة، ويقال^(٦) لها : الرسالة، وأنواع الكلام لا تخرج^(٧) عن^(٨) هذه الجملة. ولكل من ذلك نظم مخصوص. والقرآن حاور لحاسن جميعه بنظم ليس هو نظم شئ منها بدلالة أنه لا يصح أن يقال : القرآن رسالة، أو خطابة، أو شعر، كما يصح أن يقال : هو كلام، ومن قرع سمعه فصل بينه وبين سائر النظم. ولهذا قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(٩) تنبيهاً على أن تأليفه ليس [على]^(١٠) هيئة نظم يتعاطاه البشر، فيمكن أن يزداد فيه كحال الكتب الأخر، فإن قيل : ولم لم يتبع نظم القرآن الوزن الذى هو الشعر، وقد علم أن للموزون من الكلام مرتبة أعلى^(١١) من مرتبة المنظوم غير الموزون، إذ كل موزون منظوم وليس كل منظوم موزوناً؟ قيل : إنما جنب القرآن نظم الشعر ووزنه لخاصية^(١٢) فسى

١ - فى (د-ك) اختلفت .

٢ - ساقطة من (ن - م) .

٣ - ساقطة من : (ط-س) وفى : (أ-ص) : نظم وضم .

٤ - فى : (ط-س) ويقاله . وهو خطأ من الناسخ .

٥ - فى : (ط-س) له .

٦ - فى (ط-س) : ويقالها وهو خطأ من الناسخ .

٧ - فى : (ط-س) لا يخرج، وهو تصحيف .

٨ - فى (ط-س) : من .

٩ - سورة فصلت : الآيتان (٤١ ، ٤٢) .

١٠ - ساقطة من (ن - م) .

١١ - فى : (ط-س) أعلى مرتبة .

١٢ - فى : (ط-س) بخاصية .

الشعر منافية للحكمة الإلهية، فإن القرآن هو مَقْرُّ الصدق، وَمَعْدِنُ الحق. وَقُصْوَى الشاعر تصوير الباطل في صورة الحق، وتجاوز الحد في المدح والذم دون إستعمال الحق في تحري الصادق، حتى إن الشاعر لا يقول الصدق ولا يتحرى الحق إلا بالعرض.

ولهذا يقال: من كانت قوته الخيالية فيه أكثر كان على قرض الشعر أقدر، ومن كانت قوته العاقلة فيه أكثر كان في قرضه أقصر. ولأجل كون الشعر مقر الكذب، نزه الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - عنه لما كان مرشحاً لصدق المقال، وواسطة بين الله وبين العباد، فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^(١)، فنفي ابتغاءه له. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾^(٢) أى: ليس بقول كاذب. ولم يعن أن ذلك ليس بشعر، فإن وزن الشعر أظهر من أن يشتبه عليهم حتى يحتاج إلى أن ينفي عنه. ولأجل شهرة الشعر بالكذب، سمى أصحاب البراهين الأقيسة المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية، وما وقع في القرآن من الألفاظ متزنة، فذلك بحسب ما يقع في الكلام على سبيل العرض بالانفاق، وقد تكلم الناس فيه. وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته، فظاهراً أيضاً إذا اعتبر، وذلك أنه ما من صناعة ولا فعلة من الأفعال محمودة كانت أو مذمومة، إلا وبينها وبين قوم مناسبات خفية^(٣)، واتفاقات إلهية بدلالة أن الواحد فالواحد يؤثر حرفاً من الحرف فينشرح صدره بملاستها، وتطيعه قواه في مزاولتها فيقبلها باتساع قلب، ويتعاطاها بانشرار صدر. وقد تضمن ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٤)، وقول النبي ﷺ: «اعملوا فكلُّ ميسر لما خلق له»^(٥)، فلما روي أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمنون في كل واحد من المعاني بسلطة ألسنتهم، وقد دعا الله جماعتهم إلى معارضة القرآن وأعجزهم عن الإتيان بمتله، وليس تهتز^(٦) غرائزهم البتة للتصدي لمعارضته لم يخف على ذي لب أن صارفاً إلهياً يصرفهم عن ذلك. وأي إعجاز أعظم من أن تكون^(٧) كافة البلغاء مخيرة في الظاهر أن يعارضوه، ومُجبرة في الباطن عن ذلك. وما أليقهم بإنشاد ما قال أبو تمام:

فَإِنْ نَكَ أَهْمَلْنَا فَأَضْعِفْ بِسَعِينَا وَإِنْ نَكَ أَجْبَرْنَا ففِيمَ نَنْتَعِجُ^(٨)

والله ولي التوفيق [والعصمة]^(٩)

- ١ - سورة يس : الآية (٦٩).
- ٢ - سورة الحاقة : الآية (٤١).
- ٣ - في (ن - م) ، (د-ك) واتفاقية.
- ٤ - سورة المائدة : الآية (٤٨).
- ٥ - الحديث في البخاري: كتاب (تفسير سورة الليل إذا يغشى)، وكتاب الجنائز: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله، وكتاب الأدب: باب الرجل ينكت الشئ بيده في الأرض، وكتاب القدر باب: (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)، وكتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر). ورواه مسلم في القدر برقم: (٢٦٤٧) وأبو داود برقم: (٤٦٩٤)، والترمذي برقم: (٢١٣٧) و(٣٣٤١).
- ٦ - في: (أ-ص)، (ط-س) يهتز، وهو تصحيف.
- ٧ - في: (أ-ص)، (ط-س) يكون، وهو تصحيف.
- ٨ - البيت لأبي تمام وقبله: تروح علينا كل يوم وتغتدي والأيات من قصيدة قالها يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثوري ومطلعها أما إنه لولا الخليط المودع ... وربع عقامنه قصيف ومربع والبيت في الديوان: ج: ٢ - ص ٢٢٥ - ط: دار المعارف.
- ٩ - ساقطة من (ن-م) ، (د-ك).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال بعض العلماء إنما قال "بسم الله" ولم يقل "الله" لأنه لما استُحِبَّ الاستعانة بالله تعالى في كل أمرٍ يفتتح به من قراءةٍ وغيرها، فبعضهم^(١) - يذكره^(٢) - بقلبه، وبعضهم يزيد عليه ويقول بلسانه ويكون أبلغ - وذكر الله مستعملٌ في كل ذلك^(٣) - وألفاظ الاستعانة نحو "أستعين بالله" و"اللهم أعني" ونحو ذلك كثير، فصار لفظة "بسم الله" مستغنىً به عن جميعها وقائماً مقامها، ولو قال "بالله" (لكان يقتضي الاستعانة)^(٤) بهذه اللفظة فقط^(٥) و"اسم - ههنا - موضوع موضع المصدر، أي : التسمية، نحو قوله: (٦) - وَيَعِدُّ عَطَاكَ الْمَائَةَ الرُّتَاعاً^(٧)

أي: إعطائك، وكما وضع "السلام" موضع "التسليم".

وذكر أبو عبيدة أن قوله "بسم الله" معناه: الله - والاسم زيادة - واحتج بقول الشاعر:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ^(٨).

وإنما المعنى أن القائل إذا قال "الله أبتدى"، فمعناه: بهذا الاسم. وإذا قال: "بسم الله" فإن المقصود به "المسمى" فصار قول القائل «أفتتح باسم الله» يفيد فائدة أفتتح الله^(٩).

وما ذكر من الخلاف في أن "الاسم" هل هو "المسمى"؟ أو "غيره". فقولان قالواهما بنظرين مختلفين، وكلاهما صحيح بنظر ونظر، وذاك أن من قال: الاسم الذي هو زيد أو عمرو، هو المسمى، فإنما نظر إلى نحو قولهم: "رأيت زيدا"، و"زيد رجل فاضل"، فإن "زيداً" - ههنا - عبارة عن المسمى، والرؤية تعلقت به، ومن قال: هو^(١٠) - غير المسمى، فإنه نظر إلى [نحو]^(١١) - "قولهم": سميت ابني زيداً و"زيد اسم حسن"، وإنما عني: أني سميتُ بهذا اللفظ الذي هو "زيد" وأن هذا محكومٌ عليه بالحسن، فإذا^(١٢) - قولاك: زيدٌ حسنٌ لفظٌ مشتركٌ يصبح "أن يعنى به أن هذا اللفظ حسن وأن يعنى به أن المسمى به حسن، ونحو هذا الاشتباه في قولك: هذا إنسان، فإنه يستعمل على ضربين أحدهما

١ - في : (ط - س) وبعضهم.

٢ - في (أ - ص) يذكرهم وهو تصحيف.

٣ - جاءت هذه الجملة في الأصل بعد قوله «ونحو ذلك كثير»، والظاهر أنه كان خطأ من الناسخ.

٤ - جاءت هذه الجملة في الأصل بعد قوله: «وقائماً مقامها»، والظاهر أنه كان خطأ من الناسخ.

٥ - جاءت هذه الكلمة في الأصل بعد "بالله"، والظاهر أن اضطراباً وقع من الناسخ في الصفحة الأولى.

٦ - في (أ - ص) وبعض وهو تصحيف، والرغما بدلاً من الرتاعا.

٧ - هذا هو الشطر الثاني من بيت للقطامي - في ديوانه - ص ٣٧ والشطر الأول:

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَيُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَحْتَرِفُ بِحَقِّ زُفَرِ بْنِ حَارِثٍ الْكَلَابِيِّ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ أَسْرَهُ فِي الْحَرْبِ، ثُمَّ مَنُّ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ

مَائَةَ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي تَرْتَعُ وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتِ مَجِيءُ «الْعَطَاءِ» بِمَعْنَى «الإعطاء» الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ وَلِذَلِكَ نَصَبَ بِهِ «المائة» وَهُوَ فِي

خَزَانَةِ الْأَدَبِ ج : ٣ - ص ٤٤٢، وَالْمَقَاصِدُ النُّحْوِيَّةُ ج : ٣ ص ٥٠٥، وَفِي اللِّسَانِ - مَادَّةُ (عَطَا)، وَتَفْسِيرُ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ج : ١ - ص ١٢٧، ج : ٥ - ص ٢٧٦، وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ج : ٢ ص ١٣١١، ج : ١٠ - ص ٦٧٥١، وَمَقْدَمَةُ جَامِعِ التَّفَاسِيرِ - ص ١١٠.

٨ - الْبَيْتُ لِلْبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةِ مَطْلَمِهَا :

تَمْنَى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مَضَرٍ

وَالْبَيْتُ قَبْلَهُ :-

وَقَوْلَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا عَدُوَّ

وَلَفْظُ اسْمٍ فِي الْبَيْتِ تَعَدُّ مَقْحَمَةً هُنَا، وَقِيلَ : السَّلَامُ هُوَ اللَّهُ، وَالتَّعْلِيلَاتُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ كَثِيرَةٌ أوردتها صاحب الخزانة. وقالها

يُخَاطَبُ ابْنَتَيْهِ عِنْدَمَا أَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ يَوْصِيهِمَا أَنْ تَذْكُرَاهُ وَتُرْثِيَاهُ مِنْ غَيْرِ خُمْشِ الْوَجْهِ وَلَا حُلُقِ الشَّعْرِ، وَتُظَلِّلَا كَذَلِكَ إِلَى الْحَوْلِ .

وَالْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِ لَبِيدٍ - ص ٧٩، وَأُمَالِي الزَّجَاجِيِّ - ص ٦٣، وَالْخَصَائِصُ - ج : ٣ - ص ٢٩، وَفِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ - ج : ٢ -

ص ٢١٧، وَالْمَقَاصِدُ النُّحْوِيَّةُ ج : ٣ - ص ٣٧٥، وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ - ج : ٥ - ص ٢٠٦٣، ج : ٦ - ص ٢٨٤٧، - ص ٦٣، وَالْمَفْصَلُ

- ج : ١ - ص ٢٧٢، وَشَرْحُ ابْنِ يَعِيشٍ - ج : ٣ - ص ١٤ وَفِي مَعْرِ الْهَوَامِعِ - ج : ٢ - ص ٤٩. وَكِتَابُ الشُّعْرَاءِ لِأَبِي عَلِيٍّ

الْفَارِسِيِّ ج : ١ - ص ٢٢٩، ٢٣٧.

٩ - فِي (ط - س) وَإِذَا قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ فَمَعْنَاهُ قَوْلُ الْقَائِلِ أَفْتَتَحُ بِاللَّهِ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ الْمُسَمَّى أَوْ غَيْرَهُ .

١٠ - سَاقِطَةٌ مِنْ (أ - ص) .

١١ - سَاقِطَةٌ مِنْ (أ - ص) .

١٢ - فِي (ط - س) فَإِنِّي .

أن يختلف أو يشك (١) في اسمه، فيقال: هذا إنسان أى اسمه إنسان، والثاني: أن يختلف أو يشك (٢) في جوهره، فيقال هذا إنسان أى جوهره الإنسانية، وكثير من المواضع مثل هذا يقع فيه المغالطة، وأما تصور من قال: لو كان الاسم هو المسمى، لكان من قال: "النار" أحرقت فمه، (٣) فهذا تصور بعيد. فإن عاقلاً لا يقول: إن هذه الحروف التى هى "زى د" هو الشخص.

واشتقاق "اسم" : قيل (٤) هو من "وسمت"، لأن الاسم علامة للمسمى، وهذا وإن كان من حيث المعنى يصح، فتصريف الكلمة يبطله، نحو سميت، والتسمية، أو والمسمى (٥)، ولأن ألف الوصل لا يدخل فيما حذف فائده نحو (٦): "عِدَّةٌ وَزَنَّةٌ"، والصحيح: أن أصله من "السيمو"، لأن الاسم شعاراً للمسمى ورفعة له. وأصله: سِمَو، كعِضْو (٧)، وَحِنُو (٨)، أو سَمَو، كجَبَلٍ وَجَمَلٍ، لِقَوْلِهِمْ فى الجمع: أسماء. وقد كثر "أفعال" فى جميع هذين البنائين، ولا يُجْعَلُ فُعْلاً "كترس" و"أتراس"، لأن باب "فعل" لم يكثر فيما آخره واو استتقلاً. وأما قول الشاعر:

بِاسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمَةٌ (٩)

فقد قيل إنما ضُمَّ اتباعاً لما بعده، ولو كان الميم مكسوراً لم يَجُزْ فى السين الضمة، فأما لفظة: الله، فيجب أن يعلم أن أسماء الله تعالى كلها مشتقة باتفاق أهل اللغة إلا لفظة الله، فإنه مختلف فيها: فبعضهم جعلها كالعلم مستندلاً بأنه يوصف ولا يوصف به كالأسماء الأعلام، ويقوي ذلك إنه يقال بالتثنية -إلاهائى- (١٠) لأنه قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (١١)، ويعنى به "الله". وآخرون قالوا هو مشتق، ثم اختلف بعد ذلك فيها:

ف قيل: أصله «إلاه» مصدر من «أله» «يأله» أى: عَبَدَ فَسُمِّيَ به كقوله فى صفاته تعالى: «السلام»، وهو فى الأصل مصدر وَسَمُوا الشمس «إلهة» لعبادتهم لها. ولذلك نهاهم الله تعالى

١ - ٢، فى (١ - ص) أو شك .

٣ - يريد بذلك أنه لو كان الاسم هو المسمى لكان مجرد اللفظ بكلمة "النار" كافياً لإحراق فم قائلها .

٤ - هو قول الكوفيين .

٥ - فى (١ - ص) وأسميه أو سمي .

٦ - قال ابن عطية فى تفسيره: وحذفت فائده اعتلالاً على غير قياس والتصغير والجمع المذكوران يردان هذا المذهب الكوفي. وأما المعنى فيه فجيد لولا ما يلزمهم من أن يقال- فى التصغير- وسيم- وفى الجمع- أو سام، لأن التصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها. ج: ١- ص ٥٥ - مقدمة جامع التفاسير - ص ١١١ .

٧ - قال فى مختار الصحاح: والعض: يضم العين وكسرهما - واحد الأعضاء .

٨ - قال صاحب القاموس المحيط: والحنو- بالكسر والفتح: كل ما فيه اعوجاج من البدن .

٩ - هذا المشطور من الرجز لرؤية بن العجاج، وقد روي يضم السين وكسرهما فى "سمة"، وقد جاء بعده: أرسل فيها يازلا يقرمه فهو بها ينحو طريقاً يعلمه

وهو فى نوادر أبي زيد- ص ١٦٦، وفى النوادر لأبى مسحل- ج: ١- ص ٩٥، وفى تفسير أرجوزة أبى نواس لابن جني، والإنصاف لابن الأنباري: ج: ١- ص ١٠، وذكره القرطبي فى تفسيره بدون نسبة - ج: ١ - ص ١٤٧ - وفى مقدمة جامع التفاسير - ص ١١٢ .

١٠ - فى (١- ص) بأسورته وفى (و - ج) بأسورة وهو تصحيف .

١١ - سورة مريم: الآية (٦٥).

بقوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾^(١)، وسموا الأصنام آلهة لذلك، وأصله: إلاه، فحذفوا همزته، وجعلوا الألف واللام عوضاً منها^(٢)، ولكونهما عوضاً استجيز قطع الهمزة الموصولة، وإدخال حرف النداء عليه في قولهم: "يا الله". وقال سيبويه - في موضع: أصله: لاه، على "فعل" من لاه - يلوه لياها، أى: احتجب، قالوا: وذلك إشارة إلى ما قال تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)^(٣)، وقيل: من أله: إذا فرغ، وألهه: أى: أجاره وأمنه^(٤). وإلا له إسم المفزوع إليه كالإمام لمن يؤتم به. وقيل هو من أله يألؤه، إذا تحير، وكأنه عنى ذلك أمير المؤمنين - رضي الله عنه -^(٥)، بقوله: «كُلُّ دُونِ صِفَاتِهِ تَحْيِيرُ اللِّغَاتِ»^(٦) وضملاً فيما هناك تحاريف والصفات^(٧)، ومنه قيل في صفة المفازة: والعاتية^(٨) تأله العين وسطها» وقيل: أصله: ولاه، من وَلَّه يُولِّه، فقلب الواو همزة، فيكون الإله اسماً لما يُولِّه نحوه. فمن الناس من قال: إن ذلك قيل لأن الأشياء تأله نحوه إما تسخيراً، وإما إرادة وقصدًا، كما أنه يُسَبَّحُ له لذلك. وعلى هذا قال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(٩) وذلك إما تسخيراً وإما إرادة^(١٠)، ومنهم من قال ذلك مختصاً بالعقول التي فطرها الله تعالى وأشار إليها بقوله: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١١)، لأن العقول بفطرتها دالة على وحدانية ومُنْبِئَةٍ عن وجوب شكره مالم يدسها صاحبها كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١٢)، ومنهم من قال: ذلك مختصاً بالأحوال التي ينقطع الإنسان عن غيره، فيقصده بفكره، وإليه أشار بقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾^(١٣)، ومنهم من قال: مختصاً بالعباد المخلصين والعبادة عنه بذلك كالعبادة عنه بالمحسوب، والمراد المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١٤) ويقول: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(١٥)، وقد أطلق بعض الأولياء وبعض القدماء عليه تعالى لفظ المعشوق، والمشتوق^(١٦)، إلا أن ذلك كرهه أهل العلم لأمرين: عدم التوقيف فيه، وكون العشق في هذه اللغة متعارفاً في اللذات البدنية...

١ - سورة فصلت: الآية (٣٧).

٢ - كتاب سيبويه: ج: ٢ - ص ١٩٥.

٣ - هذه الإضافة ساقطة من الأصل، وقد استدركتها من كتاب "المفردات" للمؤلف ليستقيم الكلام.

٤ - في: (ط - س) إعادة.

٥ - في (ط - س) عليه السلام.

٦ - في (ط - س) الصفات.

٧ - في (ط - س) اللغات.

٨ - في (ط - س) ومهمته.

٩ - سورة الإسراء: الآية (٤٤).

١٠ - انظر المفردات للراغب - مادة: "أله".

١١ - سورة الروم: الآية (٣٠).

١٢ - سورة الشمس: الآية (١٠).

١٣ - سورة النحل: الآية (٥٣).

١٤ - سورة المائدة: الآية (٥٤).

١٥ - سورة الكهف: الآية (٢٨).

١٦ - في (كا^١ ص)، (و - ج) والمشتوق وهو تحريف.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: الرحمة - في اللغة - رقة مقتضية للتعطف والتفضل، فمبدأها الرقة التي هي انفعال، ومنتهأها: العطف والتفضل الذي هو فعل. فالإنسان إذا وُصِفَ بالرحمة، فتارة يُرادُ به حصولُ المبدأ الذي هو الرقة، وتارة يُرادُ به المنتهى الذي هو التفضل والعطف، وتارة يرادان معاً، وإذا وُصفَ بها الباري، فليس يرادُ به إلا المنتهى الذي هو الفعل دون المبدأ الذي هو الانفعال، إذ هو منزّه عن الانفعالات وعن كل نقص^(١) تعالى الله عن ذلك، «الرؤف»، فإن الرأفة انحصار القلب عن مشاهدة شدة مقتضية للإغاثة^(٢)، فمتى وصف به الإنسان صح أن يراد به المبدأ الذي هو انحصار القلب. وإذا وصف به الباري، فليس يرادُ به إلا الغاية التي هي الإغاثة^(٣)، وعلى ذلك الجود فإنها اختصاص بخلق مقتض لأن لا يدخر عن المحتاج ما ينتفع به عليم يجب ومتى وصف به الباري تعالى فالمراد به النهاية التي هي ترك الإدخار دون الإختصاص بالخلق.

وهذا التفسير - أغنى في « الرحمة » - هو علي مازوي عن التابعين، حيث قالوا « الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين: رقة وتعطف ». وهذه الطريقة أظهر وأبين، وأشبه بنظر السلف، من نظر من تخطب في تفسير ذلك زاعماً أننا لوصف لا يختلف معانيه باختلاف الموصوفين، وذلك أن فاعل ذلك لم يتصور أنه قد يكون بين مبدأ المعنى ومنتهأه بون بعيد .

فإن قولنا « العالم » وإن كان موضوعاً للمدح، فإن مبدأ، أن يتخصص الموصوف به بمعلومات ما يخرج بها عن حد الجهالة، ووسطه: أن يحصل له معلومات كثيرة تفوق بها أكثر العلماء، وغايته: أن يحيط بجميع المعلومات بحيث لا يخفى عليه شيء، ولا يدركه سهو ولا غفلة ولا نسيان، ومعلوم أن المبدأ يصح لأكثر الخلائق، ووسطه ليس إلا للخصائص، من الأنبياء والحكماء، وغايته: ليس إلا لله تعالى: وذلك ظاهر ﴿أَوَلَمْ يَلْمِزْ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٤) فأما لفظة ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فليس يُطلق إلا لله كلفظه الله، فإنهما اسمان اختص بهما الباري جل وعز باتفاق، ولأجل ذلك قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٥)، فالرحمن هو الذي كثرت رحمته وتكررت ووسعت كل شيء، ولذلك فُسِّرَ^(٦) بأنه الذي يكون منه تعطفٌ بعد تعطف وتفضل. وأما ﴿الرَّحِيمُ﴾، فقد

١- في (أ-ص) نقض وهو تصحيف .

٢، ٣- في (ط - س) الإيمان وهو تصحيف .

٤- اقتباس من الآية (٣٧) سورة (ق).

٥ - سورة الإسراء: الآية (١١٠).

٦- في (١ - ص) فسرت .

يُوصَفُ به غيره إذا كان معناه: الذي كثرت رحمته، وعلى ذلك: "نديم" و"ندمان"، فإن "النديم": هو الذي كثرت مناديمته. (١) و"الندمان": هو الذي مع كثرة ذلك منه تكررت عنه، ولذلك قال أهل اللغة: "ندمان" أبلغ من "نديم"، ولفظهما يدل على ذلك، فإن العرب إذا أرادوا زيادة معنى زادوا في اللفظ في الأمر العام، كأنما يحاكي باللفظ المعنى، نحو "قَطَعَ" و"قَطْعٌ"، و"كَبَّرَ" و"كُبَّارٌ"، و"احمرُّ" و"احمرارٌ"، وذلك فصلٌ قد أُحْكِمَ في غير هذا الموضع، (٢) فإن قيل: ما الفائدة في الجمع بينهما مع أن "الرحمن" يقتضي معنى "الرحيم" إذ هو أبلغ منه؟ قيل: إنه تعالى لما خلق الدارين وكان في دار الدنيا منعماً على المؤمن والكافر، واختص رحمته بالمؤمنين في الآخرة - ولذلك قيل: رحمن الدنيا، ورحيم الآخرة، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٣) جمع بين الوصفين، وأما ذكر "الرحيم" بعد "الرحمن" فذكر خصوص بعد عموم.

وروى عن عطاء أنه قال: كأن الله اختص بالرحمن، فلما تسمى بذلك بعض الكفار قال: "الرحمن الرحيم": إذ كان (٤) الاسمان معاً لم يوصف غير الله به بوجه، وقدم ذكر "الله" إذ هو أخص الأسماء، و"الرحم" و"الرحمة" مشتق بعضها من بعض، وقد دل على ذلك قوله عليه السلام: (لما خلق الله الرَّحْمَ، (٥) قال: انا الرحمن، وانت الرَّحْم، شققت لك اسماً من اسمي، فوعزتي وجلالي لأصلن من واصلك، ولأقطعن من قطعك) (٦).

ومعنى ذلك أن الله تعالى لما جعل بين نفسه وبين عباده سبباً، فهو كما أنه كتب على نفسه الرحمة لعباده، وأوجب عليهم في مقابلتها شكر نعمته لما كان هو السبب الأول في وجودهم وخلق قواهم وقدرهم وسائر خيراتهم، كذا أيضاً (جعل) (٧) بين ذوي اللُّحْمَةِ بعضهم مع بعض سبباً أوجب به على الأعلى التوقر على الأدنى، وعلى الأدنى توقير الأعلى، فصار بين «الرحم» و«الرحمة» والرحمة مناسبة معنوية، كما أن بينهما نسبة لفظية، ولهذا عَظَّمَ شكر الوالدين، فقرنه بشكره في قوله تعالى: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (٨) تنبيهاً أنهما السبب الأخير في وجود الولد، كما أن الله تعالى (٩) السبب الأول في وجود كل موجود.

١- في (أ - ح) مقاومته وهو تحريف .

٢- هنا يشير إلى كتاب الراغب الأصفهاني يدور حول تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من فروق غامضة ، وقد ذكره في مقدمة كتاب المفردات ، ص. ٥٥

٣- سورة الأحزاب : الآية (٤٣).

٤- في (أ - ح) إذا كان .

٥- في (أ-ح) الرحيم وهو تصحيف .

٦ - الحديث في سنن أبي داود تحت رقم: ١٩٦٤ - بلفظ: حدثنا مسدد وأبو بكر بن شيبة قالوا: ثنا سفيان عن الزهري عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: "سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله: أنا الله، وأنا الرحمن خلقت الرَّحْمَ، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته). وورد في جامع الأصول - ج: ٦ - ص: ٤٨٦، وأخرجه الترمذي ،

وأورده القرطبي في تفسيره - ج : ١ - ص، ١٥١

٧- زيادة يقتضيهما الكلام.

٨- سورة لقمان : الآية (١٤).

٩- في (ط - س) أنه تعالى .

﴿سورة الفاتحة﴾

قوله عز وجل : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية (٢) سورة الفاتحة .

الحمد: هو الثناء بالفضيلة، والشكر: مقابلة النعمة قولاً وعملاً، ولما كانت النعمة لا تخرج من كونها فضيلة، صار الحمد منطوياً على معنى الشكر، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكراً، ولكون الحمد أعم قال ابن عباس^(١) - رضى الله تعالى عنهما^(٢): "الحمد هو الشكر لله والاستخذاء والإقرار بنعمه"، وقال عليه السلام "الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ، وَمَا شَكَرَ اللَّهُ عَبْدٌ لَمْ يَحْمَدْ"^(٣)، ولذلك قيل: الحمد لله شكراً^(٤) ولم يقل: شكرت الله حمداً^(٥)، ولكون الشكر بالفعل كما يكون بالقول، قيل: دابة شكور، إذا ظهر سمنها بأدنى علف لها^(٦)، وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾^(٧).

وأما الفرق بين "الحمد والمدح": فالحمد أخص، إذ لا يستحق إلا بالفعل الاختياري، والمدح قد يستحق بما يكون من قبل الله تعالى، يقال: فلان ممدوح على جوده ومحمود وممدوح على حسنه، ولا يقال محمود. والمدح: أكثر ما يُقال إنما يقال في الأشياء النافعة التي لم تبلغ الغاية^(٨)، كالثروة، والجلادة، والجود. والحمد يقال في ذلك، وفيما فوقه، فيقال: الجود محمود. والله تعالى محمود. وقل ما يقال: الله ممدوح^(٩).

ودخول الألف واللام في "الحمد" للجنس، تنبيهاً أن الحمد كله في الحقيقة لا يستحق سواء، وإن كل حمد لغيره فهو عارية له. والله تعالى هو المستحق له في الحقيقة، إذ هو سبب كل نعمة وخير، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(١٠)، إن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: الْحَمْدُ لِي؟ قيل: لأن ذلك تعليم منه لعباده، كأنه قال:

قولوا: بسم الله، الحمد لله، بدلالة قوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾^(١١)

١ - قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: "الحمد" هو الشكر والاستخذاء لله، والإقرار بنعمه وهديته وأبدائه وغير ذلك. ج: ١-ص ١١.

٢ - ساقطة من (و - ج) ، (ط - س) .

٣ - قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج عبد الرزاق في "المصنف" والحكيم الترمذي في "نوارد الأصول" والخطابي في "الغريب" والبيهقي في "الأدب" والديلمي في "مسند الفريوس" والثعلبي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ: "الحمد رأس الشكر فما شكر الله عبد لم يحمده-ج: ١-ص ١١.

٤ - في (ط - س) أحمد الله شكراً .

٥ - في (أ - ص) شكر الله حمداً .

٦ - في (و - ج) ، (أ - ص) ظهر سمنه بأدنى علف له، وهو تصحيف .

٧ - سورة سبأ: الآية (١٣).

٨ - في (أ - ص) ولم يبلغ .

٩ - انظر مادة / حمد في المفردات للراغب- ص ١٣٠.

١٠ - سورة النحل: الآية (٥٣).

١١ - سورة النمل: الآية (٥٩).

وقيل: إن ذلك كقول الرجل لابنه: الْحَمْدُ فِي كَذَا لَأَبِيكَ. فيأتى بلفظ الغائب ليَكُونُ أَبْلَغَ. وقيل: إنَّ قُلَّ غير مُقَدَّرٍ في هذا المَوْضِعِ، لأنَّ اللهَ حَمِدَ نَفْسَهُ لِيُقْتَدَى بِهِ، في حمده، بدلالة ما روي عن النبي ﷺ: «ليس شئ أحب إليَّ من الحمد، أثنى على نفسه فقال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" (١)، ولأنَّ أَرْفَعَ حَمْدٍ ما كان من أرفع حامد وأعرفهم بالمحمود وأقدرهم على إيفاء حقه في الحمد، وما حامد أرفع منه وأعرف بذاته وأقدر على حمده منه تعالى، كما لا محمود أرفع منه وأعلى، وقال بعضهم: كل ثناء أثنى الله على نفسه، فهو في الحقيقة إظهاره بفعله. فحمده لنفسه: هو بثُ الأثنه، وإظهار نعمائه بمحركات أفعاله المقتضية لحمده. فكان قوله: "الحمد لله" - تقديره: الحمد لله ظاهرُ بالآثنه، وعلى ذلك قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (٢)، فإن شهادته لنفسه إيجاده الأشياء دالَّةٌ على وحدانيته ناطقة بالشهادة له، وعلى هذا قال ذو النون: لما شهد (٣) الله لنفسه، أنطق كل شئ بشهادته:

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ شَاهِدٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ (٤)

وعلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (٥)، وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦) إن قيل:

استحسن حمده لنفسه وقد علم في الشاهد استقباح حمد الإنسان نفسه حتى قيل لحكيم:

ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه؟ قيل: إنما قُبِحَ ذلك من الإنسان، لأنه ما من أحدٍ إلا والنقص فيه ظاهر، ولو لم يكن إلا في كون أثر الصنعة عليه وحاجته إلى الكمال، ومن خفى عليه نقصه، فقد خدع عنه عقله.

ثم مدح الإنسان نفسه ليس بقبیح (٧) على الإطلاق، فإن ذلك مُستحسن عند تنبيه المخاطب على ما خفى عليه من حال المخاطب، كقول عالمٍ يحث المتعلم على الأخذ عنه: اسمع مني فإنك لا تجد فيه مثلي (٨). وعلى ذلك قول يوسف - عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٩).

١ - قال السيوطي في الدر المنثور:

«وأخرج ابن جرير عن الأسود بن سريع أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: "ليس شئ أحب إليَّ من الحمد، ولذلك أثنى على

نفسه فقال: "الحمد لله". - ج: ١ - ص ١٢.

٢ - سورة آل عمران : الآية (١٨).

٣ - ساقط من : (ط-س)، (أ-ص).

٤ - البيت لأبي العتاهية ، وهو في ديوانه ص ٦٢ وفي الزهرة ج : ٢ - ص ٥٠٢ ، وفي البصائر ج : ٣ - ص ٢٥٢ ، وفي نظم الدرر

ج : ٤ - ص ٢٨٩ به ونسبه وهو في مفردات الراغب - ص ٤٦٦ :

وفي كل شئ له آية تدل على أنه واحد.

٥ - سورة الإسراء : الآية (٤٤).

٦ - سورة الحشر : الآية (٢٤).

٧ - في (أ - ص) بقبیح .

٨ - في (أ - ص) لا تجد مثلي .

٩ - سورة يوسف : الآية (٥٥).

إن قيل : "الحمد لله" خبرٌ. ويقتضى مخبراً. فما الفائدة في إيرادها في الخلوات؟ قيل: أما في القرآن، فلمَّا ندب الله تعالى إلى تلاوته. وأما في غيره، فلئلا ينفك من حمده في شئ من الأحوال، كما لا ينفك من نعمه اعترافاً له بها، فكأنه هو المخبر.

قوله عز وجل:

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية: (٢) سورة الفاتحة

الرب- في الأصل- التربية: يقال: رَبَّه ورَبَّاهُ، فسُمِّي الرَّابُّ رباً لزيادة معنى تُصَوِّرُ منه، [لرحمته] ^(١) ومنه قيل:

«لأنَّ يَرْبِيَّ رجلٌ من قريش أحبُّ إليَّ من أن يَرْبِيَّي رجلٌ من هوازن» ^(٢) فـ "رب العالمين": هو المتكفل بمصلحتهم، ولا يقال: "الرب"-مطلقاً بالألف واللام- إلا لله تعالى. وتسميتهم إياه بذلك للنظر إلى آلائه. قال بعض المحققين- في الفرق بين قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ^(٣) وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ^(٤) قال: حيث خاطب الناس كافة حثهم على اتقائه برؤية آلائه، لاشتراكهم كلهم في معرفتها وتصورهم إياها. وحيث خاطب المؤمنين حثهم على اتقائه بلا واسطة. و"العالم": اسم للفلك وما يحويه، وجميع ما فيه من الجواهر والأعراض. وهو في الأصل: اسم لما يَعْلَمُ به. و"فاعل": كثيراً ما يجيء في اسم الآلة التي يفعل بها الشئ كـ"الطابع" و"الخاتم" و"القالب". فجُعِلَ بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة في الدلالة وعلى صانعه ^(٥). وأما جمعه، فقد قيل لأن لله تعالى بضعة عشرين عالماً. ولما كان في جملتها الناسُ جمع جمعهم إذ من شأن الإنسان- إذا شارك غيره في اللفظ- أن يكون الحكم في اللفظ له. وقيل : لأنه عنى به أصناف الخلائق من الملائكة والجن والإنس دون غيرها- وإليه ذهب ابن عباس ومجاهد -[رضي الله عنهما] ^(٦)، وقيل: عنى به الناس وجعل كل واحد منهم عالماً- قال ذلك جعفر بن محمد، قال: العالمُ عالِمَان، عالمٌ كبيرٌ، وهو الفلك بما فيه، وعالمٌ صغير، وهو الإنسان.

١- ساقطة من (ط-س).

٢- هذا من حديث صفوان بن أمية لأبي سفيان يوم حنين قالها لما انهزم الناس أول المعركة من المسلمين . وقد أورده الراغب في المفردات - ص ٣٣٦ ، وهو في الروض الأنف - ج : ٤ - ص ١٢٤ ، وفي النهاية في غريب الحديث - لابن الأثير - ج : ٢ - ص ١٨٠

٣- سورة النساء: الآية (١) ، وسورة الحج : الآية (١) ، ولقمان : الآية (٣٣).

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٧٨) ، وسورة المائدة : الآية (٣٥) ، وسورة التوبة : الآية (١١٩) ، والأحزاب: الآية (٧٠). وسورة الحشر- الآية (١٨).

٥- قال المؤلف في كتاب "المفردات" بعد هذه الجملة: «ولهذا أحالنا تعالى عليه في معرفة وحدانيته فقال: (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض) - الأعراف : (١٨٥) - مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٨٢.

٦- ساقطة من : (طس).

وقال: سَمَى كُلُّ إِنْسَانٍ عَالَمًا، لأن فيه جواهر العالم الأكبر من الأخلاط الأربعة، ولأن لحمه كالأرض الرخوة، وعظامه كالجبال، ودمه الجاري في العروق كالمياه في الأنهار، ونفسه كالريح، وشعره كالنبات. وفيه من الْمَلَك: العقل، ومن البهائم: الشهوة، ومن النبات: النمو والتغذي. قال: فصار عالماً يُعلم به وحدانيته صانعه كما يُعَلَّمُ بالعالم الكبير. ولذلك قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١)، وقال عليه السلام: «أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه»^(٢)، وقيل-

فيما أنزل الله في السفر الأول: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"^(٣)، وإلى نحو ذلك أشار بقوله عز وجل:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ﴾^(٤) تنبيهاً أنهم لو تفكروا في أنفسهم لما خفى معرفته

عليهم. وقال المفضل بن سلمة العرب تقول: "العالمين" - بالياء - في موضع النصب والرفع والجر، إلا قوماً من كنانة يقولون: "اللدون" قال: ويدل على ذلك أن "فاعل" لم يجمع السلامة قال: وعلى ذلك "الأقورين"^(٥) و"الفتكرين"^(٦) و"البرجين"^(٧)، وذكر أن من قال: العالمون، فقد وقع عليه السهو حيث لم يجد ذلك في موضع الرفع، كما وجد الذين في موضع رفع، وذكر المبرد أن هذا سهو من قائله، لأنه رأى ذلك في القرآن إما خفضاً أو نصباً.

قوله - عز وجل - ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الآية: (٤) سورة الفاتحة.

قيل: الملك الذي يملك الأمر والنهي في الجمهور، وإنما شرط الجمهور لأن كل إنسان يملك ذلك

في نفسه وما يختص به، ثم يقال له: ملك، وهذا إنما قاله بالنظر العامي وأما بالنظر الخاصي، فهو

١ - سورة الذاريات : الآية (٢١).

٢ - ورد في كشف الخفاء ومزيل الإلباس: وقال النجم: قلت: وقع في "أدب الدين والدنيا" للماوردي: عن عائشة سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - من أعرف الناس بربه؟ قال: أعرفهم بنفسه: كشف الخفاء - ج: ٢ - ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

٣ - ورد في كشف الخفاء ومزيل الإلباس قول ابن تيمية في هذا الأثر: موضوع. وقال النووي قبله: ليس بثابت. ج: ٢ - ص ٣٤٣.

٤ - سورة الحشر : الآية (١٩).

٥ - قال صاحب القاموس الوسيط: "الأقورين" - بكسر الراء - والأقوريات أي: "الدواهي". وفي المعجم الوسيط: الأقورين: الدواهي العظام.

٦ - قال صاحب القاموس المحيط: الفتكرين بتثنيث الفاء وفتح القاء وبكسر الفاء وسكون التاء وفتح الكاف: الداهية، أو الأمر العجيب العظيم.

٧ - جاءت هذه الكلمة في الأصل، والظاهر أنها تصحيف لكلمة أخرى. ولم أعثر لها على معنى في "القاموس المحيط" أو "المعجم الوسيط".

فى الحقيقة اسم لمن يملك السياسة من نفسه أو منها أو من غيرها^(١)، ومالك ذلك من نفسه أجل ملكٍ وأكبر سلطان ولذلك قيل لحكيم: ما الملك الأعظم؟ فقال: أن يغلب الإنسان شهواته، بل لهذا قال عليه السلام لمن سألته أى الأعمال أشد؟ فقال: «جِهَادُكَ هَوَاكَ»^(٢)، وقال: «وَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْفَرَ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ»^(٣)، وحجة من قرأ ملك قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(٤) وقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٥) والملك: مصدر "الملك" لا "المالك".

وأما "المالك": فهو الضابط للشيء المتصرف فيه بالحكم، ومنه "ملكْتُ العجين". والوكيل: وإن كان ضابطاً للشيء متصرفاً فيه— فإنه لا يقال له: "مالك" لما كانت يده يد غيره، ويقال للصبي والمعتوه: "مالك"، لما كان ذلك لهما حكماً وإن لم يكن لهما فعلاً.

وحجة قارئه قوله— عز وجل— ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾^(٦)، فجعل الملك مملوكاً. وقال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٧)، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾^(٨)، فإن قيل: أيهما أبلغ؟ قيل: قال بعضهم: "مالك" أبلغ، لأنه يقال: مالك الدراهم والحيوانات والريح، ولا يقال ملكها. وقيل: "الملك" أبلغ، لأنه لا يكون إلا مع تعظيم. وهما مختلفان فى الحقيقة، فإن المَلِك: هو المتصرف بالأمر والنهي فى المأمورين. والمالك: هو المتصرف فى الأعيان المملوكة على أى وجه كان. فإن قيل: على أى وجه أضيف إلى اليوم؟ قيل: أما "ملك"، فعلى حد: ياسارق الليلة أهل الدار. فى أنه اتسع للظرف، فجعله مفعولاً به، وأما "مالك" فمضاف إلى المفعول به. لأنه تعالى هو موجه وضابطه. وإذا أضيف إلى "الوقت" غير الله تعالى فيقال: فلان مالك يوم كذا. فإنما هو على تجويز إذ كان حقيقة اليوم والوقت ليس بملك لغيره. وأما اختصاص ذلك اليوم مع كونه فى الحقيقة مالكا لجميع الأشياء، وفى جميع الأزمنة— لأمرين: أحدهما: أنه قد ملك فى الدنيا قوماً أشياء يبطل عنها ملكهم لها يوم القيامة، ولذلك قال: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(٩)، وقال: ﴿ثَرَتْ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾^(١٠)، وقال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(١١).

١- فى (ط - س) أو فى غيرها .

٢، ٣- ورد فى : كشف الخفاء قول الحافظ بن حجر فى تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن أبى عتبة انتهى- وأقول: الحديث فى الأحياء، قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب فى تاريخه عن جابر بلفظ: «قدم النبى- صلى الله عليه وسلم- من غزاة، فقال عليه الصلاة والسلام: قدتمتم من خير مقدم وقد رجعت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه، والمشهور على الألسنة : رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر - دون باقى الحديث فففيه اقتصار مقدم جامع التفاسير ص ١٢٣.

٤ - سورة غافر : الآية (١٦).

٥ - سورة الحج : الآية (٥٦).

٦ - سورة آل عمران : الآية (٢٦).

٧، ٨ - سورة الانفطار : الآية (١٩).

٩ - سورة غافر : الآية (١٦).

١٠ - سورة مريم : الآية (٤٠).

١١ - سورة الانفطار : الآية (١٩).

والثاني على وجه التعظيم، لأنهم يجعلون ما يستعظمونه ملكاً له نحو: بيت الله وناقاة الله وتعظيم إياه على وجه أن اليوم الآخر لا انتقضاء له ولا فناء، وجميع ما فى الدنيا فإن، وقد علم أن الباقي أشرف من الفاني، فأما الدين فالجزاء، كقوله: ﴿وَأَنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾^(١)، وقيل: الدين عبارة عن الشريعة كقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢)، ومعناه يوم جزاء الدين، ومثل: الدين الطاعة، أى يوم جزاء الطاعة وخص الطاعة وإن كانت المجازاة عنها وعن المعصية لأمرين أحدهما إن كل أحد بطبعه فى ذلك اليوم ولذلك قال: ﴿إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٣) والثاني: أن الطاعة هى المقصودة بالجزاء ولأجلها خلقنا وعلى ذلك دل قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤)، وقرئ "مالك" -بالنصب- فقليل: هو نداء^(٥) - فعلى هذا يقع فى اللفظ عدول عن الخبر إلى الخطاب به. وقيل: نصبه على المدح والعدول عن الخير إلى الخطاب حينئذ، يكون فى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الآية (٥) - سورة الفاتحة.

قال بعض النحويين^(٦): "إياك" كله اسم واحد.

وقال بعضهم: "الكاف"^(٧) هو الاسم. و"إيا": وصلته له، وهذان لا تنافي بينهما فى الحقيقة، لأن ذلك بنظرين مختلفين، وذاك أن الضمير المتصل إذا قُدِّمَ أو قُصِّلَ بينه وبين المتصل به لا يَحْسُنُ النطق به مفرداً، فضم إليه: "إيا" ليصير بذلك كلاماً مستقلاً. فمن قال: الضمير هو الكاف، فإنما اعتبر بذلك بعد انضمام "إيا" إلى الضمير، والعرب كما أنهم يتحرون بالحروف المركبة إفادة المعنى، فقد يأتون ببعضها تهذيباً للفظ وتحسيناً له، بدلالة إدخالهم الحروف بين الحرفين المتنافرين فى

١ - سورة الذاريات : الآية (٦).

٢ - سورة آل عمران : الآية (١٩).

٣ - سورة مريم : الآية (٩٣).

٤ - سورة الذاريات : الآية (٥٦).

٥ - قال مكي بن أبى طالب فى كتاب: "الإبانة": قرأ أبو صالح: "مالك يوم الدين" بآلف والنصب على النداء. وكذلك قرأ محمد بن السميع، وهى قراءة حسنة، وقرأ شريح بن يزيد الحضرمي أبو حيوة "مَلِكُ يوم الدين" بالنصب على النداء من غير ألف... الإبانة- ص ٩٠، ٩١.

٦ - هو قول الكوفيين كما ذكره مكي بن أبى طالب فى كتاب: "مشكل إعراب القرآن" -ج: ١- ص ١١.

٧ - قال مكي بن أبى طالب فى مشكل إعراب القرآن: «وحكى ابن كيسان أن الكاف هو الإسم، و"إيا" أتت بها لتعتمد الكاف عليها، إذ لا تقوم بنفسها.. ج: ١- ص ١٠.

التركيب، لئلا يَقْبَحَ التفوهُ بهما. وذلك قد أُشِيعَ الكلام فيه في غير هذا الكتاب^(١). "ف إيا": جُعِلَ وصلةً لتحسين اللفظ بالضمير إذا قُدِّمَ لما لم يَحْسُنْ أن يقال: ك ألزمت. وهُ ضُرِبَتْ كما أُتَوِيَ "ذى" لما أرادوا للوصف باسم الجنس في نحو قولهم: "مردت برجل ذى مال". وأتى بـ "الذى" لما أُريدَ أن تُوصَفَ بالمعرفة بالجمل. وعلى ذلك أتى "مثل" مع "الكاف" في نحو "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" لما لم يحسن إدخال الكاف على الضمير، فيقال: كَكَ، وكَهُ، والعبادة: التذلل. ومنه: طريق مُعَبَّد. وفي المتعارف. الاشتغال بالخدمة. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾^(٢).

والعبد على ضربين: عبد بالإيجاد والتسخير: وذلك يُطلق على كل أحد، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٣) وعبدٌ على طريق التخصيص وذلك قوله: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٤) واستثناهم إبليس بقوله ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٥) وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(٦). فعلى الثاني: يصح أن يقال: فلان ليس عبداً، وعلى هذا قيل: فلان عبد الهوى، وعبد الشهوة، وعبد الطاغوت، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾^(٧) وعلى ذلك قال عليه السلام: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّيَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدَّرْهَمِ»^(٨)، والاستعانة: طلب المعونة، وهى ضربان: ضروري في الأمر وغير ضروري: فالضروري: ما لا يتم إيجاد الفعل من دونه، وبوجوده يوصف الإنسان بالاستطاعة للفعل. وبعدمه يوصف بالعجز عنه، وهى بالقول المجمل أربعة: بنية صحيحة للفاعل وتصوره للفعل، وتأتي مادة له، وآلة يعمل بها، وذلك متصور في الكاتب، فإنه يحتاج إلى بنية صحيحة، وهى العضو: وإلى تصور لها وهو: المعرفة. وإلى آلات كالدواة والقلم. وإلى مادة توجد الفعل فيها، وهو الكاغد. وغير ضروري: وهو ما يصح إيجاد الفعل من دونه، لكن ربما يكون فيه الصعوبة، كمن يقصد مكاناً بعيداً فيعيّره صديق له مركوباً، فيُسَهِّلُ عليه طريقه. فغير الضروري لا يمكن حصره، ويصح التكليف من دون وجوده، وهو المعبر عنه بالتوفيق والتسهيل، وتسميه العامة: سَعَادَةُ الْجَدِّ، وجودة الْبَخْتِ. وفي تيسيره ودفع ضده يستعمل في كثير من

١ - لعل في هذا إشارة من الراغب إلى كتابه (تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد) الذي سبقت الإشارة إليه من قبل.

٢ - سورة البقرة: الآية (١٣٣).

٣ - سورة مريم: الآية (٩٣).

٤ - سورة الحجر: الآية (٤٢).

٥ - سورة الحجر: الآية (٤٠).

٦ - سورة الفرقان: الآية (٦٣).

٧ - سورة البقرة: الآية (٢٥٦).

٨ - الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد: باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

الأدعية. فإذا ثبتت هذه الجملة، فالاستعانة بالله: طلب الأمرين، فيحصل الضروريات من المعاون يتوصل إلى اكتساب الثواب، وبحصول غير الضروريات منها يتسهل علينا السلوك إليها. إن قيل: كيف قال: "إياك نعبد" ولو قال: "نعبدك" كان أوجز منه لفظاً؟ قيل: إن عادتهم أن يقدموا من الفاعل والمفعول ما القصد الأول إليه، والاهتمام متوجه نحوه، وإن كان في ذكر الجملة القصدان جميعاً. تقول: بالأمير استخف الجند- إذا كان القصد الأول ذكر من وقع به استخفاف الجند- والامير أستخف بالجند- إذا كان القصد الأول إلى من أقدم على الاستخفاف بهم.

ولما كان القصد الأول- في هذا الموضع - ذكر المعبود دون الإخبار عن إتخاذ^(١) عبادتهم، كان تقديم ذكره أولى. وعلى هذا قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾^(٢) وأيضاً، ففي ذكر المفعول إشارة إلى إثبات الحكم المذكور ونفيه عن غيره تقول: إليك أفزع تنبيهاً أنى لا أفزع إلا إليك، وإذا قال: أفزع إليك، فليس فيه هذا المعنى وعلى هذا فسر ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما فقال: معناه: لا نوجد غيرك وقال بعضهم: إنما نبه تعالى بتقديم ذكر أن تكون نظر العباد من المعبود إلى عبادتهم له لا من العبادة إلى المعبود، وعلى ذلك فضل ما حكى الله عن نبينا- عليه السلام- إذ قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣)، فنظر من الله تعالى إلى نفسه على ما حكى عن موسى عليه السلام حين قال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾^(٤)، فقدم ذكر نفسه، ونظر منها إلى ربه إن قيل: لم كرر إياك؟ قيل لأنه لو قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لكان يصح أن يعتقد أن الاستعانة بغيره، وكان إعادته أبلغ. إن قيل: لم قدم العبادة على الاستعانة، وحق الاستعانة أن تكون مقدمة، إذ لا سبيل إلى عبادته إلا بمعاونته؟ قيل: قد قالوا: هو على التقديم والتأخير. وقيل: الواو لا تقتضي الترتيب. والوجه- في ذلك- أن الله تعالى علم خلقه بذلك أن يقدموا حقه ثم يسألوه ليكونوا مستحقين للإجابة، ويجوز أن يكون قوله: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ): في موضع الحال، نحو قول الشاعر:

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يُشَيِّمُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سَلَّتِ^(٥)

١ - في (و - ج) ، (ط - س) إيجاد .

٢ - سورة الزمر : الآية (٦٤).

٣ - سورة التوبة : الآية (٤٠).

٤ - سورة الشعراء : الآية (٦٢).

٥ - البيت للغزدق- وهو في ديوانه- ص ١٣٩، ومعنى: (لم يُشَيِّمُوا): لم يُغْمِدُوا.

فقوله: "ولم يكثر القتلى بها" في موضع الحال.

قوله عز وجل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: الآية (٦) - سورة الفاتحة.

الهداية: دلالة بلطف، ومنه الهدية، وهوادى الوحش متقدماتها، لكونها هادية لسائرهما، وخص ما كان دلالة بفعلت نحو: هديته الطريق، وما كان من الإعطاء ب "أَفْعَلْتُ" نحو: أهديت الهدية، وأهديت إلى البيت، ولما تصور العروس على وجهين، قيل فيه: هديت وأهديت، فإن قيل: كيف جعلت الهدى دلالة بلطف، وقد قال الله تعالى، ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢)؟ قيل: إن ذلك على حسب استعمالهم اللفظ على التهكم كما قال:

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَّغَتْ لَهُ بِحَيْلٍ
تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٣).

والهداية: هى الإرشاد إلى الخيرات قولاً وفعلًا، وهى من الله تعالى على منازل بعضها يترتب على بعض، لا يصح حصول الثاني إلا بعد الأول، ولا الثالث إلا بعد الثاني: فأول المنازل: إعطاؤه العبد القوى التى بها يهتدي إلى مصالحه: إما تسخيرًا، وإما طوعًا، كالمشاعر الخمسة، والقوى الفكرية، وبعض ذلك قد أعطاه الحيوانات، وبعضه خُصَّ به الإنسان.

وعلى ذلك دل قوله تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(٥)، وهذه الهداية إما تسخير واما تعليم، وإلى نحوه أشار بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾^(٧)، وقال فى الإنسان بما أعطاه من العقل وعرفه من

١ - سورة الصافات : الآية (٢٢).

٢ - سورة الحج : الآية (٤).

٣ - البيت لعمرو بن معد يكرب كما جاء فى كتاب سيبويه - ج: ١ - ص ٣٦٦ ، ٤٢٩ ، وقال فيه الشنتمري:

الشاهد فيه جعل الضرب تحية على الاتساع... يقول: إذا تلاقوا فى الحرب جعلوا بدلاً من تحية بعضهم البعض الضرب الوجيع، ومعنى: دلفت: زحفت: مشيت رويداً وقاربت الخطى ، يقال: دلف الشيخ، ودلف الحامل بحمله وإليه. أقلل عليه. انظر: المعجم الوسيط- نواذر أبي زيد، ص ١٥٠- الخصائص- ج: ١- ص ٣٦٨. وهو فى المقتضب. ج: ٢ ص ٢٠ ، ج: ٤ - ص ٤١٢ وفى المفصل لابن يعيش - ج: ٢- ص ٨٠ ، وخزانة الأدب - ج: ٤ - ص ٥٢ ، ومعاني القرآن - ج: ١ - ص ١٢٧ ، والممتع - ص ٢٦٠ ، والخصائص - ج: ١- ص ٣٦٨ وديوان الشاعر - ص ١٤٩ ، وتفسير الطبري ج ١- ص ٣١٠ ، وأورده الراغب فى المفردات ص ١٢٦ . ص ٨٣٥ .

٤ - سورة طه : الآية (٥٠).

٥ - سورة الاعلى : الآية (٣).

٦ - سورة النحل : الآية (٦٨).

٧ - سورة الزلزلة : الآية (٥).

الرشد: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾^(١) وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٢)، وقال في ثمود: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَأَسْتَحْبُوا
الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(٣) وثانيها: الهداية بالدعاء وبعثة الأنبياء عليهم السلام وإياها عنى بقوله تعالى
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٤) وبقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٥) وهذه الهداية تنسب تارة^(٦) إلى الله
- عز وجل - وتارة إلى النبي - عليه السلام - وتارة إلى القرآن قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْأَمْرِ
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٧) وثالثها: هداية يوليها صالحى عباده بما اكتسبوه من الخيرات، وهى الهداية المذكورة
فى قوله - عز وجل - ﴿وَهْدُوا إِلَى الطِّيبِ مِنَ الْقُرَى وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾^(٨)، وقوله: ﴿أَوَلَيْكَ
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٩)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءَهُدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١٠)، وهذه الهداية
هى المعنية بقوله: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾^(١١)، ويصح أن ننسب هذه الهداية إلى الله - عز
وجل - فيقال: هو أثرهم بها من حيث أنه هو السبب فى وصولهم إليها، ويصح أن يقال: اكتسبوها من
حيث إنهم توصلوا إليها باجتهادهم، فمن قصد سلطاناً مسترفداً فأعطاه، يصح أن يقال إن السلطان
خوله، ويصح أن يقال: «فلان اكتسبه بسعيه»، ولا نطواء ذلك على الأمرين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا
زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(١٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِرِجَالِهِمْ﴾^(١٣)، فنبه أن ذلك بجهدهم وبفضله جميعاً، وهذه الهداية يصح أن يقال هى مباحة للعقلاء
كلهم، ويصح أن يقال: هى مباحة للعقلاء كلهم، ويصح أن يقال هى محظورة إلا على أوليائه لما كان
فى إمكان جميع العقلاء أن يترشحوا لتناولها ومن قبل أنها لا يسهل تناولها قبل أن يتشكل الإنسان
بشكل مخصوص بتقديم عبادات، وقد قال بعض المحققين: الهدى من الله كثير، ولا يبصره إلا البصير
ولا يعمل به إلا اليسير، ألا ترى إلى نجوم السماء ما أكثرها، ولا يهتدي بها إلا العلماء. وقال بعض

١ - سورة الإنسان : الآية (٣).

٢ - سورة البلد : الآية (١٠).

٣ - سورة فصلت : الآية (١٧).

٤ - سورة الأنبياء : الآية (٧٣).

٥ - سورة الرعد : الآية (٧).

٦ - فى (أ - ص) ينتسب .

٧ - سورة الإسراء : الآية (٩).

٨ - سورة الحج : الآية (٢٤).

٩ - سورة الأنعام : الآية (٩٠).

١٠ - سورة العنكبوت : الآية (٦٩).

١١ - سورة الحديد : الآية (٢٨).

١٢ - سورة محمد : الآية (١٧).

١٣ - سورة يونس : الآية (٩).

الأولياء: إن مثل هداية الله مع الناس كممثل سيل مرّ على قلاّتٍ وغدّاير، فيتناول كل قلثٍ منها بقدر سعته، ثم قال قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(١)، وقال بعضهم: هي كمطر أتى على أرضين، فتنفع^(٢) كل أرض بقدر ترشيحها للانتفاع به، والمنزلة الرابعة من الهداية، التمكين من مجاورته في دار الخلد وإياها عنى الله تعالى: بقوله: ﴿وَوَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلَرٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا﴾^(٣) فإذا ثبت ذلك فمن الهداية ما لا ينفى عن أحد بوجه، ومنها ما ينفى عن بعض ويثبت لبعض، ومن هذا الوجه قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٤)، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾^(٦)، فإنه عنى الهداية التي هي التوفيق وإدخال الجنة دون التي هي الدعاء، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَهْدِي مَنْ أَرَادَ الْبَاطِلَ﴾^(٧)، وقال في الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٨)، فقوله: (إهدنا الصراط المستقيم) فُسِّرَ على وجوه بحسب أنظار مختلفة إلى الوجوه المذكورة: الأول: أنه عنى الهداية العامة، وأمر أن ندعو بذلك، وإن كان هو قد فعله لا محالة، ليزيدنا ثواباً بالدعاء، كما أمرنا أن نقول: «اللهم صل على محمد». الثاني: قيل: وقُفْنَا لطريقة الشرع. الثالث: احْرُسْنَا عن استغواء الغواية واستهواء الشهوات، واعصمنا من الشبهات. الرابع: زدنا هدى واستنجاحاً لما وعدت بقولك: ﴿وَمَنْ يُزِمْنِ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾^(٩)، وقولك: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(١٠)، الخامس: قيل: علّمنا العلم الحقيقي، فذلك سبب الخلاص، وهو المعبر عنه بالنور في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١١)، السادس: قيل سؤال الجنة، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَبِيلَهُمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾^(١٢).

١ - سورة الرعد : الآية (١٧).

٢ - في (١ - ص) فينتفع .

٣ - سورة الأعراف : الآية (٤٣).

٤ - سورة القصص : الآية (٥٦).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢٧٢).

٦ - سورة النمل : الآية (٨١).

٧ - سورة الشورى : الآية (٥٢).

٨ - سورة الأنبياء : الآية (٧٣).

٩ - سورة التغابن : الآية (١١).

١٠ - سورة محمد : الآية (١٧).

١١ - سورة النور : الآية (٣٥).

١٢ - سورة محمد : الآية (٥٠، ٤).

وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾^(١) الآية. فهذه الأقاويل تختلف باختلاف أنظارهم إلى أبعاد الهداية وجزئياتها والجميع يصح أن يكون مراداً بالآية إذ لا تنافى بينها. وبالله التوفيق. وقوله: "الصراط [المستقيم]"^(٢) "يقال: الصراط، والسرط، والزراط"^(٣)، والأصل من: سرطت الطعام، وزردته: إذا ابتلعه، وسمى الطريق بذلك تصوراً أنه إما أن يبتلعه سالكه، أو يبتلع هو سالكه. ذلك ألا ترى أنه قيل: فلان أكلته المفازة - إذا أضمرت أو أهلكته. وأكل المفازة - إذا قطعها - وعلى هذا النحو قال [أبو تمام]^(٤):

رَعَتْهُ الْفَيَافَى بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَامًا وَمَاءُ الرُّوضِ يَنْهَلُ سَاكِبَةً^(٥).

ويقال: قتل أرضاً عالمها. وقتلت أرضٌ جاهلها. وسمى الطريق: "اللَّقْمُ وَالْمَلْتَقِمُ" - على هذا النحو - وذلك في معنى: "الملقوم" كالنقض والرفض في معنى "المنقوض" و"المرفوض". و"المستقيم": القائم بالقسط. قال :

أمير المؤمنين على صراطاً إذا عَوَّجَ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ^(٦).

وذلك قد تصور على وجهين: أحدهما: أنه إشارة إلى أن الطريق المستقيم "واحدة" بإضافتها إلى طرق الضلال واحد، وطرق الضلال كثيرة، وعلى هذا النحو، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٧)، وروى أن النبي ﷺ قال: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وعلى جنبتي الصراط ستورٌ مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول: "ادخلوا الصراط ولا تعوجوا"، ثم قال: "الصراط: الإسلام، والستور المرخاة: محارم الله. وذلك الداعي: «القرآن»»^(٨)، وعلى هذا فسر الآية،

١- سورة يونس : الآية (٩). ٢- ساقطة من (و - ج) ، (١ - ص) .

٣- قرأ جعفر الصادق (صراط مستقيم) بالصاد ، وقرأ ابن كثير وقتيل وابن صحيص (صراط) وقرأ حمزة وخلف (زراط) لاشمام الصاد زايص . انظر إتحاف الفضلاء ص ١٢٣ ، البحر المحيط ج : ١ ص ٢٦ والمحتسب لابن جني ج : ١ ص ٤١ ، والغيث للصفاقسي ص ٦٢ ، ومعجم القراءات القرآنية ج : ١ ص ١٢ - الطبعة الأولى .

٤- ساقطة من : (ط - س) ، (١ ص) .

٥ - البيت لأبي تمام، وهو في ديوانه - ص ١٢٢ من قصيدة له يمدح بها عبد الله بن طاهر بن الحسين، ومطلعها :

من هوادى يوسف وصواحه فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالباً

وقد قال الخطيب التبريزي في شرح البيت:

المعنى أنه قطعت عليه القفار من الأرض فهزل بعدما كان سميناً ، فكانها رعت بعدما رعى نبتها . ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج: ١ - ص ١٢٢ ، وهو في المفردات - ص ٤٠٧

٦- البيت الجديد في ديوانه ص ٤١١ - ط - دار صادر بيروت.

٧- سورة الانعام : الآية (١٥٣).

٨ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث النواس بن سميان، وإسناده صحيح ج: ٤- ص ٣١٨، وأخرجه الحاكم في المستدرک-ج: ٢- ص ٣١٨، وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذی بلفظ قريب منه تحت رقم (٢٨٦٣) في

الأمثال باب رقم (١) وقال : هذا حديث حسن غريب.

فقليل: الصراط المستقيم: القرآن. وقيل: الإسلام، وقيل: سنة النبي ﷺ، وهذا كله إشارة إلى شيء واحد وإن اختلفت^(١) العبارات. والثاني أن طريق النجاة بإضافة بعضها إلى بعض كثيرة، ولكن بعضها أقصد، وبعضها أبعد، وأقصد الطرق الطريق المستقيم الذي هو طريق السابقين دون طريق المقتصدين الظالمين وإن كانا مؤديين إلى النجاة أيضاً، ولكنهما أبعد. ألا ترى أنه قال تعالى: ﴿لَمْ أَوْزَلْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾^(٢) - الآية - فجعل ثلثهم مصطفين^(٣)، ولكون بعض الطرق أقرب من بعض، قال النبي عليه السلام في قوم: (إنهم يدخلون الجنة قبل آخرين بكذا سنة)^(٤).

قوله عز وجل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ : الآية (٧) - سورة الفاتحة.

الإنعام: إيصال الإحسان إلى الغير. والنعمة -يقال فيما يرتضيه العقل وإن كان كرهه المحتمل- والنعمة- قد يقال فيما يستلذه الهوى، وإن كان كرهه العاقبة- هذا هو الحقيقة، وإن كان قد يعد الإنسان بسوء تصوره بعض ما يستلذه هواه نعمة وإن كان وخيم العقبي. ونعمة الله، وإن كانت لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾^(٥) فهي بالقول المجمل ضربان دنيوي وأخروي. فالدنيوي ضربان موهبي ومكتسبي. فالموهبي: ثلاثة: أشرفها: العقل وقواه من الفهم والحفظ والفكر والنطق. ثم البدن^(٦) وقواه من الصحة والقوة والجمال والكمال. ثم ما يكفئه من الخارج كالمال والجاه والأقارب والأصدقاء. وأما المكتسب: فأربعة:

١ - في (و - ج) ، (١ - ص) اختلف .

٢ - سورة فاطر : الآية (٣٢).

٣ - في (ط - س) ثلاثتهم .

٤ - لعله يريد بذلك مثل الروايات التي ذكرها الترمذي في كتاب الزهد، والتي منها: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام). وقد علق عليه الترمذي بقوله: (وهذا الحديث صحيح ج: ٤-ص ٣٦، ٣٧).

٥ - سورة إبراهيم : الآية (٣٤) ، وسورة النحل : الآية (١٨).

٦ - في (١ - ص) البدني وهو تصحيف .

وأما المكتسب فأربعة :

- الحكمة ^(١) والعفة وعنهما يصدر الجود والنجدة وعنهما يصدر الصبر والعدالة. وهي ثلاث : عدالة في نفس الإنسان ، وذلك بأن يجعل هواه تابعاً لعقله ، وعدالة بين العبد وخالقه وذلك في توفية حق العبادات ، وعدالة بين كل إنسان وبين غيره في المعاملات ، وهذه الأربعة ينطوي عليها العبادة المأمور بها في قوله : ﴿ مَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ^(٢) ، وأما الأخروي : فرضاء الخالق ، ومعاشرة الملائكة ، وبقاء الأبد ، والغني عن كل حاجة إلا إليه تعالى ، وعلي ذلك دل قوله تعالى : ﴿ وَاعْدُوا لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَذْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ^(٤) فالنعمة الحقيقية التي لاغناء عنها ، ويقال لها : الخير المطلق هي الأخروية ، فأما الدنيوية فضربان : ضرب هو نافع ضروري في الإيصال إلى الخير المطلق ، وهي المكتسبات ، فإنها ضرورية فيه ، إذ لايمكن الوصول إلى نعيم الآخرة إلا بها أو ببعضها ، ولذلك قال تعالى ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ^(٥) ، وضرب غير ضروري ، وقد يكون تارة نافعاً في بلوغ المقصود ، وتارة ضاراً فيه ، نحو المال والجاه والقوة والجمال ، ولذلك لايقال في الملك : إنه نعمة على الإطلاق ، لأنه قد يكون نعمة لزيد ، ونقمة على عمرو ، ولهذا قيل : « رب مغبوط بأمر وهو داؤه ، ومرحوم بأمر هو شفاؤه » ولذلك قال بعض الصالحين : (يَا مَنْ مَنَعَهُ عَطَاءٌ) ، وقال آخر : (يَا مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ بِمَنَعِهِ الشُّكْرَ سِوَاهُ) ، وعماد ذلك كله في إيصالنا إلى المقصود من نعيم الآخرة توفيق الله - عز وجل - ، فقد قيل لبعض الحكماء : ما الذي لا يستغنى عنه في كل حال ؟ فقال : التوفيق . إذا ثبت معرفة أنواع النعم ، علم أن قوله تعالى : ﴿ الدِّينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ : يعنى به من سهلت عليهم طريق الفوز بإعطائهم مايمكنهم منه ، ومنهم مايشبطهم عنه ، ومن المفسرين من قال : أراد به أن عرفهم مكائد الشيطان وخيانة النفس ، ومنهم من قال : عني الإنعام عليهم بالعلم والفهم وكل هذا أبعاد للحكمة ، فالوجه : أن يجري ذلك علي العموم في كل ماصح أن يكون نعمة بدلالة قوله تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ ^(٦) . وهؤلاء المنعم عليهم : المعنيون بقوله تعالى :

١- في (١ - ص) الحمية وهو تصحيف .

٢- الآية : (٥) - سورة البينة .

٣- الآية : (١٠٠) - سورة التوبة .

٤- الأيتان : (٨٠٧) - سورة البينة .

٥- الآية : (٩٢) - سورة آل عمران .

٦- الآية : (٢٠) - سورة لقمان .

﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هم المذكورون بقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾^(١) الآية .

وقوله عز وجل : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الآية : (٧) - سورة الفاتحة

أصل «الغضب» : غليان دم القلب إرادة الانتقام ، ومبدأ الغضب : انفعال مكروه ، بدلالة قوله عليه السلام : « إِنْ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنْ الشَّيْطَانَ خَلَقَ مِنَ النَّارِ »^(٢) وقال عليه السلام : «انْثَقُوا الْغَضَبَ ، فَإِنَّهَا جَمْرَةٌ تَوْقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ تَرَوُّا إِلَى انْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ . فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ، فَلْيَكْلُمِ الْأَرْضَ »^(٣) وَالْغَضَبُ : «وَالْغَمُّ» ثوران في النفس ، وهما من أصل واحد - إلا أنه متى كان معه الطمع في الوصول إلى الانتقام كان غضباً ، وإذا لم يكن معه الطمع كان غماً^(٤) ، فإذا : الغم والحزن : هما ما ينال الإنسان ممن فوقه ، والغضب ما يناله ممن هو دونه ، فيختلفان بالإضافة لا بالذات ، ولهذا قال بعض المحدثين : « فحزن كل أخي حزن أخو الغضب » . فإذا ثبت ذلك ، فالغضب من الصفات التي لو خيلنا ومجرد العقل لم يجوز وصف البارئ - عز وجل - بها ، لكن أطلقنا عليه ذلك لما جسرنا السمع ، وفسح لنا الشرع على معني صحيح هو أنه قد تقدم أن الصفات - التي مبدؤها انفعالات ، ومنتهاها فعل - متى وصف البارئ تعالى به أريد به المنتهى دون المبدأ ، فإذا^(٥) المراد بالغضب في صفته تعالى : إرادة الانتقام ، وعلي هذا فسر المتكلمون : فقال بعضهم : هو إرادة الانتقام ، وقال بعضهم : هو ذم العصاة ، وقال بعضهم : هو جنس من العقاب ، وقال بعضهم : هو استجازة البطش^(٦) . لاستنكار أمر ، وقال بعضهم : هو الانتقام ، وهذه التفاسير عنهم^(٧) متقاربة [وكلاهما]^(٨) لنظرهم منه إلى منتهى الغضب دون مبدئه ، وأما الضلال والخطأ : فالعدول عن الصراط المستقيم عن الصواب ، سواء كان العدول عن ذلك عمداً

١- الآية : (٥٨) - سورة مريم .

٢- الحديث أخرجه في الأدب - تحت رقم ٤٧٨٤ ، كما أخرجه أحمد في مسنده - ج : ٤ - ص ٢٢٦ .

٣- الحديث أخرجه الترمذي من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري في كتاب الفقه تحت رقم : ٢١٩١ - ج : ٤ - ص ٤٨٤ ، ٤٨٣ ، كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ج : ٣ ، ص ٦١ ، ١٩ ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ج : ١١ - ص ٣٤٧ ، وأورده الراغب في المفردات - ص ٦٠٨ ، ونص الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا وإن الغضب حمرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس بشئ من ذلك فليلصق بالأرض » .

٤- ساقطة من (ط - س) .

٥- في أ - ص (استجازة البطش) .

٦- في (و - ج) عنه .

٧- ساقطة من (ط - س) .

٨- في (١ - ص) فإن المراد

أو سهواً ، وسواء كان يسيراً أو كثيراً ، والصواب من الشيء يجري « مجرى القرطاس » من المرمى في أنه هو الصواب . وباقية ضلال وخطأ ، ولهذا قال الحكماء : كوننا خياراً من وجه واحد ، وكوننا أشراراً من وجوه كثيرة ، ولهذا روي عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم - في منامه ، فقال له : ما الذي شريك يارسول الله - حيث قلت : « شيبتي هود وأخواتها »^(١) ؟ فقال : مثل قوله : (فَاسْتَقِيمُوا كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)^(٢) ولصعوبة الصواب وكونه واحداً ، قال عليه السلام : (اسْتَقِيمُوا وَلَكِنْ نَحْضُوا)^(٣) ، وعلى هذا النظر قال : (مَنْ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَمَنْ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ)^(٤) .

فإذا ثبت أن كل عدول عن الغرض والمقصود يقال له خطأ وضلال ، وأن الصواب في نهاية الصعوبة ، علم أنه ليس كل ضلال وخطأ يستحق به العقاب الدائم ، بل كما قد يسمى أكبر الكبائر نحو : الكفر ضلالاً وباطلاً وخطأً وقد يسمى بذلك أصغر الصغائر . قال يجب أن يشككنا مسلك إذا رأينا بعض الأولياء موصوفاً بضلال وخطأ ، كما رأينا الكافر موصوفاً بهما ، فقد يتقارب الوصفان حدّاً ، وموصوفاً هما متباعدان ، فغرض الضلال والخطأ عريض ، والتفاوت بين أدناه وأقصاه كثير ، ولذلك قال تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾^(٥) أي : ووجدك غير مهتد إلى ما سبق إليك من النبوة والعلم ، ونحوه قوله : ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٦) . وقد يعبر عن سوء الاختيار بالضلال نحو قوله : ﴿ فَعَلَتْهَا إِذَا رَأَىٰ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾^(٧) ، ويعبر عن الخيبة بالضلال والغي والخطأ ، كما قال في الكفار : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾^(٨) ، فإذا ثبت ذلك ،

١- في (أ - ص) شيبتي سورة هود وأخواتها ، والحديث أخرجه البيهقي في [شعب الإيمان] عن أبي علي السري رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : روي عنك أنك قلت شيبتي هود ؟ قال : [نعم] ، فقلت : ما الذي شريك منه ، قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ قال : لا ، ولكن قوله : فاستقم كما أمرت ، آية ١١٢ . وعن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يارسول الله قد شئت ، قال صلى الله عليه وسلم : [شيبتي هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت] . أخرجه الترمذي وحسنه ، والحاكم ج : ٢ ص ٣٤٣ وصححه ووافقه الذهبي ، كما ورد في الدر المنثور ج : ٤ ص ٣٩٦ - ٣٩٨ وفي شرح السنة ج : ١٤ ص ٣٧٢ ، وأورده الراغب في المفردات ص ٢٤١ .

٢- سورة هود الآية (١١٢) .

٣- الحديث عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استقيموا وإن تحسوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » الحديث صحيح ، أخرجه الإمام مالك في الموطأ ج : ١ - ص ٣٤ في الطهارة ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج : ٥ - ص ٢٨٠ ، وابن ماجه ج : ١ - ص ١٠١ وأخرجه الحاكم في المستدرک ج : ١ - ص ١٣٠ ، وأورده الراغب في المفردات - ص ٢٤٠ .

٤- الحديث أخرجه البخاري - ج : ١٣ - ص ٢٦٨ ، في كتاب الاعتصام ، وأخرجه مسلم في الألفية تحت رقم ١٧١٦ ، وأخرجه أبو داود تحت رقم ٣٠٧٤ في الألفية عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر » وأخرجه الترمذي تحت رقم ١٣٢٦ في الأحكام ، والنسائي في القضاء - ج : ٨ - ص ٢٢٤ عن أبي هريرة .

٥- الآية : (٧) - سورة الضحى .

٦- الآية : (١٦٤) - سورة آل عمران ، والآية : (٢) سورة الجمعة .

٧- الآية : (٢٠) سورة الشعراء .

٨- الآية : (٤٧) - سورة القمر .

فقد روي عن النبي - صلي الله عليه وسلم أنه قال : « **المغضوب عليهم** » - ههنا : اليهود ، و« **الضالين** » : النصارى ، ودل على ذلك قوله فى اليهود ﴿ **مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ** ﴾ ^(١) ، وقوله فى النصارى : ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ ^(٢) . إن قيل : كيف فسر على ذلك وكلا الفريقين ضال ومغضوب عليه ؟ قيل : هو كذلك ، ولكن خص تعالى كل فريق منهم بصفة كانت أغلب عليهم ، وإن شاركوا غيرهم فى صفات ذم . إن قيل : ما الفائدة فى ترادف الوصفين ، وأحدهما يقتضى الآخر ؟ قيل إن : اقتضاء أحدهما الآخر من حيث المعنى ، وليس من شرط الخطاب أن يقتصر فى الأوصاف على ما يقتضى وصفاً آخر دون ذلك الآخر . ألا ترى أنك تقول : « **حي سميع ، بصير** » ، والسمع والبصر ^(٣) يقتضى الحياة . ثم ليس من شرط ذلك أن يكون ذكره لغواً ، وإنما ذكر ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ لأن الكفار قد شاركوا المؤمنين فى إنعام كثير ^(٤) عليهم ^(٥) ، فبين بالوصف أن المراد بالدعاء ، ليس هو النعم العامة ، بل ذلك نعمة مخصوصة ، وقوله : « **غير** » إذا خفض : فصفة ، ويصح أن يوصف مافيه الألف واللام ، ويدل على الجنس بـ « **غير** » و « **مثل** » وأخواتها ، لكونه قريباً من النكرة ولا يصح أن يوصف به مافيه الألف واللام ، ودل على العهد ، ولا سائر المعارف ، ويجوز خفضه على البدل : وإذا نصب : فحال : إما من الضمير فى « **عليهم** » أو من « **الذين** » . قال الأخفش : ويصح أن يكون استثناء . ولم يجوز ذلك الفراء ، لأن الاستثناء لا يعطف عليه بـ « **لا** » ، لاتقول : رأيت القوم إلا زيداً ولا عمروا ، قال أبو علي الغصوي - رحمه الله - : من جعله استثناء فإنه يقول : أدخل عليه « **لا** » - حملاً على المعنى ، لأن معنى قولهم : « **أتاني القوم إلا زيداً** » : أتوني لازيداً . وتجعل « **لا** » زائدة ، وزل أبو علي الجبائي فى قوله : ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾ زلة عظيمة فى النحو ، وقال : ذكر « **المغضوب** » بلفظه المفرد ، وهو يعنى الجماعة ، قال : إلا أن هذا يجوز فى سعة الكلام ، وخفى عليه أن المتعدي بالجار يدخل التثنية والجمع على الضمير المتصل به دون لفظ المفعول .

١- الآية : (٦٠) - سورة المائدة .

٢- الآية : (٧٧) - سورة المائدة .

٣- فى (١ - ص) والسميع البصير .

٤- فى (و - ج) كتب وهو تصحيف .

٥- ساقطة من (ط - س) .

وقوله : (آمين) : قيل : هو اسم الفعل ، كصه ومه ، ومعناه : استجب - وذلك عن الحسن - وإليه ذهب الأخفش ، ويدل على كونه اسم فعل ماروي أن موسى كان يدعو وهارون - عليهما السلام - كان يؤمن ، فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَجِبتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾ ^(١) ، فكما أن قول [موسى عليه السلام] ^(٢) ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِيهِمْ ﴾ ^(٣) جملة ، فكذلك قول هارون (آمين) جملة من حيث المعنى ، وقال مجاهد وابن جبير وجعفر بن محمد : هو اسم من أسماء الله - عز وجل - .

وقال أبو علي الغنوي: تأويل ما قالوه : إن هذا الاسم لما تضمن الضمير المرفوع ، وهو ذكر الله ، قالوا : هو اسم الله ، لأن الكلمة كما هي اسمه وماروي عن أمير المؤمنين - [رضي الله عنه] ^(٤) أنه قال : آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده ، فقد قيل : إن ذلك ليس بتفسير لآمين ^(٥) ، وإنما هو وصف له . ومن قال : « آمين » بالمد : فقد قال الأخفش ^(٦) : هو اسم أعجمي نحو « حامي » . وقال محمد بن يزيد : هو علي مثال عاصين ، وليس يعنى أنه جميع ، ولا أن النون فتحت كما فتحت ^(٧) في عاصين « ، وإنما يريد : أن لفظه كلفظه : وقيل إن الألف : فيه زيادة للمد ، نحو : « ينباع » و « أتطور » في : « ينبع » و « أنظر » .

١- الآية : (٨٩) - سورة يونس .

٢- ساقطة من (ط - س) ، (و - ج) .

٣- الآية : (٨٨) - سورة يونس .

٤- في (ط - س) عليه السلام .

٥- في (أ - ص) ليس بتفسير لأمير المؤمنين .

٦- في (أ - ص) فقال الأخفش .

٧- في (أ - ص) كما فتح .

﴿سورة البقرة﴾

قوله - عز وجل - ﴿آلَمْ﴾ : الآية (١) - سورة البقرة.

اختلف الناس فى الحروف التى فى أوائل السور، فقالوا فيها أقوالاً جملها مراد باللفظ وغير متناف على السير، لكن بعضها مفهوم بلا واسطة، وبعضها مفهوم بواسطة، فنقول وبالله التوفيق: إن المفهوم من هذه الحروف الأظهر بلا واسطة ما ذهب إليه المحققون من أهل اللغة كالقراء وقطرب، وهو قول ابن عباس- رضى الله عنهما- وكثير من التابعين على ما بين من بعد، وهو أن هذه الحروف لما كانت هى عنصر الكلام ومادته التى تتركب منها بين تعالى أن هذا الكتاب من هذه الحروف التى أصلها عندكم تنبيهاً لهم على إعجازهم، وأنه لو كان من عند البشر لما عجزتم مع تظاهركم عن معارضته، وأما اختصاص هذه الحروف وهذا العدد المخصوص وكونها فى سور معدودة وجعل بعضها مفرداً، وبعضها ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً، ثم لم يتجاوز ذلك واختصاصها ببعض الحروف دون بعض، ففيها عجائب وبدائع إذا اطلع عليها علم أنه كما وصفه تعالى بقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١)، والقول فى ذلك إن حروف التهجي قد قيل: ثمانية وعشرون، وقيل: تسعة وعشرون. وهذا الخلاف من حيث أن "الألف" حرف لا صورة له فى اللفظ حتى قال بعض الناس: الألف- فى حروف التهجي: حرف لا ساكن ولا متحرك، وإنما هو مدٌّ لا اعتماد له وقيل: إن الله تعالى جعل هذه الحروف طبقاً للعدد الذى هو أصل العلوم، ولو توهم ارتفاعه ارتفع سائر العلوم، لأن عقود الأعداد ثمانية وعشرون: أحاد: وهى تسعة، وعشرات، وهى تسعة، ومئات، وهى تسعة وألف: وهو واحد، ثم الباقي مكررات. وجعلها أيضاً طبقاً لمنازل القمر، وهى ثمانية وعشرون إلى غير ذلك من العجائب. وأما "لام الألف": فمركب من حرفين، ولا اعتداد به فى حصر المفردات، وقد قال بعض النحويين: إن ذلك يجب أن يقال: "لا"، ذاك أنهم لما أرادوا تعريف صورة لفظ الألف مفردة: ولم يكن سبيل إلى التفوه به مفرداً، إذ لا يكون إلا مدَّة ضم إليها اللام ليتمكن النطق به. وخص بذلك اللام لعل مذكورة فى موضعها، فإذا ثبت ذلك فقد قيل: إن السور التى ذكر فى أوائلها هذه الحروف تسع وعشرون، وجعل ذلك تنبيهاً على عدد حروف التهجي- إذا عدَّ فيها الألف. وقد ذكر هذه الحروف مفردة وثنائية إلى الخماسية تنبيهاً أن الكتاب المنزل على رسوله مركب من كلماتهم التى هي أصولها:

إما مفرداً وإما ثنائياً - إلى الخماسي - وإن أصول أبنية كلامهم لا يتجاز ذلك. وجاء ثلاث سور مفتتحة بمفردات، وتسع سور بالثنائيات. وثلاث عشرة سورة ثلاثيات، وسورتان برباعيات، وسورتان بخماسيات، وذلك "ص" و"ق" و"ن" و"طه" و"يس" و"طس" وست من الحواميم ، و"الم" في ست سور، و"الر" في خمس سور، و"طسم" في سورتين ، و"المر" ، و"المص" ، و"كهيعص" ، و"حم عسق" ، فجعل عدد الثلاثي أكثر تنبيهاً أن أكثر تراكيب كلامهم الثلاثي. وبأقربها أقل. وإنما جعل الثلاثي ثلاثة عشر تنبيهاً أن أصول الثلاثي المستعملة : ثلاثة عشر: عشرة منها^(١) للأسماء المستعملة وذلك "فَعْل" "كعاس" ، و"فَعْل" "كقفل" ، و"فَعْل" "كقرد" ، و"فَعْل" "كجبل"^(٢) ، و"فَعْل" كعضد. و"فَعْل" ككتف وفعل كابل وفعل كمنق، وفعل كعنب، و(فَعْل) كصرد، وثلاثة للأفعال: "فَعْل" ، و"فَعْل" و"فَعْل" ، ولم يعتد بـ"فَعْل": أما في الأسماء، فلأنه لم يوجد ما يعتد به، أما في الأفعال: فإن الفعل في الأصل يجب أن يبنى للفاعل ويُسند إليه دون المفعول. وأما التسعة الثنائية، فتنبهياً أن ما جاء من الكلم على حرفين تسعة اضرب ثلاثة للحروف: "إن" و"من" ومذ إذا جر به، - وثلاثة للأسماء: "من"، و"إن" وهذا^(٣) إذا رفع به. وثلاثة للأفعال في الاستعمال، نحو "قل"، و"بع"، و"خف". وأما الثلاثة المفردة: فتنبهياً أن الحروف ثلاثة اضرب مفتوح ومكسور وساكن، نحو: له، وبه، ولام التعريف، وأما الرباعيان والخماسيان، فتنبهياً أن لكل واحد منهما ساكن^(٤) أصلاً وملحقاً به، أما الأصل: فكجعفر وسفرجل، وأما الملحق بهما: فكقرد وحجنكل^(٥) ، واقتصر من حروف التهجي على النصف منها - وهو أربعة عشر حرفاً من غير تكرير - لتدل على حكم عجيبة. ولما خص نصفها بالذكر أورد فيها من الحروف المجهورة والمهموسة والشديدة، وما ليس بشديدة، واللينة، والمطبقة، وحروف البدل، وما لا يصح فيه الإدغام، وما لا يدغم فيما قاربه، ولا يدغم ما قاربه فيه، وما لا يدغم فيما قاربه، ويدغم ما قاربه فيه^(٦) ، ومن حروف اللقطة^(٧) ومن الحروف التي للعرب دون العجم، من كل ذلك ما هو زوج، واحتمل التنصيف فإنه أخرج نصفه، ومن كل ما هو فرد لا يحتمل التنصيف نصّفه بإسقاط حرف أو زيادة حرف، وأما الحروف الذلقية والحلقية، والزوائد، فقد زيد فيها على النصف بخاصية فيها: من ذلك: الحروف المجهورة: وهي ما أشبع الاعتماد على منبعه،

١ - ساقطة من (ط-س)

٢ - في (و-ج)، (أ-ص) كجبل.

٣ - في (و-ج)، (أ-ص) ومذ.

٤ - في (و-ج)، (أ-ص) بنائين وهو تصحيف.

٥ - في (و-ج) وحجنفل، في (أ-ص) حجنفل.

٦ - ساقطة من (ط-س).

٧ - في (أ-ص) اللقطة.

ولم يجر معه النفس. وهى تسعة عشر حرفاً يجمعها: (زاد ظلي غنج لي ضموراً إذ قطع)^(١). أسقط منها الألف الزائدة التى قيل فيها: إنه لم يعتد بها من حيث لا تكون إلا مدة، وذكر نصفها فى هذه الأربعة عشر^(٢)، وهى تسعة يجمعها: «لن يقطع أمر».

والمهموسة: وهى: ما ضعف الاعتماد على منبعه، وذلك عشرة يجمعها: "ستشحتك خصفه"^(٣) ذكر منها فى هذه الأربعة عشر نصفها، وهى ما يجمعها: (صه حسك). والشديدة: وهى ثمانية يجمعها: "أجدت طبقك" ذكر نصفها، ويجمعها "أقطك" وباقيها [رخوة]^(٤) وهو: أحد وعشرون، إذا سقط منها الألف فنصفها عشرة يجمعك "حمس على نصره".

واللينة حرفان- سوى الألف: الواو والياء، وفى هذه الأربعة عشر أحدهما: وهو الياء. والمطبقة أربعة: ص، ض، ط، ظ. ذكر اثنان منها، وهى: الصاد والطاء. وحروف البدل اثنا عشر حرفاً- فيما ذكر سيبويه- يجمعها: (أجد طويت منها): ذكر منها ستة يجمعها "أهطمين" وترك باقيها.

وإنما لم يجر مجرى غيرها فى أن ترك منها الألف ثم نصف، بل زيد لأمرٍ اختص به باب البدل، وهو أن الألف فى باب البدل أكثر من سائر الحروف، فلم يجز الإخلال بها فى باب الإبدال. وأما على غير طريقة سيبويه، فقد بلغ حروف البدل ثمانية عشر، فعد فيها اللام بدلاً من النون فى "أصيلان"، والصاد "تبدل من السين" فى "الصراط" و"الثاء" من "الفاء" فى "فروع الدلو"، والفاء من "الثاء" فى "جدث" و"جدف" و"ثوم" و"قوم"، والعين من الهمزة فى عنعنة تميم، نحو قوله:

أَنْ تَرَسُمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً^(٥)

فى "أَنْ تَرَسُمْتَ". والباء من الميم "باسمك" فى "ما اسمك"، والزاي من السين فى قولهم: "زقر" أى "سقر"- فعلى هذا- فى الحروف من الثمانية عشر تسعة، وهى الستة المذكورة، واللام، والصاد، والعين. وما لا يصح فيه الإدغام: اثنان: الهمزة والألف. وذكر أحدهما. وما لا يدغم ولا يدغم فيه: فالواو والياء- إذا انفتح ما قبلهما- وقد ذكر أحدهما. وأما الحروف التى لا يدغم فيما قاربها، ويدغم ما قاربها فيها: فهى الميم، والراء، والشين، والفاء، وقد ذكر من هذه الحروف اثنان، وأما حروف اللقطة^(٦): فخمسة: القاف، والجيم، والطاء، والذال، والباء، وذكر منها اثنان: الطاء والقاف وهما

١- وهى: الزاي، والذال، والطاء، والباء، والياء، والغين، والنون، والجيم، واللام، والياء، والضاد، والميم، والواو، والراء، والذال، والقاف، والطاء، والعين، والألف.

٢- يريد بالأربعة عشر أى التى ذكرها القرآن فى فواتح السور
٣- فى (و- ج)، (أ-ص) ستشحتك خصفه
٤- ساقطة من (و-ج)، (أ-ص)، (ط-س) وهى زيادة يقتضيها السياق ويلاحظ أنه جعل مع الرخوة ما بين الشديدة والرخوة وهى المجموعة فى قوله لم يروعا)

٥- البيت لذى الرمة، وهو فى ديوانه: ج: ١ - ص ٣٧١، وشطره الثانى: ماء الصبابة من عَيْنِكَ مَسْجُومٌ
والبيت الذى بعده -: رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة
كماشية البرد اليماني المسهم

والخرقاء هى التى لاتحسن العمل لكرامتها على أهلها.
انظر ديوان ذى الرمة - تحقيق د/عبد القدوس أبو صالح - دمشق ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

٦- فى (أ-ص) اللقطة.

أقوى الخمسة. وأما الحروف التي للعرب دون العجم: فالضاد والحاء، وقد ذكر أحدهما، وأما الحروف الذلقية: وهي التي ذلقت وسهلت على اللسان، فستة يجمعها "رمل فنب"، وحروف الحلق، وهي ستة: الحاء، والحاء، والعين، والغين، والهاء، والهمزة، فقد ذكر من النوعين أكثر من النصف للتنبيه على كثرة وقوعهما في الكلام، إذ قلَّ ما ينفك رباعي وخماسي من حرف^(١) أو حرفين وثلاثة من هذه الحروف، فلما كثر وقوعها في الكلام أيد المذكور منهما على النصف تنبيهاً على ذلك، وأما الزوائد: فعشرة يجمعها (اليوم تنساه)، وقع في هذه الحروف منها سبعة لخاصية فيها، وهي التنبيه على أن البناء من الكلمة قد يبلغ^(٢) سبعة أحرف بالزيادة، فهذه هي التي زاد المذكور منها على النصف لفائدة تختصه وحكمة تقتضيه. وما روي عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما - أن هذه الحروف اختصار من كلمات، فمعنى "الم": أنا الله أعلم، ومعنى "المر"^(٣) أنا الله أعلم وأرى، فإشارة منه إلى ما تقدم، وبيان ذلك ما ذكره بعض المفسرين أن قصده بهذا التفسير ليس أن هذه الحروف مختصة بهذه المعاني دون غيرها، وإنما أشار بذلك إلى ما فيه الألف واللام والميم من الكلمات تنبيهاً أن هذه الحروف منبع هذه الأسماء، ولو قال: إن اللام يدل على "اللعن"، والميم على "المكر" لكان يُحمل^(٤)، ولكن تحرّى في المثال اللفظ الأحسن، كأنه قال: هذه الحروف هي أجزاء ذلك الكتاب. ومثل هذا في ذكر نبد تنبيهها على نوعه قول ابن عباس- رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَمْ تَسْأَلْنِي يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٥) أنه الماء الحار في الشتاء، ولم يرد به أن النعيم ليس إلا هذا، بل أشار إلى بعض ما هو نعيم تنبيهاً على سائرهم، فكذا أشار بهذه الحروف على ما يكتب منها، وعلى ذلك ما رواه السدي عنه أن ذلك حروف إذا ركبت يحصل منها اسم الله. وكذا ما روي عنه أنه قال: هي أقسام غير مخالف لهذا القول، وذلك أن الأقسام الواردة في فواتح السور إنما هي بقسم^(٦) وأجوبتها تنبيه عليها.

فيكون قوله: "لَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ" جملة في تقدير مقسم بها، وقوله: "لَأَرِيبَ فِيهِ" جوابها، ويكن إقسامه بها تنبيهاً على عظم موقعها، وعلى عجزنا عن معارضة كتابه المؤلف منها، فإن قيل: لو كان قسماً لكان فيه حرف القسم، قيل: إن حرف القسم يُحتاج إليه إذا كان المقسم به مجروراً، فأما إذا

١ - في (١-ص) حروف.

٢ - في (١-ص) تبلغ.

٣ - في (١-ص) الم.

٤ - في (١-ص) كمثل وهو تصحيف.

٥ - سورة التكاثر : الآية (٨).

٦ - في (ط-س) بنعم وهو تصحيف.

كان مرفوعاً نحو "أَيُّمُ الله، أو منصوباً، نحو يمين الله فليس بمحتاج إلى ذلك وما قاله زيد بن أسلم والحسن، ومجاهد، وابن جريج أنها أسماءٌ للسور فليس بمنافٍ للأول، فكل سورة سُميت بلفظٍ متلوه منها، فله (معنى) فى السورة معلوم. وعلى هذا القصاص والخطب المسماة بلفظ منها يفيد معنى فيها، وكذلك ما قاله أبو عبيدة، وروى أيضاً عن مجاهد، وحكاه قطرب والأخفش: أن هذه الفواتح دلائل على انتهاء السورة التى قبلها، وافتتاح ما بعدها، فإن ذلك يقتضي من حيث إنها لم تقع إلا فى أوائل السور ولا يقتضي أن لا معنى لها سواء، كما أن بسم الله فى أوائل السور يقتضي ما قالوه ولا يوجب ذلك أن لا معنى سواء. وما ذكر من أن هذه الحروف قصد بها الرد على من قال: إن النبى ﷺ كان يتلقن ما يودعه القرآن من بعض الأعجميين، وذلك فى قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١). فذلك (٢) شبيهه أن هذه الصورة المخصوص بها القرآن، هي من النظم الذى أصوله عندهم، وذاك أن القوم لم يدعوا أن لفظ هذا القرآن أعجمي، وإنما ادَّعوا أن معناه مأخوذ عنهم ولهذا قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ (٣)، فإذا: المعنى يرجع إلى ما تقدم بأنه تنبيه على إعجازه. وما قاله قطرب إنه قصد بها صرف أسماع المشركين إلى الاستماع إليه لما تَوَاصَوْا بأن لا يستمعوا (٤) له حتى قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (٥) فإنما يشير به أيضاً إلى المعنى المتقدم، لأنه تعالى قصد بصرف أسماعهم تنبيههم على عجزهم عن معارضته، وأن من حَقَّكم إذا عجزتم عن مثله أن تتدبروا (٦) آياته، وأن تعرفوا (٧) أنه حق فلا تلغوا (٨) فيه. وما روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: الألف من "الم": دلالة على "الله"، اللام على "جبرائيل"، والميم على "محمد"، فدل بذلك أن القرآن (من الله)- عز وجل- مبدؤه، وأن الواسطة: "جبريل". ومنتهاه إلى محمد. فهذا صحيح ودالٌّ على ما تقدم، وقد نبه بمخرج "الألف" الذى هو مبدأ مخارج الحروف على المبدأ، وهو الله تعالى. وبمخرج اللام الذى هو أوسط المخارج على جبريل، وبمخرج الميم الذى هو منتهى المخارج على المنتهى الذى هو النبى -عليه السلام-.

١ - سورة النحل : الآية (١٠٢).

٢ - فى (أ-ص) فذلك.

٣ - سورة هود : الآية (١٣).

٤ - فى (ط - س) تسمعوا له.

٥ - سورة فصلت : الآية (٢٦).

٦ - فى (أ-ص) يتدبروا وهو تصحيف.

٧ - فى (أ-ص) يعرفوا وهو تصحيف.

٨ - فى (أ-ص) يلغوا وهو تصحيف.

فكأنه قال: من هذه الحروف الدالة على الأسباب الثلاثة حصول الكتاب الذي عجزتم عن الإتيان بمثله. وما قاله الربيع بن أنس أن هذه الحروف حروف الجُمْل، وأن ذلك من علوم خاصتهم، وقد نبه بها على مدد، فذلك غير ممتنع أن يكون مع المعنى الأول مراداً، بدلالة أن النبي - عليه السلام - لما أتاه اليهود فسألوه عما أنزل عليه، تلا عليهم "الم"، فحسبوه، وقالوا: إن ملكاً يبقى إحدى وسبعين سنة لقصير المدة فهل غيره؟ فقال: "آلر"، و"آلمر"، و"آلمص" فقالوا: خلطت علينا، فإننا لا ندري بأيها نأخذ. فتلاوة النبي - عليه السلام - ذلك عليهم، وتقريرهم على استنباطهم دلالة أنه لا يمتنع أن يكون في كل واحدة دلالة على مدة لأمر ما^(١). وأما ما حكي عن الزبيري أن هذه الحروف ذكرت علماً منه تعالى أن يكون في هذه الأمة من يزعم أن القرآن ليس بكلام الله، وإنما هو حكاية كلامه، فأراد أن يبين أن القرآن مما يكتب ويخبر عن أبعاضه وأجزائه بالحروف التي هي معلومة إنها محدثة، فإن هذا القول من الوهي بحيث يستغنى عن إظهار بطلانه، إذ لا يقول أحدٌ إن الكتاب بما هو كتاب ليس بمؤلف من هذه الحروف وإن كانوا قد اختلفوا في القرآن. بل هو مقصورٌ على الكتاب، أو المراد به هو غيره.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ الآية (٢) - سورة البقرة .

قال أبو عبيدة: عني به هذا الكتاب. وقال غيره: عني هو الكتاب، فظن بعض من لم يتقوَّ في الحقائق أن قولهم: "ذلك" قد يجيء بمعنى "هذا"، و"هو". ليس الأمر على ما ظنوه. وإنما قصد هذا المفسر أن يبين أن الاسم الذي فيه الألف واللام هو الخبر، لا لأنه^(٢) وصف والخير منتظر، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾^(٣)، والفصل كما يقع بالمضمرات، فإنه يقع بالبهيمات. فإن قيل: إذا كان هذا المعنى ما قدمت في "الم ذلك الكتاب" فهلا قيل: "ذلك الكتاب أَلَمْ"، فإنه قد علم أن حروف التهجي - كما يكون الكتاب المشار إليه - قد يكون شعراً وخطبةً ورسالةً. وقد تقرر أن العام إذا أُخبر عنه بالخاص كان كذباً، نحو قولهم: الحيوان إنسان وإذا أُخبر عن الخاص بالعام كان صدقاً، نحو قولهم: الإنسان حيوان، فيحصل من ذلك أنه إذا قيل: "الم"

١ - وهذا الكلام مقبول فيما لو صح الحديث، إلا أن الحديث ضعيف لا يحتج به كما ذهب إلى ذلك ابن كثير في تفسيره. فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به. ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة، وإن حسبت مع التكرار فاطم وأعظم. تفسير القرآن العظيم - ج: ١ - ص ٦٩، ٧٠. مقدمة جامع التفاسير ص ١٤٩.

كما نقل السيوطي في الإتيان رد ابن حجر السهيلي الذي قال: «لعل عدد الحرف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة»، ويقول ابن حجر في رد ذلك: وهذا باطل لا يعتمد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - الزجر عن عد أبي جاد، والإشارة إلى ذلك من جملة السحر. الإتيان - ج: ٣ - ص ٢٦.

٢ - في (أ - ص) لأنه وصف.

٣ - سورة الأنفال: الآية (٣٢).

ذَلِكَ الْكِتَابُ" - كان كذباً على هذا - وإذا قيل: "ذَلِكَ الْكِتَابُ الْمَ" كان صدقاً؟ قيل: فى ذلك الكتاب جوابان أحدهما: أن يجعل "ذَلِكَ الْكِتَابُ": مبتدأ، و"الْمَ": خبراً له مقدماً، وتقديمه على كون العناية به أصدق كما تقدم، والثاني: أنه قد يقال: الإنسان زيد، بمعنى غير معنى "زيد إنسان"، وهو أن يراد أن كمال الإنسانية موجود فى زيد، فكأنه قيل: كمال حروف التهجي موجود فى هذا الكتاب والمكتوب فى التعارف اسم للمكتوب، أي: المنظوم كتابةً، وقد يعبر عن المنظوم عبارة قبل أن يكتب بالكتاب.

قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ الآية: (٢) - سورة البقرة .

قال المفسرون: معناه لا شك فيه، فإن قيل: كيف نفى الريب عنه، وقد علم تشكك كثير من الناس فيه؟ قيل: فى ذلك أجوبة: الأول: إن ذلك نفى على معنى النهي نحو قوله: ﴿فَلَا رَيْبَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَقِّ﴾^(١)، بدلالة قوله: ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٢) وقوله: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾^(٣) فإن قيل: الشك لا يقصده الإنسان، فكيف ينهى عنه؟ قيل: اللفظ لذلك، والمعنى حث على التدبر والتفكر الناقيين للشك، والثاني: أنه يقال: رابني كذا، إذا تحققت منه الريبة، وأرابني: أوهمني الريبة. قال الشاعر:

أَخُوكَ الَّذِي إِنَّ رَيْبَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَيْتُ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَأَنْ جَانِبُهُ^(٤)

فالقُرآن لا ريب فيه، وإن كان فيه ارتيابٌ من بعض الكفار، والثالث أنه يقال: هذا لا ريب فيه، والقصد إلى أنه حق، تنبيهاً أن الريب يرتفع عنه عند التدبير والتأمل، والرابع: أنه لا ريب فى كونه مؤلفاً من حروف التهجي وقد عجزتم عن معارضته، والخامس لا ريب فيه للمتقين، ويكون خبر (لا ريب فيه) قوله تعالى: (للمتقين) وهدى نصب على الحال أو خبر ابتداء مضمر فى موضع الحال.

قوله عز وجل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ : الآية: (٢) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام فى الهداية. أما اختصاص المتقين، فلأن الهداية: نصب العلم ليهتدي به الناس فله موضوع هو المبدأ: وذلك نصب العلم للكافة. وغاية: وهو الاهتداء به، فيقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. لما لم يهتد به غيرهم. ومثاله: من بنى مسجداً مباحاً للكافة، يصح أن يقول: "بنيت هذا المسجد للناس كافة"، اعتباراً بالمبدأ، ويصح أن يقول: بنيته للمصلين فيه، اعتباراً بالغاية، وطريقة^(٥) أخرى: وهى أن

١ - سورة البقرة : الآية (١٩٧). ٢ - سورة البقرة : الآية (١٤٧). ٣ - سورة الأعراف : الآية (٢).

٤ - البيت لبشار بن برد، وهو فى ديوانه : ج: ١-ص ٣٢٦، وهو من قصيدة مطلعها :-

جفا وده فازور أو مل صاحبه وأزدي به أن لا يزال يعاتبه

وهو من قصيدة قالها يمدح فيها قيس عيلان وفى الحماسة البصرية: ج: ٢-ص ٣٤، ونصه فى الحماسة:

أَخُوكَ الَّذِي إِنَّ قُدْعَهُ لِمَلِكَةٍ يُجْبِكُ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَأَنْ جَانِبُهُ

وفى (دلائل الإعجاز) -ص ١٣٤، ومعنى: (إن ريبته): أى: أتيت بما يرتاب فيه، قال لك: أريت أى: انتفت عنك الريبة وهو فى مقدمة

جامع التفسير ص ١٥١.

٥ - فى (١ - ص) فطريقة.

"اللام" في قول القائل: خرجت لأظفر" يقال على وجهين: أحدهما أن المقصود بالخروج: الظفر والثاني: أن الحاصل منه الظفر، لا أنه قصد به، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَالْقَطْعُ أَلْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١)، فقوله: هدى للمتقين: تنبيه على حصول الهدى لهم، وإن كان القصد لهم ولغيرهم، وطريقة الثالثة- إذا تَوَمَّلْتَ تَصَوَّرَ عنها جواب مسائل كثيرة في القرآن- وهو أن الله تعالى جعل لنا طبيين طباً بدنياً، وطباً دينياً، وكل واحدٍ منهما ضربان: أحدهما: إعادة الصحة، والآخر: حفظ الصحة، قد أجرى العادة أن الذي يحفظ به الصحة غير الذي يعاد به الصحة أما في الطب البدني: فالذي يعاد به الصحة العقاقير والأدوية، والذي يحفظ به الصحة فالغذاء والأطعمة، وأما في الطب الديني فالذي يعاد به الصحة صقل العقل واستعماله في تدبير^(٢) الدلالات، وتعرف المعجزات، ومعرفة النبوات، والذي يحفظ^(٣) به الصحة: تدبير^(٤) الكتاب المنزل، وتتبع سنن النبي المرسل، فكما أن من لم يستفد الصحة في الطب البدني، إذا تغذى، كان ذلك ضرراً عليه، ومتى أعاد صحته كان تناول الغذاء عائداً بنفعٍ إليه، كذا من لم يستفد صحة عقله بتدبير الدلالات كان القرآن ضرراً عليه، ومتى استعمل ذلك وتهذب فيه، جلب بالاستماع إلى القرآن نفعاً إليه، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾^(٦)، إلى قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٧)، وأما [التقوى] فهو: جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا حقيقته، ثم يسمى تارة "الخوف" التقوى، والتقى: خوفاً على تسمية المقتضي باسم المقتضي والمقتضي باسم المقتضي وفي التعارف: حفظ النفس عن كل ما يؤثم، ولها منازل: الأول: ترك المحذور، وذلك لا يتم إلا بترك بعض المباح مما يليه، ولذلك قال عليه السلام «مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»^(٨)، وقيل: من

١ - سورة القصص: الآية (٨).

٢ - في (١ - ص) تدبير وهو تصحيح.

٣ - في (ط - س) والذي به حفظ.

٤ - في (١ - ص) تدبير.

٥ - سورة الإسراء: الآية (٨٢).

٦ - سورة التوبة: الآية (١٢٤).

٧ - سورة التوبة: الآية (١٢٥).

٨ - الحديث أخرجه البخاري في الإيمان-ج: ١ - ص ١١٧، ومسلم في المساقاة برقم: ١٥٩٩، وأبو داود في البيوع برقم/ ١٢٠٥،

والنسائي في البيوع ج: ٧/ ٢٤١.

لم يجعل بينه وبين محارم الله سترًا من حلال، فحقيق به أن يقع فيها . فقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(١)، أى: التاركين^(٢) للمحظورات. وقال ﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٣)، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(٤) فجعل "المتقى" - فى الآيتين- غير المصلح والمحسن. والثاني: من منازل التقوى - أن يتعاطى الخير مع تجنب الشر، وإياه عنى الله تعالى بقوله: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾^(٥) والثالث منها: التبرؤ من كل شئ سوى الله- عز وجل- فلا سكون إلى النفس ولا إلى شئ من القُنِيَاتِ والجاه والأعراض. وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾^(٦) وما وعدناه بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾^(٧) ورجاناه بقوله: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾^(٨) إلى قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(٩)، فهذه المنازل مرتبٌ بعضها على بعض. وقد فسر قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ على الوجوه الثلاثة، فقليل: عنى به التاركين لمحارم الله. وقال ابن عباس -رضي الله عنهما: عنى به الخائفين عقوبته الراجين رحمته. وقال بعض المتقدمين: معنى ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي وصلةً للمنقطعين إليه عن الأغيار الذين نزع عن قلوبهم حب الشهوات. فهذا نظرٌ منهم إلى الغاية.

١ - سورة المائدة : الآية (٢٧).

٢ - في (و - ج) تاركين المحظورات.

٣ - سورة الاعراف : الآية (٣٥).

٤ - سورة النحل : (١٢٨).

٥ - سورة الزمر : الآية (٧٣).

٦ - سورة آل عمران : الآية (١٠٢).

٧ - سورة محمد : الآية (١٧).

٨ - سورة الانعام : الآية (٥١).

٩ - سورة الانعام : الآية (٥١)، وقبلها قوله تعالى: (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع).

قوله - عز وجل : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ الآية : (٣) سورة البقرة.

الإيمان: التصديق بالشئ، ولا يكون التصديق إلا عن علم. ولذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١). فالإيمان: اسم لثلاثة أشياء: علم بالشئ، وإقرار به، وعمل بمقتضاه، إن كان ذلك المعلوم عمل، كالصلاة والزكاة. وهذا هو الأضل، ثم قد يستعمل في كل واحد من هذه الثلاثة، فقال: "فلان مؤمن"، ويعنى به أنه مقرر بما يحسن دمه وماله، وإياه عن النبي ﷺ بقوله: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»^(٢)، وبذلك حكم- عليه السلام- على الجارية التي عرضت عليه، فساءلها ما سألها. ثم قال: «اعتقها فإنها مؤمنة»^(٣) ويقال: "مؤمن"، ويراده: أنه يعرف الأدلة الإقناعية التي يحصل معها سكون النفس، وإياه عن النبي ﷺ بقوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا بِخَلِّ الْجَنَّةِ»^(٤)، ويقال: "مؤمن"، ويعنى به: أنه يسكن قلبه إلى الله من غير تلفت إلى شئ من عوارض الدنيا وإياه عن الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٥). الآية، وبقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(٦)، و"الغيب": ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يعلم إما بواسطة علم ما أو الاستشهاد به عليه، وإما بخبر الصادق، وهو الذى دفعه قوم، فلزمهم اسم الإلحاد، لأن الإلحاد: دفع أخبار الغيب، وقول^(٧): "زُرْ بَأْن": الغيب: هو القرآن، وقول عطاء: إنه القدر: تمثيل لبعض ما هو غيب. وليس ذلك بخلاف بينهم، بل كل أشار^(٨) إلى الغيب بمثال، وكذا ما روى أبو جمعة "إِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ قَوْمٌ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَّا، أَمَّا بِكَ وَاتَّبَعْنَاكَ. قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ يَأْتِيكُمْ بِالْوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِكُمْ يَأْتِيهِمْ كِتَابٌ بَيْنَ لَوْحَيْنِ،

١ - سورة الزخرف : الآية (٨٦).

٢ - الحديث أخرجه البخاري في أول الزكاة- ج: ٣-ص ٢١١، ومسلم في الإيمان تحت رقم: ٢١، والترمذي في الإيمان تحت رقم: ٢٦١٠، والنسائي في الزكاة: ج: ٥-ص ١٤، وأبو داود في الجهاد تحت رقم: ٢٦٤٠.

٣ - هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم في المساجد تحت رقم ٥٣٧، وأبو داود في الصلاة تحت رقم: ٩٣ و ٩٣١، والنسائي في السهو- ج: ٣-ص ١٤-١٨.

٤ - أخرج الترمذي في الدعوات برقم/ ٣٥٨٤ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما قال عبدٌ لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه إلا فُتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر".

٥ - سورة الأنفال : الآية (٢).

٦ - سورة المجادلة : الآية (٢٢).

٧ - في (أ-ص)، (و-ج)، (ط-س): (شريك) وهو تصحيف لزر بآن وهو زرين حبش وانظر خبر زر وعطاء في تفسير الطبري-ج: ١-ص ٢٣٦، وتفسير ابن كثير: ج: ١-ص ٦٣.

٨ - في (و - ج) إشارة، وهو تصحيف.

فَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ أَجْراً مِنْكُمْ»^(١) فتبين منه - عليه السلام - أن من بعده يحتاج إلى نظر أكثر من نظر الذين شاهدوه فقد كُفُوا كثيراً من أخبار الغيب، وقوله: "بالغيب" في موضع المفعول، كقوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٢) وقال بعضهم: معناه: يؤمنون إذا غابوا عنكم، ولم يكونوا كالمنافقين الذين ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣) وقوى ما قاله بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾^(٤) وقوله ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ﴾^(٥) قول الشاعر:

وَهُمْ يَغِيبُ وَفِي عَمِيَاءٍ^(٦) مَا شَعَرُوا^(٧)

ويكون "بالغيب" على هذا في موضع الحال، ومفعول: "يؤمنون": محذوف، وقال بعض المتأخرين من المتكلمين: يحمل قوله تعالى: "بالغيب" على المعنيين، وخفي عليه أن ذلك لا يصح، فإن وبالغيب في القول الأول: مفعول: في القول الثاني: حال، لا يصح أن يقال ضربت راكباً، وراكب يكون مفعولاً لـ "لضربت" و"حالاً" للفاعل، والوجه: هو القول الأول، لأنه مستوعب لمعنى الثاني وزائد عليه، إذ كل من آمن - على الوجه الأول - فلا شك أنه بخلاف من يقول: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾. وقيل: معنى قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يعنى بالقلب، والنور الذي آتاهم الله وهو العقل، ومعناه: آمنوا بقلوبهم، بخلاف من أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٨)، ومن حكى عنهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٩)، وهذا أيضاً يرجع إلى الأول عند التحقيق، وقيل: "يؤمنون" من: "آمن فلان" - أى: صار ذا أمن نحو أحال^(١٠) وأجرب، ومعناه: صاروا ذوي أمن بظهر الغيب بأن ما أخبروا به حق، فتطمئن قلوبهم بذكر الله.

١ - ورد لهذا الحديث عدة روايات أوردها ابن كثير في تفسيره - ج: ١ - ص ٦٤.

٢ - سورة البقرة: الآية (٤).

٣ - سورة البقرة: الآية (١٤).

٤ - سورة الأنبياء: الآية (٤٩).

٥ - سورة يس: الآية (١١).

٦ - في (أ - ص) عمي، وهو تصحيف.

٧ - البيت للأخطل في ديوانه ص ١٠٩، وتمام البيت:

مُخْلِفُونَ وَيَقْضِي اللَّهُ أَمْرَهُمْ
وَهُمْ يَغِيبُ وَفِي عَمِيَاءٍ مَا شَعَرُوا.

وهو في بصائر ذوي التمييز - ج: ٣ - ص ٣٥٣ بدون نسبة، وأورده الراجز في المفردات - ص: ٤٦٧.

٨ - سورة البقرة: الآية (٨).

٩ - آل عمران: الآية (١٦٧)، وهي ساقطة من (ط - س).

١٠ - في (و - ج)، (ط - س) أماء وأجرب وفي (أ - ص) أعاء وأجرب، والتصحيح من كتاب سيبويه حيث جاء فيه: وتقول اجرب.

الرجل، وأنجز، وأحال أي: صار صاحب جرب وحيال ونحاز في ماله، وتقول كما أصابه: هو نحز وجرب وحائل للناقة، الكتاب ج:

ص ٥٩ - مقدمة جمع التفاسير، ص ١٥٦.

قوله (عز وجل): ﴿رُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾:

إقامة الصلاة: توفية حدودها وإدامتها، وتخصيص "الإقامة" تنبيهه على أنه لم يرد إيقاعها فقط. ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلا بلفظ الإقامة نحو: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(١) وقوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾^(٢)، و﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(٣) ولم يقل المصلي إلا في المنافقين ﴿قَوْلًا لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٤) وذلك تنبيه أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل، كما قال عمر- رضي الله عنه [الحاج قليل والركب كثير]، ولهذا قال عليه السلام:

«مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٥)، فذكر مع قوله ﷺ الإقبال بقلبه على الله تنبيهاً على معنى الإقامة، وبذلك عظم ثوابه وكثير من الأفعال التي حث تعالى على توفية حقه ذكره بلفظ الإقامة نحو: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٦) ونحو: ﴿وَأَقِيمُوا الزَّوْزَنَ بِالْقَيْسِ﴾^(٧) تنبيهاً على المحافظة على تعديله. وقال أبو علي الجبائي: الصلاة لما جاورها القيام صح أن يعبر عن المصلي بالقيام وهذا بعيد، لأن المجاور للصلاة القيام لا الإقامة، ثم مع القول المتقدم لا يعرج على هذا، وقوله -عز وجل- ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الرزق: لفظ مشترك، يقال للعطاء الجاري تارة، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة. فقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٨) يعني نصيبكم من النعمة.

وقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾^(٩) تنبيهه على أن الحظوظ بالمقادير. وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(١٠) ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾^(١١) محمول على المباح دون المحظور لأمرين: أحدهما: [أنه]^(١٢) حث

١ - سورة الإسراء : الآية (٧٨).

٢ - سورة النساء : الآية (١٦٢).

٣ - سورة المائدة : الآية (٥٥)، سورة الأنفال : الآية (٣) وسورة النمل: الآية (٣)، وسورة لقمان: الآية (٤).

٤ - سورة الماعون : الآيتان (٤) ، (٥).

٥ - الحديث في صحيح مسلم في كتاب الطهارة بلفظ: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلّي ركعتين مقبلاً عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة» صحيح مسلم بشرح النووي-ج: ٣-ص ١١٨.

٦ - سورة المائدة : الآية (٦٦).

٧ - سورة الرحمن : الآية (٩).

٨ - سورة الواقعة : الآية (٨٢).

٩ - سورة الذاريات : الآية (٢٢).

١٠ - سورة المنافقون : الآية (١٠).

١١ - سورة الأنفال : الآية (٣) ، (وسورة الحج : الآية (٣٥) وسورة القصص : الآية (٥٤) وسورة السجدة : الآية (١٦) وسورة

الشورى . الآية رقم (٣٨).

١٢ - ساقطة من (ط - س).

على الإنفاق، ومدح لفاعل، ولا يحد ولا يمدح بانفاق المحظورات. والثاني: باضافته إليه وتمكينه منه، حيث قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من شرط ما يضاف إليه من الأفعال مفصلاً أن يخص الأفضل، فالأفضل، وإن كان قد يضاف إليه الأفعال كلها على سبيل العموم، بمعنى: أنه هو السبب الذي لولاه -تعالى- لم يحصل ولم يكن بوجه، والظاهر -من إنفاق ما رزقه الله -المال، وذلك عام فيما يخرج من الزكاة^(١) المفروضة، ومن العطايا النافلة، بدلالة أن ذلك مدح منه، والمدح قد يستحق بالفرض والنفل، وما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما أنه عنى "الصلوات المفروضة" والزكوات^(٢) [المحدودة]^(٣) فإنه، ذكر أوكد ما يستحق به المدح، إذ لا يعتد بالنفل ما لم يؤت بالفرض، لقوله عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ» وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى اللَّقْمَةُ يَضَعُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِهِ» فالإنفاق من الرزق بالنظر العامي من المال كما تقدم. وأما بالنظر الخاصي:

فقد يكون الإنفاق من جميع المعاون التي آتانا الله -عز وجل- من النعم الباطنة والظاهرة، كالعلم والقوة والجاه والمال. ألا ترى إلى قوله -عليه السلام: «إِنَّ عِلْمًا لَا يُقَالُ بِهِ كَكُنْزٍ لَا يَنْفَقُ صِنْفُهُ»^(٤). وبهذا النظر عد الشجاعة وبذل الجاه وبذل العلم من الجود حتى قال الشاعر:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود^(٥). وقال آخر:

بَحْرٌ يَجُودُ بِمَالِهِ وَبِجَاهِهِ
وَالْجُودُ كُلُّ الْجُودِ بِذُلِّ الْجَاهِ^(٦)

وقال حكيم: "الجود التام: بذل العلم، فمتاع الدنيا عرض زائل ينقصه الإنفاق. وإذا تراحم عليه قومٌ ثم بعضهم حال بعض، والعلم بالضد - فهو باقٍ دائم، ويزكو على النفقة، ولا يثلم تناول البعض حال الباقين، وإلى هذا ذهب بعض المحققين فقال: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) أى: "مما خصصناهم به

١ - في ١٠ - ص (الزكوات.

٢ - في (و - ج) والزكاة.

٣ - ساقطة من (١ - ص) ، (ط - س) .

٤ - الحديث أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة بلفظ: قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "إن مثل علم لا ينفع كمثل كنز لا ينفق في سبيل الله - عز وجل" وورد الحديث أيضاً عند الدارمي في المقدمة: باب البلاغ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم وتعليم السنن.. انظر: سنن الدارمي-ج: ١-ص ١١٣.

٥ - البيت لمسلم بن الوليد، وهو في ديوانه، وشطر البيت الأول:

تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها... مقدمة جامع التفسير ص ١٥٩.

٦ - ثلم الشيء ثلماً فيه ثلثة وثلثم السيف: صيره غير ماض القطع، ثلم الشيء ثلماً: صارت فيه ثلثة، وثلثم الرجل الرجل: بلد طبعه. فهو ثلم القاموس المحيط مادة: ثلم.

من أنوار المعرفة يفيضون"، فعلى هذا عام في كل ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

سورة البقرة: الآية (٤) ..

الإنزال، والوحي متقاربان، لكن استعمال "الإنزال" على اعتبار حال المنزل والمنزل إليه بالشرف والمنزلة، لا بالمكان، والوحي: هو الإشارة والإبقاء، وذلك على ثلاثة أضرب بينها الله تعالى في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾^(١)، الأول- من ذلك الوحي: والإنزال الذي بينه تعالى وبين أولي العزم من الرسل بسفير يرونه، والثاني: بسماع من غير رؤية، كحال موسى -عليه السلام- في ابتداء بعثته، والثالث: بالإلهام والإلقاء في الروح، وذلك ضربان: إما الإلقاء في الروح في حال اليقظة، وهو المعبر عنه بالحدث والمروء، وعليه نبه عليه السلام بقوله^(٢): (إِنْ فِي أُمَّتِي لِمُرُوعِينَ)^(٣)، وقوله: (إِنْ يَكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مُحَدِّثٌ فَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ)^(٤)، وقوله: (إِنْ رُوحُ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي)^(٥) وإما إلقاء إليه في المنام، وذلك ضربان: إما ظاهر من المنام لا يحتاج إلى تعبير... وإما تلويح ورمز يحتاج إلى تعبيره، ولهذا قال عليه السلام:

«الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ [الصَّالِحَةُ]^(٦) جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ»^(٧)، فالذي يكون في المنام بالإلقاء في الروح، قد يكون لغير^(٨) الأنبياء -عليهم السلام- والذي يكون بالسماع من غير رؤية قد يكون لغير أولي العزم من الرسل، والذي يكون بالسفير المرئي لا يكون إلا لأولي العزم، وعلى هذا

١ - سورة الشورى: الآية (٥١).

٢ - في (و - ج) بقوله عليه السلام.

٣، ٤ - أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ج: ٧-ص ٤٠، ٤١، كما أخرجه مسلم في فضائل الصحابة تحت رقم ٢٣٩٨- ونصه: عن أبي هريرة- رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر"، ومعنى: (محدثون) ملهمون وفي الحديث رواية أخرى عن عائشة أخرجه مسلم تحت رقم: ٢٣٩٨ والترمذي تحت رقم: ٣٦٩٤.

٥- نص الحديث: "إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها"، وقد رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة وابن حبان والحاكم وابن ماجه من حديث جابر والحاكم من حديث ابن مسعود والبخاري عن أبي الدرداء وأبو يعلى عن أبي هريرة وابن ماجه عن أبي حميد الساعدي مطولاً ومختصراً وهو حديث صحيح.

٦ - ساقطة من (١ - ص) ، (ط - س) .

٧ - هذا الحديث جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا بلفظ: "... ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة..." وقد ورد الحديث في أكثر الروايات بلفظ "... جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"، وفي بعضها: "جزء من أربعين جزءاً"، وفي بعضها الآخر: "جزء من سبعين جزءاً".

٨ - في (١ - ص) بغير وهو تصحيف.

حال الإنزال. فقد ذكر تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾^(٣). ومعلوم أن ذلك بالتمكين والإلقاء في الروح: بالهداية إليه، واليقين أقوى إدراكات العقل، ولهذا قيل: هو مشاهدة الغيوب بعين القلوب تنبيه أنه أقوى إدراكات العقل، كما أن رؤية البصر أقوى إدراكات الحواس، ولصعوبة إدراكه، قال -عليه السلام-: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ضَعْفُ الْيَقِينِ»^(٤) ولذلك قالوا: اليقين هو اطمئنان القلب اعتباراً بثمرته. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٥). واستعمل فيه "الرؤية" تنبيهاً على ما تقدم، والكلام في ترتيب الآيتين ونظمها صعب. وذلك أنه إن كانت تفصيلاً للمتقين، فالوجه أن يفصل^(٦) ذلك بفصل لا يدخل أحد القسمين في الآخر، نحو أن يقال: العرب بدويٌّ وحضري^(٧)، وشاعرٌ وغير شاعرٍ، أو تميمي وغير تميمي، فأما أن يقال: شاعر وتميمي، فلا يصح، ومعلوم أن بعض ما ينطوي عليه أحد^(٨) الآيتين داخلٌ في جملة الأخرى. وإن كان ذلك ليس بتفصيل، وإنما هي صفات للمتقين، ويكون ذكر بعض ذلك مخصصاً عن الجملة كذكر جبرائيل وميكائيل بعد الملائكة على سبيل التخصيص، فالوجه: أن لا يعاد "الذين" ثانياً، [ثم]^(٩) قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية: (٥) - سورة البقرة .

[يجب أن يُعلم هل هما صفتان لموصوفين أو لموصوف واحد]^(١٠) فيقال -وبالله التوفيق^(١١): إنه قد قيل: الآيتان - وإن كانتا عامتين فمعناها خاص. فالأولى أشير بها إلى الذين آمنوا عن الشرك، والثانية إلى الذين آمنوا من أهل الكتاب - وهو قول ابن عباس - واستدل على تقوية ذلك بأنه كما صنف الكفار - بعد

١ - سورة الشورى: الآية (١٧).

٢ - سورة الزمر: الآية (٦).

٣ - سورة الحديد: الآية (٢٥).

٤ - الحديث أورده صاحب كنز العمال تحت رقم ٧٣٣٢-ص ٤٣٧ بلفظ "ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين"، وعزاه للطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة. كما أورده تحت رقم ٧٣٤١-ج: ٢-ص ٤٣٩ بلفظ "أما أتخوف على أمتي ضعف اليقين"، وعزاه لابن المبارك عن أبي هريرة.

٥ - سورة الانعام: الآية (٧٥).

٦ - في (أ - ص) يفضل وهو تصحيف.

٧ - في (ط - س) وحضري.

٨ - في (ط - س)، (و - ج) إحدى.

٩ - ساقطة من (و - ج).

١٠ - ساقطة من (ط - س).

١١ - زيادة في (ط - س).

ذلك- فجعلهم "مجاهداً" و "مناقفاً"، كذلك صنف المؤمنين، فجعلهم مؤمناً عن شرك، ومؤمناً عن غير مخالف في النبوة. فعلى هذا قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾^(١) كأنه قيل: هذا الكتاب هدى للمسلمين الذين هذا وصفهم. ولأهل الكتاب الذين جمعوا بين الإيمان بك وبين تقدمك، وقد قيل فيه قول ثان: وهو أن الإيمان ضربان: ضرب يمكن أن يدرك جملتها بالعقل، وإن لم يكن إدراك تفاصيله إلا بالشرع، وذلك ثلاثة أشياء، ذكرها في الآية المتقدمة: وهي أفضل ما يؤدي بالجوارح وهي الصلاة، وأفضل ما يؤدي من الأملاك، وهو الزكاة. وذلك صفات المتقين، ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة أشياء، ذكرها في الآية المتقدمة: وهي أفضل ما يؤدي بالجوارح وهو الصلاة، وأفضل ما يؤدي من الأملاك، وهو الزكاة. وذلك صفات المتقين، ثم ذكر بعد ذلك ثلاثة أحوال من أسرار الإيمان مما لا سبيل إلى معرفته إلا بالسمع وهو الإيمان بالقرآن والإيمان بالكتب المنزلة على الرسل المتقدمة الإيقان بيوم القيامة قال: وإنما أعاد "الذين" تنبيهاً أن هذه الثلاثة سبيلها غير سبيل الأول، وقد قيل فيه قول ثالث: وهو أن الإيمان ضربان، ضرب هو معرفة سبيل الحق، وطلب الوسيلة إليه وهو المشار إليه بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢)، ويقول: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣)، وضرب هو مزاولة السلوك إليه المشار [إليه]^(٤) بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٥)، ويقول: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٦)، فالمعنيون بالآية الأولى هم الموطئون السبيل إليه بالإيمان به والعبادات البدنية والمالية، وبالثانية المجتهدون في التوصل إليه وهم الذين يعرفون حقائق مراد الله بما أنزله على أنبيائه وعناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطِّيبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾^(٧) ويقول: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾^(٨)، ويقول: ﴿أَوَلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(٩)، وهم المزيد لهم بقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(١٠)، فعلى

١ - سورة البقرة : الآية رقم (٤).

٢ - سورة النحل : الآية (١٢٥).

٣ - سورة المائدة : الآية (٣٥).

٤ - ساقطة من (ط - س).

٥ - سورة يوسف : الآية (١٠٨).

٦ - سورة الحج : الآية (٧٨).

٧ - سورة الحج : الآية (٢٤).

٨ - سورة الزمر : الآية (٢٢).

٩ - سورة المجادلة : الآية (٢٢).

١٠ - سورة الشورى : الآية (٢٢).

هذا يرجع قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ إلى الصنف الأول، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إلى الصنف الثاني، قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، قد تقدم القول في ذكر الهداية بما أغنى عن الإعادة، فأما "الْفَلَحُ" فأصله: الشق، ومنه قيل: "الحديد بالحديد يُفْلَحُ"، وسمى «الأكار»^(١) فلاحاً، اعتباراً بمبدأ فعله، وهو شق الأرض، ومن قال: يسمى "المُكَارِي"^(٢) فلاحاً لقول الشاعر^(٣) "وَفَلَّاحٌ يَسُوقُ لَهَا حِمَاراً"^(٤)، فهذا سوء نظر منه، فإنه أراد أكاراً يسوق حماراً، فكما أنه لو قال: أكاراً يسوق حماراً، لم يكن يجب أن يقال: الأكاري: هو المكاري، كذلك هذا، وسمى "الظفر" فلاحاً اعتباراً بكشف الكربة، ثم "الفلاح" تارةً يعتبر بأعراض الدنيا، فيقال: أفلح فلان: إذا ظفر بما يريده، وقول من قال: الفلاح: البقاء، لقول الشاعر: وَتَرْجُو^(٥) وَالْفَلَّاحُ بَعْدَ عَادٍ وَحِمِيرًا^(٦)، فإنما عني الفرج، والبقاء: بعض الفرج، فإذا ذلك عامٌ موضوعٌ موضع خاص، وقد استعمل "الفلاح" في الآية لما هو في الحقيقة ظفرٌ وفرجٌ، كما قال عليه السلام: «لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ»^(٧)، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(٨).

١ - الأكاري: والحراث، ٢ - المكاري: مكري الدواب، ويغلب على "الحمار" و"البغال".

٣ - هذا عجز بيت لعمر بن أحمير الباهلي، والبيت بتمامه:

لها رطل تكيل الزيت فيه وفلاح يسوق لها حماراً

وهو من قصيدة له مطلعها :-

ألم تسال بفاضحة الديارا متى حل الجميع بها وسارا

وقالها في بني سهم حيث كانوا قد أوعدوه بالقتل.

انظر شعر عمرو بن أحمير الباهلي - جمع وتحقيق : د/حسن عطوان، ص ٧٥ - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٤ - في (و - ج) ، (أ - ص) ، (ط - س) وفلاح يسوق الحمارة.

٥ - في (و - ج) ورجوا، وفي (أ - ص) ويرجوا وهو تصحيف.

٦ - البيت للبيد، وأوله: نحل بلاداً كلها حل قبلنا والبيت بعده :-

لنا لمفتدي والرائح المتهجر وأنا وأخوانا قد تتابعوا

وهو من قصيدة قالها لبيد يذكر من فقد من قومه ومن سادات العرب، ويتأمل في سطوة الموت وضعف الإنسان، ومطلعها :-

أعادل قومي فاعذلي الآن أو ذري فليست وإن أقصرت عني بمقصر

ديوان لبيد - ص ٦٨ ، ط : دار صادر.

٧ - أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الخندق،

فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وفي رواية :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة

وفي رواية:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة

وقال الحافظ في الفتح : قال ابن بطال: قول ابن رواحة يعني تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الحافظ في الفتح قال ابن بطال:

هو قول ابن رواحة يعني تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم.

٨ - سورة العنكبوت : الآية (٦٤).

قوله - عز وجل - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية: (٦) - سورة البقرة

الكفر فى اللغة الستر، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذر فى الأرض وليس لهما باسم كما ظن بعض أهل اللغة لما سمع قول الشاعر: **أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِى كَافِرٍ**^(١) فإن ذلك على إقامة الوصف تمام المصوف، وقول الشاعر: **كَالْكَرْمِ إِذْ نَادَى مِنَ الْكَافُورِ**، أى: الأكماء منه، وسمى القرية كفوراً لذلك، وكفر النعمة: سترها، يقال: **كَفَرَ كُفُوراً وَكُفُوراً**، نحو **شَكَرَ شُكْراً وَشُكُوراً**، وهو **كَافِرٌ وَكُفُورٌ**، وشاكراً وشكُوراً. وحقيقة الكفر ستر نعم الله تعالى، ولما كانت نعمه^(٢) تعالى بالقول المجمل ثلاثاً، نعمةً خارجية: كالمال والجاه، ونعمةً بدنيةً: كالصحة والقوة، ونعمةً نفسيةً: كالعقل والفتنة، صار الشكر والفكر ثلاثة أنواع بحسبها، وأعظم الكفر ما كان مقابلاً للنعمة [النفسية]^(٣)، فبها يتوصل إلى الإيمان واستحقاق الثواب، ومن قابل تلك النعم بالكفران فهو الكافر المطلق، ولذلك صار الكفر فى الإطلاق جحود الوجدانية والنبوة والشرعية^(٤)... وقوله **تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾** فى الأصل مصدر كالعلاء والنماء، وفى المتعارف^(٥) يستعمل فى وسط الشئ الاعتبار استوائه بطرفيه، ومنه سواء الدار، وأما السيان: ففى الشيئين الاعتبار أحدهما بالآخر فى المساواة، فالشئ هو المساوى كالقتل والمثل فى معنى المقاتل^(٦) والمماثل، فإذا قيل: **"سَيِّانٌ زَيْدٌ وَعَمْرٌ"**، فمعناه: **"كلُّ واحدٍ منهما مساوٍ للآخر"**، وإنما جاز قولهم: **([سَوَاءٌ])^(٧) عَلَى أَقْمَتٍ أَمْ قَعْدَتٍ** منه بإيهام الأمر على استواء الحالين لديه، وإن كان القصد الأول بهذا الكلام إلى الاستفهام دون المساواة، فلما صار فيه معنى الاستواء، جاز أن يقال ذلك بمعنى أن ما اقتضاه هذا السؤال سوى عندي، وأكثر النحويين جعلوا **"سواءً"** مبتدأ وما بعده خبره، وقالوا: **"كل جملة حصلت خبراً لمبتدأ فلا بد من أن يكون فيها ضمير منطوق به، أو مقدرٌ إلا^(٨) هذه الجملة"**، فإنه لا ضمير فيها بوجه، وذكر بعضهم أن المبتدأ ههنا مقدر، وقد دل عليه لفظ الاستفهام وسواء: خبره فالجملة قد تدل على المخبر عنه نحو من كذب

١ - هذا عجز بيت لثعلبة بن صغير المازني وشطره:

فتذكرت ثَقَلًا رثيداً بعدما وهو من مفضليته التي مطلعها

هل عند عمرة من ثبات مسافر ذي حجة متروح أو باكر

والبيت فى المفضليات ص ١٣٠ واللسان مادة (كفر) والأفعال ج: ٢ ص ١٧٤.

٢ - فى (و - ج) نعمته.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - فى (و - ج) والشرائع.

٥ - فى (أ - ص) وفى التعارف.

٦ - فى (١ - ص) المقابل.

٧ - ساقطة من (و - ج).

٨ - فى (و - ج) إلى.

كان شراً له أى كان الكذب شراً له، وهذا التقدير أجود لأمر منها: أنه لا ينكسر^(١) الباب على هذا، لأن الباب مقرر فى أن الجملة إذا كانت خبراً فلا بد لها من ضمير يرجع إلى المخبر عنه، والثاني: أنا إذا قلنا: "سواءٌ عليهم"^(٢) القيام والقعود" يخبر عن القيام والقعود بالسواء لا عن السواء بالقيام والقعود والثالث: إن سواءً نكرة غير موصوفة ولا محدودة، فيقبح الابتداء به، وقال أبو علي الغنوي في نصرة المذهب الأول: "إنك إذا قلت سواءً هو خبر، بقى الكلام بلا مبتدأ فالجملة بعده خبرٌ ساقطٌ على التقدير المتقدم ويشهد لصحة ما قلنا^(٣) قولهم: "تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه"^(٤)، فإن قولهم: "تسمع" يدل على مبتدأ، وقولهم: "خير" خبره، كأنه قيل: "تسمع وسماعك بالمعيدي خير"، والإنذار إخبارٌ فيه تخويف، كما أن التبشير إخبارٌ فيه سرور، وقولهم: نذرت يقتضي معنى خشيت وخفت، وأما قولهم: "أنذرت"، فذلك تقديم قول يقتضي خوفاً من محذورٍ أو رجاءً لسرور. إن قيل: كيف قال (سواءٌ عليهم) الآية، وقد علم أنه قد آمن من الذين كفروا قومٌ قيل: إيمان من آمن لا يناهى مقتضى الآية، وذلك^(٥) أنه تعالى نفى أنهم ينتفعون بالإنذار مع حصول الكفر، فأما إذا زال^(٦) الكفر وهو الجحود، فإنه لا يمتنع أن ينتفعوا بالإنذار، كقولك: "المريضُ سواءً أطعمته أم لم تطعمه لا ينفعه^(٧) الطعام" - تنبيهاً أنه ما دام مرضه حاصلاً لم ينفعه ذلك، ولا تقتضي أنه لا ينتفع بذلك إذا زال مرضه، وقد تقدم أن الطب ضربان: إزالة المرض، وحفظ الصحة، وأن الإنذار يجرى مجرى الغذاء الحافظ للصحة، وأن النظر فى الأدلة المقتضية للتوحيد وإثبات الرسل جارٍ مجرى الدواء المعيد للصحة، والمريض لا ينتفع^(٨) بالغذاء ما لم يزُل مرضه، فتبين^(٩) أن الذي فى قلبه مرض من الكفر لا ينتفع بما يجري مجرى الغذاء مادام به المرض، وقد روى عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- ما دل على هذا، وهو أنه قال: "عنى به الجاحدين لنعمة" وأن الإنذار لا ينفعهم مع كفرهم"، وقيل: إن ذلك حكمٌ على جميعهم، لأن النبى -عليه السلام- كان يحب أن يؤمنوا بأجمعهم، وإيمان بعضهم ليس يقتضي أن الحكم على الكل كاذب، وقيل: الآية نزلت فى اليهود الذين جحدوا نبوة النبى ﷺ مع ظهور المعجزات لهم، ولم يؤمن أحد منهم، وقال الربيع: "نزلت فى قادة الأحزاب الذين نزلت فيهم."

١ - فى (١ - ص) أنها.

٢ - فى (١ - ص) عليها وهو تصحيف.

٣ - فى (١ - ص) ما قلناه.

٤ - هذا المثل يقال إذا لم يطابق الخبر العيان، أو لم يؤكد السماع ما رآه العينان، وروى أن المنذرين ماء السماء كان يسمع عن رجل من معد، ويعجبه ما يبلغه عنه، فاستقدمه ليرى ذلك الرجل العظيم الذي ملأت صورته قلبه، فلما جاءه لم يجده كما سمع فقال:

"تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه" - المنتخب من أمثال العرب ص ٥٥٤

٥ - فى (١ - ص) وذاك.

٦ - فى (١ - ص) أزال.

٧ - فى (١ - ص) لا تنفعه وهو تصحيف.

٨ - فى (١ - ص) ما لا ينتفع.

٩ - فى (١ - ص) فبين.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾^(١) وقيل: لم يدخل في الإسلام منهم إلا نفر لا يدري هل حصل لهم الإيمان الموصوف في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)^(٢)، فإن قيل: إذا علم أنه لا ينجع فيهم الإنذار، فما فائدة حث النبي ﷺ على إنذارهم؟

قيل: قد بين الله تعالى في الآية ما هو تنبيه على الجواب عن ذلك، لأنه قال: "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ" ولم يقل: عليك، ليبقى للنبي فضل الإنذار والسعي، ففي إبلاغه فائدتان: فائدة له في استحقاق الثواب لما تكلفه من المشاق، وفائدة لهم أن قبلوا^(٣)، فهم وإن حُرِّمُوا فائدة القبول^(٤)، فإنه -عليه السلام- لم يحرم فائدة الإبلاغ، وعلى ذلك قال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(٥) تنبيهاً على هذا المعنى، وقال فيما خاطب به الكفار وذمهم لعبادتهم الأصنام ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾^(٦)، فقال عليكم لما كان ذلك راجعاً إلى الداعين دون المدعوين وخبر أن يصح أن يكون قوله: (لَا يُؤْمِنُونَ)، وقوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ) مع خبره اعتراض في موضع الحال، ويصح أن يكون الجملة التي هي "سواء عليهم" مع خبره خبر "إن"، وقوله: (لَا يُؤْمِنُونَ) حال مؤكدة، أو تفسير لذلك، لأنه إذا قيل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلَّذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾^(٧)، لا يعلم من ظاهره أن هذا الاستواء هل هو في: "أن يؤمنوا"، أو في "أن لا يؤمنوا"، فبين ذلك قوله - عز وجل: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الآية: (٧) - سورة البقرة.

الختم، والطبع الأثر الحاصل على نقش، وتجوز به في أمور، يقال: "ختمت كذا" في الاستيثاق من الشيء والمنع منه - نظراً إلى ما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب، ويقال ذلك، ونعني به تحصل أثر نظر إلى النقش الحاصل عن الطابع إذا طبع، ويقال ذلك ونعني به بلوغ آخر الشيء - نظراً إلى أنه آخر فعل يفعل في إحراز الشيء منه، ومنه قيل: "ختمت القرآن"، ويقال ذلك لما يستدل به إلى الشيء - نظراً إلى ختم الناشر المستدل به على منشيها، وأما المراد من الآية، فقد قيل: "للإنسان بالقول المجمل ثلاثة

١- سورة إبراهيم : الآية (٢٨).

٢- سورة الأنفال : الآية (٢) .

٣- في (١ - ص) قبلوه .

٤- في (و - ج) لعيوب وهو تصحيف .

٥- سورة المنافقون : الآية (٦).

٦- سورة الأعراف : الآية (١٩٣)

٧- سورة البقرة : الآية (٦).

أنواع من الذنوب يقابلها في الدنيا ثلاث عقوبات. الأول: الغفلة عن العبارات، وذلك يُورثُ صاحبها جسارةً على ارتكاب الذنوب، وهي المشار إليها بقوله عليه السلام: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً كَانَ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يُغْلَقَ قَلْبُهُ»^(١) والثاني: الجسارَةُ على ارتكاب المحارم، إما الشهوة تدعوه إليه أو شرارة تحسنه في عينه، وذلك يورثه وقاحة، وهي المعبر عنها بالرُّين في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، والثالث: الضلال، وهو أن يسبق إلى اعتقاد مذهب باطل، وأعظمه الكفر، فلا يكون منه تلفتٌ بوجه إلى الحق، وذلك يورثه هيئَةً تُمرنه على استحسانه للمعاصي واستقباحه للطاعات، وهو المعبر عنه بالختم والطبع، وكما عبر عنه بذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿أُوتِيتُكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾^(٤) فقد عبر عنه بالإقفال في قوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٥)، وبالإغفال في قوله: ﴿وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾^(٦)، ويقساوة القلب في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾^(٧)، ويجعل أكنةً عليها في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾^(٨)، وبعدم العقل في آيات كثيرة. ويجب أن يتصور ههنا نكتةٌ تزيل الشبهة فيها وفيما أشبهها من الآيات، وهي أن الهداية من الله تعالى ضربان، أحدهما: بالعقل الذي هو فطرته التي فطر الناس عليها، ومتى توهم نفياً مرتفعاً ارتفع التكليف، والثاني: العلم المحصل للإنسان بالفكر والروية بواسطة ما أُعطى من نور الهداية الأولى، وهو الذي أشار إليه النبي ﷺ فيما قال لعلي -رضي الله تعالى عنه: «إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى خَالِقِهِم بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، فَتَقَرَّبَ أَنْتَ إِلَيْهِ بِالْعَقْلِ تَسْبِقُهُم بِالدرجاتِ»^(٩) فإذا كان كذلك، وجب أن يكون متصوراً أن هذه الهداية الثانية مباحةٌ للكافة،

١- قال العراقي: رواه الترمذي وصححه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة وابن حسان والحاكم. ورواه كذلك أحمد حميد بن جريب وابن المنذر. وابن مرويّه والبيهقي في الشعب بلفظ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً نُكْتَتْ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ إلخ ... تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزيدي. الجزء الأول ص ٧٧١ : ص ٧٧٢ استخراج أبي عبد الله الحداد.

٢- سورة المطففين : الآية (١٤)

٣ - سورة الجاثية : الآية (٢٣).

٤ - سورة النحل : الآية (١٠٨).

٥ - سورة محمد : الآية (٢٤).

٦ - سورة الكهف : الآية (٢٨).

٧ - سورة المائدة : الآية (١٣).

٨ - سورة الإسراء : الآية (٤٦).

٩- هذا الحديث مشهورٌ بالفاظ قريبة من هذا اللفظ، وأورده الراغب في الذريعة إلى مكارم الشريعة، كما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي «إِذَا اكْتَسَبَ النَّاسُ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ لِيَتَقَرَّبُوا بِهَا إِلَى رَبِّنَا-عز وجل- فَاكْتَسَبَ أَنْتَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَقْلِ تَسْبِقُهُمْ بِالزَّلْفَةِ وَالْقَرَبِ». وقال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف.. الذريعة - ص١٦٩.

لكن لا سبيل إلى لقائها وتناولها والانتفاع بها إلا لمن جلى بصيرته لرؤيتها، وطهر قلبه بقبولها، وقد نبه تعالى على ذلك بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(١)، والكافر من حيث لم يجل البصيرة لم يرها، وإذا لم يرها لم يتناولها، وإذا لم يتناولها، صح أن يقال: "هو ممنوع منها ومصرف عنها"، كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفِتْنَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾^(٢)، ثم بين سببه فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٣)، وتصور بعض الناس أن ذلك الختم منع من الله تعالى للكافر عن الإيمان، واستدل به على جواز تكليف ما لا يستطيع، وهذا تصور فاسد، فالإنسان في هذه الحالة، وإن كان لا سبيل له إلى الإيمان في الحال، فذلك بما كسبت يده من إهمال نفسه، فما فسد بينهما من يده، فإنه وإن كان لا يقدر على رده، فقد كان من قبل سهلاً عليه أن يضبطه فلا يرمي به، ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٤)، فجعل الكفر علة للطبع على قلوبهم، وقال بعض المتكلمين: إن الختم والكن لو كان مانعاً من الإيمان، لما أنكر الله تعالى على الكفار حيث قالوا ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾^(٦)، وليس بصحيح استدلاله، وذلك أن هذا المنع حاصل، لكن هو من جهتهم على ما تقدم، والقوم لم يتصوروا ذلك، فلذلك أنكر الله عليهم ما قالوه، وأما ما قاله أبو علي الجبائي في أن "الختم" سمة جعلها الله تعالى في قلوب الكفار دلالة للملك على كفرهم كالكتابة في قلوب المؤمنين ليعرفوا بها الاعتقادات التي لا تظهر بالجوارح، فإن هذا كما قال الشاعر:

تخرصاً وأحاديثاً ملفقة
ليست ينبع إذا عدت ولا غريب^(٧)

وذاك أن هذا الحكم لا سبيل إلى إثباته إلا بسمع غير محتمل، وأيضاً فإن هذه الكتابة إن كانت

١ - سورة الشمس - الآية: (٩) .

٢ - سورة الأعراف : الآية (١٤٦) .

٣ - سورة الأعراف : الآية (١٤٦) .

٤ - سورة المنافقون : الآية (٣) .

٥ - سورة البقرة : الآية (٨٨) .

٦ - سورة فصلت : الآية (٥) .

٧ - البيت لأبي تمام في مدحه المعتصم في وقعة فتح عمورية وحريقها ، والتخرص هو الكذب وأفتراء القول ، وملفقة : أي ضم بعضها إلى بعض وليست من شكل واحد ، والنبع شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال وتتخذ منه القسي وإذا وصف الرجل بالجلادة شبهه بالنبع أي أنه صلب لا يقدر على كسره ، ومن أمثالهم «النبع يقرع بعضه بعضاً» وذلك كما في ديوان أبي تمام - بشرح الحطيب التبريزي - تحقيق محمد عبده عزام - الطبعة الرابعة - دار المعارف .

محسوسة، فمن حقها أن يدركها ذو الحاسة وإن كانت معقولة، والاعتقاد أيضاً معقول، فالملائكة غير مفتقرة في شئ من المعقولات إلى الأدلة والبراهين كما يحتاج إليها البشر، وقال أبو القاسم البلخي: "إِنْ خَتَمَ اللَّهُ عَلَيْهَا شَهَادَتَهُ عَلَى صَاحِبِهَا بَأَنَّهُ ^(١) لَا يُؤْمِنُ" قال: "وتخصيص القلب بذلك لاختصاصه بالاعتقادات، كتخصيص الرجل بالمشي، واليد بالبطش إذا قيل: "مشيت رجله"، و"بطشت يده"، وقد جعل الله تعالى في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ ^(٢) ثلاثتها مطبوعاً عليها، وفي هذه الآية، وفي قوله: ﴿وَوَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ ^(٣)، البصر مغشياً عليه مفرداً عن القلب، والسمع، فقد قيل: إن ذلك لاختصاص البصر بمعنى، وهو أنه لما كان يحتاج في إدراك مدركاته إلى نور من خارج كما يحتاج إلى نور من داخل، والقلب والسمع يستوى حالهما في إدراك مدركاتها ^(٤) في الضوء والظلمة، خص البصر بالغشاوة -تنبيهاً على أن النور ممنوع منه، فلا يحصل به الانتفاع وأيضاً، فإن ما يدركه القلب والسمع لا يختص بجهة دون جهة، وما يدركه البصر يختص بجهة المقابلة، فجعل ما يمنعها من خاص، فعليهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات، وجعل ما يمنع البصر من خاص الغشاوة المختصة بجهة دون جهة، وأكثر ما ذكر الله القلب، فالمقصود به "العقل والمعرفة"، وكان ذلك عبارة عن الموعى بالوعاء، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ^(٥)، وقوله تعالى: ﴿فَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ^(٦)، وقوله عليه السلام: «أَسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمَفْتَوُونَ» ^(٧)، وأما أفراد السمع مع جمع القلب والبصر، فقد قيل: إن السمع في الأصل مصدر، فأجري مجرى أصله، وقيل: أراد موضع سمعهم، وقيل: المضاف إلى الجمع يصح جمعه على الأصل، وإفراده على الإيجاز - اعتماداً على المضاف إليه، كقول الشاعر:

أَمَّا عِظَامُهَا فَبَيْضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ ^(٨)

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - سورة النحل : الآية (١٠٨).

٣ - سورة الجاثية : الآية (٢٣).

٤ - في (١ - ص) مدركاتها وهو الأصح .

٥ - سورة ق : الآية (٣٧).

٦ - سورة الحج : الآية (٤٦).

٧ - الحديث من قوله - ﷺ لو ابصت بن معبد الأسدي ويكنى بأبي سالم وأبي الشعاء وأبي سعيد من خيار الصحابة ، ونصه : «استفت قلبك وإن أفوتك وأفوتك وأفوتك» هكذا بالترار ثلاثاً ، وقال العراقي : رواه أحمد في مسنده عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرم عن وابصة وأخرج الدارمي وأبو نعيم في مسنديهما والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية ، وأخرجه البخاري في التاريخ .

٨ - شطر البيت لعلمته بتكلمته ، بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

والبيت في ديوان علقمة ص ٤٠ ، وفي المفضليات ص ٢٩٤ ، وفي خزانة الأدب ج ٣ : - ص ٣٩٧ والمقتضب ج ٢ - ص ١٧٠ وكتاب سبويه ج ١ - ص ١٠٧ وفي إملاء العكبري ج ١ - ص ١٥ وفي معاني القرآن للأخفش ج ١ - ص ٢٢٦ وهو يصف طريقاً شاقة وجيف الحسرى : المعيبة من الأبل يتركها أصحابها فتموت وعظامها بيض أى أكلت السباع والطير ما عليها من اللحم فتعرت وجلدها صليب : أى يابس ، لانه ملقى بالفلاة لم يدبغ

والغشاوة: ما يُغشى به كالعلاقة، والعلاقة، وغشى منه، لكن قلب واوه ياء لانكسار ما قبله، وكذلك: غشيان، كغليان، ومن نصب غشاوة فعلى تقديره جعلَ على أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً، وَمَنْ رَفَعَ فعلى القطع والاستئناف، والعذاب: اسم من التعذيب، وكان الأصل من قولهم ما عذب والتعذيب إزالة ذلك العذاب كقولهم مرضته وفديته في إزالة المرض والقذى والفرق بين العذاب والعقاب أن العقاب لا يقال إلا فيما كان مجازة، وكأنه هو المتعقب للجرم المتقدم، والعذاب يُقال فيه وفي غيره، ووصفه^(١) بالعظيم: تنبيه أنه إذا قويس بسائر ما يجانسه قُصِرَ جميعه عنه.

قوله - عز وجل - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾
الآية: (٨) - سورة البقرة.

الناس: جماعة حيوان ذي فكر وروية، واختلف في لفظه، فقيل: هو من قولهم: أناسٌ، وحذف همزته وتقديره بعد الحذف عال، وقيل: بل هو من: "ناس" - ينوس - أي اضطرب، وتسميته بذلك لكونه ذا اضطراب زائد على غيره، إما ببدنه أو ببدنه وفكره معاً، فلإنسان بالفكر حركة زائدة على سائر الحيوان، وقيل: هو ومقلوب من: نسي، نحو: "جَذَبَ"، و"جَبَذَ"، ولاه أبوك، ولهى أبوك، وكذا قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في الإنسان: إنه سُمِّيَ بذلك لأنه عَهِدَ إليه فَتَنَسَى، فإنسان: على ذلك: "أفعلان" أصله "إنسيان"، بدلالة تصغيرهم على أنيسان، وقيل: سُمِّيَ إنساً، وإنساناً، لأنه خُلِقَ خَلْقُهُ لا قَوَامَ له في حياته بجميع أسبابه، فيحتاج البعض إلى بعض، ليتسبب لهم أمورهم، ولأنه إذا لم يكن له مَسْكُونٌ إليه من جنسه، لم تطب حياته، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(٢)، وهذا المعنى رمقه الشاعر حيث قال:

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا بَغْيَرٌ حَبِيبٌ فحَيَاتُهُ فِيهَا حَيَاةٌ غَرِيبٌ
مَا كَانَ^(٣) فِي حُودِ الْجِنَانِ لَأَدَمِ لَوْ لَمْ يَكُنْ حَوَاءٌ مِنْ مَرْغُوبِ
قَدْ كَانَ فِي الْفِرْنَوَسِ يَشْكُو وَحْشَةً فِيهَا فَلَمْ^(٤) يَتَسَّ بِغَيْرِ حَبِيبِ^(٥)

٢- سورة الأعراف: الآية (١٨٩).

١- في (أ-ص) وفي وصفه بالعظيم.

٤- في (أ-ص) ولم.

٣- في (و-ج) من كان وهو تصحيف.

٥- الأبيات للشاعر: ديك الجن، وذلك كما نسبها الراغب في كتابه المخطوط وعنوانه «رسالة في آداب مخالطة الناس» - ص ٣، وعدد ورقات هذه الرسالة سبع وعشرون ورقة وهي مخطوطة منها مصورة في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على الفيلم رقم: (٥٢٥٣) ولدي مصورة منها. وقد بحثت عن هذه الأبيات في ديوان ديك الجن الذي حققه كل من د. أحمد مطلوب، وعبدالله الجبوري فلم أجدها، ولكنني وجدت في ديوانه الذي حققه مظهر الحجي ص ٦٧. والبيت قبل هذه الأبيات: -
مين الرقيب فرقت في بحر العمى لا أنت لا بل مين كل رقيب

وقد قالها في ذكر الرقيب.

وقد روى أنه سُمي إنساناً لأنه نسى العهد، وهذا من حيث اللفظ لا يصح، لكن من حيث المعنى يصح أن يقال: عنى أنه^(١) أنسَ بالشجرة، فنسى العهد والله أعلم، وأما القول: فيقال على أوجه: الأول: اللفظ المبرز بالعبادة، والثاني: للمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ، والثالث: للمذهب، نحو: "فلان يذهب إلى قول أبي حنيفة" - رحمه الله تعالى -.

والرابع: للعناية الصادقة بالشئ، نحو: فلان يقول بكذا، والخامس، للدلالة المنبئة^(٢) عن الشئ، نحو: **امْتَلَا الْخَوْضُ، وَقَالَ قِطْنِي**

والسادس: في استعمال المنطقيين عبارةً عن الحد، يقولون قول الجواهر كذا، وقول العرض كذا، أي حدهما، ولاستعمال القول على أوجهٍ مختلفةٍ، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٤)، والأصل في ذلك العبارة، لكن عبر عن نسبة تارةً به كتسمية العنب خمراً في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾^(٥) والفرق بين القول والكلام أن الكلام لا يطلق^(٦) إلا لجملة مفيدة لفظاً أو تقديراً، والقول قد يقال لبعض الجملة، فإذا كل كلام قول، وليس كل قول كلاماً، ولذلك قال سيبويه:

«قلت : في كلامهم: يحكى به ما كان كلاماً لا قول»، فأورد ذلك مورد المقرر في النفس أن الكلام موضوع لجملة مفيدة، وقد بين الله تعالى في هذه الآية أن في الناس من يدعي الإيمان بالله والمعاد، وهو كاذب^(٧) في قوله ودعاه، وذلك كقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾^(٨)، وقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٩) كل ذلك تنبيه على أن الإيمان غير نافع ولا مقبول إلا بتقديم النية والإخلاص ومطابقة المقال والفعال، وقال أبو علي الجبائي: هذه الآية تدل على أن إقرار من أقر بالله إذا لم يكن عارفاً بالله لا يكون بهذا القول مؤمناً بل مدّعياً له، والمخالف لا يخالف في ذلك، وإنما يقول: إنه يصير مؤمناً إذا تفوه بالشهادتين، وقال أبو علي أيضاً: "إن الآية

١ - في (و-ج) به وهو تصحيف .

٢ - في (و-ج) المبينة، وهو تصحيف.

٣ - سورة آل عمران : الآية (١٦٧).

٤ - سورة المجادلة : الآية (٨).

٥ - سورة يوسف : الآية (٣٦).

٦ - في (أ - ص) لا يقال.

٧ - في (و-ج) وهو كان هو تصحيف .

٨ - سورة المائدة : الآية (٦١).

٩ - سورة آل عمران الآية (١٦٧).

تدل على بطلان قول مَنْ زعم أن جميع المكلفين عارفون بالله، قال: لأن هؤلاء المنافقين لو كانوا بالله عارفين، وكانوا بحضرة النبي - عليه السلام - مُقرّين، لكان يجب أن يكون إقرارهم بذلك إيماناً منهم، لأن من عرف الله وأقرّ به لم يكن إقراره غير إيمان، فلما بين تعالى أنهم غير مؤمنين بما أخبروا به، علمنا أنهم لم يكونوا يعرفونه، وليس في الآية دلالة على ما قال، أو لأن الله تعالى قال: يَقُولُونَ آمَنَّا بالله وباليوم الآخر، ثم نفى عنهم الإيمان بهما، واحد لا يقول: إن معرفة الإنسان بالله وباليوم الآخر ضرورة وإن ادعوا معرفة الله وحدها، وثانياً: أن أحداً لا يقول: "الإقرار بالله على وجه الخداع إيمان"، والله تعالى قد أخبر أنهم يُخَادِعُونَ الله بهذا القول، وثالثاً: أن الإيمان المنفي عنهم ليس هو الإقرار، بل هو سكون النفس المذكور في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١).

ورابعاً: أن من يقول: معرفة الله ضرورة، يذكر أن ذلك لا يحصل إلا عن سبب يتقدمه كالعلم بمخبر الأخبار المتواترة لا يحصل إلا بتقديم سماع المخصوص فكذلك معرفة الله ضرورة [لكن لا بد فيها من سبب يتقدمها، وخامسها: أن عند كثير ممن يدعي^(٢) أن معرفة الله ضرورة، أن ذلك موجود في الإنسان بالقوة، كوجود النار في الحجر، فلا بد لها من انقذاح به يخرج، ومتى لم يحصل السبب لم تكن النار، كذلك المعرفة بالله تعالى.

قوله عز وجل: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

الآية: (٩) - سورة البقرة.

الخداع: إنزال الغير عما هو بصدده بأمرٍ تبديه على خلاف ما تخفيه، ومنه: قيل: خدع الضب. إذا استتر في جحره، واستعمال ذلك فيه لما اعتقدوا في الضب، أنه يعد عقرباً يلدغ من يدخل يده في جحره حتى قالوا العقرب بواب الضب، ولاعتقاد الخديعة فيه قالوا: "أَخْدَعُ مِنْ ضَبٍّ"^(٣)، وطريق خادعٌ مخالف لما يقتضيه ظاهره، والمخدع كائن جعلته خادعاً لمن رام تناول مافيه لأنه بيت في بيت، وقولهم: "خدع الطريق" إذا قل، فتغير متصور منه هذا المعنى. والأخدعان^(٤): تُصَوَّرُ منهما الخداع، لاستنادهما تارة، وظهورهما أخرى، وفي الحديث:

«بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَاعَةٍ»^(٥) أي مُغْتَالَةٌ، لتلونها بالجدب تارة، والخصب أخرى. إن قيل:

١ - سورة الرعد : الآية (٢٨).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - المثل أوردته أبو عبيد في كتابه الأمثال ص ٣٦٤ وأوردته الراغب في كتابه «مفردات ألفاظ القرآن» - مادة (خدع) ص ٢٧٦.

٤ - هما عرقان خفيفان في موضع الحجاماة من العنق.

٥ - الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قبل الساعة سنون خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويخون فيها الأمين ، ويؤمن الخائن ، وينطق بها الروبيضة ويروي عن أنس عن النبي ﷺ إن أمام الدجال سنين خداعة ، إلخ وقال ابن كثير هذا إسناد قوي جيد . الفتن والملاحم لابن كثير ج ١ - ص ٥٧ مسند الإمام أحمد ج ٢ - ص ٣٣٨ الدر المنثور ج ٧ - ص ٤٧٥

لم قال (يُخَادِعُونَ اللَّهَ) وهم لم يَقْصِدُوا بِفِعْلِهِمْ خديعته؟ قيل: ذكر بعض النحويين ^(١) أنه أراد تعالى يخادعون رسول الله، فحذف المضاف، وهذا باعتبار حكم اللفظ دون المعنى، فأما باعتبار المعنى، فإنهم لما قصدوا خديعة النبي -عليه السلام- وقد أنبأ تعالى أن معاملة الرسول معاملة الله تعالى، حتى قال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ^(٢)، وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ ^(٣) جعلهم مخادعين له بخديعتهم النبي ﷺ، فإن قيل: المخادعة من بين ^(٤) اثنين، وقد علم أن ذلك لم يكن من الله تعالى ولا من الرسول ﷺ، فكيف قال ^(٥) يخادعون؟ قيل: قد قال أهل اللغة وكثير من المفسرين: أن الخديعة من الله هي مجازاته إياهم بمثل فعلهم، فسمى مجازاة الشيء باسمه، وكذلك قالوا في المكر والهزؤ ونحوهما مما وصف به نفسه، ولا يليق به، وعلى ذلك قول الشاعر:

فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ ^(٦)

وجه آخر وهو أنه قد تقدم أن مخادعتهم لله -عز وجل- في الحقيقة مخادعة الرسول، ولما كانوا يراؤون بالإيمان ليزيل عنهم حكم المشركين ويجريهم في الأحكام مجرى المؤمنين، ويطلعهم على الأسرار، وهو لا يجريهم في كثير من الأمور مجراهم تصوروا أن ذلك لهم خداع، كما أن الأول منهم له خداع، فأخرج اللفظ على حسب وهمهم وحسبانهم فهمهم، لا على ما عليه حقيقة الأمر. وقد يطلق الحكم على المعنى عبارة على حسب اعتقاد المخاطب ^(٧) والمخبر ^(٨) عنه لاعلى ما عليه حقيقة الأمر كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ^(٩) أي على زعمك، وقول الشاعر:

.. خُذْهَا خُذَيْفٌ فَاتَتْ السَّيِّدُ ^(١٠) الصَّمَدُ.. ^(١١)

١- ساقطة من (و - ج).

٢- سورة الفتح : الآية (١٠).

٣- ساقطة من (١-ص).

٤- ساقطة من (١ - ص).

٥- شطر البيت لعمر بن كلثوم وتعامه - وقال بعده :
إلا لا يجهل أحد علينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا
فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ
ولكننا سنبقى ظالميناً

٦- جمهرة أشعار العرب ص ٤١٤ لأبي زيد القرشي تحقيق الدكتور - محمد علي الهاشمي.

٧- في (و-ج) المخلصين وهو تصحيف.

٨- في (و - ج) في الخبر .

٩- سورة الدخان : الآية (٤٩).

١٠- في (و - ج) الصيد وهو تصحيف .

١١- هذا عجز بيت وصدره :-

علوته بحسام ثم قلت له

ولم أتوصل إلى قائله.

وما حكى الله تعالى عن موسى -عليه السلام- في قوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ (١)، فإن قيل: كيف وصف تعالى نفسه بأنه خادعهم في قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؟ (٢) قيل هو على ما تقدم، ووجه آخر في هذا اللفظ، وإخوانه مما وصف الله تعالى نفسه به من الصفات التي تنزه تعالى عما يتصور من ظواهر معانيها نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (٣)، وقوله: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا﴾ (٤)، وقوله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٥)، وقوله: ﴿سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٦) كل ذلك قد قيل فيه قول، من تصوره متحريراً به الحق ثلج قلبه، واستقرب ما كان من قبل يستبعده، وهو أن المكر والخديعة، وإنما هو استنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبيد منه خلاف ما تخفيه ويتحراه مستعمله على وجهين: أحدهما: قاصداً به استنزال الغير عن ضلال إلى الرشيد وذلك جميل، وهو كما يفعله الأب البار بابنه من تحذير يستجره به إلى ترك شر أو تعاطي خير (٧)، فيقول: "خَدَعْتُ ابْنِي عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الْقَبِيحِ"، ومكرت به حتى قبحت في عينه، وقد علم أن هذا الفعل وإن أطلق عليه لفظ الخديعة والمكر فهو فعل حسن، فإذا المكر والخديعة وإن كان لفظهما مستبشعاً فقد يقصد به وجه محمود، وبالعكس من ذلك فعل العدالة، فقد يتحراه الإنسان لاستغواء غيره وإضلاله مما يعد فساداً وجوراً وخديعةً ومكراً، قد يكون صلاحاً ورشداً وعدلاً، وما يعد صلاحاً وعدلاً ورشداً قد يكون فساداً وجوراً ومكراً، وبهذا النظر قال بعض التابعين: "كل قبيح من العبد فهو حسن من الله تعالى"، ويعني بذلك أن الفعل يقبح (٨) ويحسن بحسب المقاصد، ولهذا قال عليه السلام: "الاعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى" (٩)، وقال: "نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ" (١٠)، وبهذا النظر قال بعض المحققين وقد سئل عن شيء يقبح إطلاقه

١- سورة طه - الآية : (٩٧) .

٢ - سورة النساء : الآية (١٤٢) .

٣- سورة الزعد : الآية (١٣) .

٤- سورة النمل : الآية (٥٠) .

٥- سورة الاعراف : الآية (٩٩) .

٦ - سورة القلم : الآيتان (٤٤ ، ٤٥) .

٧- في (و-ج) إلى ترك شر وتعاطي خير .

٨- في (و-ج) القبيح، وهو تصحيف .

٩- الحديث متفق عليه ، وأخرجه البخاري في بدء الوحي ج: ١ ص ٧ ، وأخرجه مسلم في الإمامة برقم (١٩٠٧) وغيرهما ، وأورده

الراغب في المفردات ص ٧٠٨ .

١٠- لم أجده في الأحاديث، ولعل الراغب عني قول يحيى ابن أبي كثير: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل ، وقد أخرجه ابن أبي الدنيا

في كتاب الإخلاص والنية ، ونقله عنه ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) - ج ١- ص ٩٨ - تحقيق : الدكتور محمد الأحمد

أبو النور - ط : وزارة الأوقاف .

في الله تعالى مع ورود الشرع به، فأنشد:

وَيَقْبَحُ مَنْ سَوَّالِ الشَّيْءِ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ^(١) فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ^(٢)

فهذا ظاهر لمن جلى بصيرته وتأمل حقيقته، ونبه بقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣) أن وبأل خديعتهم راجع على أنفسهم لا على الله تعالى وعلى المؤمنين، كقولك: "ظلمت فلاناً وما ظلمت إلا نفسك"، وذلك في الحقيقة أعظم خديعة وظلم وجور، فإن الله تعالى لما قيض لهم النعيم الأبدي والخير السرمدي، وسهل لهم السبيل إليه، ثم غفلوا عنه، ومالوا إلى زهوات الدنيا، صاروا في الحقيقة خادعين لأنفسهم ظالمين لها، ولذلك وصفهم في القرآن بظلم أنفسهم في غير موضع وبأنهم خسروا أنفسهم^(٤) وما يمكرون إلا بأنفسهم، ولأنه قيل: "من خدعك وقد عرفت خديعته فقد خدع نفسه"، ومعلوم أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، فمن خادعه فقد خدع نفسه، وقوله: (وَمَا يَشْعُرُونَ) أصل هذا اللفظ الشعر ومنه الشعار للثوب الذي يلي الجسد، فيقال: أشعرته ثوباً، ثم يقال على التشبيه بذلك أشعرهما، واستشعر سروراً، و"شعرت كذا": يستعمل على وجهين، تارة يؤخذ من مس الشعر، ويعبر به عن اللمس، وعنه استعمل المشاعر للحواس، فإذا قيل: "فلان لا يشعر" فذلك أبلغ في الذم من أنه لا يسمع ولا يبصر، لأن حس اللمس أعم من حس السمع والبصر، وتارة يقال: "شعرت كذا": أي أدركت شيئاً دقيقاً من قولهم: شعرت أي أصبت شعره نحو: قادته وراسته، وكأن ذلك إشارة إلى نحو قولهم: "فلان يشق الشعر في كذا" إذا دقق النظر فيه ومنه أخذ الشاعر لإدراكه دقائق المعاني..

قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ الآية: (١٠) - سورة البقرة.

المرض ضربان: جسمي ونفسي، وكلاهما خروج عن الاعتدال الخاص بهما، فالجسمي: معروف، والنفسي: كالجهل والجن والبخل والحسد والحرص وسائر الرذائل الخلقية وتسميتها بالمرض إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل، كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل، وإما لكونها ذريعة إلى سلب الحياة الحقيقية التي هي في الدنيا لسان صدق، وفي الآخرة بقاء الأبد، كما وصفه تعالى في قوله:

١- في (١-ص) فتفعله.

٢- هذا بيت لقصيدة لأبي نواس مطلعها :-

فديتك قد جبلت على هواكا فنفسى لاتنازعني سواكا

إلى أن يقول :

ويسمج من سواك الشيء عندي فتفعله فيحسن منك ذاك

ديوان أبو نواس ص ٣٨٣ - تحقيق أحمد الغزالي - نشر دار الكتاب العربي - بيروت.

٣- سورة البقرة - الآية: (٩).

٤- ساقطة من (و-ج).

﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(١)، وأما الميل النفس به إلى الاعتقادات الرديئة ميل^(٢) البدن المريض إلى الأشياء المضرة، ويكون هذه الأشياء متصورة بصورة المرض قيل: نوبي صدر فلان، ونُقِلَ قلبه، وقال عليه السلام: «وَأَيُّ دَاءٍ أُنُوا مِنْ الْبُخْلِ»^(٣)، وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ عبارة عن نفاقهم وشكهم وعداوتهم، وقول ابن مسعود - رضي الله عنه والحسن وقتادة رحمهما الله تعالى: «إِنَّهُ شَكٌّ، وَقَوْلٌ غَيْرُهُمْ: إِنَّهُ حُبُّ الدُّنْيَا وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، وَقَوْلٌ آخَرُ: إِنَّهُ غَمٌّ، وَآخَرُ: إِنَّهُ حَسَدٌ، وَآخَرُ: إِنَّهُ السُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا، وَكُلُّهَا إشاراتٌ على سبيل المثال إلى أبعاد ما ينطوي عليه معنى المرض ولاخلاف بينهم فيه، فمعنى قوله: (فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) على أوجه، الأول كما تقدم: أن ما أنزله الله يجري من النفس مجرى الغذاء الحافظ للصحة، ومتى تناوله المريض الذي لم يزل مرضه لم ينفعه بل يضره، والثاني: أن هذه الزيادة في المرض هي ما كان الله تعالى يؤتيه نبيه والمؤمنين من إنعامه ويصير زيادة في مرض المنافقين وذلك كقولك لمن أعطاك شيئاً: "قد أكمدتُ عدوِّي" وهو لم يقصد إكماده، ولكن لما تولد من فعله بك ذلك صح نسبته إليه، وعلى ذلك قول الشاعر :

يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ جَنُوبًا وَصَبَاً
إِنْ غَضِبْتَ قَيْسُ فَرَدْنَا غَضَبًا^(٤)

أى زدنا إيلا ليزدادوا غضباً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٦)، ولا يختلف المعنى في قوله تعالى: (فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) أى جعل موره مورده خير أو مورد دعاء، فإن الدعاء من الله واجب، وإن كان من رغبة وطلباً، ويجوز أن يكون ذلك راجعاً إلى حال الآخرة، ومعناه من في قلبه مرض، فإن الله يزيده في الآخرة مرضاً نحو قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٧) وهذا الأول يرجعان إلى معنى، لأنهم إذا زيدوا^(٨) في الدنيا عداوة النبي ﷺ ما ازدادوا إلا شكاً في الآخرة استحقاق عذاب، قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٩)

١ - سورة العنكبوت - الآية : (٦٤).

٢- في (و - ح) مثل وهو تصحيف .

٣- قال أبو هريرة: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من سيديكم يابنى سلمة؟» قالوا: سيدنا جدُّ بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل، فقال صلى الله عليه وسلم: «وَأَيُّ دَاءٍ أُنُوا مِنْ الْبُخْلِ؟ بل سيديكم بشر بن البراء». أخرجه الحاكم في المستدرک - ج: ٣ - ص: ٢١٩، وقال : صحيح علي شرط مسلم، وأقره الذهبي، وأورده الراغب في المفردات - ص: ٧٦٥.

٤- لم أعثر على نسبته.

٥ - سورة التوبة : الآية (١٢٥).

٦ - سورة المائدة : الآيتان (٦٤، ٦٨).

٧- سورة الإسراء : الآية (٧٢) وهي في (و - ح) [ومن كان في هذه أعمى وأضل سبيلاً] وهو تحريف .

٨- في (١ - ص) زيدا وهو تصحيف .

٩- سورة البقرة : الآية : (١٠).

- أليم: بمعنى مؤلم نحو سميعٌ وخصيبٌ بمعنى مسمع ومخصب، وقوله: (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)، أي بسبب كذبهم أو بدل كذبهم، كقولهم: هذا بذاك، وحجة من قرأ بالتخفيف أن ما قبله كذب، وهو قوله: (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) وهو به أشبه، ولأنه ^(١) في صفة المنافقين، وقد قال الله تعالى فيهم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ^(٢)، ومن قرأ "يَكْذِبُونَ"، فلقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ ^(٣)، ولأن التكذيب أبلغ، إذ كلُّ مُكْذَّبٍ بشئٍ كاذب وليس كل كاذب مكذباً،

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

الآية (١١) - سورة البقرة.

الفساد: خُرُوجُ الشئِ عَنِ الاعتدال، والصلاح على الضد منه، والإفساد: إخراجُه عن الاعتدال، والفساد عامٌ في الكفر والضلال وكل ما هو ضار. والصلاح عام في الإيمان والرشد وكل نافع، فقوله: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ عام في كل ذلك، وقول ربيعة وقتادة أن معناه "لا تسالموا الكفار"، ومثله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ^(٤)، ومن قال: عنى بذلك كنز الدراهم، فإنه تمثيلٌ بأدنى ما يكون فساداً - تنبيهاً أن ذلك عامٌ، فإنه إذا كان ذلك فساداً، فما فوقه من قتل النفس الزكية بغير حق ونحوه أولى بذلك، والخطابُ في الآية للمنافقين، وما روي عن سلمان أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد، فيجوز أن يكون معنى قوله: "أنه سيكون من بعد حاله من له في ذلك شبيهه بحال المنافقين، فإن الآية متصلة بما قبلها، والضمير فيها ليس إلا لمن تقدم ذكره، وقولهم (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) فيه تنبيه أنهم يتصورون إفسادهم بصورة الإصلاح لما في قلوبهم من المرض، كما قال: ﴿أَلَمْ نَزِّنْ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ ^(٥)، وقوله: ﴿وَلَئِنْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٦)، وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ^(٧) قال الحسن: من ذلك الإفساد: بناؤهم مسجد قباء ضراباً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وقوله - عز وجل - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ ^(٨) "ألا": تقرير للإثبات لأن "لا" للنفي، والألف

١- في (١ - ص) ولأنه .

٢ - سورة المنافقون : الآية (١).

٣ - سورة يونس : الآية (٣٩).

٤ - سورة الأعراف : الآيتان (٥٦ ، ٨٥).

٥ - سورة فاطر : الآية (٨).

٦ - سورة الأنعام : الآية (٤٣).

٧ - سورة الكهف - الآية : (١٠٤).

٨ - سورة البقرة - الآية (١٧).

للاستفهام، واجتماعهما يقتضي إثباتاً نحو: "أليس" و"الم"، إن قيل: ما الذي يفيد تعريف قوله المفسدون وإدخال لفظة هم عليه؟ قيل: أما التعريف: فيقتضي كون الكلام جواباً أو كالجواب، وأما إدخال لفظ هم، فيقتضي إثبات الحكم للمذكور ونفيه عن عداه نحو أن يقال: "زيدٌ منطلقٌ"، فتقول: أنت بل عمرو هو المنطلق، ولما كان في قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ تعريض إنكم المفسدون رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ وقد تقدم أن "شعرت" يستعمل على وجهين أحدهما بمعنى: أحسست والثاني: بمعنى فطنت، فقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ في الآية الأولى نفي الإحساس عنهم، وفي هذه الآية نفي الفطنة عنهم، لأن معرفة الصلاح والفساد تدرك بالفطنة، وفي الآية التي بعدهما نفي العلم عنهم،^(١) فإن قيل: كيف نفى أولاً الحس ثم الفطنة ثم العلم ومعلوم أن ما لاحس له فلا فطنة له ولا علم؟ قيل: إن في نفي هذه الثلاثة على هذا الوجه تنبيهاً لطيفاً ومعنى دقيقاً وذلك أنه يبين في الأول أن في استعمالهم الخديعة نهايةً للجمل^(٢) الدالة على عدم الحس، ثم بين في الثاني أنهم لا يفتنون-تنبيهاً على أن ذلك لازمٌ لهم، لأن مَنْ لا حسَّ له لا فطنة له، ومن لا فطنة له لا علم له، ثم بين في الثالث أنهم "لا يعلمون"-تنبيهاً أن ذلك أيضاً لازمٌ لهم، لأن من لا فطنة له فلا علم له فإذا: من الألفاظ الثلاثة إشارة إلى قياس ظاهرٍ وإلزامٍ واجبٍ لمن تأملها وتدبرها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ الآية: (١٣) - سورة البقرة.

قولهم: الناس، بل كل اسم نوع، فإنه يستعمل على وجهين، أحدهما: دلالة على المسمى وفصلاً بينه وبين غيره، والثاني: وجود المعنى المختص به وذلك هو الذي يمدح به في نحو: **إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ**^(٣)

ونحو ذلك: "زيدٌ رجلٌ"، و"هذا الفرسُ فرسٌ"، ومثال ذلك أن كل ما أوجده الله في هذا العالم يصلح لفعلٍ خاصٍ به لا يصلح لذلك العمل سواء، فإن الفرس للعدو الشديد، والبعير لقطع الفلاة البعيدة، والمنجر لنجر الخشب والمنحت لنحته، وعلى ذلك الجوارح كاليد والرجل والعين، والإنسان أوجد لأن يعلم ويعمل بحسبه، وكل شئ لم يوجد كاملاً لما قد خلق له لا يستحق اسمه مطلقاً، بل قد ينفي عنه نحو قولهم: "فلانٌ ليس بإنسان"، أي لا يوجد فيه المعنى الذي خلق من أجله، فإذا ثبت ذلك، فقوله

١- ساقطة من (و - ج)، ٢- في (١ - ص) للجهل وهو تحريف .

٣- في (١ - ص) غلام، والبيت يروى كما يلي :-

والناس ناس والزمان زمان
يأليت شعري أين كنت من الدنيا
وهو لشاعر يدعى عرقلة الكلبي، واسمه حسان بن نمير بن عجل الكلبي أبو الندى من سكان دمشق.

تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله) هو اسم جنس لا غير، وقوله: (كما آمن الناس) معناه كما يفعل من وجد فيه تمام فعل الإنسانية الذي يقتضيه العقل والتمييز فإذا قول ابن عباس -[رضي الله عنهما]-^(١) : إنه عنى كما آمن أصحاب النبي عليه السلام وقول غيره أنه عنى كما آمن الذين أسلموا من اليهود مثل "عبد الله بن سلام". وأصحابه كلاهما صحيح، لأن الفريقين يجري على ما اقتضاه فعل الإنسانية، وقوله تعالى: (قالوا أنؤمن) استعلام على جهة النفي نحو ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾^(٢) ومعناه: لا نؤمن إيمان السفهاء تعريضاً بأصحاب النبي -عليه السلام-، والسفه: خفة في البدن وفي المقال يقتضيها نقصان العقل، والحلم رزانة في البدن يقتضيها زيادة^(٣) العقل، وعنه استعير "زمام سفیه"، و"رمح سفیه"، إن قيل: كيف عذرهم بأنهم لا يعلمون؟ قيل لهم: ليس ذلك عذراً لهم، بل تعظيم أمر عليهم وأنهم مع جهلهم يجهلون جهلهم كما قال :

جَهَلْتَ وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّكَ جَاهِلٌ وَذَلِكَ لَعَمْرِي مِنْ تِمَامِ الْجَهَالَةِ^(٤)

وكل ما ذم به الكفار من أنهم لا يعلمون ولا يبصرون ولا يسمعون فتنبیه أنهم لم يستعملوا هذه الآلات ولم يتفكروا.

وقوله - عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ الآية (١٤) - سورة البقرة.

قال الخليل: كل شئ استقبلته وصادفته فقد لقيته، وأما ألقيته أي طرحته، فأصله جعلته بحيث يلقي أي يصادف، ثم جعل عبارة عن الطرح واللقى المطروح الذي لا يحجزه شئ عن لقاء المارة به، ولقى من اللقوة كناية^(٥) بذلك عنها، ثم كثر حتى صار معروفاً بالداء، و"خلا الإناء" صار خالياً، و"خلا فلان" بفلان { صار معه في خلاء والخلي: من خلأه الهم، نحو المطلق في قوله: يطلقه^(٦) } طوراً وطوراً

١- ساقطة من (و - ج).

٢- سورة يس الآية (٤٧).

٣- في (أ - ص) وفور.

٤- لم أجده.

٥- في (و - ج) كتابة، وهو تصحيف.

٦- ساقطة من (و - ج).

يراجع، والشياطين: جمع الشيطان، فقيل هو "فعلان" من شاط اذا احترق غضباً، وذلك لما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾^(١)، وذلك لما خُص به من فضل القوة الغضبية، وقيل هو فيعال من شطن، أي تباعد، ومنه بين شطوان، وقيل للحبل الطويل شَطْنٌ، والشيطان كل عارم^(٢) من الجن والإنس والحيوانات، وعلي ذلك قال الشاعر شياطين تنزوا^(٣) بعضهم على بعض [وقال: "إن شيطان الذناب العُسل"^(٤)] وقال آخر: "ماليلة الفقير إلا شيطان"^(٥)، وسمى الحية شيطاناً لذلك، وقيل هو فعلان من قولهم: وقد شط على أرماحنا البطل، ومعنى الآية: أنهم يراؤون للمؤمنين، فإذا عادوا إلى مَرَدَّتِهِم ادعوا أنهم معهم وعلى دينهم، وأنهم يستهزؤون بالمؤمنين،

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الآية: (١٥) - سورة البقرة -.
الجزء: إظهار جدُّ يرادُّ به مزح أو ما هو في الظاهر كالمزح يقال: هزأت واستهزأت، نحو أجبت، واستجبت، والصحيح أن الاستهزاء إرتياد الهزؤ وإن كان قد يُعبر به عنه، وكذا الاستجابة في الأصل معناها مخالف للإجابة وإن كان قد يجري^(٦) مجراها، والهزؤ إذا أريد به المزح لا يصح منه تعالى، كما لا يصح منه اللعب واللهو وإطلاقه عليه، إما لأنه يراد به المجازاة، فسماه به إما لمقابلة اللفظ باللفظ إما مع مقابلة اللفظ مراعاة مطابقة ما لكونه مماثلاً له في القدر، فسماه لذلك باسمه نحو قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٨) ولأنه تعالى لما أمهلهم لتطول المدة التي يمكنهم أن يتوبوا فيها فلم يحصل ذلك منهم سمي إمهاله هزؤاً، ولأنه لما استدرجهم من حيث لا يعلمون^(٩) صار ذلك كالهزؤ، وإما لأن الهزؤ لما لم يزل

١- سورة الرحمن الآية (١٥)

٢- في (و-ج) عازم وهو تصحيف .

٣- تنزوا من (نزا) ، ونزا الفحل نَزْواً ، نَزْواً، ونزوانا أي: وثب: المعجم الوسيط - مادة (نزا)، وهي في (و-ج) تنزوا وهو تصحيف ، وهذا الشطر ساقط من (أ-ص).

٤- لم أجده ، وأورده الراغب بلا نسبة في المفردات ص ٤٥٤ .

٥- الرجز للشماخ ، ويعدده :

ساهرة تودي بروح الإنسان يدعى بها القوم دعاء الصمان

وهو في ديوانه - ص ٤١٢ ، والملاحن - ص ٥٢ ، واللسان (شطن)، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٤٥٥ .

٦- في (أ-ص) تجرى .

٧- سورة الشورى : الآية (٤٠).

٨- سورة البقرة : الآية (١٩٤).

٩- إقتباس من الآية : (٤٤) - سورة القلم .

من العيب أطلق على العيب لفظ الهزؤ ونحو قوله: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾^(١) أى تعاب، فالآيات لا يستهزؤ بها في الحقيقة ، أو لما تقدم في المخادعة وهو أنهم لما قدروا أنهم يهزؤن وقد عرف منهم الهزؤ كأنه يهزؤ بهم كما قيل: "من خدعك وقد عرفت خديعته فقد خدعته" أو لما روى في الخبر "إن المستهزئين بالناس في الدنيا يُفْتَحُ لَهُمْ فِي النَّارِ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُسْرِعُونَ نَحْوَهُ، فَإِذَا صَارُوا إِلَيْهِ سُدٌّ عَلَيْهِمْ" وذلك قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾^(٢) وعلى هذه الوجوه قوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٣) وأصل المد الجر ومنه المدة، ومدة الجرح، ومد النهر، ومدة نهر آخر، وإمداد الجيش، وإمداد الإنسان بالطعام، وقال بعضهم:

أكثر ما جاء من الإمداد في القرآن فبالخبر، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾^(٤) وقوله: ﴿نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾^(٥) وقال: وما كان من المد فبالشر نحو قوله تعالى: ﴿وَنُمِدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾^(٦) وقال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَمِّ﴾^(٧) والطغيان في المصادر كالعدوان والكفران، يقال: طغى يطفوا ويطفى، نحو صفا، وحكى: طغيت، والفرق بين عدا، وطفى، ويغى أن العدو أن تجاوز المقدار المأمور بالانتهاء إليه والوقوف عنده وعلى ذلك قال: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾^(٨) أي من تجاوز معكم المقدار المأمور بالانتهاء إليه، فتجاوزوا معه بقدره، لتكون العدالة محفوظة في المجازاة بالتعدي وأما الطغيان: فتجاوز المكان الذي وقعت فيه، وكأن من أخل بما فُطِرَ عليه من المعارف العقلية والمواقف الشرعية فلم يراعها فيما يتحراه ويتعاطاه، فقد طغى، وعلى ذلك قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^(٩) أي تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل، والبغي: طلب تجاوز

١- سورة النساء: (الآية ١٤٠).

٢- سورة المطففين - الآية: (٣٤)، وأورده القرطبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال فى قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) هم منافقوا أهل الكتاب ، فذكرهم وذكر استهزائهم ، وأنهم إذا خلوا إلى شياطينهم يعنى رؤسائهم فى الكفر - على ما تقدم - قالوا إنا معكم على دينكم إنما نحن مستهزئون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، الله يستهزئ بهم فى الآخرة ، يفتح لهم باب جهنم من الجنة ، ثم يقال لهم : تعالوا فيقبلون يسبحون فى النار والمؤمنون على الأرائك وهى السرر فى الحجال ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم، فيضحك المؤمنون منهم، فذلك قول الله عز وجل : (الله يستهزئ بهم)، أى فى الآخرة، ويضحك المؤمنون منهم حين غلقت نونهم الأبواب، فذلك قوله تعالى : (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وعلى الأرائك ينظرون) إلى أهل النار (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) تفسير القرطبي ج : ١ : ص ٥٥ طبعة دار الفد العربي كما أورده الراغب فى المفردات ص ٨٤١، وأخرجه البيهقي فيما روى عن ابن عباس فى قوله تعالى : (الله يستهزئ بهم) بلفظه ومعناه فى كتابه : الأسماء والصفات ص ٦١٦.

٣- سورة التوبة : الآية (٧٩).

٤ - سورة الطور : الآية (٢٢).

٥ - سورة المؤمنون : الآية (٥٥).

٦- سورة مريم : الآية (٧٩).

٧- سورة الأعراف : الآية (٢٠٢).

٨- سورة البقرة - الآية : (١٩٤).

٩- سورة الحاقة : الآية (١١).

قدر الاستحقاق تجاوزه أم لم يتجاوزه^(١) ، وأصله الطلب، واستعمل في التكبر، لأن المتكبر طالب منزلة ليس لها بأهل، والعلمه في البصيرة كالعمى في البصر، وهو التردد في الضلالة، يقال رجل عامه وعمه، فقوله تعالى: ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٢) يصح أن يتعلق بقوله : نمدهم فيكون ذلك عبارة عن خذلانهم عن توفيقه لهم، لا لبخله عليهم، بل لسدهم طريقه على أنفسهم بإعراضهم عنه، ويصح أن يتعلق بقوله: "يعمّهون"، ومعناه: يمدهم استصلاحاً لهم، وهم مع ذلك يعمّهون [في طغيانهم ومثله معنى وتقديراً قوله: ﴿ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾] ^(٣)

قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾
الآية: (١٦) - سورة البقرة .

المبايعة ضربان: مبايعة سلعة بناض، فيقال لدافع السلعة: بايع، ولدافع الناض مشنري، ومبايعة سلعة بسلعة أو ناض بناض، ويصح أن يقال لكل واحد منهما بائع ومشتري، وذلك بحسب ما يتصور في الثمن والمثمن فأى السلعتين تصورتها بصورة الثمن فأخذه بايع، والآخر مشتري، ولهذا الشأن^(٤) صار البائع والمشتري من الأسماء المشتركة المعبودة في باب الأضداد والمشاركة وإن كانت موضوعة لمعاملة في أعيان علي وجه مخصوص فقد يتحرز بها في كثير من المعارضات فيقال لمن أفرح عن شيء في يده مخلصاً به غيره قد باعه به، وقد يقال ذلك لمن رغب عن شيء طمعاً في غيره. وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾^(٥) الآية - ومعناه: أراد منهم أن يبذلوا مهجهم وأموالهم في سبيله، فيجعل لهم بذلك الجنة، فسمي ذلك شري، وقد تقدم أن الهدى يقال على أربعة أوجه : الأول: لما جعله الله للإنسان بالفطرة، والثاني: لما جعله له بالوحي. والثالث: لما يكتسبه الإنسان بالفكر والنظر والعمل والرابع: زيادة الهدى في الدنيا، وطريق الجنة في الآخرة. فذلك الضلال على أربعة أوجه مقابل للهداية. فالأول: إضاعة الإنسان ما جعله الله له بالفطرة من العقل الغريزي، وذلك بأن لا يزكيه كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَائِهِ﴾^(٦). والثاني: إضاعته لما أنزل الله تعالى على السنة الأنبياء، والثالث: لما يكتسبه الإنسان بالفكر والنظر والعمل. والرابع: أن يترك ما يستحق به زيادة الهدى في الدنيا والثواب في^(٧) الآخرة، وقد علم من هذا أن من الضلال ما هو

١- في (و-ج) تجاوزه، وهو تصحيف.

٢- سورة البقرة - الآية: (١٥).

٣- سورة الانعام - الآية: (١١٠) وما بين المعقوفين ساقط من (و- ج).

٤- ساقطة من (أ - ص).

٥ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٦ - سورة الشمس : الآية (١٠).

٧- في (أ - ص) وثواب الآخرة .

كفر، ومنه ما هو ذنب صغير، وكذلك الهدى منه ما هو الإسلام، ومنه ما هو رفيق الورع، فكل من رغب عن منزلة من الهدى إلى ضدها من الضلال، فقد اشترى ذلك الضلال بما يقابله من الهدى لكن منه ما يستحق به النار كالشرك، وكالكبائر، ومنه ما هو متجاف عنه كالصغائر، فإذا ثبت ذلك، فقول من قال: عني به الذين أخلُّوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة، وقول مجاهد: إنه عني به الذين آمنوا ثم كفروا، وقول قتادة: استحبوا الضلالة على الهدى، وقول من قال: اشترى النار بالجنة لا اختلاف بينهم إلا باختلاف النظرات فقط، وكذا قول من قال: من التزم فعلاً من الخيرات ثم أخل به فقد اشترى الضلالة بالهدى، ولما استعمل في ذلك الإشارة قال تعالى: ﴿فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ﴾ (١)، والربح والخسران يُنسبان مرة إلى صاحب السلعة، ومرة إلى السلعة، ومرة إلى الصفقة، إذ لا اشتباه فيه، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ (٢) ونفى أنهم كانوا مهتدين أي طالبين للهدى تنبيهاً أنهم لو طلبوه لوجدوه .

قوله عز وجل - ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الآية: (١٧) - سورة البقرة.

التمثيل : تصوير الخفي بالظاهر، وأصله من مثل إذا انتصب. والتمثال للشيء المصور، وسمي الوصف مثلاً، إذ هو مثال للموصوف يدل عليه كالمثال في دلالة على ما هو مثال له، والمستوقد: طالب الوقود وأخذه، وقد يقال للموقد كما يقال للمجيب مستجيب، والنار حرارة مخصوصة والنور والضياء وأحدهما مشتق من الآخر من حيث إنه قل ما ينفك أحدهما عن الآخر، ولهذا قال: ﴿نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ (٣) فاستعمل فيه الاقتباس الذي هو للنار، ويقال: أضاعت الشيء فضاء وأضاء والأظهر في الآية أن يكون متعدياً لإدخال حرف التانيث فيه والآية مثل ضربيه الله لمن آتاه ضرباً من الهداية والمعارف (٤) النفسية أو البدنية أو الخارجية، فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فإذا قول من قال ذلك هو فيمن أثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة، وقول من قال : هو في الذين آمنوا ثم كفروا، وقول من قال : هو فيمن أظهر الإيمان نفاقاً منه وحقناً لدمه، (٥) كل ذلك داخل في عمومته، وكذا قول من قال إنه يعني من لم تصح له أحوال الإرادة، فارتقى منها بالدعوى إلى أحوال المحبة، فأذهب الله عنه ما جعل له من النور عبد الإرادة، فبقي متحيراً في حال الدعوى، وقد نبه تعالى بتشبيههم بمستوقد نارٍ أضييع نورها على حيرتهم أو نكسهم فيما أضاعه من الهدى، وقوله: (ذهب الله بنورهم) الأظهر أن يكون ذلك راجعاً إلى المشبه الذي هو في قوله: "مثلهم" دون المشبه به الذي هو

١- سورة البقرة - الآية : (١٦).

٢- سورة الزمر - الآية : (١٥) .

٣ - سورة الحديد : الآية (١٣).

٤- في (و-ج) والمعاون.

٥- في (و-ج) لديه، وهو تصحيف.

قوله استوقد ناراً، واختصر، ولو بسط الكلام، ل قيل: "فلما أضاعت ما حوله ذهب الله بنارهم زهابه بنورهم وقد قيل: إن ذلك يرجع إلى المشبه به، وأن الذي قد يستعمل في الجميع كاستعماله في الواحد- استدلالاً بقول الشاعر:

فإن الذي خانت بفلج دماغهم هم القوم^(١)، هم فقال: استوقد رداً إلى لفظ الذي ثم قال بنورهم رداً إلى معنى الجمع، وإنما قال على هذا "بنورهم" ولم يقل "بنارهم"، لأن المراد من النار ههنا النور الذي يضئ لهم الطريق فتركه^(٢) إياهم في ظلمات إنما هو لتركهم إياه في قبول التوفيق منه، فلما تركوه تركهم كما قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٣)، وإنما قال: في "ظلمات" لأنه عنى ظلمة ضلال لهم، وظلمة همومهم في الدنيا، وظلمة يوم القيامة التي تنزه عنها الموصوفون بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾^(٤)، وقوله عز وجل ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٥) والصم صلابة من اكتناز الأجزاء، ومنه قيل: حجرٌ أصمٌ، وصخرة صماء، أو قنأة صماء، وقيل لرأس القارورة "الصمام" والبكم: اعتقال اللسان وأصله فيمن يولد أخرس والعمى يقال في عدم البصيرة والبصر^(٦)، جميعاً، فمن ترك الإصغاء إلى الحكمة وأعرض عن طريق الآخرة واشتغل عن تعرف حالها ولم ينعم تدبرها صح أن يستعمل هذه الألفاظ فيه، فيقال: هو أصم عن سماعه، وأبكم عن تعرفه، وأعمى عن إدراكه، والآية مبنية على الآية الأولى، ومفسرة بحسب تفسيرها، وقوله "لَا يَرْجِعُونَ" أى لا يعودون إلى طريقة الرشد، وقيل معناه: "لا يرجعون جواباً" أى لا يردونه.

قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَهَابَهُمْ فِي أَدَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٧) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مِّشْوَا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

الآيتان: (١٩، ٢٠) - سورة البقرة.

الصيب: فيعمل من "صاب" يصوب، وذلك يقال للسحاب والمطر وإن كان الصيب في السحاب أكثر، والصوب يُقال في المطر، وكأن المطر تُسمى صوباً لمجيئه على الصواب إما اعتباراً بالوقت المحتاج إليه فيه، وإما بالقدر المعتدل على حسب قوله تعالى ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾^(٧) وعلى طريقه نظر من وصف المطر بقوله..

١- لم أهدت إليه.

٢- في (أ-ص) وتركه.

٣- سورة التوبة : الآية (٦٧).

٤- سورة الحديد: الآية (١٢).

٥- سورة البقرة الآية: (١٨).

(٦) في (أ-ص) عدم البصر والبصيرة.

٧- سورة الزخرف : الآية (١١).

فَسَقَى دِيَارَكَ^(١) غَيْرَ مُفْسِدُهَا صَوْبَ الرَّبِيعِ وَبَيْمَةً تَهْمِي^(٢)

وأصاب السهم إذا توجه نحو الرمية على الصواب، وقد شبه العقل والقرآن بل العلوم كلها بالمطر والماء من حيث أنه سبب الحياة الأبدية، كما أن الماء سبب الحياة الدنيوية والسماء في هذا الموضوع يجوز أن يكون السحاب وأن يكون المطر، ومن فيه للتبعيض، وقوله "فيه ظلمات" يقتضي معنى الإصطحاب، فلا فرق بين أن يقال: صيب فيه ظلمة ورعد - وأما الكلام في مائية الرعد والبرق فليس يليق بهذا الموضع، والصاعقة يستعمل في كل هائل عظيم من مرئي ومسموع، وإنما قال: "أو كصيب"، لأنه من حيث أنه يدل على أحد الشئئين، ويستعمل في الإباحة والتخير، وفيه تنبيه على أنه إن شبه بأحدهما فصواب، وإن شبه بهما فصواب، وهذا المعنى في لفظه أو دون الواو، فإن قيل كيف وجه العطف في ذلك وقد قال في الأول "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا"، ولا يليق أن يقال بعده: "أو كصيب؟" قيل: قد أجيب عن ذلك بأنه أريد أو كاهل صيب من السماء، وقيل: إن ذلك عطف على المعنى وذاك أن التشبيه تارة يؤتى به مطابقاً للمشبه في اللفظ، وتارة يؤتى به على ما يقتضيه المعنى دون اللفظ، على ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣) ومعناه كحرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريحٌ، فروعياً فيه المعنى دون اللفظ، وعلى ذلك قول الشاعر:

فَلابَنَةُ حَطَّانٍ بِنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رَقَشَ الْعُنُوتَانِ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ^(٤)

وتقديره: كعنوان رقصه الكاتب، وهذا النوع من التشبيه يقال له: التشبيه الملقف، والآية تأولت على وجهين: أحدهما أنه شبه حال المتحيرين الذين اشتروا الضلالة بالهدى بمن حصل في ليلة مطيرة ومظلمة راعدة بارقة يخاف من أهوالها وصاعقتها ويسد أذنه خوفاً من أن يصعق ويكون هذا في شغل^(٥) الكلام بالمشبه به ووصفه بما يعظم من غير أن يكون في تفاصيل صفة المشبه به^(٦) ما يرجع إلى المشبه طريقة العرب على ذلك قول لبيد.

أَفْتَلِكْ أُمَّ وَحْشِيَّةً مَسْبُوعَةً خَذَلْتُ وَهَادِيَةَ الصُّوَارِ قَوَامُهَا^(٧)

- ١ - في (١ - ص) وبارك .
- ٢ - البيت لطرفة بن العبد ، وهو في ديوانه ص ٨٨ ، وفي تفسير القرطبي ج: ١ - ص ٢٤٣ ، وفي مفردات ألفاظ القرآن للراغب - ص ٤٩٥ ، وفي بصائر ذوي التمييز - للفيروز آبادي - ج : ٣ - ص ٤٤٨ .
- ٣ - سورة آل عمران - الآية: (١١٧).
- ٤ - البيت للأخض بن شهاب التغلبي ، وهو شاعر جاهلي قديم والبيت في الفضليات ص ٢٠٤ ، وفي معجم الشعراء ص ٢٧ ، وفي سبط اللكئ: ص ٧٣٠ ، والمؤتلف والمختلف ص ٣٠ والاشتقاق ص ٣٢٦ ، وخزانة الأدب ج : ٣ - ص ١٦٩ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٧٢٠ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي - ج : ٢ - ص ٢٤١ ، وشرح اختيارات المفضل - ج : ٢ - ص ٩٢١ .
- ٥ - في (١ - ص) من أسفل.
- ٦ - ساقطة من (١ - ص) .
- ٧ - البيت في معلقة لبيد.

فشبه الناقة بالوحشية ثم ذكر أنها مسبوعة مخذولة، ولا اختصاص للناقة بهذا الوصف. والثاني: أنه شبه^(١) ما أتى الله الإنسان من المعاون التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب الذي فيه حياة كل ذي حياة، وما فيه من المشاق المبهمة والعوارض المشكلة بظلمات، وجمع الظلمات تنبيهاً على كثرة العوارض، وشبه ما فيه من الوعيد بالرد، وما فيه من الآيات الباهرة بالبرق، ثم ذكر كل واحد من هذه الأشياء فقال: إِذَا سَمِعُوا وَعِيداً تَصَامُوا عَنْهُ كَحَالِ مَنْ تَهَوَّلَ^(٢) الرعد فيخاف من صواعقه، فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهذا معنى قوله: "اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ"، ثم ذكر أنه إذا رأوا لامعاً لهم إماماً رشداً تدركه بصائرهم وإماماً رفاً ينفعهم اهتزلوا له، فمضوا بنوره وذلك قوله "كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْئُورٌ فِيهِ"، ثم بين أنه إن اعترض لهم شبهة أو عن لهم مصيبة تحيروا، فوقفوا، وذلك معنى قوله ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾^(٣) وقوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾^(٤) تنبيهاً على أنهم يصرفون أسماعهم وأبصارهم عما فيه نجاتهم وتأمل ما فيه صلاحهم وإنما جعل الله لهم السمع والأبصار لينفعهم ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلون أنفسهم عليها يسدهما وتعطيتهما، وذلك تنبيه على أنه إنما أعطاهم هذه الآلات لينتفعوا بها.

قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
الآية: (٢١) - سورة البقرة.

قد تقدم أن "الناس" يستعمل على وجهين أحدهما المشار به إلى الصورة المخصوصة، وذلك عام في الصغير والكبير، والعاقل وغير العاقل، والثاني المشار به إلى المختص بقوى^(٥) العلم والعمل المحكم وهو المستعمل على طريق المدح، ولذلك يقال: فلان أكثر إنسانية من فلان، لاختصاص هذا المعنى بقبول الزيادة والنقصان، وهذا المعنى هو المراد في هذا الموضع، والعبادة نهاية التذلل في الخدمة وبذل الطاعة وذلك في مقابلة أعظم النعم، ولا يستحقها غير الله تعالى، فهو الذي له أعظم النعم، والعبادة" تقال في ثلاثة أشياء: اعتقاد الحق، وتحري الصدق، وعمل الخير، وعبادة الله قد يكون في فعل المباحات كما يكون في أداء الواجبات وذلك إذا قصد بالفعل وجه الله وتحري به مرضاته. وقد قال بعض الحكماء: "مباحات أولياء الله كلها واجبات" وواجباتهم نوافل" فقليل كيف يكون ذلك؟ قال : لأنهم لا يقومون على تناول مباح لهم كالأكل والشرب حتى يضطروا إليه، فيصير تناولها^(٦) محتتماً ويلتزمون من الفرائض فوق ما يلزمهم حتى يصير فرضهم متفلاً، وبهذا النظر قليل

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - في (أ-ص) تهواه وهو تحريف.

٣ ، ٤ - سورة البقرة الآية: (٢٠).

٥ - في (أ-ص) بقوتى.

٦ - في (أ-ص) تناوله.

عن أكل الصالحين تنزل الرحمة تنبيهاً أنه لا يتناول إلا إذا اشتد به الأمر، ووجب عليه الأكل إمساكاً لرمقه. ألا ترى أن كثيراً من المحظورات يصير مباحاً عند الضرورات بل ربما يصير عليه من الواجبات. إن قيل: ما الفرق بين قوله : (اعْبُدُوا اللَّهَ) وبين قوله (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) قيل في قوله (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) إيجاب العبادة بواسطة رؤية نعمه التي بها تربيتهم وقوامهم، وفي قوله : (اعْبُدُوا اللَّهَ) إيجاب عبادته بمراعاته عز وجل من غير واسطة وعلى ذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾^(١) وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٢)، فحيث ذكر الناس ذكر معه الرب، وحيث ذكر الإيمان ذكر الله - لما تقدم وأما الخلق فتقدير الأعراض الجسمانية وإيجادها، وقد يقال مفيداً للتقدير من غير إيجاد نحو قول الشاعر:

وَأَرَاكَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَيَعْصُ الْقَوْمُ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي^(٣)

واستعمل الخلق في الأجسام والخلق في القوى والأفعال، وجعل "خلقت" للتكوين، وأخلقت للإفساد، نحو فريت، وأفريت، وذلك نحو "أخلقت الثوب" فخلق وأخلق، ولما كان الشئ الخلق كثيراً ما يلين قبل حجرٍ أخلق و"الصخرة"^(٤) خلقاء أي "ملساء"، ومن أجل أن "الخلق" لا يستعمل إلا في إيجاد الأجسام وأعراضها امتنع قومٌ من إطلاق الخلق على القرآن، فراعوا فيه هذا الوجه دون الوجه الآخر، قالوا: ولا يكاد يقال في وصف الكلام مخلوق ومخلوق إلا إذا أريد به المنقول المفتعل. وعلى هذا قال تعالى حكايةً عن الكفار في وصفه ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٥) ولا يكاد يستعمل الخالق مطلقاً إلا في وصف الله تعالى . وقيل في الجملة : يستعمل في المتقدم لكن ذلك على أربعة أوجه تقدم بالزمان نحو آدم قبل نوح عليهما السلام، وتقدم بالذات وهو في كل شيئين متى توهمت ارتفاع أحدهما ارتفع معه الآخر، وإذا توهمت ارتفاع الآخر لم يرتفع معه الأول، كالحياة مع العلم، وتقدم بالشرف، نحو تقدم الأمير للحاجب، وبهذا النظر استعمل العتيق في الشريف وإن كان موضوعه لما تقدم زمانه، نحو

١ - سورة النساء : الآية (١) ، سورة الحج : الآية (١) ، سورة لقمان : الآية (٣٢)
٢ - سورة البقرة الآية: (٢٧٨) ، سورة المائدة الآية (٣٥) ، وسورة التوبة الآية (١١٩) ، وسورة الأحزاب الآية (٧٠) ، سورة الحديد الآية (٢٨) ، وسورة الحشر الآية (١٨) .

٣ - البيت لزهير بن أبي سلمى ، وهو من قصيدة مطلعها :

لمن الديار بقنة الحجر ... أقوين من حجج ومن شهر

وهو في ديوانه ص ٢٩ ، وفي تفسير القرطبي ج : ١ - ص ٢٢٦ ، وفي تفسير البحر المحيط ج : ١ - ص ٩٣ ، وفي مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٦ ومعنى تفري ما خلقت : أي إذا قدرت أمراً أمضيته .

٤ - في (أ-ص) وصخرة .

٥ - سورة الشعراء (١٣٧) .

قولنا: تمر عتيق، وتقدم بالرتبة الوضيعة نحو قولنا: الواحد قبل الاثنين، وقوله: "الذين" هاهنا يتناول نوع العقلاء وغيرهم من جميع الأشياء، وفي ذلك تنبيه أن الله تعالى خالقنا وخالق كل ما تقدمنا، وكل ما هو سبب في وجودنا وحصولنا من الآباء والأمكنة والأزمنة والسماء والأرض وسائر ما لو توهمناه^(١) مرتفعاً لم يحصل، وأخرج الكلام مخرج المقرر عند المخاطبين أنه تعالى خالق الكل ومبدع الجميع، فعلم ذلك عندهم إما موجود وإما ممكن وجوده، ولهذا قال ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢) ولعل ذكر بعضهم أن معنى مافى غاية^(٣) القرآن، قال: لأن "لعل" للشك، والشك لا يصح على الله تعالى، فكما لا يصح أن يقول أرجو، وأشك وأظن، فكذلك لا يصح منه^(٤) أن يقول "لعل" و"عسى" بمعنى ذلك فثبت أن معناه إذا أورده معنى ما. وهذا تصور بعيد، وذاك أن القائل إذا قال: "إفعل كذا لعلك تفعل" يصح أن يكون "لعلك" حال للمخاطب بمعنى أنا طامع راج لفلاحك ويصح أن يكون للمخاطب بمعنى "وأنت طامع في فلاحك"، ولما دلت الدلالة أن الطمع إنما يكون لمن يخفى عليه العواقب، علم أنه لا يصح أن يكون لله تعالى إذا ورد في كلامه، فصار ذلك حال للمخاطب كأنه^(٥) قال: "اعبدوا ربكم راجين تقاكم"، وإخراج الكلام على ذلك لأن من شرط المكلف أن يكون واقفاً بين الرجاء والخوف ولذلك قال في مدح المؤمنين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾^(٦) وقال: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٧)، وكذلك التقوى فقد تقدم أن لها ثلاث منازل: الأولى: ترك الكفر، والثانية: ترك المحارم التي تحظرها الشريعة، والثالث: حفظ الخواطر والنيات، والآخران اللذان رجانا هما الله تعالى هاهنا دون الأولى، إذ لا يصح فعل العبادة مع وجود الكفر، وحقيقة التقوى جعل النفس في وقاية من كل ما يبعد عن الله تعالى، ولهذا قال بعض المحققين: التقوى أن يتجنب الإنسان بغاية جهده الأخلاق الحيوانية، ويتخصص بالأخلاق الملكية، فلا يكون متكبراً كالنمر، ولا مهيناً كالكلب، ولا حقوداً كالجمل، ولا غمراً كالثور، ولا جاهلاً كالحمار - وقد نبه بالآية أن العبادة لله تعالى هي المبلغ بنا إلى نهاية التقوى التي يستحق بها حوار الله تعالى، نحو قوله عز وجل: ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٨) وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٩).

قوله عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾. الآية (٢٢) - سورة البقرة.

جعل: لفظ عام في الأفعال كلها، ويتصرف على ثلاثة أوجه: تارة تجري مجرى صار، و"طفق"

١ - في (١ - ص) تصوره.

٢ - سورة الزخرف: الآية (٨٧).

٣ - في (أ-ص) عامة.

٤ - ساقطة من (و-ج).

٥ - في (أ-ص) كما أنه ..

٦ - سورة السجدة: الآية (١٦).

٧ - سورة الإسراء: الآية (٥٧).

٨ - سورة الحج: الآية (٧٧).

٩ - سورة آل عمران: الآية (١٣٢).

فلا يتعدى مثل قولك جعل زيد يقول كذا، قال الشاعر:

وَقَدْ جُعِلَتْ قُلُوصُ بَنِي سُهَيْلٍ مِنْ الْأَكْوَارِ مَرْتَعًا قَرِيبًا^(١)

وتارةً تجري مجرى "أوجد، فيتعدى إلى مفعول واحد، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٢)، وتارةً تجري مجرى صير وكون فيتعدى إلى مفعولين نحو قوله تعالى «جعل لكم الأرض فراشاً» وتقول جعلته خارجاً إذا حملته على الخروج وإذا أخبرته عنه بالخروج أو حكمت له سواء كان خارجاً أو لم يكن والفراش والبساط متقاربان وهو كل مافرش من ثوب أو غيره والبناء لكل مرتفع وحائط وغيره والقصد بالآية إلى ما جعله الله تعالى لنا من الآيات الواصلة إلينا من السماء والأرض وما بينهما ودل على ذلك بآظهر الآلاء وأقربها من الحواس وقد بسط ذلك المعنى بأبلغ من هذا في قوله ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣) وهذا المعنى على مقتضى ظاهر اللفظ.

وقد قال بعض المفسرين إن الله تعالى مع إرادته لهذا المعنى جعل ذلك مثلاً فذكر أنه جعل الأرض فراشاً أي مركباً من قوله: «افتترشت البعير» إذا ركبته، (والسماء بناء) أي الجنة مقراً أو منزلاً، وجعل ما يصل إلينا من الوحي والعلم ماء، وما يثمره من الأعمال الصالحة التي هي سبب الحياة الأبدية ثمرات، وهذا إذا جعل مثلاً فليس ببعيد، إذ قد علم أن السماء تجعل مثلاً لكل منزلة رفيعة كقول الشاعر:

نالوا السماء فأمسكوا بعنانها ... حتى إذا كانوا هناك استمسكوا^(٤)

ولامنزلة أرفع من الجنة، ثم لما كانت الجنة في السماء على ما روي في الخبر صبح أن يعبر به عنها وقد جعل الأرض مركباً لنا لما روى في الخبر: «اجعلوا الدنيا مطية تبلغكم إلى الآخرة، واجعلوا الآخرة دار مقركم ومحط رحالكم، وجعل الماء مثلاً للعلم والحكمة حتى قيل في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٥) أنه عني بالماء القرآن بدلالة أنه علقه بالسماع، وليس الماء مما يسمع، وفي قوله عز وجل: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾^(٦) أنه عني به القرآن، فذلك روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، ويروى أن رجلاً قال لابن سيرين:

١- البيت لرجل من بحر بن عتود، وصف الخزانة ج: ٩ ص ٣٥٢، ومعنى البيت، ص ٣١٠، شفاء الغليل بشرح التسهيل - ج: ١

- ص ٣٤٥، والاشموني - ج: ١ ص ٢٥٩، كما ذكره الراغب في المفردات ص ١٩٧ تحقيق صفوان داوودي.

٢- سورة الأنعام: الآية (١).

٣- سورة آل عمران: الآية (١٩٠).

٤- لم أعثر عليه.

٥- سورة النحل: الآية (٦٥).

٦- سورة الرعد: الآية (١٧).

رأيت في منامي كأن ماءً يتبعني وأنا أهرب منه وكنت عطشان، فقال إنه يُعْرَضُ عَلَيْكَ عِلْمٌ أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ وتَأْبَى أَنْ تَتَعَلَّمَهُ، وجعل الثمر مثلاً لما يتحصل من الأفعال الصالحة عن ذلك البيان، وقد جعل الله تعالى الماء والثمر مثلاً في قوله ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١) الآية... وجعل بعضهم ذلك مثلاً^(٢) على وجه آخر، فقال: الأرض مثل للأبدان، والسماء مثل للعقل، والماء مثل لما أفاض الله به علينا من العلوم المكتسبة التي تحصل بواسطة العقل. والثمرات التي جعلها الله رزقاً لنا مثل لما يحصل من الأفعال التي تقتضيها العلوم والله أعلم. وهذا يكون أبلغ في المعنى، لأنه يحصل مع المعنى المحسوس معنى معقول. والله أعلم.

قوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية: (٢٢) - سورة البقرة.

النَّدُّ والشَّبَهُ والمُسَاوِي والشَّكْل والمَثَل متقاربة المعنى، لكن بينها فروق - فند الشيء^(٣) هو المشارك له في الجوهر وإن خالفه في الكمية والكيفية وشبهه مماثله في الكيفية، وإن خالفه في غيرها ومساويه مماثله في الكمية كلها وإن خالفه في غيرها، وشكله مماثله في القدر والمساحة ويدل على هذا الفرقان إنه إذا قيل ما هذا؟ فيقال: ند كذا، أو يقال كم هذا؟ فيقال مساو لكذا، أو يقال: كيف هذا؟ فيقال: شبه كذا قنع المخاطب متى عرف المشبه به، ولو قال كم هذا؟ فيقال: شبه هذا أو قال كيف هذا؟ فيقال مساو لهذا لم يقنع به، والمثل عام في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالى نفى الشبيه من كل وجه خصه بالذكر، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤)، وقال أبو عبيد: الند "هو الضد، وهذا نظر منه إلى بعض الأنداد،

١ - سورة إبراهيم : الآية (٢٤).

٢ - في (٢-ص) مثلاً، وهو تصحيف.

٣ - في (و - ج) الند للشيء.

٤ - سورة الشورى : الآية (١١).

وذلك ان الشيين قد يشتركان في الجوهر، ثم يختلفان في فصل ما، كالإنسان والفرس فإنهما مشتركان في الحيوانية، ومنفصلان في كثير من المعاني فمن اعتبر في مثل ذلك ما بينهما من الفصل قال: الند: هو الضد أو المخالف لأن أهل اللغة يطلقون الضد على الْمُتَقَابِلَيْنِ، وعلى المختلفين كثيراً على ما يدل عليه كلامهم في الأضداد، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً﴾ عام في النهي عن الشرك المطلق وعن الدقائق المؤدية إلى الشرك المنبأ عنه بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١)، ولهذا قال ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما^(٢) - في هذه الآية هو قول الرجل: (لَوْلَا نُبَاحُ الْكَلْبِ لَدَخَلَ عَلَى اللَّصِّ)، وقيل: هو نهى لقوم كانوا يقولون: إن شاء الله وشاء رسول الله^(٣) فقال- عليه السلام: "أَمْثَلَانِ أَمْثَلَانِ؟ قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"^(٤)، فأنزل الله هذه الآية. إن قيل: ما وجه قوله: "وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"؟ فإن ذلك إن جعلته خبراً مستأنفاً، فلا بد له من ذكر معلمٍ يقترب به حتى يحصل به تمام الخبر، إن جعلته حالاً يصير تقديره: "لَا تَجْعَلُوا لَهُ أَندَاداً فِي حَالِ عِلْمِكُمْ"، وذلك غير صحيح، لأن جعل الأنداد محذور في كل حال، قيل إن ذلك حال للمنتهى، وليس الإتيان به شرطاً لقصر الحكم على هذه الحال، وإنما هو تنبيه على قبح فعلهم، لأن مرتكب القبيح مع علمه بقبحه أعظم جرماً، وإذا قيل: "لا تكفر معانداً"، فذلك نهى عن الكفر وعن العناد، فكذلك هذا، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾^(٥)، ثم قوله: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) عام فيمن حصل له العلم بذلك، وفيمن له التمكن مع العلم به، فقد

١ - سورة يوسف : الآية (١٠٦).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - في (٢ - ص) وشاء رسوله.

٤ - الحديث أورده ابن كثير فيما أخرجه سفيان بن سعيد الثوري بسنده إلى ابن عباس قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم «ما شاء الله وما شئت»، فقال: أ جعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده. «رواه ابن مردويه وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح به، وفي الحديث الآخر: «نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون تقولون ما شاء الله وما شاء فلان» تفسير ابن كثير - ج: ١ - ص ٥٧، ٥٨.

٥ - سورة المؤمنون : الآية (١١٧).

يصف من حصل له التمكن من الشئ الترشح له بذلك الشئ كتسميتهم العصير خمراً، الصبي ناطقاً، والنائم عالماً قد تقرر في عقل كل عاقل إذا تأمل أدنى نظر أنه لا بد للموجودات من موجدٍ لها يخالفها، يصح أن يقال لهم: "أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"، وبهذا الوجه قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾^(١)، ومعلوم أنهم لا يقولون ذلك إلا بأدنى تأمل واعتبار.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾
الآية: (٢٣) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام في الريب، وأما الفرق بين الشك والمرية، والريب والأرابة، والتخمين والحدس، والوهم والخيال، والحسبان والظن، فإنه يذكرها هنا إذا كانت معرفته نافعة، فنقول: وبالله التوفيق: إن الشك هو وقوف النفس بين الشيئين المتقابلين بحيث لا يرجع أحدهما على الآخر بأمانة، والمرية هي التردد في المتقابلين، وطلب الإمارة مأخوذ من برى الضرع، أي منحه للدر، فكأنه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي عليه الظن. والريب أن تتوهم في الشئ أمراً ما، ثم ينكشف عما توهمت فيه، والأرابة أن تتوهمه، فينكشف بخلاف ما توهمت، ولهذا قيل: "القرآن فيه أرابة وليس فيه ريب"، والتخمين توهم لا عن إمارة. والحدس إسراع الحكم بما لا يأتي به الهاجس من غير توقف فيه مأخوذ من حدس في سيره، أي أسرع، والوهم صورة تتصورها في نفسك سواء كان لها وجود من خارج، كصورة إنسان ما، أم لم يكن له وجود كعنقاء مغرب، وغزائل، والخيال تصور ما أدركه الحاسة في النفس. والحسبان: اعتقاد عن أمانة اعتدلت به، سواء كان له وجود في الحقيقة، أو ولم يكن وهو مشتق من: حسبت الحساب، والظن: أعم معنى من ذلك كله، فإنه اعتقاد عن أمانة مما قد ثبت، فمتى كانت تلك الأمانة ضعيفة جرى مجرى "خِلْتُ"

وَحَسِبْتُ، ومتى كانت الأمانة قوية جري مجرى "عِلْمْتُ"، وكتردده بين هذين. قال أهل اللغة: "ظننت" قد يكون بمعنى: "خلت"، وبمعنى: "تيقنت"، ومتى كانت الأمانة قوية، ولحق بباب العلم استعمل معه "أَنْ" الثقيلة والخفيفة منه نحو: ﴿الَّذِينَ يَخْتُونُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾^(٢)، ومتى كانت ضعيفة، استعمل معه "أَنْ" المختصة بالمعومين من الفعل، نحو قوله: ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾^(٣)، وقد تقدم الكلام في الإنزال والتنزيل، وفي معنى العبد. وأما تخصيص إضافة العبد إلى الله في كثير من المواضع، فتنبية^(٤) على مدحه في كونه مطيعاً له متصرفاً عن أمره، وأنه غير متعرج على غيره، ولا مؤتمر لسواه كمن سماهم "عبدة الطاغوت"، و"عبد الدرهم والدينار"، وتنبيه أنهم ممن وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٥)، وتنبيه أنه يجري مجرى الملك الموصوف في قوله ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٦)، ثم إضافته بنون الملوكية مبالغة في الاختصاص، وكل إضافة إليه تعالى على هذه الوجه، فالمبالغة والسورة المنزلة في نحو:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً^(٧)

ويقال للمحيط بالمدينة "سور" لحياطته بجملتها، وتسمية القطعة من القرآن بذلك لكونه كالمحاط^(٨) بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة ما من القرآن كما تقدم، ومن قال سورة بالهمز، فمن: أسارت أي: أبقيت قطعة، فكان ذلك قطعة مفرزة من جملته، وقوله:

-
- ١ - سورة البقرة - الآية (٤٦) ٢ - سورة المزمل : الآية (٢٠).
 ٣ - سورة القيامة : الآية (٢٥). ٤ - في (أ - ص) فتنبيةً.
 ٥ - سورة التوبة : الآية (١١١). ٦ - سورة التحريم : الآية (٦).
 ٧- هذا شطر بيت للناطقة الذبياني وعجزه : ترى كل ملك دونها يتذبذبُ والبيت في ديوان النابغة ص ٥٤. ٥٥ وهو من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) ومطلعها :-

أتاني أبيت اللعن أنك لمحتني وتلك التي أهتم منها وأنصب

ديوان النابغة. جمع وتحقيق وشرح : الشيخ / محمد الطاهر ابن عاشور . نشر الشركة التونسية للتوزيع . ط :

سنة ١٩٧٦م. وهو في ديوان النابغة بتعليق وشرح د/ حنا نصر الحيتي - ص ٢٥ ، وقد أورد الراغب البيت.

كاملاً في مفردات القرآن - مادة - سور - ص ٤٢٤ - تحقيق صفوان داوودي.

٨ - في (و - ج) كالمخاط وهو تصحيف.

"من مثله"، قيل: من مثل القرآن، وقيل: من مثل النبي [عليه السلام]^(١) من البشر - تنبيهاً أن مثله ليس في طرق البشر، ومن على الوجه^(٢) الأول: للتبعيض، وعلى الثاني: للابتداء.

قوله - عز وجل: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

الآية: (٢٣) - سورة البقرة.

الشهادة: تبين الشئ الحاضر، فقولهم: "شهد زيد" في المعنى من قولهم: "حضر" وإن كان قد يفسر به، ولما كان تبين الشئ على ضربين: تبين بالبصر، وتبين بالبصيرة، والحضور على ضربين: حضور بالذات، وحضور بالتصور، صارت الشهادة تستعمل على أوجه بحسب ذلك، فيقال ذلك لحصول قربة ومنزلة، ومنه قليل: استشهد فلان " هو شهيد"، كأنه حضر وتبين ما كان يرجوه، واستعمال ذلك فيه كاستعمال القريب نحو قوله: "الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ" ولهذا المعنى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٣)، وقال في الشهداء: ﴿بَلْ أَحِبَّاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٤)، وقالوا: "أنا شاهد لهذا الأمر"، أي عارف به متصور له - إشارة إلى قولهم "لَنْ غِيبَتْ عَنْ عَيْنِي لَمَّا غِيبَتْ عَنْ قَلْبِي".

وقالوا: "شاهدة" أي: ناصره، وعلى نحوه قال [تعالى]^(٥): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٦) وقالوا: "صحبك الله، وأما الشهادة المتعارفة: فأصلها الحضور بالقلب والتبين، ثم يقال ذلك إذا عبّر عنه باللسان، ولذلك متى أطلق لفظ الشهادة على ما يظهر من اللسان دون حصوله في القلب عدّ كذباً، كقوله تعالى في المنافقين حيث قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾^(٧)، فكذبهم وقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٨) ثم يقال لكل ما يدل على شئ شهادة وإن لم يكن قولاً فقوله: (وادعوا شهداءكم) قد فسر على كل ما يقتضيه لفظ

١ - زيادة في (أ - ص).

٢ - في (و - ج) على الأوجه.

٣ - سورة الأعراف: الآية (٢٠٦).

٤ - سورة آل عمران: الآية (١٦٩).

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - سورة التوبة: الآية (٤٠).

٧ - سورة المنافقون: الآية (١).

٨ - سورة المنافقون: الآية (١).

الشهادة. قال ابن عباس -رضي الله عنهما- معناه : أعوانكم، وقال مجاهد: معناه الذين يشهدون لكم، وقال غيرهما: أنتمكم نحو: ﴿وَرَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾^(١)، وكأنما عنى بذلك الكبير الذي لا يبرم أمراً من دونهم كقولهم: "فلان يحضر به النوادي وهو من أهل النجوى"، وبضده هجى من قبل فيه بيت:

مُخَلَّفُونَ، وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ وَهُمْ بِغَيْبٍ وَفِي عَمِيَاءَ مَا شَعَرُوا^(٢)

وأما الصدق: فإنه يُحدُّ بأنه مطابقة الخبر المخبر عنه، لكن حقيقته وتمامه أن يتطابق في ذلك ثلاثة أشياء، وجود المخبر عنه على ما أخبر عنه، واعتقاد المخبر فيه ذلك عن دلالة وأمانة، وحصول العبارة مطابقاً لهما، فمتى حصل ذلك وُصِفَ بالصدق المطلق، ومتى ارتفع ثلاثتها وُصِفَ بالكذب المطلق، ومتى حصل اللفظ والمخبر عنه و الاعتقاد وبخلافه، صحَّ أن يُوصَفَ بالكذب.. ألا ترى أن الله تعالى كذب المنافقين في إخبارهم "إنك لرسول الله" لما كان اعتقادهم غير مطابق لقولهم؟ وإذا قال لك من اعتقد كون زيد في الدار، ولم يكن فيها صح أن يقال كذب، وإن كان قوله مطابقاً لاعتقاده. ولما كان اللسان ترجمان القلب، صح أن يقال: "صدق في اعتقاده أو كذب"، وقد يتجاوز أيضاً بذلك في جميع الأفعال، فيقال لكل فعل جميل على ما يجب صدق، ولما كان بخلافه [قيل]^(٣) كذب، ويقال أيضاً لكل شيء يعتقد فيه اعتقاداً ما فوجد مطابقاً لذلك صدق، وإن وُجدَ بخلافه كذب، ووجه الآية أن الله تعالى تحداهم بأن قال: ادْعُوا أَعْوَانَكُمْ وَأَنْصَارَكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِكُلِّ نَاصِرٍ لَكُمْ غير الله الذي هو مفزع الكل، وانظروا هل في طوقكم الإتيان بمثله- تنبيهاً على أن ذلك لو أتى به محمدٌ من قبَلِهِ لَقَدَرْتُمْ أَنْتُمْ مع تظاهركم على الإتيان بمثله، ويجوز أن يكون قوله: (مِنْ دُونِ اللَّهِ) ذمّاً لهم أي : ادعوا أعوانكم التي من عادتكم الاستعانة بهم الذين هم غير

١ - سورة القصص : الآية (٧٥).

٢- البيت للأخطل في ديوانه - ص ١٠٩ ، وهو في بصائر ذوي التمييز - ج : ٣ - ص ٣٥٣ بدون نسبة ، وهو أيضاً في مقدمة جامع التفاسير ص ١٥٥ ، وفي مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٦٧ .

٣- ساقطة من (أ-ص).

الله، ويجوز أن يكون معناه (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ لَكُمْ دُونِ اللَّهِ)، فإن الاستعانة به ليس بكم، وعلقه بقوله: (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) - تنبيهاً أن إقامة الدلالة على الشئ الصدق ليس يقصر، فعجزكم عنه دلالة على أنكم كاذبون في دعواكم.^(١)

قوله عز وجل : ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. الآية: (٢٤) - سورة البقرة.

لفظ الفعل أعم من معنى سائر أخواته، نحو: العمل، والصنع، والإبداع، والإحداث، والخلق، والكسب، وذاك أن الإبداع أكثر ما يقال في إيجاد عينٍ عن عدمٍ، وليس حقيقة ذلك إلا الله تعالى، والإحداث يقال في إيجاد الأعيان والأعراض معاً، والعمل لا يقال إلا ما كان عن فكرٍ ورويةٍ، ولهذا قرنَ بالعلم، فقليل: عِلْمٌ وَعَمَلٌ، حتى قال بعض الأدباء: "قَلْبٌ لَفْظُ الْعَمَلِ" عن لفظ "العلم" تنبيهاً أنه من مقتضاه، والصنع يقال لإيجاد الصورة في المواد، كالصياغة والبناء، فإن الصائغ يُوجدُ صورة الخاتم والخلخال في الذهب والفضة، والبناء يُوجدُ صورة البناء في الطين، والكسبُ أكثر ما يقال في اجتلاب المنافع، وقد يقال أيضاً في اجتلاب المضار مقيداً، والخلق قد تقدم القول فيه، وقد أمر الله بالتقوى على ثلاثة أوجه، وخص بكل وجه عصابةً من الناس وذلك بحسب اختلاف مراتبهم من العلم ومكانهم من الإيمان، فالأول : حث الانسان على اتقاء عقوبة الله برؤية ذنوبه، وذلك في قوله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٢)، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(٣)، والثاني : حث على

١ - في (٢ - ص) في دعواكم كاذبون.

٢ - سورة آل عمران : الآية (١٣١).

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٨١).

اتقائه بروية آلائه ونعمه لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾^(١)، والثالث: حثُّ على تقواه بروية وحدانيته دون الوسائط، وذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٢).

وجعلها على ثلاثة مراتب حسب ما سنَّه تعالى في سياسة الأصناف الثلاثة من الناس الخاصة والعامة، وبهذا الاعتبار قسمهم تعالى ثلاثة أقسام في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(٣)، وأشرف هذه المنازل "تقوى الله" تعالى^(٤) من غير رؤية الوسائط بلا مخافة ولا رجاء، ولذلك عظم ثوابه بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٥) وهم الاتقون المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾^(٦)، والمعبر عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٧).. والوقود: الحطب الذي يوقد به، ولذلك فُسِّرَ بأنه دقاق الحطب، لأن الدقاق الذي يوقد به، ولما كانت نار الدنيا محتاجة إلى دقاق توقد به، ونار جهنم مستغنية عن ذلك، بل يكتفي في إيقادها بالناس وبالحجارة التي ليست من عادة النيران المشاهدة أن يتقدبها، عظم أمرها، ومن قال: أراد بذلك حجارة "الكبريت"، فإنما عنى أن الحجارة لتلك النار كحجارة الكبريت لنار الدنيا، وقوله: أُعِدَّتْ: أصله في العدد وهو الإحصاء، لكن العد يُتَجَوَّزُ به على أوجه، فيقال: شئٌ معدودٌ ومحصورٌ للقليل مقابلة بما لا يُحصى كثرة، ويقال على الضد من ذلك، وجيشٌ عديدٌ، وإنهم لنو عددٍ، أي: كثيرة، وذلك مقابلة بما لا يحتاج إلى حصره وتعداده لقلته، ولهذا قيل: أعددت هذا لكذا، أي جعلته معاداً للمعد له، يتناول منه بحسب حاجته إليه، وقد ألزمهم الله تعالى بهذه الآية الحجة بأنكم إن أتيتم بمثله، فقد أدحضتم حجته،

١- سورة النساء : الآية (١) ، سورة الحج : الآية (١) ، سورة لقمان : الآية (٣٣).

٢- سورة البقرة : الآية (٢٧٨) ، سورة الحديد : الآية (٢٨) ، سورة الحشر : الآية (١٨).

٣- سورة فاطر : الآية (٣٢).

٤ - ساقطة من (١ - ص).

٥ - سورة الطلاق : الآية (٢،٢).

٦ - سورة الحجرات : الآية (١٣).

٧ - سورة البينة : الآية (٧).

وإن لم تأتوا به لزمتمكم الحجة، ووجب عليكم أن تتقوا عقابه. وفصل بين الشرط والجزاء بحكم جزم أن لا تأتوا بمثله، وذلك زيادةً في إعجازه^(١) لوجود مخبره على ما أخبر به وذلك مثل قوله: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾^(٢) الآية، فإن قيل كيف خص الكافرين بالنار دون الفاسقين؟ قيل: يجوز أن يكون أراد أن هذا الضرب من النار يُختص به الكفار، وهي المخصوصة أيضاً بقوله: ﴿أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٤)، ثم إذا قيل: "أعد هذا لزيد" لا يقتضي أن لا يكون معداً لغيره، بل قد يكتفي بأعظم الشينين عن الآخر نحو قوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾^(٥) لم يذكر معه البرد، فيكون النار على هذا الوجه للجنس، وعلى الأول للنوع..

١ - في (٢ - ص) إعجاز.

٢ - سورة الإسراء : الآية (٨٨).

٣ - سورة غافر : الآية (٤٦).

٤ - سورة النساء : الآية (١٤٥).

٥ - سورة النحل : الآية (٨١).

قوله - عز وجل : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۝﴾

الآية: (٢٥) - سورة البقرة .

أصل بشرته تلقيته مني ببشرةٍ ووجهٍ طلقٍ، وذلك أن من شأن من أتى بخبرٍ سارٍ أن يكون طلقَ الوجه، ومن أتى بخبرٍ بخلافه يكون عابس الوجه، وقيل معنى بشرته: أطلقت بشرته بما أخبرته فإن من ناله سرورٌ، طارَ دمه منتشراً في صفحة وجهه، ومن ناله سوءٌ يقيض دمه فاصفر أو اسود، وقيل: بشرته: أظهرت له خبراً دلت بشرته على المسرة به، أي ظاهره، فاستعير لظاهر الخبر البشرة، وذلك لكثرة ما يدل وجه الشيء على باطنه، فإن قيل: فإن كانت البشارة للأخبار السارة، فما وجه قوله تعالى:

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١) ؟ قيل إن مثل ذلك قد يستعمل على سبيل التهكم نحو:

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٢) .

تنبيهاً أن السارَ لهم الإخبار بالعذاب الأليم، فما الظن بما وراءه؟ والإيمان لما كان في الأصل للتحقيق والتصديق، قيل: ما ذكره الله تعالى إلا قرنَ به الأعمال الصالحة، تنبيهاً أن^(٣) الاعتقاد لا يغني من دون العمل، فالعلم أسُّ والعمل بناءٌ، ولا غناء للأس ما لم يكن بناءً، كما لا بناء ما لم يكن له أسُّ، ولذلك قيل: "لولا العملُ لم يُطلب علمٌ"، ولولا العلم لم يكن عملٌ، فإذا: حقهما أن يتلازما. والجن: أصله المستر^(٤) عن حسِّ البصر، وسمى الجن لاستتاره عنه، ثم اشتق من الجن، ف قيل جُنٌّ فلانٌ، وبني على فعل نَبَأَ عامة الأدواء نحو:

١ - سورة الإنشقاق : الآية (٢٤).

٢ - (و - ج) وجمع وهو تحريف وهذا عجز بيت لعمر بن معد يكرب، وصدره:

وخيل قد دلفت لها بخيل.

وهو في البصائر - ج: ٢ - ص ٢٠١، وخزانة الأدب ج: ٩ - ص ٢٥٢، وديوانه - ص ١٤٩، والخصائص - ج: ١ -

ص ٢٦٨، وشرح أبيات سيبويه - ج: ٢ - ص ٢٠٠، والمقتضب - ج: ٢ - ص ٢٠، وتفسير الطبري ج: ١ - ص ٣١٠،

كما ورد في مفردات الراغب ص: ١٢٦، ص ٨٣٥.

٣ - ساقطة من (أ - ص) .

٤ - في (أ - ص) المستر.

"زَكَمَ" و"حَمَّ"، وَلَقِيَ"، والجَنَان: القلب، لكونه مستوراً عن البصر، و"جَنُّ الليل"، والمجنُّ لذلك، وقيل للبستان ذي الأشجار جَنَّة، لاستتاره بها، والجنة قيل: [تسمى تشبيهاً] ^(١) بجنة الأرض وإن كان بينهما بونٌ، وقيل: سُمِّيَتْ بذلك، لأنه سُتِرَ في الدنيا حقيقةً ما أُعِدَّ للناس ^(٢) فيها من عظم الآلاء، وبذلك أخبر تعالى في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ^(٣)، وإنما قال: "جَنَّات" بلفظ الجمع لما قال ابن عباس- [رضي الله تعالى عنهما] ^(٤) "إِنَّ الْجَنَانَ سَبْعٌ: جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ، وَجَنَّةُ عَدْنٍ، وَجَنَّةُ النَّعِيمِ، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى، وَدَارُ الْخُلْدِ، وَدَارُ السَّلَامِ، وَعَلِيُّونَ"، والجري: المرُّ السَّريعُ، ويقال ذلك في الماءِ والرياحِ والسَّحابِ والفرسِ، ويقالُ للرسولِ والوكيلِ المتَحَقِّقَيْنِ في الحال ^(٥) جَرِيٌّ، والإتيان: عام في المجيء والذهاب وفيما كان طبعاً ^(٦) وقهرياً، والآتي: يقال للماء الجاري، ولما وقع فيه من خشبٍ ونحوه، ولجرى الماءِ الْقَرِيبُ أيضاً. إن قيل: لم قال: (تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) وقد عَلِمَ أَنَّ الماءَ في البساتين إذا كان جارياً على وجه الأرض أحسنُ منها إذا كان جارياً تحتها؟ قيل: عنى أنهاراً جاريةً تحت الأشجار، لا تحت الأرض، وقد روي عن مسروق ما يدل على ذلك، وهو أن كل أنهار الجنة تجري في غير أخاديد ^(٧). إن قيل: كيف قالوا:

﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ^(٨) وما كان من قبل قد فنى وعدم؟ قيل: لفظة "هذا" وأخواته يشار بها إلى العين الموجودة طوراً، وإلى النوع والجنس طوراً. والنوع من حيث ما هو نوعٌ ليس يفنى، وإنما الذي يفنى هو الجزئيات، وعلى ذلك تقول في الإشارة إلى نهرٍ جارٍ: "هذا الماء"

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - ساقطة من (١ - ص).

٣ - سورة السجدة : الآية (١٧).

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (١ - ص) في الحاجة.

٦ - في (١ - ص) طبعياً.

٧ - في (و - ج) على غير أخاديد.

٨ - سورة البقرة : الآية (٢٥).

لا يفنى" وأنت لا تعني بذلك الجزئيات المشاهدة منه، وإنما تعني به النوع المعلوم وقوله: (مِنْ قَبْلُ) هو للمتقدم، فقل: عنى بذلك ما أتوا به قبل ذلك في الجنة، وإليه ذهب الحسن ويحيى بن أبي كثير، فقال: "إِذَا أُوتِيَ أَحَدُهُمْ بِصَحْفَةٍ فَيَأْكُلُ مِنْهَا ثُمَّ يُوْتَى بِأُخْرٍ، فيقول: هذا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ، فيقول له الملك: كُلْ فاللون واحدٌ والطعم مختلفٌ"، وقال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما: (رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) أي في الدنيا شبهه. وابن جرير رجَّح هَذَا الوجه، وقال: إن قوله: (كُلَّمَا) عام يقتضي أنهم قالوا ذلك في كل مرة من غير تخصيص، ومتى جعل ذلك للأولى، اقتضى أن يكون ذلك مخصوصاً بخلاف ما يقتضيه عموم الآية، وقال بعض المفسرين قول ابن عباس -[رضي الله عنهما]^(١) - في قوله: (هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) أي: في الدنيا، يعني ثواب ما رُزِقْنَا من المعارف كقوله: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، قال: ويدل على صحة هذا أن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: "لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَطْعَمَةِ الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ"، والمتشابه: المتماثل في الكيفية، ولهذا يقال فيما لا يتميز أحدهما عن الآخر مُتَشَابِهٌ، وكذلك للواقع من الكلام بين معنيين فصاعداً ومتشابه والشبهة في الشئ ما يقع فيه من مشابهة الغير، فقوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾، قيل: هو تفسير لقوله: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي يشبهه اسماً ولوناً لا طعماً وحقيقةً بوقيل: عنى به متماثلاً في الكمال وأن لا تقارب^(٣)، فيه كأطعمة الدنيا، وقال بعض المفسرين: إن الآية مثل لا على الحقيقة، وقد نبه على كونه مثلاً بقوله بعده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾^(٤)،، والأنهار مثلٌ لمجاري الخيرات، كقولك: ينابيع الحكم، وأنهار الفعل والرزق لم يُعْنَ به ما يُؤْكَلُ فقط، وإنما هو كقولك: "رُزِقْتُ فهماً وعِلْماً"، والثمرة: اسمُ

١ - زيادة من (أ - ص).

٢ - سورة العنكبوت : الآية (٥٥).

٣ - في (أ-ص) لا تفاوت.

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٦).

لما يَتَحَصَّلُ عن الشيء، كقولهم: "ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الصَّالِحِ، وَثَمَرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْجَنَّةُ"، ومعناه: كُلَّمَا أُعْطُوا في الجنة جزاءً لما رزقوا من المعارف والأعمال، (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل)، أي: هَذَا ثَوَابُ الَّذِي وَفَّقْنَا لَهُ في الدُّنْيَا. وهذا القول وإن كان لمجازه مَسَاغُ في اللغة، فهو ترك لما روي عن السلف في تفسير الآية، وقد طعن في هذه الآية وأمثالها من الآيات قومٌ من المتفلسفين والطبيين، وقالوا: "إن الجنة لَا يَصِحُّ فيها الأكلُ والشربُ، فإن الأكلَ لَا يطيبُ إِلَّا عن جُوعٍ، والجوع مرضٌ وأذى، والأكلُ مداواةٌ له، وَلَا مَرَضٌ وَلَا أذى بوجهٍ في الجنة، ثم إن الطعام يصير بعضه ثقلاً بعد طبخ المعدة إياه فيخرج من البدن، وبعضه يصير غذاءً يزيد في البدن بقدر ما يتحلل منه، وإلَّا خرج به البدن عن الاعتدال. وكل ذلك لَا يَصِحُّ إِلَّا في دَارِ الْكُونِ. والفساد دون دار الخلد والبقاء". وهذا كلام من ينظر إلى الأجساد في الآخرة نظره إليها في هذه الدنيا، وهي مركبةٌ تركيباً مُعَرَّضاً للاستحالات، ولم يعلم أن الله تعالى [قادر على أن] ^(١) يعيدها إعادةً لَا تَغْتَوِرُهَا الاستحالات، ويجعل لها أطعمةً يُتَلَذَّذُ بها، فلا يكون لها ثَقْلٌ وَلَا تَغْيِيرٌ منكرٌ، وقد دل على ذلك تعريضاً وتصريحاً، أما إعادتها على وَجْهِ معرٍ من الاستحالات، فبقوله تعالى ﴿وَنُشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢)، وبقوله عليه السلام في أهل الجنة: (جَزْدٌ مُرْدٌ مَكْحُولٌ) ^(٣)، وأما إن أطعمتها لَا يستحيل فبقوله عليه السلام: (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ، إِنَّمَا هُوَ عَرَقٌ يَجْرِي مِنْ أَعْرَاضِهِمْ مِثْلَ الْمِسْكِ) ^(٤).

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - سورة الواقعة : الآية (٦١).

٣ - الحديث عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال :

«يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً مكحلين ، بناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة» . أخرجه الترمذي ، وقال : حسن غريب وأورده الإمام أحمد في مسنده ج: ٢ - ص ٢٩٥ وأورده الراغب في مفرداته ص ٧٦٤

٤ - الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القفحاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذي يلونهم على ضوء -

أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفاون، ولا يتمخطون. أمشاطهم الذهب. ورشحهم المسك، ومحابرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم -

ستون ذراعاً في السماء» وأورد ابن كثير في تفسيره - ج: ٤ - ص ٢٩٣.

ويقول ابن عباس "رضي الله عنهما": «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ مَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَسْمَاؤُهَا» فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَاءَ وَاللَّبْنَ وَالْخَمْرَ وَالْعَسَلَ وَالسُّنْدُسَ وَالْحَرِيرَ وَالْمِسْكَ وَالزَّجْجِيلَ، وَوَصَفَ لَكُمْ مَا فِي أَيْدِيكُمْ لِيَحُلُّوْا عِنْدَكُمْ، ولكي تهتدي ^(١)، إِلَيْهِ قُلُوبُكُمْ. وليس لهذا القول منه وجهٌ إلا التوقيف، إذ لا مدخل للاجتهاد فيه، وروى أن يهودياً سأل النبي ﷺ "أَتَزْعَمُ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ نِكَاحاً وَكُلّاً وَشَرْباً، وَمَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ كَانَتْ لَهُ عَذْرَةٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ فِيهَا أَكْلًا، وَشَرْبًا، وَنِكَاحًا، وَيُخْرَجُ مِنْهُمْ عَرَقٌ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ"، فَقَالَ رَجُلٌ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ، خَلَقَ اللَّهُ دُودًا يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ، فَيَخْلَفُ غَسَلًا سَائِغًا»، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَذَا مَثَلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». وفي هذا إشارةٌ عجيبة، فإنه إذا أمكن أن يأكل دود أطعمةً مستحيلةً، فتخلف جنساً طيباً يبقى أطول مدة، فلا يلحقه فسادٌ، فكيف ينكر أن يتناول أهل الجنة طعاماً معرّى من العفونات والاستحالات، فيخلف منه مسكٌ؟ والذي يستبعده بعض الناس من ذلك هو أنهم يريدون أن يتصوّروا أبداناً متناولَةً لأطعمةٍ لا استحالة فيها ولا تَغْيِيرَ لها، ولا يكون منها فضولات، وتصوّر ذلك محالاً، وذلك أن التصور: هو إدراكُ الوهم خيَالاً ما أدركهُ من الحس وما لا يدركُ الحسُّ جُزْءَهُ ولا كُلَّهُ، كيف يمكنه ^(٢)، تصوّره؟ وَلَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ سَبِيلٌ إِلَى تَصَوُّرِ ذَلِكَ، لَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ^(٣)، ولما قال "عليه السلام" مخبراً عن الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ^(٤)، وجملة الأمر: يجب أن يكون معلوماً أن النُقُصَانَاتِ مَنفِيَةٌ عَنِ الْجَنَّةِ، لأنها من الأعدام، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ أَعْدَامٌ، إذ الْجَنَّةُ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ..

١ - في (١ - ص) ولتهتدي.

٢ - في (١ - ص) يمكن.

٣ - سورة السجدة : الآية (١٧).

٤ - هذا جزء من حديث رواه البخاري عن أبي هريرة في بدء الخلق - فتح الباري ج: ٦ - ص ٣١٨ - رقم ٣٢٤٤ ،

وأورده (بن حجر العسقلاني في فتح الباري - كتاب التفسير - ص ٤٦١ ج رقم : ٩٧٧٤ .

قوله - عز وجل: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية: (٢٥) سورة البقرة.

الزوج: يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِينَيْنِ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى فِي الْحَيَوَانِ الْمُتَزَاوِجَةِ، وَمِنَ الْقَرِينَيْنِ فِي غَيْرِهِمَا، كَزَوْجِ الْخُفِّ وَالنَّعْلِ، وَلِكُلِّ مَا مَعَهُ آخَرُ مُقَارِنٌ لَهُ - مُمَاتِلًا كَانَ أَوْ مُضَادًّا، مُرَكَّبًا مَعَهُ أَوْ مُفْرَدًا، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(١) أَيِ. أَشْكَالَهُمْ وَمُؤَافَقِيهِمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُرَدْ أَلرَّجُلَ وَحَلِيلَتُهُ، فَقَدْ تَكُونُ تَحْتَ الْمُؤْمَنِ الْكَافِرَةِ وَتَحْتَ الْكَافِرِ الْمُؤْمِنَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(٢) أَيِ اثْنَيْنِ، إِمَّا مِنْ حَيْثُ الْأَعْدَادِ، أَوْ مِنْ حَيْثُ التَّرَكِيبِ - تَنْبِيهًا أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْفَرْدُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَمَاسِيَاهُ زَوْجٌ مِنْ وَجْهِ مَا، وَالزَّوْجِيَّةُ: أَيِ أُنْثَوِيَّةٌ يُقْتَضَى كَوْنُهَا مُحَدَّثَةً، وَالتَّطْهِيرُ يُقَالُ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ جَمِيعًا، وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾^(٣). أَيِ نَفْسِكَ نَقَهَا مِنَ الْأَوْسَاحِ، وَذَلِكَ مَخَاطَبَةٌ لِلْكَافَةِ^(٤) وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لِلنَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥)، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَرِدْ تَطْهِيرًا عَنْ نَجَاسَةٍ فِي ثَوْبٍ وَبَدَنٍ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَطْهِيرَ النَّفْسِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَدْحَ وَالْخُلُودَ وَالْبَقَاءَ الدَّائِمَ وَأَصْلَهُ لَمَّا يَطُولُ مَكْتُهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَثَافِيِّ وَالْأَحْجَارِ "خَوَالِدٌ"، وَالْخُلْدُ: اسْمٌ لِلْجَزْءِ الَّذِي يَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى حَالَتِهِ مَا دَامَ حَيًّا...

١ - سورة الصافات : الآية (٢٢).

٢ - سورة الذاريات : الآية (٤٩).

٣ - سورة المدثر : الآية (٤).

٤ - في (و - ح) مخاطبة الكافة.

٥ - سورة الأحزاب : الآية (٢٣).

قوله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝﴾ الآية (٢٦) سورة البقرة.

الحياة: عارض للفرع من النقيصة، وذلك بين الوقاحة والخجل، فإن الوقاحة هي الجرأة على الأفعال القبيحة من غير مبالاة، والخجل انحصار النفس عن الفعل، والحياة مأخوذ من لفظ (الحياة) التي يراد بها العلم والعقل، ووجه ذلك أن الحياة أس العقل، إذ هو أول أماره منه تظهر من الصبي، ولهذا قال عليه السلام: «مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ لَا إِيْمَانَ لَهُ»^(١)، لأن الحياة أول منزلة من العقل، والإيمان آخر منزلة له، ومحال أن يحصل آخر المنزلة لمن لم يحصل له الأولى^(٢)، وأما الحياة الذي هو الفرح، فسُمي بذلك لكونه مستحباً من ظهوره، ومن أجل ذلك قيل: "شَوَّرْتُ لِفُلَانٍ" أي خَجَلْتُهُ خَجَلًا مَنْ يَظْهَرُ شَوَارُهُ أَي فَرَحُهُ، والضرب أصله وقع شئ على شئ، ثم تجوز به على أنظار مختلفة، ولما قيل: "ضَرَبْتُ الدَّرْهَمَ"، و"دَرَّهْمُ ضَرْبٌ" أي مَصْنُوعٌ، استعير منه: "ضَرَبْتُ الْمَثَلَ" والكلام في المثل، والمثل قد تقدّم، وما في قوله: "مثلاً ما" للمبالغة في التأكيد، فإن "ما" في الخبر إما أن تكون معرفة، فتكون موصلة، أو نكرة، وذلك على ثلاثة أوجه: إما موصوفة نحو قوله:

رُبُّ مَا تَجَزَّعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رِبُّ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ^(٣)

أو مبتدأ بلا صفة وذلك في قولهم: "مَا أَحْسَنَ زَيْدًا" على مذهب "سيبويه"، وإما تابعاً

١- قال ابن الفرس: ضعيف، وفي إسناده من لم يعرف - انظر: كشف الخفاء - للعجلوني - ج: ٢ - ص ٣٧٧ - حديث ٣١٣٧.

٢ - في (١ - ص) الأول.

٣- هذا البيت من شعر أمية بن أبي الصلت كما في ديوانه - ص ٤٤٤ وهو من قصيدة مطلعها :-
سمع الله لابن آدم نوح رينا نو الجلال والإفضال

وقد ينسب إلى عبيد بن الأبرص أو ابن صرمة ، أو إلى أبي قبيس اليهودي ، وهو من شواهد سيبويه الجزء الأول - ص ٢٧٠ ، ص ٣٦٢ ، والمقتضب ج: ١ - ص ٤٢ ، والأمالي الشجرية - ج: ٢ - ص ٢٣٢ ، وابن يعيش - ج: ٤ ص ٢ ، ج: ٢ - ص ٥٤١ ، ومعاني القرآن - للأخفش - ج: ١٠ - ص ٣٦ . خزنة الأدب . ج: ٦ . ص ١٠٩ - كتاب الشعر ج: ١ - ص ٢٦٣ .

لاسم منكور- تنبيهاً أنه لم يقصد به معين، نحو: "رَأَيْتُ رَجُلًا مَا"، وقوله: "فَمَا فَوْقَهَا"، قيل معناه: ما دونها، وإنما عنى ما فوقها في الصَّغَر، ففسره بِدُونٍ، فظن بعض أهل اللغة أن فوق يكون بمعنى "دون"، فأخرجه في جملة ما صنف من الأضداد. والحق: لفظُ عامٌ لصديقِ المقالِ وصوابِ الفعَالِ، يقال: قولُ حقٍّ، كقولك صواب، وقيل: الحقُّ هو الذي لا يزاحمه في ذاته ضدٌّ، ولهذا وُصِفَ اللهُ تعالى به في قوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(١)، والإرادة منا تقتضي نُزْوَعِ النفس إلى الشئ مع الحكم بأنه ينبغي أن يفعل، وأن لا يفعل، وإذا وصف البارئ تعالى، فلا يصح أن يكون فيه النزاع، إذ هو مُنَزَّهٌ عن ذلك، والاختيار أخصُّ من الإرادة، فإن فيه مع الإرادة دلالةً من اللفظ على تفضيل أحد الشيئين على الآخر، والإيمان ههنا: الاعتقاد الصادر عن العلم وإن كان في التعارف يقتضي مع الاعتقاد قولاً وعملاً بحسب مقتضاه، والكفر ههنا: الاعتقاد الكاذب عن تخمين، ومعنى الآية: أن الكفار لما سمعوا النبي ﷺ وقد تلا عليهم قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَتًّا﴾^(٢) وقوله: ﴿وَأَن يَسْتَلْبَهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ﴾^(٣) قالوا: لا يستحي ربك عن ذكر الذباب والعنكبوت؟، فأنزل الله تعالى ذلك -تنبيهاً- أن الاعتبار بالحكمة لا بصغر الجثة وكبرها، أن قيل: من حق مطابقة قوله [تعالى]^(٤): ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي يقول: (وأما الذين كفروا فلا يعلمون)؟، قيل: لما كان الإيمان صادراً عن العلم، والعلم يقتضي سكون النفس وطمأنينة القلب، وذلك لا يقتضي مراجعةً ومساءلةً ذكر مقتضاه، ولما كان الكفر منبع الجهل التام^(٥) وتمام الجهل والاعتراض^(٦) على الحق على

١ - سورة النور : الآية (٢٥).

٢ - سورة العنكبوت : الآية (٤١).

٣ - سورة الحج : الآية (٧٣).

٤ - زيادة من (١ - ص).

٥ - في (١ - ص) الجهالة التامة.

٦ - في (و - ج) الإعراض ، وهو تصحيف.

سبيل الإنكار، نبه بإنكارهم لما لا يعرفونه على تمام جهلهم^(١)، وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(٢) - [قد تقدم]^(٣) الكلام في الإضلال والهداية، فأما الفاسق: فهو الخارج عن حجر الإيمان من قولهم: "فسق الرطب عن قشره"، وكل كفر فسق، وليس كل فسق كُفْرًا، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم^(٤) فسق^(٥) حكم الإسلام، وأقر به أو ببعضه، ثم أخل به، وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضاه الفطرة، وللфاسق في انحلاله عن الإسلام ثلاث درجات: التغابي، والانهماك، والجحود، فبالتغابي: يرتكب بعض الذنوب مع استقباحه من نفسه، وبالانهماك: يرتكبها غير مبالٍ بها، وبالجحود: يرتكبها مستصوباً لها. [والكبير والكثير يتقاربان، إلا أن الكبير والكثير أكثر ما يُقال في آخر الشيء المتصل]^(٦)، فالكثير في الأعداد والمعدودات^(٧) المنفصلة: إن قيل: كيف قال: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) والكثير والقليل إنما يقالان في شيئين يعتبر أحدهما بالآخر، والناس إذا فرقوا فرقتين فحكمت على إحداهما بالكثير، فالأخرى لا محالة قليلة، فكيف جعلهما^(٨) كثيرين؟ قيل: إن ذلك باعتبارين، فقوله: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا)، يعني من حيث العدد، (ويهدي به كثيراً) يعني من حيث الفضل والشرف. وعلى هذا قول الشاعر:

قَلِيلٌ إِذَا عَدُوًّا كَثِيرٌ إِذَا شَدُوًّا^(٩)

أو يحكم عليهما بالكثرة - اعتباراً بالإضافة إلى غيرهما -.

١ - في (و - ج) جهله، وهو تصحيف. ٢ - سورة البقرة: الآية (٢٦).

٣ - ساقطة من (و - ج). ٤ - في (و - ج) ألزم.

٥ - ساقطة من (أ - ص). ٦ - زيادة في (أ - ص).

٧ - في (و - ج) والمعدودان وهو تصحيف. ٨ - في (و - ج) جعلها.

٩ - هذا عجز بيت للمتنبى، وتماه -

ثَقُلَ إِذَا لَاقُوا خُفَافٌ إِذَا دَعَا كَثِيرٌ إِذَا اشْتَدَّ قَلِيلٌ إِذَا عَدَا

وهو من قصيدة قالها يمدح فيها على بن محمد بن يسار بن مكرم التميمي. ومطلع القصيدة :-

أَقْلُ فَعَالِي بَلَهْ أَكْثَرُهُ مَجْدٌ وَذَا الْمَجْدُ فِيهِ ثَلَاثُ أُمِّ لَمْ أَنْلِ جَدُّ

ديوان المتنبي - ص ١٩٨ - دار صادر - بيروت.

قوله تعالى:

﴿الدِّينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية: (٢٧) - سورة البقرة.

النقض: فسخ المبرم، وأصله في طاقات الحبل، والنكث: مثله، لكنه يقال في المتبدل كالأكسية، والأخبية، والعهد: كل أمرٍ شأنه أن يراعى كاليمين، والمشاركة، والمبايعة، ويقال العهد للدار المراعاة بالرجوع إليها، والتاريخ المراعي، وللمطر المتعهد، والميثاق: اسم لما يقع به الوثيقة، والعهد المأمور بحفظه ضربان: عهد مأخوذ بالعقل، وعهد مأخوذ بالرسل، والمأخوذ بالرسل مبنيٌّ على المأخوذ بالعقل، ولا يصح إلا بعده أو معه، وقد حُمِلَتِ الآيةُ عليهما، وذلك هو المذكور في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١) الآية، وفي قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾^(٢)، وقد عظم الله تعالى أمر العهد، وتوعد على الإخلال به في أي كثيرة، كقوله: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾^(٤) الآية، وقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٦)، وأما ذمهم بقطع ما أمر الله به أن يوصل، فذمٌ بقطع الخيرات وتعاطي السيئات، وذلك أن التقاطع بين الناس يحصل من رفض المحبة والعدالة ورفضهما^(٧) سَبَبُ كُلِّ فُسَادٍ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِذَا أَحْبَبُوا وَعَدَلُوا تَوَاصَلُوا، وَإِذَا تَوَاصَلُوا تَعَاوَنُوا، وَإِذَا تَعَاوَنُوا عَمَرُوا، وَإِذَا عَمَرُوا أَمَرُوا، وبالعكس إذا تباغضوا وظلموا تَدَابَرُوا، وَإِذَا تَدَابَرُوا تَخَاذَلُوا، وَإِذَا تَخَاذَلُوا لَمْ يَعْمَلْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

١ - سورة الأعراف : الآية (١٧٢).

٢ - سورة آل عمران : الآية (٨١).

٣ - سورة الفتح : الآية (١٠).

٤ - سورة الأحزاب : الآية (٧).

٥ - سورة المائدة : الآية (١٣)، وسورة النساء : الآية (١٥٥).

٦ - سورة آل عمران : الآية (٧٧).

٧ - في (و - ج) ورفضها.

فهلكوا، ولهذا قال عليه السلام:

(لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ)^(١)، وقال: (الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُؤْلَفُ وَلَا يَأْلَفُ)^(٢)، ولذلك حثنا على الاجتماعات في الجماعات والجمعات، لكون ذلك سبباً للألفة، بل لذلك عَظَّمَ اللَّهُ تعالى المنّة على المؤمنين بإيقاع الألفة بين المؤمنين، فقال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤)، وليس ذلك في الإنسان فقط، بل لولا أن الله تعالى أَلَفَ بين الأركان المتضادة، لما استقام العالم، ولذلك قال عليه السلام: «بِالْعَذْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»^(٥)، ومتى تَصَوَّرَ هذه الجملة، عِلِمَ أن الآية في نهاية الذم

١ - الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٢٥٦٤، وأخرجه البخاري في الفرائض ج: ١٢ - ص ٤، وأورده الراغب في المفردات - ص ٣٠٧، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في باب: تعليم الفرائض عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ولا تجسسوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً» - ج: ١٨ - حديث: ٦٧٢٤.

٢ - نص الحديث: «المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»، أورده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، وقال: رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصحيحه، وأخرجه الحاكم في المستدرک من طريق صخر عن أبي حازم عن أبي هريرة، وقال: إنه صحيح على شرطهما ولا أعلم له علة، وتعقبه الذهبي فإن أبا حازم هو المدني لا الأشجعي، وهو لم يلق أبا هريرة ولا لقيه أبو صخر، وقال الحافظ السخاوي: وقد رواه العسكري من طريق الزبير بن بكار عن خالد بن وضاح عن أبي حازم بن دينار عن أبي صالح من حديث عبد الملك بن أبي كريمة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر مرفوعاً بلفظ: «المؤمن أَلَفٌ مألوف، ولا خير فيمن لا يألف، وخير الناس أنفعهم للناس» وليست الجملة الأخيرة منه عند العسكري.

٣ - سورة الأنفال: الآية (٦٣).

٤ - سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

٥ - أخرجه أبو داود عن أن عباس قال: «افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، واشترط أن له الأرض وكل صفراء وبيضاء، قال أهل خيبر: نحن أعلم بالأرض منكم فأعطاناها على أن لكم نصف الثمرة، ولنا نصف، فزعم أنه أعطاهم على ذلك، فلما كان حين يصرم النخل بعث إليهم عبد الله بن رواحة، فحزر عليهم النخل وهو الذي يسميه أهل المدينة الخرص - فقال: في ذه كذا وكذا، قالوا: أكثرت علينا يا ابن رواحة فقال: فأننا إلى حزر النخل وأعطيكم نصف الذي قلت. قالوا: هذا الحق، وبه تقوم السماء والأرض، قد رضينا أن نأخذ به بالذي قلت». مسند أبي داود - رقم ٣٤١٠ - باب في المخابرة.

وقد أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٥١، ص ٥٥٢.

لهم، وقول قتادة: "إنه أمرٌ بصلة الأرحام"، وقول غيره: "إنَّه ذمُّ لهم بقطعهم^(١) النبي ﷺ إشارةً منهم إلى أبعاض ما يقتضيه عموم الآية، والخاسر من خسر إحدى المقتنيات الثلاثة من المال والبدن والعقل، وكما أن الفاسق بالقول المجمل على ثلاث طبقات بعضها فوق بعض، فكذا ناقضوا العهد على ثلاث طبقات: ناقضُ عهده في أوامره المفروضة، وناقضُ عهده في أوامره النافلة، وناقضُ عهده في أركان الدين، وذلك أعظم الثلاثة، وكذلك قاطعو ما أمر الله به أن يوصل، قاطعٌ لبعض ما يشير إليه عقله تابعاً لهواه، وقاطعٌ لبعض ما يأمر به العلم وبنوه، وقاطعٌ للعصمة بينه وبين الله، وكذلك الخاسر: خاسرُ ماله في ابتغائه غير الدار الآخرة، وخاسرُ بدنه في غير خدمة الله، وخاسرُ عقله في إهماله عن اقتباس ما يفيد الحياة الأبدية، وذلك أعظم الخسران المنبأ عنه بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣).

فلكل منزلةٍ من الفسق منزلة من نقض العهد، ومنزلة من القطع، ومنزلة من الخسران تلازمه، فالأول في كل ذلك مخطئ، والثاني فاسق، والثالث كافر، ثم منزل كل واحد منهم يتفاوت.

١ - في (و - ج) بقطيعهم.

٢ - سورة الكهف: الآية (١٠٣).

٣ - سورة الزمر - الآية: (١٥).

وقوله - عز وجل : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . الآية: (٢٨) - سورة البقرة.

كيف: ههنا استخبار لا استفهام، والفرق بينهما أن الاستخبار قد يكون تنبيهاً للمخاطب وتوبيخاً، ولا يقتضى جهل المستخبر، والاستفهام بخلاف ذلك، فكل استفهام استخبار، وليس كل استخبار استفهاماً، والحياة: يستعمل على أوجه، يقال للقوة النامية في النبات والحيوان حياة: ومنه قيل نبات حي إذا كان نامياً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(١)، وقوله عز وجل: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾^(٢)، والثاني: القوة الحساسة الحاسة^(٣)، وبه سمي الحيوان حيواناً، والثالث: القوة المختصة بالإنسان من العقل والعلم والإيمان، وذلك لكونها سبباً للحياة الأبدية، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٥)، وعلى نحوه قوله:

وَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا^(٦) وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي^(٧)

والموت: يستعمل في فقد كل واحد مما تقدم، وأما وصف الباري - جل ثناؤه - بالحي، فليس يُتصور منه مقابله الموت، فإنه تعالى الدائم الباقي الذي به حياة كل حي، ومعنى الآية: قبل^(٨) "كنتم أمواتاً أي: تراباً ونطفة، فأحياكم، بأن أنشأكم وخلقكم ثم يميتكم الموت المعروف، ثم يحييكم يوم ينفخ

١ - سورة الحديد : الآية (١٧).

٢ - سورة ق : الآية (١١).

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

٥ - سورة الأنفال : الآية (٢٤).

٦ - في (و - ج) لقد ناديت لو أسمعته حياً، ولكن الصواب كما هو في (أ - ص) طبقاً لما في الديوان.

٧ - البيت لكثير عزة من قصيدة له يرثي بها خنذفاً الأسدي ومطلعها .

شجى أظعان غاضرة الغواضي . بغير مشورة عرضاً فؤادي

وهو في ديوانه ص ٢٢٣ ، والأغاني ج: ١٢ ص ١٧٣ ، وأورده الراغب في المفردات ص ٢٦٨ وهو أيضاً في ديوان نريد ص ٢٩ ، وفي معجم البلدان ج: ٥ ص ٤٢٩ والبحر المحيط ج: ١ - ص ٣٢٧ ، وقيل أن هذا البيت لعمر بن معد يكرب ، وقيل هو لنريد بن الصمة ، والصحيح أنه لكثير عزة .

٨ - في (و - ج) قيل .

في الصور، "ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" أي تُرْتَوْنَ إِلَى دَارِ^(١) الثواب والعقاب، وذلك نحو قوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَنَا الْفِتْنَىٰ وَأَخْيَبْنَا الْأَتَمِينَ﴾^(٢)، ونبه بمثل هذه الآيات على أن القادر على الإبداء، قادرٌ على الإعادة، كما قال: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٣)، وقال بعض أهل الحقائق: الآية خطابٌ للمؤمنين، لا على الإنكار بل على تعظيم المنّة عليهم وتبعيد الكفر منهم بعد تحققهم بالإيمان، فقد قيل: "ما رجع من رجع إلا من الطريق"، أي: لا ينكر الله أحدٌ بعد تخصصه بالمعرفة الحقيقية، وإنما يرد ويتشكك مَنْ لم يبلغها، فمحالٌ أن يصير العارف جاهلاً، وليس بمحالٍ أن يصير الجاهلُ عالماً، فيقول: "كنتم أمواتاً"^(٤) أي جهالاً فأحياكم بما أفادكم من العقل ورشحكم له من العلم، كما قال: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْهَقُ مِنْكُمْ﴾^(٥)، وهذا أعظمُ أعجوبة، وأولى بالاعتبار به والتنبيه عليه لمن ألقى السمع وهو شهيد، ثم قال: (يُمِيتُكُم) الموت المعروف الذي لا يجب أن يتكادكم^(٦)، ثم يحييكم الحياة الحقيقية، ثم تتأبون الثواب الذي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر.

قوله - عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. الآية (٢٩) - سورة البقرة .

الاستواء : طلب السواء، أي المساواة، وسمي وسط الشئ سواء، لتساوي مساحة الجوانب كلها إليه، وقيل للعدل سواء لكونه وسطاً للظلم والانظلام، إن قيل: قوله تعالى: (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) يقتضي أن كل ما في الأرض خُلِقَ لأجل الإنسان، والانتفاع به، ومعلوم أن في الأرض كثيراً مما لا ينفع للإنسان فيه، بل فيه المضارُّ كالحيات، والعقارب، (والسموم)^(٧) والأشجار من الناس، قيل: الأشياء الضارة في الظاهر لكل نوع منها خاصة فيها نفع للإنسان أو نفع لما فيه نفع^(٨) للإنسان،

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - سورة غافر : الآية (١١).

٣ - سورة الروم : الآية (٢٧).

٤ - ساقطة من (١ - ص).

٥ - سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

٦ - تكده الشئ: تكسر، واكند: أمسك وبخل، والمكدود: هو المغلوب، وعلى هذا يكون معنى الكلمة. يغلبكم. المعجم الوسيط - مادة: (كد).

٧ - ساقطة من (١ - ص).

٨ - ساقطة من (و - ج).

فأجزاء العالم ^(١) إذا تأملتتها إما أن تكون ^(٢) قراراً للإنسان، أو غذاءً له، أو غذاءً لما هو غذاءٌ له، أو دواءً له، أو ما ينتفع به ^(٣) نفعاً ما على وجهه.

وذلك بين في أنواع الأشياء وأجناسها. فأمّا نفع جزئياتها في أن يقال: ما نفع هذه الحية بعينها فلا سبيل لنا إليه، وأجزاء العالم شئٌ ضار بالإطلاق، وإنما الضار ضار بالاعتبار إلى جزئياته، إن قيل: كيف ذكر ههنا أنه خلق ما في الأرض قبل السماء وقد قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ^(٤)، ومعلوم أن ما في الأرض محالٌ وجوده قبل وجودها؟ قيل: قد ذكر في هذا جوابان: أحدهما: أنه تعالى خلق جوهر الأرض، ثم دحاهها وبسطها بعد خلق السماء، والثاني: أنه خلق السماء بعد خلق الأرض ووجودها ^(٥)، وإنما وقعت الشبهة من قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾، لأن بعض الناس تصور له من جهة القرآن قوله: (بعد ذلك) ظرف لقوله: (دَحَاهَا)، واعتبر في (بعد) الزمان وليس كذلك، فإن تقدير الآية: (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ)، ثم قال: ﴿دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ^(٦).

كقوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ ^(٧) ثم قال: ﴿بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ ^(٨)، وليس "بناها" وصفاً للسماء، بل تقديره: (أم السماء أشد خلقاً)، ثم استؤنف فقل: بنها - تنبيهاً أن من قدر على ذلك [فهو على] ^(٩) إعادتك قادر، ثم قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ^(١٠) أي الأرض بعد السماء أشد خلقاً من إعادة خلقكم، وذلك لأن السماء بما فيها من عجائب الصنعة أعظم خلقاً من الأرض، ثم الأرض أعظم من الإنسان، وليس يريد بقوله بعد التوقيت، وإنما يريد الترتيب في الشرف والرفعة، فإن قيل: ولم نصب الأرض ولم يرفعها كما رفع السماء؟

١ - في (أ - ص) وأجزاء.

٢ - في (أ - ص) يكون وهو تصحيف.

٣ - في (أ - ص) أو ينتفع به.

٤ - سورة النازعات : الآية (٣٠).

٥ - في (أ - ص) وجودها وهو تصحيف.

٦ - سورة النازعات : الآية (٣١).

٧ - سورة النازعات : الآية (٢٧).

٨ - سورة النازعات : الآية (٢٨).

٩ - ساقطة من (و-ج).

١٠ - سورة النازعات : الآية (٣٠).

قيل: لأن الأول استخبار، وقوله: "وَالْأَرْضُ" ليس بداخل في الاستخبار، لأنه لو كان استخباراً لقال: أم الأرض، لكنه استأنفه، فأضمر له فعلاً نحو: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ﴾^(١)، وذلك الفعل ما دل عليه (أنتم أشد) من التعرف، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٢)، فالاستواء وإن كان في الأصل للإقبال الدال على الانتقال، فقد يراد به التوفر على إصلاح الشيء، وهو المراد ههنا، وعلى ذلك الاتيان في نحو قوله: ﴿فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾^(٣)، ويكون اللفظ متجوزاً [به]^(٤) ههنا، قال بعضهم: معناه: استولى، وقال الحسن: أقبل على خلقه، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- استوى أمره عليه، وقيل معنى: (سَوَّاهُنَّ) أي تحري السواء، أي العدالة وذلك لما جعل فيها من التركيب المتعادل المشار إليه يقول النبي ﷺ: «بِالْعَدْلِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ»^(٥)، إن قيل: لم ذكر السماء ثم قال: (فَسَوَّاهُنَّ)؟ قيل: لما عني بالسماء السموات رد الضمير إلى المعنى، ومجاز ذلك أن الأسماء على ضربين: اسمٌ موضوع لأجزاء الرجل والمرأة متشابهة، نحو: الدم، واللحم، والماء، والأرض، واسمٌ موضوع لأجزاء غير متشابهة، نحو: اليد، والرجل، فما كان من الأول، فإنه يقع على بعضه اسم كله، فلا فرق بين أن يذكر بلفظ الواحد، أو بلفظ الجمع. والسماء من هذا الباب، لأنه يقال لأقطاع اللحم لحم، ولكل قطعة منها منفصلة كانت أو متصلة لحم كذلك السماء، والله أعلم.

١- سورة الإنسان : الآية (٣١).

٢- سورة فصلت : الآية (١١).

٣- سورة الحشر : الآية (٢).

٤- ساقطة من (و - ج).

٥- أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: افتتح رسول الله خبير، واشترط أن له الأرض وكل صفراء وبيضاء، قال أهل خبير. نحن أعلم بالأرض منكم، فأعطناها على أن لكم نصف الثمرة، ولنا نصف، فزعم أنه أعطاهم على ذلك، فلما كان حين يصرم النخل بعد إليهم عبدالله بن رواحة، فحرز عليهم النخل - وهو الذي يسميه أهل المدينة الخرص - فقال: في ذه كذا وكذا، قالوا: أكثرت علينا يا ابن رواحة، فقال: فأنا إلى حرز النخل وأعطيك نصف الذي قلت. قالوا: هذا الحق، وبه تقوم السماء والأرض، قد رضيتم أن نأخذ به الذي قلت. سنن أبي داود - رقم (٣٤١٠) باب في المخابرة.

قوله - عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الآية (٣٠) - سورة البقرة.

إذ: يتعلق بمضمر في موضع المفعول به، لأن تقديره: اذكر^(١) لا أذكر فيه، وقول أبي عبيد: إن "إذ" في مثل هذه المواضع زائدة، فإنه تقصير^(٢) منه في النظر، والملك^(٣) أصله "ملك" مقلوباً عن مالك، والالوك: الرسالة المحفوظة في الفم من "ألك الفرس اللجام"، إذا لأكه، وروى أن الملائكة على أضرب خواص يتميزون تمييزاً مبايناً في الفضيلة، منهم وأدون^(٤) ألو، أجنحة، وجماعة يقال لهم الجن، وهم أقرب إلى الناس، وقد يقال للصالح من الناس "ملك" على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾^(٥).

وقال الشاعر:

فَلَسْتُ لَا نَسِيٌّ وَلَكِنْ لِمَلَكٍ^(٦)

والخليفة والخلف يتقاربان من قولك: خلف فلان فلاناً إذا قام مقامه، والخلف والسلف يتناقضان كخلف وقدام، فإن قيل: ما وجه استخلاف الله تعالى، والخلافة إنما تكون للنيابة عن الغير؟ إما لغيبته أو موته أو عجزه، وذلك لا يجوز على الله تعالى قيل: بل قد يكون على غير ذلك، وهو أن يستخلف المستخلف غيره امتحاناً للمستخلف، أو تهذيباً له، أو يستخلفه لقصور المستخلف عليه عن قبول^(٧) التأثير من المستخلف لا لعجز المستخلف وذلك ظاهر في الأشياء المهينة^(٨) والطبيعية، فإن السلطان

١ - في (أ - ص) أذكره.

٢ - في (و - ح) ليقصر وهو تصحيف.

٣ - في (١ - ص) والملائكة.

٤ - في (١ - ص) أولى.

٥ - سورة يوسف: الآية (٣١).

٦ - هذا شطر بيت العلقمة بن عبدة في البيت هو: فلست لأنسي ولكن لملك وهو منسوب لعلقمة في ملحق ديوانه ص ١١٨، ونسبته في اللسان إلى رجل من عبد القيس، وهو في المفضلات ص ٣٩٤، وكتاب سيبويه ج: ٢ - ص ٢٩٧، وأما ابن الشبيري ج: ٢ - ص ٢٠، وجمهرة أنساب العرب ج: ٣ - ص ١٧٠، وتفسير الطبري ج: ١ - ص ١١٣، وإملاء العكبري ج: ١ - ص ٢٨، والملك واحد الملائكة ويصوب: ينزل، والبيت هو الثاني والثلاثون من القصيدة الأولى في ديوان علقمة، وقد قالها يمدح الحارث بن جبلة الغساني. وعلق السيد أحمد صقر محقق الديوان أن البيت يُنسب لغير علقمة، والصحيح أنه له. انظر: هامش الديوان - ص ١٦ ورواية البيت في الديوان: فَلَسْتُ بِأَنْسِيٍّ وَلَكِنْ مَلَكًا تَنْزَلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ.

وقد ساقه هنا في هذا الباب يراد به التعظيم لشأنه إذ شبهه بالملك.

٧ - في (و - ج) أن يقبل.

٨ - في (١ - ص) المهينة.

جعل الوزير بينه وبين رعيته، إذ هم يقبلون من الواعظ ماله قرباً إلى قبولهم منه، وكذا الواعظ جعل بين العامة والحكماء، فإن العامة لا يقبلونه من الحكيم، وليس ذلك لعجز الحكيم، بل لعجز العامة عن القبول منه، وعلى هذا اللحم والعظم لما تباعد^(١) ما بينهما عجز العظم عن قبول الغذاء من اللحم، فجعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضاريف التي بينهما، ولها مناسبة إليهما لتأخذ ذلك من اللحم وتعطيه^(٢) العظم، وكذلك جعل تعالى الرسل بين الملك الذي هو من قبله تعالى وبين العباد لفضل قوة إعطاهم ليأخذوا منه الحكمة ويوصلوها إلى الناس، وبهذا الوجه قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾^(٣)، والخليفة يقال للواحد والجمع، وهاهنا [هو]^(٤) جمع، فإن الخليفة لم يرد به آدم عليه السلام فقط، بل أريد هو وصالحو أولاده، فهم خلفاؤه وحزبه لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾^(٥)، وأنصاره لقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾^(٦)، وعباده لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٧)، وعماره في الأرض لقوله: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٨)، والمقصود واحد بهذه العبارات وإن اختلفت بحسب الاعتبار، وقيل سماهم خليفة لكونهم بعد جَانُ سَكَنُوا الأرض، فإن كل من تولى^(٩) شيئاً بعد آخر يقال له هو خليفة، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾^(١١)، وأما السفك، والسبك، والسفح، والسن، والشن، والصب، فمتقاربة، وبينهما فروق، فالصب: أعم هذه الألفاظ، والسفك: يقال في الدم والدمع، والسبك يقال للجواهر المذابة، والسفح: في الصب من أعلى، كسفح الجبل، وعنه استعير السفاح، والشن للصب عن القرية ونحوها، والسن يقاربه، لكن استعير السن في إمالة الحديد، وعنه بني المس، والشن

١ - في (و - ج) تباعدتا.

٢ - في (أ - ص) ويعطيه.

٣ - سورة الأنعام: الآية (٩)

٤ - هو زيادة في (أ - ص).

٥ - سورة المجادلة: الآية (٢٢).

٦ - سورة الحديد: الآية (٢٥).

٧ - سورة الذاريات: الآية (٥٦).

٨ - سورة هود: الآية (٦١).

٩ - في (أ - ص) يولي

١٠ - سورة الأعراف: الآية (٦٩).

١١ - سورة الأعراف: الآية (٧٤).

للصَّب عن القربة ونحوها، والسن يقاربه، لكن استعير السن في إماهة الحديد، وعنه بني المس والشن استعمل في الغارة، وفي لبس الدرع، وذلك لتشبيه الدرع بالماء، وأجزاء الكتيبة بأجزاء السيل، وأما التسبيح فأصله السبح أي سرعة الذهاب في الماء، واستعير لمر النجوم في الفلك، ولجري الفرس، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾^(١) أي: سعة ذهاب. وسبحته عن كذا: أي نزهته، وتسبيح الله: تنزيهه بالقول والحكم، وتُسبحان مصدر، ككفران، وجعل السبحة للتسبيح، وسمى الصلاة بها لكونها تسبيحاً، والحرزات: سُمي سبحة، ومعنى: (نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ) أي: نسبحك والحمد لك، أو نسبحك بأن نحمدك، والتقدّيس: التطهير، وقوله: (نقدس لك) قيل: معناه نطهر أنفسنا لك - إشارة إلى نحو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢)، وليس ذلك إظهاراً للمنة، بل هو على حسب ما نقول مجتهدٌ محبٌ أن يفوض صاحبه إليه خدمة ما، فيقول: أَسْتَغْنِيُ بغيري وأنا مجتهد^(٣) في خدمتك؟، وعلى ذلك قولهم: ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّالُونَ وَأَنَا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾^(٤)، وليس قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ على سبيل الاستشارة، فالاستشارة استمداد علم من المستشار، والله تعالى منزّه عن ذلك، وإنما ذلك إعلام^(٥)، كإعلامه إيانا كثيراً من الكائنات لمصلحتها، إن قيل: فمن أين حكمت الملائكة على الإنسان بالإفساد في الأرض وسفك الدماء، وذلك إما ادّعاء علم الغيب أو الحكم بالظن والتخمين، وهم مُنْزَهُونَ عن ذلك؟ قيل: قد قيل إنهم قاسوهم^(٦) على من كان يسكن الأرض قبل من الجان، فأفسدوا فيها، وقيل: وهو أصح أن الله تعالى كان قد أخبرهم بذلك، لكن لم يقص^(٧) علينا فيما حكى عنهم تنبيهاً عليه بما ذكر في الجواب، وذلك عادة القرآن في كثير من الأقايص المذكورة، كقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَارِيهِ فَأَرْسَلْنَا يُوسُفَ أَيْهَا الصِّدِّيقِ أَفْتِنَا﴾^(٨)، وقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ ليس بإنكار، إنما هو استخبارٌ مُجَرَّدٌ لِيَعْرِفَهُمْ مَا تَسْكُنُ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهِ، وَيُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا يُزِيلُ شَبْهَتَهُمْ، وليسألوا عن ذلك، ألا وقد أذن لهم في السؤال

١- سورة المزمل: الآية (٧).

٢- سورة البقرة: الآية (٢٢٢).

٣- في (١ - ص) مجد.

٤- سورة الصافات: الآيتان (١٦٥)، (١٦٦).

٥- في (أ - ص) هو.

٦- في (و - ج) قاسون وهو تصحيف.

٧- في (و - ح) نقص وهو تصحيف.

٨- سورة يوسف: الآية (٤٥)، (٤٦).

أما جملةً وتفصيلاً، إن قيل: كيف أدخل^(١) عليهم الشبهة حتى سألوا عن ذلك واستنكروه؟ قيل: إن الله تعالى لما خلق الإنسان جسمانياً وروحانياً وجعله مركباً من قوى ثلاث، قوة شهوية، وقوة غضبية، وقوة ملكية، فبقوته الشهوية يفسد^(٢) في الأرض، وبقوته الغضبية يسفك الدماء متى لم تكونا مهذبتين، ويتولى خلافة الله تعالى ببقوته الملكية التي هي العقل، وعلى ذلك دل النبي - عليه السلام - بقوله: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ، قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَادْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ، بِكَ أَخَذْتُ، وَبِكَ أَصْلِي»^(٣)، فلما سمعت^(٤) الملائكة أن الإنسان مركب من هذا التركيب، ورأوا القوة التي بها تصلح لخلافته، القوة التي خُصوا بها، ونظروا إلى رذيلة القوتين الآخرين ولم يعرفوا فضيلتهما، استنكروا، فراجعوا الله تعالى وقالوا: أما العبادة التي هي التسبيح والتقديس المختصة بالقوة الملكية، فنحن نقيمها،^(٥) فما معنى الإنسان المركب تركيباً لا ينفك^(٦) من فساد وقتل؟ فقال تعالى في جوابهم: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٧)، فعرض ولم يصرح هاهنا، ليريهم فضيلة الإنسان وما خُصوا به من العلم والعمل اللذين يفضلان^(٨) الملكَ عنهما عياناً ومشاهدةً، والإجمال في هذه الآية بقوله: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» هو المبيِّن بما بعده من الآية التي [تليها]^(٩)..

١ - في (و - ج) دخل.

٢ - في (و - ج) تفصيل في الأرض وهو تحريف.

٣ - قال العجلوني: قال فيه الصفاني وابن تيمية وغيرهما إنه موضوع باتفاق. (كشف الخفاء - ج: ١ - ص ٢٣٦، ٢٣٣).

وقال العراقي: روي من حديث أبي أمامة وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة، فأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في كتاب فضائل الأعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشي... بسنده، وعمر بن أبي صالح ذكره العقيلي في الضعفاء وأورد له هذا الحديث، وقال الذهبي في الميزان لا يعرف، وقال: ثم إن الراوي عنه من المنكرات، قال: والخبر باطل.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث سفيان ومنصور والزهري لا أعلم له راوياً عن الحميدي إلا سهلاً وأراه واهياً.

تخريج أحاديث العراقي ج: ص

وعلق الدكتور/ عبد المجيد النجار على الحديث بقوله: "ولا يبعد أن تكون مثل هذه الأفكار متسربة من الثقافة الفلسفية اليونانية فيما عُرف فيها من أن الله (العقل الأول) فاضت منه عقول عشرة مترتبة في الشرف، ثم من العقل العاشر وجدت المادة المحسوسة تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين - للراغب الأصفهاني - تقديم وتحقيق: الدكتور/ عبد الجيد النجار - طبعة: دار الغرب الإسلامي -

٤ - في (و - ج ، ١ - ص) سمع وهو تصحيف.

٥ - في (و - ج) نقيمها وهو تصحيف.

٦ - في (و - ج) ألا ينفك.

٧ - في (و - ج) يقصر.

٨ - ساقطة من (و - ج).

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾.

الآيات: (٣١، ٣٢، ٣٣) سورة البقرة.

الإنباء: إخبار فيه إعلام، وهو متضمن لهما، ولذلك كل إنباء أخبار، وليس كل إخبار إنباء، وكل نبي علماء، وليس كل علم نبياً،^(١) ولكونه متضمناً لهما، ومشتقلاً عليهما، أجري مجرى كل واحد منهما، فقل إنبيائه بكذا، كقولك أخبرته وأنبيائه كذا، كقولك أعلمته كذا، ولا يقال: "نبياً" إلا لكل خبر يقتضي العلم كالماتر، وخبر الله تعالى، وخبر الأنبياء [عليهم السلام]^(٢) وما جرى مجراها، وسمى النبي لكونه منبئاً بما تسكن نفسه إليه، ومنبئاً بما سكن المؤمنون إليه، فهو أصح من أن يكون فعلاً بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول، أما بمعنى الفاعل، فلقوله: ﴿لَبِئْسَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿أَوْتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْعِلْمَ﴾^(٤)، وأما بمعنى المفعول فلقوله: ﴿تَبَايَأَ الْعُلَمَاءُ الْخَبِيرُ﴾^(٥)، وشرح هذه الآية لابد أن يبين فيه كيف كان تعليم الله آدم الأسماء، وهل فيه دلالة على أن اللغات توقيف^(٦)، أو أوائلها اصطلاح؟ وأنه هل علمه الأسماء دون المعاني؟ أو علمه إياها جميعاً؟ وما في ذلك مما تنبه الملائكة على خطئهم فيما توهموه وقالوه حتى رجعوا عن دعواهم واعتقادهم وأذعنوا للاستسلام؟ فنقول^(٧) وبالله التوفيق: إن الناس اختلفوا في اللغات، فذهب بعض المتكلمين إلى أن أوائلها اصطلاح، والباقي يصح أن يكون توقيفاً، واستدل على ذلك بأنه لا سبيل إلى معرفة مراد الله تعالى إلا بالخطاب، ولا يصح أن يكون العلم بمراده ضرورة والعلم بذاته مكتسباً، لأن ذلك مؤد إلى أن تعلمه ضرورة أن العلم بمراده فرع على العلم بذاته فلا يصح أن يكون العلم الخفي ضرورياً والجلي

١ - في (و - ج) وليس كل نبي عالماً.

٢ - ساقطه من (و - ج) .

٣ - سورة الحجر : الآية (٤٩).

٤ - سورة آل عمران - الآية (١٥).

٥ - سورة التحريم : الآية (٢).

٦ - في (أ - ص) (توقيفي).

٧ - في (و - ج) فيقول ، وهو تصحيف.

مكتسباً، وذلك فاسدٌ، هذا ما قاله، والصحيح- إن شاء الله- ما ذهب إليه الجمهور إنه توقيف^(١)، وقيل: الدلالة على المسألة إن تعليم الله عباده على أى وجه يكون، فذلك^(٢) يسهل الكلام في المسألة، والقول في ذلك- إن شاء الله تعالى- قد أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾^(٣)، فذكر أن مكالمته للبشر على أحد هذه الوجوه الثلاثة، وأشرفها ما كان بإرسال رسول يرى ذاته، ويسمع كلامه^(٤) كحال النبي ﷺ مع جبرائيل - عليه السلام-، والثاني: ما كان بإلقاء الكلام في السمع من غير رؤية، كحال موسى- عليه السلام- في ابتداء أمره، والثالث: ما كان بوحى، والوحى - ههنا- مخصوصٌ بالإلقاء في الروح، والإلهام-، والتسخير، والمنامات فتعليم الله تعالى آدم [عليه السلام]^(٥) الأسماء على أحد هذه الوجوه، ومحال أن يكون الاصطلاح على الألفاظ متقدماً على التعليم، فإن الاصطلاح لا بد له^(٦) من كلام يتواطؤون عليه، وذلك يؤدي إلى أن لا يكون اصطلاحٌ ولا لغة، فإن قيل: فما ينكر أن يتواضعوا بإشارات وتصويت، فإن الأخرس يقدر على ذلك، وله مخارج الحروف، لأننا نجد الذين لا يتكلمون يفهمون، ويفهمون ولا لغة لهم! قيل: الإشارات يفهم عنها بالاستدلال كسائر الاستدلالات التي لو توهمنا الكلام مرتفعاً لصح حصوله، وليس للأخرس إلا الاستدلال فقط، ولا قدرة له على الألفاظ يؤلفها، وإنما صوته كصوت الطفل الذي لم يتلقن الألفاظ، واللغة إنما تكون^(٧) لسغة بحصول تركيب المفردات الثلاث ولو كان إلى ذلك سبيلٌ من غير تعليم، لكان من شرط البكم أن يتواضعوا فيما بينهم كلاماً، لأن آفة البكم من السمع، وإنما عجز عن الكلام لعجزه عن التلقن بالسمع، فثبت أن ابتداء تعليم الكلام لا يكون إلا من معلم، وذلك قد كان من الله تعالى لآدم بأحد هذه الوجوه المتقدمة، إن قيل: كيف علمه الأسامي^(٨) كلها وقد علمنا أنه مامن زمن إلا وبنوه يضعون

١ - في (١ - ص) توقيفي.

٢ - في (١ - ص) فإنه.

٣ - سورة الشورى - الآية (٥١).

٤ - في (١ - ص) خطابه.

٥ - زيادة في (١ - ص).

٦ - في (١ - ص) فيه.

٧ - في (١ - ص) يكون وهو تصحيف.

٨ - في (١ - ص) الأسماء.

أسمامي لمعاني وأعيان إما مخترعة وإما منقولاً إليها عن غيرها؟ قيل: قد قال بعض الناس: "إن كل تلك بجزئياتها علّمها الله تعالى آدم - عليه السلام - وإن ظهر في بعض الأزمنة من بعض أهلها^(١) والصحيح: أن العلم في الحقيقة يتعلق بمعرفة الأصول المشتمة على الفروع، والمعاني الكلية المنطوية على الأجزاء كمعرفة جوهر الإنسان والفرس والقوانين التي يعرف بها حقيقة الشيء، مثل أصول الضرب في الحساب، وأحوال الأبعاد والمقادير في الهندسة، والأصول المبني عليها المسائل الكثيرة في الفقه والكلام والنحو. فأما معرفة الجزئيات متعريّة عن الأصول، فليس بعلم، ولا يقال للعارف بها عالمٌ على الإطلاق، وإنما هو^(٢) في معرفتها محاك^(٣) محاكاة الببغاء للألفاظ. وإذا كان كذلك، فتعليم الله تعالى آدم الأسماء كلها إعلامه القوانين والأصول المشتمة على الجزئيات والفروع. وقد علم أن تعليم الكليات أعظم في الأعجوبة وأشبه بالأمور الإلهية؛ من تعليمنا الصبي الحرف بعد الحرف، وقوله: (الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أراد بها الألفاظ والمعاني ومفرداتها، ومركباتها، وحقائقها، وذوات الأشياء في أنفسها، وبيان ذلك أن الاسم يُستعمل على ضربين: أحدهما بحسب الوضع الاصطلاحي، وذلك هو المُخْبِرُ عنه، نحو: "رَجُلٌ وَفَرَسٌ"، والثاني: بحسب الوضع الأول، وذلك يقال للأنواع الثلاثة^(٤) التي هي المخبر عنه، والخبر والرابط بينهما، وهي المعبر عنها بالاسم، والفعل والحرف، وهذا هو المراد ههنا، فإنه - تعالى - لم يرد بقوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ تعليمه رجلاً وفرساً دون ذهب، وخرَج، ومن، وعن، ولا يعرف الإنسان الاسم^(٥) فيكون عارفاً بمسماه إذا عُرِضَ عليه إلا أن يعرف المُسَمَّى، ألا ترى أنا لو علمناه أسمامي [باليهندية]^(٦) أو بلغة مجهولة، ولم يعرف صورة ماله تلك الأسماء لم يكن عارفاً بها^(٧) إذا شاهدناها وكنا عارفين^(٨) بأصوات مجردة، فثبت أن معرفة الاسم لا تحصل إلا بمعرفة المسمى في نفسه وحصول صورته في الضمير، ثم المعلومات قد تكون جواهر وأعراضاً من

١ - في (١ - ص) أهلها وهو الصحيح.

٢ - في (١ - ص) هي.

٣ - في (١ - ص) محاكي.

٤ - في (١ - ص) الثلاث.

٥ - في (و - ج) للاسم.

٦ - ناقصة من (و - ج).

٧ - في (١ - ص) لم نعرفها.

٨ - في (١ - ص) عالين.

كمياتٍ وكيفياتٍ، وإضافاتٍ وسائر ذلك من الأعراض، ويجعل للشيء الواحد أسامي بحسب هذه النظرات، فلا بد أن يكون الإنسان عارفاً بهذه المعاني مجتمعةً ومفترقةً حتى يكون عارفاً بالأسماء التي يجعل [ذلك] ^(١) لها بحسبها، مثال ذلك: أنه يقال للشخص الواحد "فلان" - اعتباراً بلقبه، و"رجل" اعتباراً بالآلة المولدة، [و"ابن" اعتباراً بوالده، و"أب" اعتباراً بولده] ^(٢)، و"أخ" اعتباراً بمن ضمه وإياه نسب، وقرشي وأصبهاني ^(٣) اعتباراً بقبيلته وبلده إلى غير ذلك من الأسماء [التي يكثر تعدادها، فإذا حقيقة قوله: ^(٤) ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ متضمنة ^(٥) لما ذكرناه، فإن قيل: فأني شئ في تعليم آدم الأسماء من تنبيه الملائكة على ما سئلوا ^(٦) عنه؟ قيل: إن الله تعالى لما خلق الإنسان من أمشاجٍ مختلفة وقوى متفاوتة ^(٧) وجعله جسمانياً روحانياً، وحصل له بحسب القوى المختلفة معارفٌ مختلفة وأفعال ^(٨) متفاوتة، فإن له بحسب الحواس الخمس معارفاً خمساً، وبحسب العقل معارفَ معقولة، وبحسب الوهم والخيال معارفَ موهومةً متخيلةً، وحصل له بحسب التراكيب البدنية وبسائطها أفعال متباينة ومهنٌ متفاوتة كالتجارة، والصياغة، وسائر الصناعات. وجلُّ ذلك معدومٌ في الملك لعدم كثافة الجسم المركَّب من الأمشاج، ولاستغنائها عن ذلك، فبين الله تعالى بتعليمه آدم - عليه السلام - هذه الأسماء كلها والمعاني وعرضها على الملائكة، وأنبا آدم - عليه السلام - بها وبحقائقها. ومعرفة تعاطي الصناعات المختصة بالإنسان عجز الملائكة، وأن الإنسان مستصلحٌ لعلوم وأعمال ^(٩) ليس للملك سبيل إليها [بوجه] ^(١٠) فإن المحسوس لا يدركه محسوساً إلا ذو الحاسة، والمهن لا يتعاطاها إلا من رُكِّب تركيب الإنسان من القوى المتفاوتة التي منها القوتان اللتان كانوا يرونهما مفسدتين، أعني القوة

١ - زيادة في (أ - ص).

٢ - زيادة في (أ - ص).

٣ - في (أ - ص) وقرشي ومكي.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (و - ج) كما.

٦ - في (أ - ص) سألوا.

٧ - في (أ - ص) متباينة.

٨ - في (أ - ص) وأحوال.

٩ - في (و - ج) وأعلام وهو تصحيف.

١٠ - زيادة في (أ - ص).

الشهوية والقوة والغضبية،^(١) ونبههم أن ذلك وإن كان فيه مفسدة ما، ففيها مصالح كثيرة، وأن الخلافة التي رُشِّحَ لها الإنسان في الأرض لا يصلح لها إلا هذا التركيب، فحينئذ قال لهم: (ألم أقل لكم إنني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبون وما كنتم تكتمون).

إن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهل كان لهم في ذلك التشكُّك حتى احتاجوا^(٢) إلى أن يُقالَ لهم ذلك؟ قيل له: ليس مخرجُ هذا الكلام على الوجه الذي توهَّمته، بل هو تنبيهٌ لهم بما عملوه مُجْمَلًا على ما اشتبه عليهم مُفَصَّلًا، وتقدير ذلك^(٣): كأنه قيل: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وَمَنْ عَلِمَ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ مَا تُبْنُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ.

وَمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ عَلِمَ مَا لَا تَعْلَمُونَ. إن قيل: فما [تلك]^(٤) الفضائل التي اختص^(٥) الإنسان بها واستصلح لها ممالك يكن للملائكة؟ قيل له: إن ذلك هو تعاطي العفة التي هي مختصة^(٦) بالقوة الشهوية، والنجدة المختصة بالقوة الغضبية، والإنصاف في المعاملات، وسياسة الإنسان نفسه، ومجاهدة هواه وسياسة ذويه وأبناء جنسه، فإن كل ذلك فضائل ليست إلا للإنسان المختص بقوته الشهوية والغضبية، فأما أَلَمَلُكَ المعرَّى عن مقاساتٍ عارية "بطنه وفرجه"، فليس بمحتاجٍ إلى سياسة البدن^(٧) وسياسة أبناء جنسه في مراعاة ذلك منهم، [وهذا ظاهر]^(٨) إن قيل: في وجه قوله: (أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ)، وذلك تكليفٌ لهم ما لا تعلمون وتكليفٌ إيراد ما لا يعلم تكليف ما لا يُطاق، وما وجه قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. والصدق إنما يتعلق بالخبر، وهم إنما استُخْبِرُوا ولم يُخْبَرُوا، فكيف يصح أن يصدقوا أو يكذبوا^(٩)؟ قيل: أما قوله: ﴿أُنَبِّئُونِي﴾، فليس بتكليف، وإنما هو تنبيهٌ على عجزهم عن الخلافة التي رُشِّحَ الإنسان لها، وقد عَلِمَ أن لفظة "افعل" تجيء على أوجه، منها: التبكيت، والتعجيز، وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فالصدق وإن كان لا يدخل الاستخبار والأمر والنهي بالقصد

١ - في (١ - ص) الشهوية والغضبية.

٢ - في (و - ج) حتى إذا احتاجوا. وما في (١ - ص) الأصح.

٣ - في (١ - ص) وتقديره.

٤ - ساقطة من (١ - ص).

٥ - في (١ - ص) خص.

٦ - في (١ - ص) المختصة.

٧ - في (١ - ص) سياسة نفسه.

٨ - ساقطة من (١ - ص).

٩ - في (- ص) فكيف يصدقون أو يكذبون.

الأول، ومن حيث مقتضى اللفظ، فإنه قد^(١) يدخلها بالقصد الثاني، ومن حيث المعاني فإن السائل إذا قال مستفهماً: أزيد في الدار؟ أو قال: أعطني شيئاً^(٢)، فكأنه بالأول يذبه على جهله بكون زيد في الدار، وبالثاني على حاجة وإفتقار، فمن هذا الوجه صح^(٣) أن يقال: هو صادق أو كاذب، على أن هذا حكم على قولهم: (من يفسد فيها ويسفك الدماء)، فإنهم استفهموا بقولهم: ﴿أَلْجَعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، ويصح أن يكون ذلك راجعاً إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ - تنبيهاً لهم على أنه ليس كل تسبيح وتقدس بما يقولونه، بل من التسبيحات والتقدسات ما يصلح له غيركم، وهو ما تقدم ذكره. إن قيل: ما وجه قوله: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ وهو عالم بما علمهم وعالم بأن لا علم لهم إلا ما علمهم؟ قيل: القصد بذلك إظهار أن ليس سؤالهم^(٤) على وجه الاعتراض، بل على سبيل الاستفادة وإظهار العجز، وأنه قد بدا لهم ما كان خفي عليهم من فضيلة الإنسان وإظهار الشكر لنعمته وتعظيم منته بما عرفهم، وفيه تنبيه على استعمال [حسن]^(٥) الأدب عند سؤال المعلم بتفويض العلم إليه وتنبيه على أعظم التواضع، فقد قيل لبعض الحكماء: ما أعظم التواضع؟ فقال: الاعتراف بالجهل للعالم، وفيه تنبيه على العلم بما جهلوه، وذلك إحدى فضيلتي الإنسان، وقال بعض المحققين^(٦): الافتخار مدرجة للسقوط، انظر كيف اضطرَّ الله الملائكة لما قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ إلى أن اعترفوا بعدم العلم، فمن استكثر لله طاعةً واستكبر له خدمة^(٧) فالجهل موطنه، واستدل بعضهم بهذه الآية على أن العلم أفضل من العبادة، فإن الملائكة أذعنوا لآدم [عليه السلام]^(٨) لِمَا أُفِيدَ مِنَ الْعِلْمِ. وَالْحَكِيمُ أَصْلُهُ لِمَنْ لَهُ الْفِعْلُ الْحَكْمُ، لكن لما لم يصح حصول الفعل المحكم إلا بالعلم [المتقن]^(٩) صارت الحكمة متناولة للعلم والعمل معاً، فالحكمة منتهى العلم، والعلم مبدأ الحكمة، ولا يتم أحدهما إلا بالآخر، فلهذا جَمَعَ بينهما، وقَدَّمَ الْعِلْمَ [هاهنا]^(١٠) على "الحكيم"، فقال: (إنك أنت العليم الحكيم).

١ - في (١ - ص) فقد يدخلها.

٢ - في (١ - ص) أعطني كذا.

٣ - في (١ - ص) يصح.

٤ - في (و - ج) سؤالنا وهو تصحيف.

٥ - ساقطة من (١ - ص).

٦ - في (١ - ص) وقال بعضهم.

٧ - في (١ - ص) عبادة وهي الأوقع في النفس.

٨ - ساقطة من (١ - ص).

٩ - ساقطة من (و - ج).

١٠ - ساقطة من (و - ج).

قوله (عز وجل) :
﴿وَأَذِّنْ لِّلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾
الآية: (٣٤) سورة البقرة.

الخضوع والخشوع والخنوع والسجود والركوع تتقارب، وبينهما فروق، فالخضوع ضراعة بالقلب، والخشوع بالجوارح، ولذلك قيل: "إذا تواضع القلب خشعت الجوارح"، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾^(٢)، والخشوع ضراعة لمن دونه رغبة في عَرْض^(٣) في يده، وكذلك^(٤) أكثر ما يجيء في الذم، والركوع تذلل مع التطاطؤ. والسجود مع خفض الرأس. وسجود الملائكة إن أُريدَ به المتعارف في الشرع^(٥)، فليس بعبادة لآدم- [عليه السلام]^(٦)، فعبادة غير الله تعالى لا تجوز بوجه، وإن كان على حسب المتعارف للخدمة، فقد قيل: إن ذلك كان مباحاً قبل شرعنا، وعلى ذلك ما روي^(٧) في قصة يوسف- عليه السلام- ﴿وَعَسَوْا لَهُ سُجْدًا﴾^(٨)، وقد قيل: أريد به التذلل كقوله تعالى: ﴿يَسْجُدْ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٩).
وقول الشاعر:

تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ^(١٠) سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(١١)

وإبليس : لفظه أعجمية، فلا يصح أن تكون مشتقة من العربية.

٢ - سورة طه : الآية (١٠٨).

١ - سورة المؤمنون : الآية (٢).

٤ - في (١ - ص) ولذلك وهو الاصح.

٣ - في (١ - ص) طمعاً لعرض.

٦ - ساقطة من (و - ج) .

٥ - في (١ - ص) بالشرع.

٧ - في (١ - ص) ما قيل.

٨ - سورة يوسف : الآية (١٠٠).

٩ - سورة الحج : الآية (١٨).

١٠ - في (و - ج) منه، وهو تصحيف.

١١ - البيت لزيد الخيل، وأوله : بجمع تخيل البلق في حُجراته تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ.

وهو من قصيدة قالها في وقعة بين طي وبنى عامر يذكر فرار فارسيتهم عامر بن الطفيل وعلقمة بن رعلانة ومطلعها :-

بني عامر هل تعرفون إذا غدا أبو مكثف قد شد عقد الدواير

وزيد الخيل كان أحد شعراء الجاهلية، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم- سنة تسع من الهجرة، فمساها زيد الخير، توفي في خلافة عمر بن الخطاب. شعر زيد الخيل الطائي، جمع ودراسة وتحقيق : د/ أحمد مختار البزرة - ط : دار المأمون للتراث - دمشق والبيت في الكامل - ج: ١- ص ٢٣، والحماسة البصرية - ج: ١- ص ٦٢، وتفسير الطبري - ج: ١- ص ٢٨٩- تحقيق: محمود شاكر- ط: دار المعارف.

وقول ابن عباس - رضي الله عنهما - "إبليس أبلس من رحمة الله، فقصدته إلى ذكر الحكم لا إلى معنى اللفظ، ويصح أن يجعل^(١) "إبليس" مشتقاً منه بعد الانتقال إلى العربية، وعلى ذلك كثير من الأعلام أعجمياً كان أو عربياً يتصورون منه معنى ما، فيعتبرونه، ويشتقون منه نحو قولهم: "تَفَرَّعَ فُلَانٌ" إذا فَعَلَ فِعْلَ فرعون في العُتُو^(٢) وَتَشَيَّطَ إِذَا فَعَلَ فِعْلَ الشيطان، وتمرد: فعل فعل المردة، فعلى هذا تصوروا من إبليس يأسه من رحمة الله، فاشتقوا منه، فقالوا "أبلس فلان" أي: "أجري مجرى إبليس" في يأسه من الرحمة وإبعاده من الخير، وقوله: ﴿إِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^(٣) أي: يائسون من الخير يأس إبليس منه. وأيضاً قد تتطابق لغة العرب والعجم في لفظة نحو: "أَيُّوبَ وَاسْحَقَ"، فإنهما قد يكونان فيعولاً^(٤)، وإفعالاً من "أب وسحق"^(٥)، ويكونان أعجميين، وأدم - عليه السلام - قيل: سمي بذلك لكونه مخلوقاً من أديم الأرض على ما روى أن الله تعالى قبض قبضة من جميع الأرض - سهلها وجبلها، فخلق منها آدم - عليه السلام - فلذلك يأتي بنوه أخفافاً^(٦)، وقال قطرب: "لا يَكُونُ من أديم الأرض، لأنه لو كان كذلك، لانصرف نحو: "طايَع، وخَاتَمَ"، وطابق^(٧) وليس كما قال، فإن "آدم" أفعل منه، وأصله: أأدم، فقُلِبَتِ الهمزة أُلْفَاءً، وقيل: هو أفعل من الأدمة: أي اختلاط البياض بالسواد، و"أدُمْتُ بين الشيئين"، أي خَلَطْتُ، ومنه: الأدم، وطعامٌ مأدومٌ أي مخلوطٌ، وقال: وسمى بذلك، لأنه خُلِقَ^(٨) من الأركان الأربعة، ومن الأمزجة المتفاوتة والقوى المتباينة، والإباء: الامتناع من الشيء مع

١ - في (١ - ص) يكون.

٢ - في (و - ج) العنق، وهو تصحيف.

٣ - في (١ - ص) الرحمة.

٤ - سورة الأنعام: الآية (٤٤).

٥ - في (و - ج) فعولاً.

٦ - في (و - ج) واسحق.

٧ - الأخياف من الناس: الضروب المختلفة الأخلاق والأشكال. ويقال: الناس أخيف: لا يستترون. وهم أخاف: أهمهم واحدة وآناهم شتى. والخيف: ما انحدر عن غلط الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وهو الناحية، وهو جلد الضرع حين يخلو من اللبن ويسترخي والجمع: أخيف، وخيف. المعجم الوسيط - مادة: خيف.

٨ - ساقطة من (١ - ص).

٩ - ساقطة من (١ - ص).

الإرادة، فكل إباءٍ امتناعٌ، وليس كل امتناع إباءً، قال الله تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُمْ نُورُهُ﴾^(١) وقيل: "أبيت اللعن"^(٢) وهي أبوأ، إذا تسلط عليها داءٌ، فصَارَ^(٣) مانعاً لها من الشراب والتكبر: أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره فضلاً، والاستكبار: طلب ذلك بالشيع والكبر. والته، والبغي، والزهو، والاستطالة، والخيلاء، والصلف تتقارب، وبينها فرقٌ، فالتيه: التحير في معرفة قدر النفس، والبغي: طلب منزلةٍ فوق ما يستحقه، والزهو: سرعة الحكم لنفسه بالفضل، من: "زهاه كذى" إذا استحقه، والاستطالة: إظهار طَوْلٍ، أي فَضْلٍ على الغير. والخيلاء: ظَنُّ بالنفسِ كَذِبٌ، من قولهم: خِلْتُ، والصِّلَفُ: قلة التلفت إلى الغير من قولهم: صَلَفَ^(٤): إذا اشتكى صليفيه، واعتباراً بهذا المعنى قال الشاعر:

إِنْ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَتْ حَوْلَهُ فَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ^(٥)

* واختلف في إبليس هل كان من الملائكة؟ فقال قومٌ: كان منهم، بدلالة استثنائه من الملائكة المأمورين للسجود لأدم، وقال قوم: لم يكن منهم اعتباراً بقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾^(٦)، وروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الملائكة على ثلاثة أضرب على ما تقدم أنفاً، وضربٌ منهم يقال لهم الجن، ومنهم إبليس، ولهم توالدٌ، ولهذا قال: ﴿أَفْتَخِذُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾^(٧)، وقيل: إن الجن كانوا مأمورين مع الملائكة بالسجود له، لكن لم يحتج إلى ذكرهم، فالسلطان إذا أمر أَمَّا ثَلَّ رَعِيَّتِهِ بالخُضُوعِ لإنسانٍ، فمعلومٌ أن أصَاغِرَهُمْ مأمورون بذلك، ألا تَرَى أن

١ - سورة التوبة: الآية (٣٢).

٢ - في (و - ج) العز، وفي (أ - ص) - العين، وهو تصحيف، وفي المعجم الوسيط: أبيت اللعن من تحية الملوك في الجاهلية، ومعناها: أبيت أن تأتي ما تلعن عليه. انظر مادة: أبي.

٣ - في (أ - ص) فصارت مانعة.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - البيت بلا عزو في لسان العرب - مادة: قود - ج: ٤ - ص ٣٧٤، وفي التاج مادة: (قود) - ص ٤٧٨، وهو في التقفية في اللغة لأبي بشر البندنجي ص ٣٣٥ بلا نسية، ويروى لحاتم الطائي في شرح ديوان الحماسة - لأبي تمام - ص ٢٢٣.

* تفردت المخطوطة (أ - ص) بوضع عنوان هذه الفقرة يشير إلى مضمونها وهو (مطلب في الملائكة والجن)، وهو من عمل الناسخ

٦ - سورة الكهف: الآية (٥٠).

٧ - سورة الكهف: الآية (٥٠).

قوله تعالى لموسى ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(١) معلوم أنه لم يبعث، إليه وحده، وبعض الناس اعتبرَ لفظ "كان"، وروى أن إبليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض قبل آدم، وحاربهم الملائكة، وسبوا إبليس، فصار بالحكم من الملائكة، فمولى القوم منهم، وبالنسبة من الجن، فصار يصدق عليه القولان، ويجوز أن يكون عنى أنه كَانَ مِنَ الْجِنِّ فعلاً، ومن الملائكة نوعاً، وباعتبار الفعل قال تعالى: (كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)، إن قيل: كيف يصح أن يكون من الملائكة نوعاً والله قد وصفهم بأنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢)؟ قيل: إن ذلك في وصف خزنة جهنم، وليس كون بعضهم على هذه الصفة مقتضياً أن يكون كلهم كذلك، و(كان من الجن): قيل معناه: صار ههنا، وليس ذلك بشئ، فإن (كان) استعمل (ههنا) على أحد وجهين: إما لاعتبار وقت العصيان بوقت الإخبار، ويكون بالإضافة إليه ماضياً فيجب أن يقال : كَانَ، وإما أنه قال: (كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) - تنبيهاً أن ما تقدم من طاعته غير معتد به، وأن حكمه من قبل حكم الكافرين، فمن شرط الطاعة أن لا تحبط ومن حكم الإيمان أن يمتد وَيَتَّصِلَ، إن قيل: كيف أمر الملائكة بالسجود لآدم ومنزلتهم فوق منزلته بدلالة أن إبليس مناه أن يكون إياهم بقوله: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾^(٣)، ويعيد أن يؤمر الفاضل بالتخضع للمفضول؟ قيل: الخضوع لآدم كان خضوعاً لله تعالى من أجل الائتمار له فيما أمرهم به، وظاهر في العادات أن التذلل لخدام كبير خضوعاً لذلك الكبير، وأيضاً: فإن الإنسان في باب الفضائل التي ذكرناها آنفاً أفضل من الملك وإن كان الملك أفضل منه من وجوه أخرى، والشيطان قد يكون كل واحد منهما أفضل من الآخر من وجه وجه، وإنما المنكران^(٤) بفضل كل واحد منها الآخر من وجه واحد، وفي الآية تنبيه على وجوب الائتمار لمن له الخلق والأمر، ومجانبة عصيانه، وارتكاب التكبر والحسد، وإنها قد يفضيان براكبهما إلى الكفر، كما روى في الخبر: "أن أول ما عُصِيَ بِهِ اللهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الْكِبَرُ وَالْحَسَدُ"^(٥)، وحث على ترك الدخول في سره والاعتراض على حكمه.

١ - سورة طه : الآية (٢٤) ، سورة النازعات : الآية (١٧).

٢ - سورة التحريم : الآية (٦).

٣ - سورة الأعراف : الآية (٢٠).

٤ - فى (١ - ص) منكران.

٥ - أورد القرطبي في تفسيره ما رواه ابن القاسم عن مالك أنه قال: "بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر، حسد إبليس آدم، وشح آدم في أكله من شجرة، وقال قتادة: حسد إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة فقال أنا ناري وهذا الهيني، وكان بدءاً لذنوب الكبر، ثم الحرص، حتى أكل آدم من الشجرة، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه. تفسير القرطبي - ج: ١ - ص ٣٣٩ - ط. دار الفد العربي - سنة ١٩٨٨.

قوله عز وجل :

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية : (٣٥) - سورة البقرة.

قيل: ما الفرقُ بين أن يقال: افعل أنت وقومك كذا وبين أن يقال: افعلوا كذا، قيل: الأول تنبيهٌ أن المقصود هو المخاطب، وغيره تبعٌ له، وأنه لولاه لما كانوا مأمورين بذلك، وعلى نحوه: ﴿قَالَ لِمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾^(١)، وليس كذلك إذا قال: افعلوا، وقال بعضهم: إنما قال: اسكن، فاستعمل السكن تنبيهاً أنه يعرض النقل، عنها^(٢) وأنه لا يجب أن يركن إليها، إن قيل: ما الفرق بين الإرادة والمشئة؟ قيل: الإرادة قد تكون بحسب القوة التسخيرية، والفكرية، والحسية، ولذلك تستعمل في الجماد، نحو: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾^(٣) وفي الحيوان، وفي العقلاء، والمشئة^(٤) لا تكون إلا مع اختيار، ولذلك لا يُقال إلا للعالم والمتفكر^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، فالقصد بالنهاي عن قرب الشيء تأكيدٌ للحظر والمبالغة في النهي، وذاك أن^(٦) القرب من الشيء مقتضى الألفة^(٧)، والألفة داعيةٌ للمحبة، ومحبة الشيء كما قيل: "حُبُّكَ الشيءَ يعمي ويصم، والعمى عن القبيح والصم عن النهي عنهما الموقعان فيه، والسبب الداعي إلى الشر منهي عنه، كما أن السبب الداعي^(٨) إلى الخير مأمورٌ به، وعلى ذلك قال -عليه السلام- : (الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ)^(٩) لما كان النظر داعياً إلى الألفة، والألفة إلى المحبة، وذلك

١ - سورة طه : الآية (٤٩).

٢ - ساقطة من (١ - ص).

٣ - سورة الكهف : الآية (٧٧).

٤ - في (و - ج) والمشبّه ، وهو تحريف.

٥ - في (١ - ص) والمفكر، وهو تصحيف.

٦ - في (١ - ص) وذلك لأن.

٧ - في (أ-ص) الموصّل.

٨ - في (١ - ص) للألفة.

٩- أورد القرطبي وابن كثير الحديث من رواية البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه قال : قال رسول الله -

صلي الله عليه وسلم: (كتب علي ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنين

الاستماع، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين الخطى، والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه). رواه البخاري تعليقا،

ومسلم مسندا من وجه آخر . تفسير القرطبي - ج:٦- ص٤٧٦٣- تفسير ابن كثير - ج:٣- ص٢٨٢.

مقتضى لارتكابه، فصار النظر مبدأ للزنا، وعلى هذا قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَى﴾^(١)، و﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)، ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(٣)، وعلى هذا قال في الزمر: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(٤)، وبهذا النظر قال عليه الصلاة والسلام: «الْحَلَالُ بَيْنُ، وَالْحَرَامُ بَيْنُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُودٌ مُشْتَبِهَةٌ، وَسَاءُ ضَرْبٌ مَثَلًا، إِنْ لِلَّهِ حِمَا، وَإِنْ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، وَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الْحِمَا أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»^(٥)، والشجرة: قيل: كانت الحنطة، وقيل: الكرْم، وقيل: التين، وقوله: (فتكونا): الأظهر: أنه جوابُ النهي،^(٦) وقد قيل: يصح أن يكون عطفاً، لأنك تقول: "لا تحف" ^(٧) وَالِدَكَ فَتَعْصَى رَبَّكَ" كما تقول: فَتَعْصَى رَبَّكَ، والظلم في الحقيقة: الإخلال بما يقتضيه داعياً^(٨) الله: "العقل والشرع"، وهو الخروج عن الحظر ولهذا قيل: هو وضع الشيء في غير موضعه، وقد تقدم أن الظلم ضربان: ظلم النفس، وظلم الغير، وظلم الغير لا ينفك من ظلم النفس، وظلم النفس قد ينفك من ظلم الغير، ولأجل أن الظلم خروج عن الحق، وأن الحق يجري مجرى النقطة من الدائرة، ومجرى القرطاس من الهدف، صار من تعداه يصح أن يقال: "هو ظالم"، وإن كان بين الظالم والظالم بون، وَلِذَلِكَ قَدْ يُطْلَقُ "الظالم" على من ارتكب^(٩) صغيرة، وعلى من ارتكب كبيرة، إن قيل: كيف جاز أن يُنْهَى عن الشجرة ثم يتناولها وقد أنكرتم أن يرتكب الأنبياء^(١٠) الكبائر؟ قيل: قد أجيب عن ذلك بأن آدم [عليه السلام]^(١١) أُشِيرَ له إلى شجرة، فقيل له: "لَا تَقْرَبَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ"، وأريد به الجنس لا العين نحو ما روي أن النبي - عليه

١ - سورة الإسراء: الآية (٣٢).

٢ - سورة الإسراء: الآية (٣٤).

٣ - سورة النساء: الآية (٤٣).

٤ - سورة المائدة: الآية (٩٠).

٥ - الحديث يروى عن النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول: "الْحَلَالُ بَيْنُ وَالْحَرَامُ بَيْنُ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِعَرْضِهِ وَدِينِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ فِي حَوْلِ الْحِمَى يَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَهُ". وهذه الرواية الصحيحة، والحديث أخرجه البخاري في الإيمان (انظر: فتح الباري) - ج: ١ - ص: ١١٦، ومسلم في المساقاة رقم: (١٥٩٩).

٦ - في (١ - ص) جواب للنهي.

٧ - في (١ - ص) لا تحف، وهو تصحيف.

٨ - في (و ج ج) داعي الله وهو تصحيف.

٩ - في (١ - ص) على المرتكب.

١٠ - في (و - ج) أن الأنبياء يرتكبون.

١١ - ساقطة من (و - ج).

السلام- خرج وفي إحدى يديه ذهب، وفي الأخرى حديد، فقال: "هذان حرامٌ على ذُكُورِ أمتي هِلْ لِإِنَائِهَا. ولم يرد به العين، وإنما أراد به الجنس، فحمل آدم متأولاً الإشارة إلى العين دون الجنس، فوقع عليه السهو من هذا الوجه، وقيل: أنه حمل النهي على الذنب دون الحتم، ونسي الوعيدَ المقرونَ به، ولذلك قال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَاسِي﴾^(١) أي: "نسي الوعيد". واختُلفَ في الجنة التي أُسْكِنَهَا آدم -عليه السلام- فقال بعض المتكلمين: كَانَ بُسْتَانًا جعله الله تعالى له امتحاناً ولم يكن جنة المأوى، فإن تلك لم تُخْلَقْ بَعْدُ، إذ هي للخلود، وقد ثبت أن الله تعالى يفني^(٢) الأشياء كلها حتى لا يبقى إلا وجهه ولو كانت مخلوقة الآن لم يصح أن يخص بهذه الصفة، وقال أكثر الناس: كانت جنة المأوى، وتسميتها بجنة الخلد اعتباراً بدوامها بعد أن يدخلها المثابون. والشئ الواحد قد يسمى بأسماء كثيرة -اعتباراً بمعان متفاوتة، ألا ترى إلى ما حكى عن الحسن أنه قال: "خُلِقْنَا لِلأَبَدِ، وَلَكِنَّا نُنْقَلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ"^(٣) وذلك اعتباراً بحال الإعادة، ومن قال: لم تكن تلك جنة الخلد، لأنه لا تكليف في الجنة، وأدم [عليه السلام]^(٤) كان مكلفاً، [فقد قيل في جوابه: إنما لا يكون دار التكليف في الآخرة، ولا يمتنع أن يكون في وقت دار تكليف، ولا يكون في وقت كذلك، كما أن الإنسان يكون]^(٥) مكلفاً في وقتٍ دون وقتٍ، وقال بعض الناس: "إن الله تعالى لما خلق الإنسان لاستخلافه في أرضه واستعمارها فيها كما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾"^(٦) ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾"^(٧) وقال ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾"^(٨)، وأراد أن يوصله بذلك إلى جنة المأوى، وعلم بسابق^(٩) علمه أنه لسوء تدبيره

١ - سورة طه : الآية (١١٥).

٢ - في (أ - ص) نفى، وهو تحريف.

٣ - في (و - ج) ذلك وهو تحريف.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - هذه الفقرة سقطت من النسخ في (و - ج).

٦ - سورة البقرة - الآية : (٣٠).

٧ - سورة الاعراف : الآية (١٢٩).

٨ - سورة هود : الآية (٦١).

٩ - في (و - ج) يسابق، وهو تصحيف.

قد يختار العاجل الخسيس على الآجل النفيس لعجلته^(١) كما وصفه بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٢)، وأنه قد تتبع هواه كما قال: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٣)، وعلم ما يكون منه أدخله الجنة ليعرف النعيم الذي أعد له عياناً، فيكون إليه أشوق، ويتذوق طعم المخالفة فيكون منها أخوف^(٤)، فمعلوم من حال الإنسان أن المحنة تُهذِّبُهُ، والاشتياق إلى ما عينه من الخيرات يرغِّبُهُ، فصار ما جرى [على آدم]^(٥) من الأحوال^(٦) من تمام النعمة^(٧) عليه، والله أعلم بوجوه المصالح، وفي الآية حثٌّ على قبول قول مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ وتحري نصحك والمصلحة^(٨)، وإن الإنسان إذا حفظ في دنياه قرناه المتصلة به من قواه الشهوية والغضبية، وقرناه المتصلة^(٩) به من قواه الشهوية والغضبية، وقرناه المنفصلة عنه من أهله وولده وساس نفسه وأهله، ورعى من الله أوامره، وتجنب زواجه كان في الجنة عاجلاً وأجلاً، وإلا صار معاونه عليه ومنافعه راجعاً بالمضرة إليه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١٠).

-
- ١ - ساقطة من (أ - ص).
 - ٢ - سورة الإسراء : الآية (١١).
 - ٣ - سورة محمد : الآية (١٤).
 - ٤ - في (أ - ص) أفرق.
 - ٥ - ساقطة من (و - ج).
 - ٦ - ساقطة من (أ - ص).
 - ٧ - في (أ - ص) نعمه.
 - ٨ - في (أ - ص) ومصلحتك.
 - ٩ - في (و - ج) المتصل، وهو تصحيف.
 - ١٠ - سورة التوبة : الآية (٥٥).

قوله - عز وجل :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ الآية : (٣٦) - سورة البقرة.

زل، وزال يتقاربان، إلا أن زَلَّ يقتضي عثرةً مع الزوال، يقال: زلت^(١) رجله في المشي ولسانه بالقول، وسمي الأسد إزدلاً اعتباراً من الفاعل استقلاله حتى يعده عثرةً، وقول النبي - عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَزَلَّتْ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ فَلْيَشْكُرْهَا»^(٢) أى مَنْ أَسْدَى إِلَيْهِ نِعْمَةً، وإن كانت طفيفةً، وإزالال إبليس لأدم عليه السلام قوله له ﴿ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَلْتَمِي ﴾^(٣)، وقوله : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾^(٤)، ومقاسمته إياها بقوله: ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(٥)، فمن الناس من حمل هذه الأحوال على مفاوضة ومجارة بالمشاهدة وقيل: إنَّ ذلك كَانَ بِوَسْوَاسَتِهِ، كما قال ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ ﴾^(٦)، وما روى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- "أن إبليس عَرَضَ نفسه على دَوَابِّ الأرض أن تحمله فتدخله الجنة ليكلم أدم وزوجته، فأبت عليه الدَوَابُّ كُلُّهَا حتى كَلَّمَ الحَيَّةَ وقال: أُمْنَعُكَ من بني آدم إنَّ أُنْتَ أَدْخَلْتَنِي الجنة، فجعلته بين نابين من أنيابها، فأدخلته الجنة وكَلَّمَهَا مَنْ فِيهَا، قال: فلذلك أُمِرَ الإنسان بقتلها أينما وجدها"^(٧) فإن بعض الناس حمل ذلك على سبيل المثل، وقال: هذا إشارة، فقوله: عَرَضَ نَفْسَهُ على

١ - في (و - ج) زل، وهو تصحيف.

٢ - الحديث في النهاية في غريب الحديث ج: ٢ - ص ٣١٠، والفائق في غريب الحديث ج: ٢ - ص ١١٩، وفي مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٢.

٣ - سورة طه الآية : (١٢٠).

٤ - سورة الأعراف : الآية (٢٠).

٥ - سورة الأعراف : الآية (٢١).

٦ - سورة الأعراف : الآية (٢٠).

٧ - هذا المعنى مقتبس من قول الرسول صلى الله عليه وسلم «اقتلوا الحيات صغيرها - وكبيرها - وأسودها - وأبيضها فإن من قتلها كانت له فداء من النار ومن قتلته كان شهيداً» فهذا الحديث يتفق مع ما رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «خمس يقتلن المحرم، فذكر الحية فيهن» أخرجه مسلم وغيره ورواه القرطبي في تفسيره ج: ١ - ص ٣٥٦، وقد انتقد الرازي في تفسيره رواية ابن عباس وقال: "وأعلم أن هذا الخير وأمثاله مما يجب أن لا يُلْتَفَتَ إليه. لأن إبليس لو قدر على الدخول في فم الحية، فلم لم يقدر أن يجعل نفسه حية، ثم يدخل الجنة، ولأنه لما فعل ذلك بالحية، فلم عُوِّبَتِ الحية مع أنها ليست بعاقلة ولا مكلفة" في تفسير الرازي - ج: ١ - ص ٣٢٣.

دواب الأرض، أي استعان بقوى الإنسان، ونظر من أي جهة^(١) يمكنه أن يأتيه، فلم يجد^(٢) قوةً مستصلحةً يستعين بها حتى أتى الحية، أي الشهوة، وكنى بالحية عنها، فَإِنَّهَا حَيَّةٌ لَا يَبْرَأُ سَلِيمُهَا [يقال لمن لسعته الحية والعقرب سليمٌ تفاؤلاً كما تقال المفاضة لحل الخطر والهلاك]^(٣) وذاك أن الشيطان لا يأتي الإنسان إلا من قِبَلِ هَوَاةٍ، فجعلته بين نايبيها كنايةً عن الأكل، إذ هو أعظم شهوةً يتمكن الشيطان به من الإنسان، ولهذا قيل في الخبر:

(من حفظ بطنه فقد سد على الشيطان بابه، ومن شبع ونام قسا قلبه وتمكن منه الشيطان)^(٤)، ويكون الهوى أعظم سلاح للشيطان، صار لا فرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٥)، وقوله: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾^(٦) في أن المقصد واحد في كونهما نهياً عن ارتكاب الذنوب^(٧)، وقوله، فلذلك أمر الإنسان بقتلها، أي أمر أن يقهر الشهوة [ويذلّها]^(٨) حيثما ترأعت له، وطالبته بما ينافي^(٩) الإيمان، وهذا الذي ذكره هذا القائل وإن كان صحيحاً من حيث المعنى، ففي صرف^(١٠) الخبر إليه ترك للظاهر وفتح باب من التأويلات عظيم الضرر^(١١)، والله أعلم بحقائق ما أخبرنا^(١٢) به من الغيوب.. وقوله: (اهبطوا): الهبوط ضد الصعود، وليس يُرادُ به^(١٣) الانحدار عن رفعة مكانية

١ - في (و - ج) من جهة أيها يمكنه أن يليه.

٢ - في (و - ج) فلم يوجده، وهو تصحيف.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - لعل هذا الخبر مقتبس من حديث النبي "صلى الله عليه وسلم" الذي رواه عنه المقدام بن معد يكرب- رضي الله عنه قال: قال النبي "صلى الله عليه وسلم": «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه.. بحسب ابن آدم لقيمات» يقمن صلبه- فإن كان لا محالة فثلك لطعامه، وثلك لشرباه، وثلك لنفسه».. أخرجه الترمذي، ومما ورد عن سيدنا عيسى عليه السلام من قوله للحواريين: «تأكلوا كثيراً فتفسد قلوبكم».

٥ - سورة ص: الآية (٢٦).

٦ - سورة مريم: الآية (٤٤).

٧ - في (١ - ص) العصيان.

٨ - ساقطة من (و - ج).

٩ - في (١ - ص) ينافيه.

١٠ - في (و - ج) ضرب، وهو تحريف.

١١ - في (١ - ص) منكر.

١٢ - في (و - ج) ما أخبرنا من الغيب.

١٣ - في (و - ج) بها وهو تصحيف.

فقط، بَلْ يُرَادُ به مع ذلك سَقُوطُ المنزلة، فقد كثر في كلامهم استعمالُ الرُّفْعَةِ والضَّعَةِ في المراتب حتى قيل: شريفٌ ووضيعٌ على طريق الاستعارة، وعلى ذلك قول الشاعر:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ بِأَحْسَابِنَا^(١) -

وقال:

وَصَاعِدٌ فِي هِضَابِ الْمَجْدِ يَطْلُعُهَا^(٢)

وأما المعادة: ففقدان الملازمة والموافقة، ومنه قيل: "هُوَ مَكَانُ نُوْ عَدُوِّي". والتَّعْدِي، والعدوان، والاعتداء، والعدوى منها^(٣)، وقومٌ عِدَى للأعداء أو الغرباء، لما بينهم من فقدان الملازمة، وقوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٤) ليس يريد المهارشة فقط، وإنما يعني فقدان الالتئام، أما بين الشيطان والانسان فظاهراً، وبين الرجل والمرأة كثيرٌ في الخلق والخلق، حتى إن عامة ما يُحْمَدُ من أخلاق الرجل يُذَمُّ من المرأة، ثم بين قوى الإنسان في نفسه تفاوتٌ، فحذرنا الله تعالى الذي خلقنا منها ليتنبه، للاحتراز مما ينافينا في بلوغ السعادة، ونسوس^(٥) منها ما يمكن سياسته، وندفع منها ما يجب مدافعته، والمستقر: المكان الذي يحصل فيه القرار، والقرار هو السكون عن برودة، ولما كان من شأن البرودة السكون، كما أن من شأن الحرارة الحركة قيل في الساكن بُرْدٌ، وفي المتحرك: اشتعل، والتهب، وحتى شبه السريع بنارٍ متقدة، والساكن بماءٍ جامدٍ، وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ كقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾^(٦)، وقوله: ﴿جَعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(٧)، قيل: معنى المستقر القبور، والآية محمولةٌ عليها، فقد قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾^(٨)، والمتاع: انتفاعُ

١- هذا شطر بيت وعجزه: ولولا السماء لَجُزْنَا السَّمَاءَ وهو في مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد بلا نسبة . ج ٥ : ص ٣٠٢.

٢- هذا شطر بيت للبحرّي وعجزه :-

كأنه لسكون الجأش منحدر

وهو من قصيدة قالها يمدح فيها على بن مر الطائي ومطلعها :-

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وواعظ منه لولا أنه حجر

ديوان البحرّي - ج : ٢ - تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ، ط : دار المعارف.

٣ - في (١ - ص) منه . ٤ - سورة الزخرف : الآية (٦٧)

٥ - في (و - ج) ونسوس وهو تحريف . ٦ - سورة النمل : الآية (٦١).

٧ - سورة البقرة : الآية (٢٢) . ٨ - سورة المرسلات : الآيتان (٢٥)، (٢٦).

ممتدُّ الوقتِ، ومنه قيل: مَتَّعَهُ اللهُ بِكَذَا، ومنه: مَتَّعَهُ الْحَجَّ، وَمَتَّعَهُ الْمُطَلَّقةَ، وَمَتَّاعُ الْبَيْتِ، ومن قال: عَنَى به الْحَيَاةَ، فَلَانَّهُ عَمَدٌ إِلَى أَشْرَفِ نَوْعٍ مِنَ الْمَتَاعِ، ففسره به، ولحين وقت بلوغ الشئ وَيُتَخَصَّصُ^(١) بالمضاف إليه، ولما كان أحيان الأشياءِ يختلف، نظر بعض المفسرين إلى المضاف إليه لفظ الحين، ففسره به، وقال: إنه يجيئ على أوجهٍ، فالحين: الأجل، لقوله: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾^(٢)، والسَّنةُ، لقوله: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾^(٣)، والسَّاعَةُ، لقوله: ﴿حِينَ تُمَسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(٤)، والزمان لقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٥)، واختلاف ذلك لاختلاف^(٦) المضاف إليه، وفي الآية تحذيرٌ من الشيطان، كما قال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾^(٧) الآية والتحذير من كل غرور ومن الركون إلى الدنيا، والتنبيه على أنها دارُ مَمَرٍ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ مَقَرٍّ.

[وبالله التوفيق]^(٨)

١ - في (أ - ص) ويخصص.

٢ - سورة يونس : الآية (٩٨).

٣ - سورة إبراهيم الآية (٢٥)

٤ - سورة الروم : الآية (١٧).

٥ - سورة الإنسان : الآية (١).

٦ - في (أ - ص) باختلاف.

٧ - سورة الأعراف : الآية (٢٧).

٨ - زيادة في (أ - ص).

قوله عز وجل :

﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الآية : (٣٧) - سورة البقرة.

التلقي كالتلقي، إلا أن التلقي يقتضي استقبال الكلام وتصوره، والتلقن يقتضي الحذق في تناوله، والتلقف يقاربه، لكن يقتضي الاحتيال^(١) في التناول، الكلم: التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع والبصر^(٢)، فالكلام مُدْرِكُ بِحَاسَةِ السَّمْعِ^(٣)، فكلمته: جرحته جراحة بأن أثرها^(٤) ولا اجتماعهما في ذلك قال الشاعر:

والكلم الأصيل كأرغب^(٥) الكلم^(٦)

وقال:

وَجَرَحَ اللِّسَانَ كَجَرَحِ الْيَدِ^(٧)

والكلمات التي تلقاها آدم من ربه قيل : هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٨)، وقال الحسن: هو قوله: «أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ أَلَمْ تُسَكِّنِي جَنَّتِكَ؟ أَلَمْ تُسَجِّدْ لِي مَلَائِكَتَكَ؟ أَلَمْ تَسْبِقْ رَحْمَتَكَ غَضَبَكَ؟ فقال تعالى له: بَلَى، قال: أَرَأَيْتَ إِن تَبْتُ تَبْتُ عَلَيَّ وَأَعْدَتْنِي

١ - في (و - ج) الاعتيال - هو تحريف

٢ - في و - ج (العين والأذن

٣ - في (و - ج) الأذن.

٤ - في (و - ج ، ١ - ص) كأرغب وهو تصحيف.

٥ - هذا عجز بيت لطرفة بن العبد من أبيات له يهدد بها المسيب بن علس، والبيت بتمامه:

بحسام سيفك أو لسانك والـ كلم الأصيل كأرغب الكلم

وهو من قصيدة مطلعها :-

إن امرأ سرف الفؤاد يرى عسلأ بعاء سحابة شتعى

والبيت في ديوان لطرفة ص ٨٧، والصناعتين ص ٤٣٩، والمعاني الكبير ج: ٢ ص ٨٢٣، ومفردات الراغب، ص ٧٢٢، شرح ديوان لطرفة ص ٨٦، ٨٥.

٧ - هذا عجز بيت لإمرئ القيس يوشطره

ولو من نثا جاحني غيره وجرح اللسان كجرح اليد

وهو من قصيدة يتهدد فيها بنى أسد ومطلعها :-

تطاول إليك بالإثم ونام الخلي ولم ترقد

وهو في ديوانه ص ٨٤، ومنثور الفوائد ص ٢٢، والخصائص ج: ١ ص ٧ والصناعتين ص ٤٣٩، ومفردات القرآن ص ٧٢٢.

٨ - سورة الأعراف : الآية (٢٣).

إلى الجنة؟^(١) قال: نعم، فهذا يعني قوله: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ وقيل: إنه قال تعالى له: مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ثُمَّ تَابَ قَبِلْتُ مِنْهُ، وهذا يقاربُ الأول، وقيل: (إنها قبول الأمانة المعروضة على السماوات والأرض المذكور في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾^(٢) الآية، وقيل: هو حروفُ التَّهَجِّي وَمَا تَرَكَّبَ مِنْهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ التي كانت قَدْ عَلَّمَهَا وما انتتج منها من العلوم الحقيقة والأعمال الفاضلة، فإن أصل الإيمان العلوم الصادقة والأعمال الصالحة، فمن الحروف تتركب مفردات الألفاظ، نحو: زيد، عمرو، وذهب، خرج، من، عن، ومن المفردات تتركب المقدمات المفردة، نحو: زيدٌ خارجٌ، وعمرو ذاهبٌ، ومن المقدمات تتركب الأدلة والأخبار المؤلفة، ومن الأدلة المفردة الصادقة^(٣) يُتَوَصَّلُ إلى حقائق العلوم، وبحقائق العلوم يُتَوَصَّلُ إلى الأعمال الصالحة، وبمجموعها يحصل الإيمان الذي يتحققه، ويصير الإنسان تامَّ التوبة مُتَطَهِّرًا من النقيصة، محبوباً لرب العزة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٤)، والمتحقق بذلك لا محالة يتوب الله عليه، وقيل: إن هذه الكلمات هي التي ذكرها الله تعالى^(٥) في قصة إبراهيم -عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٦)، وهي خصالٌ مذكورة في ثلاثة مواضع من القرآن..

أحدها في سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧)، والثاني في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٨)، والآيات إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٩).

١ - عن ابن عباس في الآية قال: أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال بلى، قال: أي رب ألم تنفخ في من روحك؟ قال بلى، قال: أي رب ألم تسبق إلى رحمتك قبل غضبك؟ قال نعم، قال أي رب أرايت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة، قال: نعم، انظر

الدر المنثور ج: ١ - ص ١٤٣ ومفردات ألفاظ القرآن ص ٧٢٢.

٢ - سورة الأحزاب: الآية (٧٢).

٣ - في (١ - ص) والأخبار الصادقة.

٤ - سورة البقرة: الآية (٢٢٢).

٥ - ١ - ص) هي المذكورة.

٦ - سورة البقرة: الآية (١٢٤).

٧ - سورة التوبة: الآية (١١٢).

٨ - سورة المؤمنون: الآية (١).

٩ - سورة المؤمنون: الآيتان (١٠، ١١).

والثالث: في سورة "سَأَلَ سَائِلٌ"، وهو قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(١)، الآيات إلى قوله ﴿أَوَلَيْكَ فِي جَنَاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾^(٢) فهذه الخصال الثلاثُ فُرِّقَ من الناس^(٣) العلماء والحكماء والكُبراء المعنيين بقول النبي ﷺ "سَائِلِ الْعُلَمَاءِ، وَخَالِطِ الْحُكَمَاءِ، وَجَالِسِ الْكُبرَاءِ"^(٤)، ولكل فرقة مقامات معدودة يترتب بعضها على بعض، وهذه مسألة كثيرة قد أَحْكَمْتُهَا فِي كِتَابِ (شَرْفِ التَّصَوُّفِ)^(٥)، وبينتُ تخصيص كل مقام بهذا القول والذي تقدمه يتقاربان عند الحقيقة، غير أن الأول نظر إلى المبدأ، والثاني إلى الغاية، وذلك مذكورُ هناك^(٦)، ثم التوبة: تركُ الذَّنْبِ على أَحَدِ الْوُجُوهِ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْعِتْدَارِ، فَإِنَّ الْعِتْدَارَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ، إِمَّا أَنْ يَقُولَ الْمُعْتَدِرُ: لَمْ أَفْعَلْ كَذَا، ويقول: فعلتُ لأَجْلِ كَذَا، أو يقول: فعلتُ وأُسَأْتُ، وقد أَقْلَعْتُ، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة، فإذا: التوبة ضَرْبٌ مِنَ الْعِتْدَارِ. والتوبة والأوبة والاستغفار متقاربة وبحسب ما اختلفت فيها الاعتبارات اختلفت عليها الْعِبَارَاتُ، (الإنابة) الرجوع عن طريق الضلال إلى الهدى، والأوبة: رجوعُ القلب إلى الحق والوقوف عليه، والاستغفار: طلب الغفران قولاً وفِعْلاً، أي: تعاطي ما يَغْفِرُ ما تَقَدَّمَ مِنَ الذَّنْبِ، والتوبة التامةُ المعتدُّ بها: تركُ الذَّنْبِ، والندمُ عليه، وهو العزم على أن لا يعود إليه، وتداركُ ما تقدم وهو رد المظالم "مظلمة الخلق، ومظلمة الخالق"، ومظلمة الخالق: هي إِعَادَةُ ما ترك^(٧) من العبادات، وإذابة ما استفاد جسمه من الحرمان^(٨)، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ [عليه السلام] «كُلْ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ أَوْلَى بِهِ»^(٩)، والتواب: يقال في العبد، وفي الرب، لَكِنَّ الْعَبْدَ تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ -عز وجل-، وَاللَّهُ تَائِبٌ عَلَى عَبْدِهِ، وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ جَمَعَ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ - تنبيهاً على أنه مع تَرْكِ ذَنْبِهِ، عَلَيْهِ لَا يَخْلِيهِ مِنْ

١ - سورة المعارج : الآيتان (٢٢، ٢٣).

٢ - سورة المعارج : الآية (٣٥).

٣ - ساقطة من أ - ص).

٤ - هذه إشارة من الراغب إلى أن له كتاباً في علم التصوف، غير أننا لم نستطع العثور عليه مخطوطاً في مغان مخطوطات الراغب مما يشير إلى أنه مفقود حتى الآن.

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - في (أ - ص) فالإنابة.

٧ - في (أ - ص) المتروك.

٨ - في (أ - ص) الشبهات.

٩ - الخديث عن أبي بكر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «كُلْ جَسَدٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ النَّارِ أَوْلَى بِهِ» أخرجه البيهقي وأبو نعيم، قال المناوي: وسنده ضعيف، والمشهور على الاسنة: «كُلْ لَحْمٌ نَبَتَ مِنَ الْحَرَامِ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ». راجع : كشف الخفاء للعجلوني -

ج: ٢-ص ١٢١.

الإحسان إليه، ولم يقل : تاب عليهما لما تقدم أنه جعلها تابعة له، لا مقصوده في نفسها. وفي الآية تنبيهٌ يعني هو أنه متى تلقينا منه ما أنعم به علينا من العلوم، واستعملناه، واعترفنا بذنوبنا، وطلبنا منه التجاوز عنه، ونحن في مهلة من الحياة تاب علينا وأحسن إلينا.

قوله - عز وجل :

﴿ قُلْنَا اضْطَرُّوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَكُمْ مِنْ يَدِي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

الآية : (٣٨) - سورة البقرة.

والمجئ، والإقبال، والإتيان متقاربة، غير أن المجئ عام، والإقبال مجئ من ناحية القبل، والإتيان مجئ عن بُعد، ومنه قيل: الآتي للغريب، والسبيل "الجائي" من بعيد، و"آتيته": أي : "أعطيته" منقول عن آتيته و"اتوته"، وهما لغتان، والاتباع، والإتلاء، والاحتذاء، والاقتراء تتقارب، فالإتلاء^(١): مجيء بعد آخر بلا فاصل بينهما من جنسهما، والاحتذاء منقول من حذو الفعل بالفعل، والاقتراء^(٢): اتباع على مدى، أي على قدر المتبّع بلا تجاوز ولا تأخر، والاتباع عام في كل ذلك، ومنه قيل في الرعية^(٣) "اتباع"، وسمي العجل التابع لأبيه تبيع^(٤)، والخوف، والفرع والحذر، والرهبة، والهيبة، والخشية، والوجل، والشفقة تتقارب، فالخوف توقع مكروه عن أمانة وذلك للمذنب. ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه^(٥): «لَا يَخَافُنْ^(٦) أَمْرُؤُ إِلَّا ذَنْبُهُ، وَلَا يَرْجُونَ إِلَّا رَبَّهُ»، والفرع: اضطراب عن وهم، كمن يسمع هدة فاضطرب، والحذر: خوف مع احتراز، والرهبة خوف مع اضطراب واحتراز، والهيبة: رهبة مع استشعار تعظيم، والشفقة: خوف مع محبة، ولذلك قيل: الخوف والحذر للمذنب، والرهبة للعابد، والخشية للعالم، والهيبة للعارف، والحزن حشونة تعتري النفس، مشتق من حزونة الأرض.

١ - في (أ - ص) فالاتباع.

٢ - في (و - ج) والإقبال.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - في (أ - ص) تبيعا، وهو الأصح.

٥ - في (و - ج) عليه السلام.

٦ - في (أ - ص) لا تخافن، وهو تصحيف.

ولذلك يقال: خَشَنْتُ بِصَدْرِهِ، وقيل: الحُزْنَ والغضب من جنسٍ واحدٍ، وقد تقدم الكلام فيه. والفائدة على تكرير قوله: (اهْبِطُوا)، لتكرير الشرط المقرون به، فإن الأول قرن بحال العداوة الثانية بينهم وسكونهم في الأرض إلى مدةٍ متناهيةٍ، والثاني: بَيَّنَّ به أنهم وإن اشتركوا في الهُبُوطِ، فهم متبانيون في الحكم، فَإِنَّ مَنْ اتَّبَعَ (١) هدايته، فهو على سبيل الخلاص، إن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: فمن تبعه فيستغنى بالضمير عن التكرير، فقد استقبح في باب البلاغة تكرير اللفظة الواحدة في الجملة الواحدة حتى استرذل قول الشاعر:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا

نَغْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَا وَالْفَقِيرَا (٢)

وقول آخر مع جودة معناه (٣)

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُتَنَضًى

وَحِلْمٍ كَحِلْمِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُغْمَدٌ (٤)

قيل: إن ذلك يُسْتَقْبَحُ إذا لم يَحْصُلْ في الثاني معنى غير المعنى الأول كالبيت. والآية بخلاف ذلك، فإن الهدى من الله ضربان، ضربٌ بالعقل، وضربٌ بقول الرسل، وأراد تعالى بقوله: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ مِنَ الْهُدَى الْوَحْيُ﴾ ما يأتي على ألسنة الرسل - عليهم السلام -، وَقَوْلُهُ: هُدَايَ ما على لسانهم، وما كان من جهة العقل، فَنَبَّهَ أَنْ مَنْ أَتَاهُ رَسُولٌ وَرَعَاهُ مَعَ رِعَايَتِهِ لِمَقْتَضَى الْعَقْلِ فَهُمْ الْأَوْلِيَاءُ الَّذِينَ لَاخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، إن قيل: كيف نفى الخوف عن الأولياء في مواضع نحو قوله:

١ - في (أ - ص) تبع.

٢ - البيت من قصيدة لعدي بن زيد، وقيل لابنه سودة بن عدي، والصحيح الأول، وهو من قصيدة أولها:

مَالٌ لَيْلِي أَرَأَيْبُ التَّنْوِيرِ أَرَقَبُ اللَّيْلِ بِالصَّبَاحِ بِصَبْرٍ

وعدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن بني أمية القيس بن زيد مناة بني تميم راجع: الكتاب - لسبويه - ج: ١ - ص: ٢٠

أمالي ابن الشجري - ج: ١ - ص: ٢٤٣، ص: ٢٨٨ - الخصائص - لابن جني - ج: ٣ - ص: ٤٣ - شواهد المغني - ص: ٢٩٦. خزانة الأدب -

البغدادية ج: ١١ - ص: ٣٧٩ - ج: ٢ - ص: ٥٣٤، ج: ٣ - ص: ٥٥٢. لسان العرب مادة: نغص.

٣ - في (أ - ص) واستقبح قول الآخر.

٤ - لم أهد إلى قائله.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) ومدحهم بذلك في مواضع نحو قوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٣)؛ قيل: أما نفي الخوف والحزن عنهم، فقد قيل: لفظه الخبر، ومعناه: النهي كقوله: ﴿لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾^(٤) وقيل هو خبر، لكن مدحهم بها في الدنيا، وحثهم عليها^(٥)، وأمنهم منها^(٦) في الآخرة، كما روى: مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا أَمَّنَهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ»، وعلى ذلك حكى عنهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾^(٧)، وأيضاً: فإن الخوف الذي مدح به المؤمنون، وحثوا عليه ليس يراد به استشعار الرعب المترقب مضرته، وإنما يراد به فعلُ الخيراتِ المأمور بها المذكور في قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ لِقَائِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٨)، والكف عن المعاصي، ونهى النفس عن الهوى المذكور^(٩) في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١٠).

والخوف والحزن المنفيان عنهم استشعار الغم الذي يكون من نوي العُدوان، وكذلك روي: (لَا يَرْجُونَ أَمْرًا إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافُنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ)^(١١).

وأيضاً فالحزن إنما يكون لفوت محبوب، والخوف يكون لفقد مطلوب، والمتبع لهدى الله هو المؤمن الحكيم^(١٢) الذي لا يقتني لنفسه فضولاً من^(١٣) الأعراض، وما اقتناه لضروراته علم إنه يعرض الأعراض وأنه^(١٤) عارية مستردة، فلا يحزن على استردادها، ولا يطلب المستغنى عنه، وما طلبه بعد وجوبه عليه طلبه عالماً أن الله لا يبسط لأحد دنيا^(١٥) إلا اغتراراً واختباراً، فإذا منح قام بحقوقه شاكرًا، وإذا منع استغنى عنه صابراً، فهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في دنياهم.

١ - سورة يونس : الآية (٦٢).

٢ - سورة الرعد : الآية (٢١).

٣ - سورة الإسراء: الآية (٥٧).

٤ - سورة فصلت : الآية (٣٠).

٥ - في (و - ج) عليهما.

٦ - في (و - ج) منهما.

٧ - سورة فاطر : الآية (٣٤).

٨ - سورة النحل : الآية (٥٠).

٩ - في (و - ج) المذكورة وهو تصحيف.

١٠ - سورة النازعات : الآيتان : (٤٠، ٤١).

١١ - ١٢ - ساقطة من (١ - ص).

١٣ - في (١ - ص) فضولات الاعراض.

١٤ - في (١ - ص) وأنها.

١٥ - في (١ - ص) ذنباً وهو تحريف.

قوله - عز وجل :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ «الآية (٣٩) - سورة البقرة».

الاصطحاب، والاجتماع، والاقترانُ تتقاربُ، فالاجتماعُ أعمُّ معنى، الاصطحابُ: اجتماعُ مع طول لُبثٍ، والاقترانُ يقتضي شداً ما، إما صنعة، كاقترانٍ بغيرٍ بغيرٍ، وإما حكماً، كاقترانِ الصديقين واقترانِ العلة بالمعلول، وقولهم: "أديم مصحَّب"، أي: أصحب الشعر الذي كان عليه فلم يجز عنه، وأصحب الرجل إذا صار ذا صاحب، ولما كان الأصحاب مقتضياً للانقياد، فسرهم أهل اللغة به، والتكذيب بالآيات بعض الكفر وتمامه، فإن فيه مع تعاطي الكفر بالفعل^(١) جُحوداً باللسان وتخصيصه بعده نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢) في أن^(٣) عمل الصالحات بعض الإيمان وتمامه، وليس يعني بالآيات القرآن فقط، بل يُرادُ بها مع ذلك الآيات التي في السماوات والأرض الدالة على الوجدانية المستحث على اعتبارها^(٤)، بنحو قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٥)، إن قيل: لم قال ههنا: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وقال في الحج^(٦): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٧) قيل: الاسم الموصول، والنكرة الموصوفة^(٨) متى ضمنتا معنى الشرط قد تدخل "الفاء" في خبرها تنبيهاً على معنى الشرط، ويجوز ترك ذلك منه بقول^(٩): "الذي يأتيني"^(١٠) له درهم، والذي يأتيني فله درهم^(١١).

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - سورة الرعد : الآية (٢٩).

٣ - في (و - ج) وأن.

٤ - في (أ - ص) على اعتبارهما.

٥ - سورة يوسف : الآية (١٠٥)

٦ - في (أ - ص) في غيره.

٧ - سورة الحج : الآية (٥٧).

٨ - في (أ - ص) الموصولة.

٩ - في (أ - ص) ويجوز تركه منه نحو.

١٠، ١١ - في (أ - ص) يأتيني.

قوله - عز وجل :

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

الآية : (٤٠) - سورة البقرة.

الابن: من البناء، وسمي بذلك لكونه كالمبني لأبيه، وكل مصنوع يُنسبُ إلى صانعه وآلته، فيقال: هو ابنه، وللصانع يقال: هو أبوه، وعلى هذا يقال: فلانُ ابنُ الحرب، وأبو الحرب، ويتسمية الصانع أباً للمصنوع، والمصنوع (١) ابناً للصانع أطلق على ما حكى في شريعة من تقدمنا (٢) "أبناء الله"، ثم تصور ذلك الجهلة والأغبياء (٣) معنى الولادة، فحظّر إطلاق ذلك حتى صار التفوه به يُعدُّ كفراً، والوفاء مراعاة العهد، والغدرُ تضييعه، كما أن الإنجاز مراعاة الوعد، والإخلاف تضييعه، والوفاء والإنجاز في الفعل كالصدق في المقال (٤)، والعذر والإخلاف كالكذب فيه، وقيل: وفى وأوفى بمعنى، والصحيح أن أوفى أبلغ من وفى، كما أن "أسقى" أبلغ من "سقى"، والخطاب وإن كان لبني إسرائيل لقولهم مقصودين بالتبكيك لنسيانهم نعم الله تعالى وكون نعمته عليهم أظهر، فالناس طراً يُشاركونهم في وجوب ذكر نعمه عليهم، وقد تقدم ذكر تفاصيل النعم. إن قيل: ما فائدة تقييد النعمة بقوله: أنعمت عليكم؟ قيل: نظر الإنسان إلى نعم الله ضربان، أحدهما: نظره (٥) إلى نعمة الله تعالى التي [تختص به في نفسه دون ما اختص به غيره] (٦) وذلك يفيد رضا عن المنعم وشكراً له ومعرفة ما على غيره من النعم، والثاني: نظره إلى نعمة الله على غيره ونسيان ما قد خص به في نفسه، وذلك يجلب إليه سخطاً على ربه، وكفراناً لآلائه، وحسداً على عباده، ولهذا قيل:

«انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَذَلِكَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدِرِي بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» (٧).

١ - ساقطة من (و - ج) .

٢ - في (و - ج) فينا وهو تحريف.

٣ - في (أ - ص) جهلتهم وأغبيائهم.

٤ - في (أ - ص) القول.

٥ - في (أ - ص) نظر.

٦ - في (أ - ص) يختص به في نفسه دون ما اختص به في غيره.

٧ - في (أ - ص) بنعمة الله، والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس أمرك، قلت: يا رسول الله زدني قال: "عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإن ذلك لك نور في السماوات ونور في الأرض.. قلت يا رسول الله زدني، قال: لا تكثر الضحك فإنه يميت القلب ويذهب نور الوجه... قلت يا رسول الله زدني قال: ٨ انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك.. الخ الحديث قال الطبراني وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج: ٤ - ص ٢١٦، ورواه ابن ماجة في حديث رقم ٤٢١٨ وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة.. المعجم الكبير - للطبراني - ج: ٢ - ص ١٦٧، ١٦٨ حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي ط وزارة الأوقاف - بغداد.

وعهود الله كثيرة، بعضها مرتب على البعض^(١)، والوفاء بكل واحد مُقابله، فأول منزلته إظهار الشهادتين ويقابله من الله تعالى حقن الدماء والأموال كما قال -عليه السلام- «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنْهُ مَالَهُ وَدَمَهُ»^(٢). وآخره ما كان من أولياء الله في حفظ النظرات والخطرات، ويقابله من الله تعالى: (مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)^(٣)، وبينهما وسائط كثيرة لها من الله تعالى مقابلات، ولما كان من مبدئه إلى منتهاه عرضاً كثيراً نظراً كل واحد من المفسرين للآية نظراً ما صارت به أقوالهم مختلفة في الظاهر بحسب اختلاف نظراتهم، فروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما^(٤)- أن الإشارة بذلك إلى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٥).

وروى عنه «أوفوا بعهدي» في اتباع محمد أوف بعهدكم في رفع الإصر والأغلال التي في أعناقكم».

وقيل: أوفوا بعهدي في ترك الكبائر أوف بعهدكم في غفران الصغائر، وقيل: أوفوا بعهدي في أداء الفرائض أوف بعهدكم في الإثابة عليها، وقيل: (أوفوا بعهدي في الاهتداء إلى طريق الاستقامة أوف بعهدكم في الزيادة في الاهتداء وإيتاء الاتقاء - إشارة إلى ما قال:

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(٦)، وهذه الأقاويل اختلفت إما بحسب اختلاف النظرات، أو بحسب اختلاف العبارات، وفيما بين من الأصل معرفة نظر الكل، وإن عامة أقوالهم لا

١ - في (١ - ص) البعض.

٢ - الحديث أورده البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة، وهو في فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني من حيث نعيم بسنده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله - ص: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج: ٢ - ص ٢٣٠ - حديث رقم ٣٩٢.

٣ - سبق تخريجه وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب وقال رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وروى البخاري ومسلم بعضه ج: ٤ - ص ٥٢١ طبعة مصطفى بابي - الحلبي سنة ١٩٥٤ م الطبعة الثانية.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - سورة المائدة: الآية (١٢).

٦ - سورة محمد: الآية (١٧).

تخرج عن الصواب - إن شاء الله-

وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(١)، فقال بعض المحققين في اعتبار الآيتين دلالة على تشريف هذه الأمة في أنه لما خَصَّهُمْ بِفَضْلِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، أمرهم بذكره بلا واسطة، وأمر بني إسرائيل أن يجعلوا ذكر الآية وصلةً إلى ذكره، وذلك فصلٌ قد أحكم في كتاب: (شَرْفُ التَّصَوُّفِ)^(٢)، وقوله: "فَارْهَبُونِ"، تقديره: ارْهَبُونِي، فحذف الياء لدلالة الكثرة عليه، وكون الفواصل كالقوافي، وفائدة تكرير الضمير توكيدٌ للحث على رهيبة، وأنها لا يجوز أن تكون إلا منه تعالى دون غيره، ومثله في تذكيرهم نعمة^(٣) الله تعالى ما حكاه تعالى^(٤) عن موسى حيث قال لهم: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٥)

قوله - عز وجل -

﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَاذِبِينَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتُقُونَ﴾

«الآية: (٤١) - سورة البقرة».

قد تقدم أن الإيمان مقتضى للعلم اليقيني، ففي ضمن قوله تعالى: (أْمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ) حثٌ على استفادة العلم، إذ^(٦) لَا يَحْصِلُ الْإِيمَانُ الْحَقِيقِيُّ مِنْ دُونِهِ، ونبه بقوله تعالى: (مصدقاً لما معكم) أن لامتنافاً بين ما أتى به الأنبياء من أصول العبادات، وأنهم كنفسٍ واحدةٍ من حيثُ يَتَسَاوَى دَعَاؤُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ والأركان الثلاث من الشرائع التي هي العبادات الخمس وأحكام الحلال والحرام والمزاج، وإنما الاختلاف بينهم في جزئيات الأحكام وفروعها، كيفما تقتضيه مصلحة قومٍ وزمان، فكلُّ مُصَدِّقٍ للآخر فيما أتى به من أَنَّ كُلِّيَّاتِ شَرَائِعِهِمْ متساويةٌ، وأن فروعها حقٌّ^(٧) بحسب الإضافة إلى زمان كل واحدٍ منهم، وأتمته حتى لو كان أحدهم في زمن الآخر لم ير المصلحة إلا فيما أتى به الآخر، ولذلك قال عليه السلام: «لَوْ نُشِرَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ لَمَّا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَاذِبِينَ﴾ أي لا تكونوا أئمة في الكفر، فيقتدي بكم تباعكم، فتكونوا حاملين لأوزاركم وأوزارهم، كما قال تعالى:

١- سورة البقرة : الآية (١٥٢).

٢ - سبقت الإشارة إلى هذا المؤلف من مؤلفات الراغب الأصفهاني والذي يعد من المصنفات المفقودة للراغب فيما وصل إلى علمنا.

٣ - في (١ - ص) نعم.

٤ - ساقطة من (١ - ص) .

٥ - سورة المائدة : الآية (٢٠).

٦ - في (و - ج) أن ، وهو تصحيف.

٧ - ساقطة من (و - ج) .

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) وذلك إشارة إلى ما قاله عليه السلام «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَلَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»^(٢) وقيل: معنى "أول" المتقدم بالشرف كقولهم: «حَاتِمُ أَوَّلُ الْأُسْحِيَاءِ، وَمَارِدُ أَوَّلُ اللَّثَامِ»، والمعنى: لا تكونوا أرفع كافر منزلةً في الكفر، وذاك أن محمداً: عليه السلام - لما كان آخر الأنبياء وكان متمماً لشرائع مَنْ تقدمه، كما روي عنه - عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى بَنِيَانًا، فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا، وَتَرَكَ مَوْضِعَ لَبْنَةٍ، فَأَنَا كُنْتُ مَوْضِعَ اللَّبْنَةِ»^(٣)، فصار الكافر به كالكافر بِجَمِيعِهِمْ، فإن من شرط الإيمان بهم أن يُضَامَهُ الإيمان به، وإلا لم يُعَدَّ بإيمانه بهم، والهاء في قوله تعالى: "به" ضمير "مَا أَنْزَلْتُ"، وقيل: هو ضمير "مَامَعَكُمْ"، إن قيل: لم قال: "وَلَا تَكُونُوا أَوَّلُ كَافِرٍ بِهِ" وأنت لا تقول "كُونُوا أَوَّلُ رَجُلٍ" وإنما تقول "رِجَالٌ"؟ قيل: إن ذلك معناه: "أول فريق كافر أو خرب مما لفظه المفرد، ومعناه الجمع على ذلك قول الشاعر:

فَإِذَا هُمْ طَعِمُوا فَأَلَامَ طَاعِمٌ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعٍ^(٤)

وقد أجاز بعضهم إخوانك أول رجل، أي أول الرِّجَالِ إذا كانوا رجالاً رجالاً، والقليل والكثير من الأسماء المتضايقة، ويعتبران **بِالْجَمْعِ** وليس استعمال القلة في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، لأجل اعتبار ثمنين من أعراض الدنيا، كما تصوره بعض الناس فاعترض على الآية، وقال: ذلك

١ - سورة النحل: الآية (٢٥).

٢ - الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من طريق جرير بن عبدالله البجلي في ج: ٤-ص ٢٥٧، ص ٣٥٩، ص ٣٦٠. وأخرجه الزبيدي في: إتحاف السادة المتقين في ج: ١، ص ٢٤٨، ج: ٨، ص ٢٠٢ وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم: ٤٣٠٧٨ وأخرجه الإمام مسلم في باب الزكاة-ص ٦٩، وأخرجه البيهقي في سننه ج: ٤-ص ١٧٥، وأخرجه النسائي والترمذي وابن ماجه من طرق، والدارمي وأبو عوانة وابن حبان من طريق جرير بن عبدالله البجلي.

٣ - الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ. إِلَى أَنْ قَالَ: مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى قَصْرًا فَأَكْمَلَ بِنَاءَهُ، وَأَحْسَنَ بَنِيَانَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَى الْقَصْرِ فَقَالُوا: مَا أَحْسَنَ بَنِيَانُ هَذَا الْقَصْرِ لَوْ تَمَّتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ - أَلَا فَكُنْتُ أَنَا اللَّبْنَةُ - أَلَا فَكُنْتُ أَنَا اللَّبْنَةُ الْمُسَدَّةُ - ج: ٢-ص ٤١٢، ورواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب.. ج: ٤ ص ١٦٢، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل ج: ٥-ص ١٧٩- ج رقم: ٢٢٨٦.

والحديث رواه الترمذي في باب ما جاء في مثل النبي (صلى الله عليه وسلم) والأنبياء قبله حديث رقم ٢٨٦٢ وهو مروي عن أبي بن كعب وأبي هريرة، وقال فيه الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

٤ - هذا البيت في نوادر أبي زيد ص ١٥٢ لرجل جاهلي، وفي معاني القرآن للفراء ج: ١-ص ٣٣، وتفسير الطبري ج: ١-ص ٥٦٢. وأورده السمين الحلبي في تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون رقم ٤٠٧، تحقيق: الدكتور أحمد الخراط طبعة: دار القلم: دمشق.

يَقْتَضِي جَوَازَ اشْتِرَاءِ الثَّمَنِ الْكَثِيرِ بآيَاتِ اللَّهِ، بَلْ جَعَلَ الْاعتِبَارَ ههنا بمنافع الدنيا والآخرة، وقد علمنا أن منفعة الدنيا طفيفة، إذا اعتُبرتْ بمنفعة الآخرة، وإذا كان كذلك، فمن اشترى بآيات الله منافع الدنيا، وترك منافع الآخرة، فقد خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً، كما حُكِيَ عن "المنصور" لما حضرته الوفاة، قال: أَفْ لَنَا، بَعْنَا نَعِيمَ الْآخِرَةِ بِنُومَةٍ، وقال الشاعر:

وَلَنْ أَمْرًا يَبْتَاعُ دُنْيَا بِيَدِيهِ لَمُنْقَلِبٍ مِنْهَا بِصَفْقَةٍ خَاسِرٍ^(١)

وعلى هذا قوله تعالى:

﴿قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

الآية : (٧٩) - سورة البقرة.

وإنما ذكر في الآية الأولى، (فَارْهَبُونِ)، وفي الآية الأخرى (فَاتَّقُونِ)، لَأَنَّ الرُّهْبَةَ دُونَ التَّقْوَى، فَحِينَمَا خَاطَبَ الْكَافَّةَ عَالِمَهُمْ وَمُقَلَّدَهُمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَى ذِكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي يَشْتَرُونَ فِيهَا، أَمْرَهُمْ بِالرُّهْبَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ مَبَادِيءِ التَّقْوَى، وَحِينَمَا خَاطَبَ الْعُلَمَاءَ مِنْهُمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَى مُرَاعَاةِ آيَاتِهِ وَالتَّنَبُّهِ لِمَا يَأْتِي بِهِ أَوَّلُو الْعَزْمِ مِنَ الرِّسَالِ، أَمْرَهُمْ بِالتَّقْوَى الَّتِي هِيَ مُنْتَهَى الطَّاعَةِ..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ «الآية (٤٢) - سورة البقرة.

اللبس والستر، والتغطية، والتعمية، والتمويه، والكتمان، والإخفاء يتقارب، فالستر أعمُّ الألفاظ، لَأَنَّهُ يُقَالُ فِي الْمَحْسُوسِ وَالْمَعْقُولِ "سَتَرْتُ كَذَا بِثَوْبِي"، وَسَتَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَالتَّغْطِيَةُ فِي الْأَعْيَانِ فَقَطْ، وَاللَّبْسُ أَصْلُهُ فِي الثَّوْبِ، ثُمَّ يُقَالُ فِي الْمَعْنَى أَيْضاً، وَذَلِكَ أَنَّ يُخْلَطَ حَقٌّ بِبَاطِلٍ، وَصَدَقَ بِكَذِبٍ، وَالتَّعْمِيَةُ: مَا جَعَلَ الْإِنْسَانَ عَنْ إدْرَاكِهِ كَالْأَعْمَى، وَالتَّمْوِيهِ: مَا جَعَلَ عَلَى وَجْهِهِ مَوَاهِةً، وَالْكَتْمَانُ: يُقَالُ فِي الْحَدِيثِ وَنَحْوِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ أَخْصَصُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، لِأَنَّ اللَّبْسَ هُوَ الْخُلُطُ بغيره، وَالْكَتْمَانُ إِخْفَاؤُهُ جَمَلَةً، وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ جَوَاباً بِالْوَاوِ مَنْصُوباً، وَإِنْ صَحَّ أَنْ يَكُونَ عَطْفاً مُجْزِئاً، فَيَكُونُ أَمْرًا بِخُصُوصِ بَعْدِ عُمُومٍ، وَقِرَاءَةُ أَبِي:

(ولا تكونوا أول كافر به وتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وتكتموا الحق)، ونحو ذلك في احتمال

الجواب والعطف ..

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْثَرُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾^(١)، وقوله: (وأنتم تعلمون)

تعظيم لارتكاب الذنب، فإنه مع العلم بقبحه أعظم عقوبة، ولهذا قال بعض الحكماء:

(لأن أدع الحق جهلاً به، أحب إلي من أن أدعه زهداً فيه، ولأن أترك جميع الخير جهلاً به أحب

إلي من أن أفعل أقل الشر)^(٢)، بعد المعرفة بقبحه).

وقد تقدم الكلام في الحق، فأما الباطل: فالإثبات له عند الفحص عنه، والحق يناقضه، وذلك عام

في الاعتقاد والمقال والفعال. ولذلك قال الشاعر:

لَقَدْ نَطَقْتُ بَطْلاً عَلَى الْأَقَارِعِ^(٣)

فاستعمله في القول، وفي الآية حث على تجنب الشر والنهي عن كل تلبيس وتمويه وإن كانت

الآية وازدة فيمن آمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض، وجَحَنُوا صفة النبي ﷺ وقول ابن عباس

-رضي الله عنهما: [لا تَخْلُطُوا الصِّدْقَ بِالْكَذِبِ وقول بن زيد]^(٤) لَا تَخْلُطُوا الْحَقَّ الَّذِي هُوَ التَّوْرَةُ

بِالْبَاطِلِ الَّذِي كَتَبْتُمُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، فإشارة إلى بعض ما يقتضيه عموم الآية.

١- سورة البقرة : الآية (١٨٨).

٢- في (١ - ص) شر .

٣- هذا عجز بيت للناطقة الديباني وتماه :-

لقد نطقت بطلا على الأقارع

لعمري وما عمري علي بهين

وهو من قصيدة مطلعها :-

فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

عفا نو حسا من فرتني فالقوارع

وهو من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه ، ويهجو مرة بن ربيع بن قرين.

وهو في ديوان الناطقة - ص ١٢٤ .

٤- ساقطة من (١ - ص).

قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (الآية ٤٣) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام في إقامة الصلاة، فأما الزكاة، فأصلها من: "زَكَا الزَّرْعُ"، فهي بالنظر، العامي: تثميرُ المَالِ باستِجْلَابِ تَرْكَةِ اللَّهِ - عز وجل -، وبالنظر الخاصي: تَثْمِيرُ النَّفْسِ، وهو تَطْهِيرُهَا بِإِخْرَاجِ الْحَقُوقِ مِنَ الْمَالِ. والتركية قد تقال في المقال، نحو: "زَكَيْتُ فُلَانًا"، وعلى ذلك قوله: ﴿فَلَا تَزْكُرُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١)، وذلك نهْيٌ عن الثناء على النفس، فإنه من المستقبح بالعقل والشرع، ولذلك قيل لحكيم:

مَا الَّذِي لَا يُحَسِّنُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا؟ فقال: مَدَحُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ. وقد تقال التزكية في الفعال، وهي ما يقتضي تطهير النفس المدعو إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢).

وقلما حث الله تعالى على إقامة الصلاة، أو مدح بها، إلا قرن بها إيتاء الزكاة، فبهما يتم الإيمان، وعليها دل قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٣)، وقوله: (ارْكَعُوا) حثٌ على الخُضُوعِ وتَذَرِيعِ الْخُشُوعِ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ - حثاً على مراعاة الجماعات في الصلوات والاجتماع مع المؤمنين في كل مأمور به نحو قوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤)، ولذلك قال: (مَعَ الرَّاكِعِينَ).

١ - سورة النجم : الآية (٣٢).

٢ - سورة البقرة : الآية (٢٢٢).

٣ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٤ - سورة آل عمران : الآية (١٠٣).

قوله - عز وجل :

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

الآية (٤٤) - سورة البقرة.

البر: التوسع في أفعال الخير، بدلالة ما قاله -عليه السلام- وقد سأل أبو ذر عن البر، فتلا عليه قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ الآية إلى قوله : ﴿أَوْ لِكِ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١).

فذكر جملة أفعال الخير، فرائضها، ونوافلها، ومكارم الأخلاق كلها^(٢).

فالبر في ثلاث:

بر في معاملة الله تعالى وعبادته، وبر في معاملة الأقارب ومراعاة حقوقهم، وبر في معاملة الأجانب^(٣) وإنصافهم. واشتقاقه من البر الذي هو الفضاء والسعة، ولهذا وُصف المؤمن بسعة الصدر، والكافر بضده، نحو قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(٤)..
الآية، فسُمي براً...

وقد وُصف الله تعالى بالبر كما وُصف به العبد، يقال: برَّ العبد ربَّه، أي أطاعه، على ذلك قول الشاعر:

.. يَبْرُكُ النَّاسُ وَيَفْخَرُونَكَ^(٥)

والله -عز وجل- برَّ عبده، أي وسَّع عليه إحسانه، ويقال: "أبرَّ فلان على فلان" أي تقدَّمه ببر،

١- سورة البقرة : الآية (١٧٧).

٢- في (١-ص) جلها .

٣- في (و- ج) الأقارب وهو تصحيف .

٤- سورة الأنعام : الآية (١٢٥).

٥- هذا عجز بيت وشطره :

لَا هُمْ رَبٌّ إِنْ بَكَرُوا نَوَكَ . يَبْرُكُ النَّاسُ وَيَفْخَرُونَكَ

وهو في تفسير القرطبي بدون نسبة ج: ١ - ص ٣٦٨ .

أَي سَعَةٍ مِنَ الْمَكَانِ، وَعَلَى هَذَا قَالُوا: بَيْنَهُمَا بَوْنٌ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَتَمَّ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ . . . وَبَيْنَ الْمَرَّاجِي (١) نَفْتَفُ مُتَبَاعِدُ (٢)

وَالنَّسِيَانُ: زَوَالُ الشَّيْءِ عَنِ الْحِفْظِ، فَهُوَ ضَرِيانٌ :

انفعال بغير فعل من صاحبه، وهو المعفو عنه بقوله -عليه السلام- «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ» (٣)

وأنه قال بفعلٍ من صاحبه، وهو أن يترك مراعاة المحفوظ حتى يذهب عنه، وهو المذموم بقوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (٤)، وقال عليه السلام:

«مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ نَسِيَهُ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ أَجْذَمُ» (٥)، ولما ورد هذا الخبر عن النبي - عليه السلام - كره ابن مسعود -رضي الله عنه أن يقول القائل: «نَسِيتُ آيَةً كُنْتُ وَكُنْتُ»، وقال:

لَتَقُلْ: «أُنْسِيتُ»، وَمَنْ جَعَلَ الْإِنْسَانَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَصْلُهُ عِنْدَهُ: «نَسِيَانٌ»، بِدَلَالَةِ: «أُنْسِيَانٌ» فِي تَصْغِيرِهِ، وَمَعْنَى تَلَاهُ: تَبِعَهُ، وَالتَّلَاوَةُ فِي الْقُرْآنِ إِتِّبَاعُ اللَّفْظِ اللَّفْظَ، أَوْ: إِتِّبَاعُ اللَّفْظِ بِتَدْبِيرِ الْمَعْنَى، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُزْمَنُونَ بِهِ﴾ (٦)، وَالْعَقْلُ: أَصْلُهُ الْمَنْعُ الشَّدِيدُ، وَمِنْهُ: «عَقَلَ الْبَعِيرُ»، وَالْعَاقُولُ: الدَّوَاءُ يُمْسِكُ الْبَطْنَ، وَالْعَقِيلَةُ لِلنَّفْسِ (٧) الْمَمْنُوعِ عَنِ الْإِخْرَاجِ، وَالْمَعْقَلَةُ، وَالْعَقَالُ، وَاعْتَقَلَ لِسَانَهُ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى «الْعَقْلَ» بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ: «الْعَقْلُ، وَالنَّهْيُ، وَالْحَجَرُ، وَاللَّبُّ» وَذَلِكَ بِأَنْظَارٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَأَكْثَرُهَا ذِكْرُ الْعَقْلِ، وَذَلِكَ لِعَقْلِهِ عَمَّا يَقْبِحُ وَعَلَى مَا يَحْسُنُ، وَالنَّهْيُ: لِكُونِهِ نَاهِيًّا عَنِ الْقَبَائِحِ، وَالْحَجَرُ: لِجَعْلِ صَاحِبِهِ فِي حَجَرٍ عَمَّا لَا يَحْسُنُ، وَاللَّبُّ: لِكُونِ ذَلِكَ الْجُزْءِ مِنَ الْإِنْسَانِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى

١ - (و - ج) المرجعي وهو تصحيف .

٢ - لم أمتد إلى قائله، والنفتف هو الهواء، والمفاضة البعيدة، يقال: قطعت نفنفاً من الأرض، وهو أيضاً المكان المرتفع بينه وبين الأرض مهوى، ويقال بئرٌ بعيدة - المنفنف: بعيد ما بين أعلاها وأسفلها، والجمع نفائف ونفائف الدار أى نواحيها. المعجم الوسيط - ج: ٢ - ص ٩٤٣.

٣ - الحديث مروى عن ابن عباس ونصه أن النبي ﷺ قال: «رفع الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» أخرجه أبو القاسم التميمي في فوائده ورجاله ثقات غير أن فيه انقطاعاً، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج: ١١ - ص ١٣٣، والدار قطنى في سننه ج: ٤ - ص ١٧١، وابن ماجه في سننه ج: ١، ص ١٥٩، وأخرجه الحاكم في المستدرک ج: ٢، ص ١٩٨ وانظر كشف الخفاء للعجلوني ج: ٢، ص ١٣٥، وأورده الراغب في المفردات ص ٢٨٧.

٤ - سورة طه: الآية (١٢٦).

٥ - هذا الحديث مروى عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ «ما من إمري يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله أجزم» رواه المنذري في الترغيب والترهيب في باب «الترهيب من نسيان القرآن بعد تعلمه» - وقال المنذري: رواه أبو داود عن يزيد بن أبي زياد وعن عيسى بن فائد عن سعد. الترغيب والترهيب - ج: ٢، ص: ٢١٢، ٢١٣.

٦ - سورة البقرة: الآية (١٢١).

٧ - (و - ج) للمعفين، وهو تحريف.

تسائر أجزائه، كَلَّبُ الشئِ إلى أجزائه، وهو أشرف أسمائه، وقد ذمهم^(١) الله تعالى في هذه الآية بغاية ما يُذَمُّ به المتصدي للوعظ بغير الحق، وذلك أن الواعظ من الموعوظ يجري مجرى المظلة من الظل، والطابع والمطبوع، ومحال أن تَعَوَّجَ المظلة، وَيَسْتَوِي^(٢) ظلُّها، أو يمكن للطابع أن يوجد في مطبوعه أَحْسَنَ ما في طبعه.

ولهذا قيل: "كفى بالمرء تهزياً أن يعظ غيره وينسى نفسه، ولأن المدعي لمصلحة هو يتجنبها إما كاذب في دعواه، وإما خبيث النفس، وكلاهما لا يقبل قوله، فإذا: حق الإنسان أن يبدأ بنفسه فيما يعظ به غيره، حتى يكونَ وَأَعْظاً بِفَعْلِهِ كَوَعْظِهِ بقوله.

وروي أن رجلاً أتى ابن عباس [رضي الله تعالى عنهما]^(٣) فقال: "إني أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، فقال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فافعل.

قوله تعالى: **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**^(٤)، وقوله تعالى: **لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**^(٥)، وقول شعيب: **﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾**^(٦)، وقد أتبع الله ذمهم بحكمين حقق غيرهم أحدهما، قوله: (وأنتم تتلون) أي: تتدبرون التوراة، والثاني: قوله: (أفلا تعقلون) - تنبيهاً - أن الجامع للعقل ومتبع الكتاب ليس من حقه أن يأمر الغير بما لا يفعله، فذلك منبئ عن الجهل، فصارت الآية بما عقيبت أبلغ من معنى قول الشاعر:

لَأَتْنَهَ عَنْ خَلْقٍ وَتَأْتِي بِمِثْلِهِ . ^(٧) عَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ^(٨)

وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾**^(٩) مثل هذه الآية في حث الإنسان على (العناية بنفسه)^(١٠) قبل العناية بغيره، لا نهياً عن الوعظ كما تصوره بعض الناس، حتى قال هذه الآية منسوخة..

١- في (و-ج) ذم، وهو تصحيف .

٢- في (أ-ص) فيستوي .

٣- زيادة في (أ-ص).

٤- سورة البقرة : الآية (٤٤).

٥- سورة الصف : الآية (٢).

٦- سورة هود : الآية (٨٨).

٧- عجز هذا البيت ساقط من : (أ-ص).

٨- هذا البيت في خزانة الأدب ج: ٣- ص ٦١٧ ، ص ٦١٨ ، وفي المقاصد النحوية ج: ٤- ص ٣٩٣ ، ونسبه سيبويه في الكتاب للأخطل ج: ١- ص ٤٢٤ كما رواه الشنتمري للأخطل ، وذكر أنه يروى لأبي الأسود في شرح الشواهد على حاشية الكتاب - ج: ١- ص ٤٢٤ ، وورد هذا الشاهد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ج: ١- ص ٣٤ ، ص ١١٥ ، كما أورده أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ج: ١- ص ١٦٩ .

٩- سورة المائدة الآية (١٠٥).

١٠- ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ : الآية (٤٥) - سورة البقرة.

أصل الصبر: الإمساك في ضيق، ومنه: دأبٌ مَصْبُورَةٌ، والصبرة من الطعام للجمعة منه، وفي التعارف: إمساك النفس على ما يقتضيه العقل وعما يقتضيه، وذلك ضربان: صَبْرٌ عن المشتتهى، وهو العفة، وصَبْرٌ على المَكْرُوه وهو الشُّجَاعَةُ، وقيل الصبر: الصوم، لقوله عليه السلام: (صِيَامُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يَذْهَبُ كَثِيرًا مِنْ وَحَرِ الصَّدْرِ)^(١)، وتسميته بالصبر، لكونه بعضه، إذ هو إمساك الشهوة، ولهذا قال عليه السلام:

«الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ»^(٢)، والصلاة أرفع منزلة من الصبر، لأنها تجمع ضرورياً من الصبر، إذ

هي حَبْسُ الحواسِّ على العبادة، وَحَبْسُ الخواطر والأفكار على الطاعة، ولهذا قال:

﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، وَخَصَّهَا^(٣) بِرَدِّ الضَّمِيرِ إِلَيْهَا دُونَ الصَّبْرِ، وأما الصلاة

التي تُخَفِّفُ^(٤) على غير الخاشع، فإنها مُسَمَّاةٌ بِاسْمِهَا، وليس هي في حكمها، بدلالة قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٥)، ومثلها،^(٦) وقل ما ترى صلاة غير الخاشع تنهاه عن

الفحشاء والمنكر، ومثلها في رد الضمير على أحد المذكورين لاختصاص العناية به، قوله: ﴿وَأِذَا رَأَوْا

تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾^(٧)، فأعيد الضمير إلى التجارة- لما كانت سبباً انفضااض الذين نزلت

الآية فيهم، ولأنه قد تشغل التجارة عن العبادة مَنْ لَا تَشْغُلُهُ اللُّهُو، وعلى ذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٨)، لَمَّا كَانَ حَبْسُ الْفِضَّةِ عَنِ النَّاسِ أَعْظَمَ ضَرَرًا، إِذْ كَانَتْ

١- الحديث عن يزيد بن عبد الله ابن الشخير عن الأعرابي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر يذهب وحر الصدر» الحديث أخرجه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح، وأخرجه البزار عن ابن عباس، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ج: ٣ - ص ١٩٩، والمسند- ج: ٥ - ص ١٥٤، وأورده الراغب في المفردات- ص ٤٧٤، ورواه البخاري في التاريخ الكبير ج: ٧ - ص ٢٣٩ ورواه أحمد في مسنده ج: ٥ - ص ٧٧ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج: ٣ - ص ١٩٦ وأخرجه الهندي في كنز العمال ج: ٨ - ص ٦٦٤، ص ٦٦٥ حديث رقم ٢٤٦٢٨.

٢- قال العراقي رواه الترمذي وحسنه من حديث رجل من بني سليم، وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وكذلك رواه البيهقي، ولكنه زاد فيه «وعلى كل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم»، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين. للعراقي وابن السبكي والزيدي ج: ٢ - ص ٦٠٣. لأبي عبد الله محمد الحداد.

٣- في (و-ج) وخصتها وهو تصحيف.

٤- في (و-ج) يخف.

٥- سورة العنكبوت: الآية (٤٥).

٦- ساقطة من (و-ج).

٧- سورة الجمعة: الآية (١١).

٨- سورة التوبة: الآية (٣٤).

الحاجة^(١) إليها أمس، ومنعها للمضرة أجلب، [خُصاً بالضمير]^(٢)، وقوله: (كَبِيرَةٌ) أي: كبيرة القدر، أو ثقيلة على النفس، بالإضافة إلى غيرها من العبادات، إذ هي جامعة للعبادات وزائدة عليها، فإنها لا تصح إلا ببذل مالٍ ما جار مجرى الزكاة فيما يستتر به العورة، ويظهر به البدن، وامتسك في مكانٍ مخصوص يجري مجرى الاعتكاف، وتوجه إلى الكعبة يجري مجرى الحج، وذكر لله ولرسوله يجري مجرى إظهار الشهادتين للإيمان، ومجاهدة في مدافعة الشيطان سارية مجرى الجهاد، ومساندة عن الأطيبين جار مجرى العموم، وفيها ما ليس في العبادات الأخر من وجوب القراءة، وإظهار الخشوع، والركوع والسجود وغير ذلك. ولهذا عظم النبي ﷺ أمرها، فكان آخر ما أوصى به عند وفاته: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»^(٣)، وجعل بقولها وما يفيض بها لسانه.

قوله - عز وجل:

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .. الآية (٤٦) سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في الظن، وأنه أعم ألفاظ الشك واليقين، وأنه اسم لما تحصل عن أمانة متى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت حداً لم يتجاوز حد الوهم، [وأنه متى قوي استعمل معه أن المشددة، وأن] «المُخَفَّفَةُ منها»^(٤)، ومتى ضعفت استعمل معه «أن» المختصة بالمدومين من الفعل نحو: «ظَنَنْتُ أَنْ خَرَجَ، وَأَنْ يَخْرُجَ» فالظن إذا كان بالمعنى الأول فمحمود، وإذا كان بالمعنى الثاني: (٥) فمذموم، والآية من المعنى الأول والمعنى الثاني كقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٧)، وعنى بقاء الله "الموت" وبالرجوع إليه "الثواب والعقاب"، وتخصيص ذكر الظن ما هنا إعلام بأنهم في كل حال لا يأمنون الموت، ولو كان بدله العلم، [لم يصح على الوجه]^(٨) الذي يصح فيه الظن، لأنك تقول: "أظن أنني أموت في كل حال، وأما قوله ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٩)، فهو نهاية في الذم، ومعناه: ألا تحصل لهم أمانة تنبههم على التفكير في ذلك -تنبيهاً

١- ساقطة من (١ - ص).

٢- ساقطة من (و-ج).

٣- قال العراقي الحديث مروي عن أنس عن النبي ﷺ قال « الصلاة وما ملكت أيمانكم - الصلاة وما ملكت أيمانكم » رواه أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجه وابن سعد وابو يعلى وابن حبان والطبراني والضياء ورواه ابن سعد والطبراني من حديث ابن عمر وحديث أم سلمة وتخريج أحاديث الإحياء للعراقي وابن السبكي والزيدي حديث رقم ٣٩٧٩ من ٢٥٥٠ - ص ٢٥٥ .

٤ - ساقطة من (و-ج) .

٥ - في (و-ج) وبالمعنى الثاني .

٦ - سورة البقرة : الأيتان : (٧٨)، سورة الجاثية : الآية (٢٤).

٧ - سورة النجم : الآية (٢٨).

٨ - (و-ج) لم يصح الوجه.

٩ - سورة المطففين : الأيتان (٤ ، ٥).

أن هذا لا محالة ممّا تبين أمارته للإنسان إذا تأمل، أدنى تأمل، وخاطب بالآيات عماء بني إسرائيل
الأميرين غيرهم بالبر، الناسين أنفسهم بأن "استعينوا في مدافعة هذه الحال بالصبر والتوصل به إلى
الصلاة، فيها يصير الإنسان خاشعاً ملتزماً للحق ممن ظهر منه.

وقوله - عز وجل :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

الآية (٤٧) سورة البقرة.

الفضل: كالزيادة، إلا أنه أخص منها، وهو من الأسماء المتضايقة، كالكثير، والقليل، والكبير،
والصغير، ويستعمل على اعتبارين: أحدهما: اعتباراً بالطرف الذي هو النقص، وذلك يستعمل على
سبيل المدح، والثاني: اعتباراً بالوسط الذي هو العدل والسوء، ويستعمل ذلك على وجهين: أحدهما:
الزائد على العدالة على سبيل الاستظهار، وهو السماح والإسماح ببعض ما لا يجب عليه، أو بترك
بعض ما لا يجب له، وذلك هو المعنى بالإحسان: في قوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(١)، وبالإضافة في قوله: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾^(٢)،

وإياه عنى بقوله: ﴿ وَلَا تَسْرِوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾^(٣)، والثاني: الإفراط الجاري في الذم مجرى التفريط،
كالإسراف والتبذير المنهي عنه بقوله: ﴿ وَلَا تَسْرِفُوا ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ وَلَا تَبْذِرُوا ﴾^(٥)، والمعبر عنه
بقول العامة: "الزيادة على الكفاية نقصان"، وأكثر ما يعبر عنه بالفضلة والفضالة فالزيادة على الاعتبار
الأول فضيلة، وهو استظهار في العدالة، وعلى الاعتبار الثاني رذيلة، وهو ترك العدالة، والتفضيل:
يستعمل على وجهين، إما بمنحة خص المفضل بها نحو قوله: ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا
تَفْضِيلًا ﴾^(٦)، فإن ذلك أمور خص بها بنو آدم ابتداءً، وأما الحكم للمفضل بالمفضل الحاصل منه، نحو
قوله: ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٧)، فالأول: يجب على العبد به الشكر، إذ
هو مدح له، وليس له به حمد، والثاني: يجب له به حمد، ويستحق به الثواب، وأما العالمون: فقد تقدم
الكلام فيه، وأنه تارة يُقال لجميع ما أوجده الله تعالى من الفلك، وما يحويه عالم بلفظ الأفراد، وتارة

١ - سورة النحل : الآية (٩٠).

٢ - سورة يونس : الآية (٢٦).

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٣٧).

٤ - سورة الاعراف : الآية (٣١).

٥ - سورة الإسراء : الآية (٢٦).

٦ - سورة الإسراء : الآية (٧٠).

٧ - سورة النساء : الآية (٩٥).

يقال لكل جنس نوع من الموجودات عالم وتارة يقال لأهل كل زمان عالم وتارة يُقال لكل إنسان في نفسه عالم، وذلك يقال على وجهين: أحدهما: إن الإنسان الواحد هو كالعالم في تخصيصه بمثال كل ما هو موجود في العالم والثاني: يقال ذلك للفاضل الكامل من الرجال، وبهذا النظر قال الشاعر:

فَوَاحِدُهُمْ فِي الْوَدَى عَالَمٌ^(١)

إن قيل كيف قال: فضلتكم على العالمين وقد قال تعالى لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٢) الجواب: أن التفضيل الذي ذكره الله تعالى هو الفضيلة التي خص بها بنو آدم، المعنية بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٣) الآية. وبنو إسرائيل وإن كان قد شاركهم غيرهم في هذه النعمة، فإنهم لما نسوا نعم الله تعالى خُصُّوا بالنداء لتذكيرهم، كقولك: "يا فلان نسيت نعمة الله عليك"، وقد تقدم أنه ربما يُخصُّ بالمخاطبة^(٤) لتذكيرهم بعض المعنيتين بالحكم، لأنه أرفعهم منزلة، أو لأن العناية به أكثر، أو لأن ذكره بالموضع المقصود إليه أليق، وقيل: عنى بهذه الفضيلة فضيلة خُصُّوا بها، وهي ما أُعْطُوا من المَنِّ والسلوى وإِظلالهم بالغمام، وألحَجِرِ الذي تفجَّر منه الأنهار، وغير ذلك، وقيل: إنه جعل كل فرقة أو كل نفس في زمانهم عالماً، وذكر أنه فضلهم على غيرهم ممن في زمانهم، وقيل: إن ذلك بمارشحهم له من الإيمان بالله ورسوله والأعمال الصالحة، فإن من فعل ذلك كان هو المفضل على العالمين، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٥).

إن قيل: كيف قال ذلك وهذه النعم كانت على أسلافهم؟ قيل: قد قال بعضهم: لما ذكر الله تعالى ذلك في التوراة على سبيل الخطاب، أعاد اللفظ على الحكاية، وقيل: "النعمة على الإنسان ضربان": نعمة تصل إليه من المنعم بلا واسطة، ونعمة تصل إليه من المنعم بواسطة، أو بوسائط وذلك كتسخير الله من يزرع لنفسه زرعاً يصل إلينا نفعه على بعض الوجوه، فهذا الزارع^(٦) منعم علينا، وعلى هذا قيل: إن الله تعالى منعم على كل واحد منا بأكثر ما يتعاطاه الناس من أعمالهم^(٧) من المهن والصنائع المرفقة لأنفسهم، ونحو هذه الآية قول الله -عز وجل- ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدٌ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٨) وأعاده قوله:

١ - لم أمتد إلى قائله.

٢ - سورة آل عمران: الآية (١١٠).

٣ - سورة الإسراء - الآية (٧٠).

٤ - في (١ - ص) بالخطاب.

٥ - سورة البينة: الآية (٧).

٦ - في (و-ج) الزراع، وهو تصحيف.

٧ - ساقطة - من (١ - ص).

٨ - سورة المائدة: الآية (٢٠).

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾، فلان الأول: حثُّ على استبقاء نعمته بالوفاء بعهد، والثاني: لِتَبَيَّنَهَا ^(١) بتفضيلهم على العالمين.

قوله - عز وجل :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَفَعًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُصْرَوْنَ ﴾ .. الآية (٤٨) سورة البقرة.

الجزاء، والمكافأة، ^(٢) والمقابلة متقاربة، لكنَّ الْجَزَاءَ أَعْمُّهَا، لأن المكافأة: يعتبر فيها المماثلة والمقابلة: يراعى فيها الْمُجَازَاةُ، والجزاء لا يراعى فيه شيء من ذلك، ويُقَالُ: جَزَاهُ "بلا همزة"، يجزيه، أو "أجزأه" بالهمزة، ففي الجزاء معنى العناء، والقَبُولُ تناولُ المقبل، ومنه القابل: المتناول الدلو، وأصل ذلك من قَبِلَ وقُبِلَ، فقبِلَ يستعمل في المتقدم المنفصل، ويضادُّه بَعْدَ، وقَبِلَ: في المتصل، ويضاده: دَبَرَ، وقد جُعِلَ كنايةً عن السَّوْعَتَيْنِ، ويقابل الْقَبُولَ الرَّدُّ. والشَّفَاعَةُ: جعل الفرد شفعا ^(٣) يُقَالُ: شَفَعْتُ لَهُ، أي صِرْتُ شَفَعًا لَهُ بانضمامي إليه، وعُبرَ عن انضمام إلى غيره في طلب ما "شَافِعُ"، وعلى ذلك قول الشاعر:

لَهُ مِنْ عَنُوِّ مِثْلُ ذَلِكَ شَافِعٌ ^(٤)

ومنه الشَّفَعَةُ، وأصلها ضَمُّ مَلِكٍ إِلَى مَلِكِهِ، وَشَفَعَهُ بِهِ، وَالْعَدْلُ: التسوية، يُقَالُ: عدلته، وانعدل، وعدلته، فاعتدل، وعدل الشيء مساويه بلا إفراط ولا تفريط، وأكثر ما يقال في المساوي من حيث الحكم نحو قوله - عز وجل:

﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ ^(٥)، وَالْعَدْلُ: يُقَالُ فِي الْمَسَاوِي ^(٦) فِي الْكَمِيَةِ فِي الْوِزْنِ وَالْكَيلِ، وَقِيلَ الْفِدَاءُ: الْعَدْلُ إِذَا اعْتُبِرَ فِيهِ مَعْنَى الْمَسَاوَاةِ، وَقَوْلُهُمْ: «لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ» ^(٧).

١ - في (و - ج) لتبينها ٢ - في (أ - ص) والمكافآت ٣ - في (أ - ص) ضم الشيء إلى مثله .

٤ - هذا عجز بيت للنايفة الذبياني وتامه : -

أتاك امرؤ مستبطن لي بغضه له من عنو مثل ذلك شافع

وهو من قصيدة مطلعها :-

عفا لوحسًا من فرتني فالقوارع فجنبنا أريك فالتللاع النوايع

وهو في ديوان النايفة - ص ١٢٤ .

٥ - سورة المائدة : الآية (٩٥) .

٦ - في (أ - ص) للمساوي .

٧ - هذا جزء من حديث من أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس ، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً) أخرجه أبو داود في سننه في الأدب برقم (٥٠٠٦) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب فيه انقطاع . الترغيب والترهيب ج : ١ ص ٦٩ ، وأورده الراغب في المفردات ص ٤٨٢ ، ٥٥٢ ، وهذا الحديث أيضاً مروياً عند البخاري والفظه : (المدينه حرام ما بين غير إلى ثور ، فمن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه حرف ولا عدل) أخرجه البخاري في الجهاد وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج : ٦ ص ٢٠٠ ، وأخرجه مسلم في الحج برقم : ١٣٧٠ .

وتفسيرهم بأن العدل: الفريضة، والصرف: النافلة، فمن حيث أن العدل هو المساواة، وتعاطيه واجب، والصرف: الزيادة الحاصلة عن التصرف، وتعاطيه تبرع وهما كالعدل والإحسان، والنصرة أخص من المعونة، فإنها تختص بدفع الشر والظلم، وقيل أرض منصورة: إذا أتاها المطر بعد طول مدة، والقصد بالآية التقوى من يوم لا يكفي أحد أحداً. وقد أعاد تعالى هذا المعنى في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾^(١).

وقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾^(٣)، تنبيهاً أن لكل واحد ما يستصحبه من الإيمان والأعمال الصالحة، كما قال: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٤)، إن قيل: كيف قال ذلك، وقد أثبتت الشفاعة في غير آية، قيل: هذا ردُّ على اليهود فيما ادعوه حيث قالوا: «نحن أبناء الأنبياء وهم يشفعون لنا وإن ارتكبنا (ما ارتكبنا)»^(٥)، فنبه على أنه ليس لهم شفاعة كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٧)، والضمير من قوله عز وجل ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ راجع إلى النفس الأولى وقيل أنه أيضاً أنه راجع إلى الثانية، وفي قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ راجع إلى الثانية لا محالة، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، أي ليس لهم من ينتصر من الله تعالى بأن يمنعهم من عذابه إشارة إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا أَنْ لَتُفْلَكِهِمْ أَنْهُمْ سَافِلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾^(٨)، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾، قيل: معناه: ﴿لَا تَجْزِي﴾ فيه، فحذف، وهو قول الكسائي، وقال البصريون: وصل الفعل إليه.

فنصبه نحو قول الشاعر :

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرًا^(٩)

ثم حذف الهاء كحذفه من "الذي ضربت". وحقيقة الخلاف أن ما يقدر الكسائي حذفه بدفعة يقدره البصريون بدفعتين، ولا خلاف أن الأصل كان في ذلك فيه وأنه لا يطرد في كل مكان حذف الجار مع المجرور.

- | | |
|----------------------------------|------------------------------------|
| ١- سورة الدخان : الآية (٤١) . | ٢ - سورة عبس : الآيتان (٣٤ ، ٣٥) . |
| ٣ - سورة لقمان : الآية (٣٣) | ٤ - سورة النجم : الآية (٣٩) . |
| ٥ - ساقطة من (١-ص) . | ٦ - سورة طه : الآية (١٠٩) . |
| ٧ - سورة الأنبياء : الآية (٢٨) . | ٨ - سورة الصافات الآيتان (٢٤ ، ٢٥) |
| ٩- هذا صدر بيت وتماه :- | |

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرًا قليل سوى الطمن النُّهال نواظه

والبيت .. قائله رجل من بني عامر كما في الكتاب ج : ١ - ص ١٧٨ ، والبيت من غير نسبة في المقتضب ج : ٣ - ص ١٠٥ والكامل ج : ١ - ص ٣٣ ، والشعر - ص ٤٥ ، وشرح الحماسة ص ٨٨ ، والمقرب ج : ١ - ص ١٤٧ ، والتبصرة ص ٣٠٨ ، ٥٢٩ ، ومجمع الأمثال ج : ١ - ص ١٢ ، والمغني ص ٥٠٣ ، وشرح ديوان المتنبي المنسوب خطأ إلى العكبري ج : ١ - ص ٢٩٩ ، وإعراب القرآن المنسوب خطأ إلى الزجاج ص ٤٥٠ ، وشرح أبيات المغني ج : ٧ - ص ٨٤ ، واللسان (جزئ)، وأورده ابن الشجري في أماليه ج : ١ - ص ٧ تحقيق د/محمود الطناحي - كذلك أورده أبو على الفارسي في كتاب الشعر ج : ١ - ص ٤٥ ، وهو في (١ - ص) ويوماً شهدناه سليماً وعامراً.

قوله - عز وجل : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ الآية (٤٩) سورة البقرة..

أصل النجاء: طلب الخلاص، ويقال لمن عدا نجا، لكون العدو أحد أسباب التخلص، فإن الله تعالى جعل للحيوانات قوتين تزيل بهما الأذى، قوة بها تهرب مما يؤذيها، وقوة بها تدفع ما يؤذيها، فمن الحيوانات ما يختص بأحديهما، ومنها ما جعلتا جميعاً له، فإذا: العدو أحد أسباب الخلاص، فصيحٌ أن يُعبَّرَ عنه به، وقيل: (نجا فلان)، إذا ألقى ثوبه وذلك استعارةً له، كما استعير إلقاء الثوب للعدو في نحو قولهم: "ألقى بزه" وخلق ثوبه، وعلى ذلك قوله:

الْقَيْتُ لَيْلَةَ خُبْتِ الرَّهْطِ أُرَاقِي^(١)

وسميت الربوة "نَجْوًا" اعتباراً بأنه منجى من السيل وكثير من الآفات التي تكون في الوهاد، وكنى عن العذرة الملقاة بالنجو إما اعتباراً بأنه خلاص من الأذى، أو كنايةً عنه بالنجو، كما كنى عنه بالغائط ولما اعتقد في السر أنه خلاص من الوُشَاةِ والعِدَاةِ سُمِّيَ بِنَجْوَى، وبهذا النظر قال الشاعر:

وَتَجْعَلُ نَجْوَانَا نَجَاةً مِنَ الْعِدَا..^(٢)

والآل : قيل هو مقلوب عن الأهل، كالماء عن الموه، وَيُصَغَّرُ على أهَيْلٍ، كما أن الماء مُصَغَّرٌ^(٣) على مُوَيْهٍ، إلا أنه خُصَّ بالإضافة إلى أعلامِ النَّاطِقِينَ دُونَ النَّكِرَاتِ ودُونَ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ، يُقَالُ: "آلُ فُلَانٍ"، وَلَا يُقَالُ: آلُ مَكَّةَ، وَزَمَانُ كَذَا: هُوَ إِسْمٌ لِلشَّخْصِ، وَيُصَغَّرُ عَلَى "أَوَيْلٍ"، وهو قول الكسائي، وَيُسْتَعْمَلُ فِيمَنْ اخْتَصَّ بِالْإِنْسَانِ اخْتِصَاصَ ذَاتِهِ بِهِ إِمَّا بِقَرَابَتِهِ قَرِيبَتُهُ^(٤)، أَوْ بِمُوَالَاةٍ دِينِهِ، أَوْ كَالدِّينِيَّةِ، فَقَدْ أُجْرِيَ الْمُوَالَاةُ الدِّينِيَّةُ مَجْرَى الْقَرَابَةِ وَاللُّحْمَةِ حَتَّى قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٥).

١ - هذا عجز بيت لتأبط شرأ ثابت بن جابر وتماه :-

القيت ليلة خبت الرهط أرواقي
نحوت منها نجائي من تحيلة إذ

ديوان تأبط شرأ ثابت بن جابر.

٢ - في (و - ج) يصغر مويه.

٣ - بحث عنه فلم أجده.

٤ - سورة المائدة : الآية (٥١).

٥ - ساقطة من (أ - ص).

وقال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(١)، وقال في نوح وابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٢)،

والاختصاص المذكور قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾^(٣)،

والاختصاص^(٤) الآل بما قلنا، قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٥)، وقال هذا القائل: أهل

الدين من النبي -عليه السلام- ضربان: ضربٌ يتخصص منه بالعلم المتقن والعمل المحكم، فيقال لهم:

آلُ النَّبِيِّ، وضربٌ يتخصص منه بالعمل على سبيل التقليد دون العلم المتقن، ويقال لهم أمة، فكلُّ آل

النَّبِيِّ أُمَّتُهُ، وليس كلُّ أُمَّتِهِ آلُهُ، وقيل لجعفر بن محمد: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ آلُ النَّبِيِّ، فقال:

كَذَبُوا وَصَدَقُوا، قيل: فما معنى كَذَبُوا وَصَدَقُوا؟ قال: كَذَبُوا: أَنْ النَّاسَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ

التقصير في دينهم هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ، وَصَدَقُوا: أَنَّهُمْ آلُهُ إِذَا قَامُوا بِشَرِيطَةِ شَرِيعَتِهِ، فَمِنْ ضَيْعِ الشَّرِيطَةِ،

فَلَيْسَ مِنْهُ وَإِنْ قَرُبَ نَسَبُهُ، وَمَنْ حَافِظٌ عَلَى شَرِيطَتِهِ فَهُوَ مِنْهُ وَإِنْ بَعْدَ نَسَبِهِ، وَالسَّوْمُ: أَصْلُهُ الذَّهَابُ فِي

إِبْتِغَاءِ الشَّيْءِ، فَهُوَ لَفْظٌ لِمَعْنَى مَرْكَبِ الذَّهَابِ وَالِابْتِغَاءِ فَإِنَّهُ جَرَى مَجْرَى الذَّهَابِ، فَقِيلَ: "سَامَ الْإِبِلَ"،

فهي سائمةٌ إِذَا زَهَبَتْ فِي الْمَرْعَى، وَ"سَمَتَهُ كَذَا"، كَقَوْلِكَ نَعِيْتَهُ كَذَا، وَمِنْهُ السَّوْمُ فِي الْبَيْعِ، فَعَدَى تَعْدِيَتَهُ

وَالسَّوْمُ: يَتَنَاوَلُ كُلُّ مَا يَسُوءُ الْإِنْسَانَ مِنْ آفَةٍ وَدَاءٍ، وَيُقَالُ: السَّوْمُ وَالسَّوْءُ، أَي: نَحْوَ الْحَسَنِ وَالْحَسَنِ،

وَعَلَى سَبِيلِ كَرَاهِيَةِ ذِكْرِ الْفَرْجِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ، كُنِيَ عَنْهُ بِالسَّوْمَةِ، وَكَذَا كُنِيَ عَنِ الْبَرَصِ بِهَا، وَسُوءُ

الْعَذَابِ: أَيِ شِدَّةِ الْعَذَابِ، وَالذَّبْحُ أَصْلُهُ شَقُّ الْأَوْدَاجِ، وَقِيلَ: ذَبَحَتِ الْفَارَةُ الْنَافِجَةَ عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ،

لِمَا شَبَّهَ ذَلِكَ الْوَعَاءَ بِفَارَةٍ فَسُمِيَ بِهَا، وَالذَّبَاحَةُ: دَاءٌ كَأَنَّهُ يَذْبَحُ بِشِدَّتِهِ وَكَوْنِهِ فِي الْمَذْبَحِ، وَخَصَّتْ سَنَا

يَكْثُرُ فِي الْأَدْوَاءِ، نَحْوُ: خَرَاةٍ تَخْصِيصِ التَّذْبِيحِ دُونَ الذَّبْحِ تَنْبِيْهُاً عَلَى كَثْرَةِ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَالِاسْتِحْيَاءُ:

كَالِاسْتِبْقَاءِ، وَهُوَ تَحَرِّيُّ طَلَبِ الْحَيَاةِ فِيْهِنَّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يَبْتَغُونَ مَا فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ مُشْتَقاً مِنْ

١ - سورة إبراهيم : الآية (٢٦).

٢ - سورة هود : الآية (٤٦).

٣ - سورة آل عمران : الآيتان: (٣٣، ٣٤).

٤ - في (و - ج) والاختصاص.

٥ - سورة غافر : الآية (٤٦).

الحيا، أي الفرج، والبلاء أصله من قولهم: بلى الثوب بلى، وبلاءً، وقيل "بلوت فلان" أي أخبرته كأي خلقته من كثرة اختباري له، ولهذا قيل: "لَبِستُ فلاناً"، أي: خبرته، وسمي الغم بلاءً من حيث أنه يُبلى الجسم، وسمي التكليف بلاءً من أوجه، الأول: أن التكليف كُلُّها مَشَاقٌ على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاءً، والثاني: أن التكليف اختبارات، وكذلك^(١) قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾^(٢)، وقال: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾^(٣)، ونحو ذلك، والثالث: أنه لما كان اختبار الله تعالى لعباده تارةً بالمسار ليشكروا، وتارةً بالمضار ليصبروا، صارت^(٤) المنحة والمحنة جميعاً بلاءً، فالمحنة: مقتضية للصبر والمنحة: مقتضية للشكر، وكأن القيام بحقوق الصبر أيسرُ من القيام بحقوق الشكر لما بيناه في كتاب: (شرف التصوف)، فصارت المنحة أعظم البلاء، وبهذا النظر قال أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه وكرم الله وجهه: «مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ»^(٥) في دنياه، ولم يعلم أنه مُكْرَبٌ به، فهو مَخْدُوعٌ عن عقله»^(٦) والرابع: أنه رَبُّ مِحنةٍ تعقبُ مِحنةً، ومحنة تفضي إلى مِحنةٍ، ولهذا قيل: «رَبُّ مَغْبُوطٍ بِنِعْمَةٍ هِيَ دَاوَةٌ، وَمَرْحُومٍ لَشِدَّةٍ هِيَ شِفَاؤُهُ»، فإذا: من النعمة^(٧) مَا هُوَ نِقْمَةٌ ولكن البلاء متناولاً للأميرين، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾^(٨)، وقال: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(٩)، وقالوا "في الخير والشر معاً: بلاء"، فإذا أفردا قالوا [في الخير: ابتلاؤه، وفي الشر بلاءه]،^(١٠) وقال تعالى: ﴿وَلَيَبْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾^(١١)، وأما قول الشاعر:

جَزَى اللهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو^(١٢)

-
- ١- في (أ - ص) ولهذا
 - ٢- سورة محمد : الآية: (٣١).
 - ٣- سورة المائدة : الآية (٤٨)، وسورة الأنعام : الآية (١٦٥).
 - ٤- في (و - ج) ، (أ - ص) صار.
 - ٥- في (و - ج) من وسع دنياه.
 - ٦- أورده الزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ج: ١ - ص ٤٥ ، كما أورده الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز ج: ٢ ص ٢٧٤ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٤٦ ، ٧٧٢ .
 - ٧- في (و - ج) النعمة، وهو تحريف.
 - ٨- سورة الأعراف : الآية (١٦٨).
 - ٩- سورة الأنبياء : الآية (٣٥).
 - ١٠- في (أ - ص) في الخير ابتلاه، وفي الشر ابتلاه.
 - ١١- سورة الأنفال : الآية (١٧).
 - ١٢- في (و - ج) وكلاهما خير البلاء الذي يبلى جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم
- والبيت لزهير بن أبي سلمى وهو أحد الشعراء الجاهليين وأحد أصحاب المعلقات ، والبيت في ديوانه ص ٦١ ، وفي تفسير القرطبي ج: ١ - ص ٣٨٧ ، وفي تفسير الماوردي ج: ١ - ص ١٠٥ ، وفي تفسير البحر المحيط ج: ١ - ص ١٨٩ .

فمعناه: أَعْطَاهُمَا اللهُ خَيْرًا فيما يمنحهما به، وجعل لهما بدل المكروه محبوباً، فقوله: ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ راجع إلى الأمرين إلى المنحة التي هي الإنجاء من آل فرعون المقتضية للشكر، وإلى المنحة التي هي ذُبْحُهُمْ وَاسْتِحْيَاؤُهُمْ لِلنِّسَاءِ الْمُقْتَضِيَةِ الصَّبْرِ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١) فإذا صح ذلك، فقول مجاهد وابن جريج: أنه أراد في إنجائكم منهم نعمة، نظرمنها إلى مبدأ الآية، وهو قوله: ﴿أَنجَيْنَاكُم مِّن آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٢)، وقول مقاتل: «أراد في قتل الأولاد واستحياء النساء شدة نحو قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُرَ الْبَلَاءِ الْمُبِينُ﴾»^(٣)، نظر منه إلى منتهى الآية، وهو قوله: ﴿يَذَبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، وكلا القولين صحيح، وقول السدي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أراد بقوله: "بلاء" أي نعمة أو نقمة تصريح أن الأمرين مرادان وليس قوله (أو) ههنا شكاً منه كما ظنه بعض المفسرين، وقال إن ذلك شك من السدي، بل ذلك رواية عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- تنبيهاً منه أن النعمة والنقمة في هذه الجملة حاصلتان، وكل واحد منهما موجود فيها، وفي الآية تذكير لهم بما أولاهم من النعم في إنقاذهم من آل فرعون [وما كانوا يسومونهم من العذاب، وكان الأصل فيما روى أن فرعون]^(٤) رأى في المنام، أو قال له الكهنة: سيولد في هذا العام مولودٌ يذهب بِمُلْكِكَ، فجعل على كل عشرٍ من النساء رجلاً، فقال: انظروا إلى كل امرأة ولدت، فإن كان ذكراً، فاقتلوه، وإن كان أنثى فأبقوه، وكان ذلك أعظم للرزية كما قال الشاعر:

وَمِنْ أَعْظَمِ الرِّزْيَةِ فِيمَا أَرَى بَقَاءَ الْبَنَاتِ وَمَوْتَ الْبَنِينَ^(٥)

وقيل كان ذُبْحُهُمْ لِلْأَبْنَاءِ استخدامهم في الأعمال القذرة الجارية مجرى أعظم الذبحين القتل، والإهانة، قال: وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾^(٦)، وفيها حثٌ لنا على تذكر نعمه ومراعاتها واحدةً واحدةً، وتجديد الشكر لكل منها...

٢ - سورة الأعراف : الآية (١٤١)

٤ - ساقطة من (أ - ص) .

١ - سورة الأعراف : الآية (١٦٨).

٢ - سورة الصافات : الآية (١٠٦).

٥ - هناك بيت يشبه، ولا أدري إن كان نفسه أم لا وهو للبحراني يقول فيه:-

بقاء البنين وموت البنات

...

ومن نعم الله لاشك فيه

٦ - سورة القصص : الآية (٤).

قوله - عز وجل : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْجَمْتَآكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ . الآية : (٥٠) سورة البقرة.

الْفَرْقُ، والْفَلْقُ كالفصل، لكن الْفَلْقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ جِسْمَيْنِ، والفرق : قد يكون في الأجسام والمعاني، وفي هذه القصة قد جاء اللفظان، قال تعالى: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(١) أي كُلُّ قِطْعَةٍ مِنَ الْمَاءِ، والفرقان: كُلُّ كِتَابٍ يَفْرُقُ بَيْنَ الْأَحْكَامِ، وسمي عمر - رضي الله تعالى عنه - فَارُوقاً لِأَجْلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى لِيَهُودِيٍّ عَلَى مُنَافِقٍ، فَأَتَى عُمَرَ وَقَالَ: "إِنْ مُحَمَّداً قَضَى بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا، وَلَسْتُ أَرْضَى قِضَاءَهُ فَاقْضُ بَيْنَنَا"، فقال: أَوْ رَضِيتَ قِضَائِي؟ قال : نعم، فدخل داره، وأخرج السيف وحزَّ رأسه، فنَزَلَ جِبْرَائِيلُ -عليه السلام- وقال: (إِنْ عَمْرٍو قَدْ سَمِيَ فِي السَّمَاءِ فَارُوقاً)، والبحر: استعير للسعة، فقل: بحرت كذا أي: "وسعته كسعته"، وقيل بحرت الناقة: أي: شققت أذنهما شقاً واسعاً، والباحر: الأحمق الموسع عليه من جهة رفع حجر العقل عنه، وكأنه اعتبر في تسميته بذلك مقابلة العاقل، فقد جعل أسماء العقل كلها معتبراً فيه الضيق، والشدة، والفرق، والرسوب في المآثم شبه به غيره حتى قيل: غرق فلان في النعمة، وغرقه من اللبن أي مليء قدح، وأغرق في الشيء إذا تناهى والنظر نظران، نظر بصر، وبه يدرك المحسوسات ونظر بصيرة، وبه يدرك المعقولات، ونظر البصر كالخادم للنظر البصيرة فإن كان كلاهما سبيلاً إلى المعرفة، والنظر^(٢) أصله للمناظر، كأنه ينظر كل واحد من الناظرين إلى صاحبه في المشاكلة، وناظرته: باريته في النظر، وأنظرته: تركته ينظر فيطلب، ومعنى الآية ما ذكره في قوله ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى﴾^(٣) الآية، وفي قوله: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾^(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿فَارْحِنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.. لما كان النظر متردداً بين المحسوس الذي منه

١ - سورة الشعراء : الآية (٦٣).

٢ - في (و - ج) والنظر.

٣ - سورة الشعراء : الآية (٦١).

٤ - سورة طه : الآية (٧٧).

٥ - سورة الشعراء: الآية (٦٣).

الإبصار، والنظر المعقول الذي منه البصيرة، نظر كل واحدٍ من المفسرين نظراً ما، فقال: من نظر نظر محسوس معناه (وأنتم تشاهدونه)، فقد روى أنه أفرد لكل سبط طريق من الماء، وجعل الحاجز الذي بينه وبين الآخر مشفاً كالزجاج^(١). ينظرون منها إلى الآخرين، وقال بعضهم: قذف^(٢) الماءُ بجثث آل فرعون بعد إغراقهم إلى الشط، فكان الناس ينظرون إليهم، وعلى ذلك حمل قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾^(٣)، وقال: "مَنْ نَظَرَ نَظَرَ مَعْقُولٌ" معناه: وأنتم تعتبرون بذلك، [وقيل معناه: "وأنتم مُتَمَكِّنُونَ مِنَ النَّظَرِ، أي الاعتبار بذلك"]^(٤)، وقال بعضهم: في الآية مع إرادة هذا المعنى، أو النعمة المحسوسة التي أولاهم، إشارةً إلى معنى آخر، وإلى نعمةٍ معقولةٍ أعطاهم، فإنه أشار بالبحر إلى الشُّبِّهِ التي تُعْتَرِي^(٥) وتفرقه إلى إِرْأَلَتِهَا، وبإغراق آل فرعون إلى إبطال الكفر، وبالنظر إلى المعرفة والتمكن منها بما أولاهم من البصيرة والتمييز، وهذا الذي ذكره هذا [القائل]^(٦) صحيحٌ أنه تعالى فعله بهم اقتضاه لفظ الآية، أو لم يقتضه..

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - في (و - ج) وفي الماء، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - سورة يونس : الآية (٩٢).

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (أ - ص) يعترى.

٦ - زيادة في (أ - ص).

قوله - عَزَّ وَجَلَّ :
﴿وَأَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾

الآية (٥١) سورة البقرة..

فَرىء: "وَأَعَدْنَا" ^(١) اعتباراً بالموعود وقبوله من الواعد وعده، فكان من كل واحد منهما وعداً، هذا بالإعطاء، وذلك بالقبول، "ووعدنا" ^(٢) هو للاعتبار بالواحد دون الموعود، وعلى الثاني أكثر ما في القرآن نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ ^(٣)، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ ^(٤)، ﴿وَأَذِيعُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ ^(٥)، وتقدير أربعين ليلة انقضاؤها، كقولك: اليوم أربعون يوماً منذ خرج زيد، أي تمامها، وقيل: إنما وعدهم ذلك في الأربعين، وأن لا يتجاوز هذا القدر، وهو الأصح، وقوله: ﴿وَأَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ ^(٦) على ذلك، فإنه قيل له: يكون ذلك انقضاء ثلاثين، ثم كَانَ عند الأربعين، فلم يكن في الوعدِ إخلافٌ، وإنما كان فيه بعضُ الإبهامِ، فلهذا التبس عليهم، وذكر تعالى عظم جهلهم، وأنهم بعدما أعطوا من البينات ورشحوها لما وعدوا، تهافتوا على عبادة عجلٍ اتخذوه. وقوله: وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ: عنى به الظلم المطلق وهو الكفر، وقد تقدم الكلام في أنواع الظلم وأنها بالقول المحمل ثلاث: أعظمها الكفر، وفي الآية حثٌ على معرفة ما وعدنا الله تعالى به ومراعاته والمنع من الاشتغال عنه تعالى بشئٍ ^(٧) بغيره، وعلى هذا الوجه قال بعض الناس: كل ما شغلك عن الله فهو عجلٌ متخذٌ، وطاغوتٌ متبعٌ، وشيطانٌ مطاعٌ، ومبدأ كل ذلك اتباع الهوى، ولذلك قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ^(٨) وقال: وهذا وإن لم يكن كفراً فهو شرك، وبهذا الوجه قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ^(٩)

١- قرأ الحسن وأبو رجاء وأبو جعفر وشيبة وعيسى بن عمر وقتادة وعبدالله ابن أبي اسحق (واعدنا).

٢- قرأ أبو عمرو وعاصم الجحدري وأبو جعفر والحسن وشيبة وعيسى بن عمر وقتادة وعبد الله بن أبي إسحق وأبو حاتم وأبو عبيد ويعقوب واليزيدي وابن محيصن (واعدنا) - معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ٥٥.

٣- سورة إبراهيم : الآية (٢٢).

٤- سورة البقرة : الآية (٢٦٨).

٥- سورة الأنفال : الآية (٧).

٦- سورة الأعراف : الآية (١٤٢).

٧- في (١ - ص) بغيره.

٨- سورة ص : الآية (٢٦).

٩- سورة يوسف : الآية (١٠٦).

وقوله - عذ وجل:
﴿لَمْ عَفَرْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة الآية (٥٢)...

العفو: القصد لتناول الشيء، يقال: عفا، واعتفاه، وعفت الريح الدرامي، قصدته متناولاً منها
أثارها، ولهذا المعنى قال الشاعر:

أَخَذَ الْبَلَى آيَاتِهِ^(١) ..

وإذا قيل: "عفا فلان عن فلان"، كأنه قصد تناول شيء ما مُنصرفاً عنه، والمفعول به مترك لكونه
غير مقصود، وذلك كقولهم: ذهب عما ارتكبته، وتجاوزت عنك: أي تجاوزت إلى شيء ما وعفا النبت
والشعر، أي قصد تناول الزيادة كقولهم: أخذ النبت في الزيادة، وقولهم: "أعطى عفواً، فعفوا، مصدر
في موضع الحال، أي أعطى، وحاله حال العافي في الاهتزاز - إشارة إلى المعنى الذي عدّ بديعاً
للشعر^(٢) في نحو قول الشاعر:

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(٣)

والشكر: مقابلة الصنيعة بإظهار^(٤)، ومنه: دابة شكور، إذا كانت مظهره أحسان صاحبها
إليها، و"ضره شكرى" من^(٥) ذلك والشكر: كناية عن الفرج المزوج، لكونه مقابلاً للمهر مقابلة الشكر
للمشكور عليه، والشكر ضرب من العدالة، إذ هو في مقابلة النعمة، وأعم من المكافآت، فإن المكافأة
يعتبر فيها تارة مماثلة في الكمية، وتارة في حال المكافئ والمكافأ، والشكر: لا يعتبر فيه ذلك. وأيضاً
فالشكر قد يكون باللسان تارة، وبالمقابلة تارة، وقد تقدم الكلام في (لعل) وأنه وإن كان مقتضياً

١- هذا جزء من عجز بيت لعدي بن الرقاع العاملي وهو في ديوانه ص ٤٩ وتامه.

عرب الديار توها فاعتادها ، من بعدما أخذ البلى أبلادها

وهو في مفردات الراغب ص ٥٧٤ .

٢- في (١ - ص) المعنى الذي عد بديعاً من قول الشاعر.

٣- هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح بها حصن بن حذيفة بن بدر ومطلعها :-

صحا القلب عن سلمى وأقصر بأطله ، وعرى أفراس الصبا ورواحله

وتمام هذا البيت :- تراه إذا ما جنته متهللاً ، كأنك تعطيه الذي أنت سائله

والبيت في ديوان زهير ص ٨٤ ط : دار صادر - بيروت. كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٧٤ .

٤- في (١ - ص) بإظهارها . ٥- في (١ - ص) على ذلك .

للرجاء، فليس على الاعتبار به تعالى، فإن الرجاء لمن يخفى عليه العواقب، ولا يتمكن من كل ما يريده، والقصد بالآية "بتبين عفوهم عنهم بعد ارتكابهم الجرائم ليتحروا شكره المقتضي لرحمته" تنبيهاً لنا أن نراعي عفوهم وإحسانه - راجين بلوغ شكره بالأفعال الحميدة، وقوله: (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ): أي من بعد اتخاذكم العجل، وإنما لم يقل: (ذَلِكَ) لأن كَافَ الْخُطَابِ إذا اتصل بالمبهمات يصير كَوَصْلِهِ لَهَا وَجْزاً مِنْهَا، فتارة يُعْتَبَرُ فيه الأصل فيُجْمَعُ، وتارة يُعْتَبَرُ فيه ^(١) كونه وصلةً لأخطاباً، فيترك على حالته لا يثنى ولا يجمع.

قوله - عز وجل:

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ : الآية (٥٣) - سورة البقرة .

الكتاب والفرقان: اسمان لشئ واحد، لكن يقالان باعتبارين مختلفين، أما الكتاب، فلجمع الأحكام المتفرقة فيه ^(٢)، وأما الفرقان: فلكونه مفرقاً بين الحق والشبهة وبين الأحكام المختلفة، وأتى باللفظين تنبيهاً على تضمين التوراة للمعنيين، وهذا أصح من قول من قال: تقديره: "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَمَحْمداً الْفُرْقَانَ"، فإن التوراة والقرآن ^(٣) كل واحد كتاب من وجه، وفرقان من وجه، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٤)، وما قالوه من أن الفرقان أريد به فرق البحر، فلا يمتنع إرادته مع ما تقدم، والإيتاء منقول عن: أُتِيَتْ، لكن تُعَوِّفُ في الإعطاء لما كَانَ الإِعْطَاءُ ضَرْبَانِ مِنَ الْإِيْتَاءِ، وقد تقدم الكلام في "لعل" وفي الابتداء.

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - في (أ - ص) منه.

٣ - في (أ - ص) الفرقان.

٤ - سورة الأنبياء : الآية (٤٨).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. الآية: (٥٤) - سورة البقرة

قد تقدم الكلام في الظلم، فأما ظلم النفس، فقد يُقال لكل فعل يباعدها عن توفيق الله تعالى في الدنيا وعن ثوابه في الآخرة صغيراً كان أو كبيراً، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(٢).

فالأظهر أن فعل الفاحشة وعمل السوء للكبيرة، وظلم النفس في الآيتين للصغيرة. وفي الجملة: فإن ظلم النفس هو الخروج عن الاعتدال صغيراً كان أو كبيراً، وقوله: "بَارِيكُمْ" فأصل البرء خلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التقصي منه، أو على سبيل الإنشاء عنه، فعلى التقصي قولهم: برئ فلان من مرضه، والبايع من عيوب مبيعه، وصاحب الدين من دينه، ومنه: استبراء الجارية، فإنه أراد تقصيصها من "مَا" ومن "عسى" أن قد غشيها من قبل، وعلى سبيل الإنشاء: قولهم: أبرأ الله الخلق، وقوله تعالى: ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾^(٣)، فإشارة إلى أحوال ثلاث، فالخلق: إلى إيجاد البدن، والبرء: إلى إيجاد الروح، وهي النسمة التي عناها أمير المؤمنين بقوله: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة»، والتصوير إلى الجمع بينهما وإلى ثلاثتها أشار بقوله: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٤) الآية..، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾^(٥)، وأما البرية، فكثير من الناس ذهبوا إلى أنها منه، فترك همزة، كالذرية والنبي والخابية، ومنهم من قال: البرى. أي التراب، أو من البرى، وإليه ذهب الكسائي فبرا هي اعتباراً بالأرواح، وبرى اعتباراً بالأشباح، والقتل معروف، وقد يستعمل في معنى

١ - سورة آل عمران - الآية: (١٣٥).

٢ - سورة النساء. الآية (١١٠).

٣ - سورة الحشر: الآية (٢٤).

٤ - سورة ص الآيتان (٧١، ٧٢).

٥ - سورة الزمر: الآية (٦).

التذليل وإزالة السورة، يقال: قتلت الدابة^(١)، أي: ذلتها، وقتلت الخمر: أزلت سورتها بالمرج، قال

الشاعر:

إِنْ الَّتِي نَأَوَّلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قَتَلْتُ قَتَلْتُ قَهَاتِهَا لَمْ يُقْتَلْ^(٢)

وَقُلَانُ قَتَلَ قُلَانًا، أي: مثله، فأصله مقاتلة، فَتَصَوَّرَ مِنْهُ معنى المماثلة، لكون المقاتلين متماثلين في فعليهما المختص بهما، وإذا قيل: فلان قتل نفسه، فقد يقال: إذا فعل بنفسه فعلاً أزال^(٣) به الروح، وقد يقال إذا سلم نفسه للقتل، وإن كان أكثر ما يقال في ذلك المستقتل، وقد يقال: إذا قيل من يختص به اختصاص نفسه نحو: فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي، وقوله: وَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي،

وقد يقال: "قَتَلَ قُلَانٌ نَفْسَهُ"، إذا ضيع حظها في طلب الآخرة، فأدى به ذلك إلى زوال حياته الأبدية، وذلك مذموم، وقد يقال في ضد ذلك وهو إذا أفنى شهوته وذلك هواه في الدنيا طلباً للآخرة، وذلك مَحْمُودٌ، وعلى الأول قال جعفر بن محمد في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤) أي: اطلبوا لها الحياة الأبدية، وعلى هذا قيل: "قَتَلَ النَّفْسَ إِحْيَاءُهَا، وإحياءها قتلها، يعني في حالة وحالة، وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى (أن من أحبني قتلته، فقال يارب: إذا انتهيت في الخلّة لم أبال بقتل الدنيا)، وقال بعض الحكماء: "من لم يعذب نفسه لم ينعمها، ومن لم يقتلها لم يحبها (فاقتلوا أنفسكم) حملوه على أكثر هذه الوجوه، قال بعضهم: أَمَرُوا أَنْ يَجِبَ كُلُّ وَاحِدٍ نَفْسَهُ بِالسَّكِينِ، وقيل: أَمَرُوا أَنْ يَسْلَمَ كُلُّ أَحَدٍ لِلْقَتْلِ، وقال أكثرهم: "أَمَرُوا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فكان الرجل يقتل أباه وأخاه، غير متحاشٍ^(٥) من ذلك، وقال بعضهم: أَمَرُوا أَنْ يَزِيلُوا شَهَوَاتِهِمْ وَيَفْنُوا نَفْسَهُمْ الشَّهْوِيَّةَ فِي الْوَصُولِ إِلَى رِضَاءِ^(٦) الرَّبِّ وَيَبْلُغُوا^(٧) إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَقَدْ طَعَنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْضُ الْمَلْحَذَةِ، وَزَعَمَ أَنَّ قَتَلَ

١ - في (و - ج) الدالة، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - هذا البيت لحسان بن ثابت، وهو من قصيدة مطلعها :-

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

وقالها في عمرو بن عبد الحارث وبحضرته كل من النابغة وعلقمة بن عبدة.

ديوان حسان بن ثابت - ص ١٧٩ - ط : دار صادر - بيروت.

٣ - في (١ - ص) ما أفات به. ٤ - سورة النساء: الآية (٢٩).

٥ - في (١ - ص) ولا يتحاشى. ٦ - في (١ - ص) مرضاة.

٧ - في (١ - ص) والبلوغ.

النفس مستقبِحٌ في العقل، وهذا الجاهل إنما استقبِحه لكونه جاهلاً^(١) أن لنفوسنا خالقاً بأمره نستبقِها وبأمره يقيها، وأنَّ لها بعد هذه الحياة التي هي لعبٌ ولهوٌ معاداً إلى دارٍ فيها حياةٌ سرمديةٌ، كما قال: ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(٢)، وإن قتلها بأمره يوصله^(٣) إلى حياة خير منها، ومن علم أن الإنسان في هذه الدنيا كمجاهدٍ أقيم في ثغرٍ يحرسه ووال على بلد يسوسه، وأنه مهما استرده [يعاد]^(٤)، فلا فرق بين أن يأمره بخروجه بنفسه أو يأمر غيره بإخراجه، ومن تصور هذه الجملة علم أن الإنسان إنما أنكر له قتل نفسه في الدنيا لأنه كالراجع عن الثغر إلى حضرة صاحبه قبل استرداده، وإذا أمره أن يقتل نفسه— فقد رجع عنه بأمره وذلك ظاهر لمن تصور حالتي الدنيا والآخرة، وعرف قدر الحياتين والميتتين فيهما، وقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الإشارة به إلى التوبة^(٥) وقتل النفس، ولما كان الشيء قد يكون خيراً عند الاعتبار بالدنيا شراً عند الاعتبار بالآخرة، وقد يكون على عكس ذلك.

بين تعالى بقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ أن ذلك خير^(٦) بالاعتبار بالأمور الإلهية، إن قيل: لم أعاد ذكر "بارئكم"؟

والإتيان بالضمير في مثله أحسن؟ قيل: إنما يحسن الضمير إذا لم يشتبه، ولم يقصد بالتكرير تعظيم^(٧) الأمر، وكان ذلك في جملة واحدة أو ما حكمه حكم الجملة الواحدة، فأما إذا لم يكن كذلك فتكريره أحسن، وقد حصل ههنا الأحوال الثلاث، فإنه جرى ذكر موسى والعجل، فلو قيل عنده: يصح توهم إرادة أحدهما، ثم قد علم أن المقصود في مثل هذا الموضع تفخيم الأمر، ثم قوله: (ذلكم خير لكم) جملة أخرى غير الأولى..

١ - في (١ - ص) لذهابه عن.

٢ - سورة العنكبوت: الآية: (٦٤).

٣ - في (١ - ص) يوصلها.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (و - ج) التورية وهو خطأ من الناسخ.

٦ - في (و - ح) خبر وهو تصحيف.

٧ - في (١ - ص) تفخيم.

وقول الشاعر :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئاً^(١)

وإنما استقبح لأن قوله: يسبق الموت "مفعول ثان" لقوله: لا أرى الموت فصار المصراع كله جملة واحدة، والكلام في التوبة والثواب قد مضى، وعند قوله: (بَارِئُكُمْ) أي في حكمه وفيما^(٢) يرتضيه نحو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٣)، والشئ الذي يرتضيه تعالى تارة ينسب إليه، فيقال: [هُوَ] ^(٤) لَهُ، وتارة يقال: "هُوَ مِنْ عِنْدِهِ"، وهو عنده" وقد بين^(٥) في قوله: (وَأُذِّنْ وَأَعِدْنَا مُوسَى) ما ارتكبه من الذنب، وبين في هذه الآية ما قال لهم موسى -عليه السلام- عند ارتكابهم ذلك الذنب، وأن موسى -عليه السلام- مع تعظيم ما ارتكبه لم يُخْلِهم عن النصيح لهم وتصريفهم بين بلاء النعمة والنقمة حسب ما أمره الله تعالى^(٦)

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

الآية (٥٥) - سورة البقرة .

[الرؤية: ^(٧) إدراك المرئي،^(٨) وذلك على أوجه بحسب اختلاف قوى الإنسان، فالأول [الرؤيا]^(٩)

١- هذا شطر بيت وتامه:

لا أرى الموت يسبق الموت شيئاً .: نغص الموت ذا الغني الفقيرا

والبيت لعدي بن زيد العبادي ، وهو من شواهد سيبويه في الكتاب ج: ١ - ص ٣٠ ، وأما ابن السجري - ج: ١ - ص ٢٤٣ ، ومغني اللبيب ص ٥٠٠ ، والخصائص - ج: ٣ - ص ٥٣ ، وخزانة الأدب ج: ١ - ص ١٨٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ج: ١ - ص ٢١٢ ، والمدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى - لأبي النصر السمرقندي المعروف بالحدادي ص ٢٩٨ .

٢ - في (أ - ص) وما يرتضيه .

٣ - سورة آل عمران - الآية : (٧٨) .

٤ - ساقطة من (و - ج) .

٥ - في (أ - ص) مر .

٦ - في (أ - ص) ما أمره الله به .

٧ - ساقطة من (و - ج) .

٨ - في (و - ج) المرئي وهو تحريف .

٩ - ساقطة من (أ - ص) .

بالحاسة، وهو إدراك البصر، والثاني بالوهم والتخيل، نحو أرى أن زيداً منطلق، أي أتوهم، وقد يكون ذلك في اليقظة طوراً، وفي المنام طوراً، لكن يجعل اسم ما في المنام رؤياً، والثالث بالتفكر، والرابع بالعقل المشار إليه في قوله: ﴿لَمْ تَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^(١)، فأما الرؤية الحسية على ما هي [عليه]^(٢) في الدنيا من المقابلة، وكونها في جهة دون جهة فمنفية عن الباري سبحانه، إذ كان ذلك لا يصح إلا على جسم ذي لون وكيفية ولعدم اللون لا يبصر الهواء مع كونه جسماً، ولا يصح أيضاً على الله الرؤية الوهمية إذ كان ذلك تصور هيئة محسوس كما تقدم أو مثل محسوس باطلاً كتوهم إنسان طائر، وأما الفكرية فهي للعلماء في الدنيا، وذلك إدراك المعرفة بالفكر [والرؤية]^(٣)، وإياه عنى أمير المؤمنين بقوله: "لم تره العيون بشواهد الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان"، وأما العقلية فإنها تحصل في الآخرة لكل أحد من حيث أنهم يضطرون إلى معرفته تعالى، لكن للمؤمنين حالة زائدة تقصر العبادة عنها، وهي المبشر بها في قوله عليه السلام:

(ترون ريكـم عز وجلـ كما ترون القمر ليلة البدر)^(٤)، والمشار إليها بقوله - عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٥).

ولا يحصل في الدنيا إلا لبعض الأنبياء في بعض الأحوال، وذلك بتصور أفعاله تعالى مجردة عن أفعال المخلوقين بلا شبهة تعتريه ولتعري نفسه من الشهوات والهوى، ولكون ذلك لبعض الأنبياء في حال دون حال، قال عليه السلام:

«رأيت ربي في بعض طرقات المدينة»^(٦)، بمعنى وأنا فيها، وقال تعالى:

١ - سورة التكاثر : الآية (٧).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - الحديث أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بسنده إلى جرير قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال إنكم سترون ريكـم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا الحديث رقم ٧٤٣٤ - ج: ١٩ - باب قول الله تعالى ، «وجوه يومئذ ناضرة».

٥ - سورة القمر : الآيتان (٥٤ ، ٥٥).

٦ - هذا الحديث بحث عنه فلم أهد إليه، ولكنني وجدت ما يقارب معناه في كتاب: (راموز الأحاديث)، لأحمد ابن مصطفى النقشبندي الفالدي حيث أورد ما نقله الطبراني عن أبي زرعة الرازي قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت ربي في المنام في صورة شاب موغر في الخضر، عليه نعلان من ذهب)، وكذلك الحديث الذي رواه الطبراني في السنة عن معاذ بن عفراء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت ربي في خطير من الفردوس في صورة شاب عليه تاج يلتمع البصر)، وخطير من الفردوس أى محل، والظرف مجاز والله منزّه عن المكان وقال السيوطي: هو محمول على رؤية المنام. وقال الطبراني: وهو صحيح .

كتاب راموز الأحاديث - ص ٢٨٦، ٢٨٧.

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(١) وقوله ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^(٢) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَنَّى^(٣)، [أي وكان النبي عندها]، وقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾^(٤) وروى ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - "أن محمداً ﷺ رأى ربه مرتين" وهذه الجملة إذا تُصَوِّرَتْ أُسْقِطَت الشبهة التي تعتري مَنْ لَمْ يتصور الحقائق، فاحتاج إلى رفع الأخبار الصحيحة والآثار الواضحة التي هي كأن عليها من شمس الضحى نوراً، ومن فلق الصباح عموداً وليس قوله تعالى إخباراً عن موسى - عليه السلام - في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾^(٥) كما ظنه بعض الناس أن ذلك سألَه لأن قومه كلفوه سؤاله أن يدركه محسوساً في الدنيا وكان يعلم أن ذلك محال، فإنه عليه السلام منزّه عن أن يسئ لإساءة قومه، ويتجاهل اتباعاً لجهلة تباعه، وإنما سألَه هو الحالة التي كانت للنبي - ﷺ - مرتين، وهذه إشارة يمكن مع الاستعانة بما تقدم أنفاً أن يعرف معناه إلى أن ينتهي إليه، فنشرحه شرحاً شافياً - إن شاء الله -، وأما الجهر: فالظهور لحاسة البصر أو حاسة السمع، فمن حاسة البصر، قيل: رأيت جهاًراً، وتجاهرواً بالأمر، وأجهرت فلاناً، وفلان يجهر^(٦) بالمعاصي، وجهرت البئر أظهرت ماءها، ومنه اشتق الجهر^(٧)، لكون أكثره ظاهراً للحواس فيمن لم يجعله منقولاً عن الفارسية، ومن حاسة السمع، قيل: جهر فلان بقراءته، وكلامٌ جهيرٌ، وهو جهوري الصوت، والصاعقة والصاعقة يتقاربان، إلا أن الصقُعُ يقال في أصوات الأجسام الأرضية، والصعق فيما يكون من الجو^(٨) والسماء، وقال بعض أهل اللغة: الصاعقة

١ - سورة النجم : الآية (١١).

٢ - سورة النجم : الآيتان : (١٣ ، ١٤).

٣ - ساقطة من (و - ج) .

٤ - سورة النجم : الآية (١٧).

٥ - سورة الاعراف : الآية (١٤٣).

٦ - في (أ - ص) تجهر ، وهو تصحيف.

٧ - في (أ - ص) عبارة جانبية وضعها الناسخ وهي: (مطلبٌ في اشتقاق الجهر).

٨ - في (و - ج) من الحق.

على ثلاثة أوجه، الموت: لقوله: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، وقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ﴾^(٢). والثاني: العذاب، لقوله: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٣) والثالث: نارٌ تسقط من السماء لقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤)، وهذا سوءٌ تصور، لأن الصاعقة هي الصوت الشديد على ما تقدم، ثم قد يكون منه الموت تارةً والعذاب تارةً وتحصيه^(٥) النار تارة، فإذا الموت، والنار والعذاب من^(٦) يستفد من لفظ الصاعقة ويجب أن لا يلتبس علينا المعنى الذي وُضع له اللفظ بالمعنى الذي يتبعه ويقتضيه، وليس بموضوع له بالقصد الأول، وهذا بابٌ قد يقع فيه السهو كثيراً على بعض ناقلي اللغة^(٧) وقد أحكم في غير هذا الكتاب^(٨)، وقد بين الله تعالى في هذه الآية جهلهم بالباري وسؤالهم منه ما لا يصح سؤاله -تنبيهاً أن الجهل يرد بالإنسان أن يعتقد في الباري ما لا يصح عليه، ويرغب إليه بما لا يجوز أن يرغب به إليه، وقد نبه على ذلك بآية أخرى^(٩) تسكيناً للنبي - عليه السلام- فيما سألوه جهلاً منهم بقوله [عز وجل]^(١٠): ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١١) الآية..

-
- ١ - سورة الزمر : الآية (٦٨).
 - ٢ - سورة الذاريات : الآية (٤٤).
 - ٣ - سورة فصلت : الآية (١٣).
 - ٤ - سورة الرعد : الآية (١٣).
 - ٥ - في (١ - ص) ويصحبه ، وهو تصحيف.
 - ٦ - في (١ - ص) لم يستفد وهو خطأ من الناسخ.
 - ٧ - هذه الجملة ساقطة من (١ - ص) .
 - ٨ - في هذه العبارة إشارة إلى كتاب مفقود للراغب يدور حول تحقيق الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وقد ذكره الراغب أيضاً في مقدمة كتابه " مفردات لالفاظ القرآن " .
 - ٩ - في (١ - ص) بالآية الأخرى.
 - ١٠ - ساقطة من (١ - ص) .
 - ١١ - سورة النساء : الآية (١٥٣).

قوله - عز وجل :

﴿لُمْ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآية (٥٦) - سورة البقرة .

البعث: إرسال المبعوث عن المكان الذي فيه، لكن فُرق بين تفاسيره بحسب اختلاف المعلق به، فقليل: بعثت البعير [من]^(١) مبركه، أي : أثرت، وبعثته في السير، أي : هيجته، وبعث الله الميت: أحياه، وضُرب البعث على الجند إذا أمروا بالارتحال، وكل ذلك واحد في الحقيقة، وإنما اختلف لاختلاف صور المبعوثات، والموت حُمِلَ على المعروف، وحُمِلَ أيضاً على الأحوال الشاقة الجارية مجرى الموت، وليس يقتضي قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾^(٢) أنهم ماتوا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾^(٣)، لكن الآية تحتل الأمرين، وحقيقة ما كان إنما يعتمد فيها على السمع المتعري عن الاحتمالات والكلام في ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قد تقدم، ونبه بالآية على أنه تعالى ينقذ^(٤) من الشدائد عبده حالاً فحالا تنبيهاً له من غفلته، وإليه أشار بقوله: ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(٥) .

وقوله - عز وجل :

﴿وَوَضَعْنَا عَلَىٰ كُفْرِكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسُّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الآية (٥٧) - سورة البقرة :

الظل في الحقيقة عدم الصبح، وسمي سواد الليل ظلاً لعدم الصبح فيه والظلة كالصفة، والمظلة آلة يُطلب بها الظل، و"أظل فلان علينا حقيقة" ألقى ظله علينا لدنوه منها، واستعير الظل للمكان الذي فيه النعمة تصوراً له في اليوم الصائف حتى قيل: فلان في ظل فلان، وقد أشار ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى أن [الغمام]^(٦) ههنا فيضُ الباري -عز وجل- وتوفيقه وإحسانه، فقال: هذا الغمام

١ - ساقطة من (و - ج) .

٢ - سورة البقرة : الآية (٥٥) .

٣ - سورة الأعراف : الآية (١٤٣) .

٤ - في (و - ج) يقدم وهو خطأ من الناسخ .

٥ - سورة فاطر : الآية (٣٧) .

٦ - ساقطة من (و - ج) .

الذي يأتي الله فيه المذكور في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾^(١)، وهو الذي جاءت فيه الملائكة فيه^(٢) يوم بدر، وهذه إشارة منه عجيبة، وأما المن: فمصدر من، أي أنعم وأصله من: مننت، أي قطعت والمنة تتصور على وجهين، أحدهما: النعمة المقطوعة عن المنة^(٣)، وعلى ذلك قول النبي ﷺ «وَارْغَبْ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ»^(٤) أي اقطع، والثاني: السبب الذي يقطع الشكر ويحرمه، وهو المعنى بقوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٥) ويقولهم^(٦): المنة تهدم الصنعة والسلوى أصله ما يسلى الإنسان، ومنه السلوان والتسلي، وقال مجاهد: المن صمغة، وقال قتادة، وهو مثل الثلج، وقال الربيع: شراب كالعسل، وقال السدي: هو الزنجبيل، وقالوا: السلوى: طائر كالسماني، وأما قول ابن عباس- رضي الله عنهما- المن الذي يسقط من السماء على الشجر فيأكله الناس، والسلوى طائر، فقد قال بعضهم: إن ابن عباس- رضي الله عنهما- أشار بذلك إلى ما يرزق الله بني آدم من النبات واللحوم وسائر الخيرات، يدل على ذلك بهذين المثالين، قال وعلى هذا قول غيره إنما هو مثالات..

وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٧)، قد تقدم الكلام في الرزق، وأنه بالنظر الخاص ليس يتناول الأعراض الدنيوية فقط، بل جميع ما حولنا ومكننا منه من النعم الثلاث النفسية والبدنية والخارجية ولم يرد بالطيب المستطاب بحاستي الذوق والشم، بل المستطاب من كل وجه محسوساً ومعقولاً وعاجلاً وأجلاً، والطيبات من الطعام هي المتناولة بحكم العقل والشرع من حيثما يسوغ تناوله في وقت ما يحتاج إليه [إلى تناوله ويقدر ما يحتاج]^(٨) غير مسرف فيه ولا مشغل به عما خلقنا لأجله ومتى تؤول على هذا الوجه يكون طيباً على الإطلاق، وإلا فإن طاب من وجه خُبث من وجه، وعلى ذلك

١ - سورة البقرة : الآية (٢١٠).

٢ - في (أ - ص) جاءت فيه الملائكة.

٣ - في (و - ج) القنية وهو خطأ من الناسخ.

٤ - في (أ - ص) وأرغب منه رغبة من المال.

٥ - سورة البقرة : الآية (٢٦٤).

٦ - في (أ - ص) ويقول الناس.

٧ - سورة البقرة الآية: (١٧٢)، وسورة الاعراف - الآية (١٦٠).

٨ - ساقطة من (أ - ص).

قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾^(١)، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٢)، وإذا عرف هذه الجملة علم أن من قال الطيبات اللذيات نظر نظر حس، ومن قال الحلال والحرام نظر نظر معقول، وقوله: (وما ظلمونا) لما كان الله ذكراً فعلاً تجري مجرى معاملات بينه وبين العباد كمعاملة العباد بعضهم مع بعض، من نحو الاستقراض في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٣)، والابتياح في نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٤)، ووصف نفسه بشكره لهم كشكرهم له ومحبته لهم كمحبتهم له ونصرته لهم كنصرتهم له، ومولاته لهم كمولاتهم له، وذكر مخادعته لهم كمخادعتهم له تعالى الله عن القبائح، وسائر ذلك من الأفعال التي تجري بين المتكافئين بين تعالى أنه لا يعتقدن [به]^(٥) معتقد أنى إذا فعلت به فعلاً حسناً مما إذا فعله إنسان بآخر ولم يقابله بمثله كان ظلماً منه له أن يكون قد ظلمني في ذلك، ولكن قد ظلم نفسه وضيع حظه،^(٦) إذ هو منزّه أن يلحق نقيصة، إن قيل: كيف يعلق قوله: (وما ظلمونا) بما تقدم قيل: معناه: قلنا لهم: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٧)، فخالفوا، وما ظلمونا بمخالفتهم، وفي الآية تحذير لنا من كفران النعم^(٨) وتلقيها بالبطر، وأن ما تعامله به من إساءة وإحسان فعائد علينا منافع ومضاره..

١ - سورة البقرة الآية : (١٦٨).

٢ - سورة الاعراف : الآية (٣٢).

٣ - سورة البقرة : الآية : (٢٤٥) ، سورة الحديد : الآية (١١).

٤ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٥ - ساقطة من (١ - ص).

٦ - في (١-ص) ولكن نفسه ظلم وحظه ضيع.

٧ - سورة البقرة : الآية (١٧٢) ، سورة الاعراف : الآية (١٦٠).

٨ - في (١ - ص) من الكفران بالنعم.

قوله عز وجل:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية (٥٨) -سورة البقرة .

الدخول والولوج والتفحم والتوغل متقاربة، لكن الدخول عام، والولوج الدخول في مضيق، والتفحم دخول في شدة، والتوغل في مشتبك شجر^(١)، وأوردت الإبل دخالاً إذا تداخلت في الورود، وفلان دخيل في القوم، وفيه دخل كناية عن الفساد، ودخول في مغمرة بالكلام، والدخل طائر صغير سُمي بذلك لدخوله^(٢). خلال الشجر الملتفة، والحجر الضيقة، والقرية من قرئت الشيء جمعت، وقيل أصله قرية، والقرى مجمع الماء، فكل بقعة يجتمع فيها الماء والأبنية قيل قرية، والمقرى للحوض، والقرى للحوض، والمكيلة، و(حطة) فعلة من حططت، وقرى نصباً ورفعاً، وبالنصب قيل هو مفعول بها نحو: قلت كلمة طيبة، وقيل هي في موضع سؤال أي: حط عنا ذنوبنا، نحو: غفراً لنا، وبالرفع، قيل هي حكاية، كأنه قيل: ما نسأله حطة، وقيل معناه هو مغلّم تحطون فيه رجالكم، والغفر ستر بحائل، ومنه المغفر للبيضة، والغفارة لخرقة يغطي بها الرأس، ولما تلف على سنة القوس، وغفر المريض "نكس كأنه غطى المرض على عقله أو على صحته، وغفر ذنبه استعارة في الأصل، كقولهم: "ليست عليه ذيلي، والخطايا على ضروب أحدها أن يريد غير^(٤) ما يحسن إرادته ويفعله، فهذا هو الخطأ التام [من كل وجه]^(٥) المأخوذ به الإنسان، والثاني أن يريد ما يجوز^(٦) فعله، لكن وقع منه خلاف ما أراد، فيقال:

١ - في (١ - ص) في مشتبك كالشجر.

٢ - في (١ - ص) اعتباراً بدخوله - وهي تؤدي المعنى.

٣ - قرأ (حطة) بالنصب كل من الأخفش وابن أبي عبة وطاوس اليمني، انظر: معجم القراءات القرآنية ج: ١ - ص ٥٩.

٤ - في (و - ج) على ما يحسن.

٥ - ساقطة من (١ - ص).

٦ - في (١ - ص) ما يحسن.

أصاب في الإرادة، وأخطأ في الفعل، وهو المعنى بقوله: عليه السلام: (رَفَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنُّسْيَانَ)^(١)، وقوله: (مَنْ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ)^(٢)، والثالث: أن يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه، فهذا مذموم لقصده وغير محمود على فعله، وجملة الأمر أنه يقال لمن أراد شيئاً فأنفق منه خلافه أنه أخطأ، وإذا وقع منه، كما أراده أنه أصاب الخطأ ويقال لمن - فعل فعلاً لا - حسن أو أراد إرادة لا - حسن أنه أخطأ ولهذا يقال - أصاب فأخطأ الصواب، وأصاب الصواب وأخطأ الخطأ، فإذا هذه اللفظة مشتركة كما ترى، مترددة بين معاني يجب لمن يتحرى الحقائق تأمله، فهي مشكلة^(٣) جداً، وقال بعض أهل اللغة: يقال خطيء^(٤) إذا أصاب ما أراده من الخطأ، وأخطأ إذا أراده ولم يصبه، والحسن يقال لما يألفه البصر أو تألفه البصيرة، وأحسن إذا فعل ما استحسنة أحد هذين، وقد تقدم أن الإحسان زائد على العدالة، لأن العادل هو الذي يفعل ما إذا أخل به تلحقه^(٥) المذمة، والمحسن من زاد على ذلك، ولذلك قيل: "عدل الله كله إحسان" وورد في التفسير أنهم أمروا بدخول بيت المقدس من باب القبة منحنين، وقيل ساجدين، وأن يستغفروا، وذكر بعض المحققين أن الإشارة مع إرادة الظاهر بدخول القرية إلى الدخول تحت حجر الشريعة، وبالأكل إلى تحري ما يبلغهم إلى العيش الرغد، وبدخول الباب سجداً سلوك الاستقامة على التذلل والتخضع، ويقول: (حطة) إلى الاستغفار قولاً وفعلاً طلباً لحط الذنوب، وقال بعضهم: الإشارة به إلى التحقق بالعلم الذي اتهم به موسى - عليه السلام - وتناولهم منه والتمسك به فهو الحلال الحل الذي يتناول بلا خطر، إذ إن جميع المتناولات في

١- الحديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، أخرجه أبو القاسم التميمي في فوائده، ورجاله ثقات، غير أن فيه انقطاعاً، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير - ج: ١١ - ص ١٣٣، وأخرجه الدارقطني في سننه - ج: ١ - ص ١٧١ وابن ماجه - ج: ١ - ص ٦٥٩، وأخرجه الحاكم في المستدرک - ج: ٢ - ص ١٩٨، وصححه ابن حبان والحاكم، ووافقه الذهبي، وضعفه الإمام أحمد فقال عبد الله بن أحمد في العلل سألت أبي عنه فأنكره جداً، وانظر: كشف الخفاء - ج: ٢ - ص ١٣٥، والمقاصد الحسنة ص ٢٢٨ وتخريج أحاديث اللمع - للغماري ص ١٤٩ وأورده الراغب في مفردات الفاظ القرآن ص ٢٨٦.

٢- الحديث عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر» أخرجه البخاري في ج: ٩ - ص ١٩٣ كتاب الاعتصام بالسنة، وأخرجه مسلم ج: ١٥ - ص ١٧١٦ كتاب الأقضية وأبو داود وأخرجه الخطابي في معالم السنن ج: ٤ - ص ١٦٠ وأورده الراغب في المفردات ص ٢٨٧.

٣- في (١ - ص) مشكلة.

٤- في (و - ج) خطه، وهو تصحيف.

٥- في (١ - ص) لحفته.

تناوله مزاحمة البعض البعض ومنع الغير على وجه آلاء العلم، فإنه يمكن لكل واحد أن يتناول كل جزء منه بلا منع منه للآخر، وأمر بسلوك طريقه على ما يجب، وذلك بأن لا يقدم ما يجب أن يؤخر أو يؤخر ما شأنه أن يقدم، وعلى ذلك قوله - عز وجل: ﴿وَأَتُوا النَّبِيَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾^(١)، والإشارة بالقرية إلى العلم كإشارة النبي - عليه السلام بالمدينة إليه حيث قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(٢)، وهذان القولان يتقاربان، فإن العلم والعمل يتلازمان، وبهما يتم الإيمان، لكن الأول نظر إلى المنتهى الذي هو العمل، والثاني نظر إلى المبدأ الذي هو العلم، وبحسب هذه الآية قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾^(٣).

قوله عز وجل:
﴿قَدْ لَدَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

الآية (٥٩) - سورة البقرة .:

التبديل والتغيير يتقاربان، لكن أكثر ما يقال التبديل في شئ يجعل مكان آخر، والتغيير في حالة للشئ تغير كالماء الحار إذا جعل بارداً، وقيل: الأبدال من الناس هم قوم يجعلهم الله مكان آخرين ممن هم [المعنيون من العالم]^(٤) الذين بدلوا أحوالهم البهيمية بالأحوال الملكية حسب الطاقة، والرجز: الرجز والنجس يتقارب معانيها بتقارب ألفاظها نحو: السراط والزراط، والبراق والبساق، وأصل ذلك لما يُعَافُ ذوقاً أو شمماً أو عقلاً أو شراً، فالكرية بالعقل والشرع يعبر عنه بالخبيث والقدّر ونحو ذلك، كما يعبر عن ضده بالطيب والنظيف، وعلى ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٥)، وقوله

١- سورة البقرة : الآية (١٨٩).

٢ - الحديث رواه الحاكم في المستدرک والطبرانی فی الكبير وأبو الشيخ فی السنة وغيرهم ، وكلهم عن ابن عباس مرفوعاً مع زيادة «فمن أتى العلم فليأت الباب» ورواه الترمذی وأبو نعیم وغيرهما عن علي بلفظ أن النبي ﷺ قال : «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وهذا حديث مضطرب غير ثابت كما قال الدار قطني فی العلل ج: ٣ - ص ٢٤٧ ، وقال الترمذی : منكر ، وقال البخاري ليس له وجه صحيح وأورده ابن الجوزي فی الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره والحاصل أن الحديث ينتهي بمجموع طريقی أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به كما ورد كذلك فی اللآلی وكشف الخفاء. اللآلی المصنوعة ج: ١ - ص ٣٢٩ ، كشف الخفاء ج: ١ - ص ٢٠٣ ، وأورده الراغب فی المفردات ص ١٥٠ .

٣ - سورة المائدة : الآية (٢١).

٤ - ساقطة من (أ - ص).

٥ - سورة التوبة : الآية (٢٨).

تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(١)، فإن بعض ذلك كريبه بالطبع، وبعضه كريبه بالشرع، وسمى العذاب رجزاً في قوله: ﴿لَنُكْشِفَنَّ عَنْكَ الرِّجْزَ﴾^(٢)، ورجساً في قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٣)، ومن قال: ليس الرجس النتن، فقد وصف الله الخمر بذلك، وهي طيبة الرائحة، وقد وصف الله تعالى [خمرأً]^(٤) في الجنة باللذة، [فإن هذا القائل]^(٥) بعيد التصور للموهومات فضلاً عن المعقولات، وهذه الجملة إذا تصورت علم أن الكسائي لما قال: الرجس النتن، والرجز العذاب، والزجاج لما قال الرجس قد يجى للعذاب كله قريب، وإنما اختلافهم لنظرهم إلى مواقع الكلمات لا إلى موضوعها^(٦) في أنفسها، وكونها مستعارة من^(٧) المحسوس للمعقول، وأما تبديلهم، فقد قيل إنه قيل لهم: قولوا حطة، فقالوا استهزاءً حنطة، وقيل لهم: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾^(٨) فدخلوا مقعين على أستاذهم، والإشارة بذلك في الجملة أنهم غيروا ما شرع لهم ولم يراعوا أمر الله تعالى، فأنزل الله عليهم العذاب، وتخصيص قوله: (رجزاً من السماء)^(٩) هو أن العذاب ضربان، ضرب قد يمكن على بعض الوجوه دفاعه أو يظن أنه يمكن فيه ذلك، وهو كل عذاب على يد آدمي أو من جهة المخلوقات كالهدم والغرق، وضرب لا يمكن ولا يظن دفاعه بقوة آدمي كالطاعون والصاعقة والموت، والوحي^(١٠) وهو المعنى بقوله (رجزاً من السماء) إن قيل: لم قال: (فأنزلنا على الذين ظلموا) ولم يقل: (فأنزلنا عليهم) مع أنه كان أوجز؟ قيل: قصداً إلى

١ - سورة المائدة : الآية (٩٠).

٢ - سورة الأعراف : الآية (١٣٤).

٣ - سورة التوبة : الآية (١٢٥).

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - في (و - ج) موضعها.

٧ - في (و - ج) عن.

٨ - سورة البقرة : الآية : (٥٨) ، سورة الأعراف : الآية (١٦١).

٩ - في (و - ج) وجزأ من السماء وهو خطأ من الناسخ.

١٠ - في (و - ج) والوحي ، وهو تصحيف.

أن يبين أن إنزال الرجز كان لظلمهم لا للإبدال فقط، فإن الإبدال بعد^(١) الظلم، ثم بين بقوله: (بما كانوا يفسقون) أن ذلك الظلم الذي تعاطوه كان فسقاً منهم، "والله الموفق"^(٢)...

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مَافْسِدِينَ ۚ﴾. الآية (٦٠) - سورة البقرة.

الاستسقاء طلب السقي أو الإسقاء، فالسقي أن يجعل له ماء يشربه، والإسقاء التعريض للماء، وجعله له ليتناوله متى أراد، فهو أخص معنى من السقي، والسقي إسم للمفعول نحو النقض والنكث، فيقال^(٣) للماء سقي، وللأرض التي يجعل فيها الماء سقياً، والعصا أصله من الواو، بدلالة قولهم عصوته نحو هروته إذا ضربته بهما، وقيل عصيته بالسيف، وعصى فلان أصله أن يتناول العصا فيضرب بها، ثم كثر فعبر به عن الخارج من الطاعة، فصار العصا اسماً للطاعة حتى قيل: شق فلان العصا، ولما كانت عادة المسافرين ملازمة العصا قيل: ألقى فلان عصاه إذا ترك السفر..

والانفجار والانبجاس، والانصداع والانشقاق يتقارب، لكن الانشقاق عام، والانصداع أكثر ما

يقال في الأشياء الصلبة.

والانفجار في الأشياء اللينة، ومنه "فجرة الوادي" للمكان الذي ينبعث منه الماء، واستعير للخروج عن خطر الشريعة لتصوير الفاجر بصورة الماء المنفجر من الحوض واستعير الانفجار والانصداع والانشقاق^(٤) لظهور الفجر، وقولهم: فَجَرَ أَي كَذَبَ، هو استعمال لفظ عام في موضع خاص، فإن الكذب بعض الفجور، إذ قد يكون الفجور قولاً وفعلاً والانبجاس يقارب الانفجار، إلا أن الانبجاس لا يكون إلا واسعاً، والانفجار يستعمل في الضيق والواسع، فكل انبجاس انفجار، وليس

١ - في (١ - ص) بعض.

٢ - زيادة في (١ - ص).

٣ - في (و - ج) لكما وهو خطأ من الناسخ.

٤ - في (و - ج) الإنسان، وهو خطأ من الناسخ.

كل انفجار انبجاساً، فإذا صح أن قيل ههنا: "انفجرت"، وفي غيرها: "انبجست" لأن العام يستعمل أبداً مكان الخاص، والمشرّب مكان الشرب، وسُمّي الشّعْرُ على الشفة العليا والعروق التي في باطن الخلق شاربٍ لتصورهما بصورة الشاربين، واستُعير الشرب والشبّع لما يولج في المصبوغ، فقيل: نُوبُ مُشْرَبٌ ومُشَبَّعٌ صبغاً، وَأَشْرَبْتُ فَلَاناً كَذَا" مكنته في نفسه، وعلى ذلك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾^(١) والعيثُ والعثي يتقاربان نحو "جذب" و"جبد"، يقال: عثى يَعْثِي عَثاً، وعثى يَعْثُوا عَثْواً، وعَثَ يَعِثُ عَيْثاً، إلا أن العيث أكثر ما يقال فيما يُدْرِكُ حساً، والعثو فيما يدرك حكماً، فإن قيل: فما فائدة قوله^(٢) (مُفْسِدِينَ)، والعثو ضربٌ من الإفساد، وقيل: قد قال بعض النحويين إن ذلك حالٌ مؤكدةٌ، وذكر ألفاظاً مما يشبهه، وقال بعض المحققين: "إن العثو وإن اقتضى الفسادَ فليس بموضوع له، بل هو كالاعتداء، وقد يوجد في الاعتداء ما ليس بفساد وهو مقابلة المعتدي بفعله، نحو: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ يَمِثِلْ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾"^(٣)، وهذا الاعتداء ليس بإفساد، بل هو بالإضافة إلى ما قوبل به عدل، فلولا^(٤) كونه جزاءً^(٥) لكان إفساداً، فبين تعالى أن العثو المنهي عنه هو المقصود به الإفساد، فالإفساد مكروهٌ على الإطلاق، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾"^(٦)، وقد يكون في صورة العثو، والتعدي ما هو صلاحٌ وعدلٌ على ما تقدّم، وهذا ظاهرٌ، والمروي في الخبر أنه كان مع موسى - عليه السلام حَجَرٌ إذا نزلوا منزلاً وضَعُوهُ فَضْرِبِهِ بِالْعَصَا فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً لكل سبط عين، وأنكر ذلك بعض الطبيعيين واستبعده، وهذا المنكر مع أنه لم يتصور قدرة الله في

١- سورة البقرة : الآية (٩٣).

٢ - في (و - ج) قولهم، وهو تصحيف.

٣- سورة البقرة : الآية (١٩٤).

٤ - في (أ - ص) ولولا.

٥ - في (و - ج) خبراً، وهو خطأ من الناسخ.

٦- سورة الاعراف : الآية (٥٦).

تغيير الطبائع والاستحالات الخارجة عن العادات، فقد ترك النظر على طريقتهم^(١)، إذ قد تقرر عندهم أن حجر المغناطيس يجز الحديـد، وأن الحجر المنقر للخل ينفره، والحجر الحلاق يخلق الشعر، وذلك كله عندهم من أسرار الطبيعة، وإذا لم يكن مثل ذلك منكرأ عندهم، فليس^(٢) ممتنع أن يخلق الله حجراً يسخره لجذب الماء من تحت الأرض، وقال بعض الناس: "إن في الآية مع هذا المعنى الظاهر إشارة إلى معنى آخر دقيق، وهو أنه أريد بالعصا السياسة، وذلك يكثر في استعمالهم نحو قوله - عليه السلام: «لا ترفع عصاك عن أهلك»^(٣) و"شق فلان العصا" إذا خرج عن السياسة المشروعة، وأريد بالحجر إسرائيل الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لَمُ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾^(٤)، وكان موسى - عليه السلام طلب لهم مداواة^(٥) تعم جميعهم العالم والجاهل منهم^(٦) وعموم المطر للبقاع العامرة والغامرة، فأمره الله تعالى أن يسوسهم سياسة ظاهرة بالعلوم والأعمال التي هي حمل الإسلام والإيمان وهي اثنتا عشرة خصلة التي بينها النبي ﷺ في حديث جبرائيل [عليه السلام]^(٧) ستة منها الإسلام، وهي: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والصلاة والزكاة، والصيام والحج"، وستة منها وهي: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره"، وذلك أن هذه الأركان الاثنى عشر يتشارك في أصولها المكلفون وإن

١ - في (أ - ص) - على طريقتهم.

٢ - في (أ - ص) فغير.

٣ - نص الحديث: «لا ترفع عصاك عن أهلك وأخفهم في الله»

أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج: ٤ - ص ١٧٣.

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالرحمن بن جببر بن نغير الخصومي عن معاذ قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال: «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حل سخط الله عز وجل، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على عيالك من طوئك ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم في الله». مسند الإمام أحمد - ج: ٥ - ص ٢٣٨ - موسوعة السنة وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد - ج: ١ - ص ١٠٥، وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ج: ٦ - ص ٣٩٢، وأخرجه كذلك الحاكم في المستدرک - ج: ٤ - ص ٤١.

٤ - سورة البقرة: الآية (٧٤).

٥ - في (أ - ص) المداواة.

٦ - زيادة في (أ - ص).

٧ - زيادة في (أ - ص).

اختلفت فروضهم في أحكامها وفروعها، وقيل أن "استسقاء موسى - عليه السلام - لقومه هو طلب علوم لهم تعمهم وتقلهم من حيث لا يحتاج فيه أحد إلى الاستعانة بالآخر^(١)، بل يجري مجرى "المطر"^(٢) العام للغني والفقير، فبين الله تعالى أن ذلك ليس من الحكمة، إذ قد جعل بينة الدنيا على تفاوت بين بينها. ولذلك قال:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا ﴾^(٣)، وأمره أن شرع لهم بالسنة الأسباط الاثني عشر أنهاراً من العلوم يتناول كل فرقة على قدر منزلته واستحقاقه من مشربه، وقيل: إن موسى - عليه السلام - طلب لهم العلوم الموهبية وهي الحكمة الحقيقية التي نبه عليها الخضر حيث قال له موسى عليه السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾^(٤)، فبين الله تعالى له أن منزلة (بني إسرائيل) تقصر عن إدراك ذلك، وأمره^(٥) أن يأخذهم بالعلوم والأعمال الظاهرة، وذلك هو الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاج التي قد بنيت عليها الشرائع كلها ولكل واحدٍ من ذلك ثلاث منازل منزلة الظالم والمقتصد والسابق، وهم العامة والجامعة والخاصة، فالعامة تؤخذ منها بالقهر السلطاني والجامعة بالقهر العلمي والخاصة بالقهر اليقيني، فهذه اثنتا عشر خصلة من استكملها بلغ منزلة من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾^(٦) ووصف به أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾^(٧)، الآية وهذه الأقوال محققة في أنفسها وإن لم تكن مقصودة في الآية والله أعلم.

١ - في (و - ج) إلى الآخر.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة الزخرف : الآية (٣٢).

٤ - سورة الكهف : الآية (٦٦).

٥ - في (و - ج) وأمرهم، وهو تصحيف.

٦ - سورة محمد : الآية (١٧).

٧ - سورة الكهف : الآيتان : (١٣)، (١٤).

قوله عز وجل :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ الآية: (٦١) - سورة البقرة.

الصبر الحبس على المكروه، وذلك ضربان: أحدهما: حبس الغير، فيتعدى نحو: صبرت الدابة، وصبرت يمينه أي: حلفته بالله حلفاً لا خروج لها منها، والثاني: حبس النفس، ولا يتعدى في اللفظ، وهو حبس النفس عما يقتضيه الهوى أو على ما يقتضيه "الهوى"^(١) والعقل، ويختلف مواقع الصبر، وربما خولف بين أسمائها^(٢) بحسب اختلاف مواقعها، فإن كان في مصيبة يقال له: صبر لا غير وضده الجزع وإن كان في محاربة سمي شجاعة، وضدها الجبن وإن كان في نائبة مضجرة، سمي "رحب الصدر"، وضده "ضيّق الصدر" والضجر والتبرم، وإن كان في إمساك [النفس فضولات العكس، سمي قناعة وعفة، وضدها الحرص والشرة، وإن كان في إمساك]^(٣) كلام في الضمير سمي كتماناً، وضده الذل^(٤) والإفشاء، ثم الصبر ضربان: نفسي، وبدني، فالبدني: أكثره لأخساء الناس، والنفسي: للأشراف، ولذلك قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ بِالْأَرْوَاحِ يَعْرِفُ فَضْلَهُ صَبْرُ الْمُلُوكِ وَلَيْسَ بِالْأَجْسَادِ^(٥)

والطعام ما يفتدى به مأكولاً كان أو مشروباً، وفي المشروب قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(٦)، ورجل طاعم لمن يطعم، ويتجاوز به لمن حسن حاله في المطعم، ويقال: قَوْسٌ مَطْعَمَةٌ، ويعيرُ مَطْعَمٌ، ومطعمنا الباري لبرئته كل ذلك تصور أنها تطعم صاحبها، والواحد يُقَالُ على أوجهٍ من حيث الجنس

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - في (و - ج) أسماءها، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - ساقطة من (١ - ص).

٤ - في (و - ج) المذل، وهو تصحيف.

٥ - البيت قائله أبو تمام وهو في ديوانه ص

٦ - سورة البقرة : الآية (٢٤٩).

فيقال: الإنسان والفرس واحد، أي من حيث الحيوانية، وواحد من حيث النوع، يقال زيد وعمرو واحد، أي من حيث الإنسانية واحد من حيث الشخص، وإن كان ذا أجزاء كثيرة، يقال: رجلٌ واحدٌ، وواحدٌ من حيث الشرف، نحو قولهم: واحدٌ دهره، وواحدٌ من حيث العدد، وهو مبدأ العدد بمعنى أنه لو ارتفع ارتفعت الأعداد، [ولو ارتفعت الأعداد]^(١) لم يرتفع الواحد بها، فالواحد كيف ما أدرته وأجريتُه لم يزد فيه شيءٌ ولم ينقص، فإنه يحفظ ذاته، ولذلك قيل: إن الواحدة في العدد أقرب الأشياء إلى معرفة وحدانية الله تعالى، فإن قيل: كيف قال: ﴿لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ وَاحِدٍ﴾^(٢)، وكان لهم المن والسلوى؟ قيل: إن ذلك إشارة إلى مساواته في الأزمنة المختلفة، كقولك فلانٌ يفعل فعلاً واحداً في كل يوم وإن كثرت أفعاله إذا تحرى طريقةً واحدةً وداوم عليها، والدعاء أعمُّ من النداء، فإن النداء يقال فيمن يكون بعيداً أو في حكم البعيد والدعاء فيه وفي القريب، وقوله: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾^(٣) ذكر جواب الدعاء، ولم يذكر المطلوب في الأول لكونه معلوماً كقولك: قلُ لفلانٍ يعطني كذا، وتقديره: قل له أعطني يعطني، والنبت والنبات يقال لما يُنبِت الله ولصدر نبت، وقد يقال ذلك لذوي الساق من الشجرة، وأنبت الغلام إذا راهق على طريق^(٤) الاستعارة ونبات عانته، والبقل ما لا ينبت أصله ولا فرع في الشتاء، وأبقل المكان: صارَ ذا بَقْلٍ وتبقلت تناولته وبقل وجهه استعارة، والفوم: الزرع، وقيل: الحنطة خاصة، وقيل: الثوم، والثاء والفاء يبدل أحدهما من الأخرى^(٥) نحو: جدتُ، وجدَفَ، ومغافيرُ، ومغاثير، وأدنى أي أوضع، ويعبر عن الوضع بالدني، والخير يُقالُ على ضربين: أحدهما الخير المطلق، وهو الشيء النافع الحسن الملائم، وضده الشر المطلق، وهو الضار القبيح المؤلم، والثاني: الخير المفيد، وهو ما يحصل فيه أحد الأوصاف الثلاثة، فيصح أن يوصف بالخير مرة والشر مرة على نظرين مختلفين، نحو أن يقال: المال خير والمال شر، ولأجل أن الخير المطلق هو ما جمع الأوصاف الثلاثة،

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة البقرة : الآية (٦١).

٣ - سورة البقرة : الآية (٦١).

٤ - في (أ - ص) طريقة.

٥ - في (أ - ص) الآخر.

وهي غاية ما يتحرى ويطلب، قيل الخير: هو الذي يطلبه الكل، والشر هو الذي يهرب منه الكل، فإن ما جمع الحسن واللذة والنفع يرغب فيه الكل، وما جمع منه أصداده الثلاثة يهرب منه الكل-، والمصر: اسم لكل بلدٍ عظيمٍ مجموع الأقطار والحدود، وهو في الأصل اسمٌ للمصور أي المضموم بالحدود، نحو النقص والنكت للمنقوص والمنكوث، وعبر عن الحد بالمصر في قول الشاعر :

وَجَاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لَاحِقًا بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا^(١)

من حيث إن الحد معتبر فيه، ومصرت الناقصة جمعت ضرعها بإصبعين للطلب، ولما كان خروج اللبن على ذلك قيل غير مصور لقليلة اللبن، و"فلان مصور" أي بخيل يعسر^(٢) إخراج الشيء منه تشبيهاً بذلك، فمصر ههنا قيل هو البلد المعروف، ولذلك قيل هو في قراءة أبي - رضي الله تعالى عنه - بغير تنوين،^(٣) وقيل : عنى به مصرًا من الأمصار، والذلة تقال على وجهين، على الهون وقريء: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^(٤) والمسكنة: الفقر الذي يُسْكِنُ الإنسان عن التصرف، ومعنى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ أي الزمت، وأوجبت- تشبيهاً بضرب^(٥) الخيمة على من فيها والإحاطة به، و"بأؤأ" أي احتملوا، وأصل ذلك من البؤأ. أي المساواة، فباء فلان بكذا تنبيه أنه تحمل مقدار ما يُساوي وقوته، والمباءة: المنزل^(٦) في المستوى، وذلك إذا لم يكن ذا عد، وبَيَّنَّ الله تعالى في هذه الآية أنه لما اختار الله لهم ما يتبلغون به، أبوأ إلا الميل إلى القاذورات وما فيه مراعاة القوة

١- البيت لعدي بن زيد وهو في ديوانه ص ١٥٩، وفي الدر المنثور في علوم الكتاب المكنون للسمين الطلبي ج: ١- ص ٣٩٦، وفي بصائر ذوي التمييز ج: ٤ - ص ٥٠٩ وفي المجلد في اللغة لابن فارس ج: ٣ - ص ٨٣٣، وفي لسان العرب مادة (مِصْر) ونسبه ابن منظور إلى أمية وقال : في اللسان والتمصير حلب بقايا اللبن في الضرع بعد الدَّر فصار مستعملًا في تتبع القلة يقولون يمتصرونها ، وقال الزمخشري : ومن قولهم : لبني فلان غلَّةٌ يمتصرونها - انظر الفائق في غريب الحديث ج: ٣- ص ٣٧٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٦٩ .

٢ - في (و - ج) بغير، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - قرأ (مصر) بغير تنوين كل من الحسن، والأعمش، وابن مسعود، وأبي، وطلحة، وأبان بن تغلب، وابن عباس. معجم القراءات القرآنية - ج: ١- ص ٦٤.

٤ - سورة الإسراء : الآية (٢٤).

٥ - في (و - ج) يضرب، وهو تصحيف.

٦ - في (و - ج) المترك، وهو تحريف.

الْبَهِيمِيَّةَ، والعناية بتربيتها فقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أي أخس بما هو خير مطلق، ثم قال: ﴿أَهَبَطُوا مِصْرًا﴾ وذلك على نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١)، فكأنه قيل: إن لم ترغبوا فيما اخترته لكم. وفيه خلاصكم، فشأنكم في قصد المكان الذي لا يُعدم فيه ما ترمونه، وذكر ثلاثة أحوال كل واحدة كالمعلول للأخرى، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، أي حصلت لهم هذه العقوبة التي هي الذلة والمسكنة والغضب من أجل كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين، وحصل لهم الكفر، وقتل النبيين بالعصيان والاعتداء، وذلك أنه كما أن الخيرات صغارها سببٌ لتحري كبارها، كذلك الشرور صغارها سببٌ لارتكاب كبارها، فبين أنهم لما عصوا وتعدوا، أدى ذلك بهم إلى الكفر وقتل الأنبياء، وأدى ذلك بهم إلى أن أُلْزِمُوا الذلَّةَ والمسكنةَ، وغضب الله عليهم، وفيها تنبيهٌ لنا أن من طلب لنفسه غير^(٢) ما أثاره الله له، فقد خرج من التوكُّل بل قد تَعَدَّى، فقد قيل: (من لم يهتد بما يختاره الله له، لم يهتد بما يختاره لنفسه)، ولهذا قيل في الدعاء: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأكلني كناية الوليد في المهد»..^(٣)

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «الآية : (٦٢) - سورة البقرة».

اليهود: قبل التوبة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٤)، أي تبنا، ومنه أخذ اليهود، وقيل: أصل اليهود ويهدوا منقولٌ عن السريانية، وهو أقرب، وهَادَ فلانٌ إذا تحرى طريقته في الدين، والاسم العَلَمُ قد يَتَصَوَّرُ منه [معنى]^(٥) ما يتعاطاه المسمَّى به والمنسوبُ إليه، ثم يشتق منه، نحو قولهم تَفَرَّعَنَ فلانٌ، إذا تحرى في فعله الجور الذي كان يتعاطاه فرعون^(٦)، وَتَطَفَّلَ فلانٌ^(٧) إذا فعل فعل

١ - سورة فصلت : الآية (٤٠).

٢ - في (أ - ص) عن، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - الحديث «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا تنزع عني صالح ما أعطيت» رواه البزار عن ابن عمر، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم «٣٦٧٤» وحديث رقم «٥٠٧٥»، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج: ١٠ - ص ١٨١، وأخرجه العجلوني في كشف الخفاء - ج: ١ - ص ٢١٧، وأورده القرطبي في تفسيره ج: ١٦ - ص ١٨١.

٤ - سورة الأعراف : الآية (١٥٦).

٥ - زيادة من (أ - ص).

٦ - في (أ - ص) إذا فعل من الجور ما كان.

٧ - ساقطة من (و - ج).

طفيل في كونه وارثاً^(١) أو فاعلاً^(٢) في الدعوات، وقالوا: "لَا طَ فُلَانٌ وَتَلُوطٌ" إِذَا فَعَلَ فَعَلَ آلِ (قَوْمِ)^(٣) لُوطٍ، وهذا أبعد من الأول، ولما كان دين اليَهُودُ قبل أن ينسخ دين حق قيل لمن تاب "هاد" حتى كثر ذلك، ولما تُصَوِّرُ منه الحركة عند القراءة شبه بهم المتحرك طَوْرًا والماشي مَشْيًا مخصوصاً طَوْرًا، فقيل: "تَهُودُ فُلَانٌ فِي مَشْيِهِ"، وَهُودُ الرَّابِضِ^(٤) الدَّابَّةُ إِذَا سَيَّرَهَا بِرَفْقٍ، وأما النصارى، فقد قيل: هُوَ مِمَّا حَكِي عَنِ الْمَسِيحِ ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾^(٥) والأقرب ما قال بعضهم إن المسيح كان من قرية يقال لها نصران، فإما أن سموها باسمها، ثم جمعته العرب على نصارى نحو: "سَكْرَانٌ" و"سَكَارَى" أو جَعَلُوا منسوبين إليها ثم جَمَعَتْ نحو: "مَهْرَى" و"مَهَارَى" و"الصَّابُونُ"، قيل: قَوْمٌ كَانُوا عَلَى دِينِ نُوحٍ، وذلك كان من أديان الحق قبل النسخ، وقولهم: "صَبَّأُ فُلَانٌ" إِذَا أَخْرَجَ مِنْ دِينِهِ إِلَى دِينٍ آخَرَ يجوز أن يكون أصله فيمن كان يخرج إلى دينهم ثم صار يستعمل في كل دين كقولهم الهالكى في أن أصله لحداد مخصوص، ثم صار يستعمل في كل حداد، ويكون أن يكون "صبا عربياً" طابق ذلك، و"صباناب البعير" طلع، ومن قرأ: "صابئين"، فقد قيل هو من: صَبَا يَصْبُو، وقيل: أصله "صبا"، فَتَرَكَ همزه، والأجر والجزاء والثواب يتقارب، لكن الأكثر في الجزاء أن يُسْتَعْمَلَ في المعاملة بين الأكفَاء أو فيما يجري مجراه بضرب من التلطف والأجر فيما يعطى الرفيع من دونه والثواب فيما يرجع إلى الإنسان من نفع عن فعله، وقد تقدم أن الإيمان يُسْتَعْمَلُ على وجهين: أحدهما: الإقرار بالشهادتين الذي يؤمن نفس "الإنسان"^(٦) وماله عن الإباحة إلا بحق، وذلك بعد استقرار هذا الدين مختص به، كالإسلام، والثاني: تحري اليقين فيما يتعاطاه الإنسان من أمر دينه فقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عَنِ بِهِ الْمُتَدِينِ بِدِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ عَنِ بِهِ الْمُتَحَرِّي

١ - في (١ - ص) دارساً.

٢ - في (١ - ص) واغلاً.

٣ - زيادة في (١ - ص).

٤ - في (١ - ص) الرابضة، وهو تصحيف.

٥ - سورة الصف: الآية (١٤).

٦ - في (و - ج) الإيمان.

للاعتقاد اليقيني، فهو غير الأول، ولما كانت مشاهير^(١) الأديان هذه الأربع، بين الله تعالى أن كل من تعاطى^(٢) ديناً من هذه الأديان في وقت شرعه، وقبل أن ينسخ عنه، فتحرى في ذلك الاعتقاد اليقيني، وَأَتَّبَعَ اعتقاده بالأعمال الصالحة، فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وبين صحة ذلك ما روي أن سلمان^(٣) الْفَارِسِيُّ -رضي الله عنه- لما ذكر له خبر النبي ﷺ قصده وآمن به، وذكر حسن أحوال رهبانٍ صحبهم، قال النبي - عليه السلام: «مَا تَوَاوَعُمْ فِي النَّارِ»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ثم قال عليه السلام: «مَنْ مَاتَ عَلَى دِينِ عِيسَى قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ بِي، فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ، وَمَنْ سَمِعَ بِي وَلَمْ يُؤْمِنْ بِي فَقَدْ هَلَكَ»^(٤) وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسعيد - رضي الله عنه - "إن هذا منسوخٌ بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾"^(٥) يعنون أن هذه الأديان كلها منسوخة بدين الإسلام، وأن الله - عز وجل جعل لهم الأجر قبل وقت النبي - عليه السلام -، فأما في وقته، فالأديان كلها منسوخة بدينه...

٦ - في (و - ج) الإيمان.

١ - في (و - ج) متناهية.

٢ - في (أ - ص) يتعاطى.

٣ - في (و - ج) سلمان الفارسي.

٤ - الحديث: أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج: ١ - ص: ٧٤.

٥ - سورة آل عمران : الآية (٨٥).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

الآية: (٦٣) - سورة البقرة.

الميثاق: عقدٌ مؤكدٌ بمين أو عهدٍ، يقال: أُوثِّقْتُ كَذَاً ووُثِّقْتُه ووُثِّقَ به ثقة، ثم قيل: رجلٌ ثقةٌ، وقومٌ ثقةٌ، فاستعير لفظها للموثوق به، والميثاق الذي أخذ منهم ما ذكره الله تعالى في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(١)، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(٢) وفي قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾^(٣) الآية، والطور: قيل هو اسمٌ لجبلٍ مخصوصٍ، وقيل: هو اسم لكل جبلٍ ينبت شيئاً، وطابق لفظه الطور أي الفناء، و"طار يطور" لسرعة المشي، كما أن طار يطير للسباحة في الهواء، والقوة يستعمل تارةً بمعنى القدرة، وتارةً للتهيؤ الموجود في الشيء، نحو أن يقال: النَّوَى بالقوة "نخلة"، أي متهيأً ومرتشحاً أن يكون منه ذلك، ويستعمل القوة في البدن تارةً، وهو الأظهر، وتارةً في النفس، ولما كانت القوة للشدة الموجودة في الشيء سُمِّيَت المفازة قوًى - تصوراً منها ذلك، ثم قيل: أقوى فلانٌ، إذا صار في قوًى، أي قفر، وتصور من حال الفقر الفقر، فاستعير الأقوى للافتقار استعارةً قولهم أترب وأرمل، لذلك، فقوله: (خذوا ما آتيناكم بقوة) أي: تعاطوا ما فيه بعلم ودراية، فالعلم هو الذي يقوي الإنسان ويبلغه المقصود في^(٤) أمور الدين، وقال الضحاك: (بقوة): أي بطاعة الله، وذلك لما روى "أقوى الناس من أطاع الله واتقاه"، وقيل: "بقوة"، أي بعمل ما فيه، وذلك صحيحٌ بنظرٍ، فإن تعاطي كل جزء من العمل الصالح يقوي الإنسان على ما فوقه، وقد تقدم أن الذكر ذكران، ذكرٌ باللسان، وذكرٌ بالقلب، وأنه يتجاوز به في الحفظ والمراعاة، فيقال: اذكر كذا، كما يقال في الترك: النَّسْيَانُ، وذلك أن الذكر^(٥) سببٌ

١ - سورة البقرة : الآية (٨٣).

٢ - سورة المائدة : الآية (١٢).

٣ - سورة آل عمران : الآية (٨١).

٤ - في (أ - ص) من ، وهو الأصح.

٥ - ساقطة من (أ - ص).

لحفظ صورة الشيء في النفس، كما أن النسيان والترك سببٌ لاندحاقها عنها، فمن قال: الذكر والنسيان ليسا من فعل الإنسان، فإنما نُظِرَ إلى الغاية التي هي السببُ دون المَبْدَأ الذي هو السببُ، ومن قال: قد يكون من فعل الإنسان، فإنما اعتُبر السبب الذي عنده يحصل ويُثَبَّت صورة الشيء في النفس، وعنده ينحذف، ومعنى الآية: قيل إن موسى - عليه السلام - لما أتى بني إسرائيل بالتوراة متضمنة لأحكام شريعتهم، أُبُوا أَنْ يَلْزِمُوهَا^(١)، فأمر الله الملائكة أن ترفع الطور، فقيل لهم: خذوها وإلا طُرحَ عليكم، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَرْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾^(٢) الآية إن قيل: إن هذا يكون إلجاءً، ولا يُستحق به الثواب، قيل: لم يستحقوا الثواب بالالتزام، وإنما استحقوا بالعمل بها من بعد، فأما في التزامها فمضطرون، وقال بعض الناس: "عني برفع^(٣) الطور تشديد الأمر عليهم وجعل ذلك مثلاً"، وذلك بعيدٌ، وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَرْقَكُمُ الطُّورَ﴾، الواو فيه للحال لا للعطف، لأن أخذ الميثاق كان بعد رفع الطور، وذلك نحو قول الشاعر :

قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلَ الْخَنَاءِ مَهْلًا فَقَدْ أُلْبِغْتَ إِسْمَاعِي^(٤)

قوله - عز وجل :

﴿ثُمَّ تَرَكَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَعَلَا فَضِلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمَتْهُ لَكُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

الآية: (٦٤) سورة البقرة.

التولي: التفعّل من الولاية في الأصل، ويقتضي تولي الأمر حصوله في أقرب المواضع منه، وإذا قيل: تولي عنه، فمعناه ترك^(٥) التولي معرضاً، فالتولي عن الشيء أخص من الإعراض، والإفضال والإحسان والإنعام لا يكاد يفرق بينهما في التعارف سيما إذا وصف به الباري سبحانه وإن كان قد

١ - في (أ - ص) يلتزموها.

٢ - سورة الأعراف : الآية : (١٧١).

٣ - في (أ - ص) عني بالطور.

٤ - قاتل البيت هو أبو قيس بن الأسلت، وهو من شعراء الجاهلية وقيل: دخل الإسلام وكانت امرأته كبشة بنت ضمرة ابن عمرو بن

عوف، وقد جاءها ليلاً فأنكرته، فقال لما دفعته: أنا أبو قيس، فعرفت كلامه فدخل، وقال هذه القصيدة :

والبيت الثاني بعد هذا البيت هو

أُنْكَرْتُهُ حِينَ تَوَسَّعْتُ وَالْحَرْبُ غَوْلٌ ذَاتُ أُوجَاعِي

والبيتان في خزنة الأدب - ج: ٣ - ص: ٤١٠، وفي المفضليات ، ص: ٢٨٤، وفي الأغاني - ج: ١٥ - ص: ١٥٢.

٥ - في (و - ج) نزل وهو خطأ من الناسخ.

يختلف في أصل الموضوع، ومن حيث الاشتقاق فالإفضال بذل ما لا يجب عليه، أو ترك ما يجب له وذلك من الفضل وهو الزائد على العدل، والإحسان. الفعل الحسن سواء كان واجباً وعدلاً أو نافلاً وزائداً على العدل وإن كان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١) الآية ما يقتضي ما يزيد على العدل والإنعام يقتضي ما يتنعم به المنعم عليه، ولا يكاد يقال في التعارف يقال فيما يقتنيه الإنسان في نفسه تارة، وفيما يعطي غيره تارة، فيقال فيهما: فلان ذو فضل، والثاني هو المراد ههنا، وقول أبي العالية والربيع: "إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ"، وَرَحْمَتُهُ "الْقُرْآنُ"، فذلك بعض ما يقتضيه عموم اللفظ، ولكن في قولهما تنبيه، إن هذا خطاب لمن كان في زمان النبي ﷺ من المتقدمين، والخاسر المطلق في القرآن هو الذي خَسِرَ أَكْثَرَ مَا يُقْتَنَى، وذلك [نعيم]^(٢) الأبد، وهو المذكور في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣)، إن قيل: إن ذلك يقتضي أن لا فضل له تعالى على الذين خَسِرُوا [أنفسهم]^(٤)؟ قيل: تخصيص من انتفع بذلك من حيث إنه قبله لا يقتضي إن لم يعرض فضله لغيره فإن فضله تعالى الديني مَرَّضٌ لكل أحد، لكن حق الإنسان أن يترشح بقبوله والانتفاع به، فمثله كمثل نعمته بالشمس والصوب اللذين وإن كانا عامين لا ينتفع بهما من زرعه من لم يرشحها للانتفاع بهما، كذلك فضله الديني والعقلي لا ينتفع به من لم يرشح نفسه بقبوله..

١ - سورة النحل : الآية (٩٠).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة الزمر : الآية (١٥).

٤ - ساقط من (و - ج).

قوله عز وجل :

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

الآية : (٦٥) سورة البقرة.

العلم ههنا بمعنى المعرفة، ويتعدى ذلك إلى مفعول واحد، وحقيقة ذلك أن معارفنا ضربان أحدهما: حصول صور^(١) الموجودات في النفس وذلك كالمعرفة بذات الشيء، والثاني: الحكم بوجود شيء لشيء هو موجد^(٢) له، أو الحكم بنفي شيء عن شيء هو منتف عنه، فالأول: يُقال له معرفة وعلم، ويتعدى إلى مفعول واحد، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾، وقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٣) والثاني: يُقال له علم، ولا يقال له معرفة، ويتعدى إلى مفعولين لا يصح الاختصار فيه على أحدهما من حيث إن ذلك يقتضي إثبات حكم أو نفي حكم لمعلوم، والاعتداء مجاوزة الحق على وجه محظور، قال الحسن: كان اعتداؤهم في السبت ليأخذوها يوم الأحد، والسبت في الأصل راحة بعد تعب، وقيل: حبسهم إياها في الشباك يوم السبت ليأخذوها يوم الأحد، والسبت في الأصل راحة بعد تعب، واستعمل في الشعر إذا حلق لهذا المعنى، وفي الجلد إذا أزيل عنه الشعر تشبيهاً به، وقيل للنمل "سبت"، أي مسبوت نحو نقض، ونكت، والسبات للنوم من ذلك، والسبت قيل جعل اسماً للنوم^(٤) من ذلك، وخسأت الكلب فخساً، زجرته فانزجر، وخساً البصر من ذلك، أي انقبض، وقوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أي جعلناهم، فذكر القول ههنا تنبيهاً على سرعة جعله كذلك نحو قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾^(٥)، أي جعلنا له وبيان جعله الإنسان قردة وخنازير يحتاج فيه إلى مقدمة وهي أن الإنسان أتم ما أوجده الله تعالى في هذا العالم وأشرف، فإن الأعيان المبصرات بالقول المجمل أربعة، الجماد [وهو الجسم غير النامي]^(٦)، ثم النبات وهو الجسم النامي، ثم الحيوان، وهو النامي

١ - في (و - ج) صوم وهو خطأ من الناسخ.

٢ - في (و - ج) موجود، وهو تصحيف.

٣ - سورة الأنفال - الآية: (٦٠).

٤ - في (و - ج) لليوم، وهو تصحيف.

٥ - سورة النحل الآية (٤٠).

٦ - ساقطة من (و - ج).

الحساس، ثم الإنسان وهو الحساس المروي، فلإنسان صورتان، مهما باين ما سواه إحداها مدركة بالحاسة، وهو الشكل المخصوص، والثانية مدركة بالعقل، وهو ما خُصَّ به من قوة الفكر والتميز والعقل، فالإنسان بهذه القوة يشابه الملائكة وبقوته الشهوية والغضبية يشابه البهائم، فصار واسطة بين القبيلين^(١)، وفيه تمكن من التشبيه بالقبيلين^(٢)، أما تشبيهه بالملائكة، فبإماتة قوته الشهوية بقدر الطاقة وتربية قوته الفكرية وتعاطيه ما وصف الله به الملائكة في قوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٣)، وأما تشبيهه بالبهائم، فبإماتة قوته الفكرية وتربية قوته الغضبية والشهوية وتعاطيه ما وصف الله به الكفار، فقال: ﴿يَمْتَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾^(٤) وقال: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(٥)، فإذا ثبت ذلك، فمن اعتبر الصورة المعقولة^(٦) قال: هذا مثل ضربه الله لهم كقوله: ﴿كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٧)، وقوى ذلك بقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾^(٨) وإليه ذهب مجاهد ومن اعتبر الصورة الشكلية قال: جعلهم على شكل الفردة والخنازير كذا روى عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - والحكمة تقتضي الأمرين إذا تحرى بذلك ردع الكافة، فإن تغيير الصور المعقولة لا يعرفه إلا الخاصة من أولي البصائر والعقول الراجحة وتغيير الصور المحسوسة يشاركهم فيها العامة وأصحاب الحواس والذين لا يرتدعون إلا بما تدركه حواسهم فتبهرهم وغيرهم^(٩).

١، ٢ - في (١ - ص) بالقبيلتين.

٣ - سورة التحريم : الآية (٦).

٤ - سورة محمد : الآية (١٢).

٥ - سورة الأعراف الآية (١٧٩)، وهي ساقطة من (١ - ص).

٦ - في (١ - ص) المفعولة، وهو تصحيف.

٧ - سورة الجمعة : الآية (٥).

٨ - سورة المائدة : الآية (٦٠).

٩ - في (١ - ص) نحوهم.

قوله - عز وجل :

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية : (٦٦) سورة البقرة.

النكال: العقوبة الرادعة على سبيل القهر والفضيحة المشهورة، وهو منقول عن نكل فلان عن كذا أي ارتدع، ومنه النكل للقيد ولحديدة^(١) اللجام ولكل ما ينكل به، والوعظ ردع بالعبارة والإحالة على الاعتبار، وقوله: (لما بين يديها) أي لما في زمانها، (وما خلفها) أي لمن بعدها، ولما كانت عامة السياسات ضربين، قهرية وهي للعامة وذلك بالنكال ووعظية، وهي للخاصة وذلك بالمقال ذكر الله تعالى أنه جمع في ذلك الأمرين نكالا لعامتهم وموعظة لخاصتهم وهم المتقون، فإن قيل: لم قال (لما بين يديها) ولم يقل لمن بين يديها؟ قيل في ذلك تنبيه على لطيفة وهي أن لفظة (ما) يعبر بها عن الأجناس من الحيوان وغيره ومن لا يعبر به مفرداً إلا عن العقلاء، ولما قال في الجهلة: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾^(٢) استعير لهم لفظ ما تنبيهاً على ما ذكرنا، وعلى ذلك كثير مما وضع ما وضع من في كلامهم، ويكشف ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، فجعلهم شر الدواب كما جعلهم في الأولى أضل من الأنعام، وبهذا المعنى ألم بعض المحدثين في قوله:

حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلْقٌ تَخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهِمْ بِمَنْ^(٤)

وقال بعض الأدباء قوله: (وما خلفها) نصب ومعطوف^(٥) على الهاء في قوله: فجعلناها أي جعلنا هذه العقوبة وهو المسح وما خلفها من عذاب النار عقوبة (لما بين يديها) أي لذنوبهم المتقدمة.
[والله أعلم]^(٦)

١ - في (أ - ص) لحديد.

٢ - سورة الفرقان : الآية (٤٤).

٣ - سورة الأنفال : الآية (٥٥).

٤ - هذا البيت للمتنبّي ، وهو في ديوانه - ص ١٧٠ ، وقد ورد عجز البيت في مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٧٨ ، وفي الزريعة إلى مكارم

الشريعة ص ٧٩ ونسبة الراغب فيه للمتنبّي.

٥ - في (و - ج) وطوف، وهو خطأ من الناسخ.

٦ - ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الآية : (٦٧) سورة البقرة.

قد فرق العرب بين كثير من ذكور مشاهير الحيوان وإنائها في الأسماء، فقالوا : رجل وامرأة وجمل وناقة وثور وبقره وعير وأتان، وجعلوا في عامة ذلك اسماً يجمعها كالإنسان والبعير والحصان، وربما جمعوها تحت أحد اسمي الذكر والأنثى كقولهم البقر والضبع، وقيل: سمي البقر لأنه يبقر الأرض، أي يشقها، والأقرب أن يكون البقر أصلاً في الباب، ثم اشتق منه هذه الأفعال بحسب تصورها منه، فلما عرف من البقر هذا الفعل اشتق من لفظه بقر، وشبه به بقر فلان بطن فلان، وتصور انفعال من البقر ما فيه من البلادة، فاشتق منه بقر فلان إذا تبلد في الأمر تبلد البقر وتصور منه أسراع مضطرب، فقليل بقر إذا أسرع إسرعه، وقيل لجماعة البقر بقرنحو الحمير والكليب، وقيل الباقر للبقر وأصحابها وعلى ذلك الخامل، وذلك كقولهم لابن وتامر في أنه اسم اللبن وصاحبه، لكن الباقر يستعمل لجماعة البقر منفرداً، نحو قول الشاعر :

وما ذنبه أن عافت الماء باقره^(١)

والعوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به، وعوذه إذا أرقاه منه، والعوذة اسم لما يعاذبه من الشر، وقيل: أطيب اللحم عوذه أي ما عاذ بالعظم وتمسك به، والجهل عدم العلم، وربما جعله أهل اللغة - وبعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الخارجة^(٢) على النظام، وعلى ذلك قالت العرب المجهلة للأمر

١- هذا شطر بيت قاله ميمون بن قيس «الاعشى الكبير» وتماه:

وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءُ بَاقِرًا وَمَا إِنْ يَافُ الْمَاءُ إِلَّا لِيَضْرِبَا

والبيت في ديوانه ص ٩٠ ، والحيوان ج: ١ - ص ١٩ ، ك ص ٣٠١ ، ج: ٦ - ص ١٧٤ وهو في لسان العرب مادة «ثور» ، وفي تفسير

الطبري ج: ١ - ص ٢٠٩ ، أمثال حمزة الأصفهاني - ج ٢ - ص ٥٦٢ ، شرح التحفة الوردية للبغدادى : ص ٥٤٦ .

٢ - في (١ - ص) الجارية ، وهو خطأ من الناسخ .

أو للأرض أو الخصلة التي تحمل الإنسان على الاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو به، أو على إيقاع الفعل على غير ما يجب، وقالوا : استجهلت الريح الغصن إذا حركته حركة شديدة، ويجب أن يعلم أن الجهل ضربان: أحدهما افتقاد العلم، والثاني تصور الشيء بخلاف ما هو عليه، وهو أعظم الجهلين، ولما لم يسم كثير من المتكلمين الضرب الأول جهلاً حدوا الجهل بأنه اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به، لكن لما كان افتقاد العقل يقال له جهل حتى يقال عاقل وجاهل، كما يقال عالم وجاهل صار عدم العلم مسمى بالجهل، والهزؤ مرح مع عيب، وأما السخرية، فمعه تسخير بالفعل، ولهذا قال تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾^(١) وهو أن يجعله منقاداً لك بضرب من الهزؤ، ولما قال موسى لهم: اذبحوا بقرة، واستطرقوا هذا الحديث، فقالوا لغباوتهم وقلة تثبتهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾، فأجابهم بجواب مختصر متضمن لمقدمتين ونتيجة، فقال: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فكأنه قال: الهازئ جاهل، والجهل منتف عنى فإذا لست بهازئ، وأخرج ذلك بقوله: أعوذ بالله مخرج منكر منقطع لما رمى به، فإن قيل كيف جعل الهازئ جاهلاً وقد يهزأ الإنسان وليس بجاهل؟ قيل: لما كان يقال لمن اعتقد في الشيء خلاف ما هو به جاهل، ولمن فعل ما لا يقتضيه العلم وإن لم يعتقد فيه خلاف ما هو به جاهل، والهازئ إما أن يهزأ، لاعتقاده أن ذلك يجوز أو لا يعتقد ذلك، ولكن يفعل ما لا يقتضيه العلم، فيصح من هذا الوجه أن يقال هو جاهل، فإذا كل هازئ جاهل على أحد هذين الوجهين.

قوله - عز وجل :

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ . الآية (٦٨) من سورة البقرة .

التبيين كالتعريف، إلا أن التبيين يقتضي إظهار الفضل بين الشئ وغيره، والتعريف قد يكون إظهار الشئ في نفسه من دون اعتبار بغيره واشتقاق ذلك من البين وهو المسافة بين الشيئين، وأصل الفرض قطع الحديد وهو أبلغ من الفرض، والمفراض والمقراض ما يقطع به الحديد، ونحوه وفرض الزند والقوس مستعار من ذلك، وكذا فرضه الماء [للمقسم المحكوم به]^(١) وقيل لما أوجب وقطع به الحكم فرض كفرض العبادة وما ألزم إعطاؤه من المال، وسمي ما يؤخذ في الصدقة من [الإبل والبقر والغنم]^(٢) فريضته، والفارض من البقر يجوز أن يكون من هذا، لأن السائغ في الصدقة من سن البقر اثنان، التبيع والمسنة فالتبيع يجوز في حال دون حال والمسنة يصح بدلها في كل حال، فيجوز أن يكون سمي فارضاً لهذا، وقيل فرضت البقر، وفرضت، والبكر المتقدم على أمثاله في السن، وبه سمي البكر، وأول نكاح وأول مولود وأول والد ووالدة، وقيل في البعير بكر، وفي الفواكه باكورة وبكر فلان في الحاجة إذا تعجل، وعلى ذلك قوله:

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَمَنْ فِي النَّدَى^(٣)

والعوان: الوسط بين السنين وهو المحمود، لأنه بين الحالين، وقد يُجعل كنايةً عن المسنة بين

١ - ساقطة من (أ - ص) .

٢ - في (أ - ص) من النعم .

٣ - هذا شطر بيت وتمامه :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَمَنْ فِي النَّدَى بِسَلِّ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَبِئَابِي

وهو في لسان العرب مادة «بكر» بلا نسبة ، وهو ضَمْرَةُ بن ضَمْرَةَ النهشليّ، وهو في نوادر أبي زيد ص ٢ ، والأفعال للسرقسطي

ج ٢ - ص ٦٧ ، والبرصان والعرجان للجاحظ ص ٥٩ ، وأما القالي ج: ٢ - ص ٢٧٩ ، وهو في مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٠ .

النساء، فتذم به المرأة كما قال:

وَإِنْ أَتَوْكَ فَقَالُوا إِنَّهَا نِصْفٌ فَإِنَّ أَمَثَلَ نِصْفِهَا الَّذِي نَهَبَا^(١)

وقيل: حربٌ عَوَانٌ تشبيهاً بالمرأة، واستعارة منها كاستعارة القناة والشمطاء وغير ذلك من الأسماء، وقوله: ﴿لَا فَارِضٌ﴾ أى غير فارض، وهو وصف أو خبر ابتداء مضمر، وكذلك عوان، لكن الأجود في عوان أن يجعل خبر ابتداء مضمر، فقد كثر عن الفراء الابتداء به وذلك قصد منهم أن يكون خارجاً عن النفي في اللفظ كما هو خارج عنه في المعنى، وجاز أن يقال "بين ذلك"، وإن كان بين ذلك تضاف إلى شيئين لما كان ذلك عبارة عن الفارض والبكر في قوله: ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ زجرٌ لهم عن المراجعة وتطلب العناد وتنبيه أن مراجعتهم^(٢) تشدد الأمر عليهم وذلك كما روي عن النبي ﷺ لما قيل له في الحج: العامنا هذا أم للأبد؟ فقال: بل للأبد، ثم قال: (إنما أهلك من كان قبلك بكثرة سؤالهم على أنبيائهم)..^(٣)

قوله - عز وجل :

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ﴾ .

الآية (٦٩) سورة البقرة.

الصفرة لون مخصوص وعبر عن ذلك السواد بالصفرة، كما عبر عن الخضرة بالسواد، وذلك لكون الصفرة والخضرة سالكين إلى السواد، وقال الحسن: الصفراء هنا سوداء، لكن استبعد ذلك لقوله: فاقع، والسواد يقال فيه حاله لا فاقع، ولفظة الصفر يتصرف على وجهين، ومنه قيل للنحاس صفر وليبيس البهيمى صفار، والثاني: حكاية صوت وهو الصفر، وعنه قيل: صفرا الإناء إذا خلا حتى

١- البيت في لسان العرب مادة «نصف» بدون نسبة، وهو أيضاً في المخصص في اللغة ج: ١ - ص ٤١، وفي عيون الأخبار ج: ١٠ - ص ٤٢٣، وفي مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٩٨ .

٢ - سقط الجزء المتبقي من تفسير هذه الآية، وكذلك الآيات: (٦٩، ٧٠، ٧١) من الناسخ في المخطوطة (و-ج) وهي الأصل، ولذا فإننا سنعمل في تحقيق تفسير هذا الجزء المفقود على المخطوطة (أ - ص). هذا للتنويه.

٣- الحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل ج: ٢ - ص ٣١٣، وهو في الدر المنثور للسيوطي ج: ٢ - ص ٣٣٥ .

يسمع منه صفير لخلوه، ثم صار متعارفاً في الخالي، وقيل لخلو الجوف صفر وسمت العرب الصفر الذي هو الخلو حية الجوف من حيث إنه يتألم به الجوف، وذلك أن العرق الممتد من الكبد إلى المعدة إذا لم يجد غذاءً امتص أجزاء المعدة، فاعتقدت جهلة العرب أن ذلك حية في البطن تعض الشراسف، حتى نفى النبي - عليه السلام - ذلك بقوله: **(لَا صَفَرَ)**^(١)، والسرور مستبطن في الصدر، وأصله من السرو، والسرور والحبور والفرح والجدل والمرح يتقارب، لكن السرور هو الخالص المتكتم، وسمي بذلك اعتباراً بالأسرار، والحبور ما يُرى خبره أي أثره في ظاهر البشرة، وهما يستعملان في المحمود، وأما الفرح، فما يورث أشراً ويطراً، ولذلك كثيراً ما يُذم، فقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾**^(٢)، وقال: **﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**^(٣)، والجدل بطر معه تززع، ولذلك قيل: "فرس جذل وجذلان"، أي نشيط، والمرح هو النشاط المفرط، فكأن السرور والحبور أكثر ما يكونان عن القوة الفكرية والفرح والجدل والمرح عن القوة الشهوية، ومن قال: **﴿تَسْرُّ النَّاطِرِينَ﴾** أي تعجب، فعلى التوسع من حيث إن الإعجاب بالشئ والسرور به كثيراً ما يجتمعان..

١- الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

«لَا عَنَوتَى وَلَا صَفَرَ وَلَا مَامَةَ» أخرجه البخاري في الطب ج: ١٠ - ص ٢٠٥ ، وأخرجه مسلم في السلام برقم «٢٢٢١» وأورده البيهقي في شرح السنة ج: ١٢ - ص ١٦٧ وذكره الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٨٧ وأورده بن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري باب الجذام بوزاد عليه : «وَفَرِحُوا مِنَ الْمَجْنُونِ كَمَا تَفَرَّمَنِ الْأَسَدُ» ج: ١١ - ص ٥٦٦ - حديث رقم «٥٧٠٧».

٢- سورة القصص : الآية (٧٦).

٣- سورة الرعد : الآية (٢٦).

قوله عز وجل :

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾

الاية (٧٠) سورة البقرة.

إن قيل: لم قال: ما هي؟ ولم يقل أي بقرة هي؟ أو كيف هي؟ وما يسأل به عن الأجناس، والأنواع، وإنما يسأل عن الأعراض بكيف وبأي؟ قيل: إنما قد يسأل به عن كل ذلك، فيقال: ما هذا الإنسان؟ أي ما حاله وما صفته، كما يقال كيف هذا الإنسان وأي إنسان هو؟ وكيف وأي لا يسأل بهما عن الأجناس والأنواع، والفصل بين ذلك أن لفظ ما من لفظة أي وكيف يجري مجرى الجنس من الأنواع، فكما يصح أن نعبر عن النوع بالجنس، فيقال للإنسان هو حيوان، ولا يصح أن يعبر عن الجنس بالنوع، فيقال لكل حيوان إنسان، كذلك يصح أن يعبر عن أي وكيف بما، ولا يصح أن يعبر عن كل ما فيه ما بأي وكيف، وقرئ "تَشَابَهَ" على لفظ الماضي، فجعل لفظ البقر مذكراً، وتشابه بالتخفيف على تقدير تشابهه، فحذف إحدى التائين، وقرئ "تَشَابَهَ"^(١) بتشديد الشين على إدغام التاء في الشين، وقرئ يَشَابَهَ"^(٢) بالتشديد على الإدغام والتذكير والاشتباه أن يشبه البعض البعض، فيصعب التمييز بينهما، وروى أنهم لما قرنوا بالمراجعة الأخيرة قولهم: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ وفقهم الله لمعرفة ما سألوا عنه ولترك التعنت، وقال النبي -عليه السلام- «والذي نفس محمد بيده لو لم يستثنوا ما بَيَّنَّتْ لَهُمُ آخِرُ الْأَبَدِ»^(٣)، وفي ذلك حثٌ، حيث قال الله تعالى لعباده على استجلاب توفيقه وضم لفظ المثنوية أي: مشيئة الله إلى كل ما يذكر من مستقبل الأمر كما قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنَّا لَا عَدَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٤)..

١ - هي قراءة شاذة قرأ بها الحسن، والأعرج. معجم القراءات القرآنية ج: ١ - ص ٧٠.

٢ - قرأ بذلك يحيى بن يعمر، ومجاهد، وابن مسعود، والمطوعي. نفس المرجع - ج: ١ - ص ٧١.

٣ - الحديث أورده القرطبي في تفسيره ج: ١ - ص ٤٨٨ وأورده ابن كثير من طريق أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لولا أن بني إسرائيل قالوا «وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ» ما أعطوا أبداً، ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر، فذبحوها، لأجزأت عنهم ولكن شددوا فشدّد الله عليهم :- وعقّب ابن كثير على هذا بقوله - وهذا حديث غريب من هذا الوجه وأحسن أحواله - أن يكون من كلام أبي هريرة، كما تقدم مثله عن السدي. تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج: ١ - ص ١١١ ط - دار الفكر العربي.

٤ - سورة الكهف: الآيتان: (٢٢، ٢٤).

قوله - عز وجل :

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شِئَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ الآية (٧١) سورة البقرة.

الإثارة: البحث والكشف الشديد، ومنه ثار الدخان والغبار والقطاعن محثمها^(١)، والدم في وجه الإنسان والحصبة في البدن، وتورث الأمر، وقوله: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ صفة لقوله: ذلول، لأنه يراد نفي الإثارة عنها لا إثباتها لها، والحرث تذليل الأرض وتسهيلها للزراعة، ثم يتجاوز به في الزراعة، ويكنى به عن النكاح وعن جميع المال، ويقال: دابة محروثة أي مذلة، والمحراث لما يحرث الزرع والنار، والمسلمة المتروكة سليمة من العاهات، وأصل ذلك من السلامة، والتسليم أصله بذل السلامة، وجعل في التعارف^(٢) لبذل مقاله المخصوصة لما كان ذلك في الأصل موضوعاً لبذل السلامة، ولما كان قوله السلام مقتضياً لذلك، قال عليه السلام: «أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»^(٣)، ولم يرد بذلك المقال دون الفعال وإن كان ظاهره المقال، ولهذا ضمن به الجنة، وقوله: ﴿لَا شِئَ فِيهَا﴾ أي: لا أثر بها يخالف معظم لونها، وهي فعلة من الوشى، واستعمل الوشى في الكلام بالمنسوج وحض التقول على سبيل النميمة بالوشاية والمجئ والإتيان يتقاربان، لكن المجئ كأنه يقال باعتبار الحصول والإتيان باعتبار القصد، ولذلك قيل للماء المجتمع حية، وللسيل القاصد أتي، وقوله: ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ لا يتضمن أن ما جئت به من قبل كان باطلاً، وإنما أرادوا الآن جئت بما تحققنا المراد مناً، وليس كما قال بعض الناس إن القوم كفروا بذلك، لأن كلامهم تضمن أن موسى لم يكن يأتي بالحق قبله، والنفي في قوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ وإن دخل في لفظ "كاد"، فهو متناول لقوله يفعلون نحو: ما كان زيد

١ - الحثمة: الربوة، والطريق العالية، والحثمة: مصب الماعند السد. المعجم الوسيط- مادة: حثم.

٢ - من هذا الموضع تعاود التحقيق من النسختين حيث كنا قد اعتمدنا في تحقيق تفسير الآيات السابقة من رقم (٦٨) حتى رقم (٧١) والتي أسلفنا الإشارة إليها من قبل على النسخة (أ - ص). فقط لعدم وجودها في النسخة (ر - ج) الأصل.

٣ - الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، ولفظه: «ألا أدلكم على ماتحايون به ، أفشوا السلام بينكم» وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وصححه الترمذي والحاكم بـوصحه ابن حبان من حديث عبد الله بن عمر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج: ١٦ - ص ٥٢٣ - حديث رقم «٦٢٣٥».

يخرج، وتقدير ذلك كادوا يفعلون لتعذر ذلك عليهم وكثرة مراجعتهم، وقيل: (كادوا لا يفعلون) خشية الفضيحة. وأما إنهم بكم اشتروا البقرة، وممن اشتروها فليس مما يفتقر إليه تفسير الآية، وقال بعض الناس: في هذه الآية دلالة على فسخ الشئ قبل فعله، فإن في الأول أمروا بذبح بقرة غير معينة، وكان لهم أن يذبحوا أي بقرة شاؤوا، وفي الثاني والثالث أمروا بذبح بقرة مخصوصة، فكأنهم نهوا عما كانوا أمروا به من قبل وليس الأمر كذلك، فإن الأول أمرٌ مطلق والثاني والثالث كالبيان له لما راجعوه^(١) ولم يسقط عنهم ذبح البقرة، بل زيد في أوصافها، وكشف عن المراد بالأمر الأول، وفي الآية دلالة على جواز تأخير بيان المجرى^(٢) إلى وقت الحاجة..

قوله - عز وجل:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُكْفِرِينَ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. الآية (٧٢، ٧٣) سورة البقرة.

ادارأتم أي تدافعتم، وأصل الدرء الاعوجاج، فالتدارؤ أن يعوج كل على الآخر بمخالفته له، وقال الخليل: كوكب دري، فعيل من الدرء أي تدافع الضوء، ودرأت عنه البعد منه، ووزن "ادارأتم" من الفعل تفاعلت، أصله تدارأتم، فأريد الإدغام تخفيفاً، فأبدل من التاء دالاً فسكن للإدغام، واجتلب لها ألف الوصل، فحصل على اتفاعلت، وقال بعض الأدباء: ادارأتم افتعلتم، وغلط فيه من أوجه.

أولاً: أن ادارأتم على ثمانية أحرف، وافتعلتم على سبعة أحرف، وثانياً: أن الذي يلي ألف الوصل تاء، فجعلها دالاً، وثالثاً: أن الذي يلي الثاني دال، فجعلها تاء، ورابعاً: أن الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال منه إلا متحركاً، وقد جعله ههنا ساكناً وخامساً: أن ههنا قد دخل بين التاء والدال زائد، وفي افتعلتم لا يدخل ذلك، وسادساً: أنه أنزل الألف منزل العين وليست بعين، وسابعاً: أن تاء افتعل قبله حرفان وبعده حرفان، وادأراً بعد التاء ثلاثة أحرف، وثامناً أن عين افتعل في المستقبل مكسور، وعين "ادارأتم" في المستقبل مفتوح، وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

١ - في (١ - ص) راجعوا.

٢ - في (١ - ص) البيان.

اعتراض متضمن لتمرّد، وتنبيه أنه تعالى لا يخفى عليه خافية، وأن كل من عمل خيراً أو شراً، فإن الله تعالى لا يظهره على بعض الوجوه، وعلى ذلك روى "ما عمل عبدُ حسنة في سبع آيات إلا أظهره الله تعالى، لقوله: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُتُمُ تَكْتُمُونَ﴾، ونظم هذه الآيات مشكلاً، فقد كان في الظاهر يقتضي أن يكون قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ متقدماً على قوله: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...)، لأن أمر موسى -عليه السلام- بذبح البقرة بعد التدارؤ، وفي قتل النفس والظاهر أن ذبح البقرة قد كان من قبل، وبيان ذلك أنه قد قيل قولان: أحدهما: أن موسى -عليه السلام- قد أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة قبل الحادثة، فلذلك تعجبوا وقالوا: أتنخذنا هزواً، فلما ذبحوا البقرة اتفق حصول^(١) المقتول، فقال موسى لما راجعوه: "اضربوه ببعضها"، وقيل: بل كان الأمر بذبح البقرة بعد وقوع التشاجر، وعلى هذا قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ ليس بمعطوف على قوله: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ)، بل هو في موضع الحال له، كأنه قيل: (واذكروا إذ قال موسى لقومه...) الآية..

وذلك إذ قتلتم نفساً [فادارأتم فيها]^(٢) أو إذ قتلتم نفساً كان ذلك، لكن اختصر، وفي قوله: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ اختصار، كأنه قيل: ليحى محى، وأما بأي عضو ضرب، فقد قال مجاهد: بفخذها، وقال السدي: بمضغة من لحمها، وقال الفراء: بذنبها، وقال وهب: بأصغريها قلبها ولسانها، فظاهر^(٣) الآية لا يقتضي تخصيص عضو، (من عضو)^(٤) وقوله: ﴿يُخَيِّمُ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾، قيل: هو حكاية عن قول موسى -[عليه السلام]- لقومه، وقيل: بل هو خطاب من الله تعالى لهذه الأمة تنبيهاً على الاعتبار بإحيائه الموتى، وقد استبعد بعض الناس ذلك وما حكاه الله منه، وأنكر حصول ذلك الفعل على الحقيقة، وقال ذلك ممتنع من فعل^(٥) الطبيعية، [وأيضاً فإن ذلك لا يعرف فيه حكمة إلهية فأما

١ - في (و - ج) الحصول، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - في (١ - ص) وظاهر.

٤ - ساقطة من (١ - ص).

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - في (١ - ص) من حيث.

استبعاده ذلك من حيث الطبيعة^(١)، فإنما هو استبعاد للإحياء والنشور، ولذلك موضع لا يختص بالتفسير، ومن كان ذلك طريقته، فلا خوض معه في تفسير القرآن، وأما الحكمة فيه فظاهرة، إذهو من المعجزات المحسوسات^(٢) الباهرة للعقول، وتخصيص^(٣) البقرة، فإن كثيراً من حكمة الله تعالى لا يمكن للبشر الوقوف عليه، ولو لم يكن في تخصيص بقرة على وصف مخصوص إلا توفر الأمور^(٤) بذلك على طلبها واستيجاب الثواب في بذل ثمنها وجلب نفع إلى صاحبها لكان في ذلك حكمة عظيمة، وفي الآية تنبيه على أن الجماعة التي حكمهم واحد، يجوز أن ينسب الفعل إليهم وإن كان واقعاً من بعضهم، ولا يكون ذلك كذباً، كما أن الجملة المركبة من شخص واحد يصح أن ينسب إليها ما وقع من عضو منها، وذكر بعض الصوفية أن الله تعالى قصد بما ذكره لبني إسرائيل إشارةً إلى معنى لطيف، فإن في الأمر بذبح البقرة أمراً بتذليل القوة الشهوية، ولما لم ينتبهوا لمراده، قالوا ألتخذنا هزواً. وبين قوله^(٥) ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ أن حق الإنسان أن يتحرى في إماتة شهوته وقت ما يزول عنه شره صباه، فلا يكون كبر، ولم يلحقه حسواً لكبر، فيكون كفارض، ثم نبه بما ذكره من اللون أنه لا يحب أن يمنع النفس^(٦) من إماتة شهوته كونها رائقة المنظر، بل يجب أن يميّتها أعجب ما تكون إليه، ثم نبه بقوله: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أن النفس التي تحمل على تذليلها في العبادة هي النفس التي لم تستعبد لها الدنيا ولم تتأثر بدنسها، ولم تتوسم بمقابحها، وظاهر الآية لا يقتضي ذلك، لكن مثله إذا حكى، فتصحيحه مفوض إلى فكرة قارئه ومتأمله، والله أعلم..

١ - هذه العبارة - ساقطة من (و - ج).

٢ - في (أ - ص) المحسوسة وهو تصحيف.

٣ - في (أ - ص) وأما تخصيص.

٤ - في (أ - ص) توافر المأمورين.

٥ - في (أ - ص) لقوله.

٦ - ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَالٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

الآية : (٧٤) سورة البقرة.

قساً وحساً وعساً تتقارب معانيها. تقارب ألفاظها، فبالقساوة يقال في الصلب الذي لا تخلخل فيه كالحجر ونحوه، وقيل: قلب قاس تشبيهاً به، وعسا إذا كان ممتنع عصيان فهو يقارب عصى، وحساً يقال فيما يتصلب، والصلابة يقال فيما في جوهره شدة، وأما الشدة فتقال فيما تعتبر فيه انضمام الأجزاء بعضها إلى بعض، ومنه قيل: شددته، وشد الشيء واشتد، وقيل للعد والشد، كما يقال فيه القبض والتقريب والشدة تارة يقال في القوة الجسمية، وتارة في القوة النفسية، وقولهم: "بلغ فلان أشده"، أي حاله استمر مرير نفسه وجسمه، والنهر يقال لمسيل الماء الواسع، وللماء جميعاً ولتصور السعة فيه يقال منه أنه هرت فتقه، أي أوسعته، والنهار خص به السعة فيما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والشق أن يجعل الشيء شقين، وقيل للأخوين شقيقان، والخلاف الشقاق، إذ هو ضد الائتلاف، والشقيقة في الداء تشبيهاً بذلك، ولهذا قيل له الصداق والخشية خوف عن تعظيم المخشى، وقد تقدم الفرق بينه وبين إخوانه، والغفلة والسهو والسيان يتقارب، لكن النسيان بانحذاف ذكر الشيء عن القلب، والغفلة استتارة في بعض الأحوال اشتغلاً بغيره، والسهو يقاربه، إلا أن الغفلة أكثر ما يقال فيما تركته وحقه أن لا يترك، والسهو يقال فيه وفيما فعلته ولم يكن حقه أن يفعل، فإذا السهو أعم من الغفلة واستعمل لأحد الشيين، وقول من قال هو للشك فنظر منه إلى بعض تفاصيله، فإن الشك لا يقيد أو بالقصد الأول، فقد يقال: لقيت زيداً أو عمراً قصداً إلى الإجمال والإبهام، أو لعله عنابه التفصيل، وقد بين الله تعالى بالآية أنهم ارتكبوا ذنباً قست بها قلوبهم بعد آيات مقتضية للين قلوبهم من إحياء الموتى ومسح الناس قرده وخنازير ورفع الطور فوقهم وأنها صارت في القساوة

بحيث إن قلت إنها كالحجارة^(١) قساوة صح بنظر، وإن قلت هي أشد من الحجارة صح بنظر، ثم ذكر حكماً كلياً، فقال «وإن من الحجارة أي من القلوب القاسية التي هي كالحجارة، فذكر المشبه بلفظ المشبه به تحقيقاً للتشبيه، كقولك: هم كالبقرة^(٢) ومن البقر ما يفعل كذا، أي من القوم الذين كالبقرة^(٣)، فكانه قيل: وإن من القاسية قلوبهم من يراجع، فبعض يتفجر منه الأنهار، ومعناه حكمة بالغة كأنهار متفجرة، وبعض يتحصل منه نوع من العلوم يجري مجرى الماء، وقد تقدم أن الماء يضرب به المثل في العلم، وبعض يحصل^(٤) منه الخشية، ونبه بفحوى في الكلام أَنَّ هؤلاء المذمومين لم يحصل منهم شيء من ذلك فهم أحجار صلبة، وإنما قال: ﴿لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ﴾، ولم يقل من اعتبار بلفظ الحجارة، وهذا الذي قلناه على قول من اعتبر هذه الأحكام في المشبه دون المشبه به، فأما من اعتبر ذلك في المشبه به دون المشبه، ففيهم من تعسف جداً في قوله: ﴿وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي من الحجارة، ومنهم من قارب^(٥)، قال أبو علي الجبائي: عني بهذه الحجارة البرد الهابط من السماء^(٦)، ويقولون: ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي بخشيته، وعني بالخشية التخويف، لأن الخوف والخشية واحد، قال: ولما كان نزول البرد تخوفاً لله لعباده قال ذلك، ثم قال، وإنما قلت هذا، لأن الحجارة جماد فلا يصح منه الخشية، كما ترى [قال الشيخ أبو القاسم - أيده الله^(٧) - فهذا كما ترى، وقال البلخي: هذا على جهة التمثيل لما في الحجارة من الانقياد لأمر الله الذي لو كان من حي قادرٍ دل على أنه خاشع لله...، وقال بعضهم: وإن منها أي من الحجارة لما يهبط من أجل أن يخش الله العباد، وقال أبو مسلم ﴿وَأَنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، الهاء فيه راجع إلى القلوب لا إلى الحجارة، أي من القلوب ما يخضع،

١ - في (أ - ص) هي كالحجارة.

٢ - في (أ - ص) كبقرة.

٣ - في (أ - ص) كالبقرة.

٤ - في (و - ج) حصل، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - في (و - ج) ما قارب.

٦ - في (أ - ص) من السحاب.

٧ - ساقطة من (و - ج).

فيكون ذلك مستثنى من القاسية قلوبهم، كما قال: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾^(١)، وقال مجاهد وابن جريج كل حجر تردى من رأس جبل فخشية الله نزلت به، وقال الزجاج: الهابط منها قد جعل له معرفة، قال: ويدل على ذلك قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقال: ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض إلى قوله: ﴿وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾^(٣)، وقد روي مثل هذا عن السلف ولا بد في معرفة ذلك من مقدمة تكشف عن وجه هذا القول، وحقيقته، فإن قوماً استسلموا لما حكى لهم من هذا النحو، فانطوا على شبهة، وقوماً استبعدوا ذلك واستخفوا^(٤) عقل رواته وقائليه، فيقال وبالله التوفيق إن قوماً من المتقدمين ذكروا أن جميع المعارف على ضرب، الأول: المعرفة التامة التي هي العلم التام وذلك لعلام الغيوب الذي أحاط بكل^(٥) شيء علماً، والثاني: معرفة متزايدة،^(٦) وهي للإنسان، وذاك أن الله تعالى جعل له معرفة غريزية، وجعل له بذلك سبيلاً إلى تعرف كثير مما لم يعرفه، وليس ذلك إلا للإنسان، والثالث: معرفة دون ذلك وهي معرفة الحيوانات التي سخرها لإيثار أشياء نافعة لها والسعي إليها واستبدال أشياء هي ضارة لها وتجنبها ودفع مضار عن أنفسها، والرابع: معرفة الناميات من الأشجار والنبات، وهي دون ما للحيوانات وليس ذلك إلا في استجلال المنافع وما ينميها، والخامس: معرفة العناصر، فإن كل واحد منها مسخر، لأن يشعر المكان المختص به كالحجر في طلب السفلى، والنار في طلب العلو وذلك له بتسخير الله تعالى لا بإختيار^(٧) منه، قالوا: والدلالة على ذلك أن كل واحد من هذه العناصر إذا نقل عن مركزه قهراً أبى إلا العود إليه طوعاً، قالوا: ويوضح ذلك أن السراج تجذب الأدهان التي تبقى ويأبى الماء الذي يطفئه، وأن المغناطيس

١ - سورة آل عمران : الآية (١٩٩).

٢ - سورة الحشر : الآية (٢١).

٣ - سورة الحج : الآية (١٨).

٤ - في (أ - ص) واستخفوا.

٥ - في (و - ج) أحاط به كل، وهو تحريف.

٦ - في (أ - ص) متزايدة.

٧ - في (أ - ص) بلا اختيار.

يجر الحديد ولا يجر غيره، هذا ما حكوه، فعلى هذا إذا قيل إن لهذه الأشياء معرفة، فليس ببعيد متى سلم لهم أن هذه القوى تسمى معرفة، فأما إذا قيل إن للجملات معارف الإنسان في أنها تميز وتختار وتريد، فهذا مما تعافه العقول، ونبه الله تعالى تخويفاً لنا أن ارتكاب الذنوب يقضي براكبها إلى قساوة قلب حتى إنه ربما يعدم فيه رجاء الخيرات كلها، ونبه أنه تعالى لا يغفل عن أفعال البشر، إذ هو علام الغيوب..

قوله - عز وجل:

﴿أَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية (٧٥) سورة البقرة.

الطمع يقارب الرجاء، والأمل، لكن الطمع أكثر ما يقال فيما يقتضيه الهوى والأمل والرجاء قد يكونان فيما يقتضيه الفكر والروية، ولهذا أكثر ذم الحكماء للطمع، حتى قيل الطمع طبع، والطمع يدنس الثياب، ويفرق الإهاب^(١)، والأصل في تحريف الشيء الانتهاء به إلى ناحية يمكن جره إلى غيره، ثم يقال في كل كلام غير عن وجهه محرف،^(٢) والسماع يقال على ما يُحس وعلى ما يتصور، ولذلك وصف الله تعالى الكفار بالصمم، فقلوه: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ حمل بعضهم على المسموع^(٣) منه تعالى، فجعل الفريق بعض السبعين الذين كانوا مع موسى [عليه السلام]^(٤) في المناجسة، لاستماع كلامه، فلما عادوا حرفوا ما سمعوه وإليه ذهب ابن عباس والربيع، وبعضهم حملة على ما كان في الأصل منه تعالى، وإن سمع من غيره فجعله التوراة وجعل الفريق العلماء الذين غيروا التأويل، وإليه ذهب السدي والحسن وابن زيد، وفي الآية تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين، وتوهين للطمع في أئمتهم، وإن هؤلاء إذا كان علماءهم وأحبارهم الذين سمعوا كلام الله وعقلوه وحرفوه ولم يؤمنوا، فكيف يرجى أن تؤمن^(٥) جماعتهم مع جهل أكثرهم إن قيل: كيف يقتضى امتناع بعض من الإيمان

١ - أصل الإهاب الجلد، وهذه استعارة أوردتها الراغب في المفردات، ص ٥٢٤.

٢ - في (١ - ص) فهو محرف.

٣ - في (١ - ص) مسموع.

٤ - ساقطة في (و - ج).

٥ - في (١ - ص) إيمان.

قطع الطمع في إيمان سائرهم؟ قيل: لما كان الإيمان هو العلم الحقيقي مع العمل بحسب مقتضاه^(١) فمتى لم يتحر ذلك من حصل له بعض العلوم، فحقيق أن لا يحصل لمن غنى عن كل العلوم، فذكر تعالى ذلك تبعيداً لإيمانهم لابتثاً للحكم بذلك، إذ ليس كل ما لا يطمع فيه كان ميؤوساً منه، وقوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون أنهم محرفون ومعاندون، وفي الآية تنبيه أن ليس المانع للإنسان عن تحري الإيمان الجهل به فقط، بل^(٢) قد يكون عناداً وغلبة شهوة..

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذَا لقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الآية (٧٦) سورة البقرة.

الحديث ما يوجد بعد أن لم يكن نطقاً كان أو عيناً، والفتح أصله فتح الغلق، ولما استعمل في الأمر المبهم والكلام الصعب الغلق استعمل في إزالته الفتح، ومنه قيل في الحرب وفي آياته الحجة، وفي الحكم الفتح حتى قيل للحكم المفصول فتاحة، وللحاكم فتاح، وقوله: ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بما أطلعكم عليه من العلم، وهذا أولى من قول [من قال]:^(٣) ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من النصر في مغازي رسول الله ﷺ ومن الآيات التي كانت في بدر من المواضع التي انتهى إليها قبل وقوع الحرب، فقال: [هذا مصرع فلان غداً، وهذا مصرع فلان]^(٤)، ثم كان على ما قال، فإن هذا لم

١ - في (أ - ص) بمقتضاه.

٢ - في (أ - ص) بل يكون.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس قال: "كنا مع عمر بن الخطاب بين مكة والمدينة، فتراينا الهلال.. ثم أنشأ عمر يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ص- كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: "هذا مصرع فلان غداً- إن شاء الله- إلخ. صحيح مسلم - ج٣-ص٢٢٠٣، ورواه الطبراني من حديث أنس ص ٢٦١٧، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج١-ص٢٦، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال في غزوة بدر- ج: ١ حديث رقم «٢٩٩٣٨»، وأخرجه البيهقي بلفظ مقارب في كتاب السير - ج: ٩- ص ١٤٨.

يخصهم النبي - عليه السلام - بالاطلاع عليه دون المؤمنين، حتى كانوا يكتُمونه ويتواصوا به، والحجة هي ما يَقْتَضِي صحة أحد النقيضين، وأصله من الحج أي القصد للزيادة، وسمى سبر الجراحة حجاً، وخلا فلان أي صار في خلاء، فالآية^(١) إخبار عن المنافقين منهم، وأنهم يظهرون الإيمان ويتواصون فيما بينهم أن لا يظهروا ما انكشف لهم من حقائق النبوة لئلا يصير ذلك حجة عليهم في حكم الله، وهذا معنى قوله: (عند ربكم)، كقوله^(٢) ﴿فَأَرْسَلَكَ عَبْدُ اللَّهِ مُمِ الْكَاذِبُونَ﴾^(٣) أي في حكمه، وهذا التأويل أولى من قول من قال: ﴿لِحَاجَتِكُمْ بِهِ عَبْدُ رَبِّكُمْ﴾ أي يوم القيامة، وقيل: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ أي : عند سيدكم يوم الخصام، وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾ يصح أن يكون من جملة الحكاية عنهم على سبيل إنكار بعضهم على بعض، ويصح أن يكون استئناف إنكار من الله - عز وجل - [عليهم]^(٤) على سبيل ما يسمى في البلاغة بـ "الالتفات"^(٥)، ويصح أن يكون ذلك خطاباً للمؤمنين تنبيهاً على ما يفعله الكفار والمنافقون..

١ - في (١ - ص) والآية.

٢ - في (و - ج) لقوله.

٣ - سورة النور الآية : (١٣).

٤ - ساقطة من (١ - ص).

٥ - في (و - ج) الالتفات.

قوله - عز وجل:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ الآية: (٧٧) سورة البقرة.

هذا تبكيث لهم وإنكار لما يتعاطونه مع علمهم أن^(١) الله لا يخفى عليه خافية.

قوله - عز وجل:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الآية: (٧٨) سورة البقرة.

الأمي : قيل هو الذي لا يكتب، وأصل هذا اللفظ في المنسوب إلى الأم، ولما كانت الأم هي المنشئة المربية للولد، تصور ذلك في أشياء، فقليل له أم^(٢) نحو أم الأضياف، وأم الجيش للرئيس، وأم القرى لمكة وذلك لنحو ما روى أنه لما خلق الأرض دحاها من تحت الكعبة، وأم الكتاب للوح المحفوظ ولفاتحة الكتاب تصوراً أن منهما منشأ الكتاب، وقيل أمه إذا قصده قصد الإنسان للأم المشفقة عليه، ومنه اشتق الإمام والأمة، فالأمي في التعارف هو المنسوب إلى ما يجري^(٣) منه مجرى أمه في العناية وتربيته في الفضيلة وحفظها عليه أما ما كان ذلك أو غيره، واستعمل فيمن لا يقرأ فيحتاج إلى من يحفظ عليه معارفه، وهذه الحالة فضيلة للنبي -عليه السلام- ونقيصة لغيره، من أجل^(٤) أنه -عليه السلام- حفظ عليه علومه فيض إلهي ونور سماوي، فصار افتقاره غنى، كما روى [عنه ﷺ]^(٥) أنه كان يقول في دعائه:

«اللهم اغنني بالافتقار إليك»^(٦) وغيره لما احتاج إلى أن يحفظ معلومه عليه آدمي مثله صار في الحقيقة ناقصاً، وفقيراً^(٧) وقوله: (إلا أمانى)، الأصل في هذه اللفظة الدائر في جميع متصرفاته التقدير، ومنه المَنَّا الذي يوزن به، والمني الذي منه الحيوان، ومنى الله كذا، أي قدر، وعن ذلك

١ - في (أ - ص) بأن.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - في (أ - ص) من يجري.

٤ - في (أ - ص) من حيث.

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - هذا الدعاء من قول عمرو بن عبيد، وليس من قول الرسول(ص)، انظر جواهر الألفاظ، ص ٥، ومفردات ألفاظ القرآن- ص ٢٩١.

٧ - ساقطة من (أ - ص).

وضع الأمنية، فإنه تقدير شئ في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظن، ويكون عن روية وبناء على أصل، لكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب به أملك، فأكثر التمني تصور ملاحقيقة له، ولما كان الكذب تصور ذلك ويراد^(١) باللفظ صار التمني كالمبدأ للكذب، فيصح أن يعبر عن الكذب بالتمني في نحو ما روي عن عثمان - رضي الله تعالى عنه^(٢) - أنه قال: «ما تغنيت ولا تمنيت»^(٣)، ولما قلناه قال مجاهد: «إلا أمني» معناه «إلا كذباً»، وقال غيره: إلا تلاوة مجردة عن المعرفة من حيث أن التلاوة بلا معرفة المعنى تجري عند صاحبها مجرى أمنية مبنية على التخمين، فإن قيل: فما معنى قوله تعالى على هذا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(٤) قيل: قد قلنا إن التمني كما يكون عن تخمين وظن، فقد يكون عن روية وبناء على أصل، ولما كان النبي - عليه السلام - كثيراً^(٥) ما كان يبادر إلى ما نزل به الروح الأمين على قلبه حتى قيل له: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^(٦) ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٧) سمي تلاوته على ذلك تمنياً... وقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٨) كناية عن الكذب لما كان الظن واقعاً بين الصدق والكذب، كما كنى عنه بالخرص الذي هو تقدير الأثمار لما كان ذلك متردداً بين الوفاق والخلاف، وقد أنبأ الله تعالى بالآية عن جهل الأميين وذمهم والمبالغة في ذم علمائهم وأخبارهم^(٩)، فإن الأميين لم يعرفوا إلا مجرد التلاوة، واعتمدوا على زعمائهم وأخبارهم، وهم قد ضلوا وأضلوا، ونبهنا الله تعالى بذم الأميين على اكتساب المعارف لنلا يحتاج إلى التقليد والاعتماد على من لا يؤمن بكذبه وبذم زعمائهم على تحري الصدق وتجنب الإضلال، إذ هو أعظم من الضلال..

١ - في (و - ج) وإيراده، وهو تصحيف.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - أورده ابن الأثير في كتاب النهاية في غريب الحديث قال: «وفي حديث عثمان.. ما تغنيت ولا تمنيت، ولا شربت خمرأ في جاهلية ولا إسلام»، وفي رواية «ما تمنيت منذ أسلمت»، أي: ما كذبت. والتمني هو التكذب. انظر النهاية لابن الأثير ج: ٤ - ص ٣٦٧، وأورده الراغب في مفردات وألغاز القرآن - ص ٧٨٠.

٤ - سورة الحج: الآية (٥٢).

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - سورة طه: الآية (١١٤).

٧ - سورة القيامة: الآية (١٦).

٨ - سورة الجاثية: الآية (٢٤).

٩ - ساقطة من (و - ج).

قوله - عز وجل :

﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ
مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ الآية (٧٩) سورة البقرة.

ويل: تقبيح، وقد يستعمل على سبيل^(١) التحسر، وما روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه^(٢) - أنه وادٍ في جهنم، فليس يعني أن الويل هو اسم لذلك الوادي، وإنما يعني أن الذين يجعل لهم الويل هم المتبوءون في ذلك^(٣) الوادي، والكسب استجلاب نفع، وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾^(٤)، فعلى نحو قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٥) إن قيل ما وجه توكيد الكتابة باليد، وهي لا تكون إلا بها، قيل: لما كانت اليد العاملة يختص بها الإنسان من بين الحيوان وهي أعظم جارحة، بل عامة المنافع راجعة إليها حتى لو توهمناها مرتفعة ارتفع بها الصناعات التي بها قوام العالم كالبناء، والحوك، والصوغ صارت مستعارة في القوى جميعاً، والمنافع كلها حتى قيل: فلان يد فلان إذا قواه، وقيل للنعمة يد لما صارت معينة للمعطى إعانه يده وحتى صار مستعاراً في اللفظ لله تعالى بدلاً عن القدرة أو عن النعمة أو صفة أخرى غيرهما، فذكرت مثناة مرة ومجموعة مرة تصويراً للمبالغة في ذلك، فقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾^(٧)، وقال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾^(٨)، ووجه آخر، وهو أن الفعل ضربان: ابتداء، واقتداء، فيقال فيما كان ابتداء: "هذا مما عملته يد فلان"، فقوله: ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي مما اخترعوه من تلقائهم، وعلى هذا قد يحمل قوله تعالى:

١ - في (١ - ص) على التحسر.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - في (١ - ص) لذلك.

٤ - سورة النساء : الآية (١١٢).

٥ - سورة الانشقاق : الآية (٢٤).

٦ - سورة الذاريات : الآية (٤٧).

٧ - سورة يس : الآية (٧١).

٨ - سورة ص : الآية (٧٥).

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاحِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(١)، إن قيل: لم ذكر يكسبون بلفظ المستقبل، وكتبت أيديهم بلفظ الماضي؟ قيل: تنبيهاً على أن ما قال النبي -عليه السلام- «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(٢)، فنبه بالآية أن ما أضلوه وأثبتوه من التأويلات الفاسدة التي يعتمدوها الجهلة هو اكتساب وزر يكتسبونه حالاً فحالاً إن قيل: لم ذكر الكتابة بون القول؟ قيل: لما كانت الكتابة متضمنة للقول وزائدة عليه إذ هو كذب باللسان واليد صار أبلغ، لأن كلام اليد يبقى رسمه، والقول يضمحل أثره... إن قيل ما الذي كانوا يكتبونه؟ قيل: قد روي عن بعض السلف أن رؤساء اليهود كانوا يغيرون من التوراة نعت النبي ﷺ، ثم يقولون هذا من عند الله، وهذا فصل يحتاج إلى فصل شرح، وهو أنه يجب أن يتصور أن كل نبي أتى بوصف لنبي بعده فإنه أتى بلفظة معرضة به وإشارة مدرجة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم وذلك لحكمة إلهية، فإن من شأن المسوسين سيما الذين لم يتمهروا في الحقائق أنهم متى أحسوا بحال سايس^(٣) يتعقب "سايسهم"^(٤) وإمامهم تواكلوا عن الائتثار لأوامره، والارتسام لزواجره، وهذا معروف من عادات الناس، وقد قال العلماء "ما انفك كتاب منزل من السماء من تضمن ذكر النبي عليه السلام، ولكن بإشارات ولو كان ذلك متجلياً لعوام لما عوتب علماءهم في كتمانهم، ثم ازداد ذلك غموضاً بنقله من لسان إلى لسان من العبراني إلى السرياني ومن السرياني"^(٥) إلى العربي، وقد ذكر المحصلة ألقاظاً من التوراة والانجيل إذا اعتبرتها وجدتها^(٦) دالة على صحة نبوة محمد ﷺ بتعريض هو عند الراسخين في العلم جلي، وعند العامة خفي، فبان بهذه الجملة أن ما كتبت أيديهم كان^(٧) تأويلات محرفة، وقد نبه الله تعالى بالآية على التحذير من تغيير أحكامه وتبديل آياته وكتمان الحق عن أهله وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طمعاً في عرض من أعراض^(٨) الدنيا وقد تقدم أنه قد عني بالثمن القليل أعراض الدنيا وإن كثرت لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾^(٩).

١ - سورة آل عمران : الآية (١٦٧).

٢ - الحديث عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». أخرجه مسلم - ١٠١٧. باب الزكاة - حديث رقم ١٠١٧. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج: ٤-٤٣٦، وأخرجه الإمام الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق والدارمي وأبو عوانة وابن حبان، وكلهم عن جرير بن عبد الله. وأورده الراغب في مفردات ألقاظ القرآن ص ٤٥٨.

٣ - في (١ - ص) أحسوا بسايس.

٤ - ساقطة من (١ - ص).

٥ - ساقطة من (١ - ص).

٦ - في (١ - ص) إذا اعتبرت وجدت.

٧ - في (١ - ص) كانت.

٨ - في (١ - ص) في غرض من الدنيا.

٩ - سورة النساء : الآية (٧٧).

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية: (٨٠) سورة البقرة.

المس واللمس والحس والجس تتقارب، إلا أن الحس عام في المحسوسات والجس فيما يخفى ويدق كنبض العرق والخبر الخفي، واللمس بظاهر البشرة، وكل ذلك يقال عند تأثير المحسوس في الحاس^(١) وبغيره لأجله، واللمس كالطلب للمس، وقد ينفك منه، ولذلك قال: "وَألمسه فلا أجده"، وجعل المس كناية عن النكاح تارةً، وعن الجنون تارةً، فقليل: بفلان مس، وهو ممسوس، والمسوس من الماء مامسته الأيدي، ولما كان كل وعدٍ عقداً ما وكل عقد عهداً ما كان كل وعد عهداً، فصح أن يعبر عن الوعد بالعهد، ولكونه وعداً استعمل منه الإخلاف، ومعدودة قليلة ووجه ذلك أنه لما كان المعدود ضربين، ضرباً قليلاً يسهل عده (وإحصاؤه)^(٢) وكثيراً لا يسهل^(٣) عده، وكانت الأعراب يقل فيهم الحساب وقوانين الحساب، تصوروا الكثير متعذر العد، والقليل متيسر العد، وقالوا: "شئٌ معدود ومحصور أي قليل وغير معدود، ومحصور أي كثير. ووجه الآية أن اليهود اختلفت، فبعضُ قال نعذب بعدد الأيام التي عبد أصحابنا فيها العجل، وبعضُ قال: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة من الدنيا يوماً من الآخرة، وبعضُ قال: إنما بين طرفي جهنم أربعون سنة، وإذا خلا العدد انقضى الأجل ولا عذاب، فبين الله تعالى أن زعمكم أننا نعذب أياماً معدودَةً ولا طريق للعقل إلى معرفة ذلك، وإنما سبيل معرفته الإخبار منه تعالى. جده-، وإخباره بذلك وعد، ووعدته عهد، وما كان به من الله - عز وجل من عهد فلا خلف فيه، وقد ثبت أنه لا عهد له بذلك، فإذا ليس هو إلا تقولاً منكم على الله بما لا تعلمون، فبين بلفظ الاستفهام كذبهم فيما زعموا، وقوله: "عند الله"، أي في حكمه على ما تقدم..

١ - في (و - ج) في العاس، وهو تصحيف.

٢ - ساقطة من (أ - ص).

٣ - في (أ - ص) يعسر.

قوله - عز وجل :

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

الآية: (٨١) سورة البقرة.

بلى: رد للنفي، ونعم عدة وتصديق، ويقعان في الاستفهام والخبر، فبلى لا يكون إلا في النفي، أما في الاستفهام فنحو قوله (ألسنت بربكم قالوا بلى)، وأما في الخبر فنحو: هذا، وأما نعم ففي الاستفهام نحو: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾^(١)، ويقال: أنا أحبك^(٢)، فيقول نعم ولا يقال^(٣): بلى بوجه، وفي النفي إذا قيل ما عندي شيء، فقلت بلى، فهو رد لكلامه، وإذا قلت: نعم فأقرار منك به، والسيئة الفعل القبيح المقصود إليه في نفسه ولكونها قبيحة قوبلت بالحسنة في عامة ما جاء في القرآن، نحو: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٤) الآية وقوله ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾^(٥)، وقوله ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾^(٦) وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾^(٧) والفرق بينها وبين الخطيئة أن السيئة قد يقال فيما يقصد إليه في نفسه، والخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصوداً إليه في نفسه، بل يكون مقصوداً إلى سببه كمن يرمي صيداً، فأصاب سهمه إنساناً أو شرب مسكراً، فجني على رجل^(٨) جناية في سكره، ثم السبب في ذلك سببان، سبب محظور فعله، كشرب المسكر، وسبب غير محظور،

١- سورة الأعراف : الآية (٤٤).

٢ - في (أ - ص) أناجيك.

٣ - في (أ - ص) ولا يقول.

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٦٠).

٥ - سورة الأعراف : الآية (١٦٨).

٦ - سورة الرعد الآية : (٦).

٧ - سورة فصلت : الآية (٣٤).

٨ - ساقطة من (و - ج).

فقليل في الأول الخطأ، وقد أخطأوا في الثاني خطأ، وقد خطئ فهو خاطئ، وعلى هذا ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾^(١)، وقال: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾^(٢)، وفي استعارة الإحاطة أبلغ تشبيهه، وذلك أن الإنسان إذا ارتكب ذنباً فلم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله، ومعاودة مثله تجعل على قلبه غشاوة، فتجر به إلى ارتكاب أكبر منه، ثم ارتكابه لما هو أكبر منه يطبع على قلبه، فيشجعه على المداومة عليه، فيصير ذلك عليه حائطاً يمنعه عن رؤية ما وراءه، فيرى في مقابح الذنوب محاسن، فينخبط في بلايا من دنياه ربما يراها^(٣) نعماً، فيحسب أن لا وراء الذات الدنيوية لذة ولا بعد التخصيص بقاء ووراثتها نعمة فهذا معنى: (أحاطت به خطيئته)، وعلى ذلك دل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسَاءُوا السُّوْأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِم إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾^(٥)، ووجه آخر روى عن السلف وهو وإن كان عائداً إلى ما تقدم، فالنظر إليهما مختلف، وهو أن السيئة الكفر، وذلك عن مجاهد وأبي وائل والربيع، فبين تعالى أن من تحرى طريق الكفر، ثم استمر مريرة في ترك الإقلاع إما الترك النظر، وإما الشرارة، وإما لشهوة مستولية عليه حتى يصير ذلك كحائط عليه لا خروج له منه، فأولئك أصحاب النار، ومن قرأ (خطيئته)، فاعتباراً بالجنس، ومن قرأ (خطيئاته)^(٦)، فاعتباراً بأحاد الذنوب وجعلهم أصحاب النار للملازمة في الدنيا ما يوجب لهم النار، وفي الآخرة للملازمة إيها، إذ كان صاحب إنما يقال فيمن كثر ملازمته لغيره..

١ - سورة الأحزاب : الآية (٥) والآية في (و-ج) - «ولاجتاح عليكم» - وهو خطأ من الناسخ.

٢ - سورة المائدة : الآية (٣٧).

٣ - في (أ - ص) يراه.

٤ - سورة الروم : الآية (١٠).

٥ - سورة التوبة : الآية (٧٧).

٦ - قرأ بهذا الوجه كل من نافع وأبي جعفر - معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ٧٧.

قوله : عز وجل :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

الآية: (٨٢) سورة البقرة.

عادة القرآن في كل موضع يذكر عقاب قوم أن يذكر بإزائه ثواب مضادتهم ليُرْجى رحمته ويخُاف^(١) عذابه، وقد تقدم أن عامة ذكر الإيمان في القرآن مقرونة بالأعمال الصالحة تنبيهاً أن جملة الاعتقاد والمقال لا اعتداد بها مالم يضامها الأعمال الصالحة، إذ الاعتقاد كالأس، والعمل كالبناء، ولا غناء في أسء بلا بناء، كما لا ثبات لبناء بلا أس، وفيه دلالة أن قوله تعالى من قبل: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾^(٢) هو الكفر، وإحاطة الخطيئة به الأعمال السيئة، وذلك لما قابله به من الإيمان والأعمال الصالحة..

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

الآية (٨٣) سورة البقرة.

الولد: المولود، والولد للصبي اعتباراً بقرب ولادته، كما يقال: لما قرب اجتناؤه جني، والوليدة في الأمة كناية عن طريق التلطف بأنها تجري مجرى الولد، و"فلان لدة فلان"، أي ولد معه، واليتيم قد يقال لمن فقد كافله قبل البلوغ من أبويه، أما في الناس فأباه، وأما في البهائم فأمه، لأن كفالة الولد في الناس على غالب الأمر، وفي الحكم إلى الأب، وفي البهائم إلى الأم، وقد يقال لمن يتصور بصورة الفرد الذي إذا اعتبرت فضيلته قدر أن لا أباله من جنسه لكونه خارجياً بالفضل عن طبيعة آبائه،

١ - في (١ - ص) ويخشى.

٢ - سورة البقرة : الآية (٨١).

وجدك فاصطفاك، كقوله تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي﴾^(٢)، وأخذ هذا الميثاق المذكور في الآية ليس شيئاً اختص به^(٣) بنو إسرائيل فقط، بل في كل أمة، ولكل نبي، وقد تقدم أن هذه العبادات مما لا يجوز خلو شرع منها وإن اختلفت هيئاتها وأعدادها وأن كلياتها مأخوذة على الناس بقضية عقولهم والسنة أنبيائهم وجزئياتها وكيفياتها مأخوذة عليهم بالسنة أنبيائهم - عليهم السلام^(٤) - إذ لا طريق للعقل إلى معرفة جزئيات العبادات والمصالح المتعلقة بها، وليس أخذ الميثاق كله معتبراً بأن يلتزمه المأخوذ عليه ويرضى به، بل بأن توجه^(٥) الحجة، وتقدير قوله: (لا تعبدون إلا الله) فيه أوجه، قال الكسائي: (أن لا تعبدوا)، فلما حذف "أن" نرفع، نحو:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضِرُ الْوَعْيَ،^(٦)

وقال الأخفش: لما أفاد قوله ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ معنى القسم أجابه بجوابه نحو: حلفت لا يخرج زيد، وقال قطرب: (لا تعبدون) في موضع الحال، تقديره غير عابدين، وقال الفراء: لفظه خبر، ومعناه النهي نحو: (لا تضار والدته بولدها) بالرفع، واستدل على كونه نهياً بقراءة أبي: (لا تعبدوا إلا الله)^(٧)، ويعطف قوله: ﴿وَقَرُّوْا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ عليه.

١ - سورة الضحى: الآية (٦). ٢ - سورة طه: الآية (٤١).

٣ - في (١ - ص) منه. ٤ - زيادة في (أ - ص).

٥ - في (أ - ص) توجيه.

٦ - هذا شطر بيت لطرفة بن العبد البكري وتمام البيت:

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضِرُ الْوَعْيَ ... وَأَنْ أَتَّبِعَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِئِي

وهو من قصيدة مطلعها: -

لخولة أطلال ببرقة مشهد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

وأحضر الوعى يعنى أحضر الوعى، والوعى الحرب، والأصل فيها أنه صوتها.

وهو من معلقة طرفة فى ديوانه - ص ٤٣، وفى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات - ص ١٩٢، وهو من شواهد سيبويه - ج: ١ - ص ٤٥٢، والفراء ج: ٣ - ص ٢٦٥، والمقتضب - ج: ٢ - ص ٨٥، ص ١٣٦، ومجالس ثعلب ص ٣١٧، والصاحبي ص ١٣٢، ص ٢٣٣، والأصول - ج: ٢ - ص ١٦٨، ص ١٨٤، والإنصاف ص ٥٦٠، وخزانة الأدب، ج: ١ - ص ٥٧، والعيني ج: ٤ - ص ٤٠٢، سر صناعة الإعراب ج: ١ - ص ٢٨٦، ص ٢٣٤، شرح ديوان طرفة - ص ٢١.

٧ - قرأ بهذا الوجه كل من أبي وابن مسعود.. معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ٧٨.

ولما تضمن أخذ الميثاق معنى الوصية حمل عليه قوله: (وبالوالدين إحساناً) واختلف في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١)، فذهب بعضهم إلى أنه منسوخ بآية السيف، لأن المسلمين أمروا في الابتداء أن يتلقوا الكافر والمسلم بالحسنى، ثم أمروا بالتغليظ والقتال، وقيل: لانسخ فيه وهو الأصح،^(٢) لأن ذلك كقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٣) الآية، ولأن قتالهم لا يمنع من أن يقال لهم أولاً قول حسن، كما قال لموسى -عليه السلام- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾^(٤)، ثم قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، يصح أن يكون^(٥) نهياً عن المقادح والكذب، ثم هذه الآية ليست خطاباً^(٦) للمسلمين من هذه الأمة، وإنما هي حكاية ما أمر به بنو إسرائيل، وهما خطاب للأسلاف من بني إسرائيل، وقيل:

هو خطاب لمن كان في زمان رسول الله ﷺ منهم، وقيل قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ خطاب للسلف، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ خطاب لمن كان في زمنه، إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال، الأول: أن قوله ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ حال مؤكدة، لأن تقديره: (ثم توليتم معرضين)، ذلك على قول من جعلها خطاباً لفريق واحد، والثاني أن التولي قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف مع ثبوت العقد والإعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب، والثالث: أن التولي والإعراض في ذلك مثل مأخوذ من سلوك الطريق، وإذا اعتبرنا حال سالك المنهج في ترك سلوكه، فله حالتان، إحداهما: أن يرجع عوده على^(٧) بدئه، وذلك هو التولي، والثانية: أن يترك المنهج ويأخذ في

١ - هذه الفقرة ساقطة من (و - ج).

٢ - علق الدكتور مصطفى زيد على إدعاء النسخ في هذه الآية فقال: [إن دعوى النسخ لا مكان لها في تأويل هذه الآية، ذلك أن الدعوة إلى توحيد الله، وإلى تصديق النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو قول الصدق الذي يعرفونه بشأنه للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كل هذه المبادئ لا تقبل النسخ بآية السيف، إذ لم تنزل هذه الآية وغيرها من آيات الكتاب إلا لإقرارها والتمكين لها] النسخ في القرآن الكريم - الدكتور مصطفى زيد ج: ٢ - ص ٥٤٤، ٥٤٥، طبعة دار الوفاء - المنصورة.

٣ - سورة النحل: الآية (١٢٥).

٤ - سورة طه: الآية (٤٤).

٥ - ساقطة من (و - ج).

٦ - في (أ - ص) مخاطبته.

٧ - في (أ - ص) إلى.

عرض الطريق متخبطاً، وذلك هو الإعراض والمتولي أقرب أمراً من المعرض، لأنه متى ندم على رجوعه سهل عليه العودة إلى سلوك المنهج، وأخذ في عرض المفازة إلى طلب منهجه، فيعسر عليه العود إليه، فمتى جعل الخطابان لفريق واحد، فذلك غاية الذم، فإنهم جمعوا بين العود عن السلوك والإعراض عن المسلك، ومتى جعل "توليتهم" للسلف، وأنتم معرضون للخلف، فتنبه أنكم شر من أسلافكم، فقد كان منهم التولي، ومنكم الإعراض، والآية منطوية على عامة الأحكام الاعتقادية والعلمية والآداب^(١) الشرعية ومكارم الأخلاق، وفيها ذم لبني إسرائيل أن مع أخذ الميثاق منهم بذلك لم يكن من أكثرهم الوفاء به..

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ الآية (٨٤) سورة البقرة.

الدار سميت اعتباراً بدورها، وقيل داره، كقولهم: محلة ومنزلة اعتباراً بوحدة ما، فإن الدار يقال لها وإن انطوت على حجر وبيوت، والدواري الدهر، لكر الجديدين، والدوار في الرأس وضم على بناء الأدواء، نحو الصداغ، يقال للصنم التي يدار حوله نوار ودوار ودوار، وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على ما تقدم في الآية الأولى...، إن قيل: كيف أخذ ميثاقهم أن لا يفعلوا ذلك بأنفسهم مع كون الإنسان مضطراً لأن يفعل بها ذلك؟ قيل في ذلك أجوبة..

الأول: لا يفعل ذلك بعضكم ببعض، وإليه ذهب قتادة وأبو العالية، الثاني: لا يفعل^(٢) أحدكم [ذلك]^(٣) بالآخر، فيفعل به، فيكون في حكم فاعله بنفسه، الثالث: [لا تفعلوا ما يؤدي بكم إلى صرفكم عن الحياة الأبدية الجاري مجرى القتل، وهو العذاب الأليم]^(٤) ولا تفعلوا ما تحرمون به على أنفسكم

١ - في (أ - ص) والآداب الشرعية.

٢ - في (و - ج) لا يفعلوا، وهو خطأ من الناسخ.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - هذه العبارة ساقطة من (و - ج).

الجنة التي هي داركم فتكونوا في حكم من أخرج نفسه من داره، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١)، وعلى هذا حمل قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾^(٢) أي: شغلهم بما يعود بوبالهم، وحرموا العلم، والإقرار قد يكون باللفظ ويكون بالفعل وهو الرضى، نحو أن يقال: فلان مقر بالخسف..

قَالَ الشَّاعِرُ : .. أَقْرَ كَمَا قَرَّ الْخَلِيلَةُ لِلْبَعْلِ..

فقله ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ يصح أن يكونا [جميعاً خطابين]^(٣) للسلف، وأن يكونا للخلف، [وأن يكون الأول للسلف والآخر للخلف]^(٤) فإن قيل: ما الفرق بين الإقرار والشهادة؟ قيل: الشهادة إقرار مع العلم وثبات اليقين، والإقرار قد ينفك من ذلك، ولهذا كذب الله تعالى الكفار في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾^(٥)، ولو قالوا: نقر إنك لرسول الله لم يكذبوا..
قوله - محز وجل :

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَى تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتُؤْمِنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الآية: (٨٥) سورة البقرة.

قيل: تقدير هؤلاء ياهؤلاء، وذلك مستبعد لحذف حرف النداء، [فحرف النداء]^(٦) لا يحذف إلا من الأعلام وما هو كالأعلام ومن المضاف بون غيرهما من المناديات، وقيل معناه كمعنى الذين، فقد أجرى

١- سورة النساء : الآية (٢٩).

٢- سورة الانعام : الآية (١٤٠).

٣- ساقطة من (و - ج).

٤- ساقطة من (و - ج).

٥- سورة المنافقون : الآية (١).

٦- ساقطة من (أ - ص).

المبهمات مجرى الموصولات، وعلى ذلك حمل الكوفيون قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(١)
وقول الشاعر:

نَجَوْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ^(٢)

وقيل معناه: أنتم كهؤلاء، وتظاهرون تتعاونون، وأصل اللفظة من الظهر التي هي الجارحة، ولما كان الظهر من حيث الخلقة خالياً عن الحروق والعكن بخلاف البطن، سمي ما كان بارزاً ظهراً، وما كان خافياً بطناً، فجعل الظهر والظهور لجميع متصرفات هذه اللفظة أصليين، وقرئ تظَاهرون^(٣) بالتشديد، وأصله: يتظاهرون ويظَاهرون^(٤) بالياء والتشديد على ذلك، وتظاهرون بحذف أحد التاعين وبالتخفيف، والإثم اسم الأفعال المبطن للثواب، ولتضمن البطو قال الشاعر في صفة ناقة:

جَمَالِيَّةٌ تَعْتَلِي بِالرِّدْفِ إِذَا كَذَّبَ الْإِثْمَاتِ الْهَجِيرُ^(٥)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾^(٦) أي في تعاطيهما أبطاً عن الخيرات، فإنهما شاغلان، فصار الإثم في التعارف نقيض البر.

١ - سورة طه : الآية (١٧).

٢ - هذا عجز بيت ليزيد بن مفرغ الحميري وتامه :-

عَدَسٌ مَالْعِبَادِ عَلَيْكَ أَمَارَةٌ نَجَوْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

وهو من مطلع قصيدة قالها يذكر فيها خلاصه من السجن ويعدده :-

طَلِيقُ الَّذِي نَجَى مِنَ الْكَرْبِ بَعْدَمَا تَلَحَّمْتُ فِي دَرْبِكَ عَلَيْكَ مَضِيقُ

وقال هذه القصيدة لما خرج من الحبس وقربت إليه بغلة ، فركبها ، ولما استوى على ظهرها أنشد هذه الأبيات وهي في ديوانه ص ١١٥ .

وانظر أدب الكاتب - ص ٤٤٤ - شرح أدب الكاتب للجوالقي - ص ٣٠١ ، ص ٣٠٢ - خزائن الأدب - ج: ٢ - ص ٢١٦ ، ص ٥١٤ وذكر البيت غير منسوب في معاني القرآن للفراء - ج: ١ - ص ١٣٨ ، وج: ٢ ص ١٧٧ وذكر في إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس ج: ١ - ص ١٩٣ .

٣ - قرأ بهذا الوجه كل من ابن كثير، ونافع، وأبي عمر، وابن عامر، معجم القراءات القرآنية - ج : ١ - ص ٨١ .

٤ - قرأ (يظَاهرون) بفتح اليا وتشديد الظاء ويألف كل من ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبي جعفر، وقرأ (يظَاهرون) بالتشديد وبدون ألف كل من نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب، انظر: إرشاد المبتدي - ص ٥٨٦ .

٥ - البيت للأعشى في ديوانه ص ٨٧ ، وهو في لسان العرب «إثم» وعجزه في المجلد ج: ١ - ص ٨٧ ،

٦ - سورة البقرة : الآية (٢١٩).

وقوله عليه السلام :

«البر ما اطمأنت إليه النفس،^(١) والإثم ما حاك في صدرك»^(٢)، فهذا حكمهما لا تفسيرهما،

والوزر والذنب والجرم تتقارب، لكن الوزر اسم لما يوجب العقوبة بمعاونة الغير، ولهذا روى:

«من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها»، فإن السَّانَ والمسْنَنَ بها متآزران^(٣)

متعاضدان، والسانُ أعظم إثماً، إذ ليس المتبع كالمبتدع، وأما الذنب فما يقتضي عاقبة مذمومة

اعتباراً بأذنب الأمور، والجرم اعتباراً بما يحصل من ثمرة سوء العمل تشبيهاً لجرام النخل،

والعدوان هو تجاوز لحد المرسوم في الاعتداء المرخص فيه على سبيل المجازاة في قوله: ﴿لَمَنْ اَعْتَدَى

عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٤) فالتجاوز للمرسوم هو العدوان، والأسر شد يضم به

بعض المشدود إلى بعض يقال: أسرت الرجل، والسرح والرحل، وما يشد به إيسار، والفدا العوض

الذي يخص به فكاك الإنسان وقيل الفدا والفداء واحد، والأقرب أن الفداء بالمد اسم لما يفدى به،

والفدى اسم للمفدى، كما يقال الحمى للمحمي وإن كان كل واحد منهما يوضع موضع الآخر،

والحرام المنع الشديد من جهة الحكم، ورجل حرام يجوز أن يكون على وضع المصدر موضع الفاعل

كأنه محرم على نفسه بالتزامه ما الزم^(٥) ما كان محلاً له إما بدخوله الحرم أو بالإحرام، ويجوز أن

يكون في موضع المفعول، كأنه صار محروماً أي ممنوعاً من بعض ما كان مباحاً له والشهر سمي

محرمًا لذلك، واستحرمت الماء غيره، كأنها طلبت شيئاً محرماً في غيرها، وذلك كناية، والخزي ذل

يستحي منه، ولتضمن المعنيين استعمل تارة في الذل نحو: عليه الخزي، وفي الاستحياء، نحو خزي،

١ - في (و - ج) البر ما سكنت إليه القلوب، ولكن الأصح ما في (أ - ص) وهو ما اطمأنت إليه النفس.

٢ - الحديث رواه مسلم بلفظ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكهت أن يطلع عليه الناس» ورد في كتاب البر والصلة

- ج: ٥، الحديث رقم «٢٥٥٣»، وأخرجه الترمذي في كتابه الزهد - ص ٥٢ وأورده الإمام أحمد في المسند ج: ٤ - ص ٢٢٨،

وأخرجه السيوطي في الدر المنثور بلفظه - ج: ٢ - ص ٢٥٥، وأورده الطحاوي في مشكل ما روى عن الرسول ﷺ في البر والإثم

ما هما - ج: ٣ - ص ٣٤، ٣٥، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب - ج: ٢ - ص ٢٥٧ وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد -

ج: ١٠ - ص ١٧٥، وأورده ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق، ج: ٣ - ص ٢١٢.

٣ - في (و - ج) متوازنان، وهو خطأ من الناسخ.

٤ - سورة البقرة " الآية (١٩٤).

٥ - في (أ - ص) ما التزم.

والرد والرجوع متقاربين، إلا أن الرد يقتضي قهراً^(١)، أما للمردود إذا استعمل في الحيوان والرجوع لا يقتضي ذلك، فإن قبل الردة عن الإسلام يتعاطاها صاحبها طوعاً، قيل إذا اعتبرت الردة بصريح العقل والفطرة التي فطر الناس عليها، فهي^(٢) قهرٌ للعقل على ما ليس من مقتضاه، لأن الكفر هو الاعتقاد الظني، كما أن الإيمان هو الاعتقاد اليقيني، والعقل لا يسكن إلى الكفر، [ولا يطمئن إليه]^(٣) إذ هو منافٍ لمقتضاه، ولهذا قال تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٤) لأنهم إذا راجعوا عقولهم^(٥) [أنكروه وتمنوا سواه]^(٦)، وعلى ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَخُطِّفَهُ الطُّيرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٧)

ومعنى الآية أن اليهود كان أوجب عليهم أن لا يسفكوا الدماء ولا يخرجوا أحداً من ديارهم ولم يوجب عليهم مفادات الأسرى، فأخلوا بالواجب والتزموا ما لم يكن يلزمهم، فأنكر^(٨) الله تعالى عليهم ترك الفريضة ومراعاة النافلة وقوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متعلق بما قبله وقد فصل بينهما بقوله: ﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أَسَارَى تَفَادَوْهُمْ﴾ وقال بعضهم: إن الله تعالى نبه بهذه الآية مع المعنى الظاهر على لطيفة، وهي أن في قوله تعالى تقتلون أنفسكم تنبيه أنكم تسعون في اكتساب العقاب الذي يجري مجرى قتل النفس، ويقول: ﴿وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ﴾^(٩) أي تضيعون بعض قواكم ولا

١ - في (و - ج) وترّاً وهو تصحيف.

٢ - في (و - ج) فهو وهو خطأ من الناسخ.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة الحجر الآية (٢).

٥ - في (١ - ص) أنفسهم.

٦ - ساقطة من (و - ج).

٧ - سورة الحج : الآية (٣١).

٨ - في (١ - ص) فأنكروا، وهو تصحيف.

٩ - سورة البقرة الآية (٨٥).

تراعونها حق المراعاة، فإن من هذب قوته العاملة، ثم ضيع قوته العاملة بالتقصير، [فقد ضيع نفسه]^(١) وكأنه أخرجها من محلها الذي جعله الله تعالى لها، وعلى ذلك إذا ضبط قوته الشهوية ولم يضبط قوته الغضبية، ونبه بقوله: ﴿وَأَن يَأْتُواكُمْ أَسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ إنكم تتصدون لهدى غيركم مع تضييعكم أنفسكم كقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾^(٢)، وعلى ذلك قيل: (كفى بالمرء تهزياً أن يعظ غيره وينسى نفسه)، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فقد قيل: هو ضمير الحديث، وقيل: هو ضمير المصدر الذي هو الإخراج، وقد أعيد ذكره تأكيداً، فكأنه تكرير الخبر مرتين، ثم بين أن متعاطي ذلك له في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وعظم^(٣) إبعادهم بتنبيههم أنه سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن شئ تعالى الله وتقدس...

قوله - عز وجل :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

الآية: (٨٦) سورة البقرة.

الخفة والثقل يقالان على ضرب، الأول : خفيف في المسخر لطلب العلو كالنار، وثقيل في المسخر لطلب السفلى كالجر. الثاني : يقال على سبيل التصادف كشيئين يترجح^(٤) أحدهما على الآخر، فيصح أن يوصف شئ واحد بأنه خفيف و ثقيل على اعتباره بشيئين، الثالث على اعتبار الزمان نحو أن يقال: هذا الفرس خفيف، وذاك ثقيل بمعنى أنه إذا اعتبر عددهما بزمان واحد كان أحدهما أكثر عدداً من الآخر. والرابع: يقال فيما تستجليه النفس خفيف، وفيما تعافه^(٥) ثقيل، فالخفيف على هذا مدح، والثقل ذم الخامس على العكس من ذلك، وهو أن يقصد بالثقيل معنى الرزين، وبالخفيف

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة البقرة : الآية (٤٤).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - في (أ - ص) يرجح.

٥ - في (و - ج) يعافه ، وهو تصحيف.

معنى الطائش، والقصد باشتراء الحياة الدنيا في هذه الآية [وبالرضى في هذه الآية]^(١) وبإيثارها في نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢) في نحو قوله: ﴿وَرَزَوْا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، وبالإخلاد إليها في قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(٤) وياتباع الهوى في نحو قوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^(٥) وبعبادة الشيطان في نحو قوله: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٦) وياتباع الخطوات في نحو قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(٧) وينصرة الشيطان في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾^(٨) كل ذلك قصد واحد في أنه حث على تجنب المعاصي وإن اختلفت العبارات وتفاوتت الأنظار، وبين الله تعالى بالآية أن من فعل ذلك فهو معاقب لا يخفف عذابه، أما في الدنيا، فمعذب لشهره^(٩) على تتبع فضولات المال وجمعه، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١٠)، فلا يكون لطلبها غاية إذا انتهى إليها خفف عذابه، وأما في الآخرة فبإتمام العذاب الأليم، وبين تعالى أنه لا يجد نصرة من جهة ماله في الدنيا، كما قال حكاية عن المحتضر: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾^(١١) ولا في الآخرة، كما قال: ﴿مِنْ رَزَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾^(١٢) الآية، وقوله: ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ﴾ قيل: هو داخل في صلة الدين والإصحاح أنه جواب لتضمن لفظه الذين^(١٣) معنى الشرط كما هو جواب في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾^(١٤).

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة النازعات : الآيتان (٣٧، ٣٨).

٣ - سورة يونس : الآية (٧).

٤ - سورة الأعراف : الآية (١٧٦).

٥ - سورة الأعراف : الآية (١٧٦).

٦ - سورة يس : الآية (٦٠).

٧ - سورة البقرة : الآية (٢٠٨).

٨ - سورة المجادلة : الآية (١٩).

٩ - في (و - ج) لشبهه وهو تصحيف.

١٠ - سورة التوبة : الآية (٥٥).

١١ - سورة الحاقة : الآية (٢٨).

١٢ - سورة الجاثية : الآية (١٠).

١٣ - في (أ - ص) لفظه الذي.

١٤ - سورة البروج : الآية (١٠).

قوله - عز وجل :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾

الآية: (٨٧) سورة البقرة.

الاقتفاء اتباع القفا، كما أن الارتداف اتباع الردف، وقفوته: أصبت قفاه، نحو: قادته وبطنته إذا رميت ذلك منه، ثم يكني به عن الاغتيال، وقافية الشعر لاعتبار الاقتفاء فيها، والقفاوة ما يتفقد به الغير على سبيل الايثار، والهوى اسم للقوة الشهوية، وأصله من الهوى، لأنه يهوى بصاحبه فلا يستقر به، والروح من الحيوان اسم للجزء الذي معه تحصل الحياة، ولما كانت الحياة تختلف، فمنها ما تشترك فيه الحيوانات ويحصل به التحرك والسعي واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، ومنها الحياة التي يختص بها الإنسان، وبها يكون الفكر والروية ولأجله قيل: فلان ليس بحي أو هو ميت إذا ضعف ذلك فيه، ومنها الحياة التي يستفيد بها الإنسان بالعلم وهو أس ما يتوصل به إلى الحياة الأبدية، وإياها قصد بقوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيِيْنَاهُ﴾^(١) صار الروح يقال لكل ذلك، فيقال "نور روح" لكل حيوان، وقيل للقرآن روح لما كان سبباً للحياة الأبدية قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^(٢)، وقيل: سمي عيسى عليه السلام روحاً، لأنه كان يحيى الموتى، فصار كالروح، وقيل: سمي بذلك لأنه كان يفيد الناس ويعلمهم ما يتوصلون به إلى الحياة الأبدية، وقيل: سمي بذلك لقوله: ﴿فَنفُخُنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾^(٣)، وذلك^(٤) أنه لم يخلق من ماء ذكر وأنثى، وإنما قال له: (كن)، وسمي جبرائيل (عليه السلام) روح القدس، والروح الأمين، وهذه الآية توكيد لزمهم والإنباء عن بعدهم عن الإيمان، وأنهم قد أتاهم موسى بالكتاب، ثم اتخذوا العجل وأتاهم رسل فلم يعرجوا عليهم، وجاءهم

١ - سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

٢ - سورة الشورى : الآية (٥٢).

٣ - سورة التحريم : الآية (١٢).

٤ - في (أ - ص) وذلك.

عيسى - عليه السلام بالمعجزات الباهرة فكذبوه، وقوله: ﴿فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَقَرِّبُوا تَقْتُلُونَ﴾ يصح أن يكون معطوفاً على قوله [﴿وَأَلَدَتَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾] ويكون قوله ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ فصلاً بينهما على سبيل الإمكان عليهم، ويصح أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿^(١) استكبرتم، وقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ استئناف، وبين باتباعهم الهوى غاية معانيهم، فإن متبعه مخطئ وإن أصاب، فالإصابة منه على غيره اعتماد، إذ هو كالبهيمة المتناولة لما تدعو إليه شهوتها صواباً كان أم خطأ، ثم زاد في ذمهم بوصفهم بالاستكبار إذ هو مقر النقائص، فإنه نتيجة الإعجاب، والإعجاب نتيجة الجهل بالذات والجهل بالذات بالذات، فإنهم لم يقرروا كمال الدين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ ^(٢) إن قيل: لم قال: ﴿فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَقَرِّبُوا تَقْتُلُونَ﴾، وهلا جعلنا ماضيين أو مستقبلين؟ قيل: أما من حيث اللفظ، فلأنه لما لم يكن يفسد المعنى روعي فيه المجانسة بين الفواصل ليكون اللفظ أحسن، وأما من حيث المعنى: فللتنبية أنهم لم يتوقفوا في تكذيب من جاءهم من الأنبياء، فذكره بلفظ الماضي، إذ لا مزاولة فيه، وذكر القتل بلفظ الاستقبال تنبيهاً أنهم يزاولون قتله قدروا عليه أم لم يقدروا.

قوله - محذوفاً وجلاً :

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية (٨٨) سورة البقرة.

أصل الغلف ستر الشيء بالشيء الذي يجعل فيه، ومنه غلفت السيف والسر والرجل واللحية بالغلبة، والأغلف الأقلف لكون ذلك منه في غلاف من غلفته أي قلفته وعزلته، فقوله: (غلف): قيل هو جمع غلاف، وأصله غلف، فخفف، وقرئ غُلف ككتب، وقيل: هو جمع أغلف، فعلى الأول قيل معناه: قلوبنا أوعية للعلم لا تسمع علماً إلا وعته إلا ما تقول، بمعنى أن ما يقوله ليس بعلم، وعلى الثاني

١- ساقطة من (١ - ص).

٢- في (١ - ص) للجاهل.

٣- سورة المشر: الآية (١٩).

معناه: قلوبنا مغطاة عما تدعوننا إليه فلا نفهمه كما قال: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾^(١) الآية... ورد الله تعالى ذلك عليهم بأن ذلك لكونهم مبعدين عن العلم لسوء فعلهم، وقد تقدم أن سبب المانع من الفضيلة سببان: أحدهما: ابتداؤه ليس من جهة الإنسان نفسه، وهو متجاف عنه كمرتكب قبيح لزوال عقله بجنون أو مرض، والثاني: ابتداؤه من جهته، وهو مأخوذ به كمرتكب ذنب لسكره، فبين الله تعالى أن قلوبهم ممنوعة عن العلم بكفرهم وذلك من جهتهم، وقوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لم يؤمنوا إلا إيماناً قليلاً أو زماناً قليلاً، وذلك غير معتد به، لأن الإيمان هو التصديق المخصوص، ومتى لم يحصل كما لا لم يعتد به، ولذلك عظم عقوبة ذلك بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(٢) ونحو هذه الآية قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) قوله - عز وجل :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الآية: (٨٩) سورة البقرة.

الاستفتاح: طلب الفتح، والفتح ضربان، فتح إلهي، وهو النصر بالوصول إلى العلوم والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة، وفتح دنيوي، وهو النصر في الوصول إلى اللذات البدنية؛ وعلى الأول قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾^(٤)، وقوله ﴿فَعَبَسَ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنَا بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ﴾^(٥) وعلى الثاني قوله:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٦)، وقوله: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ قيل معناه:

١ - سورة فصلت : الآية (٥).

٢ - سورة البقرة : الآية (٨٥).

٣ - سورة النساء : الآية (١٥٥).

٤ - سورة الفتح : الآية (١).

٥ - سورة المائدة : الآية (٥٢).

٦ - سورة الأنعام : الآية (٤٤).

يستعملون خبره من الناس مرة، وقيل يطلبون من الله بذكره الظفر، وقيل: كانوا يقولون: إنا ننصر بمحمد عليه السلام على عبدة الأوثان، وكل ذلك داخل في عموم الاستفتاح، فبين الله تعالى من جهلهم أنهم كانوا ينتظرونه، وكانوا يعرفون وصفه كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾^(١)، وكما قال: ﴿النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٢)، فلما جاءهم كتاب لا منافاة بينه وبين التوراة في الأصول، وعرفوا عياناً ما كانوا عرفوه من قبل إخباراً كفروا به، ثم قال: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تنبيهاً أن اللعن ثابت للكفار، وهم كفار، فاللعن عليهم، وأما معنى اللعن هو إفشاء^(٣) على وجه الإهانة، ومن قال: هو العذاب، فمن حيث أنه لا تنفك لعنة الله عن^(٤) العذاب، وأما تكرير لما، فقد قيل جواب الأول محذوف، وقوله: ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ إنما هو جواب للثاني، وقيل: لما بين فصله لما وجوابه بقوله: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يُسْتَفْتَحُونَ﴾ أعاد ذكره بلفظ يقتضي زيادة فائدة، ثم أجاب، وقيل جواب الأول "الفاء"، و(كفروا به) جواب الثاني نحو قولك: لما جاء زيد فلما قعد أوسعت له..

قوله - عز وجل :

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. الآية: (٩٠) من سورة البقرة.

بئس: كلمة تستعمل في جميع المذام، كما أن "نعم" تستعمل في جميع المادح، وأصله من البؤس، وهو المكروه وتصور منه الفقر تارة، فقيل ببئس، والنكاية في الغير، فقيل ببؤس، وسمى البسالة بأساً به وأصل البغي الطلب، واختلفت معانيه لاختلاف المسند إليه، وربما خولف بين

١- سورة البقرة : الآية (١٤٦).

٢ - سورة الاعراف : الآية (١٥٧).

٣ - في (و - ج) أفضى.

٤ - في (أ - ص) من.

مصادرها، فمتى أسند إلى المرأة فلابتغائها لمن^(١) يحرم عليها، وإذا أسند إلى المتكبر فطلبه إكراماً لا يستحقه، وإذا أسند إلى الرأي فطلبه متطعاً، والهوان يتصور^(٢) على وجهين أحدهما: التذلل للإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاظة، فيمدح به نحو المؤمن هين لين، والثاني: أن يكون مرجعه^(٣) متسلط عليه على طريق الاستخفاف فيذم به، وعلى الوجهين استعمل "ذل" فبين الله تعالى أنه بئس شيئاً باعوا أنفسهم به كفرهم بكتب الله المنزلة، ثم بين أن أعظم هذا الجنس أن يفعل ذلك حسداً على من خصه الله تعالى بفضل من عنده، وفضله ههنا أجل الفضائل، وهو النبوة، ثم بين أنهم بذلك استحقوا بذلك^(٤) أنواعاً من الغضب نوعاً بعد نوع نحو قوله: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾^(٥).. نعوذ بالله منه.

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا نُنَزِّلُ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الآية (٩١) سورة البقرة.

وراء يقال للخلف والقدام، وهو في الأصل مصدر واري، فلما^(٦) كان المصدر يضاف إلى الفاعل وإلى المفعول، فمتى قيل وراء زيد بمعنى قدامه، فمعناه الذي يوارى زيد، وإذا قيل بمعنى "خلف"، فهو الذي يواريه زيد، ثم جعل ظرفاً مثل كثير من المصادر، وإن قيل: كيف قيل للخلف "فلم تقتلون"، وكان القتل من السلف^(٧) لا منهم، قيل: لما كان من عادة العرب أن ينسبوا إلى أنفسهم على طريق الفخر مائراً بأيهم، فيقول فعلنا كذا متصورين بصورتهم خوطبوا أيضاً في نسبة مثالبهم إليهم على ذلك

١ - في (أ - ص) ما .

٢ - في (أ - ص) يتصرف .

٣ - في (أ - ص) من جهة .

٤ - ساقطة من (أ - ص) .

٥ - سورة الفرقان : الآية (٦٩) .

٦ - ساقطة من (و - ج) .

٧ - في (أ - ص) من أسلافهم دونهم .

الوجه، وقال ابن عباس [رضي الله تعالى] ^(١) عنهما: (إذا عمل معصية، فمن أنكرها فقد برئ منها، ومن رضيها كان كمن فعلها)، فلما رضوا فعل آبائهم فكأنهم هم فعلوه، فلذلك خاطبهم ^(٢) بذلك، إن قيل: كيف قال: (تقتلون من قبل) ولا يجوز في الكلام تخرج أمس، قيل: في ذلك وجهان ^(٣)

أحدهما: أن عادة العرب إذا أرادوا أن يخبروا عن تعاطي فعلٍ مداوم عليه قرنوا لفظ الماضي بالمستقبل تنبيهاً على المداومة عليه نحو قول الشاعر:

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْلِمْ يَسْبُنِي فَمَضَيْتُ نِمْةً قُلْتُ لَا يَغْنِينِي ^(٤)

وعلى ذلك يقال: فعلت كذا قبل وبعد، وافعل كذا قبل وبعد، فيجئ تارةً بلفظ الماضي وتارةً بلفظ المستقبل، والثاني إن قوله (من قبل) يتعلق بمقتضى قوله "فلم" الذي هو بحث عن علة الشيء، فكأنه قيل: أخبرني قبل عن سبب قتلكم، ومعنى ^(٥) لم تقتلون لم ترومون قتلهم، وهذا أوضح، وقوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ قيل معناه بما أنزل الله بعده من الإنجيل والقرآن، وقيل: معناه بما تنطوي عليه التوراة، وذاك أن انتساب المعنى إلى اللفظ انتساب المتأخر إلى المتقدم، والباطن إلى الظاهر، ولهذا يقال: وراء هذا الكلام معنى لطيف، وفي ضمنه شيء حسن، وقد بين الله تعالى أنهم يدعون

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - في (١ - ص) خطبوا.

٣ - في (١ - ص) جوابان.

٤ - البيت لشمر بن عمرو الحنفي، أولرجل من بني سلول، وقيل هو لعيمرة بن جابر الحنفي، وهو منسوب إليه في حماسة البحري ص ١٧١ وفيها بعده بيت ثان بقول:

غَضَبَانُ مُعْتَلًى عَلَى إِمَابَةٍ إِنِّي وَجَدْتُكَ رَغْمَهُ يَرْضِينِي

وهو من شواهد النحويين المشهورة في باب النعت وزيادة التاء في "ثم"، والبيت في كتاب سيبويه - ج: ١ ص ٤١٦، وفي الخصائص - ج: ٣ ص ٣٣٠، وفي أمالي ابن الشجري - ج: ٢ ص ٢٠٣، وفي خزانة الأدب - ج: ١ ص ١٧٣، وفي مجمع الهوامع - ج: ١ ص ٩ - وفي مغني اللبيب ص ١٤٢، وفي معاني القرآن للأخفش - ج: ١ ص ١٣٩، وفي المحاضرات في الأدب واللغة للحسن اليوسي، وفي المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى - ص ٢٣٠ - لأبي النصر السمرقندي الحدادي، وفي الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج: ٢ ص ٨٨، وفي صاحب ص ٢١٩.

٥ - في (١ - ص) ويعني.

الإيمان بالتوراة وهم كاذبون في دعواهم، فإنهم لا يكونون مؤمنين بها إذا كفروا بما يتضمنه من أخبار النبي عليه السلام وكفروا بما يتلوه من كتاب الله - عز وجل - فإن النبوة والكتاب لا يختلف من حيث ما هو نبوة وكتاب، ومن لم يؤمن ببعضه، فهو في حكم من لم يؤمن بشئ منه، ولهذا قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(١)، فأثبت لهم أشد العذاب الذي يستحقه الكافر المطلق، ثم بين أنه هو الحق أي ذلك المعنى الذي هو القرآن حتى لا يزاحمه في ذاته ضد وهو مصدق لما تقدمه لا منافاة بينهما في الأصول، ثم بين [تعالى]^(٢) ثانياً إبطال ما ادعوه بقتلهم الأنبياء إذ كانت التوراة لم تقتض ذلك، ثم قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تنبيهاً أنكم لستم بمؤمنين، إذ المؤمن لا يقتل الأنبياء، وفي كل ذلك حجة على بطلان ما ادعوه من الإيمان بالتوراة.

قوله - عز وجل :

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾

الآية: (٩٢) سورة البقرة.

جعل ذلك أيضاً دلالة على بطلان قولهم: (نؤمن بما أنزل علينا) فكأنه قيل: كيف آمنتم به وقد أتاكم موسى بالآيات البينات فما لبثتم أن عبدتم العجل ظلماً، وظلمهم الإخلال بآيات الله وبياناته وتلقيها بالكفران والكفر، وفي تخصيص ثم زيادة فائدة، وهي أن ذلك منكم بعد تدبر الآيات والتمكن من معرفتها، والآيات ههنا هي الآيات التسع المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِن غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾^(٤).

١ - سورة البقرة : الآية (٨٥).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة الإسراء : الآية (١٠١).

٤ - سورة النمل : الآية (١٢).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِعْيَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

الآية: (٩٣) سورة البقرة.

قوله: (اسمعوا)، قيل معناه: افهموا، وقيل معناه: اعملوا به بوجه ذلك أن الشيء يُسمع به، ثم يتخيل، ثم يفهم، ثم يُعقد، ثم يُعمل به إن كان ذلك المسموع مما يقتضي عملاً، ولما كان السماع مبدأ والعمل غايةً وما بينهما^(١) وسائط صح أن يُذكر، ويراد به بعض الوسائط وأن يعني به الغاية وهي العمل، فمن قال معنى (واسمعوا) أي اعملوا به، فنظر منه إلى الغاية، ومن قال: افهموا واعقلوا فنظر منه إلى المبدأ أو إلى^(٢) الوسائط، وقال بعضهم: قد قالوا قولاً سمعنا وعصينا، وقيل: إنما سمعوه وتلقوه بالعصيان، فكأنهم قالوا بذلك قولاً، كقول الشاعر:

امتلا الحوضُ وقالَ قِطْنِي^(٣)

وقال الآخر: قالَ جناحاهُ لِرَجْلَيْهِ الحَقَا^(٤)

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾.. من عادة العرب^(٥) أنهم إذا أرادوا العبارة عن مخامرة حب أو بغض في القلب أن يستعيروا لها اسم الشراب، إذ هو أبلغ منجاء في البدن، ولذلك قالت الأطباء:

١ - في (أ- ص) بينهما.

٢ - في (أ- ص) إلى بعض الوسائط.

٣ - هذا من الرجز، ويتمته: - مهلاً رويداً قد ملأت بطني.

ولم أعر للبيت على نسبة لأحد، فقد استشهد به غير منسوب في مجالس ثعلب - ج: ١ - ص ١٨٩، وبعده: مهلاً رويداً قد ملأت بطني.

ورد في الكامل في الأدب - ص ٤٣٤، وإصلاح المنطق - ص ٥٧، والإبدال لأبي دواس - ص ٩٧ - وإسان العرب في مادة «قطن»، والمقاصد النحوية - ج: ١ - ص ٣٦١، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس - ج: ١ - ص ٤٧٣، والقطن بمعنى الحسب.

٤ - لم أمتد إلى قائله.

٥ - في (و- ج) من عادتهم، وفيها نقص، فأتبتنا ما في (أ- ص) لوضوحه.

الماء مطية الأغذية، والأدوية، لركوبها يبلغ أقاصي الأمكنة^(١)، وعلى هذه المراعاة قال الشاعر :

تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنَ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ^(٢)

وقال أهل النحو: أريد حب العجل، فحذف المضاف تحقيقاً، ويجب أن يعلم أنه لو قيل حب العجل، لم يكن له من المبالغة ماله بحذفه، لأن فيه تنبيهاً أن لفرط شغفهم به ثبت صورة العجل في قلوبهم راسخة، وإن زالت ذاته الجسمية، ثم بين أن ذلك [كذلك]^(٣) بسبب كفرهم، لا أنه تعالى ظلمهم به، وما قال السدي وابن جريج أن موسى -عليه السلام- لما رجع إلى [قومه]^(٤) برّد العجل الذي عبده، فذراه في اليم، فلم يشربه أحد أحبه إلاّ خرج على شاربيه الذهب، فليس ينافي ما تقدم تصورت ذلك حقيقة أم تصورته كناية وإشارة، وقال بعضهم: معنى أشربوا من قولهم: "أشربت البعير" إذا شددت حبلاً في عنقه، قال:

وَأَشْرَبْتُهَا الْأَمْرَانَ حَتَّى وَقَصَّتْهَا بِقَرْحٍ وَقَدْ أَلْقَيْنَ كُلُّ جَنِينٍ^(٥)

فكأنما شد في قلوبهم العجل لفرط شغفهم به، فهو راجع إلى الأول تحقيقاً وإن خالفه تشبيهاً وتمثيلاً، ثم بكتهم تعالى بقياس شرطي يدل على إبطال دعواهم الإيمان بالتوراة وهو قوله:

﴿بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ، وتقديره: إن كنتم مؤمنين، فإيمانكم أمركم بذلك، وكل إيمان أمر بذلك فإيمان مذموم، وقد ثبت أن الإيمان بالتوراة ليس بمذموم ولا يأمر بالمذموم، فإذا

١ - في (أ - ص) والأغذية والأدوية به يبلغ أقاصي الأمكنة.

٢ - البيت لعبيد الله بن عتبة ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، وهو في بصائر ذوي التمييز - ج: ٢ ص ٣٠٦ ، شرح الحماسة للتبريزي - ج: ٣ - ص ٢٩٨ ، ومجمع البلاغة ج: ١ ص ٤٩٧ ، ونوادر القالي - ص ٢١٧ ، ووفيات الأعيان - ج: ٣ - ص ١١٦ ، وسمط اللآلي ج: ٢ ص ٧٨١ ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب - ص ٤٤٩ ، ٦١١ .

٣ - زيادة في (أ - ص) .

٤ - ساقطة من (و - ج) .

٥ - البيت لأحد اللصوص من بني أسد ، وهو في بصائر ذوي التمييز - ج: ٣ - ص ٣٠٥ ، ومعجم البلدان - ج: ٤ - ص ٢٢١ ، ولسان العرب، وعمدة الحفاظ - مادة «شرب» - ومفردات ألفاظ القرآن ص ٤٤٩ . وقرح هو سوق وادي القرى.

لستم بمؤمنين، فكيف تدعون الإيمان بما أنزل إليكم، وقال الزجاج في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. [ما كنتم مؤمنين]^(١).

فإن عنى أن إن ههنا لفظة للنفي فذلك بعيد، وإن عنى أنه شرط مقتضاه النفي كما تقدم فصحيح والكلام في أنه كيف جعل الإيمان أمراً في قوله: ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ فقد تقدم في صدر الكتاب فصل كلي يكفي الاشتغال بهذه التفاصيل.

قوله - عز وجل :

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

الآية ٩٤ سورة البقرة.

الخالص كالصافي، لكن الصافي يقال فيما لم يكن قبل فيه شوب، ولا يقال: خالص إلا ما كان فيه شوب من [قبل]^(٢)، فزال عنه، ولذلك قال الشاعر :

خَالِصُ الْخَمْرِ مِنْ نَسِيجِ الْفَدَامِ^(٣)

فاعتبر فيه معنى التخلص والتمني تقدير تأتي مشيئته والتحدث به إما ضميراً، وإما مقالاً، ودون لما كان في الأصل القاصر عن الشيء اعتبر ذلك في المكان تارة وفي الشرف تارة، وفي الاختصاص تارة، فإذا قيل: هذا لي دونك، فهو مفيد للاختصاص، ومعناه: أنت تقصر عنه، وإن قيل كيف قال: (من دون الناس) والمخاطبون أيضاً من الناس؟

قيل: قد قال بعضهم^(٤) لفظه عام، ومعناه خاص، أي دون سائر الناس، وقال بعضهم في ذلك لطيفة، وهو أنه يقال: "فلان ليس من الناس"، وذلك متردد بين المدح والذم، فالمدح نحو قول بعضهم: فلان ليس إنساناً، بل هو ملك كريم..

١ - ساقطة من (١ - ص). ٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - هذا عجز بيت وشرطه الأول : وَخَافَتْ خُطَّةً فَنَظَّصَتْ مِنْهَا

وهو من قصيدة للمتنبى قالها عندما نالت حمى في مصر، فقال يصفها ويعرض بالرحيل عن مصر، ومطلع قصيدته :

ملوكما يجل عن الملام رواقع فعاله فوق الكلام

ديوان المتنبى - ص ٤٨٥ - دار صادر.

والخطة : الأمر، والفدام : ما يجعل على فم الإبريق ليصفي ما فيه يقول : وربما ضاق على أمر ، فخلصت منه كما تخلص الخمر من النسيج الذي تقدم فيه أفواه الأباريق.

وعجز البيت في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - للسمين الطلبي - مادة خلص - وفي عقد الخلاص - ص ٣٠٥ بدون نسبة - وهو المتنبى في الوساطة بين المتنبى وخصومه - ص ١٢٠ وفي التبيان بشرح ديوان المتنبى - ج: ٤ ص ١٤٨ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٢٩٢ . والفدام : ما يوضع في فم الإبريق ليصفي به ما فيه.

٤ - في (١ - ص) أكثرهم.

وقال الشاعر:

فَلَسْتُ بِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لَمَلَكٌ^(١)

والذم نحو : فَإِنْ جَلَّهْمُ أَوْ كَلَّهْمُ بَقَرٌ^(٢)

ولما كانت الدار الآخرة لا تحصل للناس خالصة، بل لابد في نيلها من تحمل شوائب وتجرع نوائب، وكانوا قد ادعوا أنها لهم خالصة قيل لهم ذلك بمعنى إن كنتم جنساً غير الناس في أن تحصل لكم الدار الآخرة خالصة [على حسب ما تحصل للناس]^(٣) فتمنوا الموت، وإنما قيل لهم "تمنوا الموت" لأنهم قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(٤)، وقالوا:

﴿نَحْنُ أَهْبَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ﴾^(٥)، فبين الله تعالى كذبهم في دعواهم ذلك فقال: إن كنتم أحباء الله، فالمحبة داعية إلى الشوق، والشوق داع إلى محبة لقاء المحبوب، ومحبة لقاء داعية إلى تمنى سهول السبيل إليه، ولا سبيل إلى الطريق^(٦) إليه إلا بالموت، فيجب أن يكون الموت متمنى، فترككم تمنى ذلك دلالة أن لا [محبة منكم له]^(٧).. إن قيل: فهل يجوز للمسلم أن يتمنى الموت؟ قيل:

أما تمنيه على أن يسخط^(٨) ما أراد الله من حياته فلا يجوز^(٩) فإن ذلك مضادة الله في إرادته، وتسخط لقضائه، وإما على أن يكرهه إذا أتاه، فجائز، وهو غاية الحكمة وشعار المؤمن المحق، ولذلك قيل: "لا يكون الحكيم حكيماً حتى يعلم أن الموت يعتقه والحية تسترقه، وقيل: "سرور المؤمن بموته

١- هذا شطر بيت وتتمته : تَنَزَّلَ مِنْ جِوَالِ السَّمَاءِ يَصُوبُ، وهو في (و - ج) فُلَسْتُ لا نَسِيٍّ وَلَكِنْ لَمَلَكًا..

وهو منسوب لعلمته بن عبدة من مفضليته التي مطلعها:
مَحَابِّكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبٌ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرَحَانٌ مَشْبِبٌ، وهو في ملحق ديوانه - ص ١١٨، ونسب ابن منظور في اللسان مادة (صوب) إلى رجل من عبيد القيس، وهو في المفضليات ص ٣٩٤، وفي الكتاب لسبويه - ج: ٢ ص ٣٧٩، وفي أمالي ابن

الشجري - ج: ٢ ص ٢٠، وإملاء العكبري - ج: ١ ص ٢٨ والملايك: واحد الملائكة، ويصوب: ينزل.

٢- هذا عجز بيت لأبي تمام وصدره: - لا يهمنك من دهمائهم عندُ فَإِنْ جَلَّهْمُ بَلْ كَلَّهْمُ بَقَرٌ
والبيت من قصيدة يمدح بها عمر بن عبدالعزيز الطائي من أهل حمص، ومطلعها: -
يا هذه أقصري ما هذه بشرُ ولا الفرائد من أترابها الأخرُ

الديوان ج ١/ ٣٢٨، ٣٢٩.

وذكره أبو حيان في البحر المحيط بدون نسبة - ج: ٤ ص ٣٧٦.

٣ - في (أ - ص) لا على ما تحصل للناس.

٤ - سورة البقرة: الآية (١١١).

٥ - سورة المائدة: الآية (١٨).

٦ - في (أ - ص) إلى سهولة السبيل إليه.

٧ - في (و - ج) لا محبة بينكم، وما في (أ - ص) يتناسب مع السياق فلذلك أثبتناه.

٨ - في (أ - ص) على أن يسخط.

٩ - في (أ - ص) فلا بدون يجوز.

سرور القادم علي أهله"، وقال عليه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»^(١).

وقال علي رضي الله عنه:

«لا أبالي سَقَطْتُ عَلَى الْمَوْتِ أَوْ سَقَطَ الْمَوْتُ عَلَيَّ» إن قيل: كيف أعاد الشرط، فقال: إن كنتم صادقين"، وذلك يقتضي جواباً آخر، قيل: إن ذلك كالبديل من الشرط الأول، فإن مقتضاهما واحد، لكن الصدق يتناول اللفظ، وقوله: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يتناول ذات الشيء، فصار كقول القائل لمن يدعي فعلاً: "إن فعلته فلك كذا إن صدقت" ..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَنْ يَمُنُّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدُمْتُ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الآية: (٩٥) - سورة البقرة.

التقدم إما أن يقال باعتبار زمانين، فيقال حديث وقديم، وإما باعتبار تقدم على الزمان، فيقال: قديم أي متقدم وجوده على وجود الزمان، وإما بالشرف فيقال: "فلان متقدم على فلان" أي أشرف منه منزلة وإما لما لا يصح وجوده إلا بوجود الآخر، فيقال لذلك الآخر قديم كقولك: الواحد متقدم على العدد^(٢)، بمعنى أنه لو توهم ارتفاعه لارتفع الأعداد، وكما استعملوا القديم والحديث باعتبار زمانين استعملوا التقدم والتأخير، وقدام وخلف باعتبار مكانين، وباعتبار التقدم المكاني سمي القدم قدماً، وقد بت الله تعالى القول بأن لا تمنى للموت منهم قط، لما احتقبوه من الآثام، وفي ذلك أعظم حجة، فإنهم ما فعلوا ذلك ولا جسروا حتى قال -عليه السلام.

«لو تمنوا الموت بما قام رجل من مجلسه»، فلم يجسروا أن يقولوا كاذبين: نحن نتمناه، ثم بين

تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ قدرته على معاقبتهم تهديداً لهم..

١ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه بسنده إلى قتادة عن أنس عن عباد بن الصامت عن النبي ﷺ قال:

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» حديث رقم ٦٥٠٧ وأخرجه مسلم في الدعوات عن هُدبة بن خالد وغيره ، وأخرجه الترمذي في الزهد عن محمود بن غيلان . وفي الجناز عن أبي الأشعث أحمد بن المقدم ، وأخرجه النسائي في الجناز عن أبي الأشعث.

٢ - في (و - ج) العدل ، وهو تصحيف.

قوله - عز وجل :

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ الآية (٩٦) سورة البقرة.

الوجود يقال باعتباره بالحاسة، وباعتباره بالتخيل، وباعتباره بالفهم والعقل، ومتى قيل باعتباره بالعقل فعلى ضربين: متعداً إلى مفعول واحد، ومعناه كمعنى عرفت، ومتعداً إلى مفعولين، ومعناه قريب من معنى علمت، والحرص أصله أن لا يرضى بالكفاية ويضاده القناعة، وأصله من حرص القصار الثوب، والحرص هو شجة تشق الجلد، فالحرص كأنه مزيل للحياء والكرم عن النفس، وأصل الشرك مساواة اثنين فصاعداً في شئ كتجارة وزراعة وميراث [وشراك للفعل وشراك الخيط]^(١) معتبر فيه معنى الشراكة، وكذا الشرك للطريق والحبال للصائد، وصار الشرك متعارفاً فيمن يثبت مع الله إلهاً آخر أو يصفه بصفة على حد ما يوصف به شئ من المكونات، فيطلق تارة على من لم يكن من أهل الكتاب، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(٢)، وهم الذين لا يقارون على بذل الجزية، ومرة يقال لأهل الكتاب لقولهم عزيز ابن الله والمسيح ابن الله [وقولهم اتخذ الله ولداً]^(٣) ومرة يطلق على الربا ونحوه فروى أن أبا حنيفة -رحمه الله تعالى- قال لجعفر بن محمد -رحمهما الله تعالى- من أين قال أبوك : الرياء شرك؟ فقال: من قول الله -عز وجل- ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٤).

ولما لم ينفك عامة الناس من تشبيهه ما في أوصاف الله تعالى ومن رياء ما في عبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٥)..

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - سورة الحج : الآية (١٧).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة الكهف : الآية (١١٠).

٥ - سورة يوسف : الآية (١٠٦).

والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، والعمارة قبيلة تحصل باجتماعهم العمارة، والمعمر المسكن ما دام عامراً بسكانه، [والعومرة] ^(١) صَحْبٌ تدل على اجتماع عمارة، والعمرى في العطية منة، والألف مشتق من الألفة، وهو ضم البعض إلى البعض، فالأعداد أحاد وعشرات ومئون وألوف، فالألف يألف أنواعها، وألسنة للعرب في أصلها طريقان من جعلها من الواو، كقولهم سنوات، وكأنها اسم لدوران الفلك، ولاعتبار الدوران فيها سمي المستقى ^(٢) عليها والمستقى بها [اسم لدوران الفلك] ^(٣) ساقية، ومنهم من يجعلها أمراً لها ^(٤)، فيقول: سانهته مسانهة فكأنها اسم لتغير الفصول الأربعة، ومنه قيل لسنة ^(٥) الطعام أي تغير، والزحزحة ^(٦) الإزالة عن المقر، وقوله: ﴿مِنَ الدِّينِ أَشْرَكُوا﴾ فمن المفسرين من يقول: تقدير الآية: "ولتجدنهم وطائفة وكثيراً من المشركين" ^(٧) أحرص الناس علي حياة، واستبعد ذلك بعض النحويين لحذف الموصول ترك الصلة، وقيل: تقديره "وهم ﴿وَمِنَ الدِّينِ أَشْرَكُوا﴾"، فكان قوله: ﴿وَمِنَ الدِّينِ أَشْرَكُوا﴾ خبر ابتداء مضمرة، أي هم في محبتهم للحياة من المشركين، وأكثر المفسرين على أنه عطف على معنى قوله ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ﴾، فإن قيل: كيف قال ذلك والذين أشركوا من الناس؟ قيل: لما كان للمشركين فضل اختصاص في محبة الحياة الدنيا خصهم بالذكر بعد العموم تخصيص جبرائيل وميكائيل بعد ذكر الملائكة، وتخصيص النخل والرمان بعد الفاكهة، فإن قيل: فهلاً قال: أحرص الناس والمشركين، أو من أحرص من الناس ومن المشركين ليكون الكلام على نمط واحد، قيل: إنما قال كذلك لمعنى اقتضاه، وهو أن أفعل يستعمل على وجهين، أحدهما مضافاً إلى جملة هو بعضها نحو: هو أفضل الناس، ومعناه أن فضله زائد على جل المضاف إليه.

١ - في (و - ج) والعموم وهو تحريف.

٢ - في (أ - ص) المشتق عليه.

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - في (أ - ص) من الهاء لقولهم: سانهته مسانهة.

٥ - في (و - ج) قسنه، وهو خطأ من الناسخ.

٦ - في (و - ج) والزحزحة، وهو خطأ من الناسخ.

٧ - في (أ - ص) من الذين أشركوا.

والثاني : أن يذكر بمن، نحو: الإنسان أفضل من الأسد، ويرد أنه زائد على جميع المذكور، ويدل على صحة هذا^(١) أنه إذا قيل: "زيد أفضل الناس"، وعني بالناس العموم لم يكن ذلك^(٢) محالاً، لأنه يقتضي أن يكون أفضل من نفسه أيضاً، إذ هو من الناس أو لا يكون منهم، فحيث ذكر تعالى الناس وأراد أنه زائد على جلهم أصناف، وحيث ذكر المشركين وعني أنه زائد عليهم كلهم ذكر^(٣) من، وإنما قال على حياة فنكرها، لأن الحياة التي يحرصون عليها هي حياة ما، وهي أحسن حياة، فكأنها لخستها وقلة وزنها ذكرها منكراً، وإنما الحياة المطلقة هي الحياة الحقيقية التي وصف بها الآخرة في قوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(٤)، فأبان الله تعالى فرط حرصهم على الحياة الدنيا، وأن تمنيتهم لها فوق تمنيتهم المشركين، إذ غاية تمنيتهم للحياة ألف سنة، وبذلك يتداعون، ثم بين تعالى أن بقاءهم ألف سنة لا ينقذهم من عذاب الله إن ماله مدة فقصير، وإن طال، فكما قال الشاعر:

أَرَى الْعُمْرَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَاللَّيْلُ يُنْقَلُ^(٥)

قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. الآية (٩٧) سورة البقرة.

العدو التجاوز ومنافاة الالتيام، فتارة يعتبر بالقلوب، فيقال له العداوة، وتارة في المشي، فيقال لها العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له العدوان، وتارة إما في المكان وإما في النسب، فيقال قوم عدي أي غرباً، وجبريل فيه لغات، وإنما كثرت فيه اللغات لكونه معرباً، وتقرأه كل [قبيلة]^(٥) على حسب استحقاقه، فمنهم من لم يتحر فيه أبنية كلامهم ولا تخفيف اللفظ، ومنهم من خفف ولم

١ - في (أ - ص) ذلك.

٢ - في (أ - ص) كان محالاً.

٣ - سورة العنكبوت : الآية (٦٤).

٤ - قائل هذا البيت هو طرفة بن العبد وذلك كما في مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد - محمد بن أبي ذر - ج: ٢ - ص ١١٣ من منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية إصدار - فؤاد سزكين.

٥ - ساقطة من (و-ج).

يراع البناء نحو جبريل، لأن "فعليلاً" ليس في أبنيته، ومنهم من راعى رده إلى بناء كلامهم، فقال جبريل نحو قنديل، وعلى ذلك اختلفت اللغات في ميكائيل، ومنهم من قال جبر هو العبد وإيل هو الله^(١)، وإن ذلك كقولهم عبد الله، فإن ذلك لا يصح على حد كلام العرب، إذ لو كان كذلك لكان مضافاً، والإذن: الإعلام بالرخصة، وقد يعبر عن الإعلام بالختم، ومعنى الآية أن اليهود زعمت أن جبريل عدوهم، فإنه لم يكن يأتي الأرض^(٢) إلا بالصواعق، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَلُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي أن جبريل نزل القرآن على قلبك بإذن الله ومصدقاً لما تقدمه من كتب الله - عز وجل -، وهادياً ومبشراً للمؤمنين تنبيهاً على أنه لم يعاده ولا أحداً من أنبياء الله تعالى والصالحين من عباده، فليس من شأن الملك مخالفة الرب - عز وجل -، فإن هو عاداهم، فلكونهم غير مؤمنين، إن قيل: كان الوجه أن يقال: "فإنه نزله على قلبي"، قيل: يجوز الأمران، فالحكاية تارة تعاد على اللفظ، نحو أن يقال: قل لهم الخبر عندي كذا وكذا، وتارة على المعنى، فيقال: "قل لهم: الخبر عندك كذا"، وعلى ذلك: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ بَلْ يَرَوْنَ كَثِيرًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَسَيَجْزِي اللَّهُ شَأْنَهُمْ﴾^(٣)، وسيغلبون ويحشرون" ويجوز أن يكون قوله: قل خطاباً لجبريل، كأنه قال: قل للنبي.

قوله عز وجل:-

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾

الآية (٩٨)-سورة البقرة .

قد يدل على تفسير هذه الآية ما روي سأل عن جماعة من اليهود عن سبب امتناعهم من الإسلام، فقالوا : إن الملك الذي يأتي محمداً ﷺ هو جبريل، وجبريل عدونا، ولو أتاه ميكائيل لآمننا به، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة، فقال عمر- رضي الله عنه- أنشدكم: أين جبرائيل وميكائيل من الله - عز وجل-؟

١ - في (١- ص) هو اسم الله.

٢ - في (١- ص) يأتيهم.

٣ - سورة آل عمران - الآية: (١٢).

قالوا: جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، قال: فاشهدوا أن الذي هو عدو لمن عن يمينه عدو لمن على يساره، ومن هو عدو لهما فعدو لله - عز وجل-، فرجع عمر- رضي الله تعالى عنه، وقد أنزل الله هذه الآية تصديقاً لقوله، ومنبهاً بذكر من ذكرهم والجمع بينهم أن من عادى واحداً فقد عاداهم، فإنهم أولياء من والاه، وأعداء من عاداه، وبين بذلك أن اليهود إذا عادوا أحدهم فالله عدوهم. وحقيقة معاداة الإنسان لله والبعد عنه مخالفة في تحري الصدق في المقال والحق في الفعال وأن لا يستحق أن يوصف بشئ من أوصافه، نحو العادل والجواد والكريم والقريب منه والمحب له، هو أن لا يخالفه في ذلك، وإن يصح أن يوصف بتلك الصفات وتلك المعاني هي المقتضية لمعاداة أولياء الله والداعية ^(١) لارتكاب المعاصي، فإذا: قول من قال معنى قوله: ﴿عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ عدواً لأولياء الله، أو قال: معناه: عاصٍ لأمره، فإنه غير مخالف لما قلنا..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الآية (٩٩) سورة البقرة.

عنى بالآيات القرآن وسائر المعجزات والدلالات التي أوضح الله-عز وجل- بها أمر النبي -عليه السلام-، وذكر أنه لا يجحد ذلك ولا ينكره إلا كل متناهٍ في الكفر، والفاسق الخارج عن الطاعة، إما عن أصل الدين، وإما عن بعض الطاعات بارتكاب كبيرة، ولذلك قال- عز وجل- في إبليس: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ^(٢)، وقال فيمن يرمي المحصنات: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٣)، وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٤) فبين الفاسق والفاسق بون..

١ - في (١ - ص) والمقتضية.

٢ - سورة الكهف: الآية (٥٠).

٣ - سورة النور: الآية (٤).

٤ - سورة التوبة: الآية (٦٧).

قوله - عز وجل :

﴿أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية (١٠٠) سورة البقرة.

[النبد]^(١) والطرح والإلقاء متقاربة، لكن النبد أكثر ما يقال فيما ينسى، وعلى ذلك قول الشاعر:

كَتَبْتُكَ نَعْلًا أَخْلَقْتُ مِنْ نَعَالِكَ^(٢) .

وقيل: صبي منبوذ إذا ألقته أمه فنسيته، واستعير للشراب الملقى المنسي إلى وقت إدراكه، والطرح أكثر ما يقال في المبسوط وما يجري مجراه، والإلقاء يعبر فيه^(٣) ملاقة بين الشيئين أو بين الشيء ومكانه، ومعنى الآية: أنه لما بين تعالى أنه قد أنزل ما لا يكفر به إلا كل فاسق بين لفظ الإنكار أن عادة بعض اليهود المذمومين تضيع العهد الملزم واطراحه، ثم بين أن عادتهم^(٤) لا يؤمنون تنبيهاً أن أكثرهم وإن لم ينبذوا العهد جهاراً لم يحص منهم الإيمان الذي هو معرفة ما يجب معرفته وفعل ما يجب فعله، بل اقتصروا على ظاهر القبول الذي لا يعتد به على الحقيقة..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٠١) سورة البقرة.

الرسول ههنا إن جعلته الرسالة أو جعلته النبي محمداً ﷺ أو جعلته المسيح عليه السلام فالكل صحيح ومراد، وكذلك^(٥) إن جعلت الكتاب ههنا التوراة أو جعلته القرآن فصحيح، لأن المنكر لأحدهما

١ - ساقطة من (و - ج) .

٢ - هذا عجز بيت وشطره : نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُهُ

وقال أبو الأسود الدؤلي وقبله:

وَحَبَّرَنِي مَنْ كُنْتُ أَوْسَلْتُ إِنَّمَا أَخَذْتُ كِتَابِي مُعْرِضًا بِشَمَالِكََا

وهو في تفسير القرطبي - ج: ١ - ص ٥٣٨ ، وهو في الطبري - ج: ١ - ص ٢٢٢ .

٣ - في (أ - ص) يقال فيه .

٤ - في (أ - ص) عادة أكثرهم .

٥ - في (أ - ص) وكذا .

في حكم المنكر للآخر، وقد بين الله تعالى أنه لما جاءهم بعد موسى رسول مطابق له، صار فريق مما اختصوا بعلم الكتاب نبذوا أحكام كتاب الله وراء ظهورهم، فصاروا كالجبهة، وهذا الفريق غير الفريق الأول، ولهذا لم يدخل فيه الألف واللام، وقد دل تعالى بالآيتين أن جل اليهود ثلاث فرق، فريق جاهر وأنبذ العهد، وفريق لم يجاهروا بذلك، لكنهم^(١) لم يؤمنوا به، وهم أكثرهم، وفريق آخر طرحوا حكم الكتاب عناداً، فصاروا في حكم الجبهة، وهذه القسمة عجبية الشأن، فإن دافعي الحق ثلاثة أقسام، جاهل غير عالم بجهله، وهو الشرير الذي لمداداة له، وإياه عنى بقوله: ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾، وجاهل عالم بجهل، وهو الشاك وإياه عنى بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ومعاند غير جاهل، وإياه عنى بقوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ووصف هذا الفريق بأن حكمهم حكم الجاهلين الذين هم فوق الموصوفين بأنهم لا يؤمنون، [وكل من دافع الحق لا ينفك من الأقسام الثلاثة التي ذكرناها. والله أعلم]^(٢)..

قوله - عز وجل :

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
الآية (١٠٢) سورة البقرة.

تلا: يقال تارة في اتباع الغير إما بالجسم وإما بالحكم، ومصدره تلو، وتلو وتارة في اتباع الكلام، وإما بالقراءة وإما بالتدبر^(٣) لمعناه، ومصدره تلاوة، وعلى الأول قوله: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا﴾^(٤).

١ - في (أ - ص) بل لم يؤمنوا.

٢ - هذه العبارة ساقطة من (و - ج)

٣ - في (و - ج) بالتدبير، وهو تصحيف.

٤ - سورة الشمس : الآية (٢).

وعلى الثاني قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾^(١)، وتلا عليه كذب نحو روي عليه، وقال عليه، (ويقولون على الله الكذب) وأما السحر فقد اختلف في مائته على ثلاثة أوجه، ولا بد من تبيينه لينبني كلام الله عليه في هذه الآية وفي غيرها من الآيات في ذكر السحر، فالأول: ما ذهب إليه أكثر الجدلين، وهو أنه اسم خداع وتخيلات لاحقيقة له، وإنما اعتماد الساحرين على شغل القلوب بشعبذة صارفة للأبصار وتمتمة عايقة للأسماع ولصرف الأبصار، قال تعالى ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾^(٢)، ولشغل الأسماع بالنميمة، قال: فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، قالوا: ولهذا سمي البيان الرائق سحراً، والثاني ما ذهب إليه الأغشام^(٣) من العوام وجماعة من الأشرار، وهو أنه اسم لفعل من قوته تغيير الطبائع ونقل الصور، كجعل الإنسان حيواناً آخر وذكروا من ذلك خرافات توصلت بها الملحدة^(٤) والبراهمة إلى إبطال النبوات والمعجزات، والثالث ما ذهب إليه محصلة أهل الأثر وعامة المتوسمين بالحكمة، وهو أنه عمل يقرب إلى الشيطان بمعونة منه، وذلك أن توقع الساحر وهمه على أمر يريد فعله بالغير لافظاً بكلمات من الشرك ومادحاً للشيطان مستعيناً به والذي يحتاج إليه في معرفة ذلك مقدمة، وهي أن الجواهر المكلفة ضربان جسماني محسوس، وروحاني معقول، فكما أن الجسماني بالقول المجل ثلاثة أقسام: خير، وشرير، ومتوسط، كذلك الروحاني، فالخير من الروحاني الأرواح المقدسة، وهي الملائكة، والشرير شياطين الجن والمتوسط مؤمنو الجن كمن نزل فيهم سورة الجن، ولما كانت الملائكة لا تواصل ولا تعاون إلا خيار الناس كل متأله نقي، وكل ناسك تقي متشبه بهم في المواظبة على العبادة والتقرب إلى الله - عز وجل - بالفعل والقول، كذلك الشياطين لا تواصل ولا تعاون إلا الأشرار من الناس كل مشرك خبيث عابد للشيطان معاند للرحمن، ولهذا قال: ﴿هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْلَمْ غَيْبَ الرُّحَمَىٰ نَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٦)، وقال: ﴿شَّيَاطِينُ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٧)، إن قيل: لو أمكن الإنسان من جهة الشيطان الوقوف على الأخبار الغائبة والأفعال

١ - سورة البقرة : الآية (١٢١).

٢ - سورة الأعراف : الآية (١١٦).

٣ - في (و - ج) الأغنام وهو خطأ من الناسخ.

٤ - في (أ - ص) الملاحدة.

٥ - سورة الشعراء : الآيتان (٢٢١، ٢٢٢).

٦ - سورة الزخرف : الآية (٣٦).

٧ - سورة الأنعام : الآية (١١٢).

الخارجة عن عادة البشر لكان يشبه طريق النبوة بطريق السحر، ولكن يجوز استغواء الساحر بسحره متصوراً بصورة نبي، وذلك يؤدي إلى ما ادعاه ما في الزنديق على كثير من الأنبياء في أنهم كانوا سحرة معاونين من قبل الشيطان، لا من قبل الرحمن - عز وجل -، قيل: الفرق بين ما يكون من فعل السحرة وبين ما يكون من الأنبياء لا يخفى على متنبه في المعرفة ومتدرج في أدنى منزلة من الحكمة، فإن تأثير السحر لا يكون إلا في فساد جزئي من كل مشرك خبيث في نفسه شرير في طبعه متدنس في بدنه، ولذلك أكثر ما يقع في حيض النساء وعبدة الأصنام وضعاف العقول وفي الأمكنة القذرة، وأكثر تأثيرهم في مجالسهم، ثم لا يكون في الندرة، ومتى قوبل بالاستعاذة بالله تعالى وبذكره بطل سلطانه، فأما ما كان من الأنبياء عليهم السلام، فلا يحصل إلا من كل مؤمن محصن الإيمان مقدس في نفسه خير في طبعه طاهر في بدنه [ويكون تأثيره] ^(١) في أولي العقول الراجحة والأفهام البارة، ويزداد بازدياد التقرب إلى الله تعالى، وذلك ظاهر لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولو لم يكن للسحر حقيقة لما أعظم الله أمره في قوله: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ ^(٢)، ولما أمروا بالتعوذ من شر النفاثات في العقد، ولو كان كما قال الجدليون لما ورد والشرائع بقتل السحرة ونفيهم عن بلاد الإسلام، ولما أجرى مجرى الشرك حتى قال بعض الفقهاء: لا تقبل توبتهم كالمستسر بالكفر، والنميمة والخديعة لاتستحق بها ^(٣) هذه العقوبة، فإن قالوا فالذي هو كفر هو ما تقول العامة إن الساحر يطير بلا جناح، ويركب البيضة والمكنة ^(٤)، فيبلغ في أقصر مدة إلى بلد بعيد، قيل: مدعى ذلك ومصدقه سخيفان يضحك منهما، ولا خلاف أن بذلك لا يستحقان الارتداد والقتل، وإنما يستحق القتل إذا ادعى قتل الإنسان بسحره على شرائط مخصوصة على قول بعض الفقهاء أو ادعى ما ينبئ عن صريح كفر، وقد أنكر الجدليون ما روي في ذلك من الأخبار الصحيحة والآثار الواضحة كنحو ما روي أن اليهود سحرت رسول الله ﷺ فقال - عليه السلام: «أتاني ملكان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما: ما بالرجل فقال الآخر: مطبوب، قال: ومن طبيه؟ قال: بنات لبيد بن

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - سورة الاعراف: الآية (١١٦).

٣ - في (أ - ص) لهما.

٤ - في (و - ج) والمكنسة.

أعصم اليهودي، فيما إذا قال في مشط ومشاطه، وجف طلعه ذكر في بئر ذوى أروان، فبعث من أخرجه وحل عقده، فكلما حل حل عقده، وجد لذلك خفة كأنما أنشط من عقال^(١) قالوا: إن ذلك إن قلنا بصحته لكان يقدح في نبوته، وليس الأمر على ما ظنوه لما تقدم، ولأن تأثير السحر لم يكن في النبي - عليه السلام - من حيث ما هو نبي، وإنما كان في بدنه من حيث هو إنسان وبشر، وكما كان يأكل ويتغوط ويشرب ويمشي ويقعد ويغضب ويشتهي ويمرض ويصح من حيث هو بشر لا من حيث هو نبي، وإنما كان ذلك قادحاً في النبوة لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع إلى النبوة، ثم كون النبي - عليه السلام - معصوماً من الشيطان لا يقتضي أن لا يؤثر في بدنه ذلك تأثيراً صغيراً لا يقدح فيه من حيث ما هو نبي، فقد كان تأثير ذلك في جزء من بدنه تأثيراً محسوساً لم يتعده إلى زوال عقله ولا إلى إفساد نفسه، كما أن جرحه وكسر ثناياه يوم أحد لم يقدح فيما ضمن الله له من عصمته، حيث قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، وكما لا اعتداد بما يقع في الإسلام من ارتداد أهل بلد أو غلبة المشركين على بعض النواحي فيما ذكر من كمال الإسلام بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٣)، ومن أثبت كليات الحقائق بإثبات جزئياتها لم يسعفه في قياسه لدى التحصيل مقدمته ولا يثبت به في المقامات قدمه، وأما متصرفات لفظ السحر، فقد كثرت، وذاك إنه من حيث يتصور تارة دقته وتارة، حسنه وتارة فتنته، وتارة خبثه وشرارته استعمل في كل ذلك لفظه بحسب تصور كل واحد من ذلك، فسمي الشعبة سحراً ومنه قوله: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾^(٤)، والكلام الرائق سحراً، ومنه قيل: (إن من البيان لسحراً)^(٥)، والعين الفاتنة ساحرة، والعالم ساحراً، [وعلى ذلك حمل قوله: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾^(٦)، والفعل الدقيق سحراً]^(٧) حتى قالت الأطباء: الطبيعة ساحرة، وسمي الغذاء

١- الحديث أورده القرطبي في تفسيره ج: ١ - ص ٥٤٣ وج: ١٠ - ص ٧٥٩٨ رواية عن الصحيحين كما أخرجه ابن كثير في تفسيره ج: ٤ - ص ٥٧٤ . ونص الحديث.

ما روته عائشة أن النبي ﷺ سحره يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى يُخِيلُ إليه أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث - ثم قال يا عائشة : أشعرت أن الله أفنانى فيما استفتيت فيه . أثناني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي ما شأن الرجل .. قال مطبوب ، قال ومن طبه ؟ . قال لبيد بن الأعصم ، قال في ماذا . قال في مُشط ومشاطة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذوى أروان فجاء البئر واستخرجه .. إلخ الحديث.

٢ - سورة المائدة : الآية (٦٧).

٣ - سورة المائدة : الآية (٣).

٤ - سورة الأعراف : الآية (١١٦).

٥- الحديث عن عبد الله بن عمر أنه قال : قدم رجلان من المشرق، فخطبا، فعجب الناس من بيانهما، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم «إن من البيان لسحراً، أو إن بعض البيان لسحراً»، أخرجه مالك في باب ما يكره من الكلام، شرح الزرقاني ج: ٤ - ص ٤٠٣، والبخاري في الطب - ج: ١٠ - ص ٢٣٧، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٤١٠، كما أورده صاحب كتاب راموز الأحاديث فيما أخرجه ابن عساكر عن علي وابن النجار عن ابن مسعود ص ١٣١.

٦ - سورة الزخرف الآية (٤٩).

٧ - ساقط من (و - ج) .

سحراً من حيث يدق تأثيره، قال: وتسحر بالطعام وبالشراب والسحر الرئة، فيجوز أنه سمي بذلك اعتباراً بدقة تأثيره في ترويح القلب بإيصال النفس (البارد إليه)^(١) إخراج الحار منه، فكأنه ساحر في فعله ذلك، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(٢)، قبل من المخلوقين وحقيقته من المجعل له سحر، أي من الحيوان، وقيل فيه، وفي قوله: ﴿إِنْ تَبْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُسْحُورًا﴾^(٣)، أي معه رأي من الجن والفتنة: اختيار بتعذيب، ولما انطوى معناها على الأمرين استعملت في كل واحد منهما مفردة، نحو قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾^(٤)، أي عذابكم وفتنت الذهب إذا اختبرته بالنار، وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾^(٥) يحتمل الوجهين، والآية معطوفة على ما تقدم من ذكر اليهود، وهي منطوية على أمرين: ذم اليهود في تحري السحر وإيثاره وتبرئة لسليمان - عليه السلام - مما نسبوه إليه، وذلك أنه روى أن الشياطين من الإنس والجن دفنوا تحت كرسي سليمان عليه السلام شيئاً من السحر، فلما مات عليه السلام أخرجوا ذلك، وادعوا أنه كان يتحرى ما يتحراه سحراً منه، فذكر الله تعالى أن بعض اليهود اتبعوا ما تخرصه^(٦) الشياطين على ملك سليمان، ونزه سليمان عن الكفر وما نسب إليه من السحر، وذكر أن الشياطين هم المستحقون. لذلك، واختلف في قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، فقيل فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أن ما جرى معطوف على قوله ﴿مُلْكٍ سَلِيمَانَ﴾ ومعناه: كذبوا على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين، والثاني: أن ما نفى وعلى القولين: قيل لم يعلم الملكان السحر، بل كانا ينهيان عنه. ﴿حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي حتى بلغ من نهيهما عن ذلك أنهما كانا يقولان إنما نحن فتنة، أي مفتونون بأن نعلم السحر وذلك مستبعد من حيث اللفظ، فإنه إنما يقال: فلان لا يفعل كذا حتى إنه يقول كذا على سبيل الاستئناف، ولا يقول حتى يقول، وقال هذان القائلان معنى (ويتعلمون منهما) أي

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - سورة الشعراء: الآية (١٥٣).

٣ - سورة الإسراء: الآية (٤٧).

٤ - سورة الذاريات: الآية (١٤).

٥ - سورة الدخان: الآية (١٧).

٦ - في (و - ج) ما يتخرصه.

من السحر والكفر، وقد جرى ذكر السحر صريحاً، وذكر الكفر ضمناً^(١) في قوله: كفروا، والثالث قول أكثر المفسرين إن (ما أنزل) نصب معطوف على قول السحر، ومعناه علم السحر وكيفية تعاويه وقوله "منهما" راجع إلى الملكين، وكان تعليمهما ذلك ليحترز به، لا ليتعاطى فعله، ولهذا كانا يقولان (إنما نحن فتنة فلا تكفر)، والذي أنكره من يذهب إلى التقديرين الأولين هو لظنه أن علم السحر محظور كفعله، وليس الأمر على ما ظن، وذاك لما قد ثبت أن الحكمة معرفة الصدق من الكذب في الأقوال والخير من الشر في الأمور ليتحرى الصدق والخير ويتجنب الكذب والشر، فمعرفة الكذب والشر إذاً واجبة كوجوب معرفة الصدق والخير، بل لا يتم معرفة أحدهما إلا بالآخر كما قد تبين أن المعرفة بالمتضادين واحد، وإذا كان معرفتهما لازمة، فتعريفهما واجب، وإنما المستقبح تعاطي الكذب والقبيح، فإذا كان كذلك فلا ضير أن يبعث الله تعالى من قبله في وقت يكثر فيه الاستغواء بالسحر من ينبه على وجه احتياله، فتزول عن الناس الشبهة، ثم إن استعان شرير به على تعاطي شر، فهو كالاستعانة بتعلم الفقه وتعاطي العبادات لاستغواء الناس، فما من شئ من المعادن أو من المعارف والعلوم نسخ في هذه الدار مصلح لخير إلا ويمكن استعماله في شر، ومن لم يتمسك فيما يتحراه بالطاعة وقع في المعصية أو الكفر، وأما هاروت وماروت فالظاهر أنهما كانا الملكين، وقيل: كانا رجلين سُمِّيَا ملكين اعتباراً بصلاحيهما ولهذا قرأ بعض القراء (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) اعتباراً بملكهما، وقال بعض المفسرين إن الملكين ليسا بهاروت وماروت، وإنما هما شيطانان من الجن والإنس وجعلهما نصباً في اللفظ بدلاً من الشياطين بدل البعض من الكل كقولك: القوم قالوا كذا زيد وعمرو، قال: ويكون قولهما: (إنما نحن فتنة) كقول الخليع لغيره: لا تعيرني فأني خليع فاسق، ويكون قوله: (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) نفيّاً اعتراضاً بين البديل والمبدل منه، وروى بعض من جعلهما ملكين أنهما كانا صُيُراً على صورة الأدميين وركب منهما الشهوة، وأنهما تعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على شرب الخمر وارتكاب المحظور ثم صعدت إلى السماء، فقد استسخر جماعة الجدليين قائل هذا الحديث^(٢) وعدوه خرافة ينزهه العاقل سمعه عن سماعه، وذكر بعض الناس أن ذلك رمز منقول عن

١ - في (١- ص) مضمناً.

٢ - في (١- ص) قائل هذا الخبر.

كلام القدماء، وكان عاداتهم أن يرمزوا بكثير من العلوم قال: وهذا من رموزهم، وهو أنه كان عاداتهم إذا أرادوا تبين اختصاص كل نجم بفعل يختص به جعلوه بصورة متعاطي الفعل المختص به ويقول: إنه فعل كذا وقال كذا، ولما كان من شأن الزهرة على ما يدعون حمل الإنسان على تعاطي الغزل واللهو واللعب والشرب كنوا عنه بذلك، وعلى ذلك قالوا: الأفعال الزهرية كناية عن الغزل واللعب^(١)، وعلى ذلك فعلوا في سائر النجوم^(٢) حتى جعلوا لها صوراً مصورة في الكتب على هيات المتعاطين للصناعات المختصة بطبيعتها والله أعلم بذلك، وقوله تعالى: ﴿فَتَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا يَخْفَوْنَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ قيل: عني به الرجل وامرأته، وقيل: عني به الإنسان وقرناه وأصدقائه امرأة كانت أو غيرها، نحو قوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾^(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُرْوِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾^(٤)، وقوله: (فَتَعْلَمُونَ) معطوف على ضمن ما تقدم، كأنه قال: يعلمون فيتعلمون، وقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الإذن قد يقال في الإعلام بالرخصة، وقد يقال للعلم، ومنه أذنته بكذا، ويقال في الأمر الجسيم، وينبغي أن يعلم أن الإذن في الشئ من الله تعالى ضربان، أحدهما: الإذن لقاصد الفعل في مباشرته نحو قولك: أذن الله لك أن تصل الرحم، والثاني: الإذن في تسخير الشئ على وجه تسخير السم في قتله من يتناوله والترياق في تخليصه من أذيته، فإذا الله تعالى في وقوع التسخير وتأثيره من القبيل الثاني، وذلك هو المشار إليه بالقضاء، وعلى هذا يقال: الأشياء كلها بإذن الله وقضائه، ولا يقال: الأشياء كلها بأمره ورضاه، والضرر ما يعوق الإنسان عن فعل الخير سواء كان ذلك مما يعرض في بدنه، أو كان شيئاً خارجاً منه، والنفع ما يسهل سبيل الإنسان إلى الخير، ومن قال: النفع هو اللذة، فإنما اللذة بعض النفع، فقد يكون الشئ نافعاً، ولا يكون لذياً، إن قيل: كيف قال: ﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وما يضر يعلم أنه لا ينفع؟ قيل: إن ذلك من وجه ووجه، فقد يكون الشئ نافعاً من وجه وضاراً من وجه، وتعلم السحر كان

١- في (أ - ص) واللهو.

٢- في (أ - ص) الكواكب.

٣- سورة الصافات : الآية: (٢٢).

٤ - سورة المائدة : الآية: (٩١).

نفعاً لو احترزوا بمعرفته عن يغوى، فلم ينتفعوا به من هذا الوجه واستضروا به لاستعمالهم إياه في غير الحق، ولقد علموا أن من استبدل ما جاءت به الشياطين من السحر بالحق أن لاحظ له في الآخرة..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٠٢) سورة البقرة.

يصح أن يكون معطوفاً على المعلوم، وهو قوله: (لمن اشتراه)؛ ويصح أن يكون استئنافاً حكماً به، وجواب قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

إن قيل: كيف أثبت لهم العلم في أول الكلام ونفى عنهم في آخره؟ فالجواب في ذلك من أوجه..
الأول: أن العلم المثبت لهم هو العقل الغريزي، وما جعله لهم بصيغته، والمنفي عنهم هو المكتسب الذي هو من جملة التكليف، والثاني: أن المثبت لهم هو العلم بالجملة، والمنفي عنهم هو العلم بالتفصيل، فقد يعلم الإنسان مثلاً قبح الشيء، ثم لا يعلم أن فعله قبيح، فكأنهم علموا أن شرى النفس بالسحر مذموم، لكن لم يتفكروا في أن ما يفعلونه هو من جملة ذلك القبيح، والثالث: أنهم علموا عقاب الله، لكن لم يعلموا حقيقة عقابه وشدته، والرابع: أن معنى قوله (لو كانوا يعلمون) يعملون به، لأن من لا يعمل بما يعلم فهو في حكم من لا يعلم.

قوله - عز وجل :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٠٣) - سورة البقرة.

الثوب : رجوع الشئ إلى حالة شبيهة بالحالة الأولى، يقال: ثاب الحوض إذا امتلاء بعد فراغه عقيب امتلائه، والثوب لتصوره بصورة القطن لاجتماع أجزائه بعد تفرقها بالغزل، والثيب من النساء لعودها إلى الأيمة، والتثويب في الصوت ترديده، والثواب والمثوبة في الخير تحصيل نفع يثوب إليه بإحسانه، ومعنى الآية: لو آمن الذين يتعلمون السحر واتقوا لأثيبوا وكان ذلك خيراً لهم، ولو علموا لظهر لهم ذلك، وجواب لو [الأولى] ^(١) مادل عليه لمثوبة وتقديره: لأثيبوا، تقول: لو أتاني زيد لإكرامي خير له، ولا تقول له أتاني زيد لعمرو منطلق، إذ لم يدل لفظ عمرو على فعل، وجواب لو لا يكون إلا فعلاً، أو ما دل عليه، ومن النحويين من أجاز ذلك إذا دل الخبر على فعل..

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الآية (١٠٤): سورة البقرة .:

الراعي : حفظ الغير في أمر يعود بمصلحته، ومنه: رعي الغنم، ورعي الوالي الرعية، وعنه نقل: أرعيت سمعي، وتشبيهاً برعي الغنم قيل: رعيت النجوم إذا راقبتها، وكان يقال للنبي - عليه السلام - [راعنا] ^(٢) أي استمع إلينا واحفظنا، فقالت اليهود: راعنا تعريضاً به من الرعونة، فلما عوتبوا قالوا: إنما نقول مثل ما يقول المسلمون، فنهوا عن ذلك، وقيل لهم: قولوا بدل ذلك انظرننا، وذلك معناه معنى راعنا، وقد نبه على ذلك بقوله - عز وعلا -: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ^(٣) الآية، وقوله: "واسمعوا": يجوز أن يكون من جملة ما أمروا لن يقولوا مع قولهم "انظرننا"، ويجوز أن يكون ذلك استئناف أمر من الله تعالى بامتنثال ما أمرهم به، وقيل: إنما نهوا عن قولهم: "راعنا" لكونه

١ - ساقطة من (أ - ص).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة النساء : الآية (٤٦).

مفاعلة متضمنة لمعنى المساواة بين المخاطب والمخاطب، فأمرُوا بتوقيره، كما قال ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(١)، وكقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾^(٢)، وذلك عن ابن عباس -رضي الله عنه-، وروى عن مجاهد أن معناه: لا تقولوا خلافاً ويكون من الرعن، وأستردل هذا الوجه، لأنه لو كان كما قال لكان في القراءة رعناً بالتنوين.

قوله - عز وجل :

﴿مَا يَدْعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ الآية (١٠٥) - سورة البقرة .

الود : محبة الشيء مع تمنيه، ولما كان لهما استعمل في كل واحد منهما، ف قيل: وددت فلانا إذا أحببته، ووددت الشيء إذا تمنيته، وأصل الاختصاص الخاص وهو فرجة بين الشيئين، ومنه الخُص لبيت من قصب لما فيه من الفرج، وسمي انتلام الحال خصاصاً وخصاصة على التشبيه، كما سمي انتلاماً واختلالاً وشعباً، وخصصت فلاناً وخصني أوليته خصاصي نحو خللته، وقولهم: وقفتهم^(٣) على عجزي ونحري، وخصان الرجل خلانه، ثم جعل الخاص مقابلاً للعام في التعارف، وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من اليهود كانوا يظهرون مودة المسلمين، ويزعمون أنهم يودون لهم الخير، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، ونفي ما أدعوه وكان المسلمون يوالونهم ويركنون إليهم، فأكذبهم الله تعالى في ذلك [ونفى ما ادعوه]^(٤) ونهاهم تعريضاً عن موادتهم، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ﴾^(٥) إن قيل: فلم قال: ولا المشركين" وذلك يقتضي أن المشركين ضربان، كافر، وغير كافر، كما أن أهل الكتاب ضربان؟ قيل: إن "من" في قوله (من أهل الكتاب) للتبيين ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٦)، فإذا كان كذلك، فالذين كفروا هم أهل الكتاب، فجاز أن يقال: (ولا المشركين) عطفاً على لفظ أهل الكتاب، وجاز أن يقال (ولا

١ - سورة النور : الآية (٦٣).

٢ - سورة الحجرات : الآية (٢).

٣ - في (١ - ص) أطلعت.

٤ - ساقطة من (١ - ص).

٥ - سور المائدة : الآية (٥٧).

٦ - سورة الحج : الآية (٣٠).

المشركين) عطفاً على الذين، ولو قرئ به لجاز، كما جاز، وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾^(١) [٧] والكفار النصب والجر جميعاً، ومن في قوله: ﴿مِنَ خَمِرٍ﴾ لاستغراق الجنس، وبين بآخر الآية أنه وإن اختص برحمته بعض الناس، فليس ذلك لضيق فضله، بل فضله عظيم، ورحمته [تسع كل شيء، وإنما يسع رحمته]^(٢) ضربان، أحدهما يصل إليه كل من شاء الوصول إليه من العباد بتمكين الله إياه وضرب يخص تعالى به بعض عباده لما يعرفه في ذلك..

قوله - عز وجل :

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

الآية (١٠٦) - سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في مناهية النسخ والفرق بينه وبين التخصيص في صدر الكتاب، والنسخ في اللغة إزالة الصورة عن الشيء وإثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس، ثم يقال في إزالة الصورة من غير إثباتها في غيره نحو قوله تعالى : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾^(٣)، ويقال أيضاً في إثبات مثل تلك الصورة في الغير من غير إزالتها عن الأول كنسخ الكتاب وأصحاب التناسخ زعموا. أن النفوس تنتقل من هيكل إلى هيكل، فإن كانت محسنة انتقلت إلى هيكل متعمة فيه، وإن كانت مسيئة فالإي هيكل معذبة فيه، وليس الإنساء الأمر بالترك المؤدي إلى النسيان، وليس كل متروك يقال له منسى، وقرئ ننسأها من النسي، وهو تأخير الشيء عن وقته أو عن هيئته، فمما هو بالوقت قولهم:

نسأت في ظمي الإبل، ونسأ الله في أجلك، ونسأت المرأة تأخر وقت حيضها، وأنسأت فلاناً البيع، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِبَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾^(٤) ومما هو بالهيئة نسأت الإبل عن الحوض،

١ - سورة المائدة : الآية (٥٧).

٢ - سقطت هذه الفقرة من (أ - ص).

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - سورة الحج : الآية (٥٢).

٥ - سورة التوبة : الآية (٣٧).

ونسأتها في السير، ومنها المنسأة للعصا التي يطرد بها، وحمل المفسرون النسخ والإنشاء على وجهين:

أحدهما أن النسخ هو إزالة الحكم من غير اللفظ، أو الحكم مع اللفظ، والإنشاء مقابله، وهو أن لا ينسخ بل يُقر، والثاني: أن النسخ إزالة الحكم فقط ثبت اللفظ أو لم يثبت، ولهذا قال الفقهاء:

إن النسخ لا يكون إلا في معنى الأمر والنهي معنى الخبر والإنشاء يكون في الإخبار وفي الأمر والنهي، لكن في الخبر معناه لا يزول وإن زال اللفظ، وقد يستعمل أحد اللفظين مكان الآخر، فمن هذا ما روت عائشة- رضي الله تعالى عنها- أنه نزل في قصة أهل بئر معونة قرآن منه: (بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا)، ثم نسخت، ففيه دلالتان:

إحدهما أن قوله: (لقينا ربنا) إخبار، وقت سمته نسخاً، والثانية: أنها استعملت النسخ في رفع التلاوة دون المعنى، وعلى ذلك ما روي أنه كان فيما أنزل الله: (لو أن لابن آدم وادي من مال لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)^(١)، ثم نسخ وذلك خبر، وقيل: الكلام في تأويل الآية أن يذكر ما يكشف خطأ اليهود وشرذمة من المسلمين أنكروا النسخ زاعمين أن ذلك هو المبدأ^(٢)، ولا يفعلن إلا من يجهل العواقب ويتجدد له رأي بعد رأي، فيقال وبالله التوفيق..

«إن لله تعالى خلفاء في الأرض مستخلفين فيها ومستعمرين فيها لتتوصل بذلك إلى مجاورته والقرب منه بحياة لا موت بعدها، وغنى لا حاجة معه، وقدرة لا يعتورها عجز، ولا سبيل إلى ذلك إلا باكتساب الصحة في النفس، وصحتها أمران: العلم والعمل، أما العلم: فمعرفة الصدق من الكذب، والجميل من القبيح، والخير من الشر، وأما العمل: فتحري الصدق في المقال والجميل في الفعال وتجنب ضديهما، وكما لا سبيل إلى استفادة صحة البدن إلا بطبيبين، أحدهما من داخل وهي القوة

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب». أخرجه البخاري ج: ١١-ص ٢٥٢ في باب «ما يتقي من فتنة المال»، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم «١٠٤٦»، وأورده الراغب في مفرداته ص ٨٦٢.

٢ - في (١- ص) البدا.

التي سخرها الله تعالى لاستدعاء الطعام وهضمه ودفعه، والثاني من خارج، وهو الذي يتلف^(١) من هذه القوة إذا اختلت، كذلك لا سبيل إلى استفادة صحة النفس إلا بطبيين أحدهما من داخل وهو العقل، والثاني من خارج وهو النبي وكما أن أدوية البدن وأغذيته العقاقير والأطعمة، فأدوية النفس الأعمال الشرعية والآداب الخلقية، وكما أن طبيب البدن قد يغير الأغذية والأدوية التي يتوصل بها إلى استفادة الصحة واستبقائها لاختلاف الأزمنة، كذلك الأنبياء من قبل الله قد يغير الأعمال الشرعية التي هي مصلحة للأنفس حسب ما يعرف الله من مصالحها، فكما يكون الشئ دواءً للبدن في وقت، ثم يكون داءً في وقت غيره، كذلك الأعمال قد تكون مصلحة في وقت، مفسدة في وقت، ولكون الشريعة طلباً للنفوس قال المسيح: "إنما أنا طبيب المرضى"، وروى: أن العالم طبيب الدين، والدنيا دأؤه^(٢) فإذا جر الطبيب الداء إلى نفسه، فكيف يداوي غيره، ومما يبين جواز النقل من حكم إلى حكم نقل الله تعالى الأشياء حال إلى حال حتى ينتهي إلى أقصى الكمال كمال الإنسان من مبدأ إلى منتهى عمره وذلك من حين النطفة، ثم العلق، ثم المضغة، ثم كونه جنيناً، ثم طفلاً، ثم ناشئاً وكهلاً وشيخاً وهرماً، ثم ما نبه النبي عليه السلام بقوله: «إن لكم معالم، فانتهاوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم»، ولو كان نقل الشرع من حال إلى حال قبيحاً لكان بعثة موسى ونقله اليهود عن بعض ما كانوا عليه قبيحاً، وأماما حكوه عن موسى عليه السلام - أنه قال لبني إسرائيل هذه الشريعة لازمة لكم أبداً مادامت السموات والأرض، فلفظ محتمل وفي إتيانه على وجه محتمل حكمة عظيمة قد ذكرها الحكماء، وهي أن من عادة^(٣) العامة وغريزتها أن لا ينقاد كل الانقياد لراع أو رئيس إذا علموا كونه مصروفاً من بعد، بل يستوهنون أمره ويضعفون حاله، فإذاً واجب أن لا يعلموا^(٤) بأن أمره غير ممتد، وأن لا يبين ذلك إلا للأعيان الذين لا يكون منهم مفسدة، فلهذا كانت الألفاظ الواردة من الأنبياء عليهم السلام محتملة أن شريعتهم على التأييد، فإن قيل: إن ذلك يؤدي إلى أن^(٥) يقال في

١ - في (و - ج) يقف، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - في (١ - ص) داء الدين.

٣ - في (١ - ص) طبائع.

٤ - في (١ - ص) يشعروا.

٥ - في (و - ج) يقول، وهو خطأ من الناسخ.

نبينا - عليه السلام- إنا لم نعلم كونه دينه - عليه السلام- على التأييد من قوله فقط، بل علمنا ذلك قول من قوله ببرهان، وهو أن دينه بالاعتبار العقلي وسط كما وصفه تعالى بقوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١) وأنه مصون عن الإفراط والتفريط والوسط الذي هذا صفته هو الحق الذي قال تعالى فيه: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٢)، ولشرح ذلك موضع غير هذا وبالله التوفيق، وأما معنى الآية، فعلى قول من يجعل الإنشاء مقابلًا للنسخ قال: لما أنكرت اليهود تحليل الله الشيء في وقت [وتحريمه في وقت]^(٣) بين الله تعالى أن جميع ما في التوراة، والكتب المتقدمة ضربان إما حكم قد نسخ فأتى بما هو خير أي أنفع لكم، أو يترك فلم ينسخ وأتى في القرآن بمثله، أي جمعه في لفظ آخر، فيكون بقوله^(٤): (بخير منها) راجعاً إلى النسخ وبمثليها إلى الإنسان، فإن قيل: إن الذي ترك ولم يُنسخ ليس هو مثله بل هو هو، فكيف قال بمثليها؟ قيل: الحكم الذي أنزل في القرآن وكان ثابتاً في الشرع الذي قلنا^(٥) يصح أن يقال هو هو إذا اعتبر بنفسه ولم يعتبر بكسوته التي هي اللفظ، ويصح أن يقال: هو مثله إذا لم يعتبر بنفسه فقط، بل اعتبر باللفظ، ونحو ذلك أن يقال ماء البئر هو ماء النهر إذا اعتبر جنس الماء، وتارة يقال: مثل ماء النهر إذا اعتبر قرار الماء، وعلى قول من جعل الإنشاء ترك اللفظ حتى تنسى قال: معناه: إذا أزيل حكم آية أو أنسى لفظها نأت بما هو أوفق لكم وأقرب إلى أن يبلغوا به إلى ما أريد منكم، ثم قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي لا تحسبن أن تغيير الحكم حالاً فحالاً وإن لم آت بالثاني في الابتداء هو العجز، فإن من علم قدرته على كل شيء لا يظن ذلك، وإنما يعتبر^(٦) ذلك لما يرجع إلى مصلحة العباد، وإن الأليق بهم في الوقت المتقدم الحكم المتقدم وفي الوقت المتأخر الحكم المتأخر، وقال بعض المحققين أن الآية مع هذا الظاهر تنبئ عن معنى لطيف، وهو أن الله تعالى خلق الإنسان خلقة تدرجه^(٧) من حال إلى حال إلى أن يصير كاملاً موصوفاً بعام

١ - سورة البقرة : الآية (١٤٣).

٢ - سورة يونس: الآية (٣٢).

٣ - ساقطه من (أ - ص).

٤ - في (أ - ص) قوله.

٥ - في (أ - ص) قبلنا.

٦ - في (أ - ص) تغير.

٧ - في (أ - ص) يدرجه.

صفاته ومتخصصاً بالبقاء الأبدي والغنى السرمدي ومنفكاً من الحاجات والنقصانات كلها^(١)، فنبه الله تعالى أن هذه الأحوال آيات له ينسخها إلى مثل ما هو كالأول من وجه وخير منه من وجه، ثم بين أنه تعالى قادر على ذلك إذ هو قادر على كل شيء^(٢)، وقد تعلق الشافعي وأصحابه في قولهم: إن القرآن لا ينسخ إلا بالقرآن بهذه الآية، ووجه ذلك أن قولنا هذا خير من كذا، وأفضل منه يرجع إلى شرفه من ثلاثة أوجه إما إلى فضل موجد، أو إلى جنسه، أو إلى تأثيره، مثال الأول: قولك: أفعال الله أفضل من أفعالنا، ومثال الثاني الملائكة أفضل من الحيوان ومثال الثالث: السيف أفضل من العصا ومثل يقال على ثلاثة معاني لها ثلاثة ألفاظ مماثلة في الجنس، ويقال لها الند مماثلة في الكيفية، ويقال لها الشبه ومماثلة في الكمية، ويقال لها المساواة، وثلاثتها يقال لها مثل، وقد ضمن الله تعالى أنه لا ينسخ آية إلا بخير منها أو مثلاً، فالسنة ليست بخير من الآية ولا مثلاً في الجنس، إذ جنس القرآن تتعلق به المعجزة وإن أمكن أن يقال: هي مثلاً في الوصفين الآخرين، وأما وجه قول مخالفه، فهو أن الله تعالى وإن ذكر الآية، فإنما أراد حكمها، لأن النسخ لا يكون إلا في الأحكام، فإذا قوله: ﴿بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ليس إلا في الأحكام، فكأنه قيل: ما ننسخ من حكم الآية إلا نأت بخير منه أو مثله، فعلى هذا مدار الكلام وتعلق أهل الظاهر بالآية، حيث ذكروا أن الناسخ لا بد أن يكون أخف من المنسوخ، وذهبوا في الخفة إلى ما يستخفه النفس بالطبع، وذلك بعيد، فإن الشريعة مبنية على مخالفة النفس وعلى مجانية مقتضى الطبع، ولهذا قيل هذا إذا عن أمران، فاشتبه وجه الصواب فتخير أثقلهما على النفس، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٣).

إن قيل: إذا لم يحمل خبر علي التخفيف فليست الثانية خيراً من الأولى في شيء من الأحوال، لأن الأولى في الوقت أصلح وأفضل، والثانية في الوقت أصلح وأفضل، فقد تساوى في عظم المصلحة، وبطل أن يكون الثانية خيراً بأن يكون أثقل وأكثر أعمالاً ليكون أجزل في الأجر وأكثر ثواباً، ومع هذا

١ - في (و - ج) كلاماً، وهو تصحيف.

٢ - في (أ - ص) إذ هو على كل قدير.

٣ - سورة البقرة: الآية (٢١٦).

فإن الثانية خير من الأولى في الوقت الثاني، لأن الأولى قد بطل العلم بها، وقوله بخير منها يعني في الوقت وتعلقهم بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾^(٢) فبعيد، فإن التخفيف واليسر في الأمور الإلهية في الدنيا والآخرة هما مما تستثقله النفس، أما في الآخرة، فإنه لا وصول إلى ذلك إلا بتحمل المشاق في الدنيا والعمل بالطاعات ومخالفة الهوى، وأما في الدنيا فإن التخفيف واليسر مع حصول العلم والصبر والعفة الواضحة عن الإنسان ثقل الجهل والجزع والخوف والفقر.

قوله - عز وجل :

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

الآية (١٠٧) - سورة البقرة .

الولي يقال تارة لمن له موالاة نسبية أو خلف، وتارة لمن له ولاية سلطانية، وإنما ذكر الولي والنصير، وهما متقاربان بالمعنى، لأنه قد ينفك الولي من النصرة بأن يكون ضعيفاً، والنصير من الولاية بأن يكون عن المنصور أجنبياً، وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إذا تصور خطاباً للكفار^(٣) اقتضى وعيداً أي لاولي^(٤) وناصر يحميكم عنه نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ﴾^(٥) إذا تصور خطاباً للمؤمنين اقتضى تسكيناً لهم أي لا تعتدوا بمن^(٦) يواليكم وينصركم سواء، كقوله: ﴿ضَلُّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾^(٧)، وإذا اعتبر بهما فالعنيان فيهما موجودان أي لا تعتقدوا أن لكم ولياً وناصرأ إذا لم يكن الله وليكم تنبيهاً أنه تعالى هو الذي لا يمكن تصور ولي وناصر مع تصور

١ - سورة النساء : الآية (٢٨).

٢ - سورة البقرة . الآية (١٨٥).

٣ - في (و - ج) للأمار، وهو خطأ من الناسخ.

٤ - في (و - ج) إلى الأولى، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - سورة المؤمنون : الآية (٦٥).

٦ - في (و - ج) لمن،

٧ - سورة الإسراء : الآية (٦٧).

ارتفاعه عز وجل^(١)، وإنما خص النبي ﷺ بقوله: (ألم تعلم) وإن كان الخطاب له ولغيره، لذكره العلم ولا أحد من البشر أعلم بذلك منه -عليه السلام-، أو قد وقف من أسرار ملكوت السموات والأرض على ما لم يوقف عليه غيره^(٢) والقصد بالآية، أنهم لما أنكروا النسخ فعرفهم أنه تعالى ينقل عباده من حكم إلى حكم على ما يرى من مصالحهم، وبين أن ذلك ليس لعجزه، إذ هو قادر على كل شيء، ومالك له، إن قيل: لم كرر: "ألم تعلم"، ولم يعطف الثاني على الأول، قيل إنه لما جعل حكم الثاني كالعلة للأول أخرجه مخرج الأول، فكأنه قيل: "هو على كل شيء قدير"، لأن له ملك السموات والأرض، وإخراج الكلام على لفظ التقرير لكونه أبلغ في حكم الخطابة، وموضع قوله: (ومالكم) معطوف على موضع ﴿أَنْ أَلَّهُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ..

قوله - عز وجل :

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الآية (١٠٨) - سورة البقرة .

السبيل والطريق يتقاربان لكن السبيل يقال على اعتبار السبيل، كقولهم: طريق مسنون، ومنه أسبلت الإزار، والبستر والسبلة المسترسل من الشعر على الشفة العليا والسبيل المطر مادام بين السماء والأرض، والطريق يقال على اعتبار طرقه بالأرجل، والسواء أصله يستعمل في المكان الذي يستوي فيه إليه مسافة الطرفين وفي ذلك معنى القصد والعدل، فصح أن يفسر بالوسط وبالقصد وبالعدل وليست هذه الألفاظ في تفسيره أقوالاً مختلفة كما ظنه بعض المفسرين، وأما "أم"، فقيل هو معطوف على قوله: (ألم تعلم)، وتقديره: ألم تعلموا ذلك أم لم تعلموا فتسئلوا رسولكم، وقيل هو لاستئناف الاستفهام المفسر بهل، كقول الشاعر:

كَذَّبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ^(٣)

١ - في (١ - ص) عز وتعالى.

٢ - في (١ - ص) على ما لم يطلع غيره عليه.

٣ - هذا شطر بيت للأخطل وتماه: كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً

وهو في خزانة الأدب ج : ٦-٩، وديوان الأخطل ص ٢٨٥، وكتاب سيبويه ج : ١-٤٨٤، وشرح الأبيات لابن السيرا في

ج: ٢-٦٧، ولسان العرب - مادة - كذب، والمقتضب ج: ٣-٢٩٥، ومعاني القرآن للأخفش ج: ١-٣١.

وسبب نزول هذه الآية فيما روي أن أهل الكتاب سألوه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، وذلك ما ذكره في قوله - عز وجل ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾^(١) الآية-، وقيل: هو ما سألوه مشركو العرب وهو قولهم له ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفْقِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه﴾^(٢) وقيل: سألوه أن يجعل الصفا ذهباً، فقال: هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل، فأبوا، وقيل: سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط وهي شجرة تعلق عليها الأسلحة ليقتلوا بالمشركين في اتخاذها فقال عليه السلام: (الله أكبر، سألتكم كما سأل بنو إسرائيل موسى، فقالوا: اجعل لنا إلهاً كإلههم آلهة)^(٣)، إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ومعلوم أنه بدون الكفر بالإيمان يعلم أنه قد ضل؟ قيل سواء السبيل وفي ذلك تنبيه أن ضلالة سواء السبيل قائمة إلى الكفر بعد الإيمان، ومعناه: ﴿لَا تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى فَتَضَلُّوا سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ فيؤدي بكم إلى تبديل الكفر بالإيمان، فمبدأ ذلك الضلال عن سواء السبيل، ووجه آخر وهو أنه سمي معاندة الأنبياء عليهم السلام بعد حصول ما تسكن النفس إليه كفرة، إذ هي مؤدية إليه، كتسمية العصير خمراً، فقال: "ومن يتبدل" أي يطلب تبديل الكفر بالإيمان أي بما حصل له من الدلالة المنتقضية لسكون النفس فقد ضل سواء السبيل، ووجه ثالث، وهو أن ذلك نهاية التبكيت^(٤) لمن ظهر له الحق فعدل عنه إلى الباطل، وأنه كمن كان على وضوح الطريق فتاه فيه، ووجه رابع: وهو أن سواء السبيل إشارة إلى الفطرة التي فطر الناس عليها، والإيمان إشارة إلى المكتسب من جهة الشرائع، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي بالإيمان المكتسب فقد أبطله وضيع الفطرة التي فطر الناس عليها، فلا يرجى له نزوع عما هو عليه بعد ذلك..

١ - سورة النساء : الآية (١٥٢).

٢ - سورة الإسراء: الآية (٩٣).

٣ - شجرة ذات أنواط شجرة عظيمة خضراء كانت العرب في الجاهلية تأتياها كل سنة تعظيماً له، فتعلق عليها أسلحتها وتذبح عندها، وكانت قريبة من مكة، وقيل إنهم حينما كانوا يحجون يعلقون أرديتهم عليها ويدخلون الحرم بغير أردية تعظيماً للبيت، ولذلك سميت ذات أنواط. ويقال للشئ ينوطه نواطاً إذا علقه، ومناسبة ذكرها في الحديث حين مر النبي ﷺ وبعض أصحابه بتلك الشجرة بين مكة وحنين، فقال بعضهم : يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنها السنن لتركن سنن من كان قبلكم. فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها أسلحتهم. السيرة النبوية- ابن هشام- ج: ٤- ص ٦٤- قدم لها وعلق عليها وضبطها- الأستاذ/ طه عبد الرؤف سعد.

٤ - في (و - ج) التركيب، وهو تحريف.

قوله - عز وجل :

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الآية (١٠٩) - سورة البقرة .

الحسد: كراهية نعمة على مستحق لها، وعدت من عظام الذنوب، إذ هو معاندة الله في إرادته، وهو شر من البخل، فإن الحسد بخل على الغير بنعمة من لا تنفذ العطايا نعمة، والعفو ترك العقوبة على المذنب، والصفح ترك ترثته، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وصفح عنه: أي أوليته مني صفحة جميلة معرضاً عن ذنبه، أو لقيت صفحته متجافياً عنه، أو تجاوزت الصفحة التي أثبت فيها ذنبه إلى غيرها من قولك: تصفحت الكتاب، وفي الآية تنبيه أن كثيراً من أهل الكتاب يتمنون ارتدادكم بعد إيمانكم حسداً، وقوله: (من عند أنفسهم) أي من عند هواهم^(١) كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٢)، وعبر عن الهوى بالنفس وهي الأمانة بالسوء، وبين أنهم فعلوا ذلك بعد وضوح الحق لهم، ولكنهم بحسدهم وهوائهم لا يتحرونه، ولا يحبون أن يتحراه غيرهم، ثم أمر بالتجافى عنهم إلى أن يأتي الله بأمره تسكيناً لهم ووعداً بتغييره لقدرته على كل شيء، وروي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَأَقْضُوا الْفُسْكَانَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٣)، وقال غيره: هي غير منسوخة، وهذا الخلاف يرجع إلى اختلاف نظيرين، وذلك أن كل أمر ورد مقيداً بانتهاهما معين أو غير معين فورود الأمر بخلافه يصح أن يقال: هو نسخ له من حيث إنه يرفع الأول، ويصح أن يقال: إنه ليس بنسخ، فإن النسخ في الأمر المطلق^(٤).

١ - في (١ - ص) هوائهم، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - سورة محمد : الآية (١٤).

٣ - سورة التوبة : الآية (٥).

٤ - أورد الدكتور مصطفى زيد ما حكاه ابن الجوزي من دعوى النسخ في هذه الآية حيث قال: "وأعلم أن تحقيق الكلام دون التحريف فيه أن يقال: إن هذه الآية ليست بمنسوخة، لأنه لم يأمر بالعفو مطلقاً وإنما أمر به إلى غاية، وبين الغاية بقوله: (حتى يأتي الله بأمره)، وما بعد الغاية يكون حكمه مخالفاً لما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون أحدهما ناسخاً للآخر، بل يكون الأول قد انقضت مدته لغايته، والآخر محتاجاً إلى حكم آخر. وقد ذهب إلى ما قلت جماعة من فقهاء المفسرين، وهو الصحيح. وهذا إذا قلنا إن المراد العفو عن قتالهم. وقد قال الحسن: هذا فيما بينكم وبينهم دون ترك حق الله تعالى، حتى يأتي الله بالقيامة. وقال غيره: بالعقوبة، فعلى هذا يكون الأمر بالعفو محكماً لا منسوخاً، النسخ في القرآن الكريم - د/مصطفى زيد - ج: ٢ - ص: ٥٩٠ ط، دار الوفاء - المنصورة.

قوله - عز وجل :

﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآية (١١٠) - سورة البقرة .

هذا معطوف على قوله : ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾^(١)، ومعناه: اشتغلوا بالعبادات التي يعود عليكم نفعها نحو: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٢)، وجعل ثواب الفعل نفس الفعل لكونه إياه في التقدير، وبهذا النظر سمي ثواباً وهو الثائب إليه، فلذلك قال : تجدوه، وبين أن كل خيري حصله الإنسان فمدخر له بخلاف عمل الكفار الذي قال فيه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مُمْتَرًا﴾^(٣)، وبخلاف عمل الدنيا الذي قال فيه: ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾^(٤)، وعلى ذلك قال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾^(٥)، وقال : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٦)، وأمنهم من ضياع ما يقدمونه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تنبيهاً على نحو قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٧).

إن قيل: كيف قال تجدوه، ومن أحبط عمله لا يجده! قيل الخبر المقدم في الحقيقة هو الذي لم يحبط، فأما ما أحبط فقد أخرج من كونه خيراً [وإن كان]^(٨) قد يسمى في بعض الأحوال خيراً بنظر من يضعف نظره..

١- سورة البقرة : الآية (١٠٩).

٢ - سورة البقرة : الآية (٤٥).

٣ - سورة الفرقان : الآية (٢٢).

٤ - سورة النور : الآية (٣٩).

٥ - سورة آل عمران : الآية (٣٠).

٦ - سورة الزلزلة : الأيتان (٧، ٨).

٧ - سورة النجم : الآية (٢١).

٨ - ساقطة من (أ-ص).

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الآية (١١١) - سورة البقرة .

البرهان : كل حجة لا يعتريها شبهة بوجه. وهود، قال الفراء: أصله يهود، فحذف ياءه لكونها زائدة، وقال غيره: هو جمع هايد أي تائب نحو: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾^(١)، وكأنه كان في الأصل اسم مدح لمن تاب منه، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لجماعتهم كالعلم لهم وجعل مقالهم ذلك، أمانى من حيث أن الأمانة مقال منيعه عن تقدير، فيستعمل تارة في التقدير حقاً كان أو باطلاً على ذلك، حتى بين ما تمنى لك الماني، وتارة في المقال، وقوله: (لن يدخل) كلام "ملفوف" وتقديره: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا النصارى فأجمل اكتفاء بعلم السامع أن يرد كلاً إلى ما يقتضيه ونحوه في الإجمال قوله - عز وجل- ﴿جَعَلْ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢).

ثم [كذبهم]^(٣) بعجزهم عن إقامة البرهان على ما ادعوه. قوله -عز وجل- ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤).

بل: رد لدعواهم وإثبات لصد حكمهم، والإسلام: الدخول في السلم، وقيل للانقياد لإسلام، نحو:

كَمَا أَسْلَمَ السَّلَكُ مِنْ نَخْلِهِ لَأَكْبَىٰ مُنْخَدِرَاتٍ صِغَاراً^(٥)

لأن الانقياد للمسالم من مقتضى السلم، وجعل الإسلام في الشرع ضربين، ضرباً قبل الإيمان بدونه، وهو الاعتراف باللسان الذي يحقن الدماء حصل معه الاعتقاد الصحيح أو لم يحصل، وإياه

١ - سورة الأعراف (١٥٦).

٢ - سورة القصص : الآية (٧٣).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة البقرة : الآية (١١٢).

٥ - بحثت عنه فلم أجده.

عني بقوله - عز وجل:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِرُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(١) وضرباً بعد الإيمان وفوقه، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل، وإياه عن يوسف بقوله: ﴿قَوْلِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣) أي الطاعة هي تسليم لأمر الله - عز وجل، وهذا الإسلام بين مبدأه ومنتهاه بون بعيد، وكان منتهاه على حسب طاقة البشر حال إبراهيم - عليه السلام - حيث ابتلى، ف قيل له أسلم، فقال أسلمت لرب العالمين، ثم وفي بما كان منه، وهذا هو الإخلاص المراد من الأولياء، وأصل الوجه العضو المقابل من الإنسان، فاستعير للمقابل من كل شئ حتى قيل: واجهته ووجهته، وقيل للقصد وجه، وللمقصد وجهة، وعلى ذلك ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾^(٤)، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾^(٥)، ﴿وَأَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾^(٦) وعلى ذلك قوله: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾^(٧).

ولما جعل ذلك للقصد أضيف تارة إلى القاصد كما تقدم، وتارة إلى المقصود، كقولك: "أردت بكذا وجه الله"، وقد حمل على ذلك ﴿وَيَتَقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾^(٨)، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٩)، وقيل: الوجه في هذه المواضع اسم العضو مستعاراً للذات، فقوله: أسلم وجهه أي نفسه، والإحسان قيل هو الإتيان بعد فرض العبادة بالنقل، وبعد إقامة العدل^(١٠) بالفضل، ولما كذبهم الله - عز وجل فيما ادعوه

١ - سورة الحجرات : الآية (١٤).

٢ - سورة يوسف : الآية (١٠١).

٣ - سورة آل عمران : الآية (١٩).

٤ - سورة البقرة : الآية (١١٢).

٥ - سورة لقمان : الآية (٢٢).

٦ - سورة آل عمران : الآية (٢٠).

٧ - سورة الأنعام : الآية (٧٩).

٨ - سورة الرحمن : الآية (٢٧).

٩ - سورة القصص : الآية (٨٨).

١٠ - في (١ - ص) العدالة.

من دخول الجنة بين أن من أسلم نفسه له على حد ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾^(١)، وكان قصده إياه فيما يتحراه وهو ملتزم مع فرائضه نوافل حصل له ما ادعوه وزيادة فإن له أجره وهو الجنة، ومع ذلك فلا خوف عليه في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الدنيا فبأن يجعل له يقيناً وصبراً وقناعة تكفيه الخوف على شئ يفوته والجزع لشئ قد فاتته، وأما في الآخرة فبأن يكفيه شدائد "يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً"^(٢).

إن قيل: كيف قال (فلا خوف عليهم) وقد مدح المؤمنين على خوفهم بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٣) قيل: إن الذي نفي عنهم هو ما تقدم آنفاً، والذي مدحهم^(٤) به هو توفية حق العبادة، فإن مخافة الله إقامة عباداته وارتسام مرسوماته، ولذلك قيل: من لم تخف نفسه الدنيا فلا يعذبه [خائفاً]^(٥) وقيل: معنى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: من آمن وعمل صالحاً، وما تقدم منطوق على هذا...

١ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٢ - اقتباس من الآية: (٤١) سورة الدخان.

٣ - سورة الإسراء : الآية (٥٧).

٤ - في (أ - ص) منعهم، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - ساقطة من (أ - ص).

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ
الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

الآية (١١٣) - سورة البقرة .

الكتاب يتناول كل كتاب منزل، والفرقان يقال في التوراة وفي القرآن، والقرآن يختص بالمنزل
على محمد ﷺ ، ودوي أنه لما قدم نصارى نجران على رسول الله ﷺ اتتهم أحبار يهود فتنازعوا
عنده، وقال كلا الفريقين للآخر: لستم على شيء، فنزل الله - عز وجل - هذه الآية^(١) . إن قيل: كيف
عرض تعالى بتكذيبهم فيما ادعوه وقد صدق الفريقان على قول المسلمين؟ قيل: ليس قول أحد
الفريقين بسديد من وجه، إذ قد بتوا الحكم وليس ذلك على البت والقطع، فلما الفريقين في وقت وعلى
وجه على حق، على أن القصد بالآية الدلالة على جهلهم وتخبطهم مع تشاركهم في قراءة التوراة
دالة^(٢) على ما اختلفوا فيه، فبين أن كلا الفريقين حائد عن الطريق، وأنهم في الجهل أو التجاهل
كالمشركين الذين لاكتاب لهم في دعواهم على أهل الكتابين والمسلمين أنهم ليسوا على شيء، ثم تواعد
الفريقين بحكمه بينهم [يوم القيامة]^(٣) وقد أبهم حكمه فيدخل فيه كل قول قالوه من قول من قال: عني
إنصاف المظلوم من الظالم، وقول من قال: عني تعريف المكذب من المكذب، وقول من قال: مثل قوله
﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمْحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٤).

١ - الحديث أورده القرطبي في تفسيره ج: ١ - ص ٥٧٠ - كما رواه ابن كثير في تفسيره من طريق عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ - اتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء - وكفر بعيسى وبالإنجيل، وقال رجل من أهل نجران من النصارى - ما أنتم على شيء - وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله الآية. تفسير القرآن العظيم ج: ١ - ص ١٥٥.

٢ - في (١ - ص) الدالة.

٣ - ساقطة من (١ - ص).

٤ - سورة التوبة : الآية (٤٩)، سورة العنكبوت : الآية (٥٤).

قوله - عز وجل :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية (١١٤) - سورة البقرة .

المنع: أن يحال بين من المراد ومريده^(١)، ولما كان الشيء قد يُمنع ضمناً^(٢) به صار المنع^(٣) متعارفاً في المتنافس فيه، والسعي مشى^(٤) بسرعه، وهو دون العدو، وخص بأنواع من السعي منها: السعاية، أي الوشاية وسعي العبد في اكتساب ما يعتق به والتصرف^(٥)، للتكسب، ولجباية الصدقة حتى صار الساعي معروفاً في جابي الصدقة، وجعل المساعاة كناية عن الفجور بالآمة والخراب ضد العمارة وجعل الخربة لسعة خرق الأذن تشبيهاً بالخراب، وشبه عروة المزايدة بها، فقليل خربة، والخاب: السارق لتخريبه، أو لكونه سكاناً في خراب متوحشاً عن الناس، فيكون بناؤه كبادٍ وحاضر، وقيل: هو مخصوص بسارق الإبل خاصة، والأولى بالمساجد أن تكون عامة في كل مكان مرشح للصلاة، فقد قال عليه السلام: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»^(٦)، وعظم تعالى ظلم من سعي في المنع من ذكر الله وتخريب الأمكنة المختصة بأهل الشرائع المحقة مسجداً كان أو غير مسجد، وليس التخريب الهدم فقط، بل تعطيله عن عباده الله - عز وجل -.

وقول ابن عباس ومجاهد: إنه عني به الروم إذ خربوا بيت المقدس، وقول غيره إنه عني "بخت نصر" لما خربه، وقول من قال : إنما عني به المشركين إذ صدوا النبي عليه السلام عن المسجد الحرام،

١ - في (١ - ص) أن يحال من المريد ومراده.

٢ - في (و - ج) ضمناً، وهو تصحيف.

٣ - في (١ - ص) المنيع.

٤ - في (١ - ص) شبي، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - في (١ - ص) وللتصرف للتكسب.

٦ - الحديث رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالعرب، وأوتيت جوامع الكلم - وجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»، وبين أنا نائم "أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ - فَتَلَّتْ فِي يَدِي". أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام - ج: ١٣ - ص ٢٠٩، وأورده البغوي في شرح السنة ج: ١٣ - ص ١٩٨ وأورده البيهقي في سننه ج: ٢ - ص ٤٣٣، ص ٤٣٤، وأورده الطبراني في الجامع ج: ١١ - ص ٦١، ص ٧٣، ج: ١٢ - ص ٤١٣، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج: ١ - ص ٤٣٦، ص ٤٣٧، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٩٧.

وكل ذلك أمثلة منهم لحكمه وسبب النزول هذه الآية لا أنه لم يرد بها غير ذلك، يبين ذلك أنه قال: مساجد بلفظ الجمع، وقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ لفظه خبر، ومعناه منطوي عليه وعلى الأمر، فإن بيوت الله - عز وجل ممنوعة عن الكفار في دار الإسلام إلا بإذن، ويكونون خائفين، والحكم أن لا يمكنوا إلا بشرط حاجة تقتضي ذلك، ثم ثبت^(١) لهم الخزي في الدنيا، وذلك تارة بالهوان الذي يجري عليهم، وتارة بأخذ الجزية منهم، وقتلهم، والسبي، منهم، ومنعهم عن كثير مما يباح للمسلم، وإليه نظر قتادة وجماعة وقسروا به، وتارة بالهوان الذي يلحقهم في أنفسهم من جنبهم^(٢) وجرعهم وخوفهم وسائر الآفات النفسية وتارة من حياتهم من عقلهم لاضطراب نفوسهم وقلوبهم وقلة سكوتهم لما اختاروه، وإلى ذلك أشار تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾^(٣)

قوله - عز وجل :

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَاقْبَلُوا وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

الآية (١١٥) - سورة البقرة .

المشرق والمغرب تارة يقالان بلفظ الواحد إما إشارة إلى ناحية الأرض، وإما إلى المطلع والمغيب، وتارة بلفظ التثنية إشارة إلى مشرقى ومغربى الشتاء والصيف، وتارة بلفظ الجمع اعتباراً باختلاف المغارب والمطالع كل يوم، وشرقت الشمس: طلعت، وأشرقت: أضاءت وذلك إذا كثر شروقها، وشرقت اللحم: ألقيته على الشمس المشرق، والمشرق المصلى لأنه يقام فيه صلاة [العيد]^(٤) عند شروقها، وشرق الثوب بالصبغ تشبيهاً بلون الشارقة، والغروب للشمس تصور منه بعد ذهابها^(٥) عن العمارة، فيقال لكل تباعد غروب، ومنه الغراب لكونه مبعداً في الذهاب، وغارب السنام لبعده عن المنال، وغرب السيف أبعد جزع من صحيفته، ثم تصور منه حدته، فقليل لسان غرب وسمي الدلو غرباً

١ - في (أ - ص) أثبت.

٢ - في (و - ج) من جيبهم، وهو تصحيف.

٣ - سورة الحج: الآية (٣١).

٤ - ساقطه من (و - ج) .

٥ - في (و - ج) بعددها، وهو خطأ من الناسخ.

لتصور بعدها في البئر، ثم سمي الماء به كتسميتهم إياها بالذنوب لكونه فيها، والغرب^(١) للذهب لكونه غريباً فيما بين الجواهر، والغرب^(٢) لبعده عن المثرات من الأشجار، والآية تؤكد لما تقدم أنه عني بالمساجد حيث ما صلى فكأنه قيل: لا اعتبروا الأمكنة، فله - عز وجل - ملك الدنيا، وحيث ما توجهتم فهو موجود يمكنكم الوصول إليه، إذ ليس هو جوهراً ولا عرضاً، فيكون بكونه في جانب مفرغاً جانباً ونبه بقوله: "واسع" على إحاطته بالأشياء، "وبالعليم" أنه لا يخفى عليه خافية، وقد حمل أكثر المفسرين الآية على أنها واردة في القبلة، فمنهم من قال ذلك توطئة لجواز نقلها وتقرير في نفوسهم أن ليس المعبود [سبحانه]^(٣) في حيز دون حيز، وقيل إن ذلك في زمان كان يجوز الصلاة فيه إلى كل جهة حتى أمروا بقوله: ﴿قُولِ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٤) وهو قول قتادة وابن زيد، وذلك بعيدة لأن القبلة كانت مخصوصة وعلى ذلك قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾^(٥) وقيل إن ذلك في النافلة وجوازها حيث ما توجهت بنا الراحلة، وإليه ذهب ابن عمر، وقيل إن قوماً صلوا في ظلمة خفيت عليهم جهة القبلة، فلما أصبحوا كانوا قد صلوا إلى غير القبلة، فأنزل الله - عز وجل - ذلك، وإليه ذهب ابن عباس وجماعة، وقد تقدم معنى وجه الله .

١ - في (و - ج) القرب وهو تصحيف.

٢ - في (و - ج) والقرب وهو تصحيف.

٣ - ساقطة من (أ - ص).

٤ - سورة البقرة الآيتان (١٤٩)، (١٥٠).

٥ - سورة البقرة الآية : (١٤٣).

قوله عز وجل :

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾

الآية (١١٦) - سورة البقرة .

القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع، ولما كان لهما فسر بكل واحد منهما، ف قيل في قوله: ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَانِينٌ﴾^(١) أي خاضعين، وقيل طائعين، ولما كان من تمام القنوت القيام والسكون مالم يكن أمر بخلافه واستعمل فيهما، ف قيل في قول النبي ﷺ لما قيل له: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت^(٢) أي القيام، ولما ادعى النصارى في المسيح واليهود في عزيز أنهما أبناء الله، ومبشركوا العرب في الملائكة أنهم بنات الله تقدس الله تعالى عن ذلك، نبه على أقوى حجة على نفي ذلك وبيانها^(٣) هو أن لكل موجود في العالم مخلوقاً طبيعياً أو معمولاً صناعياً عرضاً وكمالاً أوجد لأجله، وإن كان قد يصلح لغيره على سبيل العرض كاليد للبطش، والرجل للمشي، والسكين لقطع مخصوص، والمنشار للنشر وإن كان اليد قد يصلح للمشي في حال، والرجل للتناول، لكن ليس على التمام، والغرض في الولد للإنسان إنما هو لأن يبقى به نوعه، وجزء منه لما لم يجعل الله له سبيلاً إلى بقائه بشخصه، فجعل له بذراً^(٤) لحفظ نوعه، ويقوي ذلك أنه لم يجعل الشمس والقمر وسائر الأجرام السماوية بذراً، واستخلفاً مالم يجعل لها فناء النبات والحيوان، ولما كان الله تعالى هو الباقي الدائم بلا ابتداء ولا انتهاء، لم يكن لاتخاذ الولد لنفسه معنى، ولهذا قال سبحانه أن يكون له ولد، أي هو منزّه عن السبب المقتضي للولد، ثم لما كان اقتناء الولد لفقر ما، وذلك لما تقدم أن الإنسان افتقر إلى نسل يخلفه لكونه غير كامل في نفسه، بين تعالى بقوله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أنه لا يتوهم له فقر فيه فيحتاج إلى اتخاذ

١ - سورة البقرة : الآية (٢٣٨).

٢ - الحديث مروي عن جابر بن عبد الله قال: قيل للنبي ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ - قال: «طول القنوت». والحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم «٥٣٧». وأخرجه الترمذي في سننه. كما جاء في عارضة الأحوزي ج: ٢- ص ١٧٨، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٨٥.

٣ - في (و - ج) وثباتها.

٤ - في (و - ج) هذا، وما في (أ - ص) هو الأصح.

ما هو سد لفقره، فصار فى قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ دلالة ثانية، ثم زاد حجة بقوله: (قانتون) وهو أنه لما كان الولد يعتقد فيه خدمة الأب ومظاهرتة كما قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾^(١)، بين أن كل ما فى السماوات والأرض مع كونه ملكاً له فأنت له أيضاً إما طائعاً، وإما كارهاً، وإما مسحراً، كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣)، وهذا أبلغ حجة لمن هو على المحجة..

إن قيل : من أين وقع لهم الشبهة فى نسبة الولد إلى الله تعالى؟ قيل: قد ذكر أن فسي الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون على البارى تعالى إسم "الأب"، وعلى الكبير منهم اسم الإله- حتى إنهم قالوا: **إن الأب هو الرب الأصغر، وإن الله هو الأب الأكبر**، وكانوا يريدون بذلك أنه تعالى هو السبب الأول فى وجود الإنسان، وأن الأب هو السبب الأخير فى وجوده، وأن الأب هو معبود الابن من وجه، أي مخدومه، وكانوا يقولون للملائكة آلهة كما قالت العرب للشمس إلهة، وكانوا يقصدون معنى صحيحاً كما يقصد علماؤنا بقولهم: "الله محب ومحبوب، ومريد ومراد، ونحو ذلك من الألفاظ، وكما يقال للسلطان الملك وقول الناس "رب الأرياب"، إله الآلهة"، "ملك الملوك"، ومما يكشف عن تقدم ذلك التعارف ويقوي ذلك ما يروى أن يعقوب كان يقال له "مكر الله"، وأن عيسى كان يقول: "أنا ذاهب إلى أبي"، ونحو ذلك من الألفاظ، ثم تصور الجهلة منهم بأخرة معنى الولادة الطبيعية، فصار ذلك منهياً عن التفوه به فى شرعنا تنزهاً عن هذا الاعتقاد، حتى صار إطلاقه وإن قصد به ما قصده هؤلاء قرين الكفر بوقد استدلل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن الملك لا يقارن الولادة، وأن من ملك والده أو مولوده عتق عليه، لأنه تعالى نفى عن نفسه الولد بإثبات الملك له وهذا بعيد عما قصد فى الآية بالمقال وإن كان فيه مجال للجدال..

١ - سورة النحل : الآية (٧٢).

٢ - سورة الرعد : الآية (١٥).

٣ - سورة الإسراء : الآية (٤٤).

٤ - فى (و - ج) إلى ربى .

قوله - عز وجل :

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

الآية (١١٧) - سورة البقرة .

البديع: يقال للمُبْدِع والمُبْدَع جميعاً، والإبداع إيجاد فعل ابتداءً لا احتذاء، ولهذا قيل: فلان بدع في كذا، وجعل البدعة اسماً لكل مخترع لم يؤثر عن أرباب الشرع. والقضاء: إتمام الشيء قولاً أو فعلاً، فمن القول قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَهُهُ﴾^(١)، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾^(٢)، ومن الفعل قوله: ﴿فَلَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَرَاتٍ فِي يَوْمٍ﴾^(٣) وقضى فلان دينه، وقضى نحبه، وانقضى الأمر، وتقضى بلغ آخره، وذكره تعالى هذه الآية حجة رابعة شرحها أن الأب هو عنصر للابن، منه تكون، والله مبدع الأشياء كلها، فلا يكون عنصراً للولد، فمن المحال أن يكون المنفعل فاعلاً، وخص لفظ الإبداع لكونه أبلغ لفظاً وأبعده عن الاحتمال، وذلك أن أفعال الله تعالى على ثلاثة أوجه: إبداع وهو "اختراع" الشيء لا عن شيء ولا في زمان، ويستعمل ذلك في إيجاده تعالى المبادئ، و"صنع" وهو تركيب صورة مع العنصر، وتستعمل في إيجاده الأجسام، و"تسخير" وهو سوق الشيء إلى غرضه المقصود منه طوعاً أو قهراً، ويستعمل في القوى التي أوجدها في السحاب والأمطار والأغذية والأدوية، وكل هذه الثلاثة يقال له الخلق، وأقدمها الإبداع، ونبه بقوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ على حجة خامسة، وهو أن الولد يكون بنشر وتركيب حالاً بعد حال، وهو إذا أراد شيئاً فقد فعل بلا مهلة ولم يرد "بإذا" حقيقة الزمان، إذ كان ذلك إشارةً إلى ما قبل^(٤) وجود الزمان، ولم يرد أيضاً "بكن" حقيقة اللفظ ولا بالفاء التعقيب الزماني، بل استعير كل ذلك لأنه أقرب ما يتراءى لنا به سرعة^(٥) الفعل وتمامه، وذكر لفظ "القضاء" إذ هو لإتمام الفعل. والآخر لكونه منطوياً على اللفظ والفعل

١ - سورة الإسراء: الآية (٢٣).

٢ - سورة الإسراء: الآية (٤).

٣ - سورة فصلت: الآية (١٢).

٤ - في (و - ج) ما قيل وهو تصحيف.

٥ - في (و - ج) شرعة وهو تصحيف.

والقول، إذ هو أخف موجدٍ منا وأسرعهُ إيجاداً، ولفظ: "كن" لعموم معناه واختصار [لفظه]^(١)، ثم قال: "فيكون"، تنبيهاً أنه لا يمتنع عليه شيء يريد إيجاداً، وكن فيكون، وإن كان مخرجها مخرج شيئين أحدهما مبني على الآخر، فهو في الحقيقة شيء واحد ونحوه قولنا: فلان إذا أراد شيئاً فقد كان ما أراد، واختلف في تفسير هذه الآية من حيث إن "كن" لفظ أمر، والأمر لا يكون إلا لموجود، فبعض قال: "لفظ الشيء مخصوص" وهنا للموجودين الذين قال لهم: (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) وبعض قال: (هو خطاب لمن يجيبهم من الموتى)، وبعض قال: هو أمر للشيء في حال تكونه لا قبله ولا بعده، وبعض قال: هو أمر لمعلوم له، وذلك في حكم الموجود وإن كان معدوم الذات، وبعض قال: "هو أمر للمعدوم"، قال: ويصح أمراً لمعدوم، كما يصح أمراً لموجود، وبعض قال: "إنه جعل "كن" دلالة للملائكة على ما يتقضي من الأفعال"، وأكثر هذه الأقوال يتبين وهنه بتصور ما تقدم..

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلًا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الآية (١١٨) - سورة البقرة .

اليقين أبلغ علم وأوكده، وهو أن يكون عالماً بالشيء، وعالماً بأنك تعلمه غير شك ولا متهيئ للشك، ولذلك قيل: هو المعلوم الذي زالت عنه المعارضة على مرور الأوقات، وإنما لم يوصف الباري تعالى به من حيث أنه لا يستعمل إلا في العلم المكتسب، ولهذا قال تعالى في صفة إبراهيم- عليه السلام ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٢)، ويعني بالذين لا يعلمون الكافرين على عهد رسول الله ﷺ وقول ابن عباس: "هم اليهود"، وقول مجاهد: "النصارى"، وقول الحسن وقتادة: "هم مشركو العرب كله محتمل، ويصح أن يكونوا جميعاً مرادين، فقد قال الله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾^(٣) ومشركو

١ - ساقطة من (و - ج) .

٢ - سورة الأنعام : الآية (٧٥) .

٣ - سورة النساء : الآية (١٥٣) .

العرب قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(١)، وعني بالذين قبلهم من سبق من كافري الأمم، فقد قال أصحاب موسى: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾^(٢)، وأصحاب عيسى قالوا: ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٣)، ثم بين أنهم متشابهون في العمي والجهالة، لاقتراحهم على رسلهم كقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^(٤). إن قيل: إنهم وإن أخطأوا في قولهم: (لولا يكلمنا الله) فإنهم لم يخطئوا في سؤال الآية، إذ لا يلزم الإنسان أن يؤمن إلا لمن يأتي بآية تدل على صدقه، قيل: إنما أنكر عليهم جحودهم الآيات التي أتاهم، ولذلك قال (قد بينا الآيات) كما قال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾ كما قال. ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)، وقوله: ﴿لَقَوْمٌ يُقِرُّونَ﴾ فيه معنيان: أحدهما أنهم يطلبون اليقين وليس بهم المعاندة، والثاني: أن من حصل له اليقين بالحق المحض وليس يعتريه شبهة فله في القرآن لا آية بل آيات، كما قال: (هو للذين آمنوا هدى وشفاء)، وقرأ بعضهم: (تشابهت)^(٦) بتشديد الشين، كأنه نظر إلى قوله: (تشابه)، فحمل عليه، وذلك خطأ، لأن تشابه أصله تتشابه، فأدغم، وليس في تشابهت ذلك، ومن قال: هلا^(٧) أجابهم إلى سؤالهم في أثناء الآية؟ فسؤال جاهل بحكمة الله تعالى، فباقتراح جاهل، وتشبيهه لا يجوز للحكيم أن يفعل ما ينافي مقتضى الحكمة، وقد أراح العلة بغير سؤالهم وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(٨).

١- سورة الأسراء: الآية (٩٠).

٢- سورة النساء: الآية (١٥٣).

٣- سورة المائدة: الآية (١١٤).

٤- سورة الذاريات: الآية (٥٣).

٥- سورة العنكبوت: الأيتان (٥٠، ٥١).

٦- هي قراءة شاذة قرأ بها كل من ابن أبي إسحق، وأبي حنيفة معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ١٠٧.

٧- في (و - ج) هذا.

٨- سورة المؤمنون: الآية (٧١).

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ الآية (١١٩) - سورة البقرة.

الجحيم المناخج من النار يقال نحجت النار، وشبه حمرة عين الأسد به، فقليل لها جحمة. وجاحم

الحرب تشبيهاً، فبين تعالى أن عليك البشارة والإنذار، ولا يلزمك عقابهم تسلياً له، كقوله :

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾^(١) وقوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾^(٢)، وقوله : ﴿مَا عَلَى

الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٣).

وقوله : ﴿فَلِإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾^(٤) وقوله : (لَا تُسْأَلُ) حال معطوف على قوله.

(بشيراً ونذيراً)، وقرأ نافع (ولا تُسْأَلُ)^(٥) بالجزم، فقليل ذلك تفخيماً لشأنهم، وقيل : نهى عن تتبع ما

أغناه الله عنه من أخبار مَنْ مضى، وقد روي أنه عليه السلام كان يستغفر لأبيه، فنهاه الله تعالى عن

ذلك، لقوله : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾^(٦).

قوله - عز وجل :

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنَّ آتِيتَ

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الآية (١٢٠) - سورة البقرة.

الملة: من أُمِلَّتُ الْكِتَابُ، وهي اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى

أَجَلِ ثَوَابِهِ، والدين ملة، لكن الملة تُقَالُ باعتبار دعاء الله وإنزال كتبه والدين باعتبار طاعة العباد له

بإجابة دعائه والانقياد لأمره، والشئ الواحد قد يسمى باسمين على اعتبارين، ثم تُقَالُ الملة والدين لما

١ - سورة فاطر : الآية (٨).

٢ - سورة البقرة : الآية (٢٧٢).

٣ - سورة المائدة : الآية (٩٩).

٤ - سورة الرعد الآية (٤٠).

٥ - قرأ نافع بضم التاء وتسكين اللام.. معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ١٠٧.

٦ - سورة التوبة : الآية (١١٣).

لم يكن من قبل الله على التقييد، كقولك: "ملة مزدك وغيره"، والهوى: رأي عن شهوة داع إلى الضلال، وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، ولهذا سميت النار هاوية، ولشدة سلطانه وصفه الله بأنه إله الكفار، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(١)، ومعنى الآية أن من خالفك لا يرضون عنك إلا بمتابعة ملتهم تنبيهاً أنه لا يرضيهم إلا ما لا يجوز وقوعه منك، ثم بين أن اتباعهم ليس بهدى، وأن الهدى هو هدى الله، أي إرشاده، كقوله ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾^(٢)، ثم حذره فقال: ﴿وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، وذلك تحذير له ولأمته، ولكن خص بالذكر لأن أنبياء الله، بل أوليائه بأدنى ميل إلى ضلال يكونون في حكم تابعي هواهم.

وربما بعد ذلك في جرائمهم الكبيرة ويؤاخذون بما لا يؤخذ غيرهم به، وذلك معلوم في التعارف، فإن من حصل له زلفة متناهية من السلطان لا يتجافى عما يقع منه من أدنى مخالفة كالتجافى عن الأجانب، ولهذا قيل: (كباثر الأولياء صفائر العوام)، وقيل: (فاحشة الأولياء التواني في تعهد الأنفاس، وفاحشة العوام فيما فيه المحدود) وإنما قال: أهواهم بلفظ الجمع تنبيهاً على أن لكل هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كل واحد منهم لا يتناهى، ونحو ذلك قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الدِّينِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾^(٤)، وقوله للمؤمنين: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٦)، وذلك تحذير من الهوى جملة، وقد تعلق بهذه الآية من يجعل الكفر كله ملة واحدة، لأنه جمع بين اليهود والنصارى، وسمي طريقتهما ملة واحدة...

١ - سورة الجاثية : الآية (٢٣).

٢ - سورة الأعراف : الآية (١٧٨).

٣ - سورة الجاثية : الآية (١٨).

٤ - سورة الأنعام : الآية (٥٦).

٥ - سورة المائدة : الآية (٧٧).

٦ - سورة ص : الآية (٢٦).

قوله - عز وجل :

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

الآية (١٢١) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام في التلاوة، وأنها تكون بالقراءة تارة، وبتتبع المعنى تارة، وباستعمال مقتضاه تارة، وهو المعنى بقوله: (حق تلاوته)، وعليه دل قول ابن عباس وابن مسعود يتبعونه حق اتباعه، وقول مجاهد: "يعملون به حق" ^(١) عمله، وقول عمر: "حق تلاوته"، إذا ذكر الجنة سأل الله الجنة، وإذا ذكر النار تعوذ منها"، وذلك عام في كتاب الله تعالى وفي أربابها، فقول قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ وقول ابن زيد: إنهم اليهود والنصارى، وقول غيرهما: هم الذين أسلموا من مشركي العرب كلها داخل فيه، وعموم اللفظ يقتضيه بقوله "الذين" مبتدأ، و"يتلون" حال لهم، و"أولئك" خبره، والمعنى: هم الذين يحصل لهم الإيمان به دون الذين ينكرونه، وليس لهم إلا الخسران المبين، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ^(٢)، وهذه الآية كالتحقيق لما تقدم من قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ^(٣).

١ - في (و-ج) "يعلمون به حق علمه".

٢ - سورة الإسراء : الآية (٨٢).

٣ - سورة البقرة : الآية (١١٨).

قوله - عز وجل :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلَ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ الايتان (١٢٢ ، ١٢٣) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام في مضمون الآيتين، ويسأل^(١) عن فائدة تكريرها، وأنه قال في هذه الآية: ﴿ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾^(٢) وفي الآية المتقدمة قال: ﴿ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾^(٣)، والجواب: أما التكرير فعلى سبيل الإنذار، فالواعظ إذا وعظ لأمرٍ ما قد يكرر الذي يعظ لأجله تعظيماً لأمره، وأما تغيير النظم، فلما كان قبول العدل وأخذه وقبول الشفاعة ونفعها متلازمة، لم يكن بين اتفاق هذه العبارات واختلافها فرقٌ في المعنى..

قوله - عز وجل :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ الآية (١٢٤) - سورة البقرة.

الابتلاء^(٤) كالاختبار، لكن الابتلاء طلب إظهار الفعل، والاختبار طلب الخبر، وهما متلازمان، والتام والكامل والوافي والوافر متقاربة، لكن التام يقال للمعهود المسحوق^(٥) جميعاً، نحو عدد تام، وليل تام، ورجل تام الخلقة، والكمال أكثر ما يقال في المسحوق والمشيبه به، وقوله: ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾^(٦)، فالمراد كمال الحكم لإكمال العدد، كما قدره بعض الملاحدة، فاعترض عليه بالإزراء،

١ - في (أ-ص) وسئل.

٢ - سورة البقرة - الآية : (١٢٣).

٣ - سورة البقرة : الآية (٤٨).

٤ - في (١ - ص) الابتلاء الاختبار.

٥ - في (١ - ص) للمعد والمسحوق.

٦ - سورة البقرة : الآية (١٩٦).

والوافي ما أشرف على الشئ، ومنه وفاء العهد، وأوفى على كذا، أي أشرف عليه، والوافر: مالم ينقص منه شئ، ومنه الوفر، وسقاء أوفر لم ينقص من أديمه شئ، والذرية: الأولاد الصغار والكبار، وقيل هي للصغار، وقيل أصله من الذر، وقال الفراء: أصله من ذريت وذروت، وقال أبو عبيدة: أصله الهمز من ذراً الله الخلق، فترك همزة على غير قياس، والإمام في الأصل: المؤتم به محققاً كان أو مبطلاً، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئَانِهِمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(٢)، وفي إطلاق الشرع اسم للمقتدي به، المقتدي بالشرع، وهو أعم من النبي والخليفة إذ كل نبي وخليفة: إمام، وليس كل إمام ونبي خليفة، والكلمات قد تقع على الألفاظ المنظومة وعلى المعاني التي تحتها، فقول: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ مَبْدُوءًا وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾^(٣) أي: قضيته وحكمه^(٤)، وقال: ﴿قُلْ لِرَبِّكَ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾^(٥) أي: للمعاني التي تبرز بالكلمات ولم يرد اللفظ، فإن ما يحصره اللفظ يحصره الخط، والكلمات التي ابتلى بها مبهمة محتملة، وذكر المفسرون لها وجوهاً يصح أن تكون كلها مراداً، فقل: هي عشر سنن، همس في الرأس المضمضة، والاستنشاق، والفرق، وقص الشارب، والسواك، وخمس في الجسد تقليم الأظافر، ونتف الأبط، والختان، وحلق العانة، والاستنجاء، وقيل: هي خصال محمودة ذكر بعضها في سورة/ التوبة، وبعضها في سورة/ المؤمنون وبعضها في سورة/ سأل سائل، وقد تقدم ذكرها في قوله: ﴿فَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(٦)، وقيل: هي مناسك الحج المذكورة في قوله: ﴿وَإِذْ بَرَأْنَا إِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^(٧)، الآية، وكل ذلك عن ابن عباس، وقيل: هو ابتلاؤه بالكوكب والقمر والشمس، وقيل: امتحانه بإنفاق ماله، وهجر أوطانه، وذبح ولده، وإلقائه في النار فلما لم يؤثر على اختبار الله في شئ من ذلك قال فيه: (فأتمهن)

١- سورة الإسراء: الآية (٧١).

٢- سورة القصص: الآية (٤١).

٣- سورة الأنعام: الآية (١١٥).

٤- في (١ - ص) أي قضية وحكمة.

٥- سورة الكهف: الآية (١٠٩).

٦- سورة البقرة: الآية (٣٧).

٧- سورة الحج: الآية (٢٦).

وإتمامه: هو الوفاء بها المذكور في قوله: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّى﴾^(١)، وسماه حنيفاً مسلماً، وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وجعل إمامته للناس كافة على التأييد، فإنه لم يُبعث بعده نبي إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا كَلِمَةَ بَاقِيَةٍ فِي عَقِبِهِ﴾^(٣) حتى قال للنبي (محمد)^(٤) عليه السلام: ﴿لَمْ أَوْحَ إِلَيْكَ أَنْ أَتْبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(٥)، وقال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٦)، وأمر - عليه السلام - بذكر إبراهيم في الصلاة، فقال: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم"، ولم يرد بالإمامة ههنا النبوة كما ظنه بعض المفسرين، فإنه - عليه السلام - إمام للناس على العموم في كل زمان على الإطلاق وليس بنبي لهم على [العموم]^(٧) بالإطلاق، ولما قيل له ذلك قال: (ومن ذريتي)، فأجيب إلى^(٨) ملتسمه بقوله: ﴿لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ لكنه تعالى بيّن أنه قد يكون من ذريته ظالم، وبين أن الإمام يتحمل للعهد، والظالم لا عهد له، فإذا لا إمامة له، ولهذا ما روي في الخبر أن الله تعالى يقول يوم القيامة لوالي السوء: (ياداعي السوء، أكلت اللحم، وشربت اللبن، ولبست الصوف، ولم تؤو^(٩) الكسير^(١٠)) ولم ترعها في مرعاها)، واستدل بالآية بعض الناس، فزعم أن الظالم إذا عاهد لم يلزم الوفاء بعهده، وقال الحسن: "إنما لم يجعل الله لهم عهداً" ..

-
- ١ - سورة النجم : الآية (٣٧).
 - ٢ - سورة الحديد : الآية (٢٦).
 - ٣ - سورة الزخرف : الآية (٢٨).
 - ٤ - ساقطة من (١ - ص) .
 - ٥ - سورة النحل : الآية (١٢٣).
 - ٦ - سورة الحج : الآية (٧٨).
 - ٧ - ساقطة من (و - ج) .
 - ٨ - في (و - ج) العموم.
 - ٩ - في (١ - ص) ولم تؤدي، وهو خطأ من الناسخ.
 - ١٠ - في (و - ج) الكسر.

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَقَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الآية (١٢٥) - سورة البقرة.

البيت: يسمى اعتباراً بالمبيت فيه، ومنه قيل: بيتهم وبات بيوت بات ليلته^(١) في إنائه، ثم ترك اعتبار المبيت، وروعي صورته، وبه شبه بيت الشعر اعتباراً بأنه مبني من أوتاد وأسباب بناء بيت الشعر والوبر من نحوها، وبيت الله: سمي لوجود صورة البيت فيه، والمثابة إما لتؤب الناس إليه، وإما لاستحقاقهم الثواب بقصده.

إن قيل: كيف جعل مثاباً وعامة قصاده لا يثوبون إليه قبل ذلك باعتبار جنس الناس لا بأحاديدهم، واعتبر بعض الناس ما سألته، واستدل بالآية في وجوب العمرة، فقال: لا يكون مثابة لأحد قصاده إلا على هذا الوجه، ومقام إبراهيم الحرم عن ابن عباس، والمزدلفة عن عطاء، والحجر عن السدي، والأولى أنه الحرم كله، فما من موضع ذكره إلا وهو مصلى أي مدعى، أو موضع صلاة، والطواف المشي حول الشيء، ومنه: الطائف يدور حول البيت حافظاً، وطائف من الجن والخيال، وجعل الطوافون عباده عز الحرم، والعكوف: الإقامة مع اللزوم بين تعالى أنه جعل البيت من حيث الحكم مثابة للناس وأما ومصلى، ولم يعن أنهم ملجؤون إلى أن لا يخيفوا أحداً، كما لم يعن أنهم ملجؤون إلى أن يجعلوه مصلى ومثابة..

إن قيل: فقد قال: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٢)، قيل: هو أيضاً على معنى الأول، ولو عنى ما قلت لقال: وإن من دخله كان آمناً قيل: هو أيضاً على معنى الأول، ولو عنى ما قلت لقال: وإن من دخله حتى كان يتعلق بالأول، وعلى ذلك حكم قوله: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٣) على أن حكم الله في ذلك مما فيه آية منه لأنه حض^(٤) الناس على

١ - في (١ - ص) ليلة.

٢ - سورة آل عمران: الآية (٩٧).

٣ - سورة النكبت: الآية (٦٧).

٤ - في (و - ج) قبض.

استعظام البيت حتى لا يجسر عامتهم على تعظيم حرمة، ومن ضيقها كان ممقوتاً في متوجهاته غير منفك من عقوبة اما متجلية للمناظر أو ظاهرة لأولي البصائر، وقرئ: "واتخذوا" على الأمر، وروي فيه أن النبي ﷺ قال لعمر لما انتهى إلى المقام: "هذا مقام أبينا إبراهيم، [فقال: ألا نتخذ مصلحاً؟] ^(١) " فأنزل الله - عز وجل - (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلحاً)، فعلى هذا أمر فصل به بين الجملتين من الخبر المعطوفة، والمعطوف عليها، (وعهدنا إلى) أي أمرناهما أمراً موثقاً عليهما بأن يطهرا البيت من الأنجاس والشرك وكل ما ينافي موضع الطهارة، للطائفتين: أي القصاد، وقيل لأولي الطواف، وكلاهما مراد، والركع السجود: المصلين، وقيل: قد دخل في الأمر بتطهيره أن بنيانه على تقوى كما قال: ﴿وَأَمِنَ أَسَىٰ بَيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾ ^(٢) الآية .

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَفِيهِ الْمَصِيرُ﴾ الآية (١٢٦) - سورة البقرة.

البلد: الأثر الباقي، وسمي المدينة، وكركرة ^(٣) البعير. والمفاضة: بلداً للأثار الظاهرة بها، وقيل للأثار في الجلد أبلاد، والبليد: المقيم على بلده أي مكانه، ثم جعل عبارة عمن لا نفاذ له في الأمر حتى صار أملك له، والمصير: المنتهى إليه في الأمر، ومنه المصير: لمنتهى الطعام، وصير البقرة مأواها، كالزريبة للغنم، وصير الباب: حيث مصيره، وإنما قيل: شق الباب اعتباراً بصورته لا بحقيقة مقتضى اللفظ، والاضطراب: حمل الإنسان على [ما يضره وهو في التعارف] ^(٤) حمل على الأمر بكره وذلك على وجهين: أحدهما بسبب خارج، وهو إما أن يضرب أو يهدد بالضرب حتى يفعله منقاداً، وإما أن يؤخذ بيده فيفعل ذلك به، والثاني بسبب من داخل، وذلك إما بقهر قوة له لا يناله بدفعها الهلاك، كمن غلب

١ - ساقطة من (و - ج) .

٢ - سورة التوبة : الآية (١٠٩) .

٣ - في (١ - ص) وكريرة، وهو خطأ من الناسخ.

٤ - ساقطة من (١ - ص) .

عليه شهوة خمر أو قمار، وإما بقهر قوة يناله بدفعها الهلاك، كمن اشتد به الجوع، فاضطر إلى أكل الميتة أو تناول مال الغير، ولما بنى إبراهيم عليه السلام البيت في فقر، ومن شرط المدن أن يتحرى في بنائها موضع يمكن أن يجري فيه نهر أو يشق فيه قناة، ويتخذ فيه مزرعة تفي بمطاعم قاطناتها، وعلم أن لا قوام لهم إلا بأن تجنى إليهم الثمرات، ولا يمكن جني الثمرات إليهم إلا بأمنه، سأل الله عز وجل- أن يجعله بلداً آمناً بسياسة إلهية، وأن يرزق أهله بتسخير الناس لجبي الثمرات إليه، ولما سألهم الرزق، وكان قد سمع في جواب سؤاله الإمامة لذريته ما سمع تدارك سؤاله فقيده وقال: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ تنبيهاً أن رحمته في الدنيا وسعت كل شئ، وأن نعمه فيها متاحة ^(١) لكل ليجعلوها ذريعة إلى إدراك ثوابه، ثم من كفر وضيع النعم فمسوق إلى عذابه.

إن قيل: إن قوله (فأمتعه) يقتضي كثرة ثبات الفعل، وقوله (قليلاً) ينافيه، فكيف جمع بينهما؟ قيل: ذلك على وجهين، فإن نعمته في الدنيا وإن كانت كثيرة بإضافة بعضها إلى بعض، فقليلة بإضافتها إلى نعمة الآخرة، وعلى هذا قال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ ^(٢)، كيف لا يقل ما يتناهى بالإضافه إلى ما لا يتناهى؟ وانتصاب "قليل" إما لكونه وصفاً لمصدر محذوف، أو لكونه ظرفاً، وتكون في العبارة به عن الزمان، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لُّصِبْحُنْ نَّادِمِينَ﴾ ^(٣).

١ - في (١ - ص) مباحة.

٢ - سورة النساء : الآية (٧٧).

٣ - سورة المؤمنون : الآية (٤٠).

قوله - عز وجل :

﴿وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهٖمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمَاعِيْلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ﴾

الآية (١٢٧) سورة البقرة.

الرفع والوضع يتقابلان، ويقال في الأجسام وفي الشرف والذلة على التشبيه، وكذلك يقال في الإعراب على التشبيه، والقعود المقابل للقيام، ثم جعل للثبات، فقليل لأساس البيت قواعد عن طلب الشرف، والقعيدة كناية عن الزوجة اعتباراً بقعودها في المنزل، والقعدة للفرس المقتعد في أكثر الأحوال، والقعود من البعير المدرك اقتعاده، وقيل إن إبراهيم عليه السلام- كان يبني وإسماعيل يرفع إليه الأحجار ويناوله، وذلك لا يمنع^(١) من أن يكون الفعل منسوباً إليهما وقول من قال: يجب إن يكون إبراهيم يتولى بناءه مرة، وإسماعيل مرة حتى يصح نسبة الفعل إليهما فبعيد التصور لسعة مجال الألفاظ وما اختلف فيه أنه هل كان للبيت بناء قبل إبراهيم- عليه السلام-، فأعاده، أو هو الذي أنشأه واحده، فليس مما يفتقر معنى الآية إليه، وقيل ليس يعنى برفعهما قواعد البناء فقط، بل تحريهما تشريفه بدعاء الناس إليه، ودعاء الله بحفظه، وصح نسبة ذلك إليهما وإن كان الله تعالى في الحقيقة شرفه من حيث أنهما من الأسباب المتأخرة لتشريفه.

١ - في (١ - ص) يمتنع.

قوله - عز وجل :

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الآية (١٢٨) - سورة البقرة.

النسك: غاية العبادة، والناسك الأخذ نفسه ببلوغ قاصيتها حسب طاقته، وسمي أعمال الحج المناسك، ثم خص الذبيحة بالنسك وتعرف فيه حتى قيل نسك فلان أي ذبح، وقيل للذبيحة نسكة ولم يعن بالمسلم ههنا من حقن دمه بالشهادتين، كما ظن بعضهم وقال: هذا دعاء بما علم كونه لهما لا محالة، وإنما عنى من ليس في قلبه تعظيم الله معه، وهو المعنى بالمضروب له المثل في قوله: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾^(١)، وبقوله: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿تَوَلَّيْ مُسْلِمًا﴾^(٣) وهذه قاصية الإيمان، ونبه تعالى بالآية أن من حق الإنسان أن يكون مع تحري الحق لا ينفك من التضرع إلى الله -عز وجل- بإرشاده وتوفيقه، ومن طلب أن يتوب عليه من ذنب عسى إن كان منه وهو غافل عنه، فإن قيل: ولم قيد؟ فقال: (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) ولم يعمم؟ قيل: إن هذه منزلة شريفة لا يكاد يتخصص بها إلا الواحد فالواحد في برهة بعد برهة، وعلم أن الحكمة الإلهية لا تقتضي ذلك، فإنه لو جعل الناس كلهم كذلك لما تمشى أمر العالم إذ كان العالم يفتقر إلى كون أفاضل فيها وأوساط وأراذل لتولي عمارته والقيام بتمشية أموره، فقد قيل: عمارة الدنيا بثلاثة أشياء، أحدها الزراعة والفرس، والثاني: في الحماية والحرب، والثالث جلب الأشياء من مصر إلى مصر، وأنبياء الله لا يصلحون لذلك إذ كانوا بغرض آخر أشرف من ذلك ولهذا قيل: "لولا الحمقى لخربت الدنيا"، وإنما عني بالحمقى المعنيون بأمر الدنيا بإضافته إلى المعنيين بأمر الآخرة، ولذلك قال: ﴿وَاسْتَغْفِرْكُمْ فِيهَا﴾^(٤).

١- سورة الزمر : الآية (٢٩) ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب.

٢- سورة الشعراء : الآية (٨٩).

٣- سورة يوسف : الآية (١٠١).

٤- سورة هود : الآية (٦١).

قوله - عز وجل :

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية (١٢٩) - سورة البقرة.

العزیز : الذي يقهر ولا يُقهر، وتعزز فلان بفلان، والعزاز من الأرض ما فيه صلابة بإزاء الذلول، وعز الشيء ^(١) إذا قل اعتباراً بأن كل موجود مملوك، وكل مفقود مطلوب، والحكمة حُدت بحدود على اعتبارات مختلفة، إما اعتباراً بمبدأها، فقد قيل: هي معرفة حقائق الأشياء، وقيل : معرفة الأشياء الإنسانية والأشياء الإلهية، وهذا هو كالأول، إلا إنه أبين، وإما اعتباراً بمنتهىها، فقد قيل: هي إimate الشهود وقلة الاكتراث بالموت المحمود، وقيل: الترشح بالعلم والعمل لإدراك ثواب الله - عز وجل-، فأما الرسول -الذي طلبه إبراهيم- عليه السلام، فقد روي عن نبينا ﷺ أنه قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم» ^(٢) يعني بالأول: قوله: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، وبالأخر: قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ^(٣).

إن قيل: كيف قال: يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة وليس الكتاب إلا الآيات، وما وجه هذا الترتيب؟

قيل: أما الآيات فهي الآيات الدالة على معجزة النبي ﷺ وذكر التلاوة لما كان أعظم دلالة نبوته متعلقاً بالقرآن، وأما الترتيب فلأن أول منزلة النبي ﷺ بعد ادعاء النبوة الإتيان بالآيات الدالة على نبوته، ثم بعده تعليمهم الكتاب، أي تعريفهم حقائقه لا ألفاظه فقط، ثم بتعليمهم الكتاب يوصلهم إلى

١ - في (و - ج) وعن الشيء، وهو تصحيف.

٢ - الحديث أخرجه ابن كثير من طريق محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشري عيسى ، ورات أمي حين حملت بي كانه خرج منها نور أضاءت له قصور بصري من أرض الشام» ، وهذا إسناد جيد وروي له شواهد من وجوه أخرى ، فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن ساريه قال : قال رسول الله ﷺ « إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لجنود في طينته وسائبكم بأول ذلك . دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين» ورواه الإمام أحمد أيضاً من طرق مختلفة ، أوردها ابن كثير في تفسيره ج: ٤ ص ٣٦٠ .

٣ - سورة الصف الآية : (٦).

إفادة الحكمة وهي أشرف منزلة العلم، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١)، ثم بالتدرج في الحكمة يصير الإنسان مزكياً، أي مطهراً مستصلحاً لمجاورة الله - عز وجل -.

قوله - عز وجل :

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الآية (١٣٠) - سورة البقرة.

الرغبة: سعة الإرادة، ومنه بطل رغب أي نهم، والرغب الشيء المرغوب فيه، ومتى عدى بعن اقتضى صرف الإرادة عن ذلك الشيء، وذلك بالترهد فيه، والاصطفاء تناول صفوة الشيء، كما أن الاختيار تناول خيره، والاجتباء تناول جانبه أي وسطه، وهو المختار، و(سفه نفسه) قيل: تقديره سفه، نفسه، وقيل: أصله سفه نفسه، فصرف الفعل عنه، نحو: بطر معيشته، وسفه نفسه أبلغ من جهلها، وذاك أن الجهل ضربان جهل بسيط، وهو أن لا يكون للإنسان اعتقاد في الشيء وجهل مركب، وهو أن يعتقد في الحق أنه باطل، وفي الباطل أنه حق، والسفه أن يعتقد ذلك، ويتحرى بالفعل مقتضاها ما اعتقده، فبين تعالى أن من رغب عن ملة إبراهيم، فإن ذلك لسفهه نفسه، وذلك أعظم مذمة، فهو مبدأ لكل نقيصه، وذاك أن من جهل نفسه جهل أنه مصنوع، وإذا جهل كونه مصنوعاً جهل صانعه، وإذا لم يعلم أن له صانعاً، فكيف يعرف أمره ونهيه، وما حسنه وقبحه، ولكون معرفتها ذريعة إلى معرفة الخالق - جل ثناؤه - قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣) فإن قيل: كيف وصفه بالاصطفاء في الدنيا وبالصلاح في الآخرة، والنظر يتقضي عكس ذلك، فإن الصلاح وصف يرجع إلى الفعل، وذلك يكون في الدنيا، والاصطفاء حال يستحقه العبد بكونه صالحاً، فحقه أن يكون في الآخرة؟ قيل الاصطفاء ضربان، أحدهما كما قلت، والآخر في الدنيا، وهو اختصاص الله بعض العبيد بولايته ونبوته لخصوصيته فيه وهو المعنى بقوله.

١- سورة البقرة : الآية (٢٦٩).

٢- سورة الذاريات : الآية (٢١).

٣- سورة الحشر : الآية (١٩).

﴿شَاكِراً لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ﴾^(١)، والصالح وإن اعتبر بأحوال الدنيا، فمجازى به في الآخرة، فبين تعالى أنه مجتبي في الدنيا لما عرف الله من حكمته فيه، ومحكوم له في الآخرة بصلاحه في الدنيا تنبيهاً أن الثواب في الآخرة لم يستحقه باصطفائه في الدنيا، وإنما استحق لصلاحه فيها، ويجوز أن يكون قوله "في الآخرة" أى في أفعال الآخرة لمن الصالحين، ويجوز إن عنى بقوله "في الدنيا" حال بقائه، وفي "في الآخرة" حال وفاته، ويكون الإشارة بصلاحه إلى الثناء الحسن عليه الذي رغب إلى الله تعالى فيه بقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٢)، ويجوز أنه لما كان الناس ثلاثة أضرب: ظالم، ومقتصد، وسابق عُبر عن السابق بالصالح، فكل سابق إلى طاعة الله ورحمته صالح، وفي الجملة، فإن الصالح هو الخارج عن حد الرذيلة، وليس في الدنيا على الإطلاق بكل نظر صالح، بل عامة ما فيه يمكن أن يوصف بفساد إما في حالة ما أو بنظر ما، فإذا كان الصلاح المطلق في الآخرة، فهذا خصه بها..

قوله - عز وجل :

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية (١٣١) سورة البقرة.

لما سأل الله تعالى بقوله: ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾^(٣)، أجابه بقوله تعالى: "أسلم" أي أخلص سرك فإنه موضع الاطلاع، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: «أخلص دينك يكفك العمل من العمل»^(٤)، وبقوله: «الأعمال بالنيات»^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٦)، وقيل معنى "أسلم" استأسر لي كقولك للأسير: استسلم، وقيل: معناه: اجعل نفسك مسلمة عن أسر الشيطان، حيث قال: ﴿لَا غُورِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٧)، وهذان القولان واحد في

١- سورة النحل : الآية (١٢١).

٢- سورة الشعراء: الآية (٨٤).

٣- سورة البقرة : الآية (١٢٨).

٤- الحديث من معاذ بن جبل أنه قال لرسول الله ﷺ . حين بعثه إلى اليمن : أوصني قال : «أخلص دينك يكفك العمل القليل». أخرجه الحاكم في الرقاق ج: ٤ - ص ٢٠٦ ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يوافقه الذهبي ، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء . ج: ١ - ص ٢٤٤ ، وقال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ ، وإسناده منقطع ، تخريج أحاديث الإحياء ج: ٦ - ص ٢٤٠٦ .

٥- الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في بدء الوحي ج: ١ - ص ٧ ، وأخرجه مسلم في الإمارة حديث رقم «١٩٠٧».

٦- سورة البينة : الآية (٥).

٧- سورة ص : الآيتان : (٨٢ ، ٨٣).

قوله - عز وجل :

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ الآية (١٣٣) - سورة البقرة.

الشهود: حضور بالذات أو بالعناية أو بالمقال، وأحضر الفرس [أصله]^(١) صار ذا حضور. والفرق بين الإحضار والعدو أن الإحضار يقال اعتباراً بالمنتهى، والعدو اعتباراً بالمبدأ المتجاوز لأنه من عداه إذا تجاوزه، وجعل الحضارة بإزاء البداوة في التعارف، والمحتضر لمن حضره الأجل، ولما ذكر إبراهيم وأن دينه الإسلام، وأن يعقوب اقتدى به، ودعا نبيه إليه، وقادهم على ذلك وأخذ اعترافهم بين أن مع وصيته لأولاده كان على جملة اعترافه معهم ولم يعن بقوله: (ما تعبدون من بعدي) العبادة المشروعة فقط، وإنما عنى جميع الأعمال، وكأنه دعاهم أن لا يتحروا في أعمالهم غير وجه الله - عز وجل - ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الأصنام، وإنما خاف أن تشغلهم دنياهم، ولهذا قيل: "ما قطعك عن الله فهو طاغوت"، ولهذا قال: ﴿وَأَجْتَنِبْهُ وَيَتَىٰ أَنْ تُعْبَدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٢)، أي نخدم ما دون الله، وهذا المعنى تحراه الشاعر بالعبادة:

فَتَىٰ مَلِكُ اللَّذَاتِ أَنْ تَعْتَبِنَهُ وَمَا كُلُّ ذِي مَلِكٍ لَهْنٌ بِمَالِكٍ^(٣).

فإن قيل: لما قال: (نعبد إلهك وإله آبائك) وتكرير اللفظ يقتضي دارين، فالجواب عن ذلك من وجهين، أحدهما من حيث اللفظ، وهو أن المضاف إلى المضممر متى عطف على المضاف إليه لا بد من إعادة المضممر إذ كان المضممر المحرور لا يصح العطف عليه، والثاني من حيث المعنى، وهو أن المعبود لما لم يكن سبيل إلى الوصول إليه إلا بالنظر، فكان لكل واحد نظر، بينوا أن معبودنا هو الواحد الذي أثبتته، وأثبتته أبأوك، ثم بين بقوله: (ونحن له) أنه واحد، وقد استدل بالآية من منع من مقاسمة الجد

١ - ساقطة من (١ - ص).

٢ - سورة إبراهيم : الآية (٣٥).

٣ - البيت لأبي العتاهية ذكره محمد بن أيمن بدون نسبة في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد ج: ٤ - ص ١٧٢ ونصه :

فَتَىٰ تَرَكَ اللَّذَاتِ أَنْ يَعْتَبِنَهُ وَمَا كُلُّ ذِي لَبٍّ لَهْنٌ بِتَارِكِ

بالأخوة، وأسقط الأخوة مع الجد كما يسقطون مع الأب، واستدل بها أيضاً في أن العم يجري مجرى الأب في الولاية على مال الصغيرة وتزويجها، وفي الجملة أن تسميتها بالأب ليس بمنكر، بل قد يسمى [كل]^(١) كبير من الأجانب أباً على أن الأعمام والأجداد إذا كانوا مع الأب فتسميتهم بالأباء أقرب، كتسمية الشمس مع القمر قمرين، وتسمية آل المهلب معه مهالبة..

قوله - عز وجل :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

الآية (١٣٤) سورة البقرة.

الأمة في الأصل المقصود كالعمدة والعدة في كونهما معموداً ومعداً، وسمي الجماعة أمة من حيث تأمها الفرق، وقيل للجن أمة لكونه متضمناً لأمة ما وسمى الدين أمة لكون الجماعة عليه، وقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾^(٢) أي جمع في نفسه من الفضيلة ما لا يجتمع إلا في أمة، وبهذا المعنى ألم الشاعر في قوله:

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يُجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(٣)

والكسب: اجتلاب النفع بالعمل، وإذا قيل في المضرة، فعلى طريق التشبيه، ولما بين الحجة عليهم وإنهم لم يخالفوا في الاقتداء بإبراهيم بين من بعد أن أعمالهم وأعمالكم متباينة لأيثاب ولا يعاقب أحد بما كان من الآخر كقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(٤)، وليس معنى بقوله: ﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ السؤال المجرد، فقد أخبر أنه يقول لعيسى بن مريم ﴿ أَلَمْ تَكُنْ لِلنَّاسِ النُّذُرَ ﴾^(٥)، إنما يعني المؤاخظة بها.

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة النحل : الآية (١٢٠).

٣ - هذا البيت لأبي نواس وقاله يمدح الفضل بن الربيع مخاطباً الخليفة فقال:

أنت على بابك من قدرة فلست مثل الفضل بالواحد

أوحده الله فعلاً مثله لطالب رفق ولا ناشد

ديوان أبي نواس ج: ١ - ص ٣٤٩ ، دلائل الإعجاز - ص ١٥٢ - مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد ج: ٥ - ص ٣٠٦ - البحر المحيط

ج: ٥ - ص ٥٤٧ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج: ٧ - ص ٣٠١ .

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٦٤) ، سورة الإسراء: الآية (١٥) ، سورة فاطر : الآية (١٨) ، سورة الزمر : الآية (٧).

٥ - سورة المائدة : الآية (١١٦).

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالُوا كُتِرُوا هُدًى أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

الآية (١٣٥) - سورة البقرة.

يعني أن اليهود قالوا: كونوا يهوداً تهتدوا، وقال النصارى مثل ذلك، فأنزل الله تعالى على نبيه: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي تتبع ملته المجمع على كونها هدى، وبين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أن كلتي الطائفتين قد أشركت، وأن إبراهيم كان حنيفاً، وكان يقال في الجاهلية ولن كان على دين إبراهيم حنيفاً عليهم عن طريقتهن إلى طريقة غيرها، ثم سُمي من اختتن أو حج البيت [حنيفاً]^(١) لمن كان ذلك من سنته.

قوله - عز وجل :

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

الآية (١٣٦) - سورة البقرة.

السبط ولد الولد، وأصله من سبط أي امتد، كأنه امتداد للفروع، ومنه سبط الكفين، والسباط البناء الممتد بين الدارين، والسبابة ما مدُّ من الكناسة، وما امتد من الشعر، وسباط الحمى اعتباراً بتمدد المحوم وتمطيه، إن قيل: كيف ابتدأ بما أنزل إلينا مع كونه متأخراً عن كل ما أنزل الله، وقال: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ ولم ينزل إلى إسماعيل وإسحق كتاب، ولم قال: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ فخصهما بالإيتاء دون الإنزال، وذكر النبيين، وقد تقدم ذكر بعضهم. قيل: أما الابتداء بما أنزل إلينا، فالأنه أول بالإضافة إلينا، فالناس بعد مجيء محمد ﷺ، مدعوون إلى الإيمان بما أنزل عليه أولاً جملة وتفصيلاً، ولا يجب الإيمان بما أنزل من قبل إلا على سبيل الجملة دون التفصيل، وأما المنزل إلى إسماعيل ومن ذكر معه، فهو المنزل على إبراهيم، إذ هم داخلون تحت

شريعته، وذلك كقولك: ما أنزل على محمد، ﷺ والمسلمين، وأما قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ فهو على الاستئناف، وقوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّنَ﴾ معطوف عليه، وقوله: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ خبره، فكأنه لما اختلف فيما أنزل عليهما، وادعى بعض أتباعهما عليهما ما لم ينزل إليهما بين تعالى أن ما أوتيا أي ما خصّ به لا ما ادعى عليهما، وما أوتي النبيون جملة المذكورين وغير المذكورين من ربهم، أي منزل من ربهم، ثم قال: ﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾، أي لا يكون بمنزلة اليهود الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض..

إن قيل: لم قال: بين أحد منهم، ولفظ أحد وإن كان قد يعمم به في النفي فهو متناول للواحد، ولو قال بينهم لكان أوجز؟ قيل: لما كان القصد إلى أن نبين أن لا نفرق بين واحد واحد ذكر لفظ أحد فكأنه قال: لا نفرق بين أحد وجماعتهم، أي لا يخرج واحد من حكمهم، فكان لفظ أحد أدل على المعنى المقصود، ثم بين بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ إنا مسلمون له إسلام إبراهيم عليه السلام..

قوله - عز وجل :

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسُكِّنْهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الآية (١٣٧) - سورة البقرة.

الشقاق المنازعة، يقال: شق العصا، أي فارق الجمع، وشاق القوم صار كل نفر في شق، وشاقوا الله أي صاروا في شق غير شق أوليائه، وعلى ذلك: ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾^(١) أي صاروا في حد غير حده..

إن قيل: كيف قال: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به) ولم يقل: بما آمنتم أو (مثل ما آمنتم)، وذلك يقتضي إثبات مثل الله - عز وجل-، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا تقولوا: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به)^(٢) [ويكن قولوا فإن آمنوا بالذي آمنتم به]^(٣) وإن لم يكن هذا السؤال لازماً فما كان [وجهه]^(٤) الإنكار منه؟ قيل إن الباء ههنا ليس للتعدي كما هو في قولك (مررت بزيد)، و(آمنت بالله) وإنما هو للإله، ومعناه أن تحروا بالإيمان بالسبيل الذي تحريتم به، والإشارة بقوله: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ إلى السبيل المذكور^(٥) في قوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾^(٦)، وسبيل الله المتوصل به إليه ثلاث منازل

١- سورة المجادلة : الآيتان (٥ ، ٢٠).

٢- هذه العبارة سقطت من النسخ في (و-ج).

٣- هذه العبارة سقطت من النسخ في (١ -ص).

٤- ساقطة من (و-ج).

٥ - في (١ - ص) المذكورة.

٦ - سورة يوسف : الآية (١٠٨).

على القول المجمل مرتب بعضها على بعض الأول: معرفة الأحكام الظاهرة والعمل بها، والثاني: معرفة علم الزهاد من عيوب النفس وقمع الشهوات وأخذ النفس به، والثالث: علم المعاملات، وهي معرفة الخواطر ومراعاتها، وذلك السبيل إليه، ولا سبيل إلى تحصيل الإيمان الحقيقي الذي وصف به المؤمنين في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١) إلا بها، وهذه المنازل الثلاث هي المعنية بقوله -عليه السلام- «سائل العلماء، وخالط الحكماء، وجالس الكبراء»^(٢)، فبين تعالى أن من أمّن سالكاً هذا السبيل، فقد اهتدى، ومن جنح فقد شاق، ثم قال ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تسكيناً للمؤمنين وأمناً من معرفتهم..

قوله - عز وجل :

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ الآية (١٣٨) - سورة البقرة.

الصبغة إشارة من الله -عز وجل- إلى ما أوجده فينا^(٣) من بداية العقول التي ميزنا بها من البهائم، رشحنا به لمعرفته ومعرفة حسن العدالة وطلب الحق، وهو المشار إليه بالفطرة في قوله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي قَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٤) الآية..

والمعنى بقوله -عليه السلام- «كل مولود يولد على الفطرة»^(٥) الخير، وتسمية ذلك بالصبغة من حيث أن قوى الإنسان التي ركب عليها إذا اعتبرت بداية يجري مجرى الصبغة التي هي زينة للمصبوغ، ولما كانت اليهود والنصارى إذالقنوا أولادهم اليهودية والنصرانية يقولون قد صبغناه بين تعالى أن الإيمان بمثل ما آمنتم به هو صبغة الله وفطرته التي ركزها في الخلق، ولا أحد أحسن

١ - سورة الأنفال : الآية (٢).

٢ - الحديث أورده أحمد ضياء الدين في كتابه راموز الأحاديث من رواية الحكيم عن أبي جحيفة ونصه: (سائل العلماء، وخالط الحكماء، وجالس الكبراء) راموز الأحاديث - ص ٢٩٥.

٣ - في (١ - ص) في الناس.

٤ - سورة الروم : الآية (٣٠).

٥ - رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب القدر - حديث رقم «٢٦٥٨» وأخرجه البخاري في صحيحه ج: ٢ - ص ١٢٥ ، وأورده أبو داود في سننه ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج: ٦ - ص ٢٩٨ ، ج: ٥ - ص ١٥٥ وقال العراقي ، متفق عليه من حديث أبي هريرة تخريج أحاديث العراقي ص ١٥٤٠ ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة. ج: ٢ - ص ٢٣٣ ، ولفظ مقارب له في كل من ص ٢٧٥ ، ص ٢٨٢ ، ص ٣٩٣ ، ص ٤١٠ ، ص ٤٨١ ، ج: ٣ ص ٣٥٣ وأخرجه الإمام مالك في الموطأ - كتاب الجنائز - ج: ١ - ص ٢٤١ .

صبغة منه، وقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ تعريض بهم أي لا نشرك [به]^(١) كشرركم، وقول الحسن وقتادة ومجاهد أن الصبغة هي الدين، وقول غيرهم إنها الشريعة، وقول من قال هو الختان إشارة إلى مغزى واحد، وقد قيل: صبغة الله على مراتب أولها ما ركب فينا من الهداية وهي الفطرة والثانية: الهداية بالتوفيق، والثالثة: الهداية ببعثة الرسل، والرابعة: الهداية في الترقى توليه إلى الدرجة العليا والسعادة القصوى..

قوله - عز وجل :

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾

الآية (١٣٩) - سورة البقرة.

المحاجة: المقاومة في إظهار الحجة المبينة للحجة أي المقصد وقد ألزمهم بهذه الآية الحجة المذكورة في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾^(٢)، ولما كانت الشرائع مبنية بالقول المجمل على ثلاثة أشياء.. الإقرار بالباري-عز وجل-، والعمل له والإخلاص في ذلك قال.. قل لهم إنا قد تشاركنا في الإقرار بالله -عز وجل- وفي العمل له ونحن قد حصل لنا الإخلاص [في ذلك]^(٣) من دونكم، فإن قيل: ومن أين؟

إن الإخلاص حصل للمسلمين دونهم، وهل هذا إلا مجرد الدعوى قيل قد أحالهم على التأمل، وذلك ظاهر بالاستقراء والتدبر، فإن الأصول الاعتقادية هي ما ذكر الله -عز وجل-، [في قوله] ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤) وإذا تأمل حالة الإقرار بالله تعالى^(٥) فقد أخلص المسلمون فيما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، وما ادعوه على جبريل أنه عدو لهم وما ادعاه اليهود على إبراهيم، حيث زعموا أنه لم يكن نبياً، وإنما كان رجلاً صالحاً، ونسبوا إليه لوطاً من الفجور ببنيه في حال سكره، وادعى النصارى في نبوة عيسى - عليه السلام - وإنكارهم بعض ما في التوراه والإنجيل، وما ذكروه من البعث حيث قالوا ﴿لَنْ نَمُسَّ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾^(٦)، وادعت النصارى أنه لا بعث، وإنما ينال الثواب والعقاب الأرواح، فإذا قول المسلمين (ونحن له

مخلصون) ظاهر...

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة الفتح الآية : (٢٦).

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة النساء : الآية (١٣٦).

٥ - سقطت من الناسخ في (١ - ص).

٦ - سورة البقرة : الآية (٨٠).

قوله - عز وجل :

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ
أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدِهِ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الآية (١٤٠) سورة البقرة.

قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ معطوف على قوله (أتحاجوننا) - أم تدعون أن الأنبياء كانوا على دينكم تنبيهاً أنه من المحال أن يكون المتقدم مقتدياً بالمتأخر ومستنئاً بسنته، ومن قرأ بالياء فوجه العدول فيه من الخطاب إلى الإخبار استجهاً لهم بما كان منهم من هذه الدعوى كما يفعل العالم من الإعراض عمن يخاطبه بعد ارتكابه جهالة شنيعة إلى غيره، واحتج عليهم بمقدمتين فقال: أنتم أعلم أم الله أي قد بينت أن الله أعلم منكم، وبينت أنه ليس بغافل عما تعملون وقد كتتم الشهادة عنه، ومن كتتم من الله شهادة عنده مع كون الله بهذا الوصف فهو أظلم الخلاق، فهذا تبكيت لهم في كتمانهم أحوال النبي -عليه السلام- وسائر الأنبياء واحتج عليهم بما لا انفصال لهم عنه، وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على هذا متعلق بقوله: ﴿كَتَمَ﴾ وقيل: إنه متعلق بقوله شهادة، أي من كتتم عن الناس شهادة مصدرها من الله -عز وجل، وقيل: في الآية قول آخر، وهو أن قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بقوله "أظلم"، وقوله ﴿مِمَّنْ كَتَمَ﴾ من جملة الذين كتتموا، وتقدير هذا التأويل قد ثبت أن الله -عز وجل- أعلم منكم، وقد حكم أن الشهادة كتمانها عصيان بقوله: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ﴾^(١)، فكأنه قيل: من أظلم من الله من الذين كتتموا الشهادة إن كان الأمر على ما ذكرتم ولم يخبركم، وهذا كقولك: من أظلم ممن يجور على الفقير من السلطان أي لا أحد أظلم منه إذا ظلمه، وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ على سبيل التهديد لهم.

قوله - عز وجل :

﴿بَلِّغْ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

الآية (١٤١) - سورة البقرة.

أعادت هذه الآية من أجل أن العادة مستحكمه في الناس صالحهم وطالحهم أن يفتخروا بأبائهم ويقتدوا بهم في متحرياتهم سيما في أمور دينهم، ولهذا حكى عن الكفار قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(١)، فأكد الله تعالى القول في إنزالهم عن هذه الطريقة، وذكر في أثر ما حكى من وصية إبراهيم ويعقوب ببنيه بذلك تنبيهاً أن الأمر سواء على ما قلت أو لم يكن، فليس لكم ثواب فعلهم ولا عليكم عقابه، وفي الثاني لما ذكر ادعاءهم اليهودية والنصرانية لأبائهم أعاد أيضاً تأكيداً عليهم تنبيهاً على نحو ما قال: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزِمَتُهُ طَائِفَةٌ فِي عُنُقِهِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(٤)، ولما جرت به عادتهم، وتقررت^(٥) به معرفتهم كل شاة تناط برجليها.

قوله - عز وجل :

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الْبَيْتِ كَانُوا عَلَىٰ قُلُوبٍ مَّشْرِقِ الْمَغْرِبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الآية (١٤٢) سورة البقرة.

السفيه كل معتقد باطلاً يسرع إلى إظهار معتقده، ولا يكون له ثبات، والقبلة وإن كانت في الأصل اسماً للحال التي عليها الإنسان من الاستقبال كالجلسة والقعدة، فقد صار في التعارف للمكان المتوجه نحوه للصلاة^(٦)، وهؤلاء السفهاء المنكرون لتغيير القبلة اليهود على ما روى عن ابن

١ - سورة الزخرف : الآية (٢٢).

٢ - سورة الإسراء: الآية (١٢).

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٨٦).

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٦٤)، وسورة الإسراء: الآية (١٥)، وسورة فاطر : الآية (١٨)، وسورة الزمر : الآية (٧).

٥ - في (أ - ص) وتفردت .

٦ - في (د - ج) نحو الصلاة

عباس، ومشركو العرب عن الحسن، والمنافقون عن السدي، ولا تنافي بين أقوالهم، فكل قد عابوا وكل سفهاء، وقد روي أن بعضهم قال: لا يثبت محمد على دين، وبعضاً قال: "رجع إلى قبلة قومه، وسيرجع إلى دينهم، وروي أن قوماً من اليهود أتوه وقالوا: ما ولاك عن قبلتنا؟" (١) ارجع إليها نتبعك فأنزل الله تعالى ذلك تبيناً (٢) أن الأمكنة متساوية عند الله، فله المشرق والمغرب، وهو الهادي إلى الطريق المستقيم فأى وجه يتوجه إليه، فهو تعالى موجود كما قال: ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَعَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٣)، وكقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ (٤) في اعتبار (٥) به والارتسام لأوامره لا بالأمكنة والجهات المختلفة.

قوله - عز وجل :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الآية (١٤٣) - سورة البقرة.

الوسط في الأصل اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدورة، ومن الطرفين في المطول كالنقطة من الدائرة ولسان الميزان من العمود، وجعل عبارة عن العدل، وكذلك السواء والنصف، وشبه به كل ما وقع بين طرفين إفراط وتفريط كالجود بين السرف والبخل والشجاعة

١ - أورد السيوطي ما أخرجه ابن إسحاق في سبب نزول هذه الآية "سيقول السفهاء من الناس" قال : حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق عن البراد قال : كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء - الآية فقال رجال من المسلمين ودنا لو علمنا علم من مات منا قيل أن نصرف إلى القبلة وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس، فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم، وقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله "سيقول السفهاء من الناس" - إلى آخر الآية ، أسباب النزول - للسيوطي - ص ١٨ .

ويؤيد هذا ما أورده ابن كثير في تفسير الآية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما هاجر إلى المدينة ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضعة عشر شهراً، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله - عز وجل - (فولوا وجوهكم شطره) أى نحوه، فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟) فأنزل الله (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم). تفسير القرآن العظيم - ج - ١ - ص ١٨٩ .

٢ - في (١-ص) مينا .

٣ - سورة البقرة : الآية (١١٥).

٤ - سورة الزخرف : الآية (٨٤).

٥ - سقطت من الناسخ في (١-ص) .

بين التهور والجبن، ثم جعل عبارة عن المختار من كل شيء حتى قيل: فلان من أوسطهم نسباً، وكما جعلهم وسطاً جعلهم خيراً في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١) والعقب مؤخر القدم، فتصور مكانه من الحيوان تارة، فاعتبرت في قولهم: يعقبه واعتقبه نحو: استدبره، وقفاه، وعاقب الليل النهار، وقيل المعقبات للملائكة التي تتعاقب في الليل والنهار، والعقبة الجبل اعتباراً بالصاعد الذي يميل [نحو عقبة]^(٢) في ممره، ولما كان يؤخذ العقب من بعض الحيوانات فيشد به، قالوا: عقبته: أي شددته بالعقب نحو دُسته وانقلب على عقبيه إذا رجع عائداً نحو: ارتدا على آثارهما، ورجع عوده على بدئه.. إن قيل: كيف جعلهم وسطاً؟ الخلق أم لخلق خصهم به؟ أم لعلم ركزه فيهم؟ أم لشرع شرعه لهم؟

قيل: قد خصهم بكل ذلك، والظاهر من ذلك هي الشريعة التي إذا اعتبرت بسائر الشرائع وجد لها حد الاعتدال، وهو أن بني إسرائيل لما عتوا كما حكى الله عنهم في غير موضع شدد عليهم أشياء صارت عليهم إصراً وأغلاً، نحو: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْأَنْعَامِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾^(٣)، ولذلك أمرنا تعالى فيما يدعونه أن نقول ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾^(٤)، ثم خفف عنهم على لسان عيسى بعض التخفيف، ولهذا حكى عنهم: ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٥)، وتم ذلك بمحمد ﷺ فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٦) إلى قوله: ﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ﴾، وقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٧)، وقال عليه السلام «بعثت بالحنيفية السهلة»^(٨)، فصارت شريعته متوسطة بين الإفراط الذي هو الإصر والأغلل، وبين التفريط الذي هو

١ - سورة آل عمران : الآية (١١٠).

٢ - ساقطة من (و - ج) .

٣ - سورة الأنعام : الآية (١٤٦).

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٨٦).

٥ - سورة آل عمران : الآية (٥٠).

٦ - سورة الأعراف : الآية (١٥٧).

٧ - سورة المائدة : الآية (٦).

٨ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٥ - ص ٢٦٦ من حديث أبي أمامة ، كما أخرجه السيوطي بلفظه في الدر المنثور

ج: ١ - ص ١٤٠ ، ٢٤٩ ، وأخرجه الهندي في كنز العمال ج: ٤ - حديث رقم ٩٠٠ وحديث رقم : ٣٢٠٩٥

الإضاعة والإهمال، وعلى ذلك قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١)، ولكون هذه الشريعة وسطاً
سمى مقتضاها كلمة (سواء) أي عدلاً باتفاق العقول، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
سَوَاءٍ﴾^(٢) الآية..

إن قيل: هل ذلك للأمة كلهم أم للبعض دون البعض؟ قيل: الخطاب لأصحاب النبي ﷺ خاصةً
على وجه، وهو خطاب للكافة عامة على وجه، وذلك أن أصحابه في الحقيقة صاروا موجودين خير
الناس، وسائر أمتهم ممكنون أن يصيروا خياراً وذلك بقبولهم الفيض الذي أباحه الله لهم بعقولهم
ولسان نبيهم وتدرجهم إلى بلوغ أقصاهم...، إن قيل: على أي وجه شهادة النبي ﷺ على الأمة وشهادة
الأمة على الناس؟ قيل: الشاهد هو العالم بالشئ المخبر عنه مبيناً^(٣)، حكمه، وأعظم شاهد من ثبتت
شهادته بحجة، ولما خص الله تعالى الإنسان بالعقل والتمييز بين الخير والشر وكمله ببعثة الأنبياء،
وخص هذه الأمة بآتم كتاب، كما وصفه بقوله: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤) وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥)، فأفادناه -عليه السلام- وبينه لنا صار حجةً وشاهداً أن نقول^(٦)
ما جاعنا من بشير ولا نذير، وجعل أمتهم المتخصصة بمعرفته شهوداً على سائر الناس..

إن قيل : هل أمتهم شهود كلهم ؟ أم بعضهم؟

قيل: كلهم ممكنون من أن يكونوا شهداء وذلك بشريطة أن يزكو أنفسهم بالعلم والعمل
الصالح، فمن لم يزك نفسه لم يكن شاهداً مقبولاً، ولذلك قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٧)، وعلى هذا
قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٨)، فالقيام بالقسط

١ - سورة آل عمران : الآية (١١٠).

٢ - سورة آل عمران الآية : (٦٤).

٣ - في (١ - ص) مثبتاً.

٤ - سورة الأنعام : الآية (٣٨).

٥ - سورة النحل : الآية (٨٩).

٦ - أن يقولوا، وهذا اقتباس من الآية (١٩) سورة المائدة من قوله تعالى « أن تقولوا ما جاعنا من بشير ولا نذير»

٧ - سورة الشمس : الآية (٩).

٨ - سورة النساء : الآية (١٣٥).

مراعاة العدالة، وهي بالقول المجمل ثلاث:

عدالة بين الإنسان ونفسه، وعدالة بينه وبين الناس، وعدالة بينه وبين الله - عز وجل -، فمن رعى ذلك فقد صار عدلاً شاهداً لله - عز وجل -.

إن قيل: فهل هم شهود على بعض الأمم^(١) أم على الناس كافة؟ قيل بل كل شاهد على نفسه وعلى أمته وعلى الناس كافة فإن من عرف حكمة الله تعالى وجوده وعدله ورأفته، علم أن لم يفعل^(٢) تعالى عنه ولا عن أحد من الناس، ولا يبخل عليهم ولا يظلمهم، ومن علم ذلك فهو شاهد لله على من في زمانه وعلى من قبله ومن بعده، وعلى هذا الوجه ما روي في الخبر "أن هذه الأمة تشهد للأنبياء على الأمم"^(٣)، إن قيل: ما المشبه وما المشبه به في قوله كذلك قيل: ولما قال: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) بين أن نعمته بهذا التشريف كنعمته بالهداية إلى صراط مستقيم.

قوله - عز وجل : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ الآية (١٤٣) - سورة البقرة .

يعني ما أمرناك بالتوجه إلى بيت المقدس إلا لنعلم، أي لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، وقيل معناه: إلا لنعلم حينئذ من ينقاد لك من العرب في اتباعك إلى الصلاة إلى بيت المقدس، وقيل معناه: ما غيرنا حكم القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم، والقبلة على هذا كله بيت المقدس، وقيل معناه: ما جعلنا هذه القبلة التي أنت عليها أي أمرناك بها يعني الكعبة، وإنما استعمل فيه "كان" إشارة إلى أن حكم الله تعالى بذلك قد تقدم في سابق علمه، وقيل: عنى الكعبة حتى توجه إليها قبل

١ - في (و-ج) الأمة وهو تصحيف.

٢ - في (أ-ص) يفعل وهو خطأ من الناسخ.

٣ - أورد القرطبي ما روي عن عباد بن الصامت قال : سمعت الله ﷻ يقول : أعطيت أمتي ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء - كان الله إذا بعث نبياً قال له : أدعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة - ادعوني استجب لكم، وكان الله إذا بعث نبياً قال له : ما جعل عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة - وما جعل عليكم في الدين من حرج، وكان الله إذا بعث النبي جعله شهيداً على قومه، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس أخرجه الترمذي في نوادر الأصول، كما أورد القرطبي ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : حين مرت به جنازة : وجبت - وجبت - وجبت، فأثنى عليها خيراً .. إلخ الحديث حيث قال من أثنتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنتم عليه شراً وجبت له النار - أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض.

تفسير القرطبي ج : ١ - ص : ٦٤٥ .

٤ - سورة يونس : الآية (٢٥).

وروده المدينة، وهذا أظهر، فالآية التي بعدها هي النسخة لما استفتح بقوله: (قد نرى)..

إن قيل : ما وجه قوله: (إلا لنعلم)، وذلك يقتضي استفادة علم وقد علم أن الله تعالى لم يزل عالماً بما كان، وبما يكون؟ قيل إن ذلك من الألفاظ التي لولا السمع لما تجاسرنا على إطلاقها عليه تعالى، ومجاز ذلك على أوجه..

الأول : أن اللام في مثل ذلك تقتضي شيئين: حدوث الفعل في نفسه، وحدث العلم به، ولما كان علم الله لم يزل ولا يزال صار اللام فيه مقتضياً حدوث الفعل لا حدوث العلم.

والثاني: أن العلم يتعلق بالشئ على ما هو به، والله تعالى علمهم قبل أن يتبعوه غير تابعين، وبعد أن تبعوه علمهم تابعين، وهذا الجواب كالأول في الحقيقة، لأن التغيير داخل في المعلوم لا في العلم.

والثالث : معناه لنعلم حزينا، فنسب ذلك إلى نفسه على علاقته في نسبه، أفعال أوليائه إلى نفسه، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَلَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١)، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ يَتَوَلَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾^(٣)، وإنما علمه بملائكته.^(٤)

والرابع: معناه لنجازي، وذلك متعارف نحو: قولك: سأعلم حسن بلأئك، أي سأجازيك على حسب مقتضى علمي - قيل : فعبر عن الجزاء بالعلم لما كان هو سببه.

والخامس : أن عادة الحكيم^(٥) إذا أفاد غيره علماً أن يقول تعالى "حتى يعلم كذا"، وإنما يريد إعلام المخاطب لكي يحل نفسه محل المشارك للمتعلم على سبيل اللطف..

إن قيل: كيف يتصور حقيقة انقلاب الإنسان على عقبيه؟

١ - سورة الزمر : الآية (٤٢).

٢ - سورة السجدة : الآية (١١).

٣ - سورة النساء : الآية (١١٣).

٤ - في (و - ج) ملائكته.

٥ - في (١ - ص) الحليم.

قيل: يتصور ذلك على وجهين: أحدهما: اعتبار لحال الإنسان ومعارفه، وهو أن الإنسان شرع في الفضيلة واكتساب المعرفة درجةً درجةً إلى حين الكمال، فإن حكمه في بطن أمه حكم النبات، ثم يصير في حكم الحيوان، ثم يصير بعد الولادة في حيز الإنسان باكتساب المعارف أولاً فأولاً، ثم لا يزال يترقى^(١) بالعلم والعمل حتى ربما يصير قريباً من الملائكة علماً وفضلاً وعملاً، ومتى أخل بمرتبته، وصل إليها، فرجع عنها فقد انقلب^(٢) على عقبيه، والوجه الثاني: أن يعتبر بالآديان وفضائلها، وذلك أن الله تعالى أنشأ الآديان، فما زال يتممها شيئاً فشيئاً إلى أن كملها بالنبى ﷺ كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٣)، وكما قال النبى عليه السلام في الخبر الذي قال فيه: (.. فكننت في موضع اللبنة)^(٤)، فمن أنعم عليه بأن أوجده بعد بعثته (عليه السلام)^(٥) فرغب عن شريعته مائلاً إلى غيرها من الشرائع المنسوخة قد انقلب على عقبيه، وبين بقوله: ﴿وَأَنَّ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، أن الانتقال عن المألوف من القبلة مستصعب على الطبع، والإنسان أُلوف لما يتعوده سيما الشريعة، فإن ذلك إنما لا ينقل عليه من أنعم الله عليه وهده وعرف حكمته، وعلم أنه تعالى يأمر عباده بما هو أصلح لهم كأهل "منا" الذين لما أتاهم الخبر بنسخ القبلة، وكانوا في الصلاة حولوا وجوههم نحو الكعبة من غير أن يستبينوا، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ هو تسكين لمن صلى إلى بيت المقدس، من المسلمين ومن أهل الكتاب قبل النسخ، وبين أنهم يثابون على ذلك، فقد روي أن قوماً قالوا: كيف بمن مات من إخواننا وقد وصلوا إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى، ذلك، فإن قيل ولم قال: ﴿لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ولم يقل صلواتكم؟

١- ساقطة من (و-ج).

٢- في (أ-ص) لقدرج على عقبيه.

٣- سورة المائدة: الآية (٢).

٤- هذا جزء من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ونصه: «إنما مثلي ومثل الأنبياء قبلي كرجل بنى داراً ما فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة، فكننت موضع اللبنة». رواه الترمذي في باب ما جاء في مثل النبى - صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله - حديث رقم: ٢٨٦٢، وفي الباب عن أبي بن كعب وأبي هريرة، وقال فيه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ورواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم: «فضلت على الأنبياء بست.. إلى أن قال: مثلي ومثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - كمثل رجل بنى قصرأ، فأكمل بناءه، وأحسن بنيانه إلا موضع لبنة، فنظر الناس إلى القصر فقالوا: ما أحسن بنيان هذا القصر لو تمت هذه اللبنة ألا فكننت أنا اللبنة - ألا فكننت أنا اللبنة المسند - ج: ٢، ص: ٤١٢، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب - ج: ٤، ص: ١٦٢ ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل - ج: ٥، ص: ١٧٩٠ حديث رقم: ٢٢٨٦.

٥- ساقطة من (أ-ص).

قيل: عدل إلى لفظ الإيمان الذي هو عام في الصلاة وغيرها ليفيدهم أنه لم يضع لهم شئ مما عملوا به ثم نسخ عنهم، فإن قيل: ولم لم يقل إيمانهم؟ قيل: ذكر بلفظ الخطاب ليتناول الماضين والباقيين تغليباً لحكم المخاطب على الغائب في اللفظ، ثم بين بقوله تعالى: (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) أنه لا يضيع إحسانهم وهو رؤوف بهم، فإن رأفته بالناس وإضاعة إحسانهم متنافيان لا يجتمعان.

قوله عز وجل :

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتَرْبِنُكَ نَبَلَةً تُرَضَّاها فَرَلْ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَرُكُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ الآية: (١٤٤) - سورة البقرة .

قطر وشطر وشطن ألفاظ متقاربة المعاني تقارب ألفاظها، فقطر معناه انفصل عن قطره أي جانبه ومنه القطرة القليل المنفصل من المائع، وشطر: انفصل وتباعد، ودار شطور منفصلة عن الدور، وشطون بعيدة، وقد يستعمل الشطور موضع الشطون، لكن الشطون لما هو أبعد، ورجل شاطر أي منفصل عن الجماعة بالخلاعة، وشاطرته: أي أخذت شطراً وتركته له شطراً، وشاة شطور لها ضرع واحد وأحد ضرعيها أكبر كأنه لا يعتد بالآخر، وتوجهت شطره أي نحوه اعتباراً بالشطر المقابل من شطريه، وتقلب الوجه أبلغ من تقلب العين، على أن الوجه يراد به التوجه، كقولك: "وجهتي إلى فلان" إن قيل: هل كان يستخط- عليه السلام- توجهه إلى بيت المقدس حتى قيل ﴿فَلْتَرْبِنُكَ نَبَلَةً تُرَضَّاها﴾؟

قيل لم يقصد بذلك أنك كنت ساخطاً، وإنما كان -عليه السلام- يحركه السر، ويعلم بما يلقي في روعه أن الله تعالى يريد تغييراً في القبلة، وكان يتشوفه ويحثه، وقيل معنى (ترضاها) أي يرضاها، لكن يبين بهذا القول أن مرادك لم يخالف مرادي.

وقول مجاهد وابن زيد، أحب النبي عليه السلام التوجه إلى الكعبة مخالفة لليهود وقول ابن عباس "إنه أحبها اقتداءً بإبراهيم عليه السلام" وقول الزجاج إنه أحبها لاستدعاء العرب بها إلى الإسلام فكلها صحيحة إذ لا منافاة بين هذه الإرادات، وهذه منزلة يشير إليها أولو الحقائق ويذكرون

أنها فوق التوكل؛ لأن قاضية المتوكل الاستسلام لما يجري عليه من القضاء كأعمى يقوده بصير فهو به، وهذه المنزلة هي أن يحرك الحق سره بما يريده فعله، وربما يكون ذلك بوحى من خارج لقوله تعالى لإبراهيم أسلم، وربما كان ذلك بإلهام من باطن كما أوحى إلى أم موسى، ومعنى (تقلب وجهك في السماء) أي تطلعك الوحي المنزل، وقيل: إن في ذلك تنبيهاً على حسن أدبه حيثما انتظر ولم يسأل، فالولي الذي حصلت له القربة قد ينقص عن المسألة اتكالاً على ما تيسر له، كما روي عنه علي السلام أنه قال أن الله تعالى يقول:

(مَنْ شَفَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتهُ أَفْضَلُ مِنْ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ) ^(١) .. وعلى ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاءً مِنْ تَعْرُضِكَ الثَّنَاءِ ^(٢)

وبين تعالى بهذه الآية رغبة النبي عليه السلام في التوجه إلى الكعبة وإحائه، وقرن به علم أهل الكتاب بأن ذلك حق من الله - عز وجل -، ونبه بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ على وعيد لهم ووعد المؤمنين في إحائهم وإمتناعهم..

إن قيل: من أين علم أهل الكتاب أن ذلك حق؟

قيل: لما تضمن كتبهم من ذكر النبي - عليه السلام -، وعلمهم أن عبادة الله أن يخص كل رسول من أولى العزم بقبلة غير قبلة من تقدمه أنفاً..

إن قيل: كيف خاطبه أولاً بقوله ﴿لَوْلِي وَجْهَكَ﴾، ثم عم بقوله: ﴿لَوْلُوا وَجُوهَكُمْ﴾، قيل: أما خطابه الخاص أولاً، فتشريعاً له، وإيجاباً لرغبته وإنجازاً لوعده، وأما خطابه العام بعده، فلأنه، كان

١- الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب فضائل القرآن حديث رقم ٢٩٢٦، وقال هذا حديث حسن غريب، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في كتاب الدعوات - باب الدعاء عند الكرب ورواه ابن الجوزي في الموضوعات في باب الاشتغال بالذكر عن الدعاء ج: ٣ ص ٣١٥، وفي ج: ١١- ص ١٤٧، ونسبه الحافظ العراقي في تخريجه للبخاري في التاريخ، والبزار في المسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب. وقال: فيه صفوان بن أبي الصفار ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات، وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة - ج: ١ - ص ٣٤٢، وقال: قال ابن حبان: موضوع، تفرد به صفوان لا يحتج به.

٢- هذا البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو من قصيدة مطلعها:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

وهو في ديوانه - ص ٣٣٤ - جمع وتحقيق: د/ عبد الحفيظ السطلي - ط: ٢ - ص ١٩٧٧ - دمشق.

يجوز أن يعتقد أن هذا أمر قد خُصَّ عليه السلام به كما خُصَّ بقوله: ﴿ثُمَّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، ولأنه لما كان تحويل القبلة أمراً له خطر خصهم بخطاب مفرد ليكون ذلك أبلغ، فمعلوم من عادة السلطان إذا خاطب والياً من قبله بأمر ذي بال يعمه، ورغبته أن يخصه بخطاب مفرد ليكون ذلك أوقع عندهم [وأدعى لهم إلى قبولهم]^(٢)، وليكون لهم في ذلك تشريف، ولأن في الخطاب العام تعليق حكم آخر به، وهو أنه لا فرق بين القريب والبعيد^(٣) في وجوب التوجه (إلى الكعبة)^(٤)، والضمير في قوله ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قيل هو التحويل وقيل: هو التوجه، والقولان في التحقيق واحد.

قوله عز وجل :

﴿وَلَقَدْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية: (١٤٥) - سورة البقرة.

إن قيل: كيف حكم^(٥)، بأنهم لا يتبعون قبلتك وقد آمن منهم فريق - قيل: قال بعضهم: إن هذا حكم على الكل دون الأبعاد، وهذا صحيح بدلالة أنك لو قلت: ما آمنوا، ولكن آمن بعضهم لم يكن منافياً، وقيل عنى به أقوامٌ مخصوصون، وقيل: عنى ما تبعوا قبلتك بقلوبهم، وقوله: (وما أنت بتابع قبلتهم)، أي لا يكون ذلك منك^(٦)، فمحال أن من عرف الله حق معرفته يرتد، وقد قيل: (ما رجع من يرجع^(٧) إلا من الطريق)، أي: "ما أخل بالإيمان إلا من لم يصل إليه حق الوصول" ..

إن قيل: فقد يوجد من يحصل له معرفة ثم يرتد؟ قيل: إن الذي يقدر أنه معرفة، وهو ظن متصور بصورة العلم، فأما أن يحصل العلم الحقيقي ثم يعقبه الارتداد فمحال ولم يعن بهذه المعرفة

١ - سورة المزمل : الآية (٢) .

٢ - ساقطة من (و - ج) .

٣ - فى (١ - ص) القرب والبعد .

٤ - ساقطة من (و - ج) .

٥ - فى (١ - ص) علم .

٦ - فى (و - ج) ميل .

٧ - فى (١ - ص) من رجع .

ما جعله الله تعالى للإنسان بالفطرة، فإن ذلك كشررة تخمد إذا لم تتوقد^(١)، وبين أن بعضهم لا يتبع قبلة البعض، وذلك لارتكابهم الهوى وتأنيتهم عن تأمل الهدى، وحذر نبيه عن اتباع أهوائهم، ونبه أن اتباع الهوى بعد التحقق بالعلم يدخل متحريه في جملة الظلمة، وقد أكثر الله تحذيره من الجنوح إلى الهوى حتى كرر ذلك في عدة مواضع، وقول من قال الخطاب للنبي ﷺ والمعني به الأمة، فلا معنى لتخصصه، فإن الله تعالى يحذر نبيه من اتباع الهوى أكثر مما يحذر غيره المنزلة الرفيعة إلى تحديد الإنذار عليه أحوج حفظاً لمتركته وصيانة لمكانته، وقد قيل: حق المرأة المجلوة أن يكون بعدها أكثر إذا كان القليل من الصدا عليها أظهر..

إن قيل: كيف أجاب فقال: ﴿لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾^(٢)، ولا يقال: إن جئتني ما فعلت، وإنما يقال: لم أفعل؟ قيل: قد قال سيبويه: إن ذلك لما تضمن معنى القسم، فأدخل على أن اللام صار جوابه كجواب القسم، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا﴾^(٣) وقال الأخفش: لما كان إن، ولو متضمنان الشرط حمل "إن"، على "لو" فعلى هذا يصح أن يقال: "إن أتيتني ما أكرمتك"، وعلى قول "سيبويه" لا يصح ما لم يكن مع "إن" اللام نحو لئن.

قوله عز وجل :

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
الآية (١٤٦) - سورة البقرة.

أتيناهم أبلغ من قوله: (أوتوا)، فإن (أوتوا) قد يستعمل فيمن لم يكن له قبول، وأتيناهم أكثر ما جاء فيمن له قبول نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾^(٤)، وعلى ذلك كل ما جاء من نحو هذا فيما يختص بإكرام نحو: ﴿هُدًى وَاجْتِيبَتْ﴾^(٥) وقوله (يعرفونه) أي العلم الذي هو النبوة

١ - في (و - ج) تنفقد .

٢ - سورة البقرة الآية (١٤٥)

٣ - سورة الروم الآية (٥١)

٤ - سورة الأنعام : الآية (٨٩) .

٥ - سورة مريم - الآية : (٥٨).

المتقدم ذكرها في قوله ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(١) وقيل: عن النبي عليه السلام بقوله: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾^(٢) وقيل: يعرفون أن التوجه إلى الكعبة حق واختلاف أقاويلهم باختلاف نظراتهم إلى الألفاظ من حيث المعنى بأن معرفة الرسول عليه السلام ومعرفة صدق قوله وصحة ما يأمر به من أمر القبلية متلازمة، وإنما قال: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ ولم يقل أنفسهم، لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء برهته من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن، ما ليس^(٣) في ذكر النفس، فإن الإنسان عصارته ذاته ونسخة صورته، وإنما قال: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ ولم يقل يكتُمونه، لأن في كتمان أمره كتمان الحق جملة، وزاد في ذمهم بقوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فقد قيل: ليس المرتكب ذنباً عن جهلٍ كمن يرتكبه عن علم..

قوله عز وجل :

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ الآية : (١٤٧) - سورة البقرة.

الامتراء من (مريت الناقة) إذا مسحت ضرعها، وبه شبه مري الريح السحاب الممطر، ومري الفارس فرسه للعدو، واستعير الممتري للمتردد، وفي الحكم، ولهذا استعمل فيه المتحير، وهو من حار إذا رجع، وبين أن كل حق هو من الله تعالى، إما بإبداعه وإيجاده وصنعه، وإما بأمره وإما توقيقه، وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ليس بنهي عن الشك^(٤)، إذ كان ذلك ليس بقصد من الشاك، بل هو حث على اكتساب المعارف المزيلة للشك واستعمالها، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥)

١ - سورة البقرة - الآية : (١٤٥).

٢ - سورة الأعراف - الآية : (١٥٧).

٣ - في (و - ج) ما في ذكر النفس.

٤ - في (و - ج) الشد، وهو تصحيف.

٥ - سورة هود : الآية (٤٦) .

قوله عز وجل :

﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةً هُوَ مُوَكَّلٌ بِهَا فَاستَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية : (١٤٨) - سورة البقرة.

أي: لكل أمة، وقيل لكل نبي وجهته، وقيل قبله، وقيل: شريعة، وذلك في المعنى واحد، وهو ضمير لله- عز وجل- أي الله موليا إياه، وقيل: ضمير للكل: أي كل موالى جهته، وقرئ: (هو مولاها)^(١)، فيكون هو ضمير ضمير الكل ولا يحتاج إلى تقدير ضمير آخر، وقيل: معنى: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةً﴾ أي للناس كلهم الآن وجهته، وهي الإسلام تنبيهاً أن الأديان به نسخت، نحو: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٣) وفي الآية قول آخر، وهو أن الله تعالى قيض الناس في أمور دنياهم وأخراهم لأحوال متفاوتة، وجعل بعضهم أعوان بعض فيها، فواحد يزرع، وآخر يطحن، وآخر يخبز، وكذلك في أمور الدين، واحد يجمع الحديث، وواحد يطلب الفقه، والثالث يطلب الأصول، وهم في الظاهر مختارون، وفي الباطن مسخرون، وإليه أشار النبي بقوله: «كُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(٤) وجعل للكل سبيلاً للوصول إليه تعالى، وإذا راعى ما هو بصلاة وأدى الأمانة فيه، ولهذا سئل بعض الصالحين عن تفاوت الناس في أفعالهم، فقال: كل ذلك طريق إلى الله تعالى وصل إليه، أراد أن يعمرها بعباده فبين أن لكل طريقاً إذا تحرى فيه وجه الله تعالى وعلى ذلك قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَاستَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾^(٦)، كقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(٧)،، وقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(٨)، وقوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا﴾ يعني أي شغل تحرّيتكم، وحيثما تصرفتم، وأي معبود اتخذتم فإنكم مجموعون ومحاسبون عليها..

١ - قرأ بهذا الوجه كل من : ابن عامر، وابن عباس، وأبى رجاء، وعاصم، وأبى بكر، وشريح، ومحمد بن على الباقر، معجم القراءات القرآنية [ج ١: ص ١٢٦.

٢ - سورة آل عمران : الآية (١٩).

٣- سورة آل عمران : الآية (٨٥).

٤- الحديث عن عمران بن حصين - قال : قال رجل « يارسول الله ، أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال نعم ، قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال ، (كل يعمل لما خلق له ، أو لما ييسر له) ، أخرجه البخاري في كتاب القدر ح : ١١ - ص ٤٩١.

٥ - سورة المائدة : الآية (٤٨).

٦ - سورة البقرة : الآية (١٤٨).

٧ - سورة آل عمران الآية (١٣٣)

٨ - سورة القصص : الآية (٧٧).

قوله عز وجل :

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾
الآية: (١٤٩) - سورة البقرة.

إن قيل: ما وجه تكرير (فول وجهك) قيل: إعادة ذلك لحكمة لطيفة، وهو أنه ذكر لتغيير القبلة ثلاث علل^(١) من قوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢) إلى قوله: (لعلكم تهتدون) - الأولى: إكرامه تعالى نبيه - عليه السلام - إذ ولاه قبلة أبيه إبراهيم ابتغاء مرضاته، وهو قوله: (قد نرى تقلب وجهك)، والثانية: إخباره أن لكل صاحب دعوة قبلة وهو قوله: (ولكل وجهة)، والثالثة: قطع حجة معانديه وهو قوله: ﴿فَلَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾^(٣)، فقرن^(٤) بذكر كل علة معلولها الذي هو الفرض^(٥)، وذلك^(٦) قوله: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) لقولك: إن هذا فرض لسبب كذا، وفرض لسبب كذا، فيعتد المعلول^(٧) مع العلة، وهذا أبلغ من قول من قال: لما طال القصة، واعترض فيما بينها ما فيه زيادة بيان أعاد الحكم نحو: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ﴾^(٨) إلى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٩)، وأنه أعاد "لما جاءهم" وأشار بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ إلى تحقيق ما قدمه، فبين أنه إذا كانت الحكمة تقتضي أن لكل صاحب شرع قبلة يختص بها، وأنت صاحب شرع، فتغيير القبلة لك حق، إن قيل: لم خص الأول بلفظ الرب، والثاني بلفظ الله؟

قيل: لأن الأول لما نبهنا^(١٠) على الاستدلال على حكمته بالنظر إلى أفعاله ذكر لفظ الرب المقتضى [للنعم المسطر فيها إلى المنعم]^(١١)، ويستدل بها عليه، ولما انتهى إلى ذكر الوعيد ذكر لفظ الله تعالى المقتضى للعبادة التي من أحل بها عليه استحق أليم عقابه.^(١٢)

١ - في (أ - ص) ثلاث آيات .

٢ - سورة البقرة : الآية (١٤٢).

٣ - سورة البقرة الآية (١٥٠).

٤ - في (أ - ص) ففرق وهو تصحيف.

٥ - في (أ - ص) الحكم.

٦ - في (أ - ص) وذكر.

٧ - في (أ - ص) الحكم.

٨ - سورة البقرة : الآية (٨٩).

٩ - سورة البقرة : الآية (٨٩).

١٠ - في (أ - ص) تنبيه.

١١ - ساقطة من (و - ج).

١٢ - في (أ - ص) العقاب.

قوله عز وجل :

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ بِنِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

الآية (١٥٠) - سورة البقرة.

فإن قيل: لم كرر قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ، قيل: حث بأحدهما على التوجه نحو القبلة بالقلب والبدن في أي مكان حصل الإنسان نائياً كان عنها أودانياً منها، وذلك حال الاختيار والتمكن، وحث بالأخر على التوجه بالقلب نحوه عند اشتباه القبلة، وفي حال المسامعة، وفي صلاة النافلة في حال المسير في السفر وعلى الراحة..، إن قيل: كيف استثنى الذين ظلموا وذلك يقتضي أن يكون لهم حجة؟ قيل: الحجة ههنا موضوعاً موضع الاحتجاج نحو: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً﴾^(١) ومعناه: لئلا يحتج عليكم أحد إلا وهو وظالم، وقوله: (لئلا) إبانة عن الغرض^(٢)، والعاقل لا يقصد إلا عرضاً يصح أن يُصيبه، فالمؤمن لا يقصد بذكر الحجة أن يكف الناس بها عن الاحتجاج لعلمه أن منهم معانداً لا يبالى بارتكابه الباطل، والله تعالى لا يأمر بذلك لكونه غير مستطاع، فكأنه قال: اقصدوا بالحجة دفع الناس إلا الظالمين، وقيل الظالمون إشارة إلى مشركي العرب، حيث قالوا: "إن محمداً عاد إلى قبلتنا"، وقد استدل بعضهم على أن الناس ههنا لمشركي قريش بما روي في الخبر أن كل ما في القرآن من قوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فمخاطبة لأهل مكة، وما فيه من (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فمخاطبة لأهل المدينة^(٣)، وقول من قال تقديره: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

١ - سورة الشورى : الآية (١٦).

٢ - في (١ -ص) إبانة عن العوض ، وما في (و - ج) هو الأصح

٣ - أورد القرطبي ذلك وقال : قال علقمة ومجاهد : كل آية أولها : (يا أيها الناس) فإنما نزلت بمكة ، وكل آية أولها (يا أيها الذين آمنوا) فإنما نزلت بالمدينة وعلق على ذلك بقوله : (وهذا يرده أن سورة البقرة والنساء منيتان وفيهما (يا أيها الناس) ، وأما قولهما في (يا أيها الذين آمنوا) فصحيح ثم أورد قول عروة بن الزبير : ما كان من حدث أو فريضة فإنه نزل بالمدينة وما كان من ذكر الأمم والعذاب فإنه نزل بمكة وهذا هو الأصح تفسير القرطبي ... ج ١ - ص ٢٧١.

إلا حجة الذين ظلموا، قال: والظالم لا حجة له في الحقيقة فصار كقول الشاعر:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُؤْفَهُمْ
بِهِنَّ فُلُولٌ^(١)

البيت راجع إلى الأول، وأما قول أبي عبيدة إن تقديره "والذين ظلموا" فإن أراد أن معناه هذا على تقدير ما تقدم فصحيح، وإن أراد أن معناه بمعنى "الواو" فبعيد، وقول الشاعر الذي احتج به وهو قوله:

مَا بِالْمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ

دَارُ الْخَلِيفَةِ إِلَّا دَارُ مَرْوَانَ^(٢)

فتقديرها: ما بالمدينة دار إلا دار مروان غير واحدة، وهي دار الخليفة، فقد أثبت دارين فصار من حيث المعنى، كما قال: ليس معنى إلا معنى الواو، وإن قيل: أي حجة لهم على الكفار إذا فعلوا ذلك، وأي حجة تسقط عنهم، قيل لما ذكر الله تعالى: ﴿فَأَيُّكُمْ تَوَلَّى وَجْهَ اللَّهِ﴾، ومن أن التوجه إلى الجوانب سواء في المعقول أبان أنه إنما قصرهم على جانب واحد لئلا يختلف توجيههم^(٣) فيحتج عليهم الكفار بالاختلاف، ويقولون: ما بالكم تصلون إليها تارة وإلى غيرها أخرى، وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أي لا تراقبهم ولا تستحيوا منهم، وذلك لما علم أن كلامهم عناد للعقيدة عند ظهور الحجة عن التزامها، فقال لهم ذلك والخشية قد تجري مجرى المراقبة والاستحياء في قوله: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٤) وقوله: ﴿وَلَأَنْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ وإتمام نعمته هو أن نعم الله تعالى ضربان: أحدهما موهوب، والآخر مكتسب،

١- البيت للناطقة الذباني وهو:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُؤْفَهُمْ
بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَارِ الْكَتَائِبِ

وهو في ديوان الناطقة - ص ٤٤ ، والصناعتين - ص ٣٢٤ ، والعمدة ج: ٢ - ص ٤٥ ، وأعجاز القرآن - للباقلاني - ص ١٦١ ، وأورده الراغب في محاضرات الأدباء - ج ١ - ص ٢٩٧ ، ج ٢ ص ١٥٦ والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة للجرجاني ص ٢٨٣ - تحقيق دكتور / عبد القادر حسين .

٢ - البيت نسب سيبويه في الكتاب إلى الفرزدق في ج ١: ص ٣٧٣ ، وورد في تخريج إعرابه في السيرافي على الكتاب - ج ٣: ص ٣٠٦ من التيمورية .

٣ - في (أ-ص) بوجههم

٤ - سورة الأحزاب : الآية (٢٧).

فالله هو : كجودة الحفظ والفهم وصحة البدن والجاه، وكل ذلك لا يستحق بحصوله الحمد، ولا بفواته الذم، والمكتسب كالعلم والعمل الصالح المتوصل بهما إلى الثواب وهو الإيمان، وبه يستحق المدح والذم، فبين تعالى أنكم إذا ائتمرت في أمر القبلية، وصلت إلى الحالة التي يحصل لكم الخشية المشار إليها بقوله:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) فقد أتممت نعمتي عليكم (واستتممتوها) ^(٢).

قوله عز وجل :

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ الآية (١٥١) -سورة البقرة.

ما مع ما بعده مصدر، أي: كإرسالنا، والكاف فيه متعلق بقوله ولأتى نعمتي عليكم، أي إذا أنتم ائتمرت في أمر القبلية وخشيتم الله دون الناس أتم عليكم نعمته كنعمته بإرسال رسول هكذا تنبيهاً أن النعمة في بعثته ودعائه العالم إلى دين مخالف لدينهم، ووعدكم أنه سيظهر دينه على الأديان كان أعظم من تغيير القبلية، وقد وفى بذلك، وقيل: تتعلق الكاف بقوله: "اذكروني"، وهو بعيد..

إن قيل: كيف أخر فيما حكى عن إبراهيم عليه السلام قوله: (رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا) ^(٣) ذكر التزكية عن تعليم الكتاب والحكمة وقدمها هاهنا؟ قيل: التزكية من الله عز وجل ضربان، أحدهما الشهادة بطهارة الإنسان، وذلك يكون بتزكية الإنسان نفسه، وذلك مؤخر عن تحصيل الإنسان الكتاب والحكمة والعمل بهما، وأياهما عنى إبراهيم -عليه السلام - في دعائه، فلذلك أخر، والثانية من الله -عز وجل- تبين أحكامه الشرعية ^(٤)، ومن العبد العمل بها وذلك متقدم علي معرفة حقائق الكتاب والحكمة وهي المعنية ههنا، فلهذا قدم.

١ - سورة فاطر : الآية (٢٨).

٢ - ساقطة من (١ - ص).

٣ - سورة البقرة : الآية (١٢٩).

٤ - في (١ - ص) أحكام الشريعة.

أن قيل: وما معنى ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟

وهل ذلك إلا الكتاب والحكمة؟

قيل: عنى بقوله: ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ العلوم التي لا طريق إلى تحصيلها إلا بالوحي على ألسنة الأنبياء، ولا سبيل إلى إدراك جزئياتها ولا كلياتها إلا به، وعنى بالحكمة والكتاب ما للعقل مدخل في معرفته شئ منه، وأعاد ذكره يعلمكم مع قوله: ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ تنبيهاً أنه علم مفرد عن المتقدم ذكره..

قوله عز وجل :

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ الآية (١٥٢) - سورة البقرة .

الذكر حضور الشئ بالقلب والقول، فلهذا قيل: الذكر ذكران ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وقد يكون ذلك لحضور لا عن نسيان، وقد يكون عن نسيان، ولهذا قيل: الذكر ذكران، ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان.

والى الثاني ذهب الشاعر في قوله:

وكيف أنكره إذ لست أنساه ؟^(١)

وقال بعض العلماء: لما خص الله هذه الأمة بفضل قوة زائدة على ما لبني إسرائيل، قال لبني إسرائيل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) ، فأمرهم بتذكر نعمته المنبهة عن الغفلة لينظروا منها إليه^(٣) وقال لهذه الأمة: (فاذكروني)، فأمرهم أن يذكروه بلا واسطة إن قيل: ما الفرق بين شكرت لزيد ، وشكرت زيداً؟ قيل: شكرت له هو أن يعتبر إحسانه الصادر عنه فيثنى عليه بذلك، وشكرته: إذا لم تلتفت إلى فعله، بل تجاوزت إلى ذكر ذاته دون اعتبار أفعاله، فهو أبلغ من شكرت له، إذ قد يكون

١- بحثت عنه فلم أجده، ولعله لأحد الصوفية كابن الفارض أو ابن عربي وصدرالبيت :-

الله يعلم أنني لست أنكره

٢- سورة البقرة : الآيتان (٤٠ ، ٤٧).

٣- في (١ - ص) إلى المنعم.

للإنسان فعل في الظاهر محمود، ثم لا يكون ذلك الإنسان على الإطلاق محموداً، وإنما قال: (واشكروا لي)، ولم يقل: (واشكروني) علماً بقصورهم عن إدراكه بل عن إدراك الآية كما قال: ﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(١)، فأمرهم أن يعدوا بعض أفعاله في الشكر له، وشكر الله - عز وجل - أصعب عبادة وأشرفها بولهاذا قيل: غاية شكر الله الاعتراف بالعجز عنه، فكل نعمة يمكن شكرها إلا نعمة الله، فإن شكرها نعمه منه، فذلك بتوفيقه، فإن العبد محتاج أن يشكر نعمته الثانية كشكره للاولى، وهذا يؤدي إلى ما لا يتناهى^(٢)، فلهذا قيل: لا يقدر عليه، ولصعوبة الشكر قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(٣)، ولم يثن على أنبيائه وأوليائه بالشكر إلا على اثنين، على نوح حيث قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(٤) وعلى إبراهيم حيث قال: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ﴾^(٥)، فذكر ذلك بلفظ أدى العدد تنبيهاً على شرف هذه المنزلة وصعوبتها..

إن قيل: علام عطف قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾؟

قيل: على قوله: ﴿فَرَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾^(٦)، وذلك أنه لما أمرنا باستقبال القبلة، وبين العلة وأنه يريد أن يتم نعمته عليكم كما أنعم ببعثته رسوله أعاد النظم الذي هو الأمر، فأمر بالذكر الواجب بعضه في الصلاة، وبعضه في غيرها، وإن قيل: ولم قال بعده: ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ ولم يقتصر على أحد اللفظين؟ قيل: لما كان الإنسان قد يكون شاكراً في شئ ما، وكافراً في غيره، فيصح أن يوصف بهما على حسب النظر إلى فعله، فلو اقتصر على قوله: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ لكان يجوز أن يتوهم أن من شكره مرة أو على نعمة ما فقد امتثل، ولو اقتصر على قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ لكان يجوز أن يتوهم أن ذلك نهى عن تعاطي قبيح دون حث على الفعل الجميل، فجمع بينهما لإزالة هذه الشبهة، ولأن في قوله:

١- سورة إبراهيم - الآية : (٣٤) ، وسورة النحل - الآية : (١٨).

٢- في (أ - ص) ما لا نهاية له.

٣- سورة سبأ : الآية (١٣).

٤- سورة الإسراء : الآية (٣).

٥- سورة النحل : الآية (١٢١).

٦- سورة البقرة : الآية (١٥٠).

﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ نهياً عن الكفر المطلق، وذلك معنى [زائد على قوله (واشكروا لي) وقدم قوله]^(١) ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ وآخر قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ تنبيهاً على أن ترك الشكر كفران..

إن قيل: فلم قال: (ولا تكفرون) ولم يقل (ولا تكفروا لي)؟ قيل: لأنه يقتصر من العبد على شكر نعمه، ولا يقتصر منه على أن لا يكفر نعمه، بل نهى عن الكفر به أكثر مما نهى عن كفر نعمه، إذ قد يعفو عن كفر بعض النعم ولا يعفو عن الكفر المطلق..

قوله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

الآية (١٥٣) - سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في الصبر والصلاة وأنواعهما، فحث الله تعالى على الصبر، إذ هو ذريعة إلى فعل كل خير ومبدأ كل فضل، فإن أول التوبة الصبر عن المعاصي، وأول الزهد الصبر عن مناجاة الدنيا، وأول الإرادة الصبر على طلب ما سوى الله، ولهذا قال عليه السلام: (الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ)^(٢)، وقال: (الصَّبْرُ خَيْرُ كُلِّهِ) والصلاة هي المقتضية للخشوع والداعية إلى ترك الفحشاء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٣) ولما أمر بالذكر والشكر حث على الاستعانة بالصبر والصلاة- تنبيهاً أنه بهما يتوصل إليه، فإن الصبر مبدأ الإيمان، والشكر منتهاه، ولهذا قال عليه السلام: «الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ»^(٤) ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فضمن صحبته إياهم تنبيهاً على قرب فيضه وتوفيقه، كما قال:

١- ساقطة من (١ - ص).

٢- الحديث رواه الديلمي عن أنس، وورد في كتاب: راموز الأحاديث - ص ٢١٧.

٣- سورة العنكبوت: الآية (٤٥).

٤- نص الحديث: «الصبر نصف الإيمان واليقين»، والحديث أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج: ٤ - ص ١٨٧، ج: ٩ - ص ٥٢٠، ٢١١، أورده السيوطي في الدر المنثور - ج: ١ ص ٦٦، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ج: ٤ ص ٢٧٧، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج: ١ - ص ٥١٢، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم: ٦٤٩٨، وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - ج: ١ - ص ٥٧، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، وقال فيه: «منكر» رواه الأعرابي من طريق المخزومي - حديث رقم ٤٩٩ - ج: ١ - ص ٥٠٦، وأخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود بسند حسن. انظر: الإحياء - باب الصبر، وورد في كتاب: راموز الأحاديث - ص ٢١٧ عن ابن مسعود، وأورده الراغب في الذريعة إلى مكارم الشريعة - ص ٢٨١ - تحقيق: الدكتور أبو اليزيد العجمي.

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(١) تنبيهاً أنه يراعيهم بالعناية...، إن قيل: لم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ولم يقل: "مع المصلين"، وقال في أخرى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾^(٢) فاعتبر الصلاة دون الصبر؟ قيل:

لما كان فعل الصلاة أشرف وأعلى من الصبر، إذ قد ينفك الصبر عن الصلاة ولا تنفك الصلاة من الصبر ذكر ههنا الصابرين، فمعلوم أنه تعالى إذا كان مع الصابر، كان لا محالة مع المصلي أكثر ثم قال ﴿وَأِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ فذكر الصلاة دون الصبر تنبيهاً أنها أشرف منزلة من الصبر^(٣) فقد ترك توفية حق الصلاة من تصبر في كثير من الأحوال.

قوله عز وجل :

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

الآية (١٥٤) - سورة البقرة .

قد تقدم أن الحياة تقال على أوجه، وكل واحدة يقابلها موت، الأول^(٤): في القوة النامية التي بها الغذاء والشهوة إليها، وذلك موجود في النبات والحيوان والإنسان، ولذلك يقال: نبات حي، والثاني^(٥) في القوة الحساسة التي بها الحركة المكانية، وهي موجودة^(٦) في الحيوان والإنسان^(٨) دون النبات، والثالث^(٩): القوة العاملة^(١٠) العاقلة [وبها يكون العقل والعلم]^(١١) وهي في الإنسان دون

١- سورة الطور : الآية (٤٨).

٢- سورة البقرة : الآية (٤٥).

٣- ساقطة من (١ - ص).

٤- في (١ - ص) الأولى.

٥- في (١ - ص) هي.

٦- في (١ - ص) والثانية.

٧- ساقطة من (١ - ص).

٨- ساقطة من (١ - ص).

٩- في (١ - ص) والثالثة.

١٠- في (و - ج) القوة المروية، وهو خطأ من الناسخ.

١١- ساقطة من (١ - ص).

الحيوانات والنبات وبها يتعلق التكليف، وقد يقال للعلم المستفاد الحقيقي، والعمل الصالح حياة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١)، وقيل: «المحسن حي وإن كان في دار الاموات، والمسي ميت وإن كان في دار الأحياء»، ونرجع^(٢) إلى معنى الآية فنقول: إن بعض المعتزلة لم يعتبر في ذلك تفصيلاً، وقال عني: بإثبات الحياة ونفى الموت عن الشهداء^(٣) يوم الحساب، لا في الحال قال، ولا اختصاص لهم، بل إنما علق الحكم بهم، لأنه في ذكرهم، ولو ذكر معهم غيرهم لذكرهم بحكمهم واستجبل من قال إنهم أحياء، وقال: قد علم أن رسول الله ﷺ^(٤) { والشهداء في قبورهم، وهم لا يأكلون ولا يشربون، واستجباله لمن خالفه هو لأنه فرغ إلى الحس^(٥) الذي قد نفى الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي : لا تحسون ولا تدركون ذلك بالمشاعر أي الحواس^(٦) تنبيهاً أن ذلك مما السبيل إلى معرفته الفرغ إلى العقول وإلى الاعتبارات الصحيحة [دون الحواس]^(٧)، وإما علي طريقة غيرهم فمعلوم، وقد أجمعوا على أنه لا يثبت لهم الحياة التي بها النمو والغذاء ولا الحياة التي بها الحس، فإن فقدانهما عن الميت محسوس ومعقول، فبعض المفسرين اعتبر المعنى الآخر الذي هو العلم المستفاد والعمل الصالح، فقال: إن الله تعالى نهى أن يسمى الشهداء أمواتاً في حكم الدين، فقال: لا تقولوا لهم ما قال المشركون، ولكن قولوا هم أحياء في الدين، وهذا صحيح... وبعضهم اعتبر الحياة المختصة بالإنسان، وقال: إن هذه الحياة مختصة بالقوة المروية المسماة تارةً الروح، وتارةً النفس، وتارةً النسمة قال: والموت المشاهد هو مفارقة هذه القوة أي الروح البدن، فمتى كان الإنسان محسناً كان منعماً بروحه، [مسروداً بمكانه]^(٨) إلى يوم القيامة، وإن كان مسيئاً كان به معذباً، وإن المحسن يعلم بذلك بعد موته، وإلى هذا ذهب الحكماء ودلوا عليه بالبراهين

١- سورة الانفال : الآية (٢٤).

٢- في (١ - ص) ونعود.

٣- في (و - ج) للشهداء.

٤- ساقطة من (و - ج).

٥- في (١ - ص) الحياة التي.

٦- ساقطة من (١ - ص).

٧- ساقطة من (و - ج).

٨- ساقطة من (و - ج).

والأدلة، وهو مذهب أصحاب الحديث، ويدل على صحته الأخبار والآيات المروية عن النبي ﷺ، بل إليه ذهب عادة أصحاب الملل كلها ولم يخالفهم إلا جماعة من المعتزلة، حيث جعلوا الأرواح أعراضاً لا قوام لها إلا بالأجسام، وأنها مهما فارقت الأجسام بطلت، ومما دل على صحة ذلك قوله عليه السلام: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»^(١)، وما روى أمير المؤمنين عليّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، وإن الروح في قناديل معلقة تحت العرش»^(٢)، وقال في أرواح الشهداء ما عرفت وما روي عنه -عليه السلام- «إن الميت ليرد على جماعة من الأموات، فلا يزالون يسألونه عن معارفهم وجيرانهم، وهو يخبرهم ويصف لهم حتى يجري ذكر الرجل» فيقول: قد مات قبلي بمدة، فيقولون: إنا لله، سئل به، وإن كان من الصالحين قالوا: عليّ به^(٣) ومعلوم أنه لم يرد عليهم بالأشباح، وإنما ذلك الإلقاء بالأرواح، وروي أنه لما قُتل [مَنْ قُتِلَ]^(٤) من صناديد قريش يوم بدر، فجمعت جثثهم في قليب، ثم أقبل النبي ﷺ، فخاطبهم بقوله: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً»^(٥)، قيل: يا رسول الله: أتخاطب جيفاً؟

فقال: [ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يقدرُونَ على الجواب]^(٦)، وما روي أنه قال: «رأيت نسمة

- ١- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج: (٤) ص ١٦٢، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب - باب "الأرواح جنود مجندة" من حديث أبي هريرة رقم (١٥٩، ١٦٠) ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده - ج: ٢ ص ٢٩٥-٢٩٧.
- ٢- الحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عبد الله بن أيوب بن أبي علاج قال: حدثني أبي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبي عن جده علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم حطها تحت العرش، ثم أمرها بالطاعة لي، فأول روح سلمت على روح علي عليه السلام (وقال ابن الجوزي هذا حديث موضوع وقال الأسدي عبد الله بن أيوب وأبواه كذابان ولا تحل الرواية عنهما). الموضوعات - ابن الجوزي ج ١ ص ٤٠١، ورواه أبو حيان في البحر المحيط - ج: ٣- ص ٤٩٥ تفسير الآية الأولى من سورة النساء وأخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة بلفظه من حديث علي وفيه عبد الله بن أيوب بن أبي علاج - تنزيه الشريعة - ج ١ - ٣٩٨ حديث رقم ٨١.
- ٣- الحديث ذكره ابن أبي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال: (إن أهل القبور يتكفون الأخبار) أي يتوقعونها «فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: صالح وما فعل فلان؟ فيقول: صالح، وما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: لا، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلك به غير سبيلنا (الحياة البرزخية - محمد عبد الظاهر خليفة ص ١٧٦).
- ٤- الحديث رواه البخاري في صحيحه ج ٥ - ص ٩٧، ورواه مسلم في صحيحه في باب الجنة ص ٧٦، ورواه النسائي في سننه ج ٤ - ص ١٠١ ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٨، ص ١٣٠ و ج ٢ ص ١٠٤، ص ١٤٥، ص ٢٦٣، ص ٢٨٧، ج ٤ ص ٢٩، ج ٦ ص ٢٧٦، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج ٧ - ص ٣٠١، ورواه السيوطي في الدر المنثور - ج ٥ - ص ١٥٧، ص ٢٤٩، ورواه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ج ٣ - ص ٢٩٣.
- ٥- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه - ج: ٥- ص ٩٧، ٩٨، كما أخرجه مسلم في صحيحه - ص ٧٦، وأخرجه النسائي في سننه ج: ٤- ص ١٠١، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٢- ص ٣٨، ١٣٠، ج: ٣- ص ١٠٤، ١٤٥، ٢٦٣، ٢٨٧، ج: ٤- ص ٢٩، ج: ٦- ص ٢٧٦، وأخرجه الطبراني في معجمه - ج: ١٠- ص ١٩٨، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري - ج: ٧- ص ٣٠١، ٣٢٤، والمتقي الهندي في الإتحاف - ج: ٥- ص ٢٣، والسيوطي في الدر المنثور - ج: ٥- ص ١٥٧، ص ٢٤٩.
- ٦- ساقطة من (و - ج).

آدم»^(١) إلى غير ذلك من الأخبار، وعلى ذلك قوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٢)، وقال في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُمْرَضُونَ عَلَيْهَا غُذُوءًا وَعَشْيًا﴾^(٣)، وهذا يعني به قبل القيامة بدلالة آخر الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٤)، وإلى هذا المعنى ذهب جماعة الصحابة والتابعين، قال مجاهد: «يرزقون من ثمر الجنة فيجدون ريحها وليسوا فيها»..

وقال ابن عباس والربيع وغيرهما: «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتاكل من ثمارها»^(٥)..

قوله عز وجل :

﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

الآية (١٥٥) - سورة البقرة .

البلاء: المبالغة في الاختبار، كائنك [ابتليته]^(٦) وأخلقته من كثرة ما اختبرته به، ولذلك يقال: بليت^(٧) فلاناً أي خبرته، والكلام في نسبة^(٨) الابتلاء إلى - عز وجل- كما تقدم في قوله: ﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾^(٩) وإنما يراد به ظهور الفعل دون حصول العلم، والخوف توقع مكروه، والجوع استدعاء البدن عوض ما تحلل عنه، ونقص الأموال: ذهاب بعض ما حوته اليد، ونقص الأنفس: افتقاد الإنسان بعض قواه في ذاته، أو بعض جوارحه [أو سمعه]^(١٠) أو بصره [أو بعض أقرابه وأخلائه، ونقص الثمرات: فقد المتوقع من الدخل والربح، وهذه الجملة مشتملة على محن الدنيا كلها..

إن قيل: هل ابتلاء الله الناس بهذه النوائب عام لهم أم خاص لبعضهم؟ وهل ذلك في زمان دون زمان؟ أو في كل زمان؟

١- بحث عنه فلم أعثر عليه.
٢- سورة الاعراف : الآية (١٧٢).
٣- سورة غافر : الآية (٤٦).
٤- سورة غافر : الآية (٤٦).
٥- الحديث أورده ابن كثير في تفسيره رواية عن صحيح مسلم ولفظه : (إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش ، فاطلع عليهم ربك إطلاعة فقال ماذا تبغون؟ فقالوا : يا ربنا وأى شئ نبغي وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا ، فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا ، قالوا نريد أن تردنا إلى دار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتي نقتل فيك مرة أخرى - لما يرون من ثواب الشهادة - فيقول الرب جل جلاله « إنى كتبت أنهم إليها لا يرجعون » . تفسير القرآن العظيم ج ١ - ص ١٩٧ .

٦- ساقطة من (و - ج) .

٧- في (و - ج) ليست، وهو خطأ من الناسخ.

٨- في (و - ج) تشبه، وهو تحريف.

٩- سورة محمد : الآية (٣١).

١٠- ساقطة من (و - ج) .

قيل: أما بالنظر الخاصي فعام لهم وفي كل زمان، وذاك أن الناس لا ينفكون في الدنيا في شئ من الحالات عن شئ مامن المحن، بل في حال اليسار^(١) يساق بهم إلى محنة فإذا هم في محنة وإن كانوا في صحة^(٢)، ولهذا روي: "كفى بالسلامة داء" ..

وقال الشاعر :

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ يَعُودُ^(٣) شَيْبًا وَمَتًّا فَالْحَيَاءُ هِيَ الْحِمَامُ^(٤)

فالعاقل بتفكره يعلم أن ماله وبدنه وذويه ونعمه^(٥) عارية مستردة، فإذا عرضت له نائبة كان له من الصبر مطية لا تكبو، ومن الرضا بقضاء الله سيف لا ينبو، وإما بنظر أعم من ذلك ، فإن الله تعالى لما أجرى عادة الدنيا أن لا تنفك من هذه الآفات المذكورة، وأنها قد تنال الأخيار كما تنال الأشرار، جعلها ابتلاءً لأوليائه لكي إذا تلقوها بالصبر حط بها وزرهم، وإلا عظم به أجرهم.

وخص بعض المفسرين هذه الأشياء فقال: أراد بالخوف: ما ينال في مجاهدة العدو، وبالجوع: صوم شهر رمضان، وينقص من الأموال: ما أوجب^(٦) من الزكوات، وينقص الأنفس: الأمراض، وينقص الثمرات: الصدقات، وجعل بعضهم هذه الأشياء المحن الظاهرة العامة، لكن خص مخاطبين بأنهم أصحاب النبي -عليه وعليهم السلام خاصة، فقال: «إن الله - عز وجل- أبلاهم^(٧) بهذه الأشياء الظاهرة للحواس» المتبينة للكل ليعلم من بعدهم أنهم لم يتحروا في اتباع النبي - عليه السلام- طلب عرض، بل تبعوه لتحقيقهم^(٨) بمعرفة الحق وظهور الحجج، وجعل بعض المعتزلة المخاطبين والمحن

١- في (و - ج) المسار، وهو خطأ من الناسخ ٢- ساقطة من (و - ج) .

٣- في (و - ج) يقود ، وهو تصحيف.

٤- لم أمتد إليه ، ولعله يكون مشابهاً لقول المتنبي :-

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ السَّكْرَ وَالشَّيْبُ هُمَا فَالْحَيَاءُ هِيَ الْحِمَامُ

ولا أدري إذا كان هو نفسه أم لا .

٥- ساقطة من (و - ج) . ٦- في (أ - ص) ما يخرج .

٧- في (أ - ص) ابتلاهم ٨- في (أ - ص) ليحققهم .

المذكورة جميعاً مخصوصين، وقال ذلك في أصحاب النبي - عليه السلام -، وعني بالخوف: خوفهم من الأعداء، وبالجوع: فقرهم بتشاغلهم^(١) بالجهاد، ونقص الأموال: للانقطاع عنه إلى الجهاد عن عمارة بساكناتهم، والأنفس: للقتل في سبيل الله، قال: وكل ذلك من فعل الله - عز وجل - لا من الكفار، وجعل ذلك مخصوصاً تفادياً من أن يكون بعمومه ناسباً^(٢) إلى الله تعالى فعلاً قبيحاً ولو اتسع نظره، لأمن ما يحذره، وعلى هذا القبيح والسخط للقضاء ليس يعني شيئاً، وإنما يريد تصور ما خلق الإنسان لأجله، والقصد له والاستهانة بما يعرض في طريق الوصول، فأمر تعالى ببشارة من اكتسب العلوم الحقيقية وتصورها، وقصد هذا المقصد ووطن نفسه عليه.

وعلى هذا النحو قوله: عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٣)، وقوله: ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِنَّا هُمْ لَا يَفْتُنُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَنَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(٥)، إن قيل: لم فصل بقوله: (ولا تقولوا) الآية بين هذه الآية والتي قبلها من قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾^(٦) وهي بمعزل منهما^(٧)؟ قيل: بل هي متصلة بهما، لأنه لما حث على الصبر، وأكثر الصبر إنما لطلب الحياة ولما يعين على الحياة، بين تلك الآية أن ذلك الصبر يوصل^(٨) إلى حياة باقية كما قال: ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(٩) وكما قال - عليه السلام: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ»^(١٠)

١- في (و - ج) بشتا عليهم، وهو خطأ من الناسخ.

٢- في (و - ج) ناسياً، وهو تصحيف.

٣- سورة محمد: الآية (٣١).

٤- سورة العنكبوت: الآيتان (١، ٢).

٥- سورة الأنبياء: الآية (٣٥).

٦- سورة البقرة: الآية (٤٥).

٧- في (أ - ص) عنها.

٨- في (أ - ص) موصل.

٩- سورة العنكبوت: الآية (٦٤).

١٠- الحديث أورده البخاري في ج ١- ص ١١٧ وج ٤- ص ٦١، ج ٥ ص ٤٢، ص ١٣٧، ص ١٤٧، ج ٨- ص ١٠٩، وقد أورده الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٢٨، وأورده الإمام أحمد في مسنده ج ٣- ص ١٧٢، ص ٢٧٦، ج ٥ ص ٢٣٢ وأورده البيهقي في سننه ج ٧- ص ٤٨، ج ٩- ص ٣٩ وأورده أبو نعيم في الحلية ج ٢- ص ٣٠١، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ج ٧- ص ١١٨، ص ٣٩٢، ج ١١- ص ٢٢٩ وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم (٢٩٩٠٥). وأورده الزبيدي في الإتحاف ج ٨- ص ٤٢٨.

ليرغبنا في الصبر، ثم لما قرر ذلك أنبأ عما يحملنا من هذه المحن كي يخف علينا تحملها، ثم ختمه بقوله: ﴿وَتَبَيَّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ..

قوله عز وجل :
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ الآية (١٥٦) - سورة البقرة.

المصيبة من : أصاب السهم، إذا بلغ على صواب، وهي في الأصل صفة، وليس يريد بالقول اللفظ فقط، فإن التلفظ بذلك مع الجزع القبيح والسخط للقضاء ليس يعني شيئاً، وإنما يريد تصور ما خلق الإنسان لأجله، والقصد له والاستهانة بما يعرض في طريق الوصول، فأمر تعالى ببشارة من اكتسب العلوم الحقيقية وتصورها، وتصور بها^(١) المقصد ووطن نفسه عليه.

فإن قيل: ولم قلت إن الأمر بالصبر يقتضي العلم، وما الصبر من العلم؟

قيل: الصبر على^(٢) الحقيقة إنما يكون^(٣) لمن عرف فضيلة مطلوبة، ولهذا قال الخضر لموسى لما علم أن ليس يعرف مقصده في فعله قال: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(٤)، فدل أن حقيقة تحمل الصبر لا بد له من معرفة المقصود به، وقال عليه السلام: «أعطيت أمتي مالم يعط أحد، قال يعقوب [عند المصيبة]^(٥) يا أسفي، وأعطيت أمتي أن يقولوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٦)، وقال عليه السلام: «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتة، وأحسن عقابه، وجعل

١- في (أ - ص) وقصد هذا.

٢- في (أ - ص) الصبر في.

٣- في (و - ج) إنما يمكن من.

٤- سورة الكهف: الآيتان (٦٧، ٦٨).

٥- ساقطة من (و - ج).

٦- سورة البقرة - الآية (١٥٦)، والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير ج-١٢-ص٤٠، ورواه المنذري في الترغيب والترهيب ج-٤ ص ٣٣٧، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم: (٦٦٣٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج-٢-ص٣٣٠.

له خَلْقاً يَرْضَاهُ»^(١)، وقال عمر في ذلك: «نعم العدلان، ونعم القلادة»، وحقيقة الرجوع إليه تتبين في قوله عز وجل- ﴿كَمَا يَدَّأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٢)، فهو أدق معنى مما قدره من قال: (إنا راجعون) إلى أن لا يملك أمورنا غيره كما كنا في الابتداء، فجعل ذلك رجوعاً لهم.

قوله عز وجل :

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ الآية (١٥٧) - سورة البقرة.

الصلاة وإن كانت في الأصل الدعاء، فهي من الله البركة على وجه، والمغفرة على وجه، وهي الرحمة وإن كانتا متلازمتين فهما مفترقتان في الحقيقة، وإنما قال: (صلوات) على الجمع تنبيهاً على كثرتها منه، وإنها حاصلة في الدنيا توفيقاً وإرشاداً، وفي الآخرة ثواباً ومغفرة، ثم بين أن من كان كذلك فهو المهتدي تنبيهاً على ملازمة هذه المعاني الصبر..

١- رواه الطبراني في الجامع الكبير ج ١٢-ص ٢٥٥ وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ج ٤-ص ٣٣٧ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٢-ص ٣٣١، ج ٦-ص ٣١٧ وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم (٦٦٥٠) وأورده الطبري في تفسيره ج ٢-ص ٢٦، وأورده ابن كثير في تفسيره ج ١-ص ١٩٨ وقال (روي الإمام أحمد قال حدثنا يونس بن محمد بسنده إلى أم سلمة قالت أثناني أبو سلمة يوماً فقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت به، قال، لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا فعل ذلك به، قالت أم سلمة فحفظت ذلك منه فلما توفى أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لي، فغسلت يدي من القرط وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف، فقعد عليها فخطبني إلى نفسه، فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما بي أن لا يكون بك الرغبة، ولكني امرأة بي غير شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال، فقال: «أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي»، قالت - فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أم سلمة لقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه - رسول الله صلى الله عليه وسلم - تفسير القرآن العظيم ج ١- ص ١٩٨.

٢- سورة الأعراف: الآية (٢٩).

سورة البقرة:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (١٥٨) - سورة البقرة .

الصفا: الحجارة الصافية^(١) عن الطين، والمروة: ما كان صلباً شديداً، والشعائر جمع الشعيرة، أي علامة محسوسة، ومعالم الحج مشاعر وشعائر، وسمي الهدى المعلم بذلك، والحج: القصد بمعرفة ومنه الحجة، والعمرة في الأصل الزيارة المقتضية لعمارة المودة في الأصل، فكان الحج هو الزيارة، والعمرة عمارتها، ولهذا يتأخر ذكرها في القرآن، ويجب الدم على من قدمها في أشهر^(٢) الحج أو قرنها به لتقديم ما من حقه أن يؤخر، وهذا ينبه أن الأفراد أفضل من التمتع والقران، فإن قيل: فكيف ندب النبي- عليه السلام أصحابه إلى فسخ الحج والانتقال إلى العمرة، على هذا قيل: إنه أراد أن ينزلهم عن اعتقادهم^(٣) أن الاعتمار في أشهر^(٤) الحج من أكبر الكبائر والجناح الميل إلى الإثم، أصله من الجناح، و"جناح الطائر" حرك جناحه، وبه شبه سير الإبل، فقليل جنحت الإبل في السير، كقولهم طارت، وجنوح السفينة لتشبه السابح بالطائر، ولهذا قيل: السابح طائر في الماء، والطائر سابح في الهواء، وجناح الظلام ألقى جناحه، ألا ترى أنه يقال: ألقى الظليم أرواقه كما يقال: ألقى الظالم أرواقه؟ والتطوع: تكلف طوع أي انقياد، وهو في التعارف التبرع بما لا يلزم، وإنما قال: لا جناح، وذلك واجب، لأن العرب كانت تكره السعي في الجاهلية، وقيل: إنها كرهت لصنمين كانا قيل عليهما يعتقدون أن لهما السعي، فتأثموا لذلك، فأنزل الله تعالى الآية، وأما الوجوب: فمستفاد من الخبر، وهو قوله: (اسعوا) فإن الله كتب عليكم السعي، وروي أن عروة قال لعائشة -رضي الله عنها: "ما أرى جناحاً أن لا يطوف بين الصفا والمروة، فقالت: «بئسما قلت، لو كان كذا، لقال:» أن لا يطوف بهما»^(٥) .

١- في (أ - ص) من الطين.

٢- في (و - ج) اسمه، وهو خطأ من الناسخ.

٣- في (أ - ص) عن اعتقاد.

٤- في (و - ج) اسمه.

٥- أورده ابن كثير بسنده إلى عروة عن عائشة قال : قلت أرأيت قول الله تعالى : (إن الصفا والمروة) الآية - قلت : فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما ، فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي ، أنها لو أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكأن من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا رسول الله ، إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية ، فأنزل الله - عز وجل- (إن الصفا والمروة من شعائر الله)- الآية ، قالت عائشة : ثم قد سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بهما ، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما . أخرجاه في الصحيحين .- تفسير القرآن العظيم - ج: ١- ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

وقد قيل : إن قوله : " لا جناح " كلام تام، وإن قوله : (عليه أن يطوف) استئناف يقتضي الوجوب، وقرئ (يطوع) على تقدير "يتطوع"، ويبيّن بقوله : (فمن تطوع) أي من زاد على ذلك، فإن الله عز وجل - يبينه، فشكر الله - عز وجل - للعبد الإحسان إليه، وقد تقدم أن الشكر كما يكون بالقول يكون بالفعل، وعلى ذلك قوله عز وجل : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(١) ، وليس شكر الأرفع^(٢) للأوضع إلا بقبوله حمده. والإفضال^(٣) عليه بذلك..

قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ الآية (١٥٩) - سورة البقرة .

اللعن الإبعاد على وجه الطرد، وصار في التعارف دعاءً إذا قيل: لعنه الله والبينة والهدى وإن كانا متلازمين فإنهما مختلفان، فإن البيّنات يشار بها إلى الآيات المنزلة والهدى إلى ما يستدل به من الأمارات، وقيل: الآية في أهل الكتاب العالمين أمر النبي عليه السلام، وقيل: هي عامة، وسواء خصت الآية أم لم تخص، فحكم الله عام في أن من كتم علماً عن مستحق له استحق العقوبة، وعلى هذا قال عليه السلام: «مَنْ سَتَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ الْجَمَّةُ اللَّهُ يُلْجِئُ مِنْ نَارٍ»^(٤) وليس ذلك بمناف لقول من منع حقائق الحكمة عن لا يستحقها، فإن ذلك دعاء له أن يترشح لقبولها وحسن سماعها وحفظها لئلا يستعين بها في طريق السر، فليس العلم بأهون على الله - عز وجل - من المال الذي هو عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وقد منع أن يمكن منه السفه الذي لا يحسن مراعاته، فقال:

١ - سورة سبأ : الآية (١٣).

٢- في (١ - ص) ليس شكر الرفيع للوضيع.

٣- في (١ - ص) الإفضال عليه وقبول حمد منه.

٤- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢٥ ص ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، وأخرجه الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ج ١: ص ١٠٨ ، ج: ٤ ص ٧٦ ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ١: ص ١٦٢ ، كما أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم (٢٩٠٠١).

﴿وَلَا تُؤْثِرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾^(١) . واللاعنون: قيل هو عام في الملائكة والناس ودواب الأرض، وما روي أنه تلعنهم الهوام، فتقول: (مُنْعَنَا الْقَطَرُ يَمْعَاصِي بَنِي آدَمَ)، فذلك تنبؤ أحوالها أنهم مستحقون من الله اللعن، فكأنها ناطقة بذلك، كقولك لمن رأيت له أثراً قبيحاً على فرسه: "إن فرسك تشكوك وتلعنك"، وعلى ذلك قول الشاعر في ناقته:

يَقُولُ إِذَا ادْرَأَتْ لَهَا وَصِيْنِي أَهَذَا دَيْنُهُ أَبَدًا وَدِيْنِي^(٢)

وأما ما يتصوره بعض الناس في أن يكون للهوام تمييزٌ ولعنٌ بالقول، فذلك ممتنعٌ بوجه مخصوص ليس هذا موضع شرحه.

قوله عز وجل :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّتُوا فَأُولَٰئِكَ أَثَرُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

الآية (١٦٠) - سورة البقرة.

لما كانت التوبة استدراك ما ارتكب من المآثم بما يغمره من أفعال الخير على ما تقدم ذكره، فمن يكتُم البيّنات والهدى عن الناس فإنه مع جنايته في نفسه أفسد الناس ومنع^(٣) حقهم، فيأذن لا يكفيه من التوبة أن يغير نيته بالندم والعزم على أن لا يعاود مثله حتى يصلح ما أفسده بقدر طاقته ويظهر ما كتمه، كما أن من غصبه مالا لا يكون موفياً حق التوبة حتى يرد ما غصبه، وضمن تعالى أنه يتوب عليهم إذا فعلوا ذلك وبين بقوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ أنه ليس يفعل ذلك بهم فقط، بل يتوب على كل تائب، وفي حق توبته ويرحمه.

١- سورة النساء : الآية (٥).

٢- البيت للمثقب العبدى وأورده القرطبي في تفسيره ج: ١ ص ١٩١ وورد في تاج اللغة ج: ٢ ص ٣٧٤ ، وأورده الزبيدي في تاج العروس ج: ٩ ص ٢٠٨ ، وورد في الامالي ج: ٢ ص ٣٢٨ .

٣- في (١ - ص) ومنعهم .

قوله عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ الآيتان (١٦١، ١٦٢) - سورة البقرة .

لما بين في الأول من تاب من ذنبه تاب عليه ورحمه بين في هذا أن من مات على كفره فالعقوبة لازمة له، إن قيل: أليس قد قال في الأول: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾^(١) فلم أعاد ههنا قيل لأمرين، أحدهما أنه عم ههنا، وخص في الأولى الذين يكتمون الحق والثاني أنه في الأولى ذكر أن اللعنة تتوجه إليهم وهم يستحقونها^(٢)، وفي الثانية ذكر أن اللعنة تقر عليهم، ولهذا قال عليهم:

إن قيل: هل الناس عام حتى أكده بأجمعين؟

قيل: نعم، وذلك أن المؤمنين وصالحى العباد يلعنونهم، وهم يلعن بعضهم بعضاً، كما قال: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٣)، وكل يلعن نفسه ويلعن بعض جوارحه وقواه بعضاً، كما تشهد عليه، وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قيل: في اللعنة، وقيل: في النار، وهما في الحقيقة واحد، فكل من عليه اللعنة فهو في النار، وقرئ: ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٤)، ويكون ذلك عطفاً على المعنى دون اللفظ.

قوله عز وجل :

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الآية (١٦٣) - سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في الواحد إذا وصف به البارئ عز وجل، وقوله: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ﴾ يجوز أن يكون خطاباً عاماً أى المستحق منكم العبادة وهو إله واحد لا أكثر، ويجوز أن يكون خطاباً للمؤمنين،

١ - سورة البقرة : الآية (١٥٩).

٢ - في (و - ج) ويستحقونه.

٣ - سورة العنكبوت : الآية (٢٥).

٤ - قرأ بهذا الوجه الحسن - معجم القراءات القرآنية ج: ١ - ص ١٣٠.

والمعنى: الذي يقصدونه^(١) إله واحد تنبيهاً أنكم لستم^(٢) كالكفار الذين يعبدون آلهة من الأصنام^(٣) والشیطان والهوى وغير ذلك..

إن قيل: ما فائدة الجمع بين ﴿وَالْهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ وبين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وأحدهما يبنى على الآخر؟

قيل: لما بين بقوله: ﴿وَالْهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أنه المقصود بالعبادة أو المستحق لها، وكان يجوز أن يتوهم أن يوجد إله غيره ولكن لا يعبد أولاً يستحق العبادة أكده بقوله: (لا إله إلا هو)، وحق لهذا المعنى أن يكون مؤكداً ويكرر عليه الألفاظ [الملخصة]^(٤)، إذ هو مبدأ مقصود العبادة ومنتهاها..

قوله عز وجل :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْضَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الآية (١٦٤) - سورة البقرة.

اختلاف الليل والنهار: أن يخلف كل واحد منهما الآخر، كقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾^(٥)، وقوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾^(٦)، وقوله: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾^(٧)، والفلك: السفينة المدورة، وبه شبه فلك السماء، ولذلك استعمل فيه السباحة وفلكة المغزل، وفلكت الجارية صار ثديها كفلكة، وفلكت الجدي: وضعت فلكه على لسانه يمنعه عن الرضاع، والفلك يقال للواحد والجمع، وذلك أنه يقال للواحد فلك، وفلك نحو: نُحِلْ وَنُحْلٌ وَعُرْبٌ وَعُرَبٌ، وَعُجْمٌ وَعَجَمٌ، ومن قال: فلك يجمعه على فلك نحو أُسْدٍ وَأُسْدٍ، فتداخل الواحد والجمع من لغتين، والبت إظهار

١- في (١ - ص) يعبدونه.

٢- في (و - ج) أن لستم.

٣- في (١ - ص) أصناماً آلهة.

٤- ساقطة من (١ - ص).

٥- سورة الفرقان: الآية (٦٢).

٦- سورة الزمر: الآية (٥).

٧- سورة النور: الآية (٤٤).

ما كان خفياً عن الحاسة همّاً كان أو غيره، والدبيب أصله حكاية صوب المشي، ثم قيل: دب إذا مشى، ويقال لكل ما يمشي دابة، ثم خص بالفرس، والدب خص بضرب^(١) من السباع، وأما الدبة والدببة، فاعتباراً بصوتيهما، والتصريف: صرف الشيء من وجه إلى وجه، وصريف الباب منه، لكن اعتبر فيه الصوت، فبني بناء الأصوات كالنهيق والشهيق وغير صارف تصرف الفحل إلى نفسها بإظهار شبقتها، والصرف والصريف المصروف عن الكورة، لكن خص الصريف باللبن والصّرف بسائر الأشربة، وقوله: (وتصريف الرياح) يجوز أن يكون تقديره: تصريف الله الرياح، وأضيف إلى المفعول، وتصريف الرياح والسحاب، فيكون مضافاً إلى الفاعل، والسحب جر الثوب، والسحاب هو لما تجره الرياح، والتسخير القهر على الفعل، وهو أبلغ من الإكراه، فإنه حمل الغير على الفعل بلا إرادة منه على وجه كحمل الرحي على الطحن، إن قيل: لم جمع السماء وأفرد الأرض في كل القرآن؟

قيل: لأن السماوات لما كانت في الحقيقة سبعة وطبائعها مختلفة على ما ذكر أصحاب هذه الصناعة، وكل واحدة مستمدة القوة مما فوقها ومعطية ما دونها، والأرض وإن كانت سبعة، فليس على ذلك الوجه، لأنها بالأقاليم لا بالطبقات المتراكبة تراكب السماء وطبيعتها واحدة، ولهذا قال: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٢) فترك اللفظ مفرداً، ونبه بمثلين على العدد الذي يعد به الأقاليم، وإنما ذكر هاهنا لفظ الخلق، لأنه مشتمل على الإبداع والصنع والتسخير، وخص فعل الله تعالى بذلك لكونه موضوعاً للتقدير المقتضي للأحكام، وهو تعالى أحكم الحاكمين، ونبه تعالى على وحدانيته بالتفكر في الموجودات وذكر من آياته ما لا يخفى أمر صنعته على ذوي الحواس والعقول ليستدل به كل على قدر فهمه ويقف منه على معارف بمبلغ علمه.

إن قيل: كان الوجه أن يُعقد ذكر السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار بتصريف الرياح والسحاب التي هي من آثار الجو ومختصة بفعل الله - عز وجل - ، ثم يعرج على ذلك الفلك التي هي

١- في (أ-ص) ببعض.

٢- سورة الطلاق: الآية (١٢).

في الأرض وفيها أثر أيدي البشر، حتى يكون على النسق، قيل إن إيجاد البحر مقدم على إيجاد الأمطار والرياح والسحاب، فكل ذلك إنما ينشأ عن البحار الساطع من رطوبة البحار ويبوسة الأرض، وذلك مبين في كتب المعنيين بمعرفة هذه الصنعة، ولما لم يكن فرق بين أن يقال: (والفلك التي تجري في البحر) وبين أن يقال: (والبحر الذي تجري فيه الفلك) في أن القصد الأول بالآية أن يعرف منفعة البحر وإن أخر في اللفظ، وقدم ذكر الفلك التي هي من صنعتنا، ونحن بصنعتنا أعرف منا بصنعته. قدم ذكر الفلك لننظر منها إلى آثار الله تعالى، وقال بعض الناس:

لم يعن بالفلك والبحر المحسوسين فقط، بل عنى بالبحر كل شبهة وحيرة ومشقة، وبالفلك ما فيه إيقاد^(١) البشر من فائض النور والعقل أمدهم به، وغير ذلك من المعادن المعقولات والمحسوسات، وقد تقدم أن من الناس من قال: الإشارة بالماء في نحو هذه المواضع إلى العلوم التي بها الحياة الأبدية وما في الأرض إلى النفوس التي بها تحيا الحياة الأبدية، ولما ذكر الله تعالى في الآية الأولى: (والهكم إله واحد) جعل هذه الآية دلالة عليه تنبيهاً أن كل موجود لا ينفك من أن يكون مكوناً غير مكون، أو مكوناً من وجه مكوناً من وجه، أو مكوناً غير مكون، ومحال أن يكون كل مكون مكوناً، لأن ذلك يؤدي إلى ما لا يتناهى، فإذاً لابد أن تنتهي الموجودات إلى مكون غير مكون، وذلك هو الباري - عز وجل -، فنبه أن أثر الصنعة موجود في هذه الأشياء، فلا بد أن تكون مكونة، وهذا هو الدلالة على وحدانيته علي طريق الجملة...

قوله عز وجل :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ الآية (١٦٥) - سورة البقرة.

الند: المثل في الجوهر ، وقد تقدم ، والحب أصله من الحب، وبه شبه حبة القلب وحبيبه يقال على وجهين، أحدهما: أصبت حبة قلبه، نحو كبדתه وفادته، والثاني: أصبته بحبة القلب، نحو: رمحته وعنيته، أصبته بالعين، فقولك: حبيبته وأحببته هو في اللفظ فعل، وفي الحقيقة قد يكون انفعالاً، لأن المحب يكون منفعلاً للمحبيب، وإذا استعمل في الله تعالى فقليل: "أحب الله فلاناً"، فليس إلا على

١- في (١ - ص) إبعاد وهو خطأ من الناسخ.

سبيل الفعل والمعنى: أصاب الله تعالى حبة قلبه، فجعلها لنفسه مصونة عن الهوى والشيطان وسائر أعداء الله، والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً، وهي أربعة أضرب بحسب أعراض الناس في أمورهم، اللذة، والنفع، والخير المحض، والمركب من اللذة، والنفع [لمحبة المغني له والمغني بعضهما لبعض]^(١)، وكل محبة ينقطع سببها انقطعت بانقطاعها، ولما كانت الشهوات البدنية والمنافع الدنيوية منقطعة، فالحب الذي يجلبانه منقطع لا محالة بانقطاعهما، ولما كان الخير المحض باقياً، كان الحب الذي يجلبه باقياً ببقائه، ولما بين تعالى توحيده والدلالة عليه ذكر بعد أن مع ظهور الآيات المنبئة عنها من الناس من يتخذ نداً لنفسه بحبه، ويراعيه مراعاة الله تعالى، ثم نبه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أن محبتهم لأناداهم منقطعة، فإن أسبابها المقتضية لها منقطعة، ومحبة المؤمنين له دائمة، إذ هو دائم، والند المشار سواء كان صنماً معبوداً أو رئيساً مخدوماً، أو مالاً منعقداً، أو إنساناً معشوقاً، فإن كل ذلك محبوب لمن يراعيه من وجهه ومعبود من وجهه، ثم بين بقوله: (ولو ترى)^(٢) ما أعد لهم من العذاب الأليم، فإذا قرئ بالياء، فإن ما بعده هو مفعول يرى وجواب "لو" محذوف، وقيل: إن القوة مفعول الفعل المحذوف الذي هو جواب^(٣)، كأنه قيل^(٤): لرأوا أن القوة لله جميعاً، وإذا قرئ بالتاء، فخطاب النبي على طريق التعظيم، ومعناه: أنك مع علمك بأحوال القيامة لو رأيت لتعجبت، وقوله: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾، قيل: هو بدل من الذين، وهو ضعيف^(٥) وقيل: هو مفعول الفعل المقدر^(٦) للجواب، وقيل: تقديره: لأن، وقد قرئ إن مكسورة^(٧)، ولا يكون إلا علة^(٨)، والمفعول محذوف.

١- ساقطة من (١ - ص).

٢- قرأ بهذا الوجه كل من نافع وابن عامر ويعقوب وشريح وقتادة وشيبة وابن شبيب والفضل بين شاذان، وقرأ (ولوي) بالتقليل والإمالة كل من حمزة والكسائي وأبي عمر وورش وابن ذكوان والسوسي والأزرق، انظر معجم القراءات القرآنية- ج: ١- ص ١٣١.

٣- في (١ - ص) جوابه.

٤- في (١ - ص) قال.

٥- ساقطة من (١ - ص).

٦- في (١ - ص) المقدم وهو تصحيف.

٧- قرأ بهذا الوجه كل من أبي جعفر ويعقوب والحسن وقتادة وشيبة وسلام، معجم القراءات القرآنية ج: ١ ص ١٣٢.

٨- في (١ - ص) عليه.

قوله عز وجل :

﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الدِّينِ أَتْبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾

الآية (١٦٦) - سورة البقرة.

السبب: أصله الحبل الذي تشد به (الخيم)^(١) ويرتقي به الشجر، ثم جعل عبارة عن كل ذريعة من مواصلة وذمة، والسبب والسببية للشقة من الثياب تشبيهاً به في الهيئة، وبعض الصنعة، وسببته في الأصل كناية معناه: أصبت سببه، وعنه سمي الإصبع سبابه، لكونها مشيرة بالسب، كما قيل لها مسبحة لإشاراتها بالتسبيح، وتقدير الآية: (إن الله شديد العذاب).

إذ تبرأ المتبعون من تابعهم، كقوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلٌ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٣)، وقوله: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٤)، وكما حكى عن الشيطان: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِي﴾^(٥)، وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(٦).

١- ساقطة من (١ - ص).

٢- سورة الأنعام: الآية (٩٤).

٣- سورة العنكبوت: الآية (٢٥).

٤- سورة الزخرف: الآية (٦٧).

٥- سورة إبراهيم: الآية (٢٢).

٦- سورة الشعراء: الآية (٨٨).

قوله عز وجل :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَكَّرْتُمْ بِهِمْ كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ الآية (١٦٧) - سورة البقرة .

الكر: هو العطف على الشئ بالذات، أو بالفعل ، وعبر به عن الجبل المعقول، والكرير: تكرر الحشجة في الصدر، والحسرة أصلها من حسرات القناع، وكأنها كشف ما غطى القصيرة من الهوى، وعلى ذلك:

تَحُلِي غِطَاءَ الرَّأْسِ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ

غِطَاءُ فَوَادِي يَنْجَلِي يَسْتَرِيحُ^(١)

ولما كان عند ذلك لغرض الندم والغم بما كان من الإنسان عبر به عنهما، فقليل أصابته حسرة، وقوله: كذلك أي كتبوا بعضهم من بعض يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وبين الله تعالى ما يظهرونه من الندم باتباع ما لا يغنى عنهم من الله شيئاً وينسيهم ما لا يجزي نفعاً، وقوله: أعمالهم دخل فيها [الأعمال التي فعلوها]^(٢) ولم يريدوا وجه الله بها، فضلت عنهم، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾^(٣) ، وقوله: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مُثْقَرًا ﴾^(٤) ، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالَهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾^(٥) ، ودخل فيها الأعمال التي فُرِضَتْ عليهم، فأحلوا بها، وعلى ذلك روي أن الجنة تُرفع لهم، فينظرون إليها، فيقال: تلك مساكنكم لو أطعتم الله عز وجل، وترفع النار لأهل الجنة فيقال لهم: تلك مساكنكم لو عصيتم الله عز وجل ..

١- لم أهدأ إلي قائله .

٢- ساقطة من (١ - ص) .

٣- سورة محمد : الآية (١) .

٤- سورة الفرقان : الآية (٢٣) .

٥- سورة النور : الآية (٣٩) .

قوله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

الآية (١٦٨) - سورة البقرة .

الحلال: من حلت العقدة، وهو الذي حل عنه عقدة الخطر، وحل بالمكان، أي حل عقد أحماله، كقولهم: حط رحله، وألقى أرواقه وحل الدين، أي حل عقد المطالبة، وحل من إحرامه، حل ما عقده على نفسه بالإحرام، وتحلة اليمين: ما تنحل به عقدة اليمين، والإحليل: لمخرج اللبن والبول لانحلال عقده، والطيب: ما تستطيبه الشهوة المستقيمة والعقول الصحيحة أما بالإضافة إلى الشهوة المستقيمة فهو ما يشتهي لا لاضطرار كالجرذ والفأر والحية والدم، أو لعادة سيئة كآكل الضب، ولهذا قال الشاعر:

إِنَّكَ لَوْ ذُقْتَ الْكِسْيَ بِالْجَبَادِ لَمَّا تَرَكْتَ الضَّبَّ يَعْدُو بِالْوَادِ^(١)

وكعادة المخنث والمائل إلى الذكور عن النساء، وأما بالإضافة إلى العقول الصحيحة، فما يكون متناولاً من حيث ما يجوز متبلغاً به إلى ما خُلق لأجله وأن لا يقصد به شرك كما يذبح على النصب والخبيث على العكس، والحلال أعم من الطيب، والحرام أعم من الخبيث، فقد يكون حراماً ما لا يكون خبيثاً في نفسه بالعقل كتحریم ما يقسم بالأزلام، واستعمال الذهب والفضة، ولبس الحرير على الذكور^(٢)، وجمع بين الحلال والطيب في الآية ليفيد ما استطابه الطبع وأباحه الشرع، ولما ذكر إباحة الطيب، وكان كثيراً ما يزين الشيطان لبعض الناس ما ليس بالطبع الصحيح طيباً، كعادة المخنث اتبعه بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ كقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ﴾^(٣)، وقد تقدم أن لا فرق بين أن يقال: "اتبع فلان"^(٤) الهوى "وبين: "اتبع الشهوة أو الشيطان أو الحياة الدنيا في أن

١- لم أمتد إليه .

٢- في (١ - ص) الذكران.

٣ - سورة ص : الآية (٢٦).

٤- ساقطة من (١ - ص).

المقصد [بجميع ذلك]^(١) متابعة ما يصد عن سبيل الله - عز وجل-، ونبه بقوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أن عداوته لا تخفى على ذي بصيرة، وهذا المعنى الذي أراده الشاعر وإن نقل اللفظ إلى الدنيا، حيث قال:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِبَيْبُ تَكَشَّفَتْ
لَهُ عَنْ عَدُوِّهِ ثِيَابُ صَدِيقٍ^(٢)

وقول آخر:

عَمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وَإِنَّهُ
لِمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ^(٣)

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية (١٦٩) - سورة البقرة.

السوء والفحشاء كل قبيح من نحو الزنا، والسرقة، والسكر^(٤)، والقتل، والخيانة، والكذب والحسد والجهل [وكل ما يقال له سوء]^(٥) يقال له فحش، لكن بنظرين مختلفين، فإنه سمي سوءاً لاغتمام العاقل به، والفحشاء بأن يستفحشه، ونبه تعالى بأن الشيطان داع إلى إتيان الشر والسوء والفحش والتقول على الله عز وجل، إن قيل: إن كان التقول على الله عز وجل بما لا يعلم من عمل الشيطان، فكيف يصح الحكم بغالب الظن في كثير من الأحكام، فإن عامة فروع الفقه مبنية على غلبة الظن، قيل: أما أولاً: فليس ذلك تقولاً على الله تعالى، وإنما ذاك تقول على أحكام، وقد فرق المتكلمون

١- ساقطة من (و - ج) .

٢- هذا البيت لأبي نواس وقبله .

وما الناس إلا هالك وابن هالك
ولو نسب في الهالكين مريق.

هذا البيت من قصيدة في الزهد مطلعها :-

أيارب وجه في التراب عتيق
ويارب حسن في التراب رقيق

وانظر ديوان أبي نواس - ص ٦٢١، تحقيق وضبط : أحمد عبدالمجيد الغزالي.

وقد أورده عبد الله بن خميس في كتابه : الشوارد - ج : ٢ - ص ٣٦٤، وأورده الراغب في كتابه : الذريعة إلى مكارم الشريعة -

ص ٣٣٢ ، وهو في ديوان أبي نواس - ص ٤٦٥ - ط : دار صادر - بيروت .

٣- قائل البيت هو أبو تمام وذلك كما في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيمن ج : ٤ ص ٩٦ .

٤- ساقطة من (١ - ص) .

٥- ساقطة من (١ - ص) .

بين الحكمة العلمية وبين الحكمة العملية وقالوا: كل ما كان من الحكمة العلمية، وهي التي لا عمل لها كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، فإنه لا يجوز إن يحكم فيه إلا بالعلم المصون عن الشوائب، وما كان من الحكمة العملية فأصولها كذلك، وأما فروعها: فيجوز الحكم فيها لغلبة الظن لتفسيح صاحب الشرع لنا في ذلك، فصار حكمنا فيه من هذا الوجه حكماً^(١) بالعلم، لأنه إذا قال لنا: إذا غلب في ظنك أن القبلة في هذا الجانب، فصل إليه، وإذا شهد عندك شاهدان مزكّيان فاحكم بشهادتهما صرنا عالمين بأن هذا الحكم واجب علينا في الظاهر، وهذه مسلمة قد أحكمت في أصول الفقه، وأما سؤال من سأل من المتكلمين في هذه الآية بأنه كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نسمع قوله ولا نرى شخصه، وما الحكمة في إيصال الله - عز وجل - أمر الشيطان إلى نفوسنا، فهذا وما يجري مجراه من الأسئلة سؤال من لم يتخط المحسوسات والموهومات إلى باب المعقولات، ومحال الاشتغال معه [بهذه الحرمات]^(٢).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الآية (١٧٠) - سورة البقرة .

نمهم الله بأنهم أبطلوا ما خص الله به الإنسان من الفكر والروية وركزه^(٣) فيه من المعارف، وذلك أن الله تعالى ميز الإنسان بالفكر ليعرف به الخير من الشر في^(٤) الاعتقاد والصدق من الكذب في المقال^(٥) والجميل من القبيح في الفعال لم يتحر الحق والصدق والجميل، ويتجنب أضرارها،

١- في (١ - ص) حكمنا .

٢- ساقطة من (و - ج)

٣- في (١ - ص) وركب

٤- في (١ - ص) ليعرف به الحق من الباطل.

٥- في (١ - ص) في المقال.

وجعل له من نور العقل ما يستغنى به فيدله على معرفة مطلوبه، فلما حث الناس على تناول الحلال الطيب، ونهاهم عن متابعة الشيطان بين حال الكفار في تركهم الرشاد واتباعهم الآباء والأجداد، ليحذر من الاقتداء بهم تاركين استعمال الفكر الذي هو صورة الإنسان [وحقيقته]^(١)، ثم قال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ أي يتبعونهم وإن كان آبائهم جهلة- تنبيهاً أنه محال اتباع من لا عقل له ولا اهتداء..

إن قيل: ما فائدة الجمع بين قوله: (يعقلون، ويهتدون) وأحدهما يغنى عن الآخر؟

قيل: قد تقدم أن العاقل يقال على ضربين، أحدهما: لمن يحصل له القوة التي بها يصح التكليف، والثاني: لمن يحصل له العلوم المكتسبة وهو المقصود ههنا، والمهتدي قد يقال لمن اقتدى في أفعاله بالعالم وإن لم يكن مثله في العلم، فبين أنهم لا يعقلون^(٢) ولا يهتدون، بعالم ووجه آخر، وهو أن يعقل ويهتدي وإن كان كثيراً ما يتلازمان، فإن العقل يقال بالإضافة إلى المعرفة، والاهتداء بالإضافة إلى العمل، فكأنه قيل: لا علم لهم صحيح ولا عمل مستقيم.

١- ساقطة من (و- ج).

٢- في (و- ج) لا يعلمون.

قوله - عز وجل :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَقُّ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً مِمَّنْ بِكُمْ عَمِيَ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

الآية (١٧١) - سورة البقرة.

النداء من قولهم: ندي^(١) الصوت، أي: غَضُ الصوت، وأصله من الندى، فناداه، أي: دعاه بندي صوته، ولما حكى الله عنهم ما زعموا أنهم يتبعون آباءهم دل على جهلهم بأنهم كأغنام يُنعق بهم، فلا يعرفون مغزى الصوت ولا قصد المنادي، وقد تقدم الكلام في قوله ﴿ مِمَّنْ بِكُمْ عَمِيَ ﴾^(٢)، إن قيل: كيف يكون مثلهم مثل الناق والذين كفروا بالمنعوق به أشبه، والذي ينطق بالمنادي، والداعي أشبه قيل: التشبيه^(٣) ضربان، تشبيه مفرد بمفرد، وحقه أن يحمل أحدهما على الآخر [نحو زيد كأسد، وتشبيهه جملة بجملة]^(٤) ولا يراعي فيه مقابلة الألفاظ المفردة، فلما شبه قصة الذين كفروا^(٥) في إعراضهم عن الداعي^(٦) لهم إلى الحق بقصة الناق، [قدم ذكر الناق ليبين^(٧) عليه ما يكون منه، ومن المنعوق به، وعلى هذا قوله ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾^(٨)، وقوله: ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَمْلَكَتْهُ ﴾^(٩)، وقيل: عنى بالذين كفروا المتبوعين لا التابعين، ومعناه: مثل الذين كفروا في دعائهم أتباعهم كمثل الناق بالغنم [الذي لا يسمع لها الصوت]^(١٠) ..

١ - في (أ - ص) ندا .

٢ - سورة البقرة : الآيتان (١٨ ، ١٧١) .

٣ - في (أ - ص) الشبه .

٤ - ساقطة من (أ - ص) .

٥ - في (أ - ص) الكافرين .

٦ - في (و - ج) الراعي وهو تصحيف .

٧ - ساقطة من (أ - ص) .

٨ - سورة البقرة - الآية (٢٦١) .

٩ - سورة آل عمران - الآية : (١١٧) .

١٠ - ساقطة من (أ - ص) .

قوله - عز وجل :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ .
الآية (١٧٢) - سورة البقرة.

إن قيل: ما فائدة إعادة هذا المعنى وقد تقدم آنفاً^(١)؟ وما الفرق بين هذا الخطاب والخطاب الأول؟ قيل في ذلك لطيفة وإشارة عجيبة، وذلك أنه حيث خاطب الناس كافة قال: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً﴾^(٢)، فأباح لهم ذلك، ونبه أنه لم يحظر^(٣) عليهم إلا تناول المحرم، وعقبه بالنهي عن اتباع الشيطان، وجعل الخطاب في هذه الآيات مخصوصاً^(٤) بالمؤمنين وأمرهم أن لا يتوسعوا^(٥) في تناول ما رزقوا، بل يتحروا من الطيب تحري الناس مما في الأرض، وأنه في الأول بالتحذر عن خطوات الشيطان، وهو الارتسام له فيما يتخطى به عن المباح، وأمر ههنا بالشكر لله تعالى الذي هو أرفع منزلة في العبادة على ما تقدم ذكره، ونبه بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إن عبادته لا تتم إلا بشكره..

قوله - عز وجل :
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية (١٧٣) - سورة البقرة .

الإهلال: أصله وجود الهلال، ولما جرت العادة أن يكبروا عند رؤيته سمي التكبير إهلالاً، بل قيل لرفع الصوت أيضاً إهلال تشبيهاً بذلك حتى قيل: أهل الصبي، وأما التهلل فظهور الهلال، فتارة يتصور لمعانه، فيقال: تهلل السحاب، وتهلل وجهه، وتارة يتصور شكله، فيقال: تهلل البعير إذا تقوس.

١- ساقطة من (أ-ص).

٢- سورة البقرة الآية (١٦٨).

٣- في (و - ج) يحطه، وهو خطأ من الناسخ.

٤- في (أ - ص) خطاباً.

٥- في (أ-ص) أن يتوسعوا، وهو خطأ من الناسخ.

إن قيل:

لم ذكر تعالى بعض المحرمات وترك بعضها؟

قيل: في ذلك جوابان، أحدهما: أن المسكوت عنه هو تفصيل الميتة، وقد ذكر ههنا الميتة المستوعبة^(١) لكل مامات روحه عن غير ذكاة، والثاني: أنه لما كان القصد في هذه الآية حكم تناول المضطر دون استيعاب المحرمات، ذكر الكل^(٢) منها وترك البعض، والباغي في الأصل الطالب لما ليس له طلب والعادي: المتجاوز لما رسم له بالشرع، وقال الحسن وقتادة والربيع وابن زيد: عني بقوله: (غير باغ) غير متناول للذة، ولا عاد في المعصية طريق المحقين، وإلى نحوه ذهب الشافعي - رحمه الله عليه، والظاهر يشهد له، لأن قوله: (غير باغ ولا عاد) متعلق بحال الاضطرار، فكأنه قال: "من حصل له اضطرار" لا على أحد هذين الوجهين، وعلى الأول تقديره: فمن اضطر فأكل غير باغ ولا عاد فيكون غير متعلق بمقدر محذوف، ومن أنكر ذلك وقال: إنكم تأمرونه بقتل نفسه إذا خطرتم ذلك عليه، وقتل نفسه^(٣) محرم عليه عاصياً كان أو مطيعاً، فجوابه إنا لم نأمره بذلك، بل أمرناه بأن يخرج عن الحالة التي تكون الميتة محرمة عليه، وذلك بأن يتوب [وينزع عما هو عليه]^(٤) وإلا كان متناولاً لمحذور^(٥) كما أن سفره محذور، فإن قيل: أليس من سفره طاعة؟ إنما أجل له للإضطرار، لا للطاعة، فإذن العلة هي الضرورة، فيجب أن تكون مطردة، قيل: بل العلة هي الضرورة مع حصول الطاعة، فقد قال الحكماء وهو الصحيح: إن الله تعالى جعل للإنسان طيبات الرزق بشرط الإيمان، ولهذا قال: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٦)، خالصة يوم القيامة فما أخذه الكفار من نعيم الدنيا، فإنما يأخذه اغتصاباً في الحقيقة، ولذلك قد تستقيم أحوالهم، والآية تقتضي أن المضطر مخير في تناول أيها يريد وهو

١ - في (أ - ص) المشتبهة على كل مامات.

٢ - في (أ - ص) ذكر الجزء.

٣ - في (أ - ص) النفس.

٤ - ساقطة من (و - ج).

٥ - في (أ - ص) متناولاً محظوراً.

٦ - سورة الاعراف: الآية: (٣٢).

الصحيح، لأن عليه انقاذ روحه بجهد، فما رآه أقرب إلى إبقائه، فهو أولى بتناوله، واختلف إذا اضطر إلى شيء من ذلك في دواء لا يسد غيره مسده، هل يجوز تناوله؟

والصحيح أنه يجوز لليلة التي لها أجزيت تناوله للجوع، وكذا الخمر إذا اضطر إليها^(١) في دواء بحكم الأطباء أنه لا يسد غيره مسده، وأنه يفوت روحه إن لم يتناولها، قوله عليه السلام:-

(إن الله - عز وجل لم يجعل شفاعكم فيما حرم عليكم)^(٢)، فمعناه: إن قد رما فيه الشفاء غير محرم عليه، وعلى هذا نبه بالرخصة في شرب أبوال^(٣) الإبل.

قوله - عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية (١٧٤) - سورة البقرة.

البطن به شُبّه بطن الأمر وبطن الوادي، والبطن من العرب اعتباراً بأنهم كشخص واحد، وأن كل قبيلة منهم كعضو بطن وفخذ وكامل، وعلى هذا الاعتبار قال الشاعر:

النَّاسُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الْهُدَى رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ^(٤)

وقيل: بطن إذا عظم بطنه نحو جَسُمَ وكَبُرَ، وبَطْنَتَه عَظُمَت بطنه، وسمي ما يُشَدُّ عليه بطاناً.

على بناء حرام وزمام والإبطن عرق تكشف البطن على بناء الأكحل، وأعاد الله تعالى وعيد كاتمي

١ - في (أ - ص) إليه.

٢ - الحديث رواه القرطبي في تفسيره ج: ١ ص ٧١٨، وأورده البيهقي في سننه - ج: ١٠ - ص ٥، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري - ج: ١٠ - ص ٢٤٧، ٧٩، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم: ٢٨٣١٩، ٢٨٣٢٧، وأورده السيوطي في جمع الجوامع - حديث رقم: ٤٩٦١.

٣ - في (أ - ص) بول.

٤ - البيت لعلي بن جبلة العكوك في حميد الطوسي، وهو في ديوانه ص ٧٤، وفي عقد الخلاص في نقد كلام الخواص لابن الحنبلي ص ٢٠، وذيل أمالي القالي ج: ٣ - ص ٩٦ والأغانبي ج: ١٨ - ص ١١٣، وله قصة فيه، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ١٣٠.

أحكامه أثر ما ذكر من الأحكام، ومالم يقل ذلك من أهل الكتاب وتحذيراً لهذه الأمة أن يسلكوا سبيلهم وأكل النار تناول ما يؤدي إليها، وذكر الأكل لكونه المقصود الأول بتحصيل المال، وسماه بالمال الذي هو النار، وذكر في بطونهم تنبيهاً على شرهم، وتقبيحاً لتضييع أعظم النعم لأجل المطعم الذي هو أحسن متناول من الدنيا، وعلى ذلك قال الشاعر:

ودع عنك عمراً إن عمراً مسالماً وهل بطنٌ عمرو غير سبٍرٍ لمطعمٍ؟^(١)

وقال آخر :

كلُّوا في بعض بطنكم تعفُّوا^(٢)

وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٣).

ويقوله: "ولا يكلمهم" لم يعن^(٤) نفي الكلام رأساً، فقد قال: ﴿فَلَنَسْفَعُنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾^(٦)، وإنما أراد كلاماً يقتضي جدوى، ولهذا قال الحسن:

معناه يغضب عليهم تنبيهاً أنهم بخلاف من قال فيهم: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾^(٧)، وقيل:

حقيقة كلمته حملته على الكلام نحو: حركته وخرجته، لأن من كلمته فقد استدعيت كلامه، فكأنه قيل: لا

١ - لم أمتد إليه.

٢ - هذا شطر بيت وتامه : كلو في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلوها، وأنشده سيبويه في ج: ١-ص ١٠٨، كما أورده البغدادي في خزائن الأدب ج: ٣ : ص ٣٧٩ وهو في شرح ابن يعيش ج: ٦-ص ٢٢ وفي المقتضب ج: ٢-ص ١٧٢، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ج: ٣-ص ٨٩، وفي المحتسب ج: ٢-ص ٨٧، وفي الفصل ٩٣ والأمالى الشجرية ج: ١-ص ٣١١ والمدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى لأبي النصر السمرقندي الحدادي ص ١٣٧.

٣ - سورة النساء : الآية (١٠).

٤ - في (و - ج) لم يلعن وهو تحريف.

٥ - سورة الاعراف : الآية (٦).

٦ - سورة الكهف : الآية (٥٢).

٧ - سورة الاحزاب : الآية (٤٤).

يستدعي كلامهم نحو قوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾^(١)، وقد تقدم الكلام في الاشتراء والقليل والتزكية.

قوله - عز وجل:
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

الآية (١٧٥) - سورة البقرة .

الضلالة والعذاب يتلازمان، وكذلك الهدى والمغفرة، لكن الضلال^(٢) والهدى يقالان على الاعتبار بالدنيا، والعذاب والمغفرة على الاعتبار بالآخرة، وجعل تعاطيهم لما يؤديهم إلى النار بمنزلة الصبر على النار، وهذا معنى قول الحسن: ليس صبرهم على النار، ولكن أراد ما أجرأهم على النار، وقول أبي عبيد^(٣):

إن ذلك لغة "يمانية" بمعنى الجرأة، واحتجاه بقول الأعرابي الذي قال لخصمه:

«ما أصبرك على الله؟، فتصور المجاز بصورة الحقيقة؛ لأن ذلك معناه: ما أصبرك على عذاب الله، وإلى هذا يعود قول من قال: ما أعملهم بعمل أهل النار! ^(٤) وما ألقاهم على النار، وقد يوصف بالصبر من لا صبر له اعتباراً بالناظر إليه وتصوراً أنه صابر، واستعماله لفظ التعجب في ذلك اعتباراً بالخلق لا بالخالق..

١ - سورة المرسلات : الآية (٣٦).

٢ - في (و - ج) الضلالة وهو تصحيف.

٣ - انظر : مجاز القرآن ج : ١ ص ٦٤، ومعاني القرآن - للفراء - ج : ١ - ص ١٠٣.

٤ - انظر معاني القرآن وإعرابه - للزجاج - ج : ١ - ص ٢٤.

قوله - عز وجل :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾

الآية (١٧٦) - سورة البقرة .

ذلك إشارة إلى كل ما تقدم من العذاب والحكم والضلال، أي ذلك ^(١) بسبب إنزاله الكتاب واختلافهم فيه، ويصح أن يكون نصباً، أي فعلنا ذلك "بأن الله"، وأصل الاختلاف التخلف عن المنهج، وقيل: اختلفوا: أتوا بخلاف ما أنزل الله، وقيل: اختلفوا بمعنى خلفوا، نحو كسبوا واكتسبوا، وعملوا واعتملوا، أي صاروا خلفاً فيه نحو: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ ^(٢) ورثوا الكتاب، والشقاق قد تقدم ذكره، ووصفه ببعيد تنبيهاً على بُعدهم من الحق ^(٣) .

قوله - عز وجل :

﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الآية (١٧٧) - سورة البقرة .

الرقبة: أصل العنق، ويعبر بها عن الجملة كما يعبر عنها بالرأس والظهر والرجل واليد، ويعبر بها عن المملوك، وقيل رقبته: إذا أصبت رقبته إما بالسلاح، وإما بالعين ناظراً إليه، ثم سمي المراعي للغير رقيباً، والخطاب في هذه الآية للكفار والمنافقين الذين أنكروا تغيير القبلة، وقيل: بل لهم وللمؤمنين، حيث قدروا أنهم نالوا البر كله بالتوجه إليها، ولما كانت القبلة أحد أركان الصلاة، والصلاة إحدى فعلات البر، بين تعالى أن ليس البر بمقصود على هذا الذي تعتبرونه، بل هو حملها، والقبلة

١ - ساقطة من (و - ج) .

٢ - سورة مريم : الآية (٥٩) .

٣ - في (١ - ص) من الخلق، وهو تصحيف.

ركنٌ من أركان واحدة منها، ثم عدها وذكر جملتها وفرائضها ونوافلها وبيان [ذلك أن جميع البر ضربان: اعتقاد، وأعمال، فالاعتقاد^(١) أصوله الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والأعمال ضربان: أحدهما ما يأخذ الإنسان به نفسه في معاشرة الناس من الأقارب والأباعد من ذلك المعروف والمواساة والتحبب إليهم بالسر والقول الحسن.

والثاني: ما يتخصص به في نفسه من إقامة العبادات واسبتعمال الصدق والوفاء والتواضع والصبر، وقد نبه الله عز وجل - على جميع ذلك بهذه الآية، إما على الاعتقاد فبقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾، وإما على ما يأخذ به الإنسان نفسه في معاشرة الناس فبقوله: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، فإنه ذكر الجود الذي هو من وجه أفضل هذه الأفعال، ومن وجه هو كل هذه الأفعال، فإن الجواد كما يتبرع بماله يتورع عن مال غيره، وكما يجود بماله، يجود بجاهه وبطلاقة وجهه، وعند الحقيقة - بنفسه، ودل على ما تخصص به في نفسه بقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ إلى آخر الآية، وكل ما سكت عنه فداخل تحت ما ذكره، أو منبه عليه، ونبه أن الآيتين بذلك بر، وهو المؤدي إلى النعيم المدلول عليه بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(٢)، وبين تعالى بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ أن الذين تحروا ذلك إذا اعتبرتهم بأفعالهم وأقوالهم فهم الذين صدقوا، وإذا اعتبرتهم بأفعالهم وأحوالهم فهم المتقون، والصدق والتقوى وإن اختلفت حقيقتاهما فهما متلازمان، إن قيل:

ما وجه قوله -عليه السلام- لما سأله أبو ذر عن البر، وتلا عليه الآية، ولما سأله وابصه عنه: قال "ما أطمأن إليه القلب، واطمأنت إليه النفس"^(٣) الخبر قيل إن أبا ذر سأله عن ذات البر، فبينه بالآية، ووابصه سأله عن كيفية تحريره والاشتياق من نفسه في تعاطيه، فبينه بصفته.

١ - سقطت هذه العبارة من الناسخ في (١ - ص).

٢ - سورة الانفطار : الآية (١٣)، وسورة المطففين : الآية (٢٢).

٣ - الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج: ٤ ص ٢٢٨ من حديث وابصة بن معبد، وفيه « ياوابصة : استفتت نفسك ، البر ما أطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس » كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور ج: ٢- ص ٢٥٥ وأورده الطحاوي في مشكل ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في البر والإثم ما هما ؟ -ج: ٣- ص ٣٤، ص ٣٥ وأورده المنذري في الترغيب والترهيب ج ٢- ص ٢٥٧، وهو في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر- ج ٣- ص ٢١٢ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠- ص ١٧٥، ص ٢٩٤.

إن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: (ولكن البر بر من آمن)، أو: (البار من آمن) ليتطابقا؟

قيل: قد ذكر النحويون في هذا وأمثاله أنه على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ولكن وجه فائدته أنه إذا قيل "زيد بار"، فإنه يعتبر في قولك: بار سيات الذات، والصورة والمختص بها من معنى البر، وإذا قيل: "زيد هو البر"، ففيه مبالغة، وأنه صار لاختصاصه بهذا المعنى بحيث لا يرى منه إلا هذه الصورة مجردة عن العنصر الذي يجوز أن يتصور بغيره من الصور، وعلى هذا كل ما في معناه، نحو زيد أقبل^(١) وأدبر، وأكل وشرب، وقوله: ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ أي على حب المؤمن، فيكون مضافاً إلى الفاعل، وقيل: "على حب المال"، ويكون مضافاً إلى المفعول، ونبه بذلك أنه يبذله مع فرط الحاجة إليه نحو قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٣)، وسئل - عليه السلام - أي الصدقة أفضل؟

فقال: «أَنْ تَتَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَحِيحٍ تَأْمَلُ الْعَيْشَ وَتَخْشَى الْفَقْرَ»^(٤)، وقيل: تقديره: على حب

الإيثار، وذلك أن المحمّدة التامة لم تهتز لإعطاء المال وتحب ذلك كما قال الشاعر:

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَالْخَوْ
فَ وَلَكِنْ يَلْذُ طَعْمَ الْعَطَاءِ^(٥)

وقيل: على حب الله أي يقصد به القرية لا طلب رياء ولا ثواب كما قال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ

اللَّهِ﴾^(٦)

١ - في (و - ج) إقبال وإدبار.

٢ - سورة الحشر: الآية (٩).

٣ - سورة آل عمران: الآية (٩٢).

٤ - الحديث أورده أبو داود في الوصايا ص ٣ وأورده النسائي في الزكاة ص ٦٠ وأورده ابن ماجه في همنه باب الوصايا ص ٤،

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة والثوري عن منصور عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (وأتى المال على حبه) «أَنْ تُعْطِيَهُ وَأَنْتَ صَاحِبُ تَأْمَلُ الْعَيْشَ وَتَخْشَى الْفَقْرَ»، ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،

وأورده ابن كثير في تفسيره من رواية وكيع بسنده إلى ابن مسعود موقوفاً - ج: ١ ص ٢٠٨.

٥ - لم أمتد إليه .

٦ - سورة الإنسان: الآية (٩).

إن قيل: لم قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ﴾ ولم يقل: ووفى كما قال: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ ليكون الكلام على نسق واحد؟

قيل: ذلك لأمرين: أحدهما اللفظ، وهو أن الصلة متى طالت كان الأحسن أن يعطف على الموصول دون الصلة لئلا يطول^(١) فيقبح، والثاني: أنه ذكر في الأول ما هو داخل في حيز الشريعة، وغير مستفاد إلا منهما، فالحكمة العقلية تقتضي العدالة دون الجود، ولما ذكر الوفاء بالعهد وهو مما يقتضي العقول المجردة، صار عطفه على الأول أحسن.

إن قيل: ولم نصب الصابرين؟ قيل: قد ذكر النحويون أن الصفات للمدح والذم إذا توالفت قد يخالف بين إعرابها، وأنشدوا في ذلك:

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ
وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدِ الْأَزْدِ^(٢)
إلى أبيات آخر..

وفائدة ذلك أنهم إذا أرادوا أن كل واحد من تلك الأوصاف يستقبل بمدح أو ذم عظيم لو تجرد عما معه خالفوا بين إعرابها تنبيهاً على هذا المعنى، ولما كان الصبر من وجه مبدأ الفضائل [ومن وجه جامعاً للفضائل]^(٣) إذ لا فضيلة إلا وللصبر فيها أثربليغ ولا يتم حسننها إلا به حتى روي:

«الصَّبْرُ خَيْرٌ كُلِّهِ» قوله: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد)^(٤) عن إعرابه تنبيهاً على هذا المقصد، واستوعب بقوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ أنواع الصبر، لأنه إما

١- في (و-ج) تطول.

٢- البيت للخرنق بنت هفان، وهي شاعرة جاهلية، وقوله:

لا يبعدن قومي الذين همَّ سَمَّ العداة وأفة الجزر

وذلك كما في ديوانها ص ٢٩ وفي الكتاب لسيبويه ج: ١-ص ١٠٤، وفيه (النازلون)، وتلويل مشكل القرآن-لابن قتيبة- ص ٣٨، وتفسير

الطبري ج: ١-ص ١٤٦، وشرح شواهد الشنتمري ج: ١-ص ١٠٤، وأمالى ابن الشجري ج: ١-ص ٢٤٤، والمحاسب لابن جني

ج: ٢-ص ١٩٨، وخزانة الأدب - للبغدادي - ج: ٢-ص ٣٠١.

٣- ساقطة من (أ-ص).

٤- الحديث رواه الديلمي عن أنس - رضي الله عنه -، وأورده أحمد ضياء الدين في باب: الصبر في كتاب: راموز الأحاديث -

ص ٢١٧.

٥- في (و-ج) غير.

أن يحتاج إليه في مقتنى يقوت الإنسان، أو يريده فلا يناله، وهو البأساء أو فيما ينال جسمه من ألم وسقم وهو الضراء، أو في مدافعة مؤذيه له وهو اليأس.

إن قيل: كيف قدم ههنا ذكر الآخرة وأخره في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١)

قيل: يجوز أن يكون ذاك مع الواو لا يقتضي الترتيب من أجل أن الكافر لا يعرف الآخرة ولا يعني بها وهو أبعد الأشياء عن الحقائق عنده آخر ذكره، في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ﴾.

ولما ذكر حال المؤمنين، والمؤمن أقرب الأشياء إليه أمر الآخرة وكل ما يفعله ويتحراه يقصد به وجه الله ثم أمر الآخرة قدم ذكرها تنبيهاً أن مراعاة الله - عز وجل - ومراعاة الآخرة، ثم مراعاة غيرهما إن قيل: كيف اختير الترتيب المذكور في قوله: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ قيل: لما كان أولى من يتفقده الإنسان بمعرفته أقاربه، ولهذا قال عليه السلام: «لا يقبل الله صدقةً من رجلٍ محتاج»^(٢)، كأن تقديمها أولى، ثم أعقبه^(٣) باليتامى، فالناس في المكاسب ثلاثة:

معيل غير معول، ومعول معيل، ومعول غير معيل، واليتيم معول غير معيل، فمواساته بعد الأقارب أولى، ثم ذكر المساكين، وهم الذين لا مال لهم حاضراً ولا غائباً، ثم ذكر ابن السبيل الذي قد يكون له مال غائب، ثم ذكر السائلين الذين منهم صادق وكاذب، ثم ذكر الرقاب الذين لهم أرباب يعولونهم فكل^(٤) واحد ممن أخر ذكره أقل فقراً ممن قدم عليه^(٥).

١- سورة النساء - الآية: (١٣٦).

٢- لم أجد هذا الحديث، ولكنني وجدت قريباً من معناه في الحديث الذي أورده ابن كثير بلا إسناد في تفسيره للآية حيث قال: وقوله: (نوبي القريب) وهم قرابات الرجل، وهم أولى من أعطي من الصدقة كما ثبت في الحديث: (الصدقة على المساكين صدقة، وعلى نوبي الرحم اثنتان: صدقة وصلة، فهم أولى الناس ببرك وإعطائك). تفسير القرآن العظيم - ج: ١ - ص: ٢٠٨ - ط: دار الفكر العربي.

٣- في (و-ج) عقبه.

٤- في (أ-ص) بكل.

٥- في (أ-ص) ممن قدم ذكرها.

قوله - عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآية (١٧٨) - سورة البقرة .

القص: قطع الشيء على سبيل الاجتزاد^(١)، ومنه قص شعره، وقص أثره، وقص الحديث اقتطع كلاماً حادثاً حذف غيره، والقصة اسم منه، وحقيقة القصاص أن يفعل بالقاتل، والجرح مثل ما فعلا، واعتبر الشافعي ومالك صورة الفعل حتى إن من رضخ رأس غيره بالحجر كان القصاص مثله، لكن مالكا يقول إنه يفعل به ذلك الفعل حتى يموت، والشافعي يقول: «إن لم يموت من مثل فعله^(٢) قتل بالسيف»، ومن الفقهاء يعتبر المماثلة في القاتل والمقتول، فلا يقتل القاتل الحر بالعبد والمسلم بالذمي، والاختلاف^(٣) أنه يعتبر في بعضهم^(٤) كالمستأمن والكتابة يعتبر بها عن الإيجاب، وأصل ذلك أن الشيء يراد، ثم يقال، ثم يكتب فيعبر عن المراد الذي هو المبدوء^(٥) بالكتابة التي هي المنتهى إن قيل على من يتوجه هذا الوجوب؟.

قيل: على الناس كافة، فمنهم من يلزمه استيفاءه وهو الإمام إذا طلبه الولي، ومنهم من يلزمه تسليم النفس وهو القاتل، ومنهم من يلزمه المعاونة أو الرضا به، ومنهم من يلزمه أن لا يتعدى، بل يقتص أو يأخذ الدية، والقصد بالآية منع التعدي، فإن أهل الجاهلية كانوا يتعدون في القتل، وربما لا يرضى أحدهم إذا قتل عبد غيره لا يقتل حر^(٦) ..

١ - في (و - ج) الاحتذاء.

٢ - في (أ - ص) من ذلك الفعل.

٣ - في (و - ج) ولا خلاف.

٤ - في (و - ج) في بعض.

٥ - في (١ - ص) المبدأ.

٦ - في (و - ج) إذا قتل عبد عبده إلا بحر.

وقوله: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾..

من القاتل، وأخوة ولي^(١) المقتول، ومعناه : من ترك له أخوه الذي هو ولي الدم شيئاً من القصاص فليتبع في المطالبة بالدية المعروف، وليؤد إليه القاتل بإحسان..

إن قيل: لم قال: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ ولم يقل: "فمن عفا له أخوه شيئاً؟".

قيل: العدول إلى هذا البناء^(٢) للطفة، وهي أنه لا فرق بين أن يكون صاحب الدم واحداً، فعفا أو جماعة فعفا واحد منهم^(٣) أنه يبطل حق القصاص ويعدل حينئذ إلى الدية، فقال: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ﴾ ليدل على هذا المعنى، وقيل: فاتباع: هو أمر للعافي بحسن المطالبة، والهاء في قوله: أخيه، يجوز أن يكون للمقتول، ويكون لولي المقتول وجعله أخاً لولي الدم لا للنسبة ولا للموالة الدينية، ولكن للإحسان الذي أسداه إليه وأجرى العهد مجرى الخطأ في الرضا منه بالدية، وقوله: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ أي خفف عنكم إذ جعل لكم الخيار في الحكمين، وقال بعضهم لم يكن العفو في أمة قبل هذه الأمة، وقوله: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى﴾ أي من تجاوز المشروع قاتلاً كان أو ولي المقتول فإنه معاقب..

قوله - عز وجل :

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الآية (١٧٩) - سورة البقرة.

قوله: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ كقول العرب: القتل أنقى للقتل، وذلك أنه يصير سبباً للارتداع، وقال الجاحظ: تأويله أن العرب كانت تمتنع من تسليم القاتل إلى ولي المقتول خشية أن يقل عددهم، فقال الله تعالى: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي إذا دفعتموه كثر عدوكم، لأن الله تعالى ينمي كل قوم كثر فيهم القتل، ولهذا كثرت العلوية وقل العباسية، ولهذا قيل: السيف منماه فما تسلط^(٤) على قبيلة إلا كثر عددهم، وقيل إن في ذلك حياة القاتل في الآخرة فإنه^(٥) يُرجى له الغفران، قال: وعلى هذا ما روي أن

١ - في (و - ج) وآخره لولي الدم.

٢ - في (أ - ص) العدول لذلك.

٣ - في (أ - ص) أحدهم.

٤ - في (أ - ص) يسلط.

٥ - في (أ - ص) لا يرجى.

الحدود كفارات لأهلها، وذلك بشرط أن يكون توبة، فالتوبة حق الله، والقصاص حق الأدمي، فإذا تاب^(١) واقتصر منه فقد خرج من الذنوب ويرجى له الغفران، فقلوه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على التفسير الأول أي لعلكم تردعون عن القتل، وعلى الثاني: لعلكم لا تتحاشون من ترك القاتل والانقياد^(٢) للقصاص.

قوله - عز وجل :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الآية (١٨٠) - سورة البقرة.

الخير ههنا المال قليلاً كان أو كثيراً، وقال بعض الناس: الخير لا يتناول إلا الكثير مستدلاً بأن علياً - رضي الله عنه دخل على مولى له في موضعه، فقال: ألا أوصي وله سبع مائة أو ستمائة، فقال: لا، إنما قال - عز وجل (إن ترك خيراً)، وليس لك مالٌ كثيرٌ..

إن قيل: كيف سمي المال خيراً مطلقاً وقد قيل إن المال ليس خيراً مطلقاً حتى يراعي حال صاحبه، فربما كان شراً له، وعلى هذا ذم الله تعالى في عام القرآن، وسماه تارة فتنة وتارة عدواً..

قيل: إن المال كما يكون خيراً قد يكون شراً، لكن جعل الله تعالى ههنا خيراً تنبيهاً على أن الوصية يستحب في المال الطيب دون الخبيث والمغصوب، فإن ذلك يجب رده إلى أربابه ومما تم بالوصية فيه، وقيل: هذه الآية منسوخة، فالإيجاب نسخ مما حمله، والوصية للوارث إيجاباً وندباً، والناسخ لها عند الشافعية آية الميراث .

١- في (أ-ص) فإذا مات.

٢- في (أ-ص) والإهدار للقصاص.

وعند بعضهم قول النبي عليه الصلاة والسلام: « **لَا وَصِيَّةَ لِرِوَارِثٍ** »^(١)، وقال بعض الناس: لا نسخ فيها، لأن معنى كتب كقوله: أريد وشرع، وما يراد ويشترع قد يكون ندباً وإيجاباً، وقوله: الوصية للوالدين والأمر بين وإن اقتضى عموماً فإنه مخصوص بقوله - عليه السلام - « **لَا وَصِيَّةَ لِرِوَارِثٍ** » فصار ذلك للوالدين الكافرين أو المملوكين والأقارب الذين ليسوا بورثة، وتخصيص الآية في "هو" لا كتخصيصها فيما فوق الثلث والثلث كثير، وقال طاوس: "إن أوصي لغير ذي قرابة لا يجوز احتجاجاً، وظاهر الآية لا يقتضي ذلك..

قوله - عز وجل :

﴿ **مَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُدْلُوهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾

الآية (١٨١) - سورة البقرة .

أريد من بدل ذلك ولم يقل بدلها، وإن ما تقدم ذكر الوصية لكن يتناولها وغيرها من متعلقاتها، والهاء في "إثمه" للتبديل ومن : عام في الوصي والموصي له، والشاهد والحاكم وكل من له مدخل في ذلك إذا غير شيئاً بعدما سمعه أي علمه، فإن إثم ما يجري في ذلك راجع إليه تنبيهاً على ما قاله - عليه السلام: (**مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزَرُهَا وَوَزِدَ مَنْ عَمِلَ بِهَا**)^(٢)

وأعظم ذلك ما لا يعرف المستن جود السان لها، كمن ادعى على صاحب الشرع خبراً يتعلق به

١- الحديث أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم: ٢١٢٠، ٢٢٢١، وأورده البيهقي في سننه - ج: ٦ - ص ٨٥، ٢٤٤، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٤ - ص ١٨٦، ١٨٧، ٢٣٨، وأورده الدارقطني في سننه ج: ٤ - ص ٧٠، ٩٨، ٩٧، وأورده النسائي في سننه في كتاب الوصايا - باب ٥ - ج رقم: ٢٧١٣، ٢٧١٤.

٢- الحديث عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». أخرجه مسلم، وله قصة، باب الزكاة برقم: (١٠١٧)، وأخرجه أحمد في مسنده ج: ٤ - ص ٣٦٢، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٤٥٨، ٨٦٧.

حكم، فيعتمد عليه الناس بعده، وإنما قال: ﴿عَلَى الَّذِينَ يُدْثِرُونَهُ﴾ ولم يقل عليه، ليبين أن إثمه للتبديل لا لغيره، ونبه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أن ذلك وإن خفي على الناس، فلن يخفى عليه تعالى، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

قوله - عز وجل :

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسِرٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الآية (١٨٢) - سورة البقرة .

جنف وخيف يتقاربان، لكن جنف استعمل للميل إلى الخير، وخيف في الميل إلى الجور، وخاف يقاربه، إلا أن أكثر ما يقال في الحاكم وخيفه أن يوصي^(١) لإنسان والمراد لغيره، كما قال طاووس: الخيف: التولج نحو أن يوصي الرجل لابن الابن ليوصل المال إلى أبيه أو لزوج ابنته ليوصله إليها، أو يخص في حيث يجب العموم، أو يعم حيث يجب الخصوص، وقوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي بين القوم الذين لهم مدخل في ذلك من الورثة والموصى لهم،^(٢) وجاز إضمارهم لدلالة الكلام على ذكرهم.

إن قيل: كيف قال: ﴿جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ والجنف هو الإثم؟ قيل: قد قال الربيع: الجنف في الخطأ، والإثم في العمد، وقيل: الإثم: ما يكبر^(٣) معصيته، والجنف ما دون ذلك، وخوفه هو أن يبدو^(٤) له أمانة تقتضي حصول ذلك، ولا فرق بين أن يخاف منه ذلك، قبل موت^(٥) الموصى فيرشده، أو بعد موته فيصلحه، وليس الإصلاح بمقصود على إيقاع الصلح دون استعمال الصلاح، بل يتناولهما^(٦)، وإنما قال: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لأنه لما خوف في الآية الأولى من تغيير الوصية بين أن النهي عن تغييره فيما لا

١ - في (و - ج) أن يوصي الإنسان.

٢ - في (أ - ص) الموصى بهم.

٣ - في (أ - ص) ما يكتر.

٤ - في (أ - ص) يظهر أمانة.

٥ - في (و - ج) قبل الموت.

٦ - في (أ - ص) يتناولهما.

جنف فيه ولا إثم [على صاحبه]^(١)، فأما إذا كان فيه شيء من ذلك فلا إثم [في تغييره]^(٢)، وبين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أنه يتجاوز عما عسى أن يسقط من المصلح ما لم يجده.

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

الآية (١٨٣) - سورة البقرة .

الصوم في اللغة إمساك عما تنازع إليه النفس، ويقال ذلك في الطعام والشراب والنكاح نحو: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾^(٣)، في نحو:^(٤)

[خيلُ صيام، وأخرى^(٥) غير صائمة^(٦)]

وصامت الريح إذا ركدت، والشمس إذا استوت في منتصف النهار كان لها وقفة، وفي الشرع إمساك المكلف بنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن المأكَل والمشرب والمنكح والاستقاء والاستمناء والسعوط، وأما الأكل^(٧) على سبيل السهو لا يخرج عن أن يكون ممسكاً^(٨) حكماً، ثم النية هل يجب أن يتقدم أو يجوز الاقتران به راجع إلى اختلاف المذاهب؟ وعلم أن الإمساك عن الأطيبين هو المقصود بالصوم، وماعداه فلائنه يشبهه أو يؤدي إليه... وللصوم فائدتان:

إحداهما: قريبة، وهي أن يروض الإنسان به نفسه عما تدعوه إليه من الشهوات القبيحة، فإنه يعودها الصبر عنها كما وصفها بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٩)، ومتى جعلت في حجر الشرع

١- ساقطة من (و - ج).

٢- ساقطة من (و - ج).

٣- سورة مريم - الآية: (٢٦).

٤- في (أ - ص) وفي الصوم.

٥- في (أ - ص) وخيل.

٦- هذا شطر بيت، وعجزه: تحت العجاج وأخرى تملك اللجما

وهو للناطقة الذبياني في ديوانه - ص ١١٢، واللسان (صوم)، والمجمل - ج: ٢ - ص ٥٤٦،

٧- في (أ - ص) المأكَل.

٨- في (أ - ص) إمساكاً.

٩- سورة يوسف: الآية (٥٢).

فعودت الانقلاع

فالنفس راغبة إذا رغبتها . . . وإذا ترد إلى قليل تقنع^(١)

ولكونه مفيداً للصبر، قال عليه السلام: «هذا شهر الصبر»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٣) أي بالصوم.

والفائدة الثانية:

وهي أن فيه الاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع والتنزه عن مشاكلة البهائم التي غاية شبع البطن والفرج، ووجه ذلك أن الإنسان مركب من بدن يسوسه سوس الحيوان وغذاؤه المطاعم، ومن روح ذي عقل غذاؤه العلم والفضائل، ومتى أكثر غداء أحدهما قوي على ما نقص غذاؤه، ولهذا قال عليه السلام: «رأس الدين الورع، وأفضل الورع قلة الطعام، ومن شبع ونام جثم على قلبه الشيطان»^(٤)، وقيل: «الجوع سحاب تمطر الحكمة»، فإن قيل: فهلاً أديم فرض الصوم إذا كان سبباً

١- البيت قاله .. أبو ذؤيب خويلد بن خالد المخزومي المتوفي في زمن عثمان رضى الله عنه، وهو من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أين المنون وريبه وتوجع والدر ليس بمعتب من يجزع

ومنها :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع
والدر لا يبقى على حدثاته جون السراة له جدائد أربع.

تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات - شواهد الكشف ص ٢٨٠، ٢٨١ تأليف: الأستاذ محب الدين - إخراج عبد الله بن خميس- نشر وتوزيع: دار الخضرمة- الرياض .

٢ - هذا جزء من حديث طويل رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: [خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان قال: يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثواب الجنة.....] إلى آخر الحديث. والحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي، وابن حبان في باب الصوم.

٣- سورة البقرة : الآية (٤٥).

٤ - الحديث أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة - حديث رقم : ٨٢٩ - ج ٢- ص ٢٢٨، ٢٢٩، وضعفه الألباني بقوله : موضوع ، ورواه ابن عدي في الضعفاء ج : ١- ص ٥٧ عن جعفر بن عبد الواحد بسنده إلى أنس مرفوعاً ، وذكر في ترجمة جعفر الهاشمي قوله : الأحاديث عنه كلها بواطيل، وكان يتهم بوضع الحديث، ثم قال : وعامة أحاديثه موضوعة . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - محمد ناصر الألباني - ط : المكتب الإسلامي .

لهذه الفضيلة العظيمة (قيل: إن الله - عز وجل - ما خلق في الأرض وشهاه إلينا ليحرمناه، ولكن لينتفع به بقدر ما يحسن، وفي وقت ما يحسن، وألزمنا في بعض الأوقات التخرج عنه ليكون مدعاة إلى التعفف عن تناول ما لا يجوز تناوله، وجعل الله تعالى فرضه على الأهل ليتأدب الإنسان به في كل وقت من أوقات السنة صيفاً وشتاءً وربيعين..

إن قيل: على ماذا وقع التشبيه في قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قيل: قال بعضهم: إن ذلك على الصوم وكيفية، لأن صوم من قبلنا لم يكن يحل لهم الأكل بعد الرقاد، وكان على هذا في بدء الإسلام إلى أن نسخ بقوله: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(١)، وإلى هذا ذهب معاذ، وهو المروي عن ابن عباس - رضي الله عنه - وقيل: كصوم من قبلنا في كونه أياماً معدودات، وذلك في كل شهر ثلاثة أيام، ثم نسخ بقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٢)، وهو قول عطاء وقتادة، وروي عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن للصيام ثلاثة أحوال، وذلك أن النبي - عليه السلام - لما قدم المدينة، فكان يصوم في كل شهر ثلاثة أيام، ويصوم عاشوراء، ثم فرض بعد تسعة عشر شهراً شهر رمضان على التخيير، ثم فرضه على تضييق لمن كان مقيماً صحيحاً، وقيل:

قد كان أوجب شهر رمضان على من كان قبلنا [من الأمم]^(٣)، فغيروا، ونقصوا، وزادوا^(٤)، وهذا قول عهدته علي قائله، وقيل: الشبه وقع لوجوب الصوم فقط، وقد تقدم أن أصول هذه العبادات لم تزل واجبة على العباد وأن النسخ على السنة الأنبياء في فروعها وكيفياتها وقدرها [وأزمانها]^(٥)، ونبيه بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على العلة التي لأجلها أوجب، وهي قمع الشهوة، وما لأجلها لا يجوز أن يكون الصوم مرفوعاً على أمة من الأمم، فإنه ذكر أنه سبب للتقوى، وتقوى الله عز وجل - واجبة

١ - سورة البقرة : الآية (١٨٧).

٢ - سورة البقرة : الآية (١٨٥).

٣ - ساقطه من (و - ج).

٤ - في (و - ج) وأفرادوا ، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - ساقطة من (و - ج).

على كل مكلف على كل حال وفي كل زمان، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ ^(١) ۚ

قوله - عز وجل :

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ

الآية (١٨٤) - سورة البقرة .

السفر: كشف الغطاء، يقال: سفر القناع عن وجهه، والريح السحاب أو الورق، ويقال له السفير، ومنه المسفرة، وسافر، والسفر الكتاب الكاشف عن الأغراض والسفار للبعير كالحكمة للفرس، وهو ما يسفر عنه جماعه، تطوع يُفعل من الطاعة، يقال: طاع وطوع، ومنه: فَطَرَعْتُ لَهُ نَفْسَهُ ^(٢)، والقدرة والاستطاعة والجهد والطاعة تتقارب، وبينها فروق، فالقدرة ما يظهر من القوة بقدر العمل لازئداً عليه ولا ناقصاً، والاستطاعة منهما ما يصير به الفعل طائعاً له بسهولة، والوسع منها ما يسع له فعله بلا مشقة، والجهد ما يُتعاطى به الفعل بمشقة، والطاقة منها بلوغ غاية المشقة.

وقول الشاعر:

كُلُّ امْرِئٍ مُقَاتِلٌ عَنْ طَوِّهِ ^(٣)

أي عن غاية قدرته، لأن المقاتل لا ^(٤) يدع غايةً من القدرة لا يبذلها قبل استسلامه للموت، وقوله: ﴿ أَيَّامًا ۖ يتعلق بـ "كتب عليكم" أو بـ "كما كتب"، أو بالصيام، وقوله: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ۖ ظاهره يقتضي أن المريض والمسافر عليهما عدة من أيام أفطر أو لم يفطر، وإليه ذهب أهل الظاهر.

١ - سورة النساء : الآية (١٣١).

٢ - سورة المائدة - الآية (٣٠).

٣ - لم أهتم إلى قائله .

٤ - في (١ - ص) ما يدع.

وعند عامة الفقهاء على إضمار الإفطار بدلالة إضماره في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾، وبدلالة الأخبار المروية في ذلك، ويقتضي أيضاً أن السفر القليل والكثير سواء، وعند عامتهم يُعتبر فيه قدرُ ما، فبعضهم حدده بمسيرة ثلاثة أيام، وبعض بمسيرة يومين، وبعض بمسيرة يوم، ولا خلاف في أن من خرج إلى نزهة ببستانه في ظاهر بلده لا يفطر، ويقتضي ظاهره أيضاً أن لا فرق بين أن يكون سفره لطاعة أو معصية، ولم يجوز الشافعي إلا في طاعة ويقتضي قوله ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ﴾ أن لا فرق بين أن يقضيها متتابعة أو غير متتابعة، وقد حكى وجوب التابع عن علي وابن مسعود -رضي الله عنهما-..

وقوله: ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عام إلا في عيد الفطر والأضحى والثلاثة أيام التي بعدها^(١) وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ ظاهره يقتضي أن المطيع له يلزمه فدية أفطر أو لم يفطر، لكن أجمعوا أنه لا يلزمه إلا مع شرط آخر فذهب الأصم إلى أن ذلك للمريض والمسافر وان الذي يطيق الفدية منهما فأفطر، فعليه الفدية لمكان ما خفف عنه، كما جعل على المتمتع بما خفف عنه أن يهدي، وهذا ضعيف لأمرين، أحدهما: أنه لم يجر الفدية قبل ذكر ولا مادل عليه، والثاني: أن المريض والمسافر قد أوجب عليهما عدة من أيام أخر، وذهب الشعبي وهو المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى أن الناس كانوا مخيرين في الابتداء بين أن يصوموا من غير فدية [وأن يفطروا ويقيدوا، ثم نسخ بالآية التي بعد، وتقديره: وعلى الذين يطيقونه فأفطروا إلى]^(٢) وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في أصح الروايتين أن ذلك في الشيخ والشيخة الهمين والحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما^(٣)، فلفظ (الطاقة) ههنا ينبغي عن ذلك، فإن الطاقة هي التي تبلغ غاية المشقة ولا يخرج عن القدرة والعجز، ورأه، فذكر أن هؤلاء الذين يبلغ بهم الصوم غاية المشقة يجوز لهم الإفطار والفدية^(٤) وقـرئ

١ - في (١ - ص) وأيام التشريق.

٢ - ساقطة من (١ - ص).

٣ - في (١ - ص) إذا خافت على ولدها.

٤ - في (١ - ص) بلا فدية، وهو خطأ من الناسخ.

(يُطَوَّقُونَهُ) ^(١) أي يتكلفونه بجهد، وقرئ (يُطَوَّقُونَهُ) ^(٢) أي يحملون على أن يتطوقوا، وقرئ (مسكين) اعتباراً بكل واحد كقوله: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ ^(٣)، وإنما يلزم كل واحد هذا القدر، (ومساكين) ^(٤) اعتباراً بجماعتهم، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فقد قيل: مبني على ما تقدم، أي الصوم خير من الإفطار والكفارة، ومن قال: (الذين يطيقون) للمسافرين والمرضى وقال هذا خطاب لهم، وكذا من قال: الشيخ لهم، ويجوز أن لا يكون خيراً فعل، وإنما المعنى: الخير في الصوم تنبيهاً على عظيم ثوابه، وذلك أن المراد من العبادة والإخلاص والنية، ولهذا قال عليه السلام: «أَخْلَصَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ» ^(٥)، ولما كانت الأفعال البدنية كثيراً ما يدخلها الرياء إلا الصوم فإنه لا يوقف ^(٦) عليه ما لم يخبر الإنسان عنه بلسانه، ولا عبادة يدخل فيها الإنسان بالنية المجردة إلا الصوم...

قال عليه السلام: «يَقُولُ اللَّهُ -عز وجل- الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» ^(٧)، ثم قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن عرفتم ما فيه من المنفعة، وتحققتم ما يثمره لكم لم تتهاونوا في تحمله.

-
- ١ - هي قراءة شاذة، قرأت بها عائشة وسعيد بن جبير وعكرمة - انظر: الدر المنثور - ج: ١ - ص ٤٣١، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٢٣.
 - ٢ - قرأ بهذا الوجه كل من: طاووس، وعائشة، ومجاهد، وعمرو بن دينار، معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ١٤١.
 - ٣ - سورة النور: الآية (٤).
 - ٤ - قرأ بهذا الوجه كل من نافع، وابن عامر، وأبي جعفر، وهشام، وابن عمر، ومجاهد، والحسن، والطوسي معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ١٤٢.
 - ٥ - الحديث عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أنه قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه إلي اليمن: أوصني، قال: «أخلص دينك يكفك العمل القليل» أخرجه الحاكم في الرقاق - ج: ٤ - ص ٣٠٦، وقال: صحيح الإسناد، ولم يوافقه الذهبي. وأورده أبو نعيم في الحلية - ج: ١ - ص ٢٤٤. وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع تخريج أحاديث الإحياء - ج: ٦ - ص ٢٤٠، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٠٨.
 - ٦ - في (أ - ص) لا يتوقف.
 - ٧ - الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة قال: «الحسنة بعشر أمثالها، والصوم لي وأنا أجزي به، يذر طعامه وشرابه من أجلي، ولخولف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك» المسند - ج: ٢ - ص ٢٣٤، ٣٩٥، ٤١١، ٤٥٧، ٤٦٥، ٤٦٧، وأخرجه البيهقي بلفظه في ج: ٤ - ص ٢٣٥، ٢٧٢، وأخرجه الطبراني في معجمه - ج: ١٠ - ص ١٢٠.

قوله - عز وجل :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِثْلَ شَهْرٍ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

الآية (١٨٥) - سورة البقرة.

شهرة الشيء: ظهوره للكافة، وقد شهر أمره وسيفه إذا جرده والشهر مدة مشهورة، والمشاهرة
المعاملة به كالمعاومة والمياومة [والمسانهة]^(١) والرمض شدة وقع الشمس، وسمي رمضان لمطابقته في
ابتداء موضوع الاسم له شدة الحر، لأن الشهور سميت [في الأصل]^(٢) بمطابقة؛ بعض ما عرض فيها
من الأحوال في ابتداء موضوعها والإرادة أصلها من: رَادَ يَزُودُ إذا سَعَى في مهل للطلب، ومنه
الرايد، والمرود للميل، ولمعنى المهل قيل رويداً، وقد تقدم حقيقة الإرادة، والقرآن أصله من القرى، وهو
ضم ما كان متفرقاً، ومنه: "ما قرأت الناقة سلاقط"، أي مالم تضمه إلى نفسها ولم تجمعها في
رحمها، ولا يتناول إلا على المنزل على محمد -عليه السلام- والكتاب عام، والفرقان قيل إنه يتناول
القرآن والتوراة - إن قيل: فلم سمي بذلك؟

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - ساقطة من (و - ج).

قيل: إما بالنظر الحلال، فلأنه جامعٌ للسور والأيام، وإما على نظرٍ أدق من ذلك، فلأنه جمع فيه كل شيءٍ محتاج إليه الناس من أمر مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ مما يتبلغون به إلى الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، وقال: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)، والعسر صعوبة الشيء وعسره وعسيراً، وعسر عمل شماله وذلك إما تصور الصعوبة ما تتعاطى بها، وإما لاعتقاد العسر فيها^(٣) بسواها، واليسر ضده، واليسير للضار بين على الحرور بالقداح ليسارهم، وقوله:

(شهر رمضان) مبتدأ، وخبره الذي، ومن لم يجعل الأول منسوخاً قال: تقديره: "هو شهر رمضان"، أو يكون بدلاً من الصيام، وقوله: هدى، أي هادياً، وقال عطية بن الأسود لابن عباس: "في نفسي شيء، وهو أنه قال: (شهر رمضان)"، وقال:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٤)، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^(٥)، وقد أنزل الله - عز وجل - القرآن في جميع الشهور، فقال: الليلة المباركة ليلة القدر، وليلة القدر في شهر رمضان، وقد أنزل الله القرآن جملة إلى البيت المعمور، ثم أنزل على محمد ﷺ الله رسلاً، وعلي هذا قوله: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٦).

وقيل فيه: أي في سببه وتخصيصه بذلك وإن شاركه فيه غيره فعلى سبيل التعظيم، وعلى هذا "في ليلة القدر"، أي في سببه وتفصيله، وإليه ذهب الضحاك..

إن قيل:

إذا كان الهدى مقتضياً للبينات، فما فائدة (وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى)؟ قيل: القرآن يهدي على

١ - سورة الأنعام : الآية (٣٨).

٢ - سورة يوسف : الآية (١١١).

٣ - في (و - ج) تسوء ماتها .

٤ - سورة القدر : الآية (١).

٥ - سورة الدخان : الآية (٣).

٦ - سورة الإسراء : الآية (١٠٦).

ضربين، أحدهما أن يدل على سبيل المجمل، والثاني : على سبيل التفصيل، فبين أن فيه هدى على الجملة، وبيّنات أي ما يوضح ويكشف على سبيل التفصيل، ففرق بين الحق والباطل، فصار ذكر البيّنات والفرقان بعد الهدى ذكر الخاص بعد العام، وجواب آخر، وهو أنه قد تقدم أن الهدى على ضربين هداية إلى سبيل الله المعنوية^(١) بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢)، وهداية إلى الله المعنوية بقوله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾^(٣)، فالإشارة بقوله: (هدى) إلى الأولى، وبقوله: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ﴾ إلى الثانية والفرقان مصدر في الأصل [كالغفران والكفران]^(٤)، وسمي به القرآن^(٥) لكونه فارقاً بين الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال، والجميل والقبيح في الأفعال، وقوله: (فمن شهد) عام في كل مكلف حاضراً كان أو مسافراً، لكن أخرج منه المسافر والمريض، ولم يدخل فيه الحائض لدلالة الإجماع عليه^(٦)، فمنهم من اعتبر الشهود في ابتدائه، فقال: "مَنْ شَهِدَهُ وَهُوَ مُقِيمٌ فَعَلِيهِ صَوْمُهُ سَافِرٌ أَوْ لَمْ يُسَافِرْ" وإليه ذهب أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -، ومنهم من اعتبر ذلك في أجزائه، وإليه ذهب عامة الفقهاء، وقال أبو حنيفة: -رحمه الله-: "من كان صحيح العقل في بعض رمضان، فعليه صوم كله، لأنه شهد الشهر"، وعند الشافعي أن كل يوم لم يكن فيه صحيح العقل لا يلزمه صومه، ولا خلاف أن الصبي إذا بلغ في أثناء الشهر لم يلزمه قضاء ما تقدم من الشهر.

إن قيل: لم أعاد ذكر الشهر، ولم يقل: "فمن شهد"؟

قيل: لأمرين: أحدهما: تعظيماً لذكره، لأن ما يعظم قد يعاد ذكره مع كل حكم يحدد له .

والثاني: ليس يحل الصوم على من كان شهد الشهر الذي أنزل فيه القرآن فقط، فلذلك أعاد ذكره...

١ - في (١ - ص) المعنى.

٢ - سورة النحل : الآية (١٢٥).

٣ - سورة يوسف : الآية (١٠٨).

٤ - ساقطة من (و - ج) .

٥ - في (و -) الفرقان.

٦ - في (١ - ص) بإجماع.

إن قيل:

فلم قال: (فليصمه) ولم يقل فيصم فيه؟

قيل: قد ذكر بعض النحويين أن القائل إذا قال اليوم ضربته زيداً، إنما يقال إذا استوعب اليوم لضربه، وإذا قيل: ضربت فيه، فهو أن يضرب فيه في بعض أوقاته، فنبه بقوله: (فليصمه) على الاستيعاب..

إن قيل: لم أعيد ذكر المريض والمسافر؟

قيل: إما على قول من يجعل الآية منسوخة، فليس أن حكمها مراعى في الناسخ كما هو مراعى في المنسوخ، وإن ذلك لم يرتفع بارتفاع التخيير^(١)، وأما على قول غيره فللتأكيد أولاً، ولتطبيق ما علق به من الحكم ثانياً، وهو قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وذكر الفقهاء أن إرادة اليسر هي مما رخص للمسافر والمريض، وذهب غيرهم إلى أن إرادة الله عز وجل اليسر لمن أوجب عليه الصوم عليهم كما هي للمفطر والصائم جميعاً، ففي الصوم أعظم اليسرين، وعلى هذا قال الأعرابي: "أَقْصَدُ الْبَلَدَ الْمُبَارَكَ لِأُصُومَ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ"، فقل له: أفي هذا الحر؟

فقال: «مَنْ الْحَرُّ أَفْرُ؟»

وقيل لآخر: أتكد نفسك في العبادة، فقال: "راحتها أريد، فإذا في إيجاب" الله تعالى الصوم

أعظم اليسرين..

إن قيل: على أي وجه تعليله بما علل به من قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾؟

قيل: بين تعالى أن ما أوجبه من الصوم عيناً^(٢) وقضاً، إرادة لتكميل العدة المقتضية للتقوى المذكورة في قوله: (لعلكم تتقون)، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ ولم يرد به التفوه بلفظ التكبير فقط،

١ - في (١ - ص) بارتفاع منسوخة.

٢ - في (و - ج) عبثاً، وهو تصحيف.

بل أراد معرفة كبريائه وعظمته وإن كان فيه دلالة على أن التكبير مستحب..

إن قيل: لم قال: (ولتكمّلوا العدة) فأدخل الواو فيه؟ قيل: يجوز أن تتعلق اللام بفعل مضمر، كأنه قيل: (ولتكمّلوا العدة) أمرٌ بما أمر، ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿الْيُسْرَ﴾، كأنه قيل: (يريد بكم اليسر وتكميل العدة)، فأدخل فيه اللام كما أدخل في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾^(١).

قوله - عز وجل:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ الآية (١٨٦) - سورة البقرة .

إن قيل: كيف فصل بين الآية الأولى وبين التي بعد هذه وهما في حكم رمضان بهذه الآية وهي قد اختلفت عنهما؟ قيل: بل هي من تمام الآية الأولى، لأنه لما حث على تكبيره وشكره على ما قيضه لهم من إتمام الصوم، بين أن الذين تذكرونه وتشكرونه قريب منكم ومجيب لكم إذا دعوتموه، ثم تم ما بقي من أحكام الصوم، ولم يرد بالقرب ههنا القرب المكاني، وإنما ذلك قرينة تقتضيه إفضاله ووجود آثاره المشار إليها بقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢)، وروي أن موسى قال: "أقريب أنت فأننا جيء؟ أم بعيد فأننا جيء؟ فقال:

"لو حددت لك البعد لما انتهيت إليه، ولو حددت لك القرب لما اقتدرت عليه"^(٣)، وقد روي أن النبي ﷺ سئل عن ذلك، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية، فبين تعالى أفضاله على عباده، وضمن أنهم

١ - سورة النساء : الآية (٢٦).

٢ - سورة ق : الآية (١٦).

٣ - الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف - ج: ١ - ص ١٠٨، وأخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد عن كعب قال قال موسى : أي رب : أقریب أنت فأننا جيء أم بعيد فأننا جيء ؟ قال : ياموسي أنا جليس من ذكرني ، قال : يارب : فأننا نكون من الحال على حال نعظمك أو نجلك فنذكرك عليها . قال : وماهي ؟ قال : الجنابة والغائط ، قال : ياموسي : اذكرني علي كل حال « كتاب الزهد - للإمام أحمد بن حنبل - ص ٨٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور - ج : ١ - ص ٤٧٠ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٦٦٤ .

إذا دعوه أجابهم، وعليه نبه بقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

إن قيل: قد ضمن في الآيتين أن من يدعوه يجيبه^(٢)، وكما رأينا من داعٍ له لا يجاب؟^(٣)، قيل: إنه ضمن الإجابة لعباده، ولم يرد بالعباد من ذكرهم بقوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٤) وإنما عنى بهم الموصوفين..

في قوله - عز وجل - ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٥) الآية، وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(٦) الآية، ولدعائهم شرائط، وهي أن تدعو بأحسن الأسماء كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٧)، ويخلص له النية ويظهر له الافتقار ولا يرغب إليه فيما تنزه الأكابر عن مسئلة مثله ولا ما يستعين به على معاداته، وأن يعلم أن نعمته فيما يمنعه من دنياه كنعمته فيما أعطاه، ومعلوم أن من هذا حاله مجاب الدعوة، وأنه من جملة من وصفه النبي عليه السلام بقوله:

«رَبِّ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْيِهُ بَوْلٌ أَوْ قَسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ»^(٨) ثم قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾

أي إذا كنت لهم بهذه المنزلة فحري أن يستجيبوا لي إذا دعوتهم، وأن يؤمنوا بي - راجين رشدهم، وإنما قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ ولم يقل ليحيبوا للطفة، وهي أن حقيقة الاستجابة طلب الإجابة وإن كان قد يستعمل في معنى الإجابة، فبين أن العباد متى تحروا إجابته بقدر وسعهم فإنه يرضى عنهم..

إن قيل: كيف جمع بين الاستجابة والإيمان وأحدهما يغني عن الآخر؟

١ - سورة غافر : الآية (٦٠).

٢ - في (أ - ص) من دعاه أجابه.

٣ - في (أ - ص) لم يجبه.

٤ - سورة مريم : الآية (٩٣).

٥ - سورة الحجر : الآية (٤٢).

٦ - سورة الفرقان : الآية (٦٣).

٧ - سورة الأعراف : الآية (١٨٠).

٨ - الحديث رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - ج : ١٠ - ص ٢٦٤ ، ورواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ج : ٨ -

ص ٢٢ ، ص ٢٣٤ ، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم ٥٩٢٦ ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء - ج : ١ - ص ٣٥٠ ،

وأورده العجلوني في كشف الخفاء - ج : ١ - ص ٥١٢ بلفظ : (رب أشعث أغبر لا يؤيه به لو أقسم على الله لأبره) وهو بلفظه في

حلية الأولياء عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال : (رب أشعث ذي طمرين لا يؤيه به لو أقسم على الله لأبره).

فإنه لا يكون مستجيباً لله - عز وجل - من لا يكون مؤمناً، ولا مؤمناً من لا يكون مستجيباً، قيل أحدهما وإن يضمن الآخر من حيث الاعتبار، فذكرها ليطمئن، فإن إجابته ارتسام أوامره ونواهيه التي يتولاها الجوارح، والإيمان هو الاعتقاد الذي تقتضيه القلوب، وأيضاً فإن الإيمان المعني هاهنا هو الإيمان المذكور في قوله:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^(١)

وذلك بعد الإجابة، وقد تقدمت منازل الإيمان.

قوله - عز وجل :

﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّبَامِ الرِّقْتُ إِلَى بَسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمِرُوا الصَّبَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الاية (١٨٧) - سورة البقرة .

الرفق كل كلام يتضمن ذكر الجماع، وجعل كناية عنه، وعُدِّي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء والخيانة بنقض العهد، ولهذا قوبل بالوفاء الدال على التمام، والحد ما يمنع أحد الشيين من الآخر، فتارة يتصور منه المنع، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَ اللَّهَ ﴾^(٢)، وقيل للثواب حداد، وتارة تصور منه الفصل، فقليل: حدُّ الدار، وبه شبه الحد في الكلام بوقيل: حد الرأي لكونه مانعاً له ولغيره عن مواجهة مثله، وحد السيف ما يفصل بينه وبين الجانب الآخر، ثم تصور منه الدقة، فقليل: أهددت السيف، وسمي الحديد لكثرة وجود هذه الصورة فيه، والعكوف: الإقامة على الشيء والحبس عليه، فتارة يراعى منه الإقامة فلا يعدي نحو: ﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾^(٣)، وتارة يراعى منه الحبس

١ - سورة الأنفال : الآية (٢).

٢ - سورة المجادلة : الآيتان (٥ ، ٢٠).

٣ - سورة الحج : الآية (٢٥).

والوقوف، فيعدي نحو قوله: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾^(١)، وقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ جعل اللباس كناية عن الزوج، لكونه سترًا لنفسه ولزوجه أن يظهر منهما سوء، كما أن اللباس يمنع أن تبدو السوء، وعلى ذلك جعلت المرأة إزاراً، وسمي النكاح حصناً، لكونه حصيناً لذويه عن تعاطي القبيح.

وقال الأصم:

معنى قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ أي كأن يعطي كل واحد على الآخر ما يتعاطاه من الاختيار^(٢) من قولهم: لبست عليه ذيلي، وقيل: سبب نزول هذه الآية أن المباحات كانت تحظر على الصائم بعد الرقاد، فقيل: إن عمر^(٣) قالت له امرأته لما راودها: قد أعفيت، فظن أنها اعتلت عليه، فواقعها، فذكر ذلك للنبي -عليه السلام- وقيل: كان شيخ من الأنصار يقال له "صرمة" قعد ينتظر امرأته لتصنع له طعاماً، فنام وترك الطعام، فرآه النبي -عليه السلام- في اليوم الثاني شاحباً، فسأله، فأخبره، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤) والاختيان مراودة الخيانة وتخصيصه من دون قوله: (تخونون) لفائدة، وهي أن

١ - سورة الفتح : الآية (٢٥).

٢ - في (و - ج) الاختيان وهو تصحيف.

٣ - أورد السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما رواه أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له قيس بن صرمة صلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح مجهداً، وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فأنزل الله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) إلى قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ، وله شواهد، فأخرج البخاري عن البراء قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان غير صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمس، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال هل عندك طعام فقالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عينه وجاءت امرأته فلما رأتها قالت خيبة لك، فلما انتصف النهار غشى عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم: فنزلت هذه الآية (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) ففرحوا بها فرحاً شديداً، وأخرج البخاري عن البراء قال: لما نزل صوم شهر رمضان، كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) الآية. أسباب النزول- السيوطي- ص ٢٢، ٢٣.

٤ - أورد ابن كثير هاتين الرواتين عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغيرهم في سبب نزول هذه الآية في عمر بن الخطاب وصرمة بن قيس ومن صنع كما صنعنا، فأباح الجماع والطعام والشراب في جميع الليل رحمة ورخصة ورفقاً. تفسير القرآن العظيم ج: ١- ص ٢٢٠، ص ٢٢١.

المخاطبين لم يكونوا كلهم خانوا وكلهم أوجلُّهم قد اختانوا، لأن الاختيان هو أن تتحرك الشهوة وتدعوه، ولذلك خص لفظ النفس المعنية بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١)، وكفى للتنبيه على اختيان النفس شهادة من حلفها بذلك علماً بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، فاختيان النفس مخادعتها ومدافعتها إما بمساعدة أو بمخالفة وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إشارة في تحري النكاح إلى لطيفة، وهي أن الله تعالى جعل لنا شهوة النكاح لبقاء نوع الإنسان إلى غاية، كما جعل لنا شهوة الطعام لبقاء أشخاصنا إلى غاية، فحق الإنسان أن يتحرى بالنكاح ما جعل الله لنا على حسب ما يقتضيه العقل والديانة، فمتى تحرى به حفظ النسل وحصن النفس على الوجه المشروع، فقد ابتغى ما كتب الله له، وإلى هذا أشار من قال:

عنى الولد به الخيط الأبيض بياض النهار، وبالخيط الأسود سواد الليل، وروي أن عدي بن حاتم عمد إلى عقالين أبيض وأسود، ثم جعل ينظر إليهما ويأكل إلى أن يتبين أحدهما من الآخر، فأخبر النبي - عليه السلام - بالذي صنع، فقال: إنك لعريض الوساد، إنما ذاك سواد الليل وبياض النهار^(٢) وقوله: ﴿ثُمَّ أَمُرَّا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ تنبيه على ابتداء التحريم إلى انتهائه، وكما نهى عن المباشرة في حال الصوم نهى عنها في حال الاعتكاف وظاهر ذكر المساجد يقتضي جواز الاعتكاف في كل مسجد..

١ - سورة يوسف : الآية (٥٣).

٢ - الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد ج ٤ - ص ٣٧٧ والنسائي ج ٤ - ص ١٤٨، كما أخرجه بن حجر العسقلاني في فتح الباري - كتاب التفسير - ج ٨ - ص ١٨٢ ومسلم حديث رقم (١٠٩١) وفي سنن أبي داود حديث رقم (٢٣٤٩)، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٠٣ .

قوله - عز وجل :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْثِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الآية (١٨٨) - سورة البقرة .

الإدلاء: إرسال الدلو في البئر، واستعير للتوصل إلى الشيء، وعلى هذا قول الشاعر:

فليس الرزق عن طلب حثيث ولكن ألق دلوك في الدلاء^(١)

وعلى هذا النحو سمي الوسيلة المانحة في قول الشاعر:

وَلِي مَانِعٌ لَّمْ يُورِدِ الْمَاءَ قَبْلَهُ مُعَلٌّ وَأَشْطَانُ الطَّوِيِّ كَثِيرٌ^(٢)

والأكل عبارة عن الإنفاق، إذ هو أهم ما يُصرف إليه المال، وأكل المال بالباطل صرفه إلى ما ينافيه الحق، وهو التبذير والإسراف قليلاً كان الإنفاق أو كثيراً، ولهذا قيل:

(رب إنفاق قليل هو إسراف، وكثير هو اقتصاد)... وقوله: (وتدلو) أي لا تدلوا، وكما نهى عن تبذير الأموال نهى أن يدلي بها إلى الحكام على سبيل الرشوة، وتوصلاً إلى اقتطاع أموال الناس، وقيل: معناه: لا يأكل بعضكم مال بعض غصباً أو خيانةً فيلجؤوهم إلى المرافعة إلى الحكام، فلا يحكم عليكم لعدم البينة فتستبينوا^(٣) إلى أن تأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم، وقيل: من يتولى أموال

١- قائل البيت هو أبو الأسود الدؤلي ، والبيت الذي قبله :

تجى بملئها طوراً وطوراً تجى بحمأة وقليل ماء

وهو في مخطوط كتاب : الدر الفريد وبيت القصيد - ج : ٥ - ص ٣٠٢ ، وفي بصائر ذوي التمييز - للفيروز آبادي - ج : ٢ - ص ٦٠٦ ،

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي - ص ٢٨٦ ، وفي مفردات ألفاظ القرآن - للراغب - ص ٣١٧ .

٢- البيت للعجير السلولي ، وهو في لسان العرب - مادة (ميع) ، ورواية اللسان :

وَلِي مَانِعٌ لَّمْ يُورِدِ الْمَاءَ قَبْلَهُ يعلّي وأشطان الدلاء كثير

وهو في مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب ص ٣١٧ :

وَلِي مَانِعٌ لَّمْ يُورِدِ النَّاسَ قَبْلَهُ مَعْلٌ وَأَشْطَانُ الطَّوِيِّ كَثِيرٌ

وقد عني بالمائع لسانه ، لأنه يميع من قبله ، وعني بالماء الكلام ، وأشطان الدلاء :

أي أسباب الكلام كثير لديه غير متعذر عليه . المجمل - ج : ٢ - ص ٣٣٤ .

٣- في (١ - ص) وتنسوا .

الأيتام، فيأكل بعضاً ويدفع إلى الحكام بعضاً، والوجه الأول أجود، لأنه قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾، ثم قال: لتأكلوا ففصل بين الأمرين، والوجهان الآخران داخلان في عمومته، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إن أخفى علمكم على الناس، فإنه لا يخفى عليكم تنبيهاً أن الاعتبار بما عليه الأمر في نفسه، وما علمتم منه لا بما يظهر، ونبه -عليه السلام- على ذلك بقوله:

(إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن حكمت له بشئ من حق أخيه، فلا يأخذن منه قليلاً ولا كثيراً، فإنما أقطع له قطعة من النار)^(١)، وقال: (البر ما اطمأنت إليه النفس)^(٢).

قوله - عز وجل :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَمَلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الآية (١٨٩) - سورة البقرة .

المواقيت : جمع ميقات وهو مفعال من الوقت، والوقت والمدة والزمان تتقارب، لكن المدة المطلقة أوسع هذه الألفاظ، فإنها امتداد حركة الفلك أي اتصالها من مبدئها إلى غايتها، والزمان مدة مقسومة من المدة المطلقة والوقت الزمان المفروض للعمل، ومعنى مواقيت للناس أي لما يتعلق به من أمور معاملاتهم ومصالحهم، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾^(٣)، ونبه بذكر الحج على ما يتعلق به من العبادات، ولكن ذكرنا

١- الحديث أخرجه البيهقي في سننه ج ١٠-ص١٤٩، كما أخرجه البغوي في شرح السنة ج ٦-ص١٩ وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ : ص٣٥٨.

٢- الحديث عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (جئت تسأل عن البر؟ قلت نعم . قال : البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٤-ص٢٢٨، وفيه أيوب بن عبد الله بن مكرز قال ابن عدي : لا يتابع على حديثه ، وثقه ابن حبان ، وأخرجه الدارمي ج ٢-ص٣٢٢ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١-ص١٨٢ كما ذكره النووي في الأربعين ، وقال حديث حسن رواه في مسند الإمام أحمد والدارمي بإسناد حسن ، راجع الأربعين النووية ص٣٥، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٤.

٣- سورة يونس : الآية (٥).

أعظمها أثراً، فإن الحج مراعى في قضائه وأدائه الوقت المعلوم بخلاف سائر العبادات التي لا تعتبر في قضائها وقت معين والباب معروف، وعنه استعير لمداخل الأسباب المتوصل بها إليه، وقيل: في العلم باب كذا، وقول النبي ﷺ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا»^(١)، أي به يتوصل إلى حقائق العلوم، وعلي وإن شاركه فيه غيره، فتخصيصه لكونه أرفع منزلة في باب العلم وقد كان سئل - عليه السلام - عن فائدة زيادة الهلال ونقصانه، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢) منبهاً على أظهر فائدته للحس وأبينها له، ثم قال: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(٣)، أي بأن يطلبوا من غير وجه، وذلك أنه يقال: "أتى فلان البيت من بابه" إذا طلب الشيء من وجهه.

وقال الشاعر:

أَتَيْتُ الْمَرْوَةَ مِنْ بَابِهَا^(٤) ..

١ - الحديث رواه الحاكم في المستدرک والطبرانی في الكبير وأبو الشيخ في السنة وغيرهم . وكلهم عن ابن عباس مرفوعاً مع زيادة: (فمن أتى العلم فليأت الباب) ورواه الترمذي وأبو نعيم وغيرهما عن علي بلفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنا دار الحكمة وعلي بابها - وهذا حديث مضطرب غير ثابت - كما قاله الدار قطني في العلل ج - ٣ - ص ٢٤٧ ، وقال الترمذي : منكر، وقال البخاري : ليس له وجه صحيح ، ونقل الخطيب البغدادي عن ابن معين قوله كذب لا أصل له ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره - المستدرک ج : ٣ - ص ١٢٦ وقال الحاكم فيه صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال بل موضوع ، والحاصل أن الحديث ينتهي بمجموع طريقتي أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به .
راجع : كشف الخفاء للعجلوني ج : ١ - ص ٢٠٣ وللآلئ المصنوعة ج : ١ - ص ٣٢٩ ، وعارضة الأحوذى ج : ١٣ - ص ١٧١ ، وحلية الأولياء ج : ١ - ص ٦٤ وقد أورده الراغب كذلك في مفردات ألفاظ القرآن ص ١٥٠ .
٢ - أورد السيوطي ما أخرجه ابن أبي حاتم عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: (سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الألهة فتنزلت هذه الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالمة قال (بلغنا أنهم قالوا يارسول الله، لما خلقت الألهة، فأنزل الله (يسألونك عن الألهة) كما أورد السيوطي ما روي عن ابن عباس أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالوا: يارسول الله ما بال الألهة يبدو أو يطلع وثيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حال واحد، فنزلت (يسألونك عن الألهة). أسباب النزول للسيوطي ص ٢٣، ٢٤ .

٣ - سورة البقرة الآية: (١٧٧).

٥ - هذا عجز بيت للأعشى وقوله:

وكأن شربت علي لذة
لكي يعلم الناس أنني امرؤ
وأخرى تدأيت منها بها
أتيت المروءة من بابها

وهو في مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٠ وعقب عليه الأستاذ : صفوان داوودي المحقق قائلاً : البيت ليس في ديوان الأعشى - ط - دار صادر - بيروت - بل هو في ديوان ط - مصر - ص ١٧٣ ، وفي خاص الخاص ص ٩٩ وعجز البيت في بصائر ذوي التمييز ج : ٢ - ص ٤٣ .

و"أتى البيت من ظهوره" إذا طلب الأمر من غير وجهه وجعل ذلك مثلاً لسؤالهم النبي ﷺ عما هو ليس من العلم المختص بالنبوة، وإن ذلك عدول عن المنهج، وذلك أن العلوم ضربان:

دنيوي : يتعلق بأمر المعاش كمعرفة الصنائع ومعرفة الأجرام السماوية ومعرفة المعادن والنبات وطبائع الحيوانات، وقد جعل الله تعالى لنا سبيلاً إلى معرفته على غير لسان نبيه محمد -عليه السلام-، وشرعي: وهو البر، ولا سبيل إلى أخذه إلا من جهته، وهو أحكام التقوى، فلما جاءوا يسألون النبي ﷺ عما أمكنهم معرفته من غير جهته أجابهم، ثم بين لهم أن ليس البر ترك المنهج في سؤال النبي -عليه السلام- ما ليس هو مختصاً بعلم نبوته، ولكن البر هو تحري التقوى، وذلك يكون بالعلم والعمل المختصين بالدين، وقال بعض المفسرين: إتيان البيوت من ظهورها هو أن العرب من لم يكن من الخمس إذا أحرم لم يدخل البيت من بابه بل كان يأتيه من ظهوره، فأتى رجل من باب بيته، فأنكر عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.. وهذا عن ابن عباس وغيره^(١)، وقيل: إتيان البيوت من ظهورها مخالفة الواجب في الحج وشهوره، واستحلال أشهر الحرام، وتحريم الحلال، المعني بقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾^(٢)، وكل ذلك لا يمتنع أن تتناوله الآية، لكن الأليق بأول الآية ما تقدم ذكره، وقوله: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ - أي تحروا في كل عمل إتيان الشيء من وجهه تنبيهاً أن ما يطلب من غير وجهه صعب مناله، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ حثاً لنا أن نجعل تقوى الله عز وجل - شعارنا في كل ما نتحراه، فبين أن ذلك هو الذريعة إلى تحصيل الفلاح..

١- أورده السيوطي في الدر المنثور ج: ١- ص ٤٩١ ، والواحد في أسباب النزول ص ٨٦، كما أورده الراغب في كتابه مفردات ألفاظ القرآن ص ١٥١ .

٢ - سورة التوبة - الآية (٣٧).

قوله - عز وجل :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

الآية (١٩٠) - سورة البقرة.

اختلف في حكم هذه الآية، فقليل: هي ناسخة لحكم العفو ومنسوخة بقوله: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾^(١)، وقيل: ليست بمنسوخة ولا ناسخة،^(٢) وبيان ذلك أن من شرط الداعي إلى الحق أن يبينه ويدل عليه ويرفق، فإن اهتدى المدعو، وإلا أوعد، فإن أنجع ذلك وإلا عدل بعد إلى المحاسبة والمحاربة على ما تقتضيه السياسة، وعلى هذا قال بعضهم: « لا أستعمل سوطي ماكفاني لساني ولا سيفي ماكفاني سوطي ».

وقال الشاعر:

أناة فإن لم يغن أعقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائم^(٣)

فكان النبي ﷺ أمر في أول الأمر بالرفق والأناة، وأن يقتصر على الوعظ والمجادلة الحسنة، كما قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٤)، وكان يستمر

على ذلك حتى عاتبه بعض أصحابه، فقال يانبي الله:

١ - سورة التوبة - الآية : (٣٦).

٢ - ذكر الدكتور مصطفى زيد في تعقيبه على دعوى النسخ في هذه الآية بأنها تنبني على مذهب واحد من مذهبين للمفسرين في الآية وهو مذهب الإحتمال ثم قال وهذا الاحتمال ليس هو أقوى الاحتمالين بدليل السياق، فإن الآية التي بعدها تقول: (واقتلوهم حيث ثقفتوهم) إلى آخر الآية، فتأمرنا بقتالهم حيث وجدناهم وبإخراجهم من مكة أو من منازلهم كما أخرجونا، ثم تعلل لهذا وذلك بأن ما كان منهم حين فتنوا الناس عن دينهم أعظم جرماً من القتل الذي سيقع عليهم، وتنتهي عن قتالهم عند المسجد الحرام إلا إذا قاتلونا فيه، ولو أنهم كانوا مقاتلين عند المسجد الحرام بالفعل من أول الأمر - ما كان لقوله تعالى: (حتى يقاتلوكم فيه) وكان ولا معنى!... تنزه كلام الله عن أن يكون كذلك. النسخ في القرآن الكريم - الدكتور مصطفى زيد ج: ٢ ص ٦٤٦.

٣ - البيت ذكره القلقشندي في صبح الأعشى بدون نسبة ج: ٦ - ص ٣٠٨ ولفظه :

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يجد أجدت عزائم

٤ - سورة النحل : الآية (١٢٥).

"كنا في عز ونحن مشركون، فلما أمانا صرنا أذلة"، فقال عليه السلام: «أمرت بالعفو فلا تقاتلوهم اليوم»، فلما ظهرت آياته، وانتشرت بنياته، ورأى من أبى الإصغاء إلى الحق، واستمر على الضلال والإضلال أمر حينئذ بالمقاتلة أي المحاربة، ولهذا قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾^(١).

ثم أمر بالقتال لمن تأبى الرجوع إلى الحق بالمحاربة، وكان هذا أمراً بعد أمر حسب مقتضى السياسة الإلهية، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ منهم من تصور منه تولي القتال وتعاطيه في الحال، فقال: هو منسوخٌ بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾، (ولا تعتدوا): نهى عامٌ في مجاوزة كل حد حده الله تعالى، كالنهى عن قتل الصبيان والنساء، وقيل: "من أعطي الأمان وتحرى القتال ابتغى عرض الدنيا وطلب الرئاسة"، ونبه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أن اعتداء مرسوم الله وتجاوز حكمه في كل أمر مذموم..

قوله - عز وجل :

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

الآية (١٩١) - سورة البقرة .

الثقف: الحذق في إدراك الشيء علماً كان أو عملاً، ومنه قيل:

رجل ثقف لقف إذا كان له حذق في إدراك الشيء علماً كان أو عملاً، ومنه قيل: رجل ثقف لقف إذا كان له خدمة في إدراك الشيء ومنه قيل: ثقفت الرمح، وأصل الفتنة إدخال الذهب النار للتصفية، يقال: فتنت الذهب أي اختبرته بالنار، ثم استعير لكل اختبار بأمر محض، على ذلك قوله تعالى:

﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾^(١).

وجعل الفتنة لكل أمر مكروه المحتمل، فتارة استعير للشرك، وتارة للعذاب، وتارة للاختبار، ولما كان لفظ الفتنة والقتل ههنا مبهمين، قال بعضهم: معناه أن يفتن الإنسان في دينه، فيشرك أشد أي أو خم عاقبة من أن يقتل، فإن الأذية التي تنال المقتول محدودة، والأذية التي تنال المشرك بشركه غير محدودة، وقال بعضهم: إن معناه: أن يوقع الإنسان الفتنة أشد على الناس أي أعظم ضرراً من أن يقتل في الحرم من يستحق القتل، وقال: وذلك ردُّ على من استعظم قتل بعض المسلمين كافراً في الحرم، ولهذا قال بعده: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾^(٢) وقوله: ﴿ وَأَخْرِجُوهُمْ ﴾ أمر بإخراج الكفار من مكة بدلالة قوله: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ﴾^(٣)، وقوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾^(٤) وقوله: ﴿ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(٥) استثناء من قوله: ﴿ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾، وهذا حكم عند أكثر الفقهاء فإنه لا يُقاتل في الحرم إلا مَنْ قاتل، ويؤيد ذلك قوله - عليه السلام - يوم فتح مكة: «إن مكة حرام حرماً لله - عز وجل - يوم خلق السماوات والأرض وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة»^(٦)، فهذا يدل على أن ذلك غير منسوخ كما ظنه بعض الناس، وقال الأصم: إن ثبت جوازاً القتل هذا في

١ - سورة العنكبوت : الآية (٢).

٢ - سورة البقرة - الآية : (١٩٣).

٣ - سورة محمد - الآية : (١٣).

٤ - سورة الحشر - الآية : (٨) .

٥ - سورة البقرة الآية: (١٩١).

٦ - الحديث رواه مسلم في صحيحه قال : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي شريح العنوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : أئذن لي أيها الأمير : أحديثك قولاً قام به رسول الله - صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناني ووعاه قلبي ، وأبصرته عيناي حين تكلم به . أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن مكة حرماً لله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأ ولا يعصدها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم فيها ، فقولوا له : « إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » ... الخ .

والحديث رواه مسلم في صحيحه ج : ١-ص ٩٨٧ في كتاب الحج ، ورواه الإمام أحمد بسنده ولفظه في ج : ٤-ص ٣١ ، وفي ج :

٦- ص ٣٨٥ ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج : ٢-ص ٥٢ ، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم ٣٤٦٥٤ ،

وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ج : ٤-ص ٣٠٥ - ج : ٨-ص ١٤٨.

الحرم، فليس في ذلك نسخ، بل هو زيادة في فرض القتال، فإن هذا أمر بأن يقاتلوا في الحرم إذا قوتلوا، وذاك أمر بالقتل قوتلوا أو لم يقاتلوا، فإذن الثاني زيادة في الأمر بالقتال، ثم قال: ﴿فَإِنْ قَاتَلْتُمُ﴾، أى حاربوكم فاقتلوهم، وبين أن هذا حكم كل كافر يحارب المؤمنين.

قوله - عز وجل:

﴿فَإِنْ أَنْتَهَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الآية (١٩٢) - سورة البقرة.

الانتهاء: الانزجار، والنهي الزجر، ونهاية الشئ غايته التي ينتهي إليها، لأن لكل شئ في هذا العالم غاية إذا انتهى إليها انصرف راجعاً عنها في الكون، والفساد والنهي العقل لكونه ناهياً عن القبيح، ككون العقل عاقلاً عنه، والحجر حاجراً عنه، والنهي في موضوع أهل النحو من صيغة "لا تفعل" خطأ على الشئ كان أو زجراً عنه، وفي موضوع أهل البرهان ما يقتضي الزجر عن الشئ سواء كان بلفظ "افعل" أو "لا تفعل"، وهذا الخلاف من أجل أن النحوي يعتبر اللفظ قبل المعنى، وصاحب البرهان يعتبر المعنى قبل اللفظ، ونبه بالآية أن المنتهي عن الذنب يغفر له ما تقدم من ذنبه، وذلك عام في أمور الدنيا والآخرة إلا ما دلت الدلالة على الأخذ به من حقوق الأدميين، وعلى هذا قوله - عز وجل: ﴿قُلْ لِلدِّينِ كَفَرُوا إِنْ يَسْتَهْزِئُوا يَغْفِرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(١)، وقوله عليه السلام: «الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ»^(٢)..

١ - سورة الأنفال : الآية (٣٨).

٢ - الحديث صحيح وسنده حسن ، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق يزيد بن أبي حبيب بهذا الإسناد - ج : ٤ - ص ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه من طريق يزيد بن حبيب عن أبي شماسة المهري عن عمرو بن العاص - ص ١٢١ ، وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية - ج : ٣ - ص ٥٩٦ ، وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج : ٩ - ص ٦٠٩ ، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال - ص ٢٤٣ .

قوله - عز وجل :

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَرُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

الآية (١٩٣) - سورة البقرة.

أمر تعالى بالقتال لدفع الفتنة بعد أن يبين أنها أعظم ضرراً من القتل، نحو قوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا انْخَسَمْتُمْ فَشْدُوا الرَّوَاقِ فَمَا مِنْكُمْ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(١)، فقوله: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ كقوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٢)، وذلك إما بقتلهم أو بإسلامهم أو بانقيادهم وإعطاء الجزية حسب ما بينه الشرع، (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) قال ابن عباس: "حَتَّى يَخْلُصَ التَّوْحِيدُ لَهُ" وحمل ذلك على مشركي العرب، لأنهم لا يقارون على جزية كما يقار غيرهم، وحمل بعضهم على الانقياد بحكم الدين في كل مكان، وقال: يجب أن يكون الحكم للإسلام في كل مكان، وعلى هذا ما روي: "الإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى"، ثم أعاد ذكر الانتهاء، فقال: ﴿فَإِنْ انْتَهَرُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يتجاوزون الخطر إلا مع من يتجاوز به حسب فعله..

قوله - عز وجل :

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشُّهُرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية (١٩٤) - سورة البقرة.

بين أن مراعاة حرمة الشهر واجبة لمن راعى حرمة، وأن من هتكها اقتص منه، وسبب نزول ذلك أن العرب فخرت بصرف النبي - عليه السلام - عام الحديبية عن البلد الحرام، وكان ذلك في ذي القعدة، فمكنه الله تعالى من دخوله في العام القابل في القعدة، وشرح معنى قوله: (لا عدوان إلا على الظالمين) بقوله: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾.

إن قيل: كيف رخص في الاعتداء وهو ظلم وقد منع منه آنفاً بقوله: (ولا تعتدوا)، قيل: الاعتداء مجاوزة الحد، ومنه قيل: "عدا فلان طوره"، ولا تعد طورك، ثم استعير الاعتداء في الظلم من حيث

١ - سورة محمد : الآية (٤).

٢ - سورة محمد : الآية (٤).

أنه تجاوز الحد الذي حدّه العقل أو الشرع، والذي منع تجاوز ذلك ابتداءً، فقد أباح لمن اعتدى عليه جزاءً، فإنّ: الاعتداء ضربان: اعتداء على سبيل الابتداء، وهو ظلم، وإياه عنى بقوله ولا (تعتدوا) واعتداء على سبيل الاعتداء ضربان اعتداء على سبيل القصاص وهو عدل وإياه عنى ههنا، ثم للمجازاة أيضاً حدٌ لا يجوز أن يتجاوزه، وإياه عنى بقوله: (فمن اعتدى بعد ذلك).

إن قيل: هل كان يجوز لو قيل: (مَنْ ظَلَمَكُمْ فَاطْلَمُوهُمْ)؟ قيل: لا يجوز ذلك، لأن الظلم إنما هو وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق أن يوضع فيه، وهذا في كل حال مذموم، والاعتداء مجاوزة الحد المحدود، وذلك لا يكون مذموماً، ومن قال من العرب: **مَنْ ظَلَمَكَ فَاطْلَمْهُ**، فذلك منه انحراف وترخص في الظلم على عادتهم، وكذا قول من قال:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(١)

فإن الجهل مذموم علي كل حال، ولا يكاد يرد لفظ الأمر به من حكيم، فإن قيل: فقد قال الله: **﴿وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ﴾**^(٢) قيل: حقيقة المكر إظهار أمرٍ يعتقد فيه الناظر إليه الجاهل بحقيقته اعتقاداً ما يضل ما هو، وكذلك الاحتيال والخديعة والسخرية، ومن قصد بشئ من ذلك أمراً قبيحاً، فهو مذموم، وإن قصد به فعلاً جميلاً فهو محمود، فإن يصح أن يمدح بذلك من يتحرى مقصداً حسناً، ولهذا قال بعض العلماء: إن الله - عز وجل - يخدعنا عن النار كما يخدع الصبي أبوه عن المضار، وفي هذه الآية دلالة أن من استهلك شيئاً لغيره استهلك عليه مثله، لكن مثله المستهلك قد يكون تارة حسية مكيلاً كان أو موزوناً أو معدوداً، وتارة قيمته، وقوله: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**، تنبيه أن توفيق الله يصحب المتقي، وقد تقدم حقيقة (مع) والصحبة إذا استعملوا في الباري تعالى...

١- قائل هذا البيت هو عمرو بن كلثوم، وهو في معلقته، وهو أيضاً في جمهرة أشعار العرب - ص ٨٣، ص ٤١٤ وأورد القرشي قول ابن الأنباري: فنجهل فوق جهل الجاهلينا - معناه: فنهلك ونعاقبه بما هو أعظم من جهله، فنسب اللفظ إلى نفسه وهو يريد الإهلاك والمعاقبة ليزدوج اللفظان، فتكون الثانية على مثل لفظ الأولى ولا يجوز أن يكون قول عمرو: فنجهل فوق جهل الجاهلينا - اعترافاً منه بالجهل وتثبيتاً منه إياه لنفسه، لأن الجهل لا يستحسنه أحد ولا يرتضيه. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام - تأليف: أبي زيد القرشي - تحقيق: الدكتور / محمد علي الهاشمي - الطبعة الثانية - دار القلم - دمشق.

٢ - سورة آل عمران: الآية (٥٤).

قوله - عز وجل :

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

الآية (١٩٥) - سورة البقرة .

الهلاك انتهاء الشيء في الفساد، وله سمي الموت هلاكاً، وقيل للعذاب والخوف في الفقر والبخل وما يجري مجراها مما يؤدي إلى الهلاك هلاكاً، والمفازة مهلكة والتهلكة ما يؤدي إلى الهلاك، وامرأة هلوك كأنها تتهالك في مشيها إشارة إلى نحو قول الشاعر:

مَرِيضَاتُ أَذْبَاتِ التَّهَادِي كَأَنَّهَا تَخَافُ عَلَى أَحْسَانِهَا أَنْ تَقَطَّعَا^(١)

[وكُنِي بالهلوك عن الفاجرة لتماثلها]^(٢) والهالكي كان رجلاً حداداً من قبيلة هالك فسمت العرب كل حداد باسمه كما سمي كل بناء هاجرياً، وقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾، قيل: معناه نحو تعلقت زيداً أو بزيد، وقيل معناه: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى الهلاك، نحو قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣)، وذلك بالتعرض لما يستوخم عاقبته جهلاً به، مثل الفراشة تأتي إذا رأت لهباً من السراج، فتُلقي نفسها فيه، وتأولت الآية على وجهين بنظرين مختلفين..

أحدهما: أنه نهى عن الإسراف في الإنفاق، وعن التهور في الإقدام، والثاني: أنه نهى عن البخل بالمال، والقعود عن الجهاد، وكلاً المعنيين يرادُ بها، فالإنسان كما أنه منهى عن الإسراف في

١ - البيت فائله هو مسلم بن الوليد وذلك كما في الحماسة البصرية - ج : ٢ - ص ٢٢٠ والحيوان - ج : ٤ - ص ٢٥٩ ، غير أن الراغب أورده في محاضرات الأدباء ونسبه للسعدي ، وأورد البيت بعده وهو :

تسيب انسياب الایم أحصره الندى يرفع من أعطافه ما ترفعا

كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن بلا نسبة.

انظر : محاضرات الراغب - ج : ٢ - ص ١٣٩ ، ج : ٣ - ص ٢٠٨ ، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٤٤ ، وعمدة الحفاظ : مادة (هلك).

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة النساء : الآية (٢٩).

[الإنفاق]^(١) والتهور في الإقدام، فهو منهيٌّ عن البخل وعن الإحجام في الجهاد، ولهذا قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾^(٢)، وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٣) الآية، وقال بعض الناس: "إن هذه الآية يُنْظَرُ إليها علي وجهين أحديهما: نَظَرُ المجاهد في سبيل الله بالمال، والثاني: نَظَرُ الفقيه عن المجاهد، وكلاهما صحيحٌ بوجهٍ، ووجه ذلك أن الفقيه من حيث أنه يحكم بالظاهر على الكافة يراعي أحوالهم، والمجاهد من حيث أنه يوفر على مُرَاعَاةِ الْحَقِّ عن مراعاة نفسه لا يَرَى الإِلْقَاءَ بيده إلى التَّهْلُكَةِ إِلَّا الإِحْلَالَ بترك وظائفِ الْحَقِّ، وإلى هذه الحالة أشار الله تعالى بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٤)، الآية، ويقول: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي تحروا فعل الإحسان، وقد تقدم أن الإحسان هو تحري العدالة والزيادة عليها، ولهذا قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٥)، ثم نبه بإظهار محبته للمحسنين على شرف منزلتهم.

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - سورة الفرقان: الآية (٦٧).

٣ - سورة الإسراء : الآية (٢٩).

٤ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٥ - سورة النحل : الآية (٩٠).

قوله - عز وجل:

﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَتِمْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
«الآية (١٩٦) سورة البقرة».

قيل: قوله: ﴿وَأَتِمُوا﴾ قيل إنه خطاب لمن خرج حاجاً أو معتمراً، فأمر بأن لا يصرف وجهه حتى يقضيها، وإليه ذهب أبو حنيفة - رحمه الله - فاحتج به في وجوب إتمام كل عبادة دخل فيها [الإنسان]^(١) متنفلًا، وأنه متى أفسدها وجب قضاؤها، وقيل إنه خطاب لهم ولأن لم يتلبس بالعبادة. وذكر لفظ الأيام تنبيه على توفية حَقِّهما وإكمال شرائطها، ولذلك قال أمير المؤمنين:

«مِنْ إِتْمَامِهِمَا أَنْ تُحْرِمَ بِهِمَا مِنْ نُؤِيرَةِ أَهْلِكَ»^(٢)، وعلى هذا قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٣)، وإلى هذا ذهب الشافعي - رحمه الله - واحتج به في وجوب العمرة، وإنما قال في الحج والعمرة "لِلَّهِ" ولم يقل ذلك في الصلاة والزكاة من أجل أنهم كانوا يتقربون ببعض أفعال الحج والعمرة إلى الأصنام^(٤)، فخصهما بالذكر لله تعالى حثًا على الإخلاص فيهما ومجانبة ذلك الاعتقاد المحظور، وظاهر قوله: ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾ أن لا فرق بين أن يُحْصَرَ بمكة أو بغيرها، وبعد عرفة أو قبلها بخلاف ما قال أبو حنيفة إن مَنْ أُحْصِرَ بمكة أو بَعْدَ الْوُقُوفِ لا يكون مُحْصَرًا في الحكم، وكذلك لا فرق في [الظاهر]^(٥) بين أن يحصره عدوٌ مسلم أو كافرٌ كما قال الشافعي خلافاً لبعضهم، وظاهره يقتضي أن

١ - ساقطة من (و - ج).

٢ - الأثر أورده ابن كثير في تفسيره رواية عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي بن أبي طالب أنه قال في هذه الآية (وأتموا الحج والعمرة لله) قال: أن تحرم من دويرة أهلك، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس. تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير - ج: ١ - ص ٢٣٠.

٣ - سورة البقرة: الآية (١٨٧).

٤ - في (١ - ص) أصنامهم.

٥ - ساقطة من (و - ج).

لا فصل بين إحصار العدد وإحصار المرض كما قال أبو حنيفة دون الشافعي - رحمة الله عليهما -
 "لولا أن الآية نزلت في سبب العدو فلا يجوز أن نتعدى إلا بدلالة"، ولأن قوله: ﴿فَإِذَا أَمِيتُمْ﴾ يدل على
 أن المراد بالإحصار هو بالعدو وذلك قول ابن عباس - رضي الله عنه - ويقتضي الظاهر أن لا قضاء
 عليه خلافاً لأبي حنيفة - رضي الله عنه - لأنه قال: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ واقتصر عليه، والهدي
 بقرة أو بدنة أو شاة أو أكثر، لأنه قال: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾، ونهى عن حلق الرأس إلا بعد بلوغ الهدي
 محلّه، ومحلّه عند أبي حنيفة الحرم، واستدل بأن ناجية بن جندب قال: «دَعْنِي أَخْذُ بَعْضَ هَذِهِ الْأُودِيَةِ،
 وَأُسَوِّقُ هَذِهِ الْبَدَنَ إِلَى الْحَرَمِ، فَأَنْحَرُ بِهَا»، فقال - عليه السلام -: «افعل» فساقها إلى الحرم، فنحر
 بها، وعند الشافعي أن محل الهدي في الإحصار زمان تحلّه، ومنحر الهدي حيث يتحل، وقوله تعالى:
 ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ ليس مقصوداً على المحصر، بل حكم كل حاج ومعتزم والمرض الذي يبيح
 اللبس والخلق ويقتضي الفدية هو الذي يحتاج إلى تغطية البدن وحلق الشعر، وألزم فدية على التخيير
 ولم يبين وصفها، فنبه عليه النبي ﷺ بقوله لكعب بن عجرة وقد مر به يوم الحديبية وهو محرم، فقال
 له: «أَيُّذِيكَ هُوَ أَمْ رَأْسُكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: إِحْلِقْ رَأْسَكَ وَأَنْبِجْ نُسَيْكَةً، أَوْ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَطْعَمْ
 سِتَّةَ مَسَاكِينَ بَيْنَ كُلِّ مِسْكِينَيْنِ صَاعٌ»^(١)، وظاهر الآية يقتضي أن لا فرق بين قليل الشعر وكثيره
 بخلاف ما قال أبو حنيفة حين لم يلزم إلا بخلق الثلث، وغيره حين لم يلزم إلا بالرّبع، وأما التمتع
 بالعمرة إلى الحج، فقد قيل هو المحصر إذا دخل مكة بعد فوات الحج، وقيل: «هُوَ النَّاسِخُ الْحَجِّ
 بِالْعُمَرَةِ»، وقيل: هُوَ التَّمَتُّعُ الْمَعْرُوفُ فِي الْحَجِّ، وهو الأصح، ولا يجب الدم فيه إلا أن يكون بأربع
 شرائط، الأول: الإحرام بالعمرة في أشهر الحج والتحل منها فيه، والثاني: أن يُنْسِيَ الْحَجَّ مِنْ سَنَّتِهِ،
 والثالث: أن لا يعود إلى الميقات لإنساء الحج، والرابع: أن لا يكون من حاضري الحرم، وإن أحرم في
 رمضان وآخر الطواف إلى شوال ثم أحرم بالحج فهل يلزمه الدم؟

فيه قولان للشافعي، وظاهر إيجاب ما استيسر من الهدي يقتضي أن ذلك بعد الفراغ من

١ - الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب: تفسير القرآن من حديث علي بن حجر بسنده إلى كعب بن عجرة قال: «أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر والقمل يتناثر على جبهتي، أو قال حاجبي، فقال: أَيُّذِيكَ هُوَ أَمْ رَأْسُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاحْلِقْ رَأْسَكَ، وَانْشِكْ نُسَيْكَةً، أَوْ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعَمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، قَالَ أَيُّوبُ رَاوِي الْحَدِيثِ: لَا أَدْرِي بِأَيِّتِهِمْ بَدَأَ. وَقَالَ أَبُو عِيْسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ - ج: ٤ - حديث: ٢٩٧٤. ورواه الحميدي في مسنده - ص: ٧٠٩.

العمرة والدخول في الحج، وكذا الصوم الذي هو بدله، وعند أبي حنيفة يجوز الصوم إذا دخل في العمرة ناوياً للتمتع..

إن قيل: كيف قال في الحج ومهما أحرم يوم عرفة لا يمكنه صيام ثلاثة أيام في الحج، لأنه منهي عن الصوم في يوم النحر وأيام التشريق؟ قيل: الواجب على المتمتع أن يحرم بالحج على الوجه عليه صيام ثلاثة أيام، وذلك بتقديم الإحرام قبل يوم عرفة، وقد قال ابن عمر وعائشة: يصوم أيام التشريق، ويحملان النهي عن الصوم فيها على غير المتمتع، وقوله: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ﴾ [قيل: معناه إذا أخذتم في الرجوع]^(١) بعد الفراغ، وقيل: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى بلدكم [وأهلكم]^(٢) وأطلق اللفظ يحتمل الأمرين جميعاً، فيصح حملُهُ عليهما، وحاضروا المسجد الحرام، قال عطاء: هم أهل الحرم والقربات التي حوله ما لم تبلغ مسافة تُقصر فيها الصلاة، وبه قال الشافعي، وقال طاوس: أهل الحرم لا غير، وقال أبو حنيفة: هم أهل المواقيت ومادونها، وقوله تعالى: (ذَلِكَ) أي الكفارة لمن لم يكن حاضري المسجد، فأما حاضروا المسجد، فلا يلزمهم، وقيل: عني بذلك التمتع أي أن الحاضرين ليس لهم أن يتمتعوا، وإنما ذلك لأهل الأفاق البعيدة.

إن قيل: ما الحاجة إلى ذكر: "تلك عشرة كاملة" عقب قوله (سبعة، وثلاثة، ولا يشك على ذي أدنى بصيرة أن الثلاثة والسبعة عشرة)^(٣) ولا أن ذلك يتنوع، فيكون مرة كاملة ومرة غير كاملة، لأنها إذا لم تكن كاملة لم تكن عشرة^(٤)؟

قيل: قد أجيب عن ذلك بأجوبة..

الأول: أنه لما قال: (ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت) كان يحتمل التخيير، وأن كل واحدٍ منهما على الانفراد يقوم مقام الهدى^(٥) فبين أن مجموعهما يدل على الهدى يقوم مقامه، والثاني: أنه

١- ساقطة من (و-ج).

٢- ساقطة من (و-ج).

٣- ساقطة من (أ-ص).

٤- في (و-ج) لأنها إذا نقصت خرجت عن أن تكون عشرة.

٥- في (أ-ص) يدل على الهدى.

لما قصد بيان كمال الحكم، وأن ذلك يحصل في صوم العشرة، ذكر لفظ العشرة تأكيداً، فإن كان لو قال: (تلك كاملة) كانت مفهومة، وذاك أن الخطاب العامي، أعني ما يفهم به الخاص والعام الذين هم أهل الطبع لا أهل الارتياض بالتعلم لا يكون إلا تكريرات الكلام وزيادات البيان ليحسن إفهام الكافة، ولهذا جاء في القرآن عامة ما يتعلق حكمه بالكافة في غاية الظهور، وما هو مختص علمه بالراسخين في العلم جاء على ضرب من الإيجاز والغموض، إذ كانوا بمعرفتهم يمكنهم أن يتوصلوا إلى حقائقه، وما هو متردد^(١) بين العامة والخاصة كذكر التوحيد والنبوة ذكر تارة بلفظ مبسوط، ليظهر منه للعامة ما يقنعهم، وتارة بلفظ وجيز ليستخرج منه الخاصة ما يتضمنه، ولهذا قال فيما يغمض، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾^(٢)، والثالث: أن قوله: (تلك عشرة كاملة) استطراد كلام، وتنبيه على فضيلة علم العدد، وذاك أنه قد قيل: العدد أول العلوم وأشرفها، أما كونه أولاً، فلأن مآعده به تميز وتفضل، وأما كونه أشرف، فلأنه لا اختلاف فيه ولا تغيير، بل هو لازم طريقة واحدة، فذكر العشرة، ووصفها بالكاملة، إذ هي عدد كمل فيه خواص الأعداد، فإن الواحد مبدأ العدد، والاثنين أول العدد، والثلاثة أول عدد فرد، والأربعة أول عدد زوج محدود، أي مجتمع من ضرب عدد في نفسه، والخمسة أول عدد دائر، والستة أول عدد تام، أي إذا أخذت أجزاؤه لم يزد عليه ولم ينقص منه، والسبعة أول عدد أي لا يتقدمه عدد بعده، والثمانية أول عدد زوج الزوج والتسعة أول عدد مثلث، والعشرة أول عقد ينتهي إليه العدد، فإن كل عدد بعده مكرراً منه بما قبله، فإذا العشرة هي العدد الكامل..

١ - في (١ - من) متردد.

٢ - سورة النساء : الآية (٨٣).

قوله - عز وجل :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾

« الآية: (١٩٧) سورة البقرة. »

جَدَلُ الْحَبْلِ فَتْلُهُ، وبه سُمِّيَ الزَّمَامُ جَدِيلاً، وعنه استُعِيرَ "جَادَلْتُ فُلَاناً"، ولذلك قيل: نَاقَضَهُ^(١) تشبيهاً بنقض الحبل، وَفَتَلَ فُلَانٌ، يَفْتُلُ حَبلاً، هِيَ ذِرْوَةُ فُلَانٍ، إِذَا احْتَالَ عَلَيْهِ، والجَدُولُ: النَّهْرُ الممتدُّ كَالْحَبْلِ المَفْتُولِ، وَالْمَجْدَلُ: الْقَصْرُ الْمُحْكَمُ، وَالْجِدَالَةُ: كُلُّ أَرْضٍ صَلْبَةٍ، والزاد: فَضْلُ الطَّعَامِ الزَّائِدِ عما يكتفي به في الوقت، وقد بين الله تعالى^(٢) فيما تقدم أحكام الحج وما يقع فيه من الإحصار [واستباحة]^(٣) الحلق والتمتع، وبين في هذه الآية وقته الذي يصح فيه ذلك، وَمَنْ قَالَ: أَشْهُرُ الْحَجِّ: شَوَالٌ، وذو القعدة، وتسع من ذي الحجة عنى أن فعله يقع في هذه المدة، لأن لفظ الأشهر يقع على الاثنين، وبعض الثالث، فالفعل قد يُنسَبُ إلى مدة مُمتدة، ويكون واقعاً في بعضها، ولما كان فعل الحج في هذه الأشهر نسب إليها ثلاثتهن، ودلت الآية على أن الإحرام بالحج في غيرهن^(٤) لا يصح لتخصيص الأشهر وهي أدنى العدد، ولقوله:

﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾، والضمير على هذا الوجه لا يقال في التواريخ إلا لأدنى العدد ، كقوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾^(٥)، ثم قال: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، ثم قال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ [يعني: في الأربعة الحرم]^(٦) ويقال: لثَلَاثِ خَلَوْنَ، وثلاث عشر خلت، وقول مالك: إن الإحرام بالحج يصح بعد يوم العاشر بالحج مُسْتَدِلًّا بظاهر الآية قَوِيٍّ، ويعاضده ما روي عنه - عليه

١ - في (و - ج) ناقصة وما في (١ - ص) هو الأصح.

٢ - ساقطة من (و - ج) .

٣ - ساقطة من (و - ج) .

٤ - في (١ - ص) غيرهم.

٥ - سورة التوبة : الآية (٣٦).

٦ - ساقطة من (و - ج) .

السلام- «أشهرُ الحجِّ شَوَّالٌ، وذُو القعدةِ، وذُو الحِجَّةِ»^(١)، وقوله: (فمن فرض فيهن الحج) أي التزم حكمه، وذلك عند الشافعي بالنية فقط وبها يصير محرماً عنده وعند أبي حنيفة -رحمه الله بالنية، ومع سوق الهدى أو التلبية، [واستعمل الفرض في]^(٢) والتزام الحكم وأصله من قطع الحكم مأخوذاً من "فَرَضَ الْقَوْسَ" أي: حَزَّهُ، وقيل لثعلب النحوي: لِمَ جَعَلَ الْفَرَضَ لِمَا هُوَ أَوْكَدُ، والنية لِمَا هُوَ أَخَفُّ؟

قال: لأن الفرض لما يؤثر، كفرض الزند والقوس والسن للضب، فلما كان تأثير الفرض في نفس الشيء أبلغ من تأثير السن، فجعل لما هو أوكد، والرفث ههنا: قيل هو الجماع، وقيل: هو حديث الجماع، وروي عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنه كان ينشد في الطواف:

إِنْ تَصَدَّقَ الطَّيْرُ نَنْكَ لَمِيسَا^(٣)، فقيل له: أترَفْتُ؟

فقال: «لَيْسَ هَذَا الرَّفْثُ، إِنَّمَا الرَّفْثُ مُرَاجَعَةُ النِّسَاءِ الْحَدِيثُ بِذِكْرِ الْجَمَاعِ»، إن قيل: الفُسُوقُ مُحْظُورٌ فِي كُلِّ حَالٍ، فكيف خُصَّ بِهِ الْحَجُّ؟ قيل: الْفُسُوقُ هَاهُنَا يَعْنِي الْأَشْيَاءَ الْمُحْظُورَةَ تَعَاطِيهَا فِي حَالٍ، [الحج]^(٤) كالصيد والطيب، واللباس، وإن لم يكن فسقاً في غير الحج؟ قيل: تخصيص الحج به تنبيه على شرفه وعظم موقعه، كقوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥) وإن كان ظلم النفس في كل حال

١ - الحديث أورده ابن كثير في تفسيره من رواية الحافظ ابن مردويه من طريق حصين بن مخارق وهو متهم بالوضع عن يونس بن عبيد عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحج أشهر معلومات شوال وذو القعدة وذو الحجة» ثم عقب عليه ابن كثير بقوله: وهذا كما رأيت لا يصح رفعه، والله أعلم. تفسير القرآن العظيم - ج: ١ - ص ٢٣٦.

٢ - ساقطه من (١ - ص).

٣ - البيت قاله ابن عباس وهو محرم، وشطر البيت هو:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمْسَا
إِنْ تَصَدَّقَ الطَّيْرُ نَنْكَ لَمِيسَا

فقال له صاحبه حصين بن قيس: أترَفْتُ وأنت مُحْرِمٌ؟

فقال: إن الرفث ما قيل عن النساء.. الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ج: ١- ص ٨٨٩.

٤ - ساقطة من (١ - ص).

٥ - سورة التوبة: الآية (٣٦).

مَكْرُوهًا، وكما قال: «إِذَا صَامَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَجْهَلْ، فَلَا يَرْفُثْ، فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ»^(١)، وقوله ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ أي: لا يجوز المماراة، وقيل معناه: لا شك أن فرضه مقرر في ذي الحجة بخلاف ما فعله النساء، قيل: هو حثُّ على التحابُّ، وقيل: "هو حثُّ على التحابِّ والنظافة وترك ما يؤدي إلى التَّبَاغُضِ"، وكل ذلك يصح إرادته، وقيل قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ إشارة إلى أن من التزم هذا الفرض وتحراه يمنعه عن الرفث والفسوق، وكأنه نبه على علة ما أوجب لأجله الْحَجَّ، فهو تهذيبُ اللسان عن الخَنَاءِ، وإصلاحُ البدن [بالمَنع]^(٢) من تعاطي الفسق، كما جعل الصلاة علةً لترك الفحشاء والمنكر، والصَّوْمَ علةً لِلتَّقْوَى في قوله: (لعلكم تتقون)، والزَّكَاةَ علةً لِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ في قوله: ﴿وَتَزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٣) وقوله: ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ نهي على ما تقدم، ولهذا فَصَّلَ بين إعرابيهما بعضُ القراء، ونبه بقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ على مجازاته إياهم، كما نبه في عامة القرآن على ذلك، نحو: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(٥)، ﴿وَإِنْ رَيْكَ لِبِأَمْرِ صَادٍ﴾^(٦) وما يجري مجراه من الأقوال:

وقوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ حثُّ على تقوى الله واقتناء الأعمال الصالحة، والإعراض عن الدنيا سوى ما يُتَوَصَّلُ به إلى الآخرة... وقال أبو المطيع البلخي لحاتم الأصمَّ:

«بَلَّغْنِي أَنْكَ تَجُوبُ الْبَادِيَةَ بِلَا زَادٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَجُوبُهَا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ، أَرَى الدُّنْيَا بِحَذَائِيرِهَا مِلْكَأَ لِه، وَأَرَى الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ، وَأَرَى الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِيَدِهِ، وَأَرَى قَضَاءَهُ نَافِذًا فِي كُلِّ أَرْضٍ»، فَقَالَ: «نِعْمَ الزَّادُ زَادُكَ يَا حَاتِمُ نَحَوْتُ بِهِ مَقَاوِزَ^(٧) الْآخِرَةِ»، وقول من قال: «أُنْزِلَتِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ يَحْجُونَ بِلَا

١ - الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج: ١ - ص: ١٩٠، ورواه الطبراني في معجمه، وأخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير - ج: ١ - حديث ٧٩٥ - ص: ٢٧٦، وقال: صحيح. ونص الحديث: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَفْسُقْ... الخ الحديث.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة التوبة: الآية (١٠٣).

٤ - سورة البقرة: الآية (٢٢٤).

٥ - سورة البقرة: الآية (٢٢٠).

٦ - سورة الفجر: الآية (١٤).

٧ - في (أ - ص) مقادر، وهو تصحيف.

زَادَ، وَيَتَكَفَّفُونَ، فَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مُرَادٌ بِالآيَةِ مَا تَقْدِمُ، فَالْتَكَفُّ قَدْ يَكُونُ مَنَافِيًا لِلتَّقْوَى،» وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لما أمر بالتقوى، أمر أن يكون هو تعالى المقصود بها، وقيل: تقواه حفظ النفس إن نالها عقابه أو يتخطاها ثوابه، وذلك منعها متابعة الهوى، وحملها على طريق الهدى، وذلك على ثلاثة منازل.. الأول: ترك الكفر والكبائر، والثاني: ترك المحارم وأداء الفرائض اللذين يقتضيهما إلزام الشرائع، والثالث: حفظ القلوب عن التلفت إلى الذنوب، وهو المعنى، بقول من قال: «التَّقْوَى هِيَ التَّبَرُّؤُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَحْصُلُ الثَّالِثُ إِلَّا بِحُصُولِ الثَّانِي، وَلَا الثَّانِي إِلَّا بِحُصُولِ الْأَوَّلِ،» وعن هاهنا الغاية، ولهذا خُصَّ أولوا الألباب بالخطاب، فاللب أشرف أوصاف العقل، وهو اسم الجزء الذي بإضافته إلى سائر أجزاء الإنسان، كلب الشئ إلى القشور، وباعتبار اللب، قيل لضعيف العقل: «يراعة»، و«قصب»، و«منخوب»^(١) و«خاوي الصدر»، وقال - عز وجل- ﴿وَأَلْفِدْتَهُمْ حَوْلاً﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً﴾^(٣).

قوله - عز وجل :

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عَبْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ «الآية: (١٩٨) - سورة البقرة».

فاض الإناء، انصب عن امتلاء، ومنه: فاض صدره بسرّه، ورجل فياض سخي -تشبيهاً بنهر فياض، ودرع مفاضة: افتضت على لابسها كقولهم: مسنونة، وعنه استعير: «فاض من عرفة»، و«فاض بالقداح» و«فاض البعير بحريه»، و«حديث مستفيض»، كقولهم: شائع وسائر، وكانت العرب تتحاشى من التجارة في الحج حتى إنهم كانوا يتجنبون المبايعه إذا دخل العشر الأواخر، وحتى سموا

١ - اليراعة واحدة اليراع للقصب والحشرة واليرع شئ كالبعوض يغشى الوجه، والقصبه هي كل أنبوبة في ساق الشجر ينتهي بعقلتين، وكل عظم مستدير أجوف ذي مخ، والنخوب هو الذاهب اللحم الهزيل، مادة يرع- وقصب - نخب- المعجم الوسيط.

٢ - سورة إبراهيم : الآية (٤٣).

٣ - سورة القصص : الآية (١٠).

من يوالي متجراً في الحج: الداج دون الحاج، فأباح الله ذلك، وعلى إباحة ذلك دل قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي
النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾^(١) إلى قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَأَخْرُجُوا يُضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنَّتَفِرُونَ
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٣)، وأمر الله بذكر الله تعالى عند المشعر الحرام أي المزدلفة، وقيل: عنى بذكره عند
الجمع بين المغرب والعشاء، وهذا يدخل في عموم الذكر، فقد سمي الصلاة ذكراً في قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٤) وقيل لبعض العلماء: "لم أمر الناس بالمقام عند المشعر الحرام، وبالذكر"؟، فقال: لأن
الكعبة بيت الله الحرام حجابه، والمشعر بابه، والوافد إذا قصد الباب أقام وتضرع، فإذا وصل إلى
الحجاب، قدم قربانات، وقضى التفث، وتطهر، ثم يؤذن له في الدخول، وأعاد الأمر بالذكر ثانياً.
وأوجب أن يكون ذكره كهدايته أي مولداً^(٥) لهدايته لنا ثم قال: (وإن كنتم)، أي وإن كنتم كنتم قبل
لضالين، وإن محققة من الثقيلة بدلالة دخول اللام معها، والضلال هاهنا الجهل بالمعارف الحقيقية
نحو: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾^(٦).

١ - سورة الحج : الآية (٢٧).

٢ - سورة الحج : الآية (٢٨).

٣ - سورة المزمل : الآية (٢٠).

٤ - سورة الجمعة : الآية (٩).

٥ - في (و - ج) مولداً، وهو خطأ من الناسخ.

٦ - سورة الضحى : الآية (٧).

قوله - عز وجل :
﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

«الآية : (١٩٩) - سورة البقرة»..

رُوي أن قريشاً لم يكونا يقفون مع الناس بعرفة ولا يبيتون بالمزدلفة ويقولون: «نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ»، وكانوا يقفون دون عرفة، فأمرهم الله تعالى أن يفيضوا مع سائر الناس، قاله ابن عباس، وعائشة، ومجاهد، والحسن،^(١) وقيل: إنه أمر جميع الناس أن يفيضوا من حيث أفاض الناس، أي إبراهيم، وسماه "الناس" والناس تُستعمل على ضربين، أحدهما: للنوع من غير اعتبار مدح أو ذم، والثاني: للمدح اعتباراً بوجود تمام الصورة المختصة بالإنسانية، وليس ذلك في هذه اللفظة فقط، بل في اسم كل جنس ونوع، نحو: هذا فرس، وفلان رجل، وليس هذا بفرس ولا فلان برجل، أي ليس فيه معناه المختص بنوعه، وبهذا النظر نفى السمع والبصر عن الكفار، فعلى هذا سمي إبراهيم الناس على سبيل المدح، [وعلى وجه آخر]^(٢) وهوان الواحد يسمى باسم الجماعة تنبيهاً أنه يقوم مقامهم في الحكم، وعلى هذا قول الشاعر:

وَيَرَى فَيَحْسِبُهُ الْقَتِيلُ قَتِيلًا...^(٣)

وقال : تستجمعي الخلق في تمثال إنسان..^(٤)

١ - أورد بن حجر العسقلاني ما رواه البخاري لسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة - وكانوا يسمون الحمس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يأتي عرفات ثم يقف بها ، ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) . فتح الباري ج : ١٢ : كتاب التفسير ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٦ ، وأورده السيوطي في أسباب النزول فيما أخرجه بن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر وفيما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال : كانت العرب تقف بعرفة وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة فأنزل الله الآية أسباب النزول - للسيوطي - ص ٢٧ - ط ، دار المنار بالقاهرة .

٢ - ساقطة من (١ - ص) .

٣ - لم أهدد إلي نسبته .

٤ - هذا عجز بيت لأبي نواس وهو من قصيدة مطلعها :

يامن يبادلني عشقاً بسلوان أم من يصير لي شقلاً بإنسان

و تمامه :

متى تحلي إلي الرجل سائلة تستجمعي الخلق في تمثال إنسان

وهو في شرح ديوان أبي نواس ص ٤٧٧ .

وقال: وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يُجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(١)

وعلى هذا قال تعالى: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾^(٢)، وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ أي من عَرَفَةٍ، وقيل: من المزدلفة، وهو أقرب، لأن بعده: ﴿فَإِذَا أَلْفُتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾^(٣)، والاستغفار، والتوبة، والإنابة، والأوبة تتقارب، لكن الاستغفار [طلب]^(٤) غفر الذنب، والتوبة تركه، والإنابة: الرجوع عن^(٥) الضلال إلى الهدى، والأوبة رجوع القلب إلى الله تعالى، وهذه المعاني وإن كانت متلازمة، فالفاظها اختلفت لاختلاف النظرات، فأمر تعالى بالاستغفار له عن الاشتغال^(٦) بغيره من أمور الدنيا، وبين أن الله تعالى غفورٌ للمطيعين، رحيمٌ بالعاصين، يدعوهم برحمته إلى بابه، ويرغبهم في جزيل ثوابه...

١ - قائل البيت هو أبو نواس وذلك كما في ديوانه - ج : ١ - ص ٣٤٩ ، ودلائل الإعجاز ، - ص ١٥٢ ، والبحر المحيط - ج

٥ - ص ٥٤٧ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون - ج : ٧ - ص ٣٠١ ، كما ذكره الراغب في محاضرات الأدباء - ج : ١ - ص

٢٩٩ ، وذكره محمد بن أيمن في مخطوط كتاب : الدر الغريد وبيت القصيد ، وذكر أن أبانواس قاله يمدح به الفضل بن الربيع

مخاطباً الخليفة في قصيدة مطلعها :- قولاً لهارون إمام الهدى ... عند احتفال المجلس الحاشد .

إلى أن يقول :- أنت على بابك من قدرة فلست مثل الفضل بالواحد

أوحده الله فما مثله لطالب رداً ولناشد

وليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

مخطوط كتاب : الدر الغريد - ج : ٥ - ص ٣٠٦ ، وديوان أبي نواس - ص ٤٥٤ بتحقيق وضبط : أحمد عبدالمجيد الغزالي .

٢ - سورة النحل : الآية (١٢٠)

٣ - سورة البقرة : الآية (١٩٨) .

٤ - ساقطة من (و - ج) .

٥ - في (١ - ص) من .

٦ - في (١ - ص) الاستغفار ، وهو خطأ من الناسخ .

قوله - عز وجل :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ ﴾ « الآية (٢٠٠) - سورة البقرة »..

القضاء: فصل الأمر، والنسك أخذ النفس^(١) ببلوغ غاية العبادة، واختص في تعارف أهل الفقه بعمل الحج وبالذبيحة حتى سميت نسكية، كما سميت قرباناً، وقولهم: إذا فعلت كذا فافعل كذا، يقال على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون "افعل" أمراً بما تقدم فعله نحو: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا ﴾^(٢)، الثاني: أن يكون الأمر بشئ هو من أبعاض ذلك الفعل وفي أثناؤه، نحو: "إذا صليت فاركع واسجد"، والثالث: أن يكون بعده، نحو: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَبِهُوا ﴾^(٣) والآية، محمولة على ذلك تنبيهاً ففي ابتداء النسك ذكر، وهو التلبية وفي أثناؤه ذكر، وهو عند المشعر والطواف، وفي انتهائه ذكر، وهو شكر الله - عز وجل - وذكره عند طواف الوداع، ولما كان الذكر ذكرين، ذكر بالقلب، وذكر باللسان تتناولهما الآية، ولما كان الإنسان لا يتشكك في أن أباه أحد أسباب وجوده، وأنه منه أوجد ولا ينسى ذكره في شئ من أحواله، وكانوا يتبحرون بمكانه، ويفتخرون بكونهم عنه، أمروا أن يذكروا الله كذكرهم آبائهم وأن يتحققوا أنه تعالى سبب وجودهم، بل سبب وجود آبائهم، وأن يفتخروا به كافتخارهم بأبائهم، وقد روي أنهم كانوا يفتخرون بأبائهم بعد فراغهم من حجهم، فأبطل الله ذلك، وعليه نبه النبي ﷺ بقوله: "إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالأباء، فالناس من آدم، وأدم من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(٤)..

١ - في (١ - ص) اليقين، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - سورة المائدة : الآية (٦).

٣ - سورة الجمعة : الآية (١٠).

٤ - سورة الحجرات : الآية (١٣). والحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج٦-ص٩٨، وأخرجه الزبيدي في : إتحاف السادة المتقين ج: ٨-ص٤١٩ من حديث أبي أمامة مرفوعاً. ونص الحديث كما أخرجه الزبيدي «إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكبرها بأبائهم، كلكم لآدم وحواء كلف الصاع بالصاع، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ثم تلا الآية..

وقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ ذِكْرًا﴾ تنبيه أنه إذا كان الأب يذكر لأنه سبب ما لوجودكم، فالباري - عز وجل - أولى بأن يذكر..

إن قيل: كيف خير بين أن يذكر كذكر الآباء وبين أن يذكر أشده ذكراً؟

قيل: لفظ أو وإن كان للتخيير، فمقتضى الكلام على إيجاب أن يكون ذكره أشد، لأنه لما نبه على موضع نعمتهما أعنى نعمة الأب ونعمة الله - عز وجل - وشكر المنعم بقدر عظمة نعمته، وقد علم فضل نعمته تعالى على فضل نعمة الأب، فصار ذلك منبهاً^(١) أن ذكر الله أوجب، وقوله:

﴿مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا﴾ إشارة إلى ما روي أنهم كانوا يقولون: «اللَّهُمَّ اكْثِرْ مَالَنَا، وَأَوْلَادَنَا»^(٢) وَأَنْزِلِ الْغَيْثَ عَلَيْنَا، وَأَنْبِتْ مَرْعَانَا»، ولا يسألون شيئاً من أمور آخرتهم، وإنما سألوه^(٣) الدنيا دُونَ الآخرة، لأنهم عرفوها ولم يعرفوا الآخرة، وكيف يسأل الآخرة من لا يعرفها؟ وكيف يعرفها من لم يتحقق كونها؟ وكيف يتحقق كونها من لم يبصرها؟ أي لم تدركها بصيرته؟ وليس يعني بقوله: (يقول)^(٤) التفوه بذلك فقط، بل صرفُ العناية إليها، والاهتمام بها، والخلق نصيب الإنسان من أفعاله الحمودة التي تكون خلقاً له، وذلك أن الفعل قد يحصل من الإنسان تَخَلُّقاً، وقد يحصل منه خَلْقاً وهو الحمود، وفي قوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ تنبيه أن الأريحية لهم صادقة صادرة عن أخلاقهم...

١ - في (١ - ص) تنبيهاً.

٢ - ساقطة من (١ - ص).

٣ - في (١ - ص) سألوا.

٤ - ساقطة من (١ - ص).

قوله عز وجل :

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

«الآية (٢٠١) - سورة البقرة ..»

لما أجرى الله تعالى العادة أن لا بد للإنسان من اختيارهم وأشرارهم من بلغه في الدنيا، صار المؤمن يطلبها كما يطلبها الكافر، لكن طلب المؤمن لها على سبيل الغرض قدر ما يحس، وفي وقت ما يحسن، ولأجل الحاجة إليها..

قال بعض الصالحين: «اللهم وسّع الدنيا عليّ، وزهّدني فيها، ولا تضيقها عليّ فتزعّجني فيها».

فقوله تعالى: ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي ما لا يستقبح عاجلاً وأجلاً ويكون ذريعة إلى المقصد، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ أي ثواباً ورحمة وعلى هذا قال الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية إلى النار.

قوله - عز وجل :

﴿أُرْثِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ «الآية : (٢٠٢) - سورة البقرة».

النصيب في الأصل: المنسوب، وجعل السهم المقرّر نصيباً، والنصب: رفع الشئ، وبه سمي النصيب، وإنصاب الحرم، ونصاب السكين، وفلان في نصاب صدق تشبيهاً بنصاب السكين، ونصب الحروف في الإعراب، ونصب الستر على التشبيه، والحساب: عنه استعير الحسابان المقارب لمعنى الظن، وحسب الذي هو معنى الكفاية بين تعالى أن من جمع بين طلب دنياه وأخراه، ولم يقتصر على طلب الدنيا الموصوفة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾^(١).. الآية، فقد تناول نصيبه المأمور به في قوله: ﴿وَلَا تَسْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٢)، ولم يكن كمن قال فيهم:

١ - سورة يونس: الآية (٢٤).

٢ - سورة القصص: الآية (٧٧).

﴿ وَقَدْ مَتْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَبَجَعْنَاهُ هَبَاءً مُثْقَرًا ﴾^(١)، ولما كان الحساب يكشف عن مُجمل

الشيء وتفصيله، نبه بذلك على إحاطته بأفعال عبادِهِ وَقُوفِهِ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَذَكَرُ "السَّرِيع" تنبيهاً أن ذلكَ مِنْهُ، لا في زمان ولا بفكره، وذلك أبلغُ مَا يُمكنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ بِهِ الكَافَّةُ سُرْعَةَ فِعْلِ اللَّهِ عز وجل.

قوله - عز وجل :

﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهُهُ تُحْشَرُونَ ﴾ الآية: (٢٠٣) - سورة البقرة.

الأيامُ المَعْدُودَاتُ عند الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - ثلاثة أَيَّامٍ بَعْدَ النَّحْرِ وَالْمَعْلُومَاتُ عشر^(٢) ذي الحجة، وقال مالك وأبو حنيفة - رحمهما الله - في إحدى الروايتين: المَعْدُودَاتُ يَوْمُ النَّحْرِ، وَيَوْمَانِ بَعْدَهُ، فَيَوْمُ النَّحْرِ عِنْدَهُمَا مِنَ الْمَعْلُومَاتِ وَمِنِ الْمَعْدُودَاتِ جَمِيعاً، وَقَائِدَةُ الْخِلَافِ أَنَّ عِنْدَ مَالِكٍ لَا يَجُوزُ النَّحْرُ ثَلَاثَ أَيَّامٍ التَّشْرِيقِ، وَالْحَشْرُ: ضَمُّ الْمَتَفَرِّقِ وَسَوْقُهُ، يَقَالُ: حَشَرْتَهُمُ السَّنَةَ: أَي ضَمَمْتَهُمْ مِنَ النَّوَاحِي إِلَى الْحَضَرِ، وَاخْتَصَّ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ بِصِفَارِ الدُّوَابِّ، وَسَهْمٌ حَشْرٌ مَضْمُومُ الْعَدَدِ، وَكَذَلِكَ أُذُنٌ حَشْرٌ^(٣)، وَرَفَعَ الْإِثْمَ عَنِ الْمُتَعَجِّلِ وَالْمُتَأَخِّرِ عَلَى وَجْهِ الْإِبَاحَةِ، وَقِيلَ: مَعْنَى رَفَعَ الْإِثْمَ إِنَّهُ حَطَّ ذُنُوبَهُمَا بِإِقَامَتِهِمَا الْحَجَّ تَعَجَّلَ أَوْ تَأَخَّرَ بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ مُتَقِيّاً - تنبيهاً أَنْ الِاعْتِبَارَ بِالتَّقْوَى فَقَطْ، وَعَلَى ذَلِكَ دَلُّ قَوْلِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - « مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَرَفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »^(٤) ثُمَّ قَالَ: (وَاتَّقُوا اللَّهَ) مُتَحَقِّقِينَ أَنْكُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَعَلَى أَعْمَالِكُمْ مُحَاسِبُونَ.

١ - سورة الفرقان : الآية (٢٣).

٢ - في (١ - ص) عن وهو خطأ من الناسخ.

٣ - الحشر: هو الاجتماع، واجتماع الخلق يوم القيامة، والجماعة، ومن الأذان وريش السهام ونحوها: الصغيرة اللطيفة المجتمعة، ويستوي فيه المذكر والمفرد وفروعها، لأنهما في الأصل مصدر، يقال أذن حشر، وأذان حشر، ومن السهام المستوي الريش، يقال سهم حشر، وسهام حشر، والجمع حشور ويوم الحشر يوم القيامة. والحاشر أحد أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، المعجم الوسيط - ج ١ - مادة - حشر.

٤ - الحديث أخرجه الترمذي في سننه ولفظه من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه « والحديث عن أبي هريرة ج : ٣ - ص ٨١١ كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري لسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ج : ٥ - ص ١٧٥ : ص ١٧٦ كتاب الحج - باب فضل الحج المبرور - كما أورده في كتاب المحصر باب قول الله عز وجل « فلا رفث » بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج وكذلك أخرجه النسائي وابن ماجه بلفظه .

قوله - عز وجل :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾

«الآية: (٢٠٤) - سورة البقرة...»

التعجب حيرة تعرض للإنسان عن جهل سبب الشيء، وليس هو شيء ماله في ذاته حالة، بل هو بحسب^(١) الإضافات إلى من يعرف السبب وإلى من لا يعرفه، ولهذا قال قوم كل شيء عجب، وقال قوم: لا شيء عجب، وحقيقة أعجبنى كذا، أي ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه، والألد المائل اللديد، أي صفحة العنق، ثم يعبر به عن المتكبر كالمتصلف أي المشتكي صليفه، والأصيد البعير الذي به الصد، ولهذا قال الشاعر:

وَيُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَنُقِ الْأَصِيدِ^(٢)

وقال : إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ يَلْفُتْ حَوْلَهُ وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُهُ^(٣)

واستعير الألد للجدل الذي لا يمكنه صرف رأسه عما عض عليه، ولما كانت الدنيا والآخرة كالتضادين حتى قال أمير المؤمنين: [زنها بكفتي ميزان]^(٤) لا ترجح إحداهما إلا بنقصان الأخرى، وقال: قررة كالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، فمن حذق في إحديهما خرق في أخرى، ولهذا قال عليه السلام في اعتباره بأهل الدنيا: «أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلَّةُ»^(٥)، وقال في اعتباره

١ - في (١ - ص) بسبب.

٢ - هذا عجز بيت لم أعثر له على نسبه.

٣ - البيت يروي لحاتم الطائي وذلك كما في شرح ديوان الحماسة ص ٢٢٣ - لأبي تمام ، كما ورد البيت في اللسان بلا نسبة - مادة (قود) ج : ٤-ص ٣٧٤ ، وفي التاج - قود - ص ٤٧٨ كما ورد في كتاب : التقفية في اللغة - لأبي بشر اليمان البند نيجي المتروفي

سنة ٢٨٤ بتحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية ص ٣٣٥ . ونصه :

وإن اللئيم دائم الطرف أقود

فإن الكريم من تلفت حوله

٤ - ساقطة من (١ - ص) .

٥ - الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج : ٨-ص ٧٩ ، ج ١٠ ص ٢٦٤، ص ٤٠٢ وقال فيه العراقي : رواه البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك ، وقال ابن عدي إنه منكر وسبقه ابن الجوزي ، وقال حديث لا يصح ، وقال الدار قطني : تفرد به سلامة ابن روح عن عقيل وهو ضعيف ووثقه ابن حبان وغيره وضعفه أحمد بن صالح وغيره ، انظر تخريج أحاديث علوم الدين لأبي عبد الله الحداد ج : ٤-ص ١٥٤٣ ، كما أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ج : ٧ - ص ١٥٧ ، ص ٢٤٤ ، ص ٦٢٧ ، ج : ٩ - ص ٢٣٦ ، كما أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم « ٣٩٢٨٣ » .

بأهل الآخرة^(١): "الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ.." نبه أن من الناس من إذا صادفته وجدته معجباً لك في أمور دنياه، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُ أَجْسَامُهُمْ﴾^(٢) الآية.. ويحلف بأن قلبه [مطمئن بالإيمان]^(٣) ومطابق للسانه وهو يجادل في ذلك ويخاصم، وقوله تعالى ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ إشارة إلى نحو ما وصف به المنافقين، حيث قال قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾^(٤).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾

الآية (٢٠٥) - سورة البقرة.

السعي: مشى سريع، ومنه قيل السعي بين الصفا والمروة، فجعل مستعاراً للتصرف، ولأجله قيل لجابي الصدقة ساع، وقيل للوقعة في الغير سعاية، وذلك كاستعارة المشي لهما في قوله ﴿هَمَزُ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(٥)، والنسل: مصدر نسل إذا خرج منفصلاً ومنه: نسل الوبر والريش.

والنسالة للساقط منه، ونسل إذا أسرع، قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَسْلُونَ﴾^(٦)، وسمي الولد نسلاً لكونه ناسلاً عن أبويه بين تعالى حال هذا المعجب في الدنيا المرائي المجادل بأنه إذا تولى عمن يرائي سعي في الإفساد وإهلاك الحرث والنسل وذلك معاندة لله فيما حث عليه في قوله:

١- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج: ٤-ص ١٢٤، وقال الحافظ العراقي ورواه الترمذي وقال حسن، ورواه ابن ماجه من حديث شدد بن أوس ورواه أحمد والحاكم في الإيمان والعسكري والقضاعي، وكلهم من حديث ابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شدد، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، انظر تخريج أحاديث الإحياء ج: ٣-ص ١٣٥٩، ص ١٣٦٠، كما أخرجه الطبراني في معجمه ج: ٧-ص ٣٨٣، ص ٣٤١، كما أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج: ٧-ص ٤٤، ج: ٨-ص ٤٢٨، ص ٤٤١، ج: ٩-ص ١٨، ص ٣٩، ج: ١٠-ص ٩٣، ص ١٥١، ص ٢٢١، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج: ١٤-ص ٢٠٨.

٢- سورة المنافقون: الآية (٤).

٣- ساقطة من (و- ج).

٤- سورة المنافقون: الآية (١).

٥- سورة القلم: الآية (١١).

٦- سورة يس: الآية (٥١).

﴿وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا﴾^(١)، وما دل عليه قول النبي -عليه السلام- لما خلق الله المعيشة جعل البركة في الحرث والنسل^(٢)، وبين أن من فعل ذلك فإن الله لا يحبه، أي لا يرضى فعله..

إن قيل: كيف حكم تعالى بأنه لا يحب الفساد وهو مفسد للأشياء؟

قيل: الإفساد في الحقيقة إخراج الشيء من حالة محمودة لا لغرض صحيح، وذلك غير موجود في فعل الله تعالى، ولا هو أمر به ولا محب له، وما يراه من فعله، [ويظهر بظاهره]^(٣) فساداً فهو بالإضافة إلينا ولاعتبار ما، فأما بالنظر الإلهي فكله صلاح، ولهذا قال بعض الحكماء: «يا من إفساده إصلاح» أي ما نظنه إفساداً لقصور نظرنا ومعرفتنا فهو في الحقيقة إصلاح، وجملة الأمر أن الإنسان هو زينة هذا العالم، وماعداه مخلوق لأجله، ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَنَافِيَ الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾^(٤)، والمقصد من الإنسان سوقه إلى كماله الذي رشح له، فإذا إهلك ما أمر بإهلاكه فإصلاح الإنسان، وأما أمانته، فأحد أسباب حياته الأبدية، ولشرح هذه الجملة موضع آخر من التفسير..

قوله عز وجل :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

الآية (٢٠٦) - سورة البقرة.

المهد معروف، وتصور منه التوطئة، فليل لكل وطيء مهد، والمهاد جعل تارةً جميعاً للمهد، وتارةً اسماً للآلة، نحو فراش، وجعل جهنم مهاداً لهم كما جعل العذاب مبشراً به في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٥)، وقوله: بالإثم أي سبب الإثم، وقيل: دعت العزة إلى أن يأتهم، كقوله: أخذني بفعل

١ - سورة هود : الآية (٦١).

٢ - بحثت عنه فلم أجده.

٣ - ساقطة من (و - ج).

٤ - سورة البقرة : الآية (٢٩).

٥ - سورة آل عمران : الآية (٢١) وسورة التوبة الآية (٢٤)، سورة الانشقاق : الآية (٢٤).

كذا، أي بأن أفعله وبين أن جهنم نصيبه الكافي جزاؤه^(١) الوافي، ثم دل على حال جهنم بقوله: ﴿وَلِبَئْسَ الْمِهَادُ﴾ ..

قوله - عز وجل :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

الآية (٢٠٧) - سورة البقرة.

يشري يبيع ويشترى، وقد تقدم حقيقته، وحقيقة البيع والناس على أضرب ضرب باع نفسه من الشيطان بالشهوات، فصار علقاً في يده لا سبيل إلى الانفكاك منه، وهم المعنيون بقوله: ﴿فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهَرَبَ بِهِمُ النَّارَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوَاهُ﴾^(٣)، وضرب وقع أسر الشيطان عليه، فاجتهد في تخليص نفسه منه وهو المعنى بقوله - عليه السلام: «الناس غاديان، فباع نفسه فمويقها، ومبتاع نفسه فمعتقها»^(٤)، وضرب لم يقع عليه أسر الشيطان، وقد باع نفسه من الله - عز وجل -، وهو المعنى بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْرُهُمْ بِأَن لَّهُمُ الْجَنَّةَ﴾^(٥)، وبين تعالى كيف اشترى

أنفسهم بقوله: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٦)، فقوله: ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ يتناول ضربين: المخلص نفسه

١ - في (١ - ص) ومراه، وهو خطأ من الناسخ.

٢ - سورة النحل : الآية (٦٣).

٣ - سورة الجاثية : الآية (٢٣).

٤ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٣ - ص ٣٢١ عن كعب بن عجرة ولفظه: «الناس غاديان، فباع نفسه فمويقها، ومبتاع نفسه فمعتقها» كما أخرجه ابن عبد البر في التمهيد - ج: ٢ - ص ٣٠٣، وأخرج المنذري في الترغيب والترهيب - ج: ٢ -

ص ١١، ج: ٣ - ص ١٩٤ وذلك من حديث كعب بن عجرة.

٥ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٦ - سورة التوبة - الآية: (١١١).

من أسر الشيطان، ومن باع نفسه من الله فإنن يشري نفسه للأميرين، والشراء والبيع في مثل هذا الموضع كالرمز والإشارة، وحقيقتهما وقف الإنسان نفسه على مرضاة الله- عز وجل-، والتحري في مصالح عباده، وقيل: إنها نزلت في صهيب بن سيار، وكان قد أخذ المشركون، وقتلوا بعض من كان معه، فقال صهيب: أنا شيخ لا أنفعكم إن كنت معكم، ولا أضركم إن كنت عليكم، فخذوا مالي وخلوا سبيلي، ففعلوا فلما ورد المدينة، قال له أبو بكر: ربح بيعك، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١)، ونبه بقوله: ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، أن الإنسان في بيع نفسه منه تعالى يدخل في ملك من هو أرأف به من نفسه وأولى به من ذاته..

١ - أورده السيوطي في أسباب النزول فيما أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال : أقبل صهيب مهاجراً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته وانتل مافي كنانته ، ثم قال : يامعشر قريش : لقد علمتم أنني من أركامكم رجلاً وأيم الله لاتصلون إلي حتي أرمى كل سهم معي في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم لالتكم علي مالي بمكة وخليتم سبيلي ، قالوا : نعم ، فلما قدم علي النبي - صلى الله عليه وسلم المدينة قال : ربح البيع أبايحي ، ونزلت : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد) وأخرج الحاكم في المستدرك نحوه من طريق ابن المسيب عن صهيب موصولاً وأخرج أيضاً نحوه من مرسل عكرمة ، وأخرجه أيضاً من طريق جاد بن سلمة عن ثابت عن أنس وفيه التصريح بنزول الآية ، وقال : صحيح علي شرط مسلم ، وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال : نزلت في صهيب وأبي ذر وجندب . من السكن أحد أهل أبي ذر .. أسباب النزول - السيوطي - ص ٢٨ ط : دار المنار للنشر والتوزيع - القاهرة .

قوله - عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآلَةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

الآية (٢٠٨) - سورة البقرة .

عنى بالسلم سلم العبد الله^(١) - عز وجل-، وذلك أن الإنسان في كفره، وكفران نعمة الله كالمحارب له، ولهذا يسمى الكافر المحارب في نحو قوله: ﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢)، وسلم العباد لله على ثلاثة أضرب، ضرب يتقدمه إلى الإيمان وهو الإسلام الذي سلم به من الله أن يراق دمه ويسلب ماله^(٣) وهو المعنى بقوله - عليه السلام:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم»^(٤).

واثنان بعد الإيمان، أحدهما أن يسلم من سخطه بارتسام أوامره وزواجه طوعاً أو كرهاً، والثاني: أن يكون سليماً من الشيطان وأوليائه، وسليماً فيما يجري من قضائه، وبه يحصل [دار السلام المذكورة في قوله تعالى]: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٥) وهذا غاية ما ينتهي إليه للعبد من المنازل الثلاث وإن كان لكل منزلة منها درجات، وهذا السلم هو المعنى بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٦)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

١ - في (١ - ص) سلم الله.

٢ - سورة المائدة : الآية (٢٣).

٣ - أورد السيوطي في سبب نزول الآية ما أخرجه ابن جرير عن عكرمة قال : قال عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وقيس بن زيد كلهم من يهود : يا رسول الله يوم نعلمه، فدعنا فلنسبب فيه، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلننقم بها بالليل ، فنزلت الآية : (ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) .

الدر المنثور - السيوطي - ص ٢٨ - ط : دار المنارة - القاهرة .

٤ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عمر - ج ١ - ص ١٩ ، ج ١ - ص ٣٥ ، ص ٤٨ ، ٤٧ ، وأخرجه البخاري في صحيحه - ج ١ - ص ١٣ ، ١٠٩ .

٥ - سورة يونس : الآية (٢٥)، وهذه العبارة ساقطة من (١ - ص).

٦ - سورة آل عمران : الآية (١٠٢).

الإسلام^(١)، وهو الذي تمناه يوسف - عليه السلام - بقوله: ﴿تَوَلَّيْ مُسْلِمًا وَالْحَقْبِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿كَافَّةً﴾ حال للمخاطبين، أو للسلم وقد تقدم الكلام في قوله: ﴿وَلَا تَبْعُوا خُطْرَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، ونبه أن اتباع الشيطان خروج عن السلم، ونبه على معاداة الشيطان وأن عدواته لا تخفى، وهذا المعنى قصده الشاعر في وصف الدنيا:

إِنَّ الْيَالِي وَالْأَيَّامَ لَوْ بَحَثْتُ

عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِمَا لَمْ تَكُنَّ الْخَبْرَا.^(٣)

قوله - عز وجل:

﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية (٢٠٩) - سورة البقرة.

زل وزال يتقاربان، ولكن زال أبلغ، ولفظ البيّنات عام فيما حولنا^(٤) من المعارف العقلية والسمعية، والنهي عن الزلة والقصد إلى الفعل الذي يحصل عنده الزلة، إذ الإنسان لا يقصد أن يزل، وعلى هذا إذا قيل: "لا تصلوا"، ونبه بقوله ﴿بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ أن أعظم الذنوب ما كان بعد المعرفة والبيّنة، وفي هذا تحذير لمن يبصر عن ركوب ذنب، فكأنه قيل: إذا أردتم ذنباً فاذكروا عزَّ الله وحكمته، [ففي العلم بعزه علم بقدرته على عقاب المذنب]^(٥)، وفي العلم بحكمته علم بأنه غير ظالم في عقابه^(٦) وفي العلم بهذين انزجار عن ارتكاب الذنب.

١ - سورة آل عمران : الآية (١٩).

٢ - سورة يوسف : الآية (١٠١).

٣ - بحثت عنه فلم أهد إلى نسبته .

٤ - في (أ - ص) حولها .

٥ - سقطت هذه العبارة من (١ - ص) .

٦ - في (أ - ص) لا يظلم في معاقبة أحد .

قوله - عز وجل :

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

الآية (٢١٠) - سورة البقرة .

قد تصور بعض الناس ما لا يليق بصفات الله تعالى في لفظ المجئ والإتيان الذي وصف الله عز وجل به نفسه في هذه الآية وفي قوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾، وقوله: ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾^(١)، وقوله: ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾^(٣)، وذلك لأمرين، أحدهما لقصورهم عن معرفة الباري عز وجل، والثاني: لضيق مجالهم في مجاري الألفاظ ومجازها، وليس يقال الإتيان والمجئ لانتقال الحي المتحرك من مكان إلى مكان فقط، بل قد يقال لقصد القاصد بعنايته أمراً يستصلحه كقوله: أتيت المروة من بابها^(٤)، [ويقال أيضاً]^(٥) لاستيفاء فعل يتولاه، كقولك: أتيت على ما في الكتاب، [وقد يقال أيضاً]^(٦) لفعل يفعله على يد من يستكفيه [كقولك إن الأمير ناحية كذا بجيش عظيم، ومنه ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾^(٧) ولما جرت العادة أن الرئيس يتولى الأمير بمن يستكفيه]^(٨) تارة وبنفسه تارة، وأن لا يتولى بنفسه إلا ما كان أكبر وأعظم، فلما أراد الله تعالى أن يبين العذاب الذي لا غاية وراءه جعله منسوباً إلى نفسه وإتياناً له، وعلى هذا النحو جعل كل ما يستعظمه فعلاً له، نحو خلق آدم بيده، وعلى هذا قوله:

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾^(٩)، ووجه آخر، قد أشير إليه في صدر

الكتاب، وهو أن الفعل كما ينسب إلى المباشر له ينسب إلى ما هو سببه ومسهله، نحو أن يقال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾^(١٠)، وإنما علمنا من علمه النبي، وعلم النبي جبريل، وجبريل علمه الله عز

١ - سورة الحشر : الآية (٢).

٢ - سورة النحل : الآية (٢٦).

٣ - سورة الفجر : الآية (٢٢).

٤ - هذا شطر بيت للأعشي سبق تخريجه في ص ٤٠٣.

٥ - ساقطة من (و-ج).

٦ - ساقطة من (و-ج).

٧ - سورة النمل - الآية: (٣٧).

٨ - سقطت هذه العبارة من (١ - ص).

٩ - سورة الفرقان : الآية (٢٣).

١٠ - سورة الرحمن : الآيتان (١ ، ٢).

وجل- فصح أن ينسب إليه، ولهذا قد ينسب فعل واحد تارةً إلى الله عز وجل-، وتارةً إلى غيره، نحو: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَلَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢)، فإن قيل: هل يجوز على هذا القياس أن يقال شئٌ إذا عني به عبداً؟

قيل: نحن إنما أجزنا^(٣) استعمال ما استعمل فيه تعالى لورود السماع^(٤) به، ولولا ذلك لنزهناه^(٥) عن كل وصف يطلق على البشر تفادياً من وهم بشبيهه، وقوله: (وقضي الأمر) تنبيهاً أنه حينئذ لا يمكن تلافيه، وأكد ذلك بقوله: ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

أي ما قد ملكه عباده في الدنيا من الملك، والملك والتصرف مسترد منهم يوم القيامة، وراجع إليه، ويقال: رجع الأمر إلى الأمير، أي استرد ما كان فوضه إليه، وقيل: عني بالأمور الأرواح، وسماها أموراً من حيث إنها من الإبداعات المشار إليها بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٦)، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٧)، وقال: ولهذا لما سئل عن الروح قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٨)، أي هو من الإبداع الذي لا يمكن للبشر تصوره، فنبه أن الأرواح كلها مرجوعة إليه وراجعة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَلَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٩)، وعلى ذلك قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(١٠)، ويكون رجوعها إما بريح وغبطة، وإما بندامة وحسرة إلى أن ينشئها النشأة الأخرى على ما قضاه تعالى، وقوله: ﴿ظُلُمٌ﴾ جمع ظلة، يقال ظله وظلل وظلال، نحو خُلة وخلل وخلال، والإشارة بهذا إما إلى أمطار عذاب، كعارض عاد المذكور في قوله: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا﴾^(١١)، أو إلى أهوال القيامة، وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ على طريق التهديد والوعيد..

١ - سورة السجدة : الآية (١١).

٢ - سورة الزمر : الآية (٤٢).

٣ - في (١ - ص) جوزنا.

٤ - في (١ - ص) السمع.

٥ - في (١ - ص) أن همنا.

٦ - سورة النحل : الآية (٤٠).

٧ - سورة الأعراف : الآية (٥٤).

٨ - سورة الإسراء: الآية (٨٥).

٩ - سورة الزمر : الآية (٤٢).

١٠ - سورة الأعراف : الآية (٢٩).

١١ - سورة الأحقاف : الآية (٢٤).

قوله - عز وجل :

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾ الآية (٢١١) - سورة البقرة .

نبه بلفظ ﴿كَمْ﴾ على كثرة ما آتاهم من الآيات^(١)، ودل بقوله: ﴿وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ على إضمار بدلوا، وعلى هذا إن الحكم ليس مقصوراً عليهم، بل هو عام فيهم وفي غيرهم، ودل بقوله: ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أن الآية^(٢) من جملة نعمته، بل هي من أعظم النعم، ويقول: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ﴾ على نحو ما دل عليه قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٣)، وتقدير الكلام: آتيناهم آيات هي بنعم، فبدلوها ومن يبدل نعمت الله بعد اختصاصه بها عاقبه الله عقاباً شديداً فإنه شديد العقاب، فإذن بعقاب بني إسرائيل ومن فعل فعلهم، فإنه يعاقبهم كما عاقبهم.

قوله - عز وجل :

﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَرَقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الآية (٢١٢) - سورة البقرة.

التزيين التحسين المدرك بالحس دون المدرك بالعقل، ولهذا جاء في أوصاف الدنيا دون أوصاف الآخرة، نحو: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾^(٤)، واختلف في هذا التزيين، فمنهم من قال الله زينته لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهِمْ يَغْمَهُونَ﴾^(٥)، ومنهم من قال: الشيطان زين لهم لقوله: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٦)، وروي عن الحسن: الشيطان زينها ولا يعلم أحدٌ أنم لها ممن خلقها أو وصفها بأنها متاعٌ قليل وأنها متاع الغرور وجمع بعض الملاحدة بين هذه الآية

١ - في (١ - ص) البيئات.

٢ - في (١ - ص) الآيات.

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٠٩).

٤ - سورة آل عمران . الآية (١٤).

٥ - سورة النمل : الآية (٤).

٦ - سورة الانعام - الآية : (٤٣).

وأخواتها وزعم أن ذلك من الآيات المتناقضة في القرآن، لأنه قال مرة: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾، فقال: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾^(١)، وقال في آية أخرى: ﴿زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾^(٢)، فنسبه إلى نفسه بوتارة ذكر أنه قيض لهم من زينها لهم، وذلك قوله: ﴿وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾^(٣)، وهي^(٤) ما ادعاه لا يخفى على ذي بصيرة، لكن بيانه يحتاج إلى مقدمة، فنقول وبالله التوفيق: إن الله - عز وجل - خلق الإنسان وجعل له سبيلاً إلى بقائه بشخصه^(٥) زماناً ما، وتنوعه مدة ما، وركب فيه شهوة تشوقه^(٦) إلى الغذاء والجماع اللذين هما سببا البقاعين، فهذا هو تزوين الله عز وجل - وأمره باستعمالها حسب ما تأمره الشريعة فيما يؤدي به إلى سعادته في الآخرة على ما ينبغي، ويقدر ما ينبغي، ومن عشقها بإفراط، استحوذ الشيطان عليه وأعماه عن قبح المستقبح منه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٧) وأما قوله تعالى ﴿زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾^(٨) [وقوله تعالى]^(٩) ﴿زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١٠)، فالتزيين في الآيتين يحتمل وجهين، أحدهما أن الذي زينه هو المشروع لهم، والثاني: أن الذي زينه هو الشهوة لكن على أن يأخذ بقدر ما يجب، وفي وقت ما يجب، لا أن يجعلها مقصده، ووجه آخر في الآية، وهو: الحياة حياتان، حياة دانية دنيه وهي الحياة الدنيا، ودناعتها لما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَمَثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ تُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾^(١١)

١ - سورة محمد : الآية (٢٥).

٢ - سورة الأنعام : الآية (١٠٨).

٣ - سورة فصلت : الآية (٢٥).

٤ - في (أ - ص) وما ادعاه، وهو خطأ من الناسخ.

٥ - في (و - ج) لشخصه.

٦ - في (١ - ص) تسوقه، وهو تصحيف.

٧ - سورة النمل الآية : (٢٤)، وسورة العنكبوت الآية: (٢٨).

٨ - سورة الأنعام الآية : (١٠٨).

٩ - سقطت من (أ-ص).

١٠ - سورة النمل : الآية (٤).

١١ - سورة الحديد : الآية (٢٠).

الآية...، وحياة متأخرة سنية وهي الموصوفة بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَبَوَانُ﴾^(١)، والثانية: لا يعرفها إلا الذين اتقوا، فأما الذين كفروا فلا يعرفون إلا الحياة الدنيا ويجحدون الآخرة، ويسخرون من الذين يؤمنون^(٢) بها، فبين الله تعالى أنهم وإن سخروا من الذين آمنوا، فالذين آمنوا فوقهم، ومعنى ﴿قَوْلُهُمْ﴾ قيل هو كقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾^(٣) وذلك يحتمل وجهين، أحدهما أن حال المؤمنين في الآخرة أعلى من حال الكفار في الدنيا، والثاني: أن المؤمنين في الآخرة هم في الغرفات^(٤)، وأن الكفار في الدرك الأسفل من النار، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٥) أي كفى ما يستحق بلا إفراط ولا تفريط، "وأعطاه بغير حساب" إذا أعطاه أكثر مما يستحق وأقل مما يستحق، والأول هو المقصود هاهنا، وهو المشار إليه بالإحسان، وقد فسر ذلك على أوجه لاحتمال اللفظ، وإيهامه الأول يعطيه [عطاء]^(٦) أكثر مما يستحقه، الثاني: يعطيه ولا يأخذ منه، الثالث: يعطيه عطاء لا يحويه حصر العباد،

لقول الشاعر: عَطَايَاهُ تُحْصَى قَبْلَ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ^(٧)

الرابع: يعطيه بلا مضايقة، من قولهم: حاسبته أي ضايقته، الخامس: يعطيه أكثر مما يحسبه أي يكفيه، وكل هذه الوجوه تحتمل أن يكون ذلك في الدنيا وفي الآخرة، السادس: إن ذلك إشارة إلى توسيعه على الكفار والفساق الذين قال فيهم: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُتُونِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾^(٨) تنبيهاً أن لا فضيلة في المال، ولا إكرام لمن يوسع عليه مالم

-
- ١ - سورة العنكبوت : الآية (٦٤).
 ٢ - سورة الفرقان : الآية (٢٤).
 ٣ - سورة النور : الآية (٣٨).
 ٤ - سورة النور : الآية (٣٨).
 ٥ - سورة النور : الآية (٣٨).
 ٦ - ساقطه من (و - ج).
 ٧ - هذا شطر بيت قاله دعبل الخزاعي في المدح وهو في الديوان : معاليه يحصى قبل إحصائها القطر وهو في ديوانه - ص ١٨٩
 نسبة الراغب في محاضرات الأدباء لدعبل الخزاعي في باب : « من لا يحصى مجده » وهو :
 معاليه يحصى قبل إحصائها القطر
 كما ذكره الراغب في مفردات ألفاظ القرآن بدون نسبة انظر محاضرات الأدباء ج : ١ - ص ٢٩٨ ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٢٣٢
 ٨ - سورة الزخرف : الآية (٢٣).

يستعين به في الوصول إلى المطلوب منه، ولهذا قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَتَبِينَ تَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾^(١) الآية...، ولهذا قال أمير المؤمنين: "من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه مكر به فقد خدع عن عقله"^(٢)، السابع: يعطي أوليائه بلا تبعة ولا حساب عليهم فيما يعطون، وذلك أن المؤمن لا يأخذ من عرض الدنيا إلا من حيث يجب، وفي وقت ما يجب، وعلى الوجه الذي يجب، ولا ينفقه إلا على ذلك، فهو يحاسب نفسه فلا يحاسب، ولهذا ما روي: "من حاسب نفسه في الدنيا أمن الحساب في القيامة"^(٣)، وعلى هذا قال لسليمان: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٤) أي: تحرر فيما أعطيناك الوجه الذي لا تبعة فيه عليك ولا حساب، الثامن: أن الله عز وجل - يقابل المؤمنين في القيامة لا بقدر استحقاقهم، بل بأكثر منه كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾^(٥).

التاسع: وهو يقارب ذلك إن ذلك إشارة إلى ما روي أن أهل الجنة لا خطر عليهم، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾^(٦) الآية، وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٧)، وأما تعلقه بما تقدم، فعلى بعض هذه التفاسير يتعلق بالذين كفروا، وعلى بعضه يتعلق بالذين آمنوا..

-
- ١ - سورة المؤمنون : الأيتان (٥٥ ، ٥٦).
 - ٢ - الأثر أورده الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار ونصوص الاختيار ج : ١ - ص ٤٥ - تحقيق الدكتور سليم النعيمي - وزارة الثقافة بغداد ، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٦.
 - ٣ - هذا الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال (إنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا أخرجه الترمذي . انظر عارضة الأحوزي - ج : ٩ - ص ٢٨٢ ، وانظر كتاب الزهد لأحمد بن حنبل - ص ١٤٩ ، وأورده الراغب في كتابه مفردات ألفاظ القرآن - ص ٢٣٣ ، ص ٨٦٥.
 - ٤ - سورة ص : الآية (٣٩).
 - ٥ - سورة البقرة : الآية (٢٤٥) وسورة الحديد الآية : (١١) ..
 - ٦ - سورة الزخرف : الآية (٧١).
 - ٧ - سورة غافر : الآية (٤٠).

قوله - عز وجل :

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

الآية (٢١٣) - سورة البقرة .

قال ابن عباس وأبي السدي: «كانوا أمة واحدة في الإيمان»^(١) ، وقال غيرهم : «في الكفر» ،

وهذا الخلاف لاختلاف نظرين لابد فيهما من مقدمة تنكشف بها أوجه الخلاف، وتحقيق التأويل، وهي أن الله - عز وجل - فطر الناس فطرة ركز فيها رؤية يعرف بها بعض الأشياء اضطراراً، وممكنه^(٢) أن يعرف بها البعض اكتساباً، وحبب إليه ما لم يفسد الحق من الاعتقاد دون الباطل والجميل من الفعال دون القبيح والصدق من المقال دون الكذب، وإلى ذلك أشار بقوله - عز وجل:

﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٣) ، ويقول: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾^(٤) ويقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٥) الآية، ويقول النبي - عليه السلام - : «كل مولود يولد على الفطرة»^(٦) ،

ولم يخلهم في وقت من نبي يشحذ عقولهم ويعرفهم ما لا سبيل لهم إلى معرفته من دونه، وكان كلما

١- أورد ابن كثير في هذا الأثر مارواه ابن جرير بسنده إلى ابن عباس قال : كان بين نوح وأدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، كما أورد ما قاله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة) - قال : كانوا على هدى جميعاً ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين ، فكان أول من بعث نوحاً ، وهكذا قال مجاهد كما قال ابن عباس وقال العوفي عن ابن عباس (كان الناس أمة واحدة) يقول كانوا كفاراً ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . ثم عقب ابن كثير بقوله : والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى ، لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبثوا الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج : ١ - ص ٢٥٠ .

٢ - في (١ - ص) وأمكنه .

٣ - سورة الروم : الآية (٣٠) .

٤ - سورة البقرة : الآية (١٣٨) .

٥ - سورة الأعراف : الآية (١٧٢) .

٦ - الحديث أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة في صحيح مسلم - كتاب القدر ، ج : ٦ - حديث رقم (٢٦٥٨) ، كما أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم (٤٧١٤) ونص الحديث (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه كما تنانج الإبل) ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج : ٦ - ص ٢٩٨ ، ج : ٥ - ص ١٥٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج : ٢ - ص ٢٢٢ ، ص ٢٧٥ ، ص ٢٨٢ ، ص ٣٩٣ ، ص ٤١٠ ، ص ٤٨١ ، ج : ٣ - ص ٣٥٣ .

تختل^(١) أحوالهم بعد خروج نبيهم من بينهم، إما أن يقيض لهم من يجدد عليهم شريعتهم السالفة، أو يبعث إليهم نبياً يأتيهم بشريعة مستأنفة، وهذا كان فعله إلى أن ينتهي الأمر إلى نبينا-عليه السلام-، فختم به الأنبياء، فمن قالوا: كانوا أمة في الإيمان، فنظر منه إلى المبدأ وحال الفطرة وما كانوا عليه قبل أن فسدوا، ومن قالوا: كانوا أمة واحدة في الكفر، فنظر منه إلى حين فسادهم، كما بين زمن بعثة نوح وبعثة إبراهيم-عليهما السلام، وكل واحد من القولين صحيح بنظر ونظر، فقد كانوا أمة واحدة في الإيمان طوراً، وأمة واحدة في الكفر طوراً..

إن قيل: كيف كانوا أمة واحدة في الكفر وقد قيل: لا تخلو الأرض من حجة الله؟

قيل إن من كان حجة الله- عز وجل- في مثل ذلك الوقت في حكم من لا اعتداد به في كونهم أمة لعل الإصغاء إليه، وبين تعالى أنه بعث أنبياءه مبشرين للمحسنين ومنذرين للمسيئين، ولم يخل أحداً من أنبيائه من كتاب يرشده ويرشدهم.

إن قيل:

أليس قد قلتم: لم ينزل الكتاب من النبيين إلا على جماعة منهم؟ قيل: إن الله- عز وجل- لم يخل أحداً من الأنبياء من كتاب، إما كتاب خُص هو به، وإما كتاب من كان قبله أمر بالاعتماد عليه، كالأسباط الذين كانوا أنبياء، وكتابهم كان التوراة، وعطف قوله ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على قوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمْ﴾، وفصل بينهما بذكر اختلافهم، وأنهم لم يختلفوا إلا من بعد ما جاعتهم البينات) ذمماً للمختلفين، فإن من شأن البينات أن ترفع الخلاف، وعلى هذا قوله: ﴿وَلَقَدْ بَرَأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مُبْرَأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾^(٢) الآية..، وبين سبب اختلافهم بقوله الله عز وجل- بغياً بينهم تنبيهاً أن ذلك كان لطلبهم زخرف الدنيا ومنازلها، فمن المفسرين من جعل قوله: (الذين أوتوا الكتاب) مخصوصاً في بني إسرائيل والذين آمنوا في هذه الأمة، لقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا

١ - في (و - ج) أختل.

٢ - سورة يونس : الآية (٩٣).

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴿١﴾، وقول النبي - عليه السلام: «هَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ»^(٢)، ومنهم من جعله عاماً في جميع الأمم، وقوله بالحق، أي بما يسمى من الثواب والعقاب، وقيل بالأمر والنهي وكلاهما مرادان، فالكتاب مشتمل على كل ذلك، وقوله: (بإذنه)، أي بعلمه، وقيل: بأمره، وقيل: بلطفه، والإذن لما يسمع، ويعبر به عن العلم، إذ هو مبدأ العلم فينا .

إن قيل: كيف قال: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وذلك يقتضي أنه هدى بعضاً دون بعض، وحق جوده وكرمه أن يعمهم بالهدى؟ قيل: إنه قد عمهم من حيث قد أباحه لهم وقيضه، لكن لم يهتد به الكل، فإن هدايته لا يدركها إلا من جلى بصيرته، وشحذ فهمه ليعرفه، فيهدي به، وقد قال بعض الصالحين: ما أكثر الهدى وأقل من يرى، ألا ترى أن نجوم المساء ما أكثرها، ولا يهتدي بها إلا العلماء؟

قوله - عز وجل :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

الاية (٢١٤)-سورة البقرة.

الزلزلة: شدة الحركة، وأصلها زل، ولزيادة المعنى زيد لفظه، وعلى هذا دل ودل، وما أشبهه من المضعف مع الحرف المكرر بين تعالى أنه لا سبيل للناس كافة إلى الجنة إلا بتحمل المشاق، ولهذا

١ - سورة آل عمران : الآية (١٠٥).

٢ - هذا جزء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، نحن أول الناس دخلاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فهذا اليوم الذي هدانا الله له ، والناس لنا فيه تبع . غداً لليهود، وبعد غد للنصارى . والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرزاق حديث رقم (٧٦٩٢)، كما رواه الشيخان وغيرهما في المسند حديث رقم (٧٢١٣)، (٧٣٠٨)، (٧٣٩٣)، (٧٣٩٥)، (٧٦٩٣)، كما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ص ٢٢، وأورده الطبري أيضاً في تفسيره ج: ٢-ص ٢٨٤، ص ٢٨٦، تحقيق محمود شاكر.

ولهذا قال عليه السلام :

«حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١)، فخطب هذه الأمة بأنه محال أن ترجو تحصيل الجنة إلا بما جرى به حكم الله في الذين سلفوا، وهو أن تنالكم البأساء أى الفقر، والضراء أى المصائب، والزلزلة أى المخاوف، وبذلك أثنى على المؤمنين فقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢)، وليس ذلك في الأمور الإلهية فقط، بل في عامة الملائ لا سبيل إلى منحة إلا بمنحة، ولا إلى لذة إلا بشدة،

ولهذا قيل: **وَلَا يَبْدُ دُونَ الشَّهَدِ مِنْ أَثَرِ النَّحْلِ**^(٣)

وقوله: ﴿وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾، قيل معناه: "حتى يقول الرسول والمؤمنون متى نصر الله" على سبيل الإبطاء، ثم تداركوا، وعادوا إلى معرفتهم، فقالوا: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [قيل ليس ذلك على سبيل التضجر، بل على سبيل الدعاء والتضرع إخباراً منه تعالى على سبيل الآية لهم على سبيل الحكم، وقيل تقديره وزلزلوا حتى يقول الأتباع متى نصر الله، ويقول الرسول، «ألا إن نصر الله قريب»]^(٤) فجمع بين قولهم، كقولك: قال زيد وعمر وكذا وكذا الشيئين أحدهما قاله زيد والآخر قاله عمرو، وقرئ: (حتى يقول)^(٥) بالرفع والنصب، ولكل واحد وجهان، فأحد وجهي النصب معناه: إلى أن، والثاني معناه: كي يقول، وأحد وجهي الرفع أن يكون الفعلان ماضيين نحو: "مشيت حتى أدخل البصرة"، أي مشيت فدخلت، والثاني: أن يكون ما بعد حتى لم يمض نحو: "مرض حتى لا يرجونه".

١ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة - ج: ٢ - ص ٢٦٠، ص ٣٨٠، ومن حديث أنس ج: ٣ - ص ١٥٣، ص ٢٥٤، كما أخرجه الترمذي بسنده ولفظه في سننه في باب (ما جاء في: حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات). حديث رقم (٢٥٥٩) : (٢٥٦٠)، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال بلفظه وسنده، حديث رقم (٦٨٠٥)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الجنة وصفة نعيمها) حديث رقم (٢٨٢٢).

٢ - سورة البقرة : الآية (١٧٧) .

٣ - هذا شطر بيت للمتنبى من قصيدة يمدح فيها أبا الفوارس دلير بن لشكروز و كان قد أتى الكوفة لمحاربة الخارجي الذي نجم بها من بنى كلاب ، والغرف الخارجي قبل وصول دلير إليها ، وتمايم البيت :

ولا بددون الشهد من إبر النحل

تريدين لقيان المعالي رخيصة

والبيت في ديوان المتنبى ص ٥١٨ طبعة بيروت .

٤ - ساقطة من (١ - ص) .

٥ - قرأ نافع (حتى يقول) بالرفع ، والباقون بالنصب . ومذهب سيبويه في (حتى) أن النصب فيما بعدها من جهتين والرفع من جهتين. تقول : سرت حتى أدخلها بالنصب على أن السير والدخول جميعاً قد مضيا ، أي : سرت إلي أن أدخلها ، وهذه غاية ، وعليه قراءة من قرأ بالنصب . والوجه الآخر في النصب في غير الآية : سرت حتى أدخلها - أي : كي أدخلها . والوجهان في الرفع سرت حتى أدخلها ، أي : سرت فأنزلها ، وقال النحاس : فعلى هذا القراءة بالرفع أبين وأصح معني ... تفسير القرطبي ج ١٠ - ص ٩٤٨ ، ص ٩٤٩ .

قوله - عز وجل:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ الآية (٢١٥) - سورة البقرة.

لما أثنى الله في غير موضع على المنفقين، وحث على الإنفاق، نحو قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢) سألوا عنه ههنا-، إن قيل: ليس جوابهم طبقاً لسؤالهم، فإن سؤالهم عما ينفق، والجواب عما ينفق عليه، قيل: في ذلك جوابان، أحدهما: أنهم سألوا عنهما، وقالوا: ما ينفق؟ وعلى من ينفق؟ ولكن حذف في حكاية السؤال أحدهما إيجازاً، ودل عليه الجواب بقوله: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾، كأنه قيل: المنفق هو الخير، والمنفق عليهم هؤلاء، فلفف أحد الجوابين في الآخر، وهذا طريق معروف في البلاغة، والجواب الثاني أن السؤال ضربان، سؤال جدل وحقه أن يطابقه جوابه لازماً عليه ولا ناقصاً عنه، وسؤال تعلم، وحق المعلم أن يصير فيه كطبيب دقيق يتحرى شفاء سقيم، فيطلب ما يشفيه طلبه المريض، أو لم يطلبه، فلما كان حاجتهم إلى من ينفق عليهم كحاجتهم إلى ما ينفق بين لهم الأمرين، إن قيل: كيف خص هؤلاء النفير دون غيرهم؟

قيل: إنما ذكر من ذكر على سبيل المثال لمن ينفق عليهم لا على سبيل الجهر والاستيعاب، إذ أصناف المنفق عليهم على ما قد ذكرهم^(٣) في غير هذا الموضع، ولما كان المندوب إلى الإنفاق عليهم صنفين، صنف لهم فرض معين في مال الأغنياء، وصنف لا فرض لهم معيناً ذكر الأبوين والأقارب تنبيهاً أن حقهم واجب، وقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ أي من مال، فسمي المال خيراً تنبيهاً أن الذي يجوز إنفاقه هو الحلال الذي يتناوله اسم الخير، كما قال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾^(٤) ثم بين تعالى أن كل ما يفعلونه لا يخفى عليه على الوجه الذي يفعلونه، [تنبيهاً أنه يجازى به]^(٥)، نحو قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٦).

١- سورة البقرة - الآية : (٣) ، وسورة الأنفال - الآية : (٣) ، وسورة الحج - الآية : (٢٥) .

٢- سورة المائدة - الآية : (١٠) .

٣- في (١ - ص) ذكر.

٤- سورة البقرة - الآية : (١٨٠) .

٥- ساقطة من (١ - ص) .

٦- سورة الزلزلة - الآيتان : (٧، ٨) .

قوله - عز وجل :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الآية (٢١٦) - سورة البقرة.

الكره في الإنسان يستعمل على ضربين، أحدهما ما يعاف من حيث الطبع، والثاني ما يعاف من حيث الفعل وإن مال إليه الطبع، ولهذا يصح أن يوصف الشيء بأنه مراد مكروه، والكره والكره قليل هما واحد في معنى نحو الضعف والضعف وقليل بل الكره المشقة التي يحمل عليها الإنسان بإكراه، والكره ما يتحملة بلا إكراه، من غيره، وقليل للحرب كراهية... وعسى طمع وإشفاق، وقد يجري مجرى لعل، ويقال: هو عس بكذا، أي جدير، وأعس به، وسمي الإبل التي لا ألبان بها، وفيها طمع المعسيات من حيث أن يقال عسى أن يكون بها لبن، والقتال المكتوب من حيث الظاهر مجاهدة الكفار، وقيل: عني مع ذلك مجاهدة النفس إلى الشهوة، وهي التي سماها النبي ﷺ "الجهاد الأكبر"^(١)، ونبه بقوله: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا ﴾ بالطف وجه على أن ما كتب عليهم من القتال خير لهم بأوضح الأدلة، وهي أنه إذا جاز أن يكون منكم كراهية لأمر وفيه الخير، فيجوز أن يكون كراهتكم لما كتب عليكم من القتال^(٢) كذلك، وإذا جاز أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، فيجوز أن تكون محبتكم لما أحببتموه شراً، ثم نبه أن هذا الجائز كونه عندكم هو واجب كونه في نفسه بقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي إذا كان الله - عز وجل - يعلم وأنتم لا تعلمون، وقد قضى بأن ذلك خيراً، فإنما قضى به لأنه خير، وإذا كان خيراً فيجب أن تحبوه ولا تكرهوه، فالخير يجب إرادته، والشر يجب كراهته، وعلى نحوه دل قوله تعالى: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^(٣).

١- هذا من الحديث الذي رواه جابر عن النبي - صلي الله عليه وسلم: (رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)، وقال العراقي: رواه البيهقي في الزهد، وفيه ضعف انظر: تخريج أحاديث الإحياء ج: ٤- حديث رقم: ١٥٣٧، والزهد - ص ١٦٥، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٣٣.

٢- في (و-ج) القتل.

٣- سورة الناس: الآية (١٩).

ورأيه قصد الشاعر:

قَضَى اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَكَارِهِ لِلْفَتَى
بِرُشْدٍ وَفِي بَعْضِ الْهَوَى مَا يُحَاذِرُ..^(١)

قوله - عز وجل :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ
إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية (٢١٧) - سورة البقرة.

الصد ناحية الشعب، والوادي المانع للسالك وصده عن كذا، كأنما جعل بينه وبين ما يريده صدأً
يمنعه ، والصد يد ما حال بين الجلد واللحم من القيح والدم، وقد تقدم أن زل وزال يتقارب لما كان
الزوال معناه للنفي ضم إليه (ما) النافية، فصارا معاً للإثبات، ولهذا لا يصح أن يقال: (ما زال زيد إلا
خارجاً)، كما يقال: (ما كان إلا خارجاً)، والحبط فساد يلحق الماشية في بطونها من أكل الكلاء،
واستعير لفساد العمل، والسائل على ذلك قيل أهل الشرك قصداً إلى تعبير المسلمين مما استجازوه
من القتل في الشهر الحرام وقيل: هم أهل الإسلام.

إن قيل: ما فائدة ذكر الشهر ثم إبدال القتال منه ولم يقل: يسألونك عن قتال في الشهر؟ قيل:
في ذكر الشهر أولاً، ثم إبدال القتال منه ولم يقل: (يسألونك عن قتال في الشهر) قيل: في ذكر الشهر
أولاً بنية أن السؤال عن القتال لأجل الشهر لا لغيره، ولو قيل: (يسألونك عن قتال في الشهر) لكان يصح
أن يفيد أن الغرض في السؤال عن القتال لا لتعظيم الشهر، بل لشيء آخر، وعلى هذا إذا قيل: "سُرِقَ

١- قائل هذا البيت هو حميد بن ثور في قصيدة له منها :

الم تطمى أني إذا الألف قاتني	إلى الجور لا أنقاد والألف جابر
وقد كتبت في بعض الصباوة اتقى	أموراً وأخشى أن تدور الدوائر
وأعلم أني إن تفلئت مــــرة	من الدهر مكشوف غطائي فئاظر
قضى الله في بعض المكاره للفتى	برشد وفي بعض الهوى ما يحاذر

وهي في ديوان حميد ص ٨٧ - صنعة الاستاذ / عبدالعزيز الميمنى - ط : سنة ١٩٥١ - القاهرة

وهي في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد محمد بن أيمن ج: ٤ - ص ٣٢٧.

زيد ثوبه" تنبيهاً أن المقصد أن يذكر حال زيد، لا أن يخبر بسرقة ثوب ما.. إن قيل: لم لم يقل: القتال فيه كبير، وشرط النكرة المذكورة إذا أعيد ذكرها أن يُعاد معرفاً نحو سألتني عن رجل، والرجل كذا وكذا؟ قيل: في ذكره منكرأ تنبيه أن ليس كل القتال في الشهر الحرام هذا حكمه، فإن قتال النبي- عليه السلام- لأهل مكة لم يكن هذا حكمه، فقد قال: **(أَجَلْتُ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ)**^(١).

وقوله: **﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** معطوف على قوله: **﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾** فأعلم تعالى أن بعض القتال فيه كبير **﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** تنبيه أنه على الوجه الذي يفعله الكفار صد عن سبيل الله، أي عن دينه وعن نبيه، وأكبر منه عند الله، وأعظم إخراج أهل المسجد [يعني]^(٢) النبي والمؤمنين الذين هم أولياؤه، وعلى ذلك دل بقوله لهم: **﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءُ﴾**^(٣)، ثم بين أن النبي -عليه السلام- وأمته هم أولياؤه بقوله: **﴿إِنْ أَوْلِيَاءُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾**^(٤)، وفي ذلك تنبيه أن قتال المسلمين وقتلهم فيه ليس بكبير ولا صد عن سبيل الله

عز وجل، وبين أن الفتنة أكبر من القتل، وقد تقدم الكلام فيه، وأنه لا يرضيهم إلا ارتدائكم، **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِيَارِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾**، ونبه بقوله: **﴿إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾** أنهم لا يردونكم، لأنهم لا يستطيعون، وذلك نحو قوله: **﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾**^(٥)، وعقب ذلك بوعيد من يرتد، فمات على حاله، وإن أعماله المتقدمة المعمولة في سبب الدنيا والآخرة تبطل وتضمحل كما قال:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْءَ مُنْثَرًا﴾^(٦).

١ - الحديث سبق تخريجه في ص ٨٨.

٢ - ساقطة من (و - ج).

٣ - سورة الأنفال : الآية (٣٤).

٤ - سورة الأنفال : الآية (٣٤).

٥ - سورة البقرة : الآية (١٢٠).

٦ - سورة الفرقان : الآية (٢٣).

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية (٢١٨) - سورة البقرة.

الهجر: مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن أو بالنسيان^(١) والقلب، والهجرة الساعة التي تمنع عن السير كأنها هجرت الناس بحرّها، والهجار حبلٌ يشد به الفحل، فيصير سبباً لهجرانه الإبل، وجعل بناؤه على بناء الآلات، كالعقال والزمّام، والهجر: الكلام المهجور لقبه، وقيل: هجر فلان إذا هدى عن قصد واهجر المريض إذا هذى عن غير قصد والجهد: تحمل المشقة ومجاهدة العدو ومقاومته ببذل الجهد، وجهدت رأيي واجتهدته أتعبته بالفكر والنظر، والرجاء الوقوف على رجاء الأمل، أي ناحيته، حيث ما يتردد بين الأمل واليأس لما بين الله تعالى وجوب المقابلة ونهى عن تضييع الشهر الحرام والمسجد الحرام. وعن تهيج الفتنة نبه على فضل من هاجر وجاهد في سبيل الله محافظةً على ذلك، فمن المفسرين من حمل المهاجرة على مهاجرة الأهل والولد، كهجرة النبي -عليه السلام- وأصحابه والمجاهدة على الغزو، ومنهم من قال: عنى مع ذلك هجران الشهوات، ومجاهدة الهوى كما روى: (جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم)^(٢) وقوله: (رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)^(٣)، وقال في حجة الوداع: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا)^(٤) وهذه المنازل الثلاث التي هي الإيمان والمهاجرة والجهاد هي المعنية بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

١ - في (١ - ص) أو باللسان.

٢ - الحديث ذكره الراغب في كتاب الذريعة ص ١٠٤، ولم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٢٠٨.

٣ - الحديث رواه البيهقي عن جابر بسند ضعيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قال العراقي: رواه البيهقي في الزهد، وفيه ضعف. انظر: تخريج أحاديث الإحياء ج: ٤/ص ١٥٣٧، والزهد - للبيهقي - ص ١٦٥، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٣٣.

٤ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله - عز وجل) المسند - ج: ٦ - ص ٢٢، كما أخرجه الترمذي في الزهد - ج: ٤ - ص ١٦٥، وفي الجهاد برقم: (٦٢١) وقال حسن صحيح، كما أخرجه أبو داود في الجهاد برقم: (٢٥٠٠).

آمُرُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ﴿١﴾ ولا سبيل إلى المهاجرة إلا بعد الإيمان، ولا إلى الجهاد في سبيله إلا بعد هجران الشهوات، ومن وصل إلى ذلك فحق له أن يرجو رحمته، إن قيل: الإنسان راج لرحمة الله وإن لم يبلغ هذه المنازل، قيل: إن الذي نسميه رجاء لمن لم يبلغ مثل هذه المنازل، فهو تمن على الله المعني بقوله عليه السلام: "والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني" (٢) أو رجاء لتفصيل غير مستحق، وما ذكره الله - عز وجل - هاهنا هو الرجاء المستحق الذي وصف به المؤمنين في غير موضع نحو قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (٣) ..

إن قيل: لم ذكر المؤمنين برجاء الرحمة وهي لهم لا محالة؟ قيل: المؤمن وإن بذل الجهد في طاعته، فواجب أن يكون بين نظرين، نظر إلى سعة رحمة الله عز وجل، ونظر إلى ما عسى أن يقع أو وقع منه من ذنب فينتج له خوفاً..

قوله - عز وجل :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَوْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية (٢١٩) - سورة البقرة.

الخمير: ستر الشيء، ويقال لما يستتر به خمير، لكن للخمير صار الخمار في التعارف لما تغطي به المرأة رأسها، واختمرت المرأة، وتخمرت، وخمرت الإناء غطيته، وكذلك خمرت العجين، وسميت الخميرة لكونها مخمورة، ودخل في خمير الناس أي في جماعتهم يسترونه، والخمار الموروث من الخمر جعل مأواه ماء الأدواء، نحو الكبد، والصداع، وخامره الحزن إذا استولى عليه حتى ستر فهمه وفكره، وينحوه سمي غمماً، وأصله من الستر، ومن الناس من جعل الخمر اسماً لكل مسكر، ومنهم من جعله

١ - سورة المائدة : الآية (٣٥).

٢ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج : ٤ - ص ١٢٤ ، كما أخرجه ابن ماجه في سننه - حديث رقم ٤٢٦٠ ، وأخرجه الطبراني في معجمه - حديث رقم ٧١٤١ ، سنة ٧١٤٣ ، كما أخرجه الحاكم في المستدرک - ج : ١ - ص ٥٧ ، ج : ٤ - ص ٣٢٥ ، ورواه البيهقي في الاداب - ج : ١ - ص ٢٤١ ، ج : ٢ - ص ٢٤٠ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية - ج : ١ - ص ٢٦٧ وقال : هو حديث ضعيف من أجل أبو بكر بن مرزوم .

٣ - سورة الإسراء - الآية : (٥٧).

اسماً للمتحد من التمر والعنب، لقوله -عليه السلام-: «الْخَمْرُ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ النَّخْلَةِ وَالْعِنَبِ»^(١)، ومنهم من جعلها اسماً لما لم يكن مطبوخاً، ثم كمية الطبخ الذي يخرجها عن كونه خمراً مختلف فيها، والميسر آلة اليسر، أي الضرب بالقداح ويقال للضارب به ياسر، وسمي الجاذر، وكذلك الجزور ياسراً تشبيهاً به، وأصله من اليسر، وهو ضد العسر، وسمي الغنى يسراً، وسمي ذلك يسراً لاعتقادهم أنه غنى للفقراء وأشار الله - عز وجل - بقوله: ﴿وَالْمَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ إلى تحريمه إشارة لطيفة تحتاج في كشفها إلى مقدمة، وهي أن النفع ضربان، ديني ودنيوي، والدنيوي ضربان، نفع ضروري، ونفع غير ضروري، فالضروري كالأكل والجماع اللذين لو تصورناهما مرتفعين لارتفع بارتفاع الجماع نوع الحيوان، وبارتفاع الأكل أشخاص الحيوان، ونفع غير ضروري، كالتنقل بعد الأكل وترك التحلل بعده، والخمر نفعها دنيوي غير ضروري، فإن نفعها تقوية الأبدان المسنة، وهضم طعام والمعاونة على الباءة والزيادة في الرطوبة والحرارة الغريزيتين، وليس ذلك بضروري ولا متحقق النفع فيه، وفيهما إثم متحقق أو مظنون، والعقل يقتضي أن يتحاشى من التزام الإثم المظنون للنفع المتحقق الذي ليس بضروري، فكيف من النفع المظنون؟ ومن هذا الوجه صار الخمر فيما بين الأمم المتقدمة مترددة بين خمر، ودم، وإباحة، وحظر، وتركها عامة ذوى العقول الراجحة لما أراد الله تبارك وتعالى تحريم الخمر على الناس لما رأى في ذلك من المصلحة، وعلم من غريزتهم التي غرزههم عليها إن كثيراً منهم إذا ردع عما ألفه واستحسنه لا يكاد يرتدع ابتداءً بتقبيح السكر في نفوسهم، ولكونه منافياً لذكر الله وعبادته،

١- الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة في باب الأشربة برقم: (١٩٨٥)، وأخرجه البغوي في شرح السنة - ج: ١١ - ص ٣٥٣، وقال البغوي: معناه أن معظم الخمر يكون منهما، وهو الأغلب على عادات الناس فيما يتخلونه من الخمر، وفي الحديث: «والخمر ما خامر العقل» البخاري - ج: ١ - ص ٣٩، قال فيه دليل «واضح» على بطلان قول من زعم أن الخمر إنما هي من عصير العنب أو الرطب، بل كل مسكر خمر. شرح السنة - للبغوي - ج: ١١ - ص ٣٥١، ٣٥٣، وأورده الراغب في كتاب المفردات - ص ٢٩٩، وأورد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ما روي عن ابن عمر قال: سمعت عمر - رضي الله عنه - علي منبر النبي - صلى الله عليه وسلم يقول: أما بعد أيها الناس: إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر، والعسل والحنطة، والشعير، فتح الباري - ج: ١٣ - ص ٥٨، ٥٩، ج: ١٥ - ص ٤١١، ٤١٢، ٤٢٣، ٤٢٩ - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - ط: دار الفد العربي - القاهرة كما أورده ابن كثير في تفسيره بلفظه وسنده تفسير القرآن العظيم - ج: ٢ - ص ٩٢.

فقال: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(١)، فلما رسخ ذلك في نفوسهم أنزل قوله: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِلَهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾، وكان في هذا إشارة لا يعرفها إلا ذور العقول الراجحة، فلما قوي ذلك في نفوسهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(٢) إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَبَهُونَ﴾، وعلى قريب من هذا الكلام في الميسر، لكن كان أمره أخف، ومن الناس من جعل كل ما فيه خطر^(٣) ومقامرة ميسراً، ومنهم من قاسه عليه، وقد روي عن النبي - عليه السلام - «مَنْ لَعِبَ بِالْزُرِّ فَقَدْ عَصَى^(٤) اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٥)، وقرأ: إِثْمٌ كَبِيرٌ وَكَثِيرٌ^(٦)، فكبير لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾^(٧) الآية، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٨)، وعظيم وكبير متلازمان، ولأن جلهم قرأ: ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾، ومن قرأ الكثير فنظر منه إلى ما روي عن النبي ﷺ في صفة الخمر ومشتريها وبائعها: «لعن الله عشرة: مشتريها، وبائعها، وعاصرها، والمعتصرة له، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقياها وشاربيها، وأكل ثمنها»^(٩)،

١ - سورة النساء : الآية (٤٣) .

٢ - سورة المائدة : الآية (٩٠) .

٣ - في (و - ج) خطار .

٤ - في (و - ج) عصيه، وهو خطأ من الناسخ .

٥ - الحديث أورده ابن كثير بسند صحيح من موطأ الإمام مالك ومسنَد الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري ورواه موقوفاً على أبي موسى من قوله - تفسير القرآن العظيم - ج : ٢ - ص ٩٢ ، ط . دار الفكر العربي .

٦ - قرأ بهذا الوجه كل من حمزة، والكسائي، وعبد الله بن مسعود، معجم القراءات القرآنية - ج : ١ - ص ١٦٨ .

٧ - سورة النساء : الآية (٣١) .

٨ - سورة لقمان : الآية (١٣) .

٩ - الحديث أخرجه ابن كثير في تفسيره رواية عن الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن أبي طعمة وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعنت الحمر علي عشرة وجوه ، لعنت الحمر بعينها ، وشاربيها ، وساقياها ، وبائعيها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وأكل ثمنها ، ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث وكيع به ، ومن حديث عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «لعنت الخمر ، وشاربيها ، وساقياها ، وبائعيها ، ومبتاعها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وأكل ثمنها» . تفسير القرآن العظيم ج : ٢ - ص ٩٤ .

وقوله:

﴿وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾، إن قيل: كيف أعيد السؤال عما ينفقون وجواب بين الجوابين؟
 قيل: أما الأول: فسؤال عن الجنس^(١) الذي ينفق، وعمن ينفق عليه، فبين لهم الأمران^(٢)، وأما
 السؤال هاهنا فعن القدر المنفق، فأجيبوا بحسبه، فبين أن الذي ينفق هو العفو، وقال ابن عباس: هو
 الفضل عن الغني، وهو الذي قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَ الْغَنِيَّ ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغَنِيِّ الْفَيْتَ مَا لَكَ حَامِدٌ^(٣)

وقال الحسن وعطاء:

هو القصد الذي لا إسراف فيه ولا إقتار، وقال مجاهد:

هو الصدقة المفروضة، وكل ذلك مراد، فإن أقل ما تطيب به نفس المسلم هو الصدقة الواجبة،
 ومن لم تطب نفسه فليس بتام الإيمان، ثم منهم من تطيب نفسه ببذل جل ماله، ومنهم من تطيب لكل
 ماله، كأبي بكر- رضي الله عنه- فأذن العفو متناول لما هو واجب ولما هو تبرع، وقرئ (العفو) بالرفع
 والنصب،^(٤) وذلك لتقديرين مختلفين في ماذا، فإن ماذا تارة تقدر تقدير اسم واحد، فيكون مفعول
 ينفقون يحق أنه^(٥) المطابق له بالنصب، وتارة يقدر تقدير اسمين مبتدأ وخبر، فيكون جوابه المطابق له
 رفعاً أي: "هو العفو"،^(٦) وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَسْنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ فيه حثٌّ على تجنب الخمر والميسر،
 وتنبيه على تحريمهما، فإن في التفكير في الدنيا والآخرة معرفتهما ومعرفة منافعهما وأن النفع القليل
 في الدنيا لا يجب أن يشتري بكثير الإثم في الآخرة.

١ - في (١ - ص) الشئ.

٢ - في (١ - ص) القدر.

٣ - قائل هذا البيت حاتم الطائي وهو من قصيدة بعنوان وماذا يعدى المال عنك ومطلعها :-

أَلَا أَخْلَفْتُ سَوْدَاءَ مِنْكَ الْمَوَاعِدَ وَبَعْدَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْهَا الْفِرَاقِدَ

ديوان حاتم الطائي - ص ١٦ شرحه وقدم له أحمد رشاد - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط ١ سنة ١٩٨٦

٤ - قرأ بهذا الوجه وهو الرفع كل من أبي عمر، وابن كثير، واليزيدي، والحسن، وقتادة، وعاصم الجحدري، وابن أبي اسحاق، معجم

القراءات القرآنية ج: ١-ص ١٦٩.

٥ - في (و - ج) فحول به المطابق له بالنصب.

٦ - في (و - ج) هو المفعول، وهو خطأ من الناسخ.

قوله - عز وجل :

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلَا ضَرَارَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية (٢٢٠) - سورة البقرة .

الخلط : الجمع بين أجزاء شيئين، سواءً كانا مانعين، أو غير مانعين، فهو أخص من المزج، ويقال للصديق: الخليط، وهو دون الخليل، والخلاط وءاء يخلط الجوف، بؤافة تعتري العقل، والخلط أن يخلط بالأمر ما يفسده، والإعنات من : عنت العظم عنتاً، أصابه وهي أوكسر، وقد أعنته، وكل ما يؤثم أو يشق عنت، ولما أكثر الله تعالى التحذير من مال اليتيم في نحو قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(١) وقوله: ﴿ إِنْ الدِّينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾^(٣)، الآية، تخرجوا عن تناول ماله ومخالطته، فبين تعالى أن حق الإنسان أن يتحرى الصلاح له، وأن لا ضير في مخالطته، أي مصاهرته، وسائر أنواع المخالطة، وبين أنه أخوهم، وذلك إشارة إلى نحو قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾^(٥)، ونبه بقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ أن الله تعالى لا تخفى عليه مقاصد الإنسان فيما يفعله معهم، وبين بقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ ﴾ أنه لم يقصد إعناتاً فيما أوصاهم به في هذه الآيات المختلفة..

١ - سورة الأنعام : الآية (١٥٢) . ، سورة الإسراء : الآية (٣٤) .

٢ - سورة النساء : الآية (١٠) .

٣ - سورة النساء : الآية (٢) .

٤ - سورة الحجرات : الآية (١٠) .

٥ - سورة آل عمران : الآية (١٩٥) .

قوله - عز وجل :

﴿وَلَا تُكِبُّوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَآمَةِ مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ وَلَا تُكِبُّوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الآية (٢٢١) - سورة البقرة.

النكاح اسم للعقد، واستعير للجماع بدلالة أن عامة أسماء^(١) الجماع كنايةات، وأنهم يتحاشون النكاح من التصريح بذكر الجماع، وآلاته، كما يتحاشون من إظهاره حتى سموا ذلك العضو "السوء"، ولم يستعبروا اسم الجماع وآلاته إلا فيما يقصدون به سبغة، نحو: شَوْرِيهِ إذا خجله وجعله بحيث كأنه أبدى شواره، والشوار مع ذلك كناية للفرح، وبهذا يعلم أن النكاح في اللغة مستعار للجماع، والنهي عن نكاح المشركات عام فيمن ليس من أهل الكتاب، ولم يدخل في ذلك أهل الكتاب لقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(٢)، فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣) الآية، والنكاح يجلب المودة لقوله: ﴿أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٤)، وقد نهانا عن مودتهم، فيجب أن لا نواصلهم!

قيل: المودة المنهي عنها هي الدينية لا المودة النفعية أو الشهوية، فإننا إذا أوددناهم لنفع ما ، فإنما نود النفع كمودتنا لذمي يعيننا على مدافعة المشركين، فقوله: ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾^(٥) عنى بها المودة الدينية، فإن قيل: ما قلت يقتضي أن يجوز نكاح المشركات؟ قيل المشرك مادام مشركاً، فنفسه مباحة، والمشركة غير مالكة لنفسها، وفي قوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾^(٦) إشارة مجملة إلى فضل العبد المؤمن على الحر المشرك وبيان فضيلته يحتاج إلى مقدمة، وهي أن الشيثيين

١ - في (١ - ص) عامة الأسماء.

٢ - سورة المائدة : الآية (٥).

٣ - سورة المجادلة : الآية (٢٢).

٤ - سورة الروم : الآية (٢١).

٥ - سورة المجادلة : الآية (٢٢).

٦ - سورة البقرة : الآية (٢٢١).

إذا تشكك أيهما أفضل، أحدث كل واحد منهما مع ضد الآخر أنهما هو المؤثر، فحكمت له مثاله أن من شك في العلم والغنى أيهما أفضل؟ نقول: انظر هل الغنى مع الجهل أفضل؟ أم الفقر مع العلم؟ فإذا علمت أن الفقر مع العلم أفضل من الجهل مع الغنى علمت أن العلم أفضل من الغنى، فإذا ثبت ذلك، فالعبد هو الذي ملك منافعه مدة، والحر هو الذي لم يملك منافعه، والمؤمن هو المستحق للثواب الدائم والمشرك هو المستحق للعقاب الدائم، فينظر هل من ملك منافعه مدة، ثم أثبت دائماً أفضل؟ أم من لم يستحق منافعه مدة ويعاقب دائماً؟ فإذا علمنا أن الأول خير، علمنا أن العبد المؤمن خير من الحر المشرك، ونبه بقوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ أن الاعتبار بإعجابكم، فليس الإعجاب إلا من ثمرة الجهل بحقيقة الشيء، والجهل لا يوجب حكماً، فإذن لا اعتبار بإعجابكم، ونبه - عز وجل - على تحريم مواصلة المشركين بقوله: ﴿أَوَلَيْكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي إلى الأفعال الموجبة للنار، وواجب اجتناب الداعي إلى النار الحامل عليها، فواجب مجانبتهم إذن، وعلى هذا قال - عليه السلام - «لا تترائى ناراهما»^(١)، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾، والداعي إلى الجنة واجب اتباعه، وعلى هذا دل قوله - عز وجل - حكاية عمن أخبر عنه: ﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾^(٢)، تدعونني وبإذنه، أي بعلمه وأمره وآياته وحججه ودلائله العقلية والشرعية من أنكم إذا فعلتم ذلك، فأنتم أهل لرجاء التذكر وحقيقة التذكر الاستدراك عن نسيان أو غفلة لما استثبته القلب..

إن قيل: إلى أي شيء أشار بهذا التذكر؟

قيل: إن الله عز وجل - ركز فينا بالفطرة معرفته ومعرفة ألائه، والإنسان باستفادة العلم يتذكر ما ركز فيه، فهذا معنى التذكر، وقال قوم: معرفة الله عز وجل، ومعرفة الآية تذكر، ومن دفع عن قلبه الأغشية بذكر ما قال الله عز وجل له ودل عليه بقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣) الآية، قالوا: وقد عرفنا الطريق الذي به يتوصل إلى هذا التذكر بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

١- الحديث عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى قوم من خثعم، فاستعصموا بالسجود فقتلوا، فقتل رسول الله بنصف العقل - وقال: إني برئ من كل مسلم مع مشرك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا لا ترائى نارهما» أخرجه النسائي ج ٨ ص ٣٦، وأخرجه أبو داود في الجهاد برقم (٢٦٤٥) ولفظه «أنا برئ من كل مسلم مقيم بين أظهر المشركين لا تترائى ناراهما والترمذي في أبواب السير، انظر عارضة الأحوزي ج ٨ ص ١٠٤ والحديث صحيح لكن اختلف في وصله وارساله وانظر: شرح السنة ج: ١٠ / ٣٧٣ وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٧٥، ص ٨١٤.

٢ - سورة غافر الآية: (٤١).

٣ - سورة الأعراف: الآية (١٧٢).

وَالْإِحْسَانَ وَلِإِغْوَا ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾، فبين أنكم إذا فعلتم ذلك، رجوتم تذكر هذه الحالة، وقد قيل: «الرجاء من الله واجب»، بمعنى أنه إذا رجائنا حقق رجائنا، وهذه مسألة لا يمكن تصورها لمن لم يبلغها بتعاطي هذه الأفعال التي شرطه الله عز وجل - فلذلك لعلها صعب إدراكها لنا.

قوله - عز وجل :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظْهَرْنَ فَأَنْتَاهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

الآية (٢٢٢) - سورة البقرة.

المحيض: وقت الحيض وموضعه، وقد قيل: يقال للحيض محيض، على أن المصدر في هذا الباب يجيء على (مفعول)، نحو: معاش ومعاد، وقول الشاعر:

لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْفَرَادُ مَقِيلًا^(٢)

فالأظهر أنه مكان وإن كان قد قيل: هو مصدر، وقيل ما في ترك مكال ومكيل، أي كيل، وهو أيضاً محتمل، والحيض هو الدم الخارج من الرحم على وصف مخصوص في وقت مخصوص ويتعلق به منع الصلاة، والصوم، وحظر الجماع، وانقضاء العدة، واجتناب دخول المسجد، ومس المصحف، وقراءة القرآن، وأن تصوير المرأة به في الابتداء مكلفة، والاعتزال: العدول عن الشيء، وأصله من العزل، وهو صرف العامل عن عمله، ومنه قيل الأعزل للعازل عن الحرب لعدم السلاح، وللداية المائل ذنبها، والعزلاء تأنيث الأعزل، وشبه مخرج الماء إذا فتح عن فقد سلاحه، والسماك: الأعزل سمي بذلك لافتقاده الكوكب^(٣) الذي يصور بصورة الرمح للسماك الآخر... والأذى: اسم لما ينال النفس منه

١ - سورة النحل : الآية (٩٠).

٢ - هذا عجز بيت وشطره : بنيت مرافقهن فوق مزلة . وهو للرأى في ديوانه - ص ٢٤١ وهو من قصيدة له مطلعها :-

ما بال دنك بالفراس مذيلا ... أقضى بعينك أم أردت رحيلا

وعنى بالمرافق ومرافق الإبل ، والمقيل هو المستقر.

شعر الراعى النميرى وأخباره - جمعه ناصر الحانى - ص ١٢٦ - ط : المجمع العلمى العربى بدمشق . ط : سنة ١٩٦٤ م .
وكتاب سيبويه - ج ٢ : ص ٢٤٧ والمخصص ج ١ : ص ٥٥ ، والبحر المحيط - ج ٢ : ص ١٦٧ ، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٦٥ .

٣ - في (و - ج) الكواكب .

مكروه، ولهذا سمي الله تعالى الكلام المكروه أذى، فقال: ﴿وَلْتَسْمَعْنَ مِنَ الَّذِينَ آوَتْوَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾^(١)، وما ينال الإنسان من مكروه المطر أذى في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾^(٢)، ولما كان الناس في مجامعة المرأة في حال الحيض بين إفراط وتفریط، فإن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجتمعوا معها في البيوت، وبعض النصارى لم يتحاش من مجامعتها، فسئل-عليه السلام-، فقال تعالى: ﴿هُوَ أَذًى﴾ تنبيهاً أن العقل يقتضي تجنبه كأنه قيل: الحيض أذى وكل أذى يتحاشى منه، والحيض يتحاشى منه، ولما كان الإنسان قد يتحمل الأذى ولا يراه محرماً، صرح بتحريمه بقوله: ﴿فَاعْتَرِلُوا الْنِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، إن قيل: فأى أذى هو؟

قيل: إما باعتبار مجرد الشرع، فإثم، وإما بالاعتبار الطبي، فإن الدم الذي يخرج الرحم يفسد البدن الذي منه الحيوان، ويكون له بخارات ممرضة لأبدان متشممها يعرض للمرض، ولما كان الاعتزال قولاً مشتركاً، ويكنى به عن العدول عنها عند الفراغ وعن مجانبة ذلك الموضع وعن مجانبتها رأساً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ ليدل باللفظتين الكنايتين على مجانبة مباحثتها، وعلى جواز التمتع بها منها دون الفرج المدلول عليه بقول النبي -عليه السلام: «اصنعوا كل شئ إلا الجماع»^(٣)، ولما كان لفظ ﴿يَطْهَرْنَ﴾ يقال فيما كان طاهراً بنفسه، وفيما كان يتطهر، نبه بقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أنه لم يرد إلا الطهارة عن تطهر وتؤكد ذلك قراءة من قرأ: ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾، فدل ذلك أن لا يصح

١ - الآية (١٨٦) سورة آل عمران .

٢ - سورة النساء (١٠٢) .

٣ - الحديث أورده ابن كثير في تفسيره فيما روي عن الإمام أحمد قال : أحمد قال : حدثنا عبد الرحمن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت ، فسأل أصحاب النبي - صلي الله عليه وسلم - النبي صلي الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : (وسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتي يطهرن) حتي فرغ من الآية ، فقال سول الله صلي الله عليه وسلم - «اصنعوا كل شئ إلا النكاح» ، فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يارسول الله : إن اليهود قالت كذا أفلا نجامعهن ؟ فتغير وجه الرسول - صلي الله عليه وسلم - فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما « رواه مسلم من حديث حماد بن زيد بن سلمة .. تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج : ٦ - ص ٢٥٨ ، وأورده السيوطي في أسباب النزول ، وأورد ما أخرجه البارودي في الصحابة بسنده إلى ابن عباس أن ثابت بن الدحداح سأل النبي - صلي الله عليه وسلم ، فنزلت (وسألونك عن المحيض) - الآية ، وأخرج ابن جرير عن السدي نحوه ... أسباب النزول - السيوطي - ص ٣٠ - ط : دار المنار للنشر .

وطؤها مالم تفتسل، وقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ دل أن ذلك شرط في إباحتها وأن لا يصح وطؤها إلا بانقطاع دمها، وقوله: ﴿فَاتَّوْنُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى مراعاة كل ما أمر به من أحكام النكاح ومجانبة المحاشي، يعني الموضع المكروه وغير ذلك من الأمور التي أمر بها، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الطَّاهِرِينَ﴾ - تنبيهاً أن من كان منه شيء من ذلك، فحق عليه أن يتوب ويتطهر من بعد، والتطهر عام في استعمال الماء، وتطهر القلوب من الذنوب، والتوبة اجتناب الذنب والتطهر عمل الصالحات، وجعل التوبة مقدمة على التطهير تنبيهاً أن اجتناب القانورات مدرجة إلى فعل الخيرات، وعظم أمر المتطهرين حيث جعلهم محبوبيه، وروي خريم بن ساعدة قال: يارسول الله: من الذين قال الله - عز وجل - فيهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١)؟

فقال عليه السلام:

«نِعَمَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ خُرَيْمٌ»^(٢) ويدل على إرادة هذا المعنى بالتطهر قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣).

قوله - عز وجل :

﴿بِسَاءِ مَا كَرِهْتُمْ لَكُمْ فَاتُّرَا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة البقرة الآية (٢٢٣) ..

الفرق بين الحرث والزرع أن الحرث إلقاء البذور وتهيئة الأرض، والزرع مراعاته وإنباته، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرَثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٤)، فأثبت لهم الحرث، ونفى عنهم الزرع، وقد جعل الله تعالى النساء محترثاً للرجل، وجعل له قوة النكاح حفظاً للنسل، ولولا طلب

١- سورة التوبة - الآية: (١٠٨).

٢- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٤ - ص: ١٨٠، وأخرجه الحاكم في المستدرک ج: ٤ ص: ١٨٣، وأخرجه المنذرى في رياض الصالحين ص: ٣٣٢، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٤٠ - ص: ١٨٠، وأخرجه أبو داود في سننه .

٣ - سورة الاحزاب : الآية (٣٣).

٤ - سورة الواقعة : الايتان (٦٣ ، ٦٤).

النسل لما رخص العقل في الجماع لما يجلب من ذبول البدن وإضعاف البصر، مع أنه ليس بضروري للإنسان كالجوع والعطش، لكن استحسن ما استحسن منه لطلب النسل المدعو إليه بقوله -عليه السلام: (تناكحوا تكثروا)^(١)، ولذلك قيل في الحكمة: «خير النساء الولود والودود، وشرها العقيم»..

وحرم إتيان الرجال على كل حال والنساء في محاشهن إذا لم يكن محرماً ما سماه -عليه السلام- «اللواط الصغرى»^(٢)، وقيل لأمير المؤمنين: كيف ترى النساء يؤتين في أدبارهن؟ فقال: «سفلت سفل الله بك» ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف وأين بعد أن لا يتجاوز به الحرث، وأعاد لفظ الحرث، ولم يقل: فأتوه، ليراعى المعنى المقصود بذلك، لئلا يتوهم ما يتصوره قوم لم يتعمقوا النظر، وإنما قال: "أنسى" تنبيهاً على كذب اليهود، حيث زعموا أن المرأة إذا لم تؤت مستقبلية يأتي الولد ذا خيل أي أحول، وقوله عقيب ذلك: ﴿وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ﴾، هو أن الله إذا أطلق أمراً من الشهوات الدنيوية لا يخلو ذكره من الحث على مراعاة العقبي والتقوى، لئلا يلحق الإنسان غفلة عما خلق لأجله، وقول عطاء: هو التسمية عند الجماع، وقول ابن عباس: هو الطلب للولد على سبيل المثال^(٤) (*)، لا أنه لم يرد سوى ذلك. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ أي صائرون إليه، واللقاء يقال في المحسوس والمعقول، يقال: لقي إثمًا وجهداً، قال الله -عز وجل: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٥).

١ - الحديث «تناكحوا تكاثروا» فلاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة «وقد أخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث عبد الله بن عمر، وإسناده ضعيف، وعبد الرزاق عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً، والبيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه، وفيه زيادة "حتى بالسقط" راجع تخريج أحاديث الإحياء - ج: ٢، ص: ٢٢، والفتح الكبير - ج: ٢، ص: ٣٨، وفتح الباري - ج: ٩، ص: ١١١ ومصنف عبد الرزاق - ج: ٦، ص: ١٧٣، ومفردات ألفاظ القرآن ص: ١٠٨.

٢ - الحديث مروي عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم - عن الرجل يأتي امرأته في دبرها، فقال تلك اللواطية الصغرى، وفي رواية: هي اللواطية الصغرى. والحديث أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، كما في مجمع البحرين للهيثمي (١٦٩ - ١) والبيهقي في السنن - ج: ٧، ص: ١٩٨، وأخرجه النسائي في كتابه (عشرة النساء) تحقيق عمرو على عمر مكتبة السنة - ط: ١ سنة ١٩٨٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث (٦٧٠٦)، (٦٩٦٧) وإسناده حسن، وذكره المنذرى في الترغيب والترهيب - ج: ٣، ص: ٢٠، وزاد نسبه للبزار، وقال: رجالهما رجال الصحيح وفي قولهما نظر، لأن المعهود في اصطلاح المحدثين أن هذا الإطلاق يقال في الرواة الذين روى لهم الشيخان أو أحدهما وعمرو بن شعيب لم يرو له الشيخان ولا أحدهما أصلاً.

٣ - سرّة الأعراف - الآية: (٨٠).

٤ - في (أ - ص) على سبيل المال.

* - هذه هي نهاية النسخة (أ - ص) من تفسير سورة البقرة، وسنعمد بمشينة الله في تحقيق ما بقى من تفسير آيات سورة البقرة على النسخة (و-ج) وحدها، وهي النسخة الأصل، فهي الأقدم في تاريخ النسخ، وهي الأكمل في النص.

٥ - سورة الفرقان: الآية (٦٨).

قوله - عز وجل :

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

الآية (٢٢٤) - سورة البقرة .

اليمين أصله العضو، واستعير للحلف لما جرت به العادة في تصافح المتعاقدين، وعلى هذا قال

الشاعر:

قُلْتُ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرُّضَى فَوَضَعَ الْكَفُّ مَوْضِعَ الْيَمِينِ^(١)

والعرضة ما يجعل معترضاً بين شيئين، فيتصور تارة بالحائل، فقليل معناه: لا تجعلوا لفظ الله مانعاً من أن تبروا وتتقوا، نحو: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾^(٢) وذلك أنه كان أحدهم لا يبر، فإذا عوتب قال: حلفت، وعلى هذا قال الشاعر:

تُسَلِّفُ الْجَارَ شَرْباً وَهِيَ حَاتِمَةٌ وَلَا يَبِيتُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ قَسَمٌ^(٣)

ولأجل ذلك قال -عليه السلام:

«إذا حلف أحدكم على شيء، فرأى غيره خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»^(٤)، وقد تصور العرضة بصورة المبتذل، نحو: (لا تجعليني عرضة للوائم)، ومعناه: لا تجعلوا لفظ الله مبتذلاً لليمين، لأن تبروا، فيكون ذلك نهياً عن كثرة الحلف المذموم بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مُبِينٍ﴾^(٥)، فإن قيل: وما تقدير "أن تبروا" على هذا؟.. قيل: يجوز أن يكون متعلقاً باليمين، وتقديره: أن لا تبروا،

١ - لم أمتد إلى نسبته . ٢ - سورة النور : الآية (٢٢).

٣ - لم أمتد إلى قائله ، وللحليّة بيت قريب منه وهو :- لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ولا يبيت على مال له قسم

ديوان الحليّة ص ٢٨٨ - تحقيق د/ نعمان أمين طه - مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٨٧ .

٤ - الحديث أخرجه النسائي في سننه من حديث عبد الرحمن بن سمرة في كتاب "الايان والنور" في باب الكفارة قبل الحنث - ج: ٧، ص ١٠ ، وأخرجه البيهقي في سننه - ج : ١٠، ص ٣٢ ، ٣٥ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک - ج : ٤ - ص ٣٠٠ في كتاب الايمان والنور .

٥ - سورة القلم : الآية (١٠).

لأنك تقول: حلفت أن تخرج، فيحذف "لا" أمناً من الاشتباه في الإثبات، إذ في الإثبات، فقال: حلفت لأخرجن أو لأخرجن، وقال بعضهم: معناه: "نهاكم أن تكثرُوا الأيمان لأن تبروا"، أي إنما نهاكم عن ذلك لتكونوا بررة أتقياء مصلحين، كما قال:

﴿ كُتِمَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(١) الآية، وقيل معناه: لا تجعلوا لفظ الله مبتذلاً لليمين لأن تبروا بالحلف به، وتتقوا المأثم، وتصلحوا، والمعنى لا تبتذله لفعل الخيرات، فكيف للشر تنبيهاً أن الحلف بالله مكروه ما استغنى عنه، ونبه بقوله: ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أنه عارف بالمقاصد..

قوله - عز وجل :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

الآية (٢٢٥) - سورة البقرة .

اللغو: المطروح الذي لا يفيد من الكلام، يقال: ألغى في كلامه، ولغأ، وقد يقال في غيره تشبيهاً، كقول الشاعر:

كَمَا الْغَيْتُ فِي الدِّيَةِ الْحَوَارَا^(٢)

ويكنى باللغو عن القبيح من الكلام، وأصله من لغى العصافير، واختلف في اللغو من اليمين، فقال ابن عباس: هو الحلف بالشئ يظن أنه صادق فيه وهو بخلافه، وقال ابن جبير: هو اليمين علي الحرام لا يؤاخذ الله بتركه، وقال : هو بغضهم اليمين التي يحدث فيها صاحبها سهواً، وقالت عائشة:

١ - سورة آل عمران الآية : (١١٠) .

٢ - هذا عجز بيت لذي الرمة من قصيدة مطلعها :

هفته الريح وامتنح القطارا

ثبت هيناك عن طلل بحرؤى

وهو في ديوانه ج : ٢ ص ١٣٧٩ ، وأما القالي ج : ٢ - ص ١٤٢ ، ولسان العرب - مادة (لغا) ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٤٣ ، وتمام هذا البيت .

كما الغيت في الدية الحوارا

ويهلك بينها المرئى لغواً

وقد قاله ذو الرمة يهجو به واحداً من بني امرئ القيس ويلغيهم من النسبة إلى تميم كما يلغى ولد الناقة قبل الفطام في الحساب في الديات . وقد أورده الراغب في مجمع البلاغة . ص ٢٥٢ - تحقيق الدكتور عمر الساريس - ط - مكتبة الأقصي - عمان .

وقد روي عن النبي ﷺ إنه قول الرجل: (لا والله) و (بلى والله)^(١) على سبيل العجلة لا على القصد، وإليه ذهب الشافعي، وقال أبو حنيفة: لغو اليمين كالغموس في أنه لا تجب فيهما الكفارة، ولكن الغموس أن يحلف ويعلم أن الأمر خلافه، فيعظم معصيته، واللغو أن لا يعلم، بل يظن فلا تقع المؤاخظة به، وقوله:

﴿وَلَكِنْ يَأْخِذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ هو أعم من قوله: ﴿وَلَكِنْ يَأْخِذْكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾^(٢) وذلك أنه لما كان القلب يُعبر به عن الجزء الذي به المعرفة والفكر ويجري من سائر أجزائه مجرى الراعي من المرعي، ونبه بقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أن الاعتداد به دون غيره من الجوارح، حتى إن كل فعل لا يكون عنه وبه سهو أو خطأ متجافى عنه، ولهذا قال - عليه السلام - «إن فسي الإنسان مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسدت سائر الجسد»^(٣)، وقال: «إذا طاب قلب المرء طاب جسده»^(٤)، وقال: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(٥).

والحلم وإن كان مناً هو إمساك القوة العصبية المقتضي للعفو، فهو إذا استعمل في الله لا يراد به إلا العفو عن المذنب دون حدوث حالة وتجدد أمر عليه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

١ - أورد القرطبي في تفسيره ما روى عن عائشة قولها "أيمان اللغو" ما كانت في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا ينعقد عليه القلب وفي البخاري عن عائشة قالت: نزلت الآية في قول الرجل لا والله وبلي والله تفسير القرطبي ج: ١ - ص ١٠١٢ وأورده ابن كثير في تفسيره ج: ١ - ص ٢٦٦.

٢ - سورة المائدة الآية: (٨٩).

٣ - الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير قال سمعت الرسول صلي الله عليه وسلم - يقول: إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهاً لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب - صحيح مسلم كتاب المساقاة - ص ١٢٢٠، وأخرجه أبو حيان في البحر المحيط - ج: ١ ص ٥١٣، وقال العراقي: متفق عليه من حديث النعمان بن بشير، وأخرجه الزبيدي في الاتحاف - ج: ٦، ص ٢٥٣، ج: ١٠ ص ١٧١، وأخرجه العراقي في المغنى عن حمل الاسفار ج: ٤ - ص ٣٥٦.

٤ - لم أهدت إليه.

٥ - الحديث أورده ابن كثير في تفسيره قال: قال مسلم رحمه الله: حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) ورواه ابن ماجه عن أحمد بن سنان عن كثير بن هشام به. تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج: ٤ - ص ٢١٧.

قوله - عز وجل :

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِن بَنَاتِهِمْ ثَرْثُصًا أَرْبَعَةً أَشْهُرٌ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

سورة البقرة الآية (٢٢٦) ..

التربص: انتظار مجئ وقت، يقال: تربصت به، وربصت به، قال الله- عز وجل: ﴿فَقَرَّبْصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(١)، وقيل في هذا الأمر ربصه، والفئ: الرجوع من مكان إلى مكان، ولم يسم من الظل فياً إلا الراجع منه، وسمى العتمة فيالفئته من قوم إلى قوم، وقول الشاعر:

أَرَى الْمَالَ أَفْيَاءَ الظُّلَلِ عَشِيَّةً^(٢)

أي المال هو الفئ الذي هو بعض الظلال تنبيهاً على ما قال الآخر:

إنما الدنيا كظل زائل .^(٣)

والإيلاء : الحلف المقتضي للتقصير في الأمر الذي يحلف عليه من قوله عز وجل : ﴿لَا يَأْتُونَكُمُ الْآيَةُ﴾^(٤) ، ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلُ مِنْكُمْ﴾^(٥) وصار الإيلاء في الشرع الحلف المانع من جماع المرأة ، وهو أن الرجل كان إذا لم يرد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره، يحلف أن لايجامعها ، ويتركها كذلك ، لاإيماً ، ولا ذات بعل ، فأراد الله أن يجعل لها مخرجاً ، فحكم بهذه الآية ، إلا أنه اختلف في أي لفظ من الأيمان يكون الإيلاء ، وعلى أي وجه يعتبر ترك جماعها ، وأي يمين من الإيلاء تلزم فيه الكفارة ؟ وكم مدة الإيلاء ؟ وماعزم الطلاق ؟ وماالفئ ؟ ومن الذي لإيلائه حكم ؟ وأي امرأة لها حكم

١ - سورة المؤمنون الآية (٢٥).

٢ - هذا شطر بيت وعجزه : يؤوب وأخرى يخيل المال خابله .. وقد ذكره الراغب في المفردات بدون نسبة ص ٦٥٠ ، وهو في أساس البلاغة مادة : (خبل) .

٣ - هذا شطر بيت للوزير ابن الزيات ، وعجزه : نحمد الله كذا قدرها ، وقبله :

وهل الدنيا إذا ما أقبلت صيرت معروفها منكروها

وقد أورده الراغب في كتاب مفردات ألفاظ القرآن - ص ٦٥٠ ، وأورده الصفدي في الوافي بالوفيات ج : ٤ ص ٦٥٠ .

٤ - سورة آل عمران - الآية : (١١٨) .

٥ - سورة النور - الآية : (٢٢) .

الإيلاء ؟ أما أي يمين هو؟ فعند أبي حنيفة جميع الأيمان حلفاً بالله عز وجل ، كان ، أو طلاقاً أو عتاقاً أو نذراً ، وبه قال الشافعي في الحدود ، وقال مالك : " لا يكون مولياً إلا بالحلف بالله - عز وجل - " ، وبه قال الشافعي في القديم ، ودوي عن ابن عباس أن كل يمين منعت من الجماع فإيلاء ، وأما على أي وجه يعتبر ترك جماعها ، فعند علي وابن عباس والحسن وعطاء إذا حلف أن لا يجامعها على وجه الضرار والغضب ، فأما إن لم يكن على ذلك نحو أن يحلف أن لا يجامعها في وقت إرضاعها الولد لئلا يضر بالولد ، فلا يكون مولياً ، وقال الحسن : " إذا حلف أن لا يجامعها في هذا البيت ، ثم ترك جماعها أربعة أشهر فإيلاء " ، وقال ابن المسيب : " إذا حلف أن لا يكلمها فإيلاء أيضاً " ، وقال ابن عمر : " إذا هجرها من غير يمين يكون مولياً " ، وأما أي يمين من الإيلاء يلزم فيه الكفارة ، فهي كل يمين بالله - عز وجل - ، وأما المدة : فمنهم من قال : أكثر من أربعة أشهر أي قدر كان ، لأنه جعل لها المطالبة بعد ذلك ، ولأنه قال : ﴿ فَإِنْ فُلُّوا ﴾ ولم يفصل بعد المدة ، وفي المدة . ومنهم من قال : أربعة أشهر فصاعداً ، هو بعض الظلال تنبيهاً على ما قاله الآخر : وإن حلف على أقل من أربعة أشهر لا يكون مولياً وإن تركها أربعة أشهر على قول عامة الفقهاء ، وقال ابن مسعود وقتادة : يكون مولياً ، ولا خلاف أنه إذا لم يتركها أربعة أشهر لا يكون مولياً ، وأما عزم الطلاق ، فعند عمر ، وعثمان ، وابن عباس وابن مسعود أنه انقضاء الأربعة أشهر ، وأنها تبين بتطبيقه ، وعند الشافعي أن للمرأة مطالبتها بعد الأربعة الأشهر ، ويجب عليه أن يطلق أو يراجع ولا يستمهل أكثر من يوم ، فإن طلقها تطليقة تكون رجعية ، ولو عفت عن ذلك في الوقت ، فلها أن تطلب بعد ذلك متى أرادت ، وأما الفئ : فظاهره يقتضي الفئ بالقول ، كالمراجعة إلا أنهم أجمعوا أنه إذا أمكنه لم يكن إلا بالجماع ، فأما إذا كان محجوباً أن محبوساً عنها ، فقد قيل فيه بالقول ، وأما من الذي لإيلائه حكم ؟ ، فكل من صبح طلاقه حراً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً حرة كانت تحبه أو أمة ، وأبو حنيفة اعتبر بالمرأة كالطلاق ، ومالك اعتبر بالرجل دونها ، وقال بعض الفقهاء : الإيلاء لذمي ، والآية تقتضي خلاف قوله ، وأما أي امرأة لها حكم الإيلاء ، فكل امرأة يصح طلاقها يصح الإيلاء منها ، مسلمة كانت أو ذمية ، حرة كانت أو أمة ، صغيرة كانت أو كبيرة ، لكن ليس للصغيرة المطالبة حتى يمكن مجامعتها وتأتي عليها المدة المضروبة و"من" في قوله :

﴿مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ تعتبره الفقهاء أنه متعلق بقوله: ﴿يُؤْثِرُونَ﴾ حتى كثر في كلامهم "آلى فلان من امرأته"، كقولهم: "ظاهر منها"، وذلك غير ممتنع، وإن كان قد ذكر بعض أهل اللغة أن تقدير الكلام: (لهم من نسائهم تربص أربعة أشهر) ودل بقوله: ﴿لَإِنْ فَأَدُوا لَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أن المولى في إيلائه مخطئ وآثم، وأنه يستحق العفو عما ارتكبه بفيئه..

قوله - عز وجل :

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية : (٢٢٧)-سورة البقرة.

دواعي الإنسان إلى الفعل على مراتب أولها السابح، ثم الخاطر، ثم التخيل والتفكر فيه، ثم الإرادة، ثم الهمة، ثم العزم، فالهمة إجماع من النفس على الأمر وإزماع عليه، والعزم هو العقد على إمضائه، ولهذا قال- عز وجل- ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١)، ويقال: (مالفلان عزمه) أي عقد على إمضائه..

ويقال: المعود عزائم تصوراً أنك قد عقدت على الشيطان أو الداء أن يمضي إرادتك فيما سميته، والطلاق: تخلية عن وثاق أو داء أو انقباض وإمساك، ومنه: "طلقت المرأة عند الولادة وبالتخلية عن الوثاق شبه الطلق في العدو، ورجل طلق الوجه، وطلق اليدين، وأما عزيمة الطلاق، فقد تقدمت، ونبه تعالى بقوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أنه عارف بضميره ومقاله في إيلائه وتطبيقه..

قوله - عز وجل :

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية (٢٢٨)..

قال الخليل: قرأت المرأة: رأت الدم، وأقرأت: حاضت، وصارت ذات قرء، والقرء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر، ولما كان اسماً للأمرين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كل

واحد منهما، لأن عادة العرب أن كل اسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة هي للخوان والطعام، وقد سمي كل واحد منهما بانفراده مائدة، وعلى ذلك الطعينة والكأس والراوية، فكذا القرؤ، وليس هما اسماً للطهر مجرداً بدلالة أن الطاهر التي لم تر الدم لا يقال لها ذات قرء، وكذا الحائض التي استمر بها الدم، والنفساء لا يقال لهما ذلك، فقلوه: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، أي ثلاثة دخول من الطهر في الحيض وليس حقيقة هذا إلا ما قاله الشافعي دون ما قاله غيره في أنها إذا رأت الدم ثلاث مرات، فقد انقضى عدتها، وجعل غيره حصول ثلاثة أطهار تتبعها ثلاث حيض، فإن قيل: قوله - عليه السلام: (دعي الصلاة أيام إقراءك)^(١) لم يرد أيام تجدد الحيض، وإنما أراد أيام الحيض كلها، قيل: ما قلته صحيح، وإنما ذلك كقولك: "فعل كذا أيام ورود فلان، ووروده إنما كان في ساعة، فكذا قوله: "أيام إقراءك"، والحدث القليل ينسب إلى الزمن الطويل، وإن وقع ذلك في بعضه، يقول أهل اللغة أن القرء من قرءاً إذا جمع، وقارئ هم اعتبروا الجمع من زمن الطهر وزمن الحيض لاجتماع الدم في الرحم فقط، ومنه القراءة، وهي ضم الحروف والكلمات بالخروج من بعضها إلى بعض، يدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد يتفوه به قراءة، و"أقرأ النجم" إذا طلع واحد وغاب آخر، وصار القرؤ مستعاراً للوقت المنتظر، ومنه قال الشاعر:

إِذَا هَبَّتْ لِقَارِنِهَا الرِّيحُ^(٢)

أي لوقيتها المنتظر المتعين.

وقال آخر:

لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ^(٣)

يَارُبُّ ذِي ضِفْنٍ عَلَى فَارِضٍ

١ - عن عدي بن ثابت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لامرأة: "دعي الصلاة أيام إقراءك" أخرجه أبو داود برقم ٢٩٧، والترمذي في العارضة ١/ ١٩٩، وأخرجه ابن ماجه في سننه ج ١: ص ٢٠٤ وهو ضعيف، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٦٦٨.

٢ - هذا عجز بيت لتأبط شراً ثابت بن جابر وتماه -:

شَنَنْتُ الْعَقْرَ عَقْرِي شَلِيلَ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِنِهَا الرِّيحَ

ديوان تأبط شراً ثابت بن جابر .

٣ - لم أمتد إلى قائل هذا البيت، وهو في مجالس ثعلب ج: ١ - ص ٣٠١، وتفسير الطبري ج: ٢ - ص ١٩٠، والأضداد - ص ٢٨ ومجمع البيان - ج: ١ - ص ١٣١، وتفسير ابن عطية - ج: ١ - ص ٢١٣، ولسان العرب - مادة: فرض، وتفسير البحر المحيط - ج: ١ - ص ٢٤٨، والدر المصون في تفسير الكتاب المكنون - ج: ١ - ص ٤٢١ بلون نسبة

أي انتظاراً للفرصة كانتظار ذات الحيض للحيض...

وعير ابن داود الشافعي لما جمع بين القرى وقرية الماء في الحوض، وقال: ألم ير أن قرية من بنات التاء، وقرأت من الهمزة، وهذا سوء ظن منه وسوء تصور، فإن أهل اللغة طريقتان في هذين اللفظين أحدهما: أن "قرية" مقلوب عن قرأت، والياء بدل من الهمزة، كسألت، وسلت، والثاني: أنهما لغتان تقارب معنيهما تقارب ألفاظهما، وأنهما تقتضيان معنى الجمع، والبعل: النخل السارب بعزوقه، وعبر به عن الزوج، لإقامته على الزوجة للمعنى المخصوص، وحيث هي بعلّة، وقيل: باعلها كقولك: جامعها، وبعل الرجل إذا دهس، فأقام مكانه كالنخل الذي لا يبرح، وبهذا النظر، قيل لمن لا يحول عن مكانه ما هو إلا شجرة أو حجر، والبعولة جمع بعل، كالذكورة، والفحولة، والعمومة، والخؤولة، والرجل بنى عن رجلٍ تصوراً لسعيه بها، كما سميت المرأة قعيدة وعجوزاً لتمكن مقعدها وعجزها من الأرض ولذلك قال الشاعر:

أَصْبَحْتَ لَا رَجُلًا يَغْدُو لِمَطْلَبِي وَلَا قَعِيدَةً يَبْتَ تُحْسِنُ الْعَمَلَا^(١)

وبهذا النظر سُمِّي القوم قوماً لقيامهم بالأمر، والراجل الماشي لكونه ضارباً برجله الأرض كالسائف والرامي لمن يضرب بهما، وارتحل فلان كذا لما تناوله بسعيه مما لم يسبق إليه، وترحل النهار، كقولهم: "قام قائم الظهيرة". والمرجل، القدر المنتصب على رجلها، وجعل بناؤه بناء الآلات والدرجة والمرقاة والمنزلة تستعار للمحال الشرفية، وذاك أن الشرف المعقول يمثل بالمحسوس على وجهين، أحدهما يعتبر على طريق العلو والسفل، فتستعمل فيه الدرجة، والمرقاة، والصعود، والانحدار، والثاني على طريق التقدم والتأخر، فيستعمل فيه السبق والتخلف والمطلقات ضربان: مدخول بها، وغير مدخول بها ولا عدة عليها لقوله - عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهُنَّ﴾^(٢)، والمدخول بها عليها العدة،

١- قائل البيت هو أبو نصر بن نباته كما في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد - ج: ٢- ص ١٤٦.

٢- سورة الاحزاب الآية: (٤٩).

وهي على ثلاثة أضرب:

الحوامل: وعدتهن أن يضعن حملهن، واليائسات، واللائى لم يحضن، وعدتهن ثلاثة أشهر، ونوات الحيض: وعدتهن ثلاثة أقرؤ، وهذا الحكم إذا كانت المرأة حرة، فأما إذا كانت أمة فقرآن، وفي الشهور على النصف من الحرية..

إن قيل: كيف استعير لفظ الخبر للأمر في قوله: ﴿يَعْرِضْنَ﴾؟ قيل: لما كانت العدة تحصل من المرأة بانقضاء الأيام، نوتها أو لم تنوها، أجدت أو لم تجد صار لفظ الخبر أملك له من لفظ الأمر، ويدل على صحة هذا الاعتبار إتيان جميع العدد بلفظ الخبر، وقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عنى كتمان ما في أرحامهن من الحيض والحبل، وأنه لا يجوز أن تكون حاملاً، فتقول: ليست بحامل، أو لم تكن حاملاً، فتقول: أنا حامل، ولا أن تدعي الحيض أو تنفيه على ذلك، وذلك عام في كل ذلك، وإن مثل كل واحد من متقدمي المفسرين لشيء من ذلك، ومن قال: لا يجوز أن يكون الحيض، لأن الحيض لم يخلق في الرحم، وإنما هو دم يرد إليه من جميع البدن، فعلى هذا قوله: ﴿فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ لا يكون من صلة خلق، بل يكون من صلة قوله (ولا يكتمن)، أي: لا يكتمن في أرحامهن ما خلق الله، فإنه لا شك أن يحصل في الرحم خلق فيه أو لم يخلق، ونهيهما عن كتمان ذلك دال على أن قولها مقبول فيما تدعي من حيضها وحملها فيما يتعلق بحقها، فإن تعلق بذلك شيء، ليس من حقها، فيجوز أن لا يقبل إذا اتهمت، كمن يقول: "عبدى حر" أو "امراته طالق إن حاضت"، فقالت: قد حضت، فمتى لم يصدقها لم يعتق عبده، ولم يطلق امرأته، وقوله: ﴿إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فليس ذلك شرطاً في أنهن إذا لم يكن مؤمنات، يجوز أن يكتمن، وإنما ذلك تنبيه أنه مناف للإيمان، وأنه ليس من فعل المؤمن، كقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ دال على بينة مراجعتها ما دامت معتدة، ولم يعن بالرد تجديد نكاح يشارك فيه غيره في الحال، وإنما عنى الرجعة الموجبة لبقاء النكاح بعد انقضاء الحيض التي إذا لم تكن لكان يزول النكاح، وظاهر الآية أن إباحة هذه الرجعة شريطة الإصلاح، لكن لا خلاف أنه

إذا راجعها مضاراً بها، فرجعته صحيحة، فدل هذا الإجماع أن ذلك تهديد للمراجع أن لا يقصد الإضرار بها، كقوله: ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُمْ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾^(١)، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٢) تنبيهاً أن فاعل ذلك ظالم، وأن الرجعة في الحكم صحيحة، وقيل: تسمية (بعلاً) دلالة أن ما دون الثالثة من الطلاق لا يرفع الزوجية، وأن الرجعة مادامت معتدة وقوله: (والمطلقات) عامة في الرجعية وغير الرجعية، (وبعولتهن) خاص في الرجعية، بدلالة التي تلوها، وليس قول من قال هذه الآية نسخ منها حكم الحمل، ومن ليست بذات حيض بشئ، فإن ذلك تخصيص لا نسخ،^(٣) وإن كان قد سماه بعض القدماء نسخاً وقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ يتبين أن لكل واحد على الآخر حقاً كحق الآخر، فمما تشاركاً فيه مراعاتهما للمعنى الذي شرع لأجله النكاح، وهو طلب النسل، وتربية الولد، ومعاشرة كل واحدٍ منهما للآخر بالمعروف وحفظ المنزل، وتدبير ما فيه وسياسة ما تحت أيديهما، حماية كل واحدٍ على الآخر بقدر جهده وحده، وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ﴾ هو من وجه تنبيه لفضل الرجل على المرأة بالجملة، ومن وجه كالاستثناء بأن له عليها حقاً، ليس لها عليه، أما فضله عليها، فقد نبه عليه بقوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾^(٤)، ودل عليه النبي - عليه السلام بقوله: «إِنَّكَ نَاقِصَاتُ الدِّينِ وَالْعُقُولِ»^(٥)، فقيل: وما نقصان دينهن، فقال: إن إحداهن تقعد

١، ٢ - سورة البقرة الآية : (٢٢١).

٣ - عقب الدكتور مصطفى زيد على دعوى النسخ في هذه الآية بقوله: (والواقع أن دعوى النسخ هنا وهي مروية عن ابن عباس وقتادة تنقضي نفسها بنفسها، فإن العبارة التي كتبها عن ابن عباس وقتادة وهي: ثم استثنى...، فنسخ منهن... وهذا تخصيص لا نسخ، خصص الله عموم المطلقات بمقتضى الآيات التي زعموها ناسخة، والمقتضى الحديث المروي في عدة الأمة، فأصبحن مقصورات على نوات الأقراء المدخول بهن، الحرائر غير الحوامل، وتولت تلك الآيات، وذلك الحديث عدة الآيات والصغيرات والإماء والحوامل، وقررت أن المطلقة غير المدخول بها لا عدة عليها. وقد رفض الطبري في تفسيره دعوى النسخ في هذه الآية أيضاً. النسخ في القرآن الكريم - الدكتور مصطفى زيد - ج: ٢ - ص ٦٠ هـ، دار الوفاء - المنصورة.

٤ - سورة آل عمران الآية : (٣٦).

٥ - الحديث أخرجه الحافظ بن حجر في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير في كتاب الحيض، وذكر قول بن مندة حيث ذكر بعضهم هذا الحديث ولا يثبت بوجه من الوجوه وقال في قريب من هذا المعنى ما اتفق عليه من حديث أبي سعيد قال: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ فذلك من نقصان دينها»، ورواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر بلفظ: (تمكث الليالي ماتصلي، وتفطر في شهر رمضان فهذا نقصان دينها)، ومن حديث أبي هريرة كذلك، وفي المستدرک من حديث ابن مسعود نحوه، ولفظة: «فإن إحداهن تقعد ماشاء الله من يوم وليلة لاتسجد لله سجدة» انظر: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير للحافظ بن حجر - ج: ١ - ص ١٦٢ - ص ١٦٣ طبعة المكتبة الأثرية - باكستان. كما أورده السيوطي في الدر المنثور ج: ١ - ص ٣٧١ وأخرجه أبو داود في مسنده من حديث عبد الله بن عمر - حديث رقم (٤٦٧٩).

نصف دهرها لا تصلي، ونقصان عقلهن أن شهادتها على النصف من شهادة الرجل، وقيل: من نقصها أن شرمافي الرجال الجبن والبخل، وهما خير ما في النساء، ولكونهن ناقصات عظم الله نسبة البنات إليه أكثر من تعظيمه نسبة الابن، وإن كانا منكرين، فقال تعالى: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾^(١)، وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٣)، وقال: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾^(٤)، وعظم تعالى نسبة الملائكة إلى الأنوثة، فقال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾^(٥)، ولكن الأنوثة نقص جعل القوة الانفعالية أنثى، والقوة الفاعلة ذكر حتى شبهوا السماء بالفحل، والأرض باللقوحة، وقالوا حديد ذكر، وحديد أنثى، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾^(٦)، أي أصناماً مفعولة غير فاعلة، وأما فضل حقوقه عليها، فقليل: عشرة أشياء جعل الطلاق إليه من دونها، وإباحة ضربها عند النشوز، أو هجران فراشها، ووجوب إجابتها إياه إذا دعاها إلى الفراش، والائتمار له إذا نهاها عن الخروج، وأن ميراثه منها أكثر من ميراثها منه، وأنه إذا قذفها فله إسقاط الحد باللعان، وليس لها ذلك، وأن له أن يجمع بينها وبين غيرها، وليس لها أن تجمع بينه وبين غيره، وليس لها أن تصوم تطوعاً، ولا أن تحج فرضاً إلا بإذنه، وله ذلك من دون إذنهاء وإلى هذه الجملة أشار بقوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٧) ونبه بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أنه يحكم بكل ما يشاء، فلا يغالبُ لعزة، ويتقن كل ما يفعله فيصيب بحكمته، وفيه وعد وإبعاد على مجازاتهما فيما يتحريان من صلاح وفساد..

١ - سورة النجم الآية (٢١).

٢ - سورة النحل : الآية (٦٢).

٣ - سورة الزخرف : الآية (١٧).

٤ - سورة الصافات : الآية (١٥٣).

٥ - سورة الزخرف : الآية (١٩).

٦ - سورة النساء : الآية (١١٧).

٧ - سورة النساء : الآية (٣٤).

قوله - عز وجل :

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمِنْ سَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الآية (٢٢٩) - سورة البقرة.

المرّة: فعلة من مرّ يمر مرأً، ومروراً، فعبر بها عن الفعلة، وإمرار الحبل إرساله في الفتل حتى يمر مرأً، ومر الشئ صار مرأً أصله من الأول، وهو فيما لا يطيب أكله، كساع فيما يطيب، وهما للذهاب، والمر الذي يعمل به استعارة، والإمساك أصله من المسك وتصور منه إمساكه للبدن، ولما يُجْعَلُ فيه بعد السلخ، فقليل: (أمسكت كذا) أي ضبطته ضبط المسك لما فيه، وكنى بالمسك عن البخيل، والتسريح كالتطليق في أنه من : برحت الماشية، كما أن الطلاق من: أطلقت البعير، والمعروف ما لا تنكره العقول الصحيحة، وسمي الجود معروفًا لمعرفة العقول كلها حسنه.

وعلى هذا قال الشاعر:

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحَلُّوْا وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ^(١)

وقيل: الخوف هاهنا: الظنُّ، وقيل: اليقين، واحتج بقول الشاعر:

وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي

أَخَافُ إِذَا مَامَتْ أَلَّا أُدْفِنَهَا^(٢)

١- البيت لأبي تمام ، وقبله :

ولاخير في طول الجسم وعرضها
إذا لم تزن طول الجسم عقول
الشوارد - عبد الله بن خميس . كما أورده ابن أديم في مخطوط كتاب الدر الفريد ، ونسبه إلى الشمخي الفزازي - ج : ٥ - ص ٣٤٧.

٢- البيت لأبي محجن الثقفي وقبله :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه
يروى عظامي بعد موتي عروقها
وهو في معاني القرآن - للفراء - ج : ١ - ص ١٤٦ ، وخزانة الأدب - ج : ٨ ص ٣٩٩ ، وعيون الأخبار - لابن قتيبة - ج : ١ - ص ٨ ، وديع الأبرار ج : ١ - ص ٧١٤ ، ومغنى اللبيب - ص ٤٦ .

وذلك نظر من المفسر إلى مقتضى الخوف، فقد يكون الخوف عن أمانة ضعيفة تقتضي الظن، وعن أمانة قوية تقتضي اليقين، فقلوه: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ ليس ذلك للجنس متناولاً لكل طلاق، بل هو إشارة إلى الطلاق المتقدم ذكره الذي قال فيه:

﴿وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾^(١)، فبين أن ذلك الطلاق الذي فيه المراجعة مرتان، وأصله الطلاق مرتين، نحو الخروج مرتين، ثم رفع كقلوه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ منهم من حمّله على الطلقة الثالثة، وروى عن النبي ﷺ أن بعضهم سمع الآية، فقال: فأين الثالثة؟ فقال- عليه السلام: «التسريح بإحسان»^(٣).

ومنهم من حمل ذلك على ترك الرجعة» والصحيح أنه محمول عليها، لأنه يكون بالرجعة ممسكاً لها، ويتركها حتى تنقضي عدتها، أو بتطليقها الطلقة الثالثة يكون منسرحاً لها، لكن لما كان اللفظ متردداً بين الأمرين بين من بعد حكمها إذا طلقها ثالثة بقوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَكْبَحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٤).

إن قيل: كيف جعل الإمساك هاهنا الرجعة؟ قيل: لأنه ضد الطلاق، وقد كان الطلاق موجباً للفرقة بعد مضي ثلاث حيض، فسمي الرجعة إمساكاً لبقاء النكاح به.

إن قيل: كيف علق التسريح بالإحسان؟ وهل بينه وبين المعروف فرق؟

قيل: الإحسان أعم معنى من المعروف، لأن الشيء قد يكون معروفاً، أي غير منكر، ولا يكون

١ - سورة البقرة الآية (٢٢٨).

٢ - سورة البقرة الآية (١٩٧).

٣ - أورد القرطبي ما روى من أخبار العدول بسنده إلى أبي رزين قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال «يارسول الله أرأيت قول الله تعالى (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فأين الثالثة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) ورواه الثوري وغيره عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مثله تفسير القرطبي ج: ١- ص ١٠٤٠، وأورد السيوطي في نزول هذه الآية قالت: كان الرجل يطلق امرأته ماشاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة أو أكثر حتي قال رجل لامرأته: والله لأطلقك فتبيني مني ولا تؤذيك أبداً. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلمت عدتك أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فسكت حتي نزل القرآن (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان). أسباب النزول - السيوطي، ص ٣٢ - ط، دار المنار - القاهرة.

٤ - سورة البقرة - الآية: (٢٣٠).

مستحسننا، فكل إحسان معروف، وليس كل معروف إحساناً، فبين أن من حق المسرح أن يبذل ما يزيد على الإنصاف تنزهاً، وذلك على حسب ما كانوا يراعون في بذل مصارف المعروف لمن يرتحل عنهم، وكما بين أن له الرجعة في تطليقتين، بين بقوله: (فإن طلقها) أن لا رجعة بعد الثالثة، فإن ما زاد على الثالثة من الطلاق لا حكم له بوجه، فقد كانت العرب تطلق مرة بعد أخرى ما شاعت، وتراجع قبل انقضاء العدة، فأبطل تعالى ذلك، وفي الآية دلالة أن له أن يطلق مرتين في طهر واحد من حيث أنه لم يفصل، ودلالة أن الطلاق في الحيض يقع، ولذلك قال عليه السلام - لابن عمر لما قال: أ رأيت لو طلقها ثلاثاً؟ قال: «إِذْنُ بَأْنْتِ مِنْكَ امْرَأَتِكَ، وَعَصَيْتِ رَبَّكَ»^(١)، وأجمع فقهاء الأمصار أن قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ إذا لم يكن الزوجان مملوكين، واتفقوا أن الرق يوجب نقضان الطلاق، لكن اعتبر أبو حنيفة الطلاق بالنساء، وهو قول علي والشافعي، واعتبر بالرجال، وهو قول عثمان وزيد، وإليه ذهب مالك، وقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾، فلا خلاف أنها إذا سمحت بشئ من مهرها للزوج فسائغ، لقوله: ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾^(٢)، فأما إذا كان على وجه الخلع، فلا يجوز إلا على وجه دون وجه، واختلفوا متى يجوز مخالعتها؟ وكما قدر المال الذي به يجوز؟ وعند من يجوز؟

فذهب بعضهم إلى أنه يكره الخلع مع سلامة الحال، لأن الطلاق مكروه إذا توفرت المرأة على ما يلزم من حكم الزوجية لقوله - عليه السلام: «أَبْغَضُ الْحَالِلِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ»^(٣) هذا مع إمكان المراجعة والخلع الذي ترتفع المراجعة معه أولى بأن يكره، وإن خاف ألا يقيما حدود الله جاز بلا خلاف لظاهر الآية، وإن خافت ولم يخف الزوج، فيجوز إلا عند أهل الظاهر، وعلى ذلك دل شأن امرأة

١- الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، وأخرجه النسائي في كتاب الطلاق حديث رقم (٧٠)، (٧٣)، (٧٦).

٢- سورة النساء - الآية: (٤).

٣- الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج: ١- ص ٢٧٨، ج: ٢- ص ٢٣٣ ورواه ابن ماجه في سننه عن كثير، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية وقال الدار قطني في العلل: المرسل فيه أشبه، وقال الخطابي: إنه المشهور، وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء - ج: ٢- ص ١٠٠٤، وأخرجه أبو داود بلفظه في باب (في كراهية الطلاق) ج: ٢- ص ٦٣٢، وأخرجه ابن ماجه في الحديث رقم ٢٠١٨.

ثابت بن قيس لما كرهت الزوج، فأمرها - عليه السلام - أن ترد إلي حذيفة ما كان قد مهرها، وقال الحسن: لا يجوز حتى تقول المرأة: لا أغتسل عنك، ولا أقربك، ونحو ذلك..

وقال إبراهيم: «لا يجوز حتى تعصيه ولا تبر يمينه وإن خاف هو ولم يخف ولم يرها على فاحشه»، لا يحل له أخذ شيء منها بالمخالعة لقوله - عز وجل:

﴿وَأَنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(١) الآية.

وذلك في الحكم سائغ وإن كان منهياً عنه، وعند مالك يرد إليها مالها، وقال الأوزاعي: «إذا خالع امرأته وهي مريضة، فإن ما تبدله في ثلثها إن كانت ناشزة، وإن لم تكن ناشزة رد عليها، وكان له عليها الرجعة، فأما القدر الذي يخالع عليه» فمنهم من قال: لا يجوز إلا بأقل من المهر المسمى لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾، وذلك يقتضي التبعض، وقال علي والحسن وابن المسيب وطاوس وابن جبير: لا يجوز بأكثر مما أعطاهما لما روي أن رجلاً خاصم امرأته إلى النبي - عليه السلام، فقال: تردي إليه ما أخذت منه؟ قالت: نعم وزيادة، فقال عليه السلام: أما الزيادة فلا...^(٢) ومنهم من أجاز بأكثر من ذلك، وهو الأظهر، وأما عند من يجوز، فإن الحسن وابن سيرين قالا: لا يجوز إلا عند السلطان، وقال فقهاء الأمصار: يجوز، لأن ظاهر الآية لم يعرف، ومن قرأ (تخافا)، فخطاب لهما، لأنهما أعرف بأحوالهما من غيرهما هل يقيمان أو لا يقيمان؟

فإذا قرئ (تخافا)^(٣) على مالم يسم فاعله، فالخطاب للحاكم، والمفتي بأن لا يحل أن يحكم للزوج

١ - سورة النساء الآية: (٢٠).

٢ - الحديث أخرجه الدارقطني في سننه - ج: ٣ - ص ٢٥٤، ص ٢٥٥ وأورده القرطبي في تفسير قوله تعالى: (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) الآية: (٢٢٩) سورة البقرة. وذلك من حديث ابن جريح عن أبي الزبير أن ثابت بن قيس بن شماس كانت عنده زينب بنت عبد الله بن أبي سلول، وكان أصدقها حديقة، فكرهت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تردين عليه حديقته ويطلقك»، فقالت: نعم وأزيد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الزيادة فلا، ولكن حديقته، قالت نعم فأخذها له وخلي سبيلها «تفسير القرطبي - ج: ٣ - ص ١٤٣، كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ١٠ - ص ٢٨٠، ٢٨١، وأخرجه الدارقطني في سننه - ج: ٣ - ص ٢٥٤، ص ٢٥٥.

٣ - قرأ حمزة وأبو جعفر ويعقوب بن الأعمش، وأبو عبيد: (أن يخافا) بضم الياء وذلك كما في اتحاف الفضلاء - ص ١٥٨، اعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس - ج: ١ - ص ٢٦٥ والإملاء - للعكبري - ج: ١ - ص ٥٦، ومعجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ١٧٤، إعداد الدكتور/ عبد العال سالم مكرم والدكتور/ أحمد فتحي عمر - مطبوعات جامعة الكويت.

بالأخذ إلا إذا عرفوا ذلك منهما، والقراءة الأولى أجود، لأن هذا المعنى استفيد من قوله: (فإن خفتم)..

إن قيل: لم رفع الجناح عنهما وذلك يجب أن يرفع عن الزوج الذي يأخذه؟ قيل: لأن من الدفع ما يؤثم الأخذ والدافع كالربا، ومنه ما يؤثم أحدهما، فبين أن الجناح مرفوع عنهما، وليس ما قال الفراء أنه لا جناح على أحدهما، فنسب إليهما، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ﴾^(١) بشئ، وذكر أن كل ما بينه حدود الله، ولا يجوز تعديها، فإن من تعداها ظالم يستحق ما يستحقه..

قوله - عز وجل :

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الآية (٢٣٠) - سورة البقرة .

هذا الحكم متعلق بقوله: (الطلاق مرتان)، وقد فصل بينهما بحكم الخلع وكيفية جوازه، فلما فرغ منه رجع إلى حكم الطلاق، فقال: (فإن طلقها) أي بعد الثنتين فلا تحل له أو لا يجوز أن يتزوج بها حتى تنكح زوجاً غيره، وبين أن ليس للإنسان أكثر من ثلاث تطليقات، والنكاح الذي يحلها للزوج الأول ظاهره يقتضي العقد، وإليه ذهب سعيد بن المسيب وأهل الظاهر، لكن قد ورد عن النبي - عليه السلام - ما اقتضي معه الوطء حيث قال: «لا حتى تنوق عسيلته»^(٢)، وينوق عسيلتك»، وقيل: حكمة الله - عز وجل - في تحريمها عليه إلا بعد أن تتزوج زوجاً آخر الردع إلى التسرع في الطلاق، ولهذا دعا أن يتأنى في تطليقها، فيطلقها للعدة طلقاً بعد طلق، ونبه على ذلك بقوله: ﴿لَا تَذِرِي لَعْلَ اللَّهِ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٣).

١ - سورة الرحمن : الآية (٢٢).

٢ - أخرجه البخاري من حديث عائشة في كتاب الطلاق ج : ٦ - ص ١٨٢ ، كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة - ج : ٦ - ص ٢٩٧ :
٦ - ص ١٩٣ ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه - حديث رقم ١١٣٥ ، وأخرجه الألباني في إرواء الغليل - ج : ٦ - ص ٢٩٧ وأخرجه الشافعي في مسنده - ص ٢٣٥ ، ٢٩٤ .

٣ - سورة الطلاق : الآية (١).

ثم قال: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ يعني الزوج الثاني، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، أي لا جناح أن يتزوج بها على شرط أن يظن أن يقيم حدود الله، وعلق بالظن، لأن ما يكون من الإنسان في المستقبل من الممكنات لا سبيل إلى معرفته إلا بالظن، وليس شرطاً في صحة النكاح، بل في إباحته ورفع المأثم، لأن العقد صحيح، فإن ظنا أن لا يقيما حدود الله، وبين أن تلك الحدود بينها لقوم يعلمون- تنبيهاً أنهم هم الذين يتبينونها، لقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرُ﴾^(١).

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ قَبْلَ أَنْ أُجْلِهِنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَظَمَتِكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

الآية (٢٣١) - سورة البقرة.

هذه الآية ظاهرها إعادة حكم ما تقدم، وأنه يجوز مراجعتها بعد انقضاء العدة، وقد فسرت تفسيرين، أحدهما أن الأولى حكم جواز الرجعة بعد التولية والتطليقتين، وتحريم الرجعة بعد الثالثة، وهذه تقتضي جواز رجعتها ما دامت في العدة لا عن الطلاق الثالث، وفيه زيادة حكم وإن كانت تقتضي بعض ما أفادت الأولى، وهي ما ذكر معها من الأحكام، وقوله ﴿قَبْلَ أَنْ أُجْلِهِنَّ﴾ مشكل، لأن المراجعة ثابتة قبل انقضاء العدة، وظاهر هذا يقتضي أن المراجعة بعد انقضاء العدة، ووجه ذلك أن الأجل هاهنا زمان العدة لاتمام العدة، وأيضاً، فإنه يقال إذا فعلت كذا ويعني إذا خصت لا إذا فرغت منه، نحو: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾^(٢)، فقوله: قبلن أي: حضن في زمان بلوغ الأجل، وأيضاً فقولهم: (بلغ) يقال لما شارف وإن لم ينته، فيقول: إذا طلقتم وشارفن الأجل، فأمسكن، إن قيل: ولم خص المشارفة، وقيل المشارفة هذا حكمه، قيل: لما كانوا يطلقون المرأة فيتركونها حتى تشارف انقضاء

١ - سورة يس - الآية : (١١) .

٢ - سورة الانعام - الآية : (١٥٢).

العدة، ثم يراجعونها إضراراً بها، خص ذلك بالذكر، والثاني من التفسيرين أن الآية فيمن طلق امرأته تطليقة، وتركها حتى تنقضى عدتها، ثم يريد التزوج بها، وذلك أنه ذكر فيما قبل حكم الخلع، وحكم ما تصح مراجعته، وما لا تصح، وما يحتاج أن يتعاطاه المراجع، وذكر في هذه الآية حكم المطلقة تطليقة وقد انقضت عدتها، فقال: إذا طلقتم تطليقة، ﴿فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، أي انقضت عدتها، فأمسكوهن أي تزوجوا بهن على حكم الله أو اتركوهن على حكمه..

إن قيل: كيف يصح أن يعبر عن التزويج بالإمساك؟ قيل: إنما استعمل الإمساك في هذا للتزوج، لأنه كان بعد أن كانت تحتها، وقبل أن يملكها غيره، فقال: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ تنبيهاً على هذا المعنى، أو ﴿سَرَّحُوهُنَّ﴾، أي أفرجوا عنها، ولا تخطبوها، قال: والذي يدل على هذه الآية التي بعدها، فإنها نزلت فيمن خطب امرأة كان قد طلقها تطليقة، فانقضت عدتها، فمنعت إياه، فأوصى تعالى الخاطب في هذه أنه إن أراد أن يمسكها بإعادة نكاحها، فليستعمل المعروف، وإلا فليطها، وجل المفسرين على المعنى الأول، إن قيل: لم علق التسريح هاهنا بمعروف وفي الأول بإحسان؟ قيل: إنه لما أعيد ذكر الرجعة علق التسريح بالمعروف تنبيهاً أنه إن لم تراعوا في تسريحها بالإحسان، فراعوا فيه المعروف، كما قال بعض الناس لسلطان: «إن لم تحسن فعداً»، وقوله: ﴿وَلَا تَخْذُرْآيَاتِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه: لا تهزؤا بها، ولا تحسبوها عبثاً، نحو: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾^(١)، وقيل: معناه: لا تعملوا بخلافها، فتكونوا كالهازئين بها، وقال أبو الدرداء: «كان في أول الإسلام يطلقون ويعتقون، ثم يقولون: كنا نلعب»، والإشارة بالآية إليه، وقال عليه السلام- «ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد، النكاح، والطلاق، والعقاق»^(٢) وحث على معرفة نعمه وما أنعم عليهم بالكتاب والحكمة.. إن قيل: كيف أفرد الكتاب والحكمة عن النعمة وهي أفضل النعم وأجلها؟ قيل: لأمرين، أحدهما: أن النعمة في تعارف الخاصة والعامة هي كثرة في المال، وصحة في البدن وسائر الزين الدنيوية، ولا يعرف الكتاب والحكمة نعمة إلا أولوا الأبواب، والثاني: أفردهما التخصيص والتفصيل كأفراد جبريل وميكائيل عن الملائكة.

١ - سورة الدخان : الآية (٣٨).

٢ - أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج : ٦ ص ٢٨٦ ، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الطلاق - باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق ح رقم ١١٨٤ وأخرجه أبو داود في كتاب الطلاق - باب في الطلاق على الهزل - رقم ٢١٩٤ ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق - باب : من طلق أو نكح أراجع لاعباً حديث رقم : ٢٠٣٩ .

قوله - عز وجل :

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ آزَكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
الآية (٢٣٢)-سورة البقرة.

العضل المنع مع تضيق، يقال: عضلت الدجاجة ببيضها، والمرأة بولدها، وعلى طريق الاستعارة

قال:

تَرَى الْأَرْضَ مِنَّا بِإِفْضَاءٍ مَرِيضَةٍ

مُعْضَلَةٌ مِنَّا بِجَمْعٍ عَرَمَرَمٍ^(١)

ومنه : داء عضال،

والعضلة الدامية، والعضلة لحمٌ مكتنزٌ في عَصَبٍ، وبلوغ الأجل هاهنا لاستيفاء العدة، ولما بين تعالى بالآيات المتقدمة ما يجب على كل واحد من الزوجين لصاحبه في النكاح، وعند المراجعة والفدية والفرار والطلاق عدل إلى بيان ما يلزم الولي، وما يحرم عليه في تزويجها وإنكاحها، وقيل : ﴿فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ﴾ خطاب للاختين، وعضلها أن يراجعها إضراراً بها، والصحيح أنه خطاب للولياء، بدلالة ما روي: أن الآية نزلت في معقل بن يسار وكانت أخته تحب ابن عم له، فطلقها طلاقاً فلما انقضت عدتها خطبها، وهي تريد أن ترجع إليه، فقال معقل: والله لا أزوجه أبداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فدعاه النبي -عليه السلام، فتلاها عليه، فقال: «سمعاً لربي وطاعة»^(٢) والحكم الوارد في سبب

١- البيت لأوس بن حجر ، وهو في ديوانه ص ١٢١ ، وأساس البلاغة ص ٣٠٨ ، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٧١ .

٢- أورده السيوطي في أسباب النزول ، وذكر ما رواه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين فكانت عنده ، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتي انقضت عدتها ، فهويها وموته فخطبها مع الخطاب ، فقال له : بالك أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ، والله لا ترجع إليكم أبداً ، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه ، فأنزل الله : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ) إلي قوله : (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) . فلما سمعها معقل قال : سمعاً لربي وطاعة ، ثم دعاه وقال : أزوجه وأكرمك : أخرجه ابن مردويه من طرق كثيرة ثم أخرج عن السدي قال : نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري ، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فانقضت عدتها ، ثم رجع يريد رجعتها ، فأبى جابر فقال : طلقت ابنة عمنا ، ثم تريد أن تنكحها الثانية ؟ وكانت المرأة تريد زوجها قد راضته ، فنزلت هذه الآية ، والأولي أصح ، وهي الأقوى . أسباب النزول - السيوطي - ص ٣٣ ، ٣٤ . كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري : في كتاب التفسير من حديث معقل بن يسار رواه عنه إبراهيم عن يونس عن الحسن - فنزلت الآية : (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٢ : ص ٥١٥ .

لا يصح أن يكون السبب خارجاً عنه وإن أريد معه غيره، واختلف في هذا العضل، فعند الشافعي لما كان نكاح المرأة بكرة كانت أو ثيباً لا يصح إلا بالولي، صار في منعها عن أكفائها، وعند أبي حنيفة لما كان يصح للثيب أن تتزوج بنفسها، صار في الاعتراض علتها في سبب المهر والكفاءة، قال: والآية تدل أن لها التزوج بنفسها، لأنه قال: ﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ﴾ فنسب النكاح إليهن، وقال أصحاب الشافعي: إنما نسب إليها، لأنه لا يصح إلا برضاها، وكل من لا يتم الفعل من دونه، يصح أن ينسب ذلك الفعل إليه، وأما المعروف المتراضي به في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَائِضًا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فعام في كل ما يرجع إلى العقد، لقدر المهر وما يظهر من الرعية وخلافها، وما يعاون الزوجية مما صححها، وفي كل ما يرجع إلى حقوق الزوجية، فالزم الولي أن لا يعضلها إذا تراضوا بما هو معروف، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُرْعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ فخص المؤمنين بالوعظ، وهو أنه يريد حصول الاعتاظ، وليس ذلك إلا للمؤمنين، وقوله: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ زكاة الإنسان وطهارته في حقيقة كونه بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة عظيم المثوبة، وأن يصلح في الآخرة لمجاورة الملا الأعلى، بل مجاورة الله - عز وجل - : ولهذا قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(١)، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢)، وجعل تعالى الدلالة على أن ذلك أزكى وأطهر أنه قد حكم بذلك وهو عالم بالأشياء كلها وأنتم غير عالمين بها، فإذا علم وحكم فحق عليكم أن تقبلوا منه حكمه، إن قيل: لم قال: ﴿ذَلِكَ يُرْعِظُ بِهِ﴾، ثم قال: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى﴾؟

قيل: في ذلك أجوبة..

أحدها:

أن كاف الخطاب مع (ذا) تارة تفيد الخطاب، فيراعى فيه المخاطبون فيثني، ويجمع، ويؤنث بحسبهم، وتارة يعتبر به الفرق بين القريب والبعيد، فيقال: (ذا) لما يتصور قريباً، و(ذاك) لما يتصور بعيداً، فلا يثنى ولا يجمع، فعلى هذا: (ذلك)، و(ذالكم).

١ - سورة الأعلى : الآية (١٤).

٢ - سورة الشمس : الآية : (٩).

والثاني أن الكاف الأولى خطاب للنبي - عليه السلام، والثانية للكافة، وعلى هذا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(١) وفائدة ذلك أن قوله: (ذلك) إشارة إلى حقائق ما تقدم، ولا يكاد يتصوره إلا هو - عليه السلام -، ومن يدانيه من أولياء الله عز وجل -، وذلك إشارة إلى العمل، والعمل به يتشارك فيه كافة المسلمين، والثالث: أن خطاب الجمع تارة يعتبر بلفظ مفرد، فيفرد خطابهم نحو بهذا القبيل: "فعلتُ كذا"، وتارة يعتبر معنى الجمع، فيقال: فعلتم فعلى هذا، لو قيل في الأول: (ذلكم)، وفي الثاني (ذلك) لصح، أو قيلاً بلفظ واحدٍ لصح.

قوله - عز وجل:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ الرُّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْقِطُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

الآية (٢٣٣) - سورة البقرة .

الرضاع أصل، وعنه استعير "لئيم راضع" لمن تنامي لؤمه وإن كان ذلك في الأصل ممن كان يرضع غنمه، لئلا يسمع صوت شخبة، لكن تعورف في اللؤم، حتى قيل: "رضع فلان أي لؤم"، وسمي الثنيتان الراضعتين، لاستعانة الصبي بهما في الرضع، (وكسوتهن) عن الكسوة استعير: اكتست الأرض بالنبات، وكسوته ثناءً أو هجاءً، وصار الكساء لضربٍ مخصوص من الثبات، والتكليف أصله فيما جعلت به الإنسان كلفاً، وصار في التعارف لما ألزمته وأكلفته بكذا جعلته كلفاً به، والكلف بالوجه لتصوره كلفه به، والميراث أصله فيما أصبته من غيره حياً كان الموروث منه أو ميتاً، لكن صار في التعارف اسماً لما يخلفه الميت من المال، والفصل ضد الوصل كالفضل، واستعماله في قطع الرطب من النبات، ومنه الفضيل، يقال: فصلت بين الكلام والعقد، وفي القضاء، وسمي الفطام فصلاً للفصل

بين غذائي الصبي، وتعرف الفصل في السقب^(١) والتشاور لاستخراج الرأي من الغير، من شُرْتُ العَسَل، (وشورت الفرس) استخرجت جربه وأشرت إليه بكذا، أي أخرجته بالإيماء من بين ما يشاكله، وسمي الإصبع مشيرة، لكونها ذات إشارة، كما سميت مسبحة وسبابه، وسميت السنة حولاً، لانقلابها في فصولها وشهورها، ودوران الشمس في مطالعها ومغاديتها، وذكر جماعة من الفقهاء أن قوله ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ أمر وإن كان لفظه خبراً، لأنه لو كان خبراً لم يقع مخبره بخلافه، وهذه قضية إنما تصح في كل خبر لفظه لا يحتمل التخصيص، فأما إذا كان عاماً يمكن أن يخصص على وجه يخرج من كونه كذباً، فادعاء ذلك فيه ليس بواجب، وهذه الآية مما يمكن ذلك فيه، ثم ذلك لو كان أمراً لكان أمراً للوالدات، وقد علم أن الأم وإن لم تكن مكلفة فهي أحق برضاعها، فإن قيل: فإذا لم يكن أمراً فما وجهه؟

قيل أخبر الله تعالى أن حكم الله في ذلك أن الوالدات أحق بإرضاع أولادهن سواء كانت في حباله الزوج أو لم تكن، فإن الإرضاع من خصائص الولادة، لا من خصائص الزوجية، ولهذا قال عليه السلام: في الأمر إنها أحق بالولد ما لم تتزوج، وإنما ذكر (كاملين) لأنه قد يقال: "فلان فعل كذا سنتين" وإن كان ذلك في سنة وبعض الأخرى، وكذا يقال: شهرين ويومين، فأريد إزالة هذه الشبهة، وقال الفقهاء: لما جعل الرضاع حولين، وقال في موضع: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٢)، نبه على أن الولد قد يولد لستة أشهر، وفيه تنبيه على لطيفة، وهو أن الولد متى كان زمان حمله وفاصله أقل من ثلاثين شهراً أضر ذلك به، فإذا ولد لسبعة أشهر لم يضره أن ينقص رضاعه عن الحولين، وجعل ابن عباس ذلك حكماً شرعياً، وقال: يجب أن يكون الحمل والرضاع هذا القدر، وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ الرُّضَاعَةَ﴾ أي هذا التوقيت ليس بفرض، لكن لمن أراد إتمام الرضاعة، وفيه تنبيه أنه لا يجوز تجاوز ذلك وأن لا حكم للرضاع بعد الحولين، ويقويه ما روي جابر أنه قال عليه السلام:

١ - السقب هو ولد الناقة الذكر ساعة يولد، والسقب، القرب، ويقال منزل مسقب أي قريب، وفي الحديث، «الجار أحق بسقبه»، والجمع

أسقب، وسقوب، وسقاب، وسقبان، المعجم الوسيط - مادة سقب.

٢ - سورة الاحقاف : الآية (١٥).

« لا رضاع بعد الحولين »^(١) وعلى هذا يحمل قوله: « الرضاعة من المجاعة »، ويؤكد أنه كل حكم في الشرع علق بعدد مخصوص يجوز الإخلال به في أحد الطرفين لم يجز الإخلال به في الطرف الآخر، كخيار الثلث، وعدد حجارة الاستنجا، والمسح على الخفين يوماً وليلة أو ثلاثة أيام، فلما كان الرضاع يجوز الإخلال به في أحد الطرفين، وهو النقصان لم تجز مجاوزته، وقوله: (وعلى المولود له...)، أي الأب، وفائدة تخصيصه بهذا الوصف دون لفظ الأب تنبيه أن الابن في الحكم للأب، وأن حظ الأم فيه يقل، وعلى ذلك دل الشاعر:

وانما أمهات الناس أوعى

مستودعات والأحساب آباء^(٢)

وبين تعالى أن رزق المرأة المرضعة، أي طعامها وكسوتها على الأب إذا أرضعته زوجة كانت أو مطلقة، وفيه تنبيه أن سائر نفقة الولد، على الأب لكن أجمعوا أن الولد إذا كان له كفاية، فلأب أن لا ينفق عليه، وقوله: بالمعروف تنبيه، على أن النفقة بقدر اليسار والإعسار، وجعل ذلك مؤولاً إليهم وإلى الحكام، ولم نجد فيه حداً لاختلاف الناس وقدر الأزمنة والأمكنة والسن، وأكد ذلك بقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا﴾ فلم يسم الفاعل، وقال في أخرى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ آتَاهَا﴾^(٣)، قيل: هذا التكليف فيه مدخل للحكام، ولغيرهم فجعل لفظه منهما في موضع، ومعناه لا يجوز تكليفه إلا وسعه، وقوله: ﴿لَا تُضَارُّ﴾ حمل على الجبر، وعلى الأمر، فأما إذا حمل على الجبر فهو تنبيه على ما بني

١ - الحديث أخرجه الزيلعي في نصب الراية - ج : ٣ - ص ٢١٨ ، وعلق عليه بقوله : قلت أخرجه الدار قطني في سننه عن الهيثم بن جميل عن ابن عينية عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا رضاع إلا ما كان في الحولين ورواه مالك في الموطأ عن ثور بن يزيد عن ابن عباس موقوفاً ، وأخرجه الدار قطني موقوفاً علي عمرو قال : « لا رضاع إلا في الحولين في الصغر » . انظر : نصب الراية - ج : ٣ - ص ٢١٨ ، ٢١٩ . الطبعة الأولى - ١٩٣٨ .

٢ - البيت لم أهدت إلي قائله وقيله :

أم من الروم أو سوداء هجاء

لا تزر بين فتى من أن يكوم له

هو في الشوارد لعبد الله بن خميس ج : ١ - ص ٣٧ .

٣ - سورة الطلاق : الآية (٧) .

تعالى عليه الغرائز في محبة الأبوين للولد وميلهما إليه، وإيثارهما له على أنفسهما، وليس ذلك في الإنسان فقط، بل في عامة الحيوانات، وذلك متقرر في النفوس حتى زعم الناس أن الهرة تأكل ولدها محبةً لهم، فأخبر تعالى عما بني الطباع عليه تنبيهاً لكل واحد من الأبوين أن لا يتهم الآخر في ولده إذ قد يبلغ من شغف كل واحد منهما أن لا يأمن الآخر عليه، وقدم نفقة الأم لفرط شفقتها على شفقة الأب، وذلك بالعلات ظاهر، ثم باعتبار حال الحيوان يظهر ذلك ظهوراً بيناً، وذلك أن الحيوانات المتوالدات على ضربين، ضربٌ يجتمع الأبوان على تفقد الولد، وضربٌ تنفرد الأم به دون الأب، فالأم لا تنفك من تفقد الولد في جميع ذلك، فدل ذلك أن الله ركز في نفوس الأمهات من الشفاق أكثر مما ركز في الآباء، وقوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِنْ ذَلِكَ﴾ على هذا التقدير معناه عليهم أن يجروا مجراهم، وذلك أنه لما عرف من غرائز الأقارب التحاسد بخلاف ما بين الأبوين والأولاد، حتى قيل: إن الأقارب كالعقارب، بل أضّر من العقارب، نبه أن حق الأقارب أن يجروا مجراهم في شفقة البعض على البعض، إذ بينهم من النسائك، والنماذج قريب مما بين الوالدين والولد، وأما إذا حمل على الأمر، فنهى أن يفعل كل واحد من الأبوين ما يؤدي إلى مضرة الولد يكايده صاحبه، أو يضرب من النظر الفاسد، فمن المفسرين من حمل ذلك على ما تقدم ذكره، وأن الوالدة منهيّة عن المضارة المتعلقة بالرضاع، والمولود له منهي عن المضارة فيما يلزمه من النفقة والكسوة، ومنهم من جعل ذلك عاماً في كل ما يعود بضررٍ على الولد من تربيته وتأديبه وتهذيبه، وغير ذلك مما يكثر حصره، وقوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِنْ ذَلِكَ﴾ منهم من حمل ذلك على وجوب إزالة المضارة، ومنهم من حمل عليه وعلى وجوب النفقة، واللفظ محتمل لها.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ أي فطاماً قبل الحولين، وقيل: عني بالفصال المفاصلة عن الوالدة أو الوالد إذا تراضيا بذلك وسلمه أحدهما إلى صاحبه، وعلق ذلك بالتراضي منهما والتشاور لئلا يقدم أحدهما عن غيره إلى ما يضر بالولد، ونبه بذلك أن كل أمرٍ مبهم العاقبة، فالوجه فيه الإقدام عليه بعد إجماع الآراء والاستشارة، وقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، أي إذا امتنعت الأم أو

تزوجت، فلا جناح عليكم في استرضاع غيرها، (إذا سلمتم ما آتيتن بالمعروف)، أي سلمتم إلى المطلقة حقها، وقيل: إذا أتيتم المسترضعة أجزتها، وإذا قرئ (ما أتيتم) بالقصر^(١)، فمعناه: إذا سلمتم ما تعاقدتم عليه، وفيه دلالة على جواز الاستئجار على الرضاع، وعلى جواز عقد الإجارة جملة، وختم الآية بالحث على تقواه، وتصور علم الله عز وجل - بكل ما آتاه الإنسان وتحراه، ومن قرأ (لا تضار) بضم الراء^(٢)، فلفظ مشتبه الآية يصلح الأمر على تقدير: (لا يضار) ولكن أدغم، فضم الراء لالتقاء الساكنين، ويصلح أن يكون على تقدير (لا يضار) على الإخبار، وأن يكون على تقديره "لا يضار" على ما لم يسم فاعله، وإذا قرئ بفتح الراء، فليس إلا النهي على تقدير (لا يضار) وإن كان لفظه محتملاً أن يكون نهياً عن مضارة الأم، كقولك: "لا يضر زيد".

قوله - عز وجل :

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

الاية (٢٣٤) - سورة البقرة .

هذه الآية ناسخة^(٣) لقوله تعالى: ﴿وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ مِّمَّا تَرَكَْنَ إِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾^(٤) وإن كانت

١ - قرأ (ما أتيتم) بالقصر كل من ابن كثير، ومجاهد، وقرأ الباقر بن محمد القصر. انظر: معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ١٨٠.
٢ - قرأ: (لا تضار) بالرفع ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، وقرأ أبو جعفر بسكونها مخففة والباقر بفتح الراء. انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للدمياطي - تحقيق: الضباع - طبع مصر، وانظر الحجة الفارسي - ج: ٢ - ص ٣٣٢، وأوردها الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٠٤.

٣ - يرى الدكتور مصطفى زيد أن هذه الآية من بين الآيات التي اشتهرت بأنها منسوخة وهي ليست كذلك، لأن الآية الأولى، تتحدث عن واجب الزوجة التي توفي عنها زوجها وأما الثانية تتحدث عن حق هذه الزوجة، كما أن أسلوبها يؤكد أن ما تشترعه حق لهن وليس واجباً عليهن، وذلك أنها تقرره على أنه وصية لهن، وعلى أنه متاع لهن إلى الحول، ثم تمنع إخراجهن، إذ تقول (غير إخراج)، ثم تزيد هذا المنع تأكيداً، إذ تقول: (فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف). وكما أن من البديهي أن الحق لا يعارض الواجب - فإن من البديهي أن لا تعارض أية تقرر الحق مع أية تقرر الواجب، وحيث انتفى التعارض بين ما تقرره الآيتان فلا مجال لإدعاء أن إحداهما منسوخة بالأخرى، النسخ في القرآن الكريم - الدكتور مصطفى زيد - ج: ٢ - ص ٧٧٨ إلى ص ٧٨١.

٤ - سورة البقرة - الآية: (٢٤٠).

مقدمة عليه في التلاوة،^(١) وظاهر الآية يقتضي تسوية الحكم في الحرة والأمة، كما قال الأصم، لكن السلف فرقوا بينهما ويقتضي أن لا فرق بين المسلمة والذمية كما قال الشافعي دون أبي حنيفة، وهذا الحكم فيمن لا تكون ذات حمل متفق عليه، فأما في ذات الحمل، فقد قال عمر وابنه عبد الله وزيد: إن عدتها أن تضع حملها، وقال الحسن: هي أن تضع حملها، وتطهر من نفاسها، وقال علي: عدتها أقصى الأجلين من وضع الحمل، ومضى الشهر. وقد روت أم سلمة أن سبيعة بنت الحارث ولدت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة، فأمرها رسول الله ﷺ بأن تتزوج^(٢)، واختلف في الوقت الذي يعتد به من العدة، فقال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر: "تعتد به من يوم يموت"، وعلي والحسن: "من يوم يأتيها الخبر"، وقال الشعبي: إذا قامت البينة على موته، فالعدة من يوم يموت، وإلا فمن يوم يأتيها الخبر، والصحيح أنه يعتبر من يوم الوفاة فيه وقع الفرقة، كعدة المطلقة، وكاستحقاقها الميراث من يوم الوفاة، إن قيل: ما وجه تخصيص عدة المتوفاة بهذه المدة؟ قيل: قد ذكر الأطباء أن الولد في الأكثر إذا كان ذكراً يتحرك بعد ثلاثة أشهر، وإذا كان أنثى، فبعد أربعة أشهر، فجعل ذلك عدتها، وزيد عشرة استظهاراً، وتخصيص العشرة بالزيادة لكونها أكمل الأعداد وأشرفها لما تقدم في قوله تعالى:

١ - أورد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري حديث أمية بن بسطام، عن يزيد بن زريع عن حبيب، عن ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) قال: قد نسختها الآية الأخرى فلم نكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي، لا أغير شيئاً منه من مكانه.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج: ١٢ - ص ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٩.

٢- أورد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده فقال: أقتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس: آخر الأجلين، قلت أنا (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي يعني أبا سلمة. فأرسل ابن عباس غلاماً كريماً إلي أم سلمة يسألها، فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم، وكان أبو السنابل فيمن خطبها، كما أورده ابن حجر في كتاب الطلاق من حديث زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم: أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها توفي عنها وهي حبلى، فخطبها أبو السنابل بن بعكك، فأبى أن تنكح، فقال، والله ما يصلح أن تنكح، حتى تعتدي آخر الأجلين فمكثت قريباً من عشر ليال، ثم جاءت النبي - صلى الله عليه وسلم فقال انكحي كما أورد ابن حجر العسقلاني مارواه البخاري من حديث يحيى بن بكير عن الليث عن يزيد: أن ابن شهاب كتب إليه أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن أبيه: أنه كتب إلى ابن الأرقم أن يسأل سبيعة الأسلمية كيف أفتاها النبي - صلى الله عليه وسلم، فقالت: أفتاني إذا وضعت أن أنكح، كما أورده البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليال، فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم، فأستأذنته أن تنكح فاذن لها فنكحت.

انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج: ١٤ ص ٥١، ٥٢، ٥٣، ج: ١٥ - ص ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠.

(تلك عشرة كاملة)، وقوله: (والذين) هو مبتدأ، وفي خبره إشكال، فإن قوله: (يتربصن) إخبار عن الأزواج لا عن الذين، وليس فيه ضمير يرجع إلى المبتدأ، وقد ذكر في ذلك أربعة أجوبة..

الأول: تقديره: يتربصن بعدهم، وذلك عن المبرد، والثاني: أن الضمير في: (يذرون أزواجاً) أي أزواجهم، ويتربصن عاد إلى الأزواج، والضمير إذا عاد إلى المضاف إليه كان في حكم ماعاد إلى المضاف، وذلك مثل قولهم:

(من مات وحلف يتبين الثلثين)، وذلك عن الزجاج، وعلى هذا يجب أن يجوز: (صاحب الدار انهدمت)، والثالث: عدل عن الإخبار عن الأزواج، لأن المعنى عليه، والفائدة فيه، والقصد إليه، وذلك عن الكسائي والفراء وأنشد في ذلك :

لعلي إن ماتت بي الريح ميلة على ابن أبي ذبان أن يتندما^(١)

فسكت عن ذكر خبر لعل، والرابع: تقديره: (ويذرون أزواجاً يتربصن) فيكون أزواجهم مبتدأ، ثانياً: (ويتربصن) خبره، لكن حذف المبتدأ الثاني إيجازاً لما لم يشته المعنى، وإنما قال عشرأ ولم يقل عشرة لتغليب التأنيث التذكير في باب التاريخ، وقال بعض النحويين: إن باب التأنيث غلب في باب العدد على عكس ما عليه حكم الباب، وعلى ذلك

«فطافت ثلاثاً بين يوم وليلة»^(٢)

١- البيت لثابت بن قطن العتكي ، وأبو ذبان كنية عبد الملك بن مروان وكني بذلك لبخر كان به من أثر فساد كان في فمه ، ويعني الشاعر بآبته هشام بن عبد الملك والبيت في لسان العرب مادة « ذب » ، ومعاني القرآن للفراء - ج : ١ - ص ١٥٠ ، والبحر المحيط - ج : ٢ - ص ٢٢٢ والدر المصون في تفسير الكتاب المكنون - ج : ٢ ص ٤٧٦ ، وتفسير الطبري - ج : ٥ ص ٧٧ .

٢ - بحثت عنه فلم أجده .

قوله - عز وجل :

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتُمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

الآية (٢٣٥) - سورة البقرة .

الخطبة والخطبة كلاهما من المخاطبة، إلا أن بالضم خص لموعظة، وبالكسر لطلب المرأة، وإن كان في الأصل اسماً للحالة التي عليها الخاطب، والخطب: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب، والكن جعل الشئ في الكن، والأكنان مثله، ولكن خص الأكنان بما تكنه الصدور، والكن ما يكنه البيت والثوب ونحوهما، وسميت المتزوجة كالمحصنة كنة، والكنانة جعبة غير مشقوقة تكن سهامها، والسر مما لم تشيعه مما في نفسك، واعتبر تارة مما يستتلف من إظهاره، فسمي غشيان المرأة به، والاعتبار بذلك.

قال الشاعر:

والستردون الفاحشات ولا تلقاك نون الخير من ستر^(١)

وتارة اعتبر بصيانتته، فسبى المصون سرّاً حتى قيل:

فلان في سر قومه، والعقد يقال في الحبل وفي العهد واليمين والسميط والرمل المتداخل، و"ناقّة عاقد" عقدت على رحمها بمنع الفحل عن نفسها، والتعريض كالكناية، إلا أن التعريض أن تذكر ما يستفهم المقصود من عرضه، وليس بموضوع للمفهوم عنه لا أصلاً ولا نقلاً، والكناية: العدول عن لفظ إلى لفظ هو بخلف الأول ويقوم مقامه، ولهذا سمي الأسماء المضمرة في النحو الكنايات، والخوالف، والتعريض المفسح فيه هاهنا كل لفظ وإشارة تدل على النكاح لا بصريحه نحو أن يقول: أريد الزواج،

١ - قائل هذا البيت هو زهير بن أبي سلمى، وذلك كما في الدر الفريد وبيت القصيد ج : ٥ - ص ٢٤٢.

وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، و"إِنَّكَ لَنَافِقَةٌ"، ونحو ذلك، وقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تُرَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾

قال ابن عباس: وابن جبير والشعبي ومجاهد: هو تصريح الوعد بالنكاح، وقال الحسن وجابر، الزني، وقال زيد بن مسلم لا تنكحوها في عدتها، واللفظ محتمل، ولكن الأظهر ما قال ابن عباس، لأن ذلك لم يستفد إلا بهذه الآية، فأما خطر الزنى ففي كل حال، والمنع عن التزويج بالمعتدة معقول من غير هذه الآية، ويصح حملها على كل ذلك، فقد نهينا عن جميعه، وقوله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي لما علم رغبتكم فيهن وخوفكم أن يسبقكم إليهن غيركم، أباح لكم التواصل إلى مرادكم بالتعريض وليس النهي عن العزم نهياً عن حكم الضمير، فقد أباح لنا التعريض فضلاً عنه، وإنما عني بت القول، وقوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ أي تنتقضي العدة، والكتاب عبارة عن المدة المفروضة أو أريد حكم الكتاب، وقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ دل على معنيين، أحدهما: ما في قوله: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(١)، والثاني: ما في قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٢)، تنبيهاً أنه علم شرور أنفسكم، ثم حذرنا منه كقوله: ﴿وَيَحذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٣)، ثم رجانا غفرانه، وسكن منا بما أنبأنا من حلمه بقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، واللفظان: أعني ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ حيث على ما وصف به أوليائه في قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٤)

١ - سورة طه : الآية (٧).

٢ - سورة يوسف : الآية (٥٣).

٣ - سورة آل عمران : الآيتان (٢٨، ٣٠).

٤ - سورة الإسراء: الآية (٥٧).

قوله - عز وجل :

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَرِّعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَعَاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ الآية (٢٣٦) - سورة البقرة .

المقتر: الفقير، وأصله من ينال القتر، كما أن المترب والمرمل أصلهما من نال التراب والرمال، والقطار ما يحمله الريح من رائحة القدر على العثان^(١) والغبار، فدخل قاتر خفيف، كأنه قتر في الخفة، وذلك لقولهم: هو في الخفة هباء، والقتره ناموس الصائد اعتباراً بأنه حافظ لقطار الإنسان أي ريحه، وذلك أن الصائد يجتهد أن يخفي عن الوحش ريحه فصلاً عن شخصه لئلا يند عنه، وأبي قرة لحيته صغيرة الجرم خبيثة الأثر، وتسميتها بذلك على حسب اعتقادهم أن الحية كلما ازدادت سناً وخبثاً صغرت جرمها وجسماً ولهذا قال الشاعر:

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ^(٢)

وقال : نُوبِيَّةٌ تَصْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ^(٣)

فاتى بلفظ التصغير لما أراد تعظيم الوصف، وكثرة الماس والمماسة في الكناية عن الجماع حتى صار كالصریح، والمتعة اسم لكل ما فيه تمتع أو انتفاع قدراً من الزمان، وعلى ذلك قوله: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾^(٤) ، وقول الشاعر:

إِنَّمَا نِعْمَةُ الْمَرْءِ مُتَعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ نَوْبٌ مُسْتَعَارٌ^(٥)

١ - العثان: هو الدخان وأكثر ما يستعمل فيما يتبخر به، ويطلق على الغبار أيضاً المعجم الوسيط - مادة- عثن.

٢ - هذا شطر بيت للنابغة الذبياني وقامه :-

داهية قد صغرت من الكبر
كانما قد ذهبت بها الفكر
وهو من قصيدة مطلعها : صل صفا لاتتطوى من القصر
طويلة الإطراق من غير خفر
والصل : الحية الدقيقة الصفراء ، والصفا جمع صفاة وهي الصخرة أو الحجر الأصم ، من غير خفر -أي من غير حياء أو خجل.
والبيت في ديوان النابغة - ص ٧٥ .

٣ - هذا عجز بيت للبيد ، وشطره : وكل أناس سوف تدخل بينهم نوبية تصفر منها الأنامل وهو في ديوانه - ص ١٣٢ ،
والأنصاف في مسائل الخلاف - ص ١٣٩ ، وأما ابن الشجري - ج : ١ ص ٢٥ ، وشواهد الكشف - ص ٤٨٢ ، والمفصل لابن يعيش - ج : ٥ ص ١٤ ، والنوبية : هي الموت ، والبيت للبيد بن ربيعة من قصيدته المشهورة التي مدح بها النعمان وهي أكثر من خمسين بيتاً أولها :
الا لاتسألن المرء ماذا يحاول
أنحب فيقضى أم خلال ويأطل

شرح شواهد الكشف - تأليف: محب الدين - إخراج: عبد الله بن خميس - ص ٣٦١ .

٤ - سورة يونس : الآية (٩٨) .

٥ - البيت للأقوه الأودي والبيت بعده :

وصروف الدهر في أطباقه
خلعة فيها ارتفاع وانحدار

انظر الشوارد - لعبد الله بن خميس - ج : ١ - ص ٢٠٢ .

لكن صارت المتعة في تعارف الشرع، لما تخصص به المطلقة باختلاف الناس في المتعة، أو اجبة هي أم غير واجبة، فإن وجبت، فلأي مطلقة تجب؟ وكم قدرها؟ وبأي الزوجين تعتبر؟ وأما وجوبها فعند ابن أبي ليلى ليست بواجبة على مطلق، بل إن شاء فعل، وإن شاء ترك، وقال علي: واجبة لكل مطلقة، وقال مالك وليث: لا يجيز عليها علي كل حال، وعند الشافعي المطلقات على ثلاثة أضرب، مطلقة قبل الفرض والمسييس، ولها المتعة قولاً واحداً، ومطلقة بعد الفرض والمسييس مفوضة كاتباً، ومسمى لها، وفي وجوب المتعة لها قولان، وأما قدرها، فالصحيح أن لاحتد له، وإن كان قد قال بعضهم للموسر خادم، وللمعسر خمار وجلباب ونحوهما من الثياب، وقال الشافعي: واستحسن بقدر ثلاثين درهماً، وأما اعتبار ذلك بأيهما، فقد قال أبو حنيفة بهما، والأظهر أنها تعتبر بالزوج لتخصيصه في الآية، وقوله (أو تفرضوا) تقديره أو لم تفرضوا، فهو معطوف على قوله: تماسوهن، وأوفى نحو هذا الموضع يفيد ما يفيد الواو على وجه، وذلك أنه إذا قيل: "افعل كذا إن جاءك زيد أو عمرو" يقتضي أن يفعله إن جاء أحدهما، ولا شك أنه يحتاج أن يفعله إذا جاء جميعاً، لأنه قد جاء أحدهما وزيادة، وعلى هذا قال النحويون: "جالس الحسين وابن سيرين" يقتضي أنه إذا جالسهما، فقد امتثل، وعلى هذا قوله - عز وجل: ﴿وَلَا تُطْعَمُهُمْ أَلْمًا أَوْ كُفْرًا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٢)، فظاهر الآية يقتضي أنه لم يكن مسيس أو لم يكن لها فرض أو لم يكن الأمران، فلها المتعة كالأمثلة المتقدمة، لكن لما حكم لمن فرض لها ولم يمس في الآية التي بعدها صار ذلك كالمستثنى عنه، فكأنه قيل: إذا طلقتموهن ولم يحصل الأمران الفرض والمسييس أو حصل المسييس، ولم يحصل الفرض، فمتعهن إن قيل: ما في قوله ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ يقتضي الشرط، وذلك يوجب أن رفع الجناح عن المطلق بشرط عدم المساسة، وعدم الفرض، ومعلوم أن الجناح مرفوع عن المطلق، مسها، أو لم يمسها، فرض أو لم يفرض، فما وجه ذلك؟ قيل: القصد بالآية أن الجناح مرفوع بإعطاء المتعة، فكأنه قيل: لا جناح في طلاقها إذا متعها، ودل على ذلك بقوله: ﴿وَمَقْعُهُنَّ﴾، وقد علم أن الجناح غير مرفوع ممن لم تمتع إذا طلقها قبل الفرض والمسييس، وقوله: ﴿عَلَى الْمَرْسِعِ قُدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْبِرِ قُدْرَهُ﴾ أي قدر ما يحتمل حالهما..

إن قيل: ما وجه تخصيص المحسنين في هذه الآية، والمقتر في قوله: ﴿وَلِلْمُطْلَقَاتِ مَنَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وهلا دل ذلك على أنه غير واجب إذ كان الواجبات من المشروعات لا يختلف فيها المتقي والمحسن وغيرهما، قيل: قد نظر بعض الناس هذا النظر، وقال: لما كان الإحسان قد يكون لما يزيد على الواجب، وقد خص بذلك المحسنين دل على أن ذلك حث على المعروف لا إيجاب، وقال أكثرهم: إن ذلك للمحسنين والمتقين لا لتخصيص الإيجاب، بل للتأكيد، وأنه من تمام الإحسان والتقوى، كما أن قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) ليس بتخصيص أنه لا يهدي به إلا المتقين، لكن يبينه على أن الاهتداء به من تمام التقوى.

١ - سورة الإنسان : الآية (٢٤).

٢ - سورة المائدة : الآية (٦).

٣ - سورة البقرة : الآية (٢٤١).

٤ - سورة البقرة : الآية (٢).

قوله - عز وجل :

﴿وَأَنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُورَ أَوْ يَعْفُورَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

الآية : (٢٣٧) - سورة البقرة .

النصف كل واحد من الجزئين المتساويين من مقدار واحد، وتصور منه القسمة المستوية، فسمي العدالة نصفاً والنصف بين المسنة، والصغيرة كأنها هي التي استوفت نصف العمر والناصف الخادم المبالغ في الخدمة كأنه ينصف صاحبه أي في الخدمة بقدر ما يستوفى عنه من المنفعة، والنصيف للخمارة بين الصغيرة والكبيرة، والمنصف ما أعيد إلى النصف بالصبيح، والنصيف ضرب من الكيال، لكونه عادماً، أو كونه بين بين.. (والذي بيده عقدة النكاح)، قيل: هو الولي الذي كان ما كان للعقد في الأصل وقيل الزوج الذي هو مالك للعقد في الحال، وهو أولى، لأن الولي يملك العقد، والزوج هو الذي يملك العقد لأن العقدة اسم للمفعول كضحكه وهزأه، وعفو المرأة أن تترك المهر أو تسامح، وعفو الزوج أن يوفيهما كله أو فضلاً عما تستحقه من النصف فإن قيل جعل الذي بيده عقدة النكاح للولي، فكيف يصح منه العفو عما تستحقه المرأة، قيل: قد قال الشافعي: إن ذلك مخصوص في الصغيرة إذا كان وليها أباً أو جدها..

إن قيل: العفو في الترك لا في الإعطاء، والزوج هو المعطي، فكيف يصح منه العفو؟

قيل: إن ذلك في العفو عن الشيء لا في العقوبة، وقد يقال: عفى فلان بكذا إذا بذل، والصداق المفروض تستحق المرأة أخذه بالعقد، فإن أخذه، وإلا ففي حكم المأخوذ، فإذا عفى به كمالاً، فكأنه قد عفى عنه، ودل قوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أن المرأة متى فرض لها بمثل العقد، ثم طلقت قبل الدخول، فلها نصف المفروض بخلاف ما قال أبو حنيفة أن المفروض يسقط وتجب المتعة، وقوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ وإن كان بالقصد الأول حثاً للزوجين على التسامح خطاب عام لهما ولكافة الناس وحث

لهما على استعمال العفو وترك التشدد، وإن بعض ما وجب لك أقرب إلى الهوى، ثم قال: ﴿وَلَا تَسْرُوا﴾
الْفَضْلَ ﴿أَعْمَ مِنَ الْعَفْوِ، لأنه يتناول ترك ما وجب لك، وإعطاء ما لا يلزمك، ولهذا قيل: "الفضل فوق
العدل"، وقيل: "الكرم في الفضل لا في العدل"، ولما حث فيما تقدم على استعمال العدالة، نبه بقوله:
﴿وَلَا تَسْرُوا الْفَضْلَ﴾ أي: لا تتركوا الفضل مقتصرين على تحري العدالة.

قوله - عز وجل :

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ الآية : (٢٣٨)-سورة البقرة.

الحفظ والتعقد والتعهد والرعاية والحماية والصيانة متقاربة، لكن الحفظ أعلم ذلك، والتفقد
حفظه، أي تفقد وكأنه مطلب في كل حال، هل فقد إشفاقاً عليه، والتعهد تجديد العهد به حالاً فحالاً،
والرعاية حفظ ما به قوامه، كرعي الغنم للحماية حفظه عما يريد به بسوئه...، والصيانة: صيانة بما
تقيه، والوسط معروف يقال بوسط فلان القوم سبطهم، وقد تصور الوسط على وجهين، محمود
ومذموم، فاستعمل فيهما، أما الم محمود فالمصون من الإفراط والتفريط، كالعدل، ولهذا قيل للعدل
الوسط والسواء والنصف، وأما المذموم، فيتصور شئ له طريقان: محمود، ومذموم، فالسالك من
الطرف الم محمود إلى الطرف المذموم إذا انتهى إلى النصف، فقد فارق المذموم، فكفى به عن الذم، وأما
أصل "القنوت" القيام على سبيل الخضوع، ولما كان الخضوع قد يكون بالدعاء والتضرع، وبالإمساك
عن الكلام، وبخفض الصوت، وغض البصر، وبذل المال فنبه بكل واحد من ذلك، وسمي الدعاء بعد
الركوع قنوتاً، والصلاة الوسطى الظهر عن زيد بن ثابت، وابن عمر كأنها اعتبرت بالنهار، وكونها في
وسطه، والمغرب عن قبيصة بن دويت، لكونها وسطاً بين الركعتين والأربع اللتين بنى عليهما عدد
الركعات، والصباح عن جابر، لكونها بين صلاة الليل والنهار، قيل: ولهذا قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ
الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾^(١) أي صلاته، فخصها بالذكر، لكثرة الكسل عنها، إذ قد تحتاج
إلى القيام إليها من لذيذ النوم، ولهذا زيد في أذانه: (الصلاة خير من النوم) ، وقيل: هو العصر فيما

يروى عن النبي ﷺ وعلي وابن عباس، وهو الأصح، لما روي أن ابن حبيش قال: قلت ليسرة: سلي علياً عن الصلاة الوسطى، فقال: كنا نرى أنها صلاة الفجر، حتى سمعت رسول الله ﷺ يوم الخندق يقول: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملا الله قلوبهم أو قبورهم ناراً»^(١)، وروي البراء أنه كان يقرأ: «حافظوا على الصلوات وصلاة العصر»^(٢)، ثم نسخ بقوله: الوسطى، وفائدة تخصيصها بالذكر، لأن وقتها في أثناء الأشغال العامة الناس بخلاف سائر الصلوات التي يكون فراغ ما إما قبلها، أو بعدها، ولذلك توعد النبي ﷺ بتركها، فقال: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر ماله وأهله»^(٣)، واستدل بهذه الآية بعض الشافعية أن الوتر ليس بواجب، لأنه لو كان واجباً لكان أعداد الواجبات ستة، فلم يكن لها وسطى، وقال بعض المتأخرين: الصلاة الوسطى إشارة إلى النوافل المشروعة بين المكتوبات إما قبلها، وإما بعدها وإما قبلها وبعدها، وقال بعضهم:

عنى بالصلوات أنواعها كلها، فرائضها ونوافلها المؤقتة، والمشروعات عند أسبابها كالخسوفين، والاستسقاء، والنذر، فأمر تعالى بالمحافظة على جميعها، ثم قال: ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ أن الفرائض، ومعنى الوسطى: الشريفة، فخصها بالذكر مع دخولها في العموم، ثم أعقبه بقوله: ﴿وَقَرُّمُرَّالِلَّهِ قَائِمِينَ﴾ وبقوله: (فإن خفتهم) - تنبيهاً أن فعلها واجب بحسب الإمكان في جميع الأحوال، والمحافظة عليها مراعاة وقتها وتوفية شرائطها في أدائها كما ذكر في إقامتها في قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(٤).

١- الحديث رواه مسلم في صحيحه في المساجد رقم ٦٢٧، وهو في فتح الباري في كتاب التفسير - ج : ٨ ص ١٩٥.
٢- روي الإمام مسلم عن البراء بن عازب قال : نزل : (حافظوا علي الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها ماشاء الله ، ثم نسخت فنزلت : (حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطى) فقال رجل : فهي إذن صلاة العصر ، فقال : أخبرتك كيف نزلت .. وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري - كتاب التفسير - ج : ١٢ - باب : (حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطى) - ص ٥٢١ .
٣- الحديث أخرجه الشيخان عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الذي تفرغته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله » انظر : فتح الباري في المواقيت - ج : ٢ - ص ٢٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في المساجد برقم ٦٢٦ ، وأورده مالك في الموطأ - ج ١ - ص ١١ وغيرهم - وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٧٠ .
٤- سورة : البقرة - الآية : (٣) .

إن قيل: ما وجه فائدة ذكر المحافظة على الصلاة فيما بين حكمي الطلاق والعدة؟

وهلا أفرد عن ذلك؟ فإن إفراد كل باب من الحكم أحسن في الترتيب من خلط بعضه ببعض،

قيل: أما أولانا: فأيات القرآن منزلة حسب الحاجات، ولهذا قال الكفار:

﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^(١) أعلمهم أنه فعل ذلك ليقوى عليه الصلاة والسلام- على

تلقينه وتلقنه فقال: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٢)، ثم إن الله تعالى لا

يخلي شيئاً يذكره مما تعلق بالأحكام الدنيوية إلا ويقرنه بحكم أخروي لينبههم إلى مراعاة الآخرة في

جميع أحوالهم وأعمالهم، وأنها هي المقصودة بالقصد الأول وسائر ما يتحرى، فلأجلها، على أن ما

يرونه موجود ها هنا ومحفوظ، وأبلغ وأحسن مما راعاه أصحاب القوانين، لأنه لما حثهم على العفو،

ورغبهم في المحافظة على الفضل، عرفهم أن السلوك إلى التخصيص بذلك هو المحافظة على

الصلوات في كل حال، فإن الصلاة هي الأمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر، كما قال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٣)، ثم صرف الكلام إلى ذكر ما كان بصدده، فتممه، وهذا النحو من

جنس ما يسمى بـ التفات المعداد في بديع الكلام..

قوله تعالى:

﴿فَإِنْ حَقَّكُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِيتُمْ فَأُذَكِّرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

«الآية (٢٣٩) - سورة البقرة»..

الركوب: كون الشيء فوق آخر، يقال لكل مركوب ركوب، وخص الراكب في تعارف العرف

يمتطي البعير، وسمى المطية ركاباً، وما يجعل الراكب رجله فيه ركاب، وأركب المهر، بحيث يركب،

وتعورف المركب، والمركب فيمن ركب فرس غيره، وفيمن يعجز عن الركوب من قوله: ثم الطيور المركبا.

والركبة: بهذا الاعتبار سميت، وقيل: "فرس أركب، أي" عظيم الركبة، وركبته: أصبت ركبته،

١ - سورة الفرقان : الآية (٣٢).

٢ - سورة الإسراء: الآية (١٠٦).

٣ - سورة العنكبوت : الآية (٤٥).

نحو: فأدته^(١) ورأسته، وقال: إذا أصبته بركبتك، نحو: بدنته وعنقه، أصبته بهما، والمركب كناية عن فرج المرأة، وهو العانة من المرأة، كما كني عن المرأة بمظنة، وقعيدة، لكونها مقتعدة، ورجال: جمع راجل، نحو صحاب وقيام، ويقال: نساء رجال، كما يقال: رجال رجال، أمر تعالى بفعل الصلاة على الوجه الممكن، وعلى هذا دل قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٢) وعلى هذا قد حمل قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾^(٣)، وجعل بعضهم الذكر هاهنا مخصصاً بالصلاة، وجعله بعضهم عاماً فيه وفي غيره من الأذكار، وحث على ذكره والصلاة كيفما يقتضيه ما علم من الأحكام وسائر العلوم..

قوله - عز وجل :

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مِنكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «الآية: (٢٤٠) سورة البقرة»..

عامة المفسرين على أن قوله تعالى:

﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ أمرٌ من الله عز وجل- بأن يوصي الرجال للزوجات أن تعمر بعد وفاتهم حولاً، وقالوا: اقتضت الآية ثلاثة أحكام: عدة سنة، ونفقتها، وسكناها في تركة زوجها مادامت معتدة، وكونها ممنوعةً من الخروج، فنسخ منها ما زاد على أربعة أشهر وعشر بالآية المتقدمة، ونسخ وجوب الوصية لها ما به الميراث، ولم يثبت نسخ للخروج، فصار ذلك ثابتاً في العدة الثانية، وقال بعض المتأخرين:

١ - فاده فاداً: أي أصاب فؤاده، ويقال: فاده الداء، فاده الخوف، فاد الخبز أو اللحم أي أنضجه في الرماد الحار والفؤاد هو القلب المعجم الوسيط: مادة فاد ورأسته . من رأس فلان رياسة ورياسة ورأسه أي شرف قدره وزاحم على الرياسة وأرادها . المعجم الوسيط مادة . رأس.

٢ - سورة النساء : الآية (١٠١).

٣ - سورة النساء : الآية (١٠٢).

ليست هذه الآية منسوخة ولا تأويلها على ما تصوره، وإنما قوله: (وصية) مصدر في مواضع الحال، أو خبر ابتداء مضمرة في موضع الحال في قول من رفع، والآية إخبار عن الجاهلية فيما كانوا يفعلونه، وإبطال لحكمهم في تقديرها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ موصين لها بمتاع، أي يعطيه على أن لا يخرجن إلى الحول، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾، أي لا إثم في إبطال ذلك على ما أمر الله به، وبينه، ودعاكم إليه، فهذا تأكيد للآية المتقدمة، وتنبيه أن ما كانوا يفعلونه لا يلزمكم، بل الذي يلزمكم ما بين في الآية المتقدمة، فقوله:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ مبتدأ، وما بعده إلى قوله: ﴿غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ في صلتها، وفي قوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ في موضع الخبر، ودخول الفاء فيه لكون المبتدأ موصولاً، نحو: "الذي يأتيني فله درهم"، وهذا الوجه صحيح من وجه، حيث اللفظ وعلى ما عليه الحكم، لكن عامة السلف في تفسيرها على ما تقدم، ويوضح ذلك أن امرأة أتت النبي ﷺ، فذكرت أن بنتاً لها توفي عنها زوجها اشتكت عينها وهي تريد أن تكحلها، فقال رسول الله ﷺ: «الله: فقد كانت إحداكن تلبث سنة، ثم ترمى ببصرة عند رأس الحول، فهلا أربعة أشهر وعشراً؟»^(١).

وذكر رواية بنت أبي سلمة أن المرأة كانت إذا توفي عنها زوجها دخلت خيشماً، ولبست شرشابها، ولا تمس طيباً حتى تمر سنة، ثم تؤتى بدابة، حمار أو شاة أو طير، فتقتصص له، فعل ما يقتض شيئاً لإلمات، ثم تخرج فتعطى بعة فترمى بها، ثم تراجع ما شاعت من طيب أو غيره... إن قيل: لم قال في هذه الآية، وفيما قبلها: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾؟ فرفع الجناح عن الرجال فيما فعلن، وذلك يقتضي أن يزر أحدنا وزر الآخرة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْرَبُوا زِينَةَ الْإِنْسَانِ﴾^(٢).

١ - الحديث أخرجه النسائي في سننه في باب «النهي عن الكحل للحادة» من حديث زينب بنت أبي سلمة عن أمها أن امرأة من قريش جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالت: إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد خفت على عينها، وهي تريد الكحل، فقال: قد كانت إحداكن ترمى بالبصرة على رأس الحول، وإنما هي أربعة أشهر وعشراً... الخ الحديث. والحديث أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه - ج: ٥ - ص: ٢٠٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أم سلمة - ج: ٦ - ص: ٢٩١، ٢٩٢، ص: ٣١١.

٢ - سورة الانعام: الآية (١٦٤)، سورة الإسراء: الآية (١٥)، سورة فاطر: الآية (١٨).

قيل: قد يرون في قراءة ابن مسعود: (لا جناح عليهن)، والصحيح ما عليه المصاحف، ووجه ذلك أمران:

أحدهما: أن النساء لما كن تابعات للرجال، وتحت أمرهم، صار الجناح في كثير مما يفعلن راجعاً إليهم إذا لم ينهوهن، ولهذا قال: ﴿قُرْأَ أَنْفُسُكُمْ وَأَمْلِكُمْ نَارًا﴾^(١) والثاني: أن ما أشير إليه، فإنهن يفعلن في أنفسهن هو أمرٌ يتعلق بالرجال، فلا يمكنهن أو يساعدهن وكلُّ موضعٍ اجتمع مذكَّرٌ ومؤنثٌ أو مخاطبٌ أو غائبٌ، فالحكمُ في اللفظ للمذكر والمخاطب دون المؤنث والغائب، فهذا قال: عليكم إن قيل: لم قال هاهنا ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾، وقال فيما قبله (بالمعروف)، وقال هاهنا: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وفي الأول: (والله بما تعملون خبير)؟

قيل: إن "مِنْ" والباقي مثل هذا الموضع يتقاربان حكماً، وإن كانا يختلفان من حيث العربية تقديراً، فقوله: ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ إباحةٌ لجنس الأفعال المعروفة، أي المباحة لجنسه، وقوله: (بالمعروف) في موضع الحال، وهو إباحةٌ لما فعلته على شريطة تحري المعروف وقال ههنا: لما ذَكَرَ ما هو تعريضُ التغيير أو غيره على التفسير المتأخر، قال: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تنبيهاً أنه تعالى قادرٌ على تغيير ما يُغَيَّرُ غير لاحق به مضرّةٌ من مخالفتكم له، ولا منفعةٌ في موافقتكم إياه أمره وحكمته في تغييره، وقال في الحكم المقرر عليهم على التأييد، (والله بما تعلمون خبير) - تنبيهاً أن من قصر فيما رسمه، فمجازى به..

قوله - عز وجل :

﴿وَلِلْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ - الآية : (٢٤١) - سورة البقرة

إن قيل: ما وجه تكرير "ذلك" وتخصيص "المتقين"؟

قيل: من المفسرين مَنْ جعلَ هَذَا المتاعَ للمطلقات عامةً على سبيل الاستِحْبَابِ، لا على الإيجاب،

وقال: أراد الله أن يكون تشريحاً على وجه تطيب به نفسها، ويزول عنها ما خامرها من وحشة الفراق، ومنهم من قال: هو على الإيجاب، وإليه ذهب ابن جبير، وأبو العالية، ويكون تخصيص من تقدم ذكرها لتأكيد أمرها، ومنهم من قال: يعني بالمتاع المتعة، وإنما عنى مالها من المهر والسكنى، وأما تخصيص "المتقين" فقد تقدم..

قوله - عز وجل :

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الآية : (٢٤٢) سورة البقرة

نبه أنه كما بين لكم هذه الأحكام يبين لكم سائر الآيات العقلية والسمعية لتكونوا أقرب إلى استعادة العقل المكتسب وقد تقدم أن أمير المؤمنين قال: العقل عقلان: مطبوع، ومسموع ولا يصلح أحدهما إلا بالآخر، فالأول هو الذي يتعلق به صحة التكليف المتناهية بقوله عليه الصلاة والسلام:

«إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ، قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ بِكَ أَخْذَ، وَبِكَ أَعْطِي»^(١).

١ - اختلفت الآراء في الحكم على هذا الحديث: فالعجلوني يقول في كشف الخفاء: قال فيه الصفاني وابن تيمية وغيرهما: إنه موضوع باتفاق - كشف الخفاء - ج: ١ - ص ٢٣٦، ٢٦٣، وهناك من يرى أن الحديث ليس موضوعاً باتفاق، بل رواه بعضهم بإسنادين ضعيفين، وقيل: رواه أحمد في زوائد الزهد عن الحسن البصري يرفعه، وهو مرسل جيد الإسناد، وقد قال السيوطي في الدر: إني وجدت لهذا الحديث الأصل، وهو مرسل جيد الإسناد وذلك كما في جامع الأصول ج: ٤ - ص ١٨ وفي المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري الهروي ص ٣٥ وكشف الخفاء - ج: ٢ - ص ١٤٨، وقال العراقي: روي هذا الحديث من حديث أبي أمامة وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة، فأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في كتاب فضائل الأعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشي حدثنا عمر بن أبي صالح العتكي عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما خلق الله العقل.. الحديث وعمر بن أبي صالح ذكره العقيلي في الضعفاء وأورد له هذا الحديث وقال الذهبي في الميزان: لا يعرف، قال: ثم إن الراوي عنه من المنكرات، قال: والخبر باطل وقال أبو نعيم: غريب من حديث سفيان ومنصور والزهري لا عزم له راوياً عن الحميدي إلا سهلاً، وأراه وأهياً.. تخريج أحاديث الإحياء وقال فيه الدكتور/ عبد المجيد النجار ولا يبعد أن تكون مثل هذه الأفكار متسربة من الثقافة الفلسفية اليونانية فيما عُرِف فيها من أن الله (العقل الأول) فاضتمنه عقول عشرة مترتبة في الشرف، ثم من العقل العاشر وجدت المادة المحسوسة، تفصيل النشاطين وتحصيل السعادات - تقديم وتحقيق: الدكتور/ عبد المجيد النجار - ط: دار الغرب الإسلامي والحديث أخرجه الطبراني في معجمه ج: ٨ - ص ٢٤٠، والزبيدي في الإتحاف - ج: ١ - ص ٤٥٣، ج: ٧ - ص ٢٠٩، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ج: ١ - ص ٦٧ وابن عراق في تنزيه الشريعة ج: ١ - ص ٢٠٢، وابن الجوزي في الموضوعات - ج: ١ - ص ١٧٤، ١٧٥.

والثاني: هو الذي قال عليه الصلاة والسلام لعلي: «يَا عَلِيُّ: إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى خَالِقِهِمْ بِالصَّلَاةِ وَالصُّلُومِ، فَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْعَقْلِ تَسْبِقُهُمْ بِالدرَجَاتِ وَالزُّلْفَى عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَعِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ»^(١) فهذا الثاني هو العقل المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وهو في الحقيقة الإيمان والتقوى والإخلاص.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الآية: (٢٤٣) - سورة البقرة .

رأيت : تتعدى نفسه دون الجار، لكن لما استعير قولهم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لمعنى: (ألم تنظر) عدى تعديته وفائدة استعارته أن النظر قد يتعربى عن الرؤية، فإذا أريد الحث على نظر ناتج لا محالة للرؤية استعيرت له، وقل ما استعمل ذلك في غير التقرير، ولا يقال: رأيت إلى كذا، وكما أن الرؤية ضربان، رؤية بصر، ورؤية بصيرة، كذا أيضاً النظر والإبصار، وألوف جمع ألف كشخص، وعيون وقيل جمع ألف كحمول، وروى في الخبر أن قوماً من بني إسرائيل خرجوا من ديارهم - تفادياً من الطاعون فأماتهم الله، ثم أحياهم ليعرفهم عياناً تحقيق ما دل عليه قوله: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَلَيْسَ تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ

١- هذا الحديث مشهورٌ بالفاظٍ قريبة من هذا اللفظ، ولذا أوردته كل نسخة بلفظ متقارب - أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي "إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا - عز وجل - فاكسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة، وقال الحافظ العراقي: وإسناده ضعيف، والحديث في الجزء الثالث من أمالي أبي القاسم بن علي النيسابوري قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنا محمد بن منصور العنكي حدثنا محمد بن أشرس السلمي حدثنا سليمان بن عيسى السنجري عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «إذا اكتسب الناس إلي خالقهم بأنواع البر فاكسب إليه بأنواع العقل تسبقهم بالقربة والراحة والدرجات في الدنيا» - تخريج أحاديث إحياء علوم الدين - للعراقي وابن السبكي والزبيدي - استخراج: أبي عبد الله محمود الحداد - ط: دار العاصمة للنشر - الرياض - سنة ١٩٨٧، وأورده الراغب في كتابه: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» - ص ١٦٩ - تحقيق الدكتور / أبو البزيد العجمي - ط: دار الوفاء ودار الصحوة - سنة ١٩٨٥م.

٢ - سورة الأحزاب: الآية (١٦).

٣ - سورة النساء: الآية (٧٨).

يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ^(١) ، وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾^(٢) ، وقوله : ﴿وَرَهُمْ
أُلُوفٌ﴾ ، تنبيهه أن الكثرة والتعاقد وإن كانا نافعين في دفع الأزمات الدنيوية، فليس بمعنية في
الأمور الإلهية، فمن جعل ذلك جمع ألف، فنظر منه إلى نحو ما قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحٌ^(٣)

ومن جعله جمع ألف، فنظر إلى نحو قولهم: "لن يعجز القوم إذا تعاونوا"، ومن جعله جمع ألف،
فقد قيل: كان عددهم أربعة آلاف عن السدي، وقيل: كانوا أكثر من عشرة آلاف عن ابن عباس
والحسين والضحاك، وهو الأصح، لأن ذلك جميع للكثير ولو كانوا أقل من عشرة لقتل آلاف، وقيل:
معنى أماتهم: ذلهم تذليلاً يجري مجرى الموت فلم تغن عنهم كثرتهم وتظاهروا من أسيئاً، ثم
أحياءهم، أي أعانهم وخلصهم ليعرفوا قدرة تعالى في أنه يذل من يشاء، ويعز من يشاء، وتسمية
الشدائد موتاً، لكونها أعظم الموتين، كما قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء^(٤)

وقيل: أشد من الموت ما يتمنى له الموت، وقيل: عنى بالموت الجهل، والأحياء العلم، وقال ابن
عباس في قوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٥) أي : جاهلاً فعلمناه كما يحيا الجسد بالروح، ووصل
ما أراهم من الآلة العظيمة من إحيائهم بذكر ماله عليهم من النعمة وقلة شكرهم له...، وقوله:

١ - سورة يونس : الآية (٤٩)
٢ - سورة آل عمران : الآية (١٥٦).
٣ - قائل البيت هو ناهض الكلابي وذلك كما في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد - لحمد بن أيمن - ج : ٢ - ص ٢٣٧. وقد
أورد الراغب هذا البيت في محاضرات الأدباء منسوباً إلى هذا الشاعر في باب الحث على التظاهر وبعد هذا البيت :-
وأن القدر يكون فرداً فيبصر لا يكون له اقتداح
محاضرات الأدباء ج : ١ - ص ٢٧١
٤ - البيت لعدي بن علاء الفساني ، ويده : إنما الميت من يعيش كثيراً كاسفاً باله قليل الرجاء
وهما في الإصمعيات ص ١٥٢ ، والحماسة الشجرية - ج : ١ ص ١٩٤ ، وأما ابن الشجري - ج : ١ ص ١٥٢ ، وابن يعيش -
ج : ١٠ - ص ٦٩ ، والأشعوني - ج : ٢ - ص ١٦٩ .
٥ - سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١) كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٢) ، لكنه أبلغ في الذم، لأنه نفي وقوع شكر منهم، وشكور هنا مبالغة، وقد لا يكون شكوراً من كان شاكراً..

إن قيل: لم أعيد ذكر الناس ولم يقل: (ولكن أكثرهم)؟

قيل: لأن الناس في الأول عام لكون نعمته على جميعهم، وفي الثاني خاص للمكلفين، لأنه لا يلزم شكرهم غيرهم، فكأنه قيل: ذو فضل على جميع الناس، ولكن أكثر المكلفين لا يشكرون..

إن قيل: لم خص النبي ﷺ بهذا الخطاب، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٣) ؟

قيل: لأن ذلك لما كان من الاعتبار التي تخفي إلا على ذوي البصائر من الأنبياء ومن يدانيهم في العلم ولم تكن من المحسوسات المشاهدة، وخصه بالخطاب، وفي الآية الأخرى ونظائرها لما كانت من الأمور المحسوسة عمهم بالخطاب.

قوله - عز وجل :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية (٢٤٤) ..

قال: تقديره (وقيل لهم بعد ذلك: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولفظ الحكاية مقدر، وقيل: إن ذلك خطاب منه تعالى لهذه الأمة، وأنه لما قرر بالآية المتقدمة في أنفسهم أن الفرار لا يزيد في الأجل، حثهم بهذه على المجاهدة في سبيله، ولم يعن الأعداء المجاهدين فقط بل عناهم وأقرب الأعداء إلى الإنسان وأصعبها دفاعاً وأكثرها أذى الهوى المدلول عليه بقوله عليه الصلاة والسلام: «جهادك هوأك»^(٤).

١ - سورة يوسف الآية (٣٨) ، (٦١) سورة غافر .

٢ - سورة سبأ : الآية (١٣) .

٣ - سورة نوح : الآية (١٥)

٤ - في معناه حديث رواه البيهقي عن جابر بسند ضعيف ، وفيه « قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قالوا : وما الجهاد الأكبر ، قال : مجاهدة العبد هواه » ، وقال الحافظ العراقي عن حديث : « المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه » ، رواه ابن ماجه في الشطر الأول والنسائي في الشطر الثاني ، وكلاهما من حديث فضالة بن عبيد بإسنادين جيدين ، وقال . رواه الحاكم وصححه .. انظر : كشف الخفاء - ج : ١ - ص ١٤٣ ، وأورده الراغب في الذريعة إلى مكارم الشريعة - ص ١٠٣ - تحقيق : الدكتور / أبو اليزيد العجمي

وقوله: «أعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(١) وقوله لما رجعوا من تبوك: «جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»^(٢) ، وقال: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»^(٣) وصعوبة مجاهدته أنه عدو يخفى وتخفى مكائده، ونحو هذا نظر الشاعر حيث قال:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى

فكيف بمن يرمي وليس برامي^(٤)

وعلى هذا قوله - عز وجل : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٥) ، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٦).

قوله - عز وجل :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

الآية : (٢٤٥) - سورة البقرة .

القرض : القسط بالناب، والمقراض، واستعير لصناعة الشعر استعارة اللوك والمضغ في نحو قول

بعضهم:

١ - قال عنه العجلوني : رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس ولا أصل له بهذا اللفظ ، وذكر الحافظ العراقي أن البيهقي رواه من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين .. كشف الخفاء - ج : ١ - ص ١٤٣ - الإحياء في أماكن متعددة ، وأورده الراغب في الذريعة إلى مكارم الشريعة - ص ١٠٢ - تحقيق : الدكتور / أبو اليزيد العجمي .

٢ - الحديث عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » قال العراقي: رواه البيهقي في الزهد ، وفيه ضعف ، تخريج أحاديث الإحياء - ج : ٤ - ص ١٥٣٧ والزهد - البيهقي - ص ١٦٥ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٣٣ .

٣ - سبق نظيره ، وهو قريب من : « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله » رواه أحمد والطبراني والقضاعي عن فضالة بن عبيد مرفوعاً ، وفي الباب عن جابر وقد أورده الراغب في كتاب : الذريعة إلى مكارم الشريعة - ص ١٠٤ .

٤ - قائل هذا البيت هو عمرو بن قتيبة ، وبعد هذا البيت قال :

فلو أنها نبيل إذا لاتقيتها ولكنني أرمي بغير سهام

ويرويان للبيد بن ربيعة مخطوط كتاب : الدر الفريد وبيت القصيد - ج : ٣ - ص ٣٢٤ .

٥ - سورة الحج - الآية رقم : (٧٨) .

٦ - سورة العنكبوت : الآية : (٦٩) .

«قد لأكه ومضغه من هو أشد لوكاً ومضغاً منك»، هذا إذا اعتبرته بقرض الأسنان، فأما إذا

اعتبرته بقرض المقرض، فاستعارته كاستعارة الحوك والخياطة والإلباس، وسمي ما بذل بعوضٍ قرضاً، وما بذل بغير عوض قرضاً، وسمي عروض الدنيا قروضاً، كما سميت عواري، والضعف تركب قدر من متساويين، أو يقال مثلاً الشيء في المقدار، وكل واحد ضعف الآخر إذا أخذ، وقول الشاعر:

«جزيتك ضعف الود»^(١)، أي مثلي ودك في القدر، وضعفا الشيء مثله ثلاث مرات، إلا أنه إذا

قليل: ضعفان، فقد يطلق على الاثنين المثليين في القدر من حيث أن كل واحد يضعف الآخر كما يقال الزوجان، ويكون كل واحد زوجاً للآخر..

إن قيل: الضعف والضعف يشتركان في الاشتقاق، قيل: كلاهما اعتبر فيه معنى المماثلة في القدر، إلا أنه جعل الضعف لما يزداد عليه، والضعف لما ينقص منه، واستعمل فيهما أضعفت، وضعفت، وإن كان التشديد في الضعف أكثر، وضاعفت في الضعف لا غير، وفرق بينهم تضاعف وتضعف، فقال التضعيف لما جعل مثليين، والمضاعفة لما زيد عليه أكثر من ذلك، ولهذا قال أكثرهم (فيضاعفه) بالألف، ولما حث الله علي المجاهدة في سبيله وذلك ببذل المال والبدن والنفس سمي ذلك قرضاً كما سماه بيعاً واشتراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾^(٢) الآية، وسماه إحساناً في قوله: (وأحسنوا) كل ذلك استعطافاً لعبده واستلطافاً، وسمع أعرابي قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، فقال: "أعطانا فضلاً، وسألنا منه قرضاً ليرد إلينا أكثر وأوفر منه، إنه لكريم"، وسمع ذلك أبو الدحداح، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم إن تصدقت بحديثي أفلي مثله في الجنة؟ قال: نعم. قال: ومعى أم الدحداح ودحداح؟ قال: نعم، وكان له حقيقتان، فتصدق بأفضلهما..^(٣)

١ - هذا جزء من بيت لأبي ذؤيب الهذلي ونص البيت :

جزيتك ضعف الود لما اشتكيت وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي

والبيت في ديوان الهذليين - ج : ١ - ص ٣٥ ، وفي لسان العرب . مادة (ضعف) ، وفي بصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز ج : ٣ - ص ٤٧٨ ، وفي مفردات ألفاظ القرآن - ص ٥٠٨ .

٢ - سورة التوبة : الآية (١١١) .

٣ - ذكر القرطبي في تفسيره أن هذه الآية لما نزلت ، نادر أبو الدحداح إلى التصديق بماله ابتغاء ثواب ربه . كما أورد ما روى عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) قال أبو الدحداح : يارسول الله : أو إن الله - تعالى - يريد منا القرض ؟ قال : « نعم ياأبا الدحداح » قال : أرني يدك ، فنأوله ، قال : فأبني أقرضت الله حائطاً فيه ستمائة نخلة ، وأورد القرطبي أيضاً ما رواه زيد بن أسلم قال : لما نزل : من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً (قال : « نعم يريد أن يدخلكم الجنة » ، قال : فأبني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة ؟ قال : « نعم » . قال : فأولني يدك ، فنأوله رسول الله - صلى الله عليه وسلم يده - فقال : إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية ، والله لا أملك غيرهما فد جعلتهما قرضاً لله - تعالى - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم « اجعل إحداهما لله ، والأخرى دعها معيشة لك ولعياك » قال : فأشهدك يارسول الله أني قد جعلت خيرهما لله - تعالى - وهو حائط فيه ستمائة نخلة . قال : « إذا يجزيك الله به الجنة » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كم من عتق رداح ودار فياح لأبي الدحداح - تفسير القرطبي - ج : ١ - ص ١١٤٨ ، ١١٤٩ . ١١٥٠ كما أورده ابن كثير بسنده إلى عبد الله بن مسعود ، وقد رواه ابن رديه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر - رضي الله عنه - مرفوعاً بنحوه تفسير القرآن العظيم - ج : ١ - ص ٢٩٩ .

إن قيل: بذل النفس كيف يصح أن يقال له قرض؟

قيل: استعمال ذلك فيه كاستعمال الجود، وقد قال أبو الدرداء "أقرض من عرضك ليوم فقرك"، وفي قوله: ﴿حَسَنًا﴾ إشارة إلى كل ما يصون الإفضال عما يشينه من منة ومراعاة وغير ذلك وقوله: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ قيل: "يسلب تارة، ويعطي تارة"، ونحوه نظر من قال: فكيف يوفيه وثانيه هاديه، وقيل: يسلب قومًا ويعطي قومًا، ونحوه نظر الشاعر في قوله:

ويسلب قومًا ويثري آخرين
به الله من ذا يستعمر وباري^(١)

وقيل: يقتدر ويوسع، وقيل: يقبض الصدقات ويخلف البدل مبسوطاً أن كثيراً، وقيل: يضيق صدور قوم ويشرح صدور آخرين، كقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقد تقدم الكلام فيه، وذكره هاهنا توعده..

قوله - عز وجل :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الآية : (٢٤٦) - سورة البقرة .

قوله عز وجل :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ إلى الملاء جماعة شريفة، وذلك اعتبار بالامتلاء كأنهم يملون العين رواء ومنه قيل: شاب مالى العين،^(٣) ومالته: عافيته: أي صرت من ملائه أي جمعه، كقولك: شايعته أي: صرت من شيعته، وفلان ملئ بكذا من الامتلاء، وعلى الوفاء، وهو تمام العهد، واشتقاق

١ - لم أعر علي نسبته .

٢ - سورة الأنعام : الآية (١٢٥) .

٣ - قال ابن منظور : شاب مالى العين : إذا كان فحماً حسناً لسان العرب - مادة : (ملا) .

ضده وهو العذر، يدل على ذلك لأنه الترك، ويعني: "أحسنوا أفعالكم"، أي أخلاقكم،

وقال الشاعر :

"فقلنا أحسنني ملا جهينا"^(١) ، فكأنه سمي الخلق بذلك لكونه ملياً باراً، في ذاته

وعلى ذلك قال الشاعر:

كل امرئ يبدي الذي في خلقه^(٢)

وقال: كل امرئ راجع يوماً بشبهة^(٣)

والملك لمن جمع أربعة معان:

"العلم، والقدرة، والسياسة، وعدداً يسوسهم"، وبيان ذلك أن الأمر بالعلم مدبر، وبالقدرة ينفذ، وبالسياسة ينظم، وبالجمع يحفظ، ولهذا كان الله الملك الحق، ومن عدله فكالظل له، ولهذا قال: "السلطان ظل الله في الأرض" أي خليفته، ومحفوظه كالظل الذي يظل، ولا يصح استحقاقه إلا لمن قام بحقه على مقتضى الشرع ولأجل تعذر القيام بذكره التسمية به، لأن المتسمي بالملك مالم يوف حقه لابس ثوبي زور، وتكلف للناس التقول به وسألهم إياه الملك ليقابلوا معه لعلمهم أن منزلة الملك من الرعية منزلة الرأس من الجسد الذي لا قوام له إلا به.

١- هذا عجز بيت وصدره : تنادوا بالبهثة إذا رأوا.

وهو لعبد الشارق بن عبد العزى الجهني ، وهو في شرح الحماسة ج : ٢- ص ٢٠، ولسان العرب ، مادة : (ملا) ، والمجمل - ج ٢ -

ص ٨٣٨ ، وشرح مقصورة ابن دريد - لابن خالويه ص ٢٠٨ ، ومفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٧٦.

٢- ٢- لم أعر على نسبة لهما.

وعلى ذلك قال الشاعر:

كان الخلق ركب في مثال له جسد وأنت عليه رأس^(١)

وقوله: (يقاتل) متى جزم، فجواب، وإذا رفع فاستئناف، وقرئ (يقاتل)^(٢) على وصف الملك، وقوله: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾، أي: هل طمعتم في أنفسكم أن تقوم بذلك وأن لاتجن؟ قالوا: ومالنا ألا نقاتل؟ أنكروا أن يكون منهم تضجيع في قتال أعدائهم، فجعل حجتهم شيئين هما غاية ما يحق، وهو إنزعاجهم عن مقارهم الذي هو شريك القتل، وقيل الولد الذي هو أصعب على الإنسان من قتل نفسه، وفي حكاية ذلك إشارة إلى ذمهم من وجهين أحدهما أنهم قالوا: أن تكلفوا، وقد قيل: فلما قام الإنسان بواجب التزمه، ابتداءً، ولهذا لما رجع النبي ﷺ في الحج، فقيل: ألعامنا هذا؟ أم للأبد؟

قال: بل للأبد^(٣)

-
- ١- البيت لأبي العتاهية ، وقاله يمدح الرشيد، وقال بعده :
أمين الله إن الحبس بأس وقد وقعت ليس عليك بأس
ومناسبة البيتين أن الرشيد كان قد أمر أبا العتاهية بأن يقول الغزل في مجلسه ، فأبى ، فأمر الرشيد بحبسه ، فلما عفا عنه قال:
ذلك .. الشوارد - لعبد الله بن خميس .
- ٢- قرأ بذلك الضحاک وابن أبي عبلة كما ورد في إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس ج : ١- ص ٢٧٧ والإملاء - للعسكري - ج : ١- ص ٦٠ ، والبحر المحييط - ج : ٢- ص ٤٥٥ ، وتفسير الفخر الرازي - ج : ٢- ص ٢٩٢ ، ومعجم القراءات القرآنية - ج : ١- ص ١٩٠ .
- ٣- قال القرطبي في تفسير قوله الله تعالى : (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) الآية : (٩٦) سورة آل عمران- قال : ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال له أصحابه : يا رسول الله أحجنا لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال : « لا .. بل للأبد . وهذا نص في الرد على من قال : يجب في كل خمس سنين مرة ، كما أورد ما رواه الأئمة عن أبي هريرة قال : « خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » واللفظ لمسلم . تفسير القرطبي - ج : ٢- ص ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، والحديث رواه البخاري في صحيحه ج : ٣ ص ٥ ، ص ١٨٥ ورواه النسائي في سننه في الحج باب (٧٦) ورواه البيهقي في سننه ج : ٤ ، ص ٩٥ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج : ٤ ص ١٧٥ ، والبغوي في شرح السنة ج : ٧ ص ٢٥٢ والدارقطني ج : ٢ ص ٢٨٣ .

وذم الله (بنو إسرائيل) في التزامهم الرهبانية، ثم قصروا فيها، والثاني: أنهم لم يلزموا القتال كما يجب أن يلزم، فإن المقاتلة في سبيل الله يجب أن لا يكون لها سمعة واجتلاب ثناء أو شفاء مغيطة وكذا يجب أن تكون سائر الأفعال المحمودة وهم لما قالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ قصدوا شفاء الغيظ لا ائتمار الرب، فعلم أنهم لا يصبرون في مواطن الحق على ما يجب.

إن قيل: لم أدخل (أن) في قوله: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ ولم يدخله في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾^(١)؟

قيل: إن قولك (مالك، ومالنا) تجيء مرة للإنكار، وعليه قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ في موضع الحال نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ الذِّكْرِ مَعْرِضِينَ﴾^(٢)، والثاني بمعنى: (مامنع)، وعليه هذه الآية، فلا بد إذن من "أت لا" تقديره: (ما منعنا من ترك القتال قال أبو العباس: «ما: نفي هاهنا، كانه قيل: ليس لنا أن لا نقاتل»، وقال الأخفش: أن زائدة، ويجوز أنه أدخل (أن) في قوله: أَلَّا نقاتل لكون القتال مستقبلاً، ولم يدخل في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾^(٣) لكونه حالاً، لأن "أن" لأحد المعدومين..

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَةً مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (٢٤٧) - سورة البقرة .

كان بنو إسرائيل اعتقدوا أن الملك يستحق بالوراثه وكثرة المال، وكان فيهم أسباط ملوك، فلما أنبأهم نبيهم أن الله بعث لهم طالوت ملكاً، ولم يكن من بيت الملك، ولا كان ذا مال، استعظموا، فراجعوه وقالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ وكان ذلك منهم خطأ من وجهين:

١ - سورة الحديد : الآية (٨).

٢ - سورة المدثر : الآية (٤٩).

٣ - سورة الحديد : الآية (٨).

الأول:

لما قال الشعر:

وَمَا الْحَسَبُ الْمَوْرُوثُ لَا دَرُّ دَرَّةٍ

بِمُحْتَسِبٍ إِلَّا بِأَخِيرِ مَكْتَسِبٍ

إِذَا الْغُضُنُ لَمْ يُلْمَرْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً

مِنْ الثَّمَرَاتِ اعْتَدَهُ النَّاسُ فِي الْحَطَبِ^(١)

وقال بعض الملوك:

إن ولد مني جاهل فعدوه حماراً، وإياكم أن تراعوا نسبه، فتفوضوا الأمر إليه، وتعتمدوا في المملكة عليه، والثاني: أن المال ليس بضروري في الملك وأعيان الخلفاء الراشدين والأمراء العادلين كأن غناهم القناعة دون الثروة، فبين تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أن فيه الخصال التي هي قانون في استحقاق الملك وبيان أنه الملك يستحق في أن يكون الإنسان من عنصر صالح سواء كان من بيت الملك قليل أو لم يكن، وأن يكون ذا علم بسياسة نفسه وأهله من رعيته، وأن يكون في جسمه كامل الخلقة، شديد القوة، ذا سلامة من العاهات الشائنة، وذكر أنه قد آتاه كل ذلك، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تنبيهاً أنه هو المختص بإيتاء الملك لعلمه بمن يستحقه، ولذلك أمرنا بالاستسلام له في ذلك، فقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^(٢)، فقرن ذلك بالأمور التي يختص هو بها، وهي: إخراج الحي من الميت والميت من الحي، وإيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وإعطاء الرزق، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي الذي أعطاه الملك هو ذو سعة في المال، وعالم بالأشياء - تنبيهاً أنه ان احتاج إلى المال في ملكه حوله، وقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ أي عالم بمن يؤتاه الملك، كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣).

١- قائل البيتين هو ابن الرومي، وهو من قصيدة قالها في محمد بن عبدالله بن طاهر وبعدهما :-
وانت لعمري شعبة من نوى العلا فلاترض أن تعتد من أوضع الشعب
ديوان ابن الرومي - تحقيق د/حسين نصار ج : ١ - ص ١٥٠، ١٥١ ط : دار الكتب سنة ١٩٧٣. كما في مخطوط كتاب الدر
الفرید وبيت القصید لمحمد بن أیدمر ج ١ - ص ٢٨٢ .
٢- سورة آل عمران - الآية : (٢٦).
٣ - سورة الأنعام : الآية (١٢٤).

قوله - عز وجل :

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية (٢٤٨) - سورة البقرة .

البقية من البقاء، والبقاء ثبات الشيء على حالته الأولى، لكن البقية صارت لبعض حمله لم يتعين حكمه بتعين المحمولات، فاستعمل فيما يحمل على الظهر، وفي الماء الذي في السحاب، والولد الذي تحمله المرأة في البطن، وتعرف في البرق، وتسميته بذلك استصحاباً لحمل الأم أياً، أو لأنه يحمل باليد لصغره، وخص الحمالة بما يحمل به السيف على بناء العلاقة والمحمل لما تركته الناس، وخص الحمالة بالفتح لما يتحملة قوم عن قوم من الدية والحميل تارةً استعمل في الكفيل، وهو بمعنى فاعل، وتارةً في المحمول من بلد إلى بلد، فسمى الغريب، وعثاء السيل به والحملوة من الإبل لما يحمل عليه وعلى ما ساقويه وركوبه وذكر منهم ما خص الله به «طالوت» من كرامته وما هو آية من الله - عز وجل - كالمعجزة للملك، واختلف في التابوت، فمنهم من قال: كان منحوتاً من الخشب فيه شيء مسمى بالسكينة تسكن بها قلوب القوم الذين كان معهم وبقياء رضاء اللوح الذي كان فيه التوراة، وقيل كان علي [عجلة بين ثورين]^(١) يسوقهما الملائكة، وقيل: بل الملائكة تحمله في الهواء وهم يرونه، وقيل كان هذا التابوت مع يوشع، ففقد في التيه، ثم رده الله عز وجل: إلى طالوت، وقيل: بل كان قد سلبته العمالقة، فدفنوه في منزله، وإلى هذا ذهب عامة الصحابة والتابعين فيما دل عليه ظاهر قولهم حتى قال مجاهد: السكينة شيء كان له رأس كراش هره، وله جناحان^(٢)، وقال بعض المفسرين: التابوت

١ - ساقطة من (و - ج) ، واستدركناها من تفسير القرطبي ليكمل السياق.

٢ - وأورد ه الراغب في مفردات ألفاظ القرآن وعلق عليه بقوله : ما أراد قولاً يصح ، وهذا الأثر مروي عن مجاهد في الدر المنثور . روى غرائب التفسير حيث قال : السكينة من الله كهنية الهر ، لها وجه كوجه الهر «جناحان، وذنب مثل ذنب الهر » وقد علق عليه الأستاذ / صفوان داوودي بقوله : وهذا أشبه بروايات الإسرائيليات . والله أعلم .. والدر المنثور - ج : ١ - ص ٧٥٨ ، أنظر مفردات ألفاظ القرآن - ص ٤١٧ وغرائب التفسير - ج . ١ - ص ٢٢٢ ، كما أورد ابن كثير فيما رواه محمد بن إسحق عن وهب بن منبه أن السكينة رأس هرة ميتة إذا صرخت في التابوت بصراخ هرايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ، كما أورد ما قاله عبد الرزاق عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : السكينة روح من الله تتكلم إذا اختلفوا في شيء تكلم ، فتخبرهم ببيان ما يريدون . تفسير القرآن العظيم - ج : ١ - ص ٣٠١ .

إشارة إلى القلب، والسكينة: إلى ما فيه من العلم والإخلاص والإيمان وذكر الله الذي تطمئن به القلوب، قال: وسمي القلب سبط العلم وبيت الحكمة وتابوته، ورعاه وصندوقه، وعلى هذا يقال: (اجعل سرك في وعاء غير سرب، وفي بيت معلق الرتاج، ووعاء موثق الأشراج)^(١)، قال: وجعل آيته أن صير قلبه مقر العلم، ومجمع السكينة بعد أن لم يكن له ذلك، وعلى ذلك تسميته بالتابوت سمي عمر ابن مسعود- رضي الله عنهما كنيفاً ملئ علماً^(٢)، وقال هذا القائل ما روي عن علي- عليه السلام، رضي الله عنه: أن السكينة ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، فإشارة إلى الروح أو إلى الملائكة، ولهذا روي "كان روحاً" من الله عز وجل- يكلمهم عند وقوع الاختلاف، ويسكنهم عند القتال^(٣) والله أعلم بالحقائق.

١- هذا المثل ذكره الزمخشري في المستقصى في الأمثال - ج : ١ - ص ٥٠ ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٦٢
٢- عن زيد بن وهب قال : إني لجالس مع عمر بن الخطاب ، إذ جاء ابن مسعود ، فكان الجلوس يوارونه من قصره ، فضحك عمر ..
رأه ، فجعل عمر يكلمه ويهزل وجهه ويضحكه وهو قائم عليه ، ثم ولي فأتبعه عمر بصره حتي توارى فقال : « كنيف ملئ علماً »
وقد أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٦٢ ، كما أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء . ج : ١ - ص ٤٩١ ، وابن سعد
في طبقاته ج : ١ - ص ١١٠ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء - ج : ١ - ص ١٢٩ .
٣- أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم - ج : ١ - ص ٣٠١ .

قوله - عز وجل :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ لَفْظَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ لَفْظَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

الآية : (٢٤٩) - سورة البقرة .

الجند يقال للعسكر اعتباراً بالغلظة من الجند، أي الأرض الغليظة ثم يقال: لكل مجتمع جند، نحو: (الأرواح جنود مجندة...) (١)، والغرف تناول الماء، ويقال للمغترف غرفة، وللمرة غرفة، والغريف الماء المعرض للاغتراف، وتصور منه الرفع، فسمي العلية غرفة تشبيهاً بالمغترف، وبهذا النظر سمي مشربة، وسمي الغمام مادام عرفه كانه لרטوبته معترف، وجوز الطريق وسطه، و(جاز منه) كانه عبر الجوز، فكثرت حتى صار الجايز لما لا يكره، وعلى نحوه قيل سائغ، وهو من ساغ الطعام في الحلق، وجاوز، وتجاوز استعير له هذا البناء، لتصور المكان متباعداً عن الإنسان تباعد لإنسان عنه، ولهذا قيل: سافر وتباعد والفئة فرقة من قولهم: فاعت رأسه، وقد تقدم أن أسماء الفرق كثيراً ما تشتق من الألفاظ المقتضية للقطع كالصرمة، والقطيع والطامة، وما القوة بالمحمول، ويستعمل في قوة الحيوان، وأكثر ما يقال في الأثقال الجسيمة، وإذا قيل في غيرها، فعلى التشبيه، وروي في الخبر أن طالوت لم يكن يثق بقومه، فأراد أن يمتحنهم، وكان قد سار بهم مفازة لم يجدوا فيها ماء، فانتهوا إلى نهر من الأردن وفلسطين، فامتنحهم به (٢) ..

١- الحديث صحيح ، وأخرجه البخاري في الأنبياء : باب : "الأرواح جنود مجندة تعليقاً " ، وأخرجه مسلم في البر والصلة برقم (٢٦٣٨) ، وورد في فتح الباري - ج : ٦ - ص ٢٦٣ ، وفي شرح السنة للبغوي - ج : ١٣ - ص ٥٧ ، وفي المفردات - ص ٢٠٧ .
٢ - أورد بن كثير في تفسيره لقوله تعالى (إن الله مبتليكم بنهر) قول ابن عباس وغيره « إنه نهر بين الأردن وفلسطين ، يعني نهر الشريعة المشهور . تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج : ١ - ص ٣٠٢

إن قيل: فكيف قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾، فنسب ذلك إلى الله عز وجل؟

قيل: يجوز أن يكون الله تعالى ألقى ذلك في روعه كاللقاء الوحي في روع أم موسى، ويجوز أن يكون قد أخبره نبي زمانه عن الله، ويجوز أنه نسبه إلى الله لما قصد به وجهه وإن لم يكن الله قد أخبره به، كقوله: ابتلانا الله بكذا، وبين تعالى أن أكثرهم لم يأتروا له، وقال بعضهم: "إن ذلك جعله الله مثلاً لهم"، ومثلاً مضروباً للدنيا وأتباعها وأن من يتناول منها قدر ما يتبلغ به اكتفى واستغنى وسلم منها ونجا، ومن تناول منها فوق ذلك ازداد عطشاً، وعلى هذا قيل: "الدنيا كالماء المالح"، من ازداد منها شرباً ازداد عطشاً، وإلى هذا أشير في الخبر المروي "أن الله - عز وجل - إذا سأل عبداً شيئاً من عروض الدنيا أعطاه، وقال له: خذهُ وضعفه حرصاً وإياه عن النبي - عليه الصلاة والسلام - بقوله: (لو أن لابن آدم واديين ذهب، ابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)^(١)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على (هو ومعه) من صلة (آمنوا)، ويجوز أن يكون: (الذين آمنوا، ومعه) خبره، وهو الأجود، لأن الأظهر في قوله: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ إن ذلك حكاية عمن شربوا، وإليه ذهب ابن عباس والسدي وقالوا: "هم أهل الكفر لا الذين آمنوا"، وقال الحسن وقتادة وابن زيد: «الذين قالوا: "لا طاقة لنا" هم المؤمنون»، وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ ظن هاهنا هو المفسر باليقين عند أهل اللغة، وهو المعرفة الحاصلة عن امارة قومه، ويدل على ذلك استعمال أن المشددة أو المخففة منها، نحو: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾^(٢)، وإذا أريد الشك، استعمل معه (إن) التي تصحب المعدومين من الفعل، وقوله: (من) يجوز أن يكون استفهاماً، وأن يكون خبراً وإن كان معنى الاستفهام يعود إلى معنى الخبر، ولكن متى قدر استفهاماً نصب فيه إذا حذف عنه من، وإذا قدرته خبراً وجرت، وسكن منهم بأن عرفهم أن لا اعتبار بكثرة العدد وقلته، وأحالهم على معرفتهم بالأعداد القليلة الغالية الكثيرة، وقد تقدم الكلام في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ..

١- الحديث رواه ابن عباس سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب) الحديث أخرجه البخارى في باب ما يتقى من فتنة المال -ج : ١١ ص ٢٥٣ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه حديث رقم ١٠٤٦ ، وأورده الراغب فى مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٦٢ .

٢- سورة المزمل الآية : (٢٠) .

قوله - عز وجل :

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَلَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

الآية (٢٥٠) - سورة البقرة .

البرز: المكان المرتفع، وبرز "حصل فيه"، وصار عبارة عن الظهور، وقيل للمشهور بالفضل: برز، و"امرأة برزة" قيل عفيفة، لأن رفعة المرأة بالعفة، لأن لفظ البرزة اقتضى ذلك، والأكثر أن البرزة هي التي لا تستقر، والفرغ: خلو المكان لما فيه، وخلو ذي الشغل من شغله، وسمي فرغ الدلو فرغاً باعتبار انصباب الماء عنه، وضربه ضربة مفرغة لدم البدن، والثبات: اللزوم في المكان، وعنه استعير قولُ ثابت، أي صحيح لا يبطل، وفلان ثبت المقام لمن لا يبرح موقفه في الحرب منهزماً، ونصر الله عنده قد يكون بزيادة قوته وجراته، وبإلقاء الرعب في قلوب أعدائه، وغير ذلك، ولم يعن أنهم رغبوا إلى الله عز وجل - في ذلك بالقول فقط، فالقول ليس بمغن مالم يعاضده فعل، ولا الفعل بمغن مالم تعاضده النية، فالمعنى لما برزوا رغبوا إلى الله بمقالهم واجتهادهم ونياتهم أن يمدهم بالصبر، وتثبيت القدم والنصرة على الكفرة..

قوله تعالى :

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الآية (٢٥١) سورة البقرة.

الهزم: دفع الشيء لليابس حتى يتحطم، كهزم الشن، وهزم الرعد مشبه به لصوت تكسره، وقيل أصابته هازمة دمر أي داهية كاسرة كقولهم فاقرة، والمهزام ما يحرك به للجمز والهمز يقاربه في الأمرين الكسر، والصوت والدفع صرف الشيء من مكان إلى مكان، أو عن حالة إلى حالة، ودافعت فلاناً ودفعته أنزعجته، وفلان مدفع مزعج عن مكانه أو بستانه، ووصف السيل الكبير بالدفاع، لدفع بعضه بعضاً، بين تعالى أنه جمع لداود - عليه السلام - الملك والحكمة والنبوة، وهي أعظم فضيلة، إذ

لم تخص بمجموعها إلا بعض الأنبياء، وجعل لبعضهم النبوة دون الملك، وإن لم يُخل أحد منهم من نصرته - لقوله تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)، وقال لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾^(٢)، وقال: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٣)، لقوله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾^(٤)، فالكتاب: الأحكام، والميزان: العدالة، ومعنى الحكمة قد تقدم أنها معرفة حقائق الأشياء وحقيقتها إنما هي لله عز وجل، وإذا استعمل في غيره، فمبلغ ذلك تقدم طاقة البشر، وهي أعم من النبوة، فكل نبي حكيم، وليس كل حكيم نبياً، وقوله: ﴿وَعَلَّمَ مِمَّا يَشَاءُ﴾ إشارة إلى العلوم النبوية التي لا وصول إليها إلا بالوحي، وفي قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ تنبيه على فضيلة الملك، وأنه لولاه لما استتب أمر العالم، ولهذا قال الدين والملك مقترنان، وتوأمين لا يفترقان، ففي ارتفاع أحدهما ارتفاع الآخر، لأن الدين أس، والملك حارس، ومالا أس له فمهدهوم، ومالا حارس له فضائع، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذِمَتْ صَرَائِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ﴾^(٥) الآية إن قيل: على أي وجه دفع الله الناس ببعضهم؟ قيل: على وجهين أحدهما: دفع ظاهر، والثاني دفع خفي، قال: فالظاهر، ما كان بالسواس الأربعة الذين هم الأنبياء، والملوك، والحكماء، والوعاظ، فسلطان الأنبياء علي الكافة خاصهم، وعامهم، وظاهرهم، وباطنهم، وسلطان الملوك علي ظواهر الكافة دون الباطن وسلطان الحكماء علي الخاصة دون العامة، وسلطان الوعاظ علي بواطن العوام وأما الدفع الخفي فسلطان العقل، فالعقل يدفع عن كثير من المقايح، وهو السبب في التزام حكم السلطان الظاهر، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، إن قيل: ما فائدة ذلك بعد قوله: أنفأ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٦)؟

١ - سورة غافر : الآية (٥١).

٢ - سورة القصص : الآية (٣٥).

٣ - سورة النساء : الآية (٥٤).

٤ - سورة الحديد : الآية (٢٥).

٥ - سورة الحج : الآية (٤٠).

٦ - سورة البقرة : الآية (٢٤٣).

قيل: بين في الأول فضله على الناس بما خصهم به من الفضائل الإنسانية، وبين هاهنا نعمته على جميع العالمين، والحيوانيات، والروحانيات، والجمادات، فإن العالمين يتناول كل ذلك، وإلى نحوه أشار بقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١).

قوله - عز وجل :

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْظُرُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الآية : (٢٥٢) - سورة البقرة .

إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ في هذا الموضع؟ وهل خفي ذلك عليه حتى يذكره به؟ وما تعلق ذلك بما قبله؟

قيل: يجوز أن يكون تقديره (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِهَا)، لكن لفظة بها إيجاز، أو يجوز أن تكون الآية متقدمتين محذوفتي النتيجة على تقدير: إذا كان حال المرسلين وأمرهم ما نلتوه عليك، وأنت مرسل إلى قومك كما أرسل المرسلون إلى قومهم، فلا عجب أن تجري مع قومك مجرى أمرهم مع قومهم، والإشارة بذلك إلى معنى قوله: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٣).

إن قيل ما فائدة اقتراح التلاوة بالحق؟

قيل: قوله: بالحق في موضع الحال، كأنه قال: وهو الحق، وعلى تحمل عندي قوله: رب أحق بالحق.

١ - سورة: الإسراء: الآية (٤٤).

٢ - سورة هود : الآية (١٢٠).

٣ - سورة الأحقاف : الآية (٣٥).

قوله - عز وجل :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

الآية : (٢٥٣) - سورة البقرة .

إن قيل: على أي وجه تفضيل بعضهم على بعض؟

أبتخصيص بعضهم بمنحة؟ كقولك: "فضلت فلاناً في العطاء؟ أو بالحكم والقول"، كقولك: "فضلت زيداً على عمرو في العلم" ؟ قيل: بالأمرين جميعاً، فإن الله تعالى جعل لمن رشحه للنبوة فضائل خصه بها، ابتداء وفضائل هداه إليها ليصيبها، فما خصهم به أن جعل كل واحد في نفسه وأخلاقه معروى من عاهة تشينه، وأيده بأنواع كرامات وزيادة معاون تشرح صدره، وحدد عليه في كل وصايا تسدده، وعاتبه في أذى زلة ظهر منه، فهذا التفضيل الذي جعله ابتداء، وأما تفضيله لهم بالحكم، فعلى حسب ما يظهر من أفعالهم، فمعلوم أنه ليس حظ يونس - عليه الصلاة والسلام - حيث حذر نبينا - عليه الصلاة والسلام أن يكون مثله في الصبر بقوله:

﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾^(١) كحظ الذين حثه علي الاقتداء بهم في قوله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾^(٢)، فالتفضيل يحصل بالأمرين، وللتفاضل بينهم قال عليه الصلاة والسلام: «فضلت على الأنبياء بست : أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وختم بي النبيون، وأرسلت إلى الناس كافة»...^(٣)

١ - سورة القلم : الآية (٤٨).

٢ - سورة الاحقاف : الآية (٣٥).

٣- الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فتلت في يدى (الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ج : ١٣ ص ٢٠٩ ، وأخرجه البغوي في شرح السنة ج : ١٣ ص ١٩٨ ، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج : ١ - ص ٢٥٠ ، ج : ٢ ص ٢٤٠ ، ص ٢٥٠ ، ٤١٢ ، ٤٤٢ ، ٥٠١ ، ج : ٥ ص ١٤٥ وأخرجه البيهقي في سننه ج : ٢ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم ٣١٩٠١ وأورده الهيتمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج : ١ ص ٧٢ ، ج : ٢ ص ٩٠ و ج ٨٠ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

ولما كانت هذه الأشياء موهبية لا مكتسبة، قال عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»^(١) تنبيهاً أن الفخر لا يستحق إلا بالمكسوب دون الموهوب، ونحو هذه الآية في تفضيل بعض الأنبياء على بعض قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبْرًا﴾^(٢).

وهذا حكم في الملائكة بقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ قيل إشارة إلى النبي ﷺ، فإن قيل: ولم لم يصرح بذكره أو بوصفه، كما فعل بموسى وعيسى؟ قيل: تقدم أن مورد كلام الله تعالى مورد خطاب الناس فيما بينهم، ولما كان المستحسن في بعض المواضع أن يذكر المدوح المخاطب تعريضاً، فيكون أبلغ من التصريح لما جرى من عادتهم أن مدح المواجهة هجاء، والثناء في الوجه قبيح، وتارة لأن الإطراء قد يدعو إلى الغفلة، وتارة لكون المدوح بذلك المدح مستغنى به عن ذكره كما قال الشاعر:

وَرَأَيْتُ فِي بَنِي ثَنَائِكَ جَاهِدًا وَقَدْ عَلِمْتَ أضعَافَ ذَاكَ الْخَلَائِقُ
كَمَنْ قَالَ إِنَّ الثَّلْجَ أبيضٌ باردٌ وَأَنْ شِهَابَ النَّارِ أَحمرٌ حَارِقُ
وَهَذَا وَهَذَا بَيْنَانِ كِلَاهُمَا لِمَنْ هُوَ رَائِي وَلِمَنْ هُوَ ذَائِقُ^(٤)

وروح القدس إشارة إلى ما خص به عيسى مما كان يحيى به الموتى ملكاً، أو قوة، أو اسماً من أسمائه أو علماً، وقد فسر بكل ذلك، وسمي جبريل - عليه السلام - روح القدس، والروح الأمين في قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾^(٥)، وفي قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦).

١ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه كما أخرجه الترمذي في سننه، وقال: حسن صحيح والحديث رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج: ٧ ص ٥٧٢، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم ٣٢٠٤٠، وحديث رقم (٣٣٦٨٢).

٢ - سورة الإسراء - الآية: (٥٥).

٣ - سورة الحج - الآية: (٧٥).

٤ - الأبيات ذكرها الراغب في مجمع البلاغة بدون نسبة في باب: "الإطراء والثناء والشكر" ص ١٨٣، تحقيق: الدكتور/ عبد الساريسي.

٥ - سورة الشعراء: الآيتان (١٩٣، ١٩٤).

٦ - سورة النحل: الآية: (١٠٢).

إن قيل: على أي وجه قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْعَلُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، وكيف قال: ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾، ولفظة ﴿لَكِنْ﴾ هي للتدارك، فما المتدارك هاهنا؟

قيل: ذكر تعالى أنه لو شاء أن لا يقتتلوا الفعل، ولكن أراد ذلك لأنهم اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فكانت الحكمة تقتضي أن يؤمر المؤمنون بقتال الكافرين، ففي قوله: ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾، حذف على سبيل الاختصار تقديره "لكن شاء فإنهم اختلفوا، أو الاختلاف كالسبب لتلك المشيئة، فإن قيل: وما معنى تكرير: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْعَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾؟

قيل: أما الأول: فلأنه أمرهم بالاققتال، لأنهم اختلفوا، وفي الثاني: ذكر أنه لو شاء لم يكن منهم اقتتال على وجه لابعده ولا قبله، أما لأنه لم يكن يعطيهم القوة أو يميتهم قبل القتال، أو كان يمنعهم بمرض أو بسبب من الأسباب، ويجوز أن يريد بالاققتال الأول: الاختلاف المؤدي إلى الاقتتال على طريقة ما يقال بين القوم، اقتتال: أي اختلاف يؤدي إلى ذلك، والمعنى لو شاء الله ما اختلفوا وكانوا أمة واحدة، كقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١)، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٢) الآية..

وبالاققتال الثاني حصول المحاربة بينهم..

إن قيل: ما الفرق بين المشيئة والإرادة؟

قيل: أكثر المتكلمين لم يفرقوا بينهما وإن كانتا في أصل اللغة، وفي الحقيقة مختلفتين وذلك أن المشيئة أصلها من شئ، والشئ اسم للموجود، والمشيئة قصد إلى اتخاذ الشئ، ثم يقال: شاء الله كذا أي أوجده بعد أن لم يكن موجوداً، وقال بعضهم: الشئ والشاء من أصل واحد، وقلب الفعل، واستدل

١- سورة المائدة - الآية : (٤٨).

٢- سورة هود - الآية : (١١٨).

على ذلك بقولهم : أشياء، وتأخير الهمزة فيه وإن كان أكثر أهل التصريف ينكرون ذلك، لكونها غير مصروفة، ويقولون كان فعلاً كطرفاء، فقلب، فصار على أمعاء، ومن اعتبر هذا الاعتبار بقول الواو والياء، لاعتبار ما عناهما، فكل واحدة منهما يعرض الانقلاب إلى الأخرى على حسب ما يقتضي خفة اللفظ وثقله أو التفريق بين معنيين، وأما الإرادة، فمصدر أراد، أي طلب، وأصله أن يتعدى إلى مفعولين، لكن اقتصر على أحدهما في التعارف، وفي الأصل لا يقال إلا لأن تطلب ممن يصح منه الطلب كالإطلاب، فإن بدل منه هذا الاعتبار في التعارف، وصار لطلب الشيء والحكم بأنه ينبغي أن يفعل أولاً يفعل، وإذا استعمل في الله، فهو للحكم دون الطلب، إذ هو تعالى منزّه عن الوصف بذلك^(١).

١- قال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن : والمشية عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواءً ، وعند بعضهم المشية في الأصل : إيجاد الشيء وإصابته ، وإن كان قد يستعمل في التعارف موضع الإرادة ، فالمشيئة من الله تعالى هي الإيجاد ، ومن الناس هي الإصابة ، قال : والمشية من الله تقتضي وجود الشيء ، ولذلك قيل : (ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) ، والإرادة منه لا تقتضي وجود المراد لامحالة ، ألا ترى أنه قال : (يريد الله يكمل السر ولا يريد بكم العسر) (البقرة / ١٨٥) ، (وما الله يريد ظلماً للعباد) (غافر - ٣١) ، ومعلوم أنه قد يحصل العسر والتظالم فيما بين الناس ، قالوا : ومن الفرق بينهما أن إرادة الإنسان قد تحصل من غير أن تتقدمها إرادة الله ، فإن الإنسان قد يريد أن لا يموت ويأبى الله ذلك ، ومشيته لا تكون إلا بعد مشيئته بقوله : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) (الإنسان / ٣٠) ، روى أنه لما نزل قوله : (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، (التكويد / ٢٨) ، قال الكفار : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) ، وقال بعضهم : لولا أن الأمر كلها موقوفة على مشيئة الله تعالى ، وأن أفعالنا معلقة بها ، وموقوفة عليها لما أجمع الناس على تعليق الإستثناء به في جميع أفعالنا نحو : (ستجدني إن شاء الله صابراً) (الكهف / ٦٩) ، (وستجدني إن شاء الله من الصابرين) (الصافات / ١٠٢) ، (يأتيكم به الله إن شاء) (هود / ٢٣) ، (ادخلوا مصر إن شاء الله) (يوسف / ٦٩) ، (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرراً إلا ماشاء الله) (الأعراف / ١٨٨) ، (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) (الأعراف // ٨٩) ، (ولاتقولن لشيئ إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) (الكهف / ٢٤) .

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الآية : (٢٥٤) - سورة البقرة .

قد تقدم الكلام في معنى البيع والشراء، وإن كل واحد منهما يوضع موضع الآخر، ومبايعة الولاية من ذلك، والبيعة يجوز أنها سميت بذلك نظراً إلى نحو معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) الآية، كأنه الحالة التي يتبع الإنسان نفسه فيها من الله فسمي المكان الذي يحصل ذلك فيه بها، والخلل انفراج الشئئين، يقال: خللته: أي أصبت خلله، فاستعير منه الخليل، إما لتخلل كل واحد منهما قلب الآخر كما قيل: الحبيب لوصول كل واحد منهما إلى حبة قلب الآخر..

قال الشاعر:

قَدْ تَخَلَّلَتْ مَسَلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا^(٢)

أو لأنه تخلل أحوال الآخر، وعرف سرائره، ولهذا قيل أطلعت على عَجَزِيٍّ، وتحري فيهما عرقين في البطن، وبهذا النظر قال الشاعر:

لَا تَكْتُمَنَّ ذَاكَ الطَّبِيبَ وَلَا الصَّدِيقَ سِرَّكَ الْمَكْتُومًا^(٣)

أولاعتبار افتقار كل واحد منهما إلى الآخر، وبهذا النظر قيل: الصديق للإنسان ضروري، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٤) على الاعتبار الأخير، وهو افتقاره إلى الله - عز وجل - في كل حال، كما أخبر عن موسى بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٥)، وبهذا الفقر أشرف غنى،

١ - سورة التوبة : الآية (١١١).

٢ - البيت لبشار بن برد وبعدة:

فلذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكنت كنت الغليلا،

وهي في ديوان بشار - ح : ٤ ص ١٦١، كما في أدب الدنيا والدين ص ١٤٦ وأورده الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز - ج : ٢

- ص ٥٥٧ ولم ينسبه ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٢٩١.

٣ - لم أهتم إلى نسبته . ٤ - سورة النساء : الآية (١٢٥).

٥ - سورة القصص : الآية (٢٤).

بل أشرف فضيلة يكتسبها الإنسان، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك»^(١).

حث الله تعالى المؤمنين على مارزقهم من النعمى النفسية والبدنية والخارجة، وإن كان الأظهر في التعارف وإنفاق المال، لكن قد يراد به بذل النفس والبدن في مجاهدة العدو والهوى وسائر العبادات كما تقدم في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾^(٢)، ولما كانت الدنيا دار اكتساب وابتلاء، والآخرة دار ثواب وجزاء، بين أن لا سبيل للإنسان إلى تحصيل ما ينتفع به في الآخرة ابتداءً، وذكر هذه الثلاثة لأنها أسباب اجتلاب المنافع المقصود إليها أحدها المعاوضة، وأعظمها المبايعة، والثاني: ما يناله بالمودة، وهو المسمى الصلات والهدايا، والثالث: ما يصل إليه بمعاونة الغير، وذلك هو الشفاعة فبين تعالى أن من لم يكتسب في الدنيا ما ينتفع به في الآخرة لم يحصل له ذلك في الآخرة، وعلى هذا قال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾^(٣)، وقوله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾^(٤)، وفي الآية قول آخر وهو أن الناس في عبادة الله تعالى على ثلاثة أضرب، سابق حصل له منزلة الخلّة، والمحبة المقصود إليها بنحو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٥)، وغيره من الآيات التي تجري مجراها، وهو الذي يعبد الله لا لرغبته، ولا رهبة، ولا لطلب مثوبة، ومقتصد حصل له منزلة المبايعة المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٦)، وفي قول النبي ﷺ :

١ - هذا ليس من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو من دعاء عمرو بن عبدة انظر : جواهر الألفاظ ص ٥، ومجمع البلاغة للراغب - ج ١ - ص ٣٤٦، ومفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩١، ص ٦٤٣.

٢ - سورة البقرة : الآية (٢٤٥).

٣ - سورة البقرة : الآية (١٢٣).

٤ - سورة إبراهيم - الآية : (٣١).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢٢٢).

٦ - سورة التوبة : الآية (١١١).

«الناس غاديان: مبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها»^(١) وهو الذي يعبد الله خوف عقاب ورجاء ثواب، وظالم لنفسه، وهو المؤمن المقصر في استفادة المنزلتين المتقدمتين المتواكل في علمه وعمله المذكور في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(٢)، وهو المستحق للشفاعة المذكور في قوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(٣)، فبين تعالى أن من لم يحصل له إحدى هذه المنازل الثلاث فلا سبيل له إلى اكتسابها في الآخرة، وقوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، لما كانت العدالة بالقول المجمل ثلاث:

عدالة بين الإنسان ونفسه، وعدالة بينه وبين الناس، وعدالة بينه وبين الله تعالى، كذلك للظلم ثلاثة في مقابلتها وأعظم العدالة ما بين الإنسان وبين الله وهو الإيمان، وأعظم الظلم ما في مقابلته وهو الكفر، فلذلك قال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، أي هم المستحقون إطلاق هذا الوصف عليهم بلا مثوبة..

إن قيل: كيف تعلق قوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بما قبله؟

قيل: لما نفى أن يكون للكفار شئ مما ذكره في الآخرة، بين أن ذلك ليس بظلم منه لهم، لكن هم الظالمون إذ هم الذين خسروا أنفسهم..

إن قيل:

كيف نظم هذه الآية مع التي قبلها؟

قيل: لما بين في الأولى أن منهم من آمن ومنهم من كفر، خوف المؤمنين أن يتحروا ما يخشى منه

١- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن كعب بن عجرة - ج: ٣-ص ٣٢١، ولفظة: (الناس غاديان، فبائع نفسه فموبقها، ومبتاع نفسه فمعتقها) وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد - ج: ٢-ص ٣٠٢، كما أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب - ج: ٢-ص ١١، ج: ٣-ص ١٩٤ من حديث كعب بن عجرة.

٢- سورة النساء: الآية (٦٩).

٣- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٢-ص ٢١٢، وأخرجه ابن ماجه في باب الزهد - ص ٣٧، كما أخرجه الترمذي في باب القيامة - ص ١١، وأخرجه الدارمي في السنة - ص ٢١.

اجتلاب الكفر، وهو ترك الإنفاق على ما تقدم قوله..

قوله - عز وجل :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ الآية: (٢٥٥) - سورة البقرة.

قد تقدم أنواع الحياة، وأن أشرفها الحياة الأبدية في الآخرة، وإذا وصف الباري - عز وجل - بها، فمعناه الدائم الذي لم يزل ولا يزال، ولا يصح عليه الموت بوجه، والتحية بذل الحياة فإذا قيل: "حياك الله"، فمعناه : خولك الحياة، وكذا إذا قيل: "حياك فلان"، غير أن الأول إعطاء بالفعل ، والثاني بالقول وكذلك التسليم إعطاء السلامة على أحد الوجهين، والقيوم فيعول، وقيام: فيعال، وكذلك واوه، لأن الواو والياء إذا اجتماعا والأولى ساكنة، قلبت الواو ياء، وعلى ذلك "ليار"، ولو كان فعلها لقليل قوام، ودوار "يقال قام كذا" أي دام، وقام بكذا، أي حفظه، والقيوم في وصفه تعالى هو الدائم الحافظ للعالم وجواهره وأعراضه، والقصد بمعناه إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(١)، ومن قال : القيوم بالشئ: العالم به، فصحيح أيضاً، لأن حفظ الشئ يقتضي المعرفة به، ولهذا قيل للمعرفة الحفظ، ولضدها النسيان، وأصل النسيان الترك، والأخذ يعبر به عن الاستيلاء على الشئ، والقهر يقال: أخذته الحمى، وفلان مأخوذ ومقهور، والسنة: عبارة عن الفتور والغفلة، والنوم يفسر على أوجه كلها صحيح، الأول: أنه استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه، وذلك بالنظر الطبي، والثاني : أن يتوفى الله النفس من غير موت، وهو الذي قال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٢)، وقيل: ترك الروح: استعمال الحواس من خارج إجماعاً لها^(٣)، وسئل^(٤) بعض

١ - سورة فاطر : الآية (٤١).

٢ - سورة الزمر الآية (٤٢).

٣ - أجم الإنسان والفرس ونحوهما: استراح، فذهب إعياءه، وأجم الأمر: دنا وحان، ويقال: أجمت الحاجة، وأجم الفراق. والماء ونحوه

تركه يتجمع، المعجم الوسيط- مادة : جم.

٤ - في المخطوطة: (وسبيل)، وهو خطأ من الناسخ.

الحكماء عن الفرق بين النوم والموت، فقال: الموت نوم ثقيل، والنوم موت خفيف، ولما كان النوم يقتضي السكون، قيل لمن يسكن إلى إنسان أو شئ استنام إليه، وإلى مقتضاه أشار بشار بقوله:

إِذَا أَيْقَظَتْكَ حُرُوبُ الْعَدَا فَتَبَّ لَهَا عَمراً ثُمَّ نَمٌ^(١)

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قيل: الماضي، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المستقبل، وقيل على العكس من ذلك، وهذا الاختلاف لاختلاف تصور ما اعتبر به الخلف والقدام، ولهذا يقال: خلفت كذا لما قضيته، وخلفي كذا لما لم تفعله بعد، وعلى ذلك قيل: وراءهما: الخلف والقدام، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة، وقيل بالعكس من ذلك، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المحسوس، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المعقول، وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المحسوس والمعقول، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الغيوب التي لا سبيل للإنسان إلى معرفتها، والكرسي في تعارف العامة اسم لما يقعد عليه، وهو في الأصل منسوب إلى الكرسي أي الملبد، والكراسة للمتكرسة من الأوراق، والكروس: للمتراكب بعض أجزاء رأسه على بعض لكبره، والكرياس: الكنيف المكرس بالفناء إلى السطح، وروي ابن عباس: أن الكرسي: العلم، وليس ذلك بتعبد من حيث الاشتقاق نسبة إلى الأوراق التي تثبت فيها العلوم، كقولك: كراسي، وقيل: كراسيه: أصل ملكه، وكراسي القوم معتمدتهم، وأنشد:

تَخَفُّ بِهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ وَعَصَبَةٌ

كَرَاسِيٌّ بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَتَوَّبُ^(٢)

- ١ - البيت لبشار بن برد وهو في ديوانه ج : ٤ - ص ١٨٢ وهو من قصيدة مطلعها :-
وتنبئت قوماً بهم جنة يقولون من ذا وكنت العلم
وقال يمدح عمر بن العلاء - وذلك كما يقول الحسن الكرمي في « قول على قول » - ج : ١٢ ص ٢٨. ومنها:
إِذَا مَا عَدِمْتَ فَأَحْيِ السَّرَى إِلَى ابْنِ الْعَلَاءِ طَبِيبِ الْعِلْمِ
دَعَانِي إِلَى عَمْرٍ جُودِهِ وَقَوْلِ الْعَشِيرَةِ بَعْرِ خُضْمِ
وَلَوْلَا الَّذِي خَبَّرْنَا لَمْ أَكُنْ لَأَمْدَحُ رِيحَانَةَ قَبْلِ شَمِ
إلى أن يقول : نصيحاً ولا خير في المتهم
فقل للخليفة إن جنته

إِذَا أَيْقَظَتْكَ

- وانظر : مخطوط الدر الفريد وبيت القصيد- محمد بن أيذر - ج : ١ - ص ٣٠٤.
٢- قال الطبري في تفسيره : رواية هذا البيت في أساس البلاغة للزمخشري عن قطرب : به في موضع (بهم) لم ينسبه . قال : ويقال للعلماء : « الكراسي » عن قطرب ، وأنشد البيت ج : ٥٠ - ص ٤٠٢. وأورده أبو حيان في البحر المحيط - ج : ٢ ص ٢٨٠ ولم ينسبه وأورده الزمخشري في أساس البلاغة مادة (كرس) وأورده الماوردي في النكت والعيون - ج : ١ ص ٣٢٥.

وقيل: كرسية : مملكته، وقيل: اسم الفلك المحيط بالأفلاك، ويشهد لذلك ما روي أبو ذر عن النبي ﷺ قال: (ما السماوات السبع في جنب الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة)^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: (الكرسي أولؤه طولها لا يعلمها العالمون، وأعظم من سبع سماوات وسبع أرضين، وهو من خير الجواهر)^(٢)، وعن ابن عباس أن رجلاً أتاه، فسأله ثلاث مرات عن هذه الآية، وعن قول الله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(٣)، فلم يرد عليه شيئاً، فلما خف عنه الناس، قال له الرجل: ما منعك أن تجيبني؟

فقال: «وما يؤمنك إن أخبرتك أن تكفر؟ سماءٌ تحت أرض، وأرض فوق سماء، مطويات بعضها فوق بعض، يدور الأمر بينهما»^(٤) والخبر الأول يدل أن جوهر الكرسي والسماء أشرف مما عرفناه، والخبر الأخير يدل على أن الفلك كرويٌّ، وما روى أن الكرسي موضع القدمين، وأن له أطيافاً كأطياف الرحل الحديد فصحيح^(٥)، ومعناه لا يخفي على من عرف الله عز وجل - وعرف الأجرام السماوية

١ - الحديث عن أبي ذر : قلت : يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال (آية الكرسي) ، ثم قال : يا أبانر : ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة (أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٥١١ ، وأخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٧٧ وأورده ابن كثير في تفسيره ج : ١ - ص ٣٠٩ : ص ٣١٠ من حديث أبي ذر وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وقال صححه ابن حبان ، وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح ، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٥٩ ، ص ٧٠٦ ، وأورده القرطبي في تفسيره من رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر وقال : أخرجه الآجري وأبو حاتم البستي في مسنده والبيهقي، وذكر أنه صحيح تفسير القرطبي ج : ٢ - ص ١٢٠١ : ص ١٢٠٢ .

٢ - الأثر أورده ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية (١٢ - سورة الطلاق) ، فقال حدثنا ابن حميد بسنده إلى سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس «الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن» الآية ، فقال ابن عباس : ما يؤمنك أن أخبرتك بها فتكفر : وأورد ابن كثير ما رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات في هذا الأثر عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وأدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسى كعيسى ثم أورد قول البيهقي فيه : إسناد هذا عن ابن عباس صحيح ، وهو شاذ لأعلم لأبي الضحى عليه متابعاً ، والله أعلم تفسير القرآن العظيم - ج : ٤ - ص ٢٨٥ .

٣ - سورة الملك : الآية (٣) .

٤ - هذا حديث رواه ابن كثير عن ابن جرير في تفسيره ج : ١ - ص ٣٠٩ كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري رواية عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس ورواية عن ابن المنذر بإسناد صحيح عن أبي موسى انظر : فتح الباري - ج : ١٢ - ص ٥٢٦ .

٥ - الحديث أورده ابن كثير في تفسيره بسنده إلى عمر رضي الله عنه قال : (أتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة قال : فعظم الرب تبارك وتعالى وقال : « إن كرسية وسبع السموات والأرض وإن له أطيافاً كأطياف الرحل الحديد من ثقله » ، وقد رواه البزار في مسنده المشهور، وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما ، والطبراني وابن أبي عاصم وفي كتاب السنة لهما والحافظ الضياء في كتابه المختار من حديث أبي اسحق السبعي عن عبد الله بن خليفة وليس بذاك المشهور وفي سماعه من عمر نظر وقال ابن كثير : ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً ، ومنهم من يرويه عن عمر مرسلًا . ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة ومنهم من يحذفها تفسير القرآن العظيم ج : ١ - ص ٣١٠ .

ومجازات اللغة، ونظر من المعنى إلى اللفظ لا من اللفظ إلى المعنى، ومن لم يعرف ذلك فحقه أن يسلم اللفظ للرواية دون تكذيب الآية، ويترك الخوض فيما لا يعلم اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، وليس في إثبات الكرسي له إثبات كونه جسماً محدوداً، كما أنه ليس في إثبات البيت له إثبات كونه ساكنة وليس في نسبة القدم إليه إثبات جارحة، كما أنه ليس في قوله - عليه الصلاة والسلام في وصف أولياء الله عز وجل- "أَكْرَنَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَعَيْنَهُ الَّتِي يَبْصُرُ بِهَا، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا"^(٢)، إثبات جارحة، ولا يؤوده- لا يثقله أصله من الأول العوج، ولما جرت العادة أن متحمل الثقل يعوج في الممر استعير (أده) كذا للثقل، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ معناه: الله هو الذي يحق له العبادة لا غير، وقيل: الله الذي ولدت الأشياء كلها له، وذلك أنه مامن إنسان مؤمن وكافر، بل مامن حيوان إلا إذا نابته نابية شديدة اعتمد عليه، وله إليه، ولهذا قيل: "الله محبوب الأشياء كلها إما بطبعها، وإما بقصدها"^(٣)، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تأكيد لما اقتضاه الحي القيوم- تنبيهاً أنه وإن شارك الأحياء في الاسم، فقد فارقتها في الحقيقة، إذ كان سائر الأحياء لا ينفك من غفلة ونوم..

إن قيل: كيف خص بملكه ما في السماوات والأرض، وذلك يوهم أن ليس له السماوات والأرض؟

قيل: لم يرد بقوله (في السماوات والأرض) معنى الشئ في الوعاء وفي المكان، وإنما يريد ما تركب منه السماوات والأرض من الجواهر والصور والأعراض والصنع، فصار ذلك من وجه أبلغ من قولك (له السماوات والأرض)، إذ قد يحصل للمالك ما ليس بمصنوعه، على أننا لو نظرنا من حيث

١ - سورة البقرة : الآية (١٦٩).

٢ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه - ج : ٨ - ص ١٠٥ (باب التواضع) ، وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج : ١٧ - ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ بسنده إلى أبي هريرة ، وأورده النووي في رياض الصالحين في باب .

علامات حب الله تعالى للعبد - ص ١٣٩ ، وورد في كتاب : الأحاديث القدسية - ج : ١ - ص ٨١.

٣ - هذا من قول بعض الحكماء ، وأورده الثمين الحلبي في كتابه المخطوط عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ في مادة (أله) كما

ذكر ذلك صفوان داوودي في تحقيقه لكتاب مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٣.

نظرت، لم يكن يقتضي ذلك ما ذكر، لأنه لما قصد تعالى تعريفنا قدرته، ذكر لنا ما يمكننا إدراكه لنستدل به على ما لا نعرفه والإحاطة بالسموات والأرض لا سبيل لنا إليها، وقد تقدم أنفاً حقيقة الشفاعة^(١)، وذكر مستحقيها، وأن ذلك لمن كان منه تقصير في العلم والعمل، غير أنه لم يخرج عن خطر الشريعة وعن الائتمار لرسل الله وخلفائهم من أهل العلم في الاعتماد الوصول وكون ما جاعوا به حقاً، وهم الذين أذن تعالى في الشفاعة فيهم، وعناهم بقوله:

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾، نفي تعالى عنا الإحاطة بشيء من علمه، وكيف يمكن لنا ذلك، وقد علم أن المحيط بنا علماً، كما قال - عز وجل: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٣)، ومن المحال أن يكون المحيط بكل شيء يحيط به شيء، وقوله: ﴿مِّنْ عِلْمِهِ﴾ على وجهين: أحدهما مما يعلمه، وهو ويكون العلم مضافاً إلى الفاعل، والثاني: أن يعلمه الخلق ليكون مضافاً إلى المفعول به، أي لا يحيطون أي يعلموه تنبيهاً أن معرفته على الحقيقة متعذرة، بل لا سبيل إليها، وإنما غايتها أن يعرف الموجودات، فيتحقق أن ليس إياها، ولا شيئاً منها، ولا شبيهاً بها،

١ - أورد الراغب معنى الشفاعة في : مفردات ألفاظ القرآن فقال : الشفاعة : الانضمام إلي آخر ناصراً له وسائلاً عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى . ومنه : الشفاعة في القيام . قال تعالى : (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) (مريم / ٨٧) ، ، (من يشفع شفاعة حسنة) (النساء / ٨٥) (ومن يشفع شفاعة سيئة) (النساء / ٨٥) ، أي : من انضم إلي غيره وعاونه ، وصار شفعاً له ، أو شقيقاً في فعل الخير والشر ، فعاونه وقواه ، وشاركه في نفعه وضره ، وقيل : الشفاعة ههنا : أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير ، أو طريق شر فيقتدى به ، فصار كأنه شفع له واستشفعت بفلان علي فاذن فتشفع لي ، وشفعه : أجاب شفاعته ، ومنه قوله عليه السلام (القرآن شافع مشفع) ، والشفعة هو طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه . وهو من الشفع ، وقال عليه السلام « إذا وقعت الحدود فاشفعة » مفردات ألفاظ القرآن - الراغب - ص ٤٥٧ ، ص ٤٥٨ - تحقيق صفوان داوودي .

٢ - سورة الأنبياء : الآية (٢٨) .

٣ - سورة الطلاق : الآية (١٢) .

بل هو سبب وجود جميعها، وأنه يصح ارتفاع كل ماعداه مع بقائه تعالى، وبهذا النظر قال أبو بكر- رضي الله عنه- «سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته»، وقال بعض الأولياء: «غاية معرفة الله أن تعلم أنه يعرفك لا أنك تعرفه»، ولهذا قيل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^(١)، وقال أمير المؤمنين:

«تجلى لعباده في القرآن من غير أن يروه، وأراهم نفسه من غير أن يتجلى لهم»،^(٢) وقوله: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أي : إلا بما شاء أن يفهم عليه من القليل الذي قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣)، ثم أكد بما فيه عليه بقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ بقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، أي إذا كان علمه ومملكته وقدرته محيطة بهذه الأشياء والإنسان بعض هذه الأشياء، فكيف تصح إحاطته بمن هو محيط بهذه الأشياء وهو يعجز عن الإحاطة بها، والعلي هو القاهر فوق عباده، وقيل: العلي عن النظير، وقيل: القادر على حفظه، وقيل: القائم به، وكل ذلك راجع إلى التنبيه على قدرته وسلطانه، وأن ماعداه مستحق للإضافة إليه.

١ - سورة الحديد : الآية (٢).

٢ - أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٣١.

٣ - سورة الإسراء : الآية (٨٥).

قوله - عز وجل :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الآية : (٢٥٦) - سورة البقرة .

الغي كالجهل، إلا أن الجهل يقال اعتباراً بالاعتقاد والغي اعتباراً بالأفعال، ولهذا يقال: الجهل
بالعلم، والغي بالرشد، ويقال لمن أصاب رشداً، ولمن أخطأ غوى، وعلى هذا قال الشاعر:

وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَنَّمَا ^(١)

والطاغوت وزنه (فعلوت)، نحو جبروت، وأصله طغوت، لكن قلب لام الفعل نحو: صاعقة
وصاقعة، ثم قلب الواو ألفاً لتحركه وانفتاح ما قبله، ويسمى كل ما يصرف عن الله عز وجل- طاغوتاً
وشيطاناً كان أو إنساناً، ولهذا روي عن عمر ومجاهد وقتادة أنه الشيطان^(٢)، وعن ابن جبير أنه
الكاهن، وعن أبي العالية أنه الساحر، وعن غيرهم أنه صنم، وقيل: هو المارد من الناس والجن، وكلهم
صارفون للإنسان عن طريق الحق، وقد تقدم أن النهي عن اتباع الطاغوت والشيطان، وإبليس والهوى

١- هذا شطر بيت للمرقش الأصغر ، وشرطه الأول :

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم علي الغي لأنما
واسم المرقش الأصغر ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، والمرقش الأكبر عمه ، واسمه : عمرو سعيد بن مالك ، وكلاهما شاعر
جاهلي ، وكان المرقش الأصغر أحد عشاق العرب المشهورين وفرسانهم في الجاهلية .
والبيت من قصيدة له في المفضليات من (ص ٢٤٤ - ٢٤٧) في أربعة وعشرين بيتاً ، ومطلعها :
ألا يا أسلمي لاصرم لي اليوم فاطماً ولا أبداً مادام وصلك دانما
والبيت في الأغاني - ج : ٥ - ص ١٨٤ ، ومحاضرات اليوسي - ج : ٢ - ص ٤٨٧ ، والمشوف المعلم - ج : ٢ - ص ٥٥٥ ، كما أورده
الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٦٢٠ ، وهو أيضاً في لسان العرب - مادة : غوى .

٢- قال الراغب في المفردات : « الطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله ، ويستعمل في الواحد والجمع ، ويسمى الساحر
والكاهن والمارد من الجن ، والصارف عن طريق الخير طاغوتاً ، وزنه فيما قيل : فعلوت ، نحو «جبروت وملكوت» مفردات ألفاظ
القرآن - ص ٥٢٠ ، ص ٥٢١ - تحقيق صفوان داودي . وأورد ابن كثير مارواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن
أبي إسحق عن حسان بن قائد العبسي عن عمر رضي الله عنه أن الجيت السحر والطاغوت الشيطان وأن الشجاعة والجن عراز
تكون في الرجل يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان من أمه ، وإن كرم الرجل دينه وحسبه وخلقه وإن كان فارسياً أو نبطياً ،
ثم علق ابن كثير بقوله ومعني قوله في الطاغوت إنه الشيطان قوى جداً ، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة
الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها ، تفسير القرآن العظيم - ج - ١ - ص ٣١١ ، ط . دار الفكر العربي .

والدنيا يجري مجرى واحداً في أن المقصد به النهي عما لا يرضاه الله، وقوله:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، كقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١)، وعلى ذلك حث بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٣)، والكره يقال على ضربين: أحدهما أن يكون مُقَسَّراً من خارج، وذلك على أحد الأوجه الثلاثة، إما بأن يهدد بالضرب أو يضرب حتى يفعل، وإما أن تؤخذ يده فيفعل بها، فيكون في هذا كلاله، وإما أن يدعوه من يزينه في عينه، والثاني: ما يكون مفسراً من داخل، وذلك إما بخوف يستشعره، وإما بهوى يغلبه، وقد روعي كل ذلك في تفسير الآية، فقليل فيه أوجه:

الأول: إن ذلك حث على أن لا يحمل الإنسان على الدين بالقسر، بل يعرض عليه الإسلام عرضاً ويعرف فضله، فإن قبل^(٤)؛ وإلا ترك؟ قيل: وهذا حكم كان في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بسورة براءة، وذلك عن السدي، وابن زيد^(٥)، والثاني: نحو ذلك، غير أنه خص بمن قبل منهم الجزية دون مشركي العرب، وذلك عن الحسن، وقتادة، والضحاك، وعلى هذين معناه: أمن، والثالث: أن قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾ لا اعتبار بالإكراه في الأحكام الدنيوية، فالمكره على الإسلام، وغير المكره سيان بعد أن يلتزما..

١ - سورة النازعات : الآية (٤٠).

٢ - سورة ص : الآية (٢٦).

٣ - سورة يس : الآية (٦٠).

٤ - في (و - ج) وإن قيل، وهو تصحيف.

٥ - علق الدكتور مصطفى زيد على القول بادعاء النسخ في هذه الآية : بقوله « لم يشرع القتال في الإسلام للإكراه على الدخول فيه ومن ثم لا يسوغ إدعاء النسخ على قوله تعالى (لا إكراه في الدين) لأنه عام في نفي الإكراه ، فهو خبر لا يقبل النسخ ، ولأنه إن أريد به النهي لا يعارض الأمر بالقتال ، من حيث أن غاية القتال ليست هي الإكراه في الدين ، ودعوى النسخ هنا مروية عن ابن زيد وهو شديد الضعف لا يحتج به - النسخ في القرآن الكريم دكتور مصطفى زيد ج ٢٠ - ص ٥١٠ ، ص ٥١٢ . ط-دار الوفاء - المنصورة ، وأورد السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد أوعكرمة عن ابن عباس قال : نزلت (لا إكراه في الدين) في رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو مسلماً ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرهما ، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ؟ فأنزل الله الآية - أسباب النزول - السيوطي - ص ٣٥ - دار المنار - القاهرة .

والرابع : لا حكم للكفر لمن أكره على الكفر، والدين يكون لغير الحق على هذا نحو ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (١).

الخامس: لا اعتداد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدنيا من الطاعة كرهاً، وكرهاً، فإن الله يعتبر السرائر ولا يرضى إلا الإخلاص، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:

«الأعمال بالنيات» (٢) وقال: «أخلص يكفك القليل من العمل» (٣).

السادس: ليس يحمل الإنسان على أمر مكروه في الحقيقة بما يكلفهم الله، بل يحملون على نعيم الأبد، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» (٤).

السابع: أن الله تعالى ليس بمكره على الجزاء، بل يفعل ما يشاء بمن يشاء على ما يشاء، والاستمسك طلبك إلى الغير ليمسك كالاستحفاظ والاستنصار، و﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ مستعارة للعبد المركون إليه كالحبل في نحو:

أخذت بحبل من حبال محمد، أمنت به من طارق الحدثان (٥)

١ - سورة النحل : الآية (١٠٦).

٢ - الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في بدء الوحي ج : ١-ص ٧، كما أخرجه في مواطن عديدة من صحيحه منها « كتاب الإيمان » ، « باب : ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى » ج : ١-ص ١٢٦ ، وكتاب الفضائل باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ج : ٧-ص ١٧٧ ، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة

برقم (١٩٠٧) باب قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنية»، كما أخرجه الحافظ بن رجب في جامع العلوم والحكمة - ج ١-ص ٨١ - تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور .

٣ - نص الحديث : (أخلص النية يكفك القليل من العمل) ، أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ج - ١ - ص ٥٤ ، كما أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ج - ٢ - ص ٣٩٢ ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ج ٢ - ص ٢٣٦ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ج - ١ - ص ٢٤٤ ، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم : (٥٢٥٧).

٤ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل) - كتاب الجهاد ج : ٦-ص ١٤٥ ، كما أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم (٢٦٧٧) وأخرجه البغوي في شرح السنة - ج ١١ - ص ٧٦ وأورده الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٤١٨ .

٥ - البيت قاله أبو نواس يمدح الأمين محمد بن الرشيد، ومطلعها :-

من طلل لم أشجه وشجاني وهاج الهوى أو هاجه لأوان
فطيت من دهري بظل جناحه وهيئ تري دهري وليس يراني
وقال بعده :

شرح ديوان أبي نواس ص ٤٨٠ ، مخطوط كتاب الدر الفريد - ج : ١ - ص ٢٥٢ .

ونحو:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم

شدوا العناج وشدوا فوقه الكريا (١)

فقول من قال: العروة الوثقى الإسلام، وقول من قال: «لا إله إلا الله» (٢)، وقول من قال: الثواب: الجنة، فنظرات منهم إلى مبتدئ الدين ومنتهاه، وكله صحيح.

قوله - عز وجل :

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية - (٢٥٧) - سورة البقرة.

الولي: كون الشيء بجانب الآخر، ويعتبر ذلك تارة بالمكان، فيقال له الولاية وتارة بالنصر فيقال له الولاء والموالة، لكن الولاء على ضربين باعتبار نسبة الأعلى إلى الأسفل، وضرب باعتبار نسبة الأسفل إلى الأعلى، ولهذا يقال للخادم والمخدوم مولى، وولي، لأن كل واحد منهما يوالي الآخر الخادم بالطاعة والنصيحة، والمخدوم بالإشفاق، والكناية، وقال: أهل اللغة: المولى المالك، والمملوك والمعنى والمعتق والناصر والمنصور، وابن العم والحليف والجار والقيم، وأخذوا في كل ذلك المتطابقين، لكون كل واحد منهما موالياً للآخر بوجه (٣).

١ - البيت الحطيطي وهو في ديوان الحطيطي ص ٨٦، والبيت قبله :-

قوم هم الألف والأنداب غيرهم ومن يسوى بألف الناقية الذنبا

وهو من أولى قصائده في الديوان ومطلعها :-

طافت أمامه بالركبان أوتة يا حسنة من قوام ما ومنتقبا

وفي لسان العرب ج : ٢ - ص ٢٠٩، ج : ٣ - ص ١٥٤، وفي شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٤٠، وأعجاز القرآن - للبلاقلاني بتحقيق السيد أحمد صقر - ص ١٥٥.

والعناج في الدلو الثقيلة حبل يشد تحتها ثم يشد إلى العراقي وأراد الحطيطي أنهم إذا عقدوا عقداً أحكموه وأوثقوه كإحكام عقد الدلو إذا شد عليه العناج والكرب وذلك كما في الاقتضاب - لابن السيد - ص ٣٥١.

٢ - أورد القرطبي قول السدي بأن العروة الوثقى هي الإسلام، وقول مجاهد بأنها الإيمان وقول ابن عباس وسعيد بن جببر والضحاك بأنها لا إله إلا الله، ثم علق القرطبي بقوله : وهذه عبارات ترجع إلى معنى واحد، تفسير القرطبي ج : ٢ - ص ١٢٠، ط - دار الفد العربي.

٣ - قال الراغب في المفردات : « والمولى يقال للمعتق والمعتق والحليف وابن العم والجار وكل من ولي أمر الآخر فهو وليه، مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٨٧، وقال الفراء: وكسر الواو في الولاية أعجب إلى من فتحها لأنها إنما تفتح أكثر من ذلك إذا كانت في معنى النصر، وكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النصر، معاني القرآن - ج ١ - ص ٤١٨.

والنور: عبارة عن العلم والإيمان والظلمة عن ضدهما، ووجه ذلك أنه لما كان للإنسان نظرات بنظر وتبصر، ويرى بهما البصر الحاس في الرأس والبصيرة في القلب، فكما أن البصر لا يستغنى في إدراك ما يدركه من المعقولات عن نور يمدّه وهو نور التوفيق والإيمان، ويقال لفقد البصريين عمى، وفقد النورين ظلمة، وأعظمهما ضرراً فقد البصيرة ونور العقل، ولهذا قال تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١)، فلم يعد فقد البصر عمى. بالإضافة إلى فقد البصيرة، وقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿مَنْ يُضْلِكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٤)، يعني بذلك كلا النورين والظلمتين؛ إن قيل: وهل هذا النور موهبة أو مكتسب؟

قيل: لا شك في كونه موهبة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٥)، لكن فيه للاكتساب حظ، فإن ابتداء ما يحصل ذلك للإنسان كشررة، متى لم ترع همدت، وإذا روعيت زادت، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(٦)، بين تعالى إن الله عز وجل - يوالي المؤمنين بأن يوفقهم ويهديهم، وهم يوالونه بأن يشكروه ويعبدوه، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٧)، فهو يخرجهم من الجهل والكفر إلى العلم والإيمان والثواب والكافرون، يواليهم الشيطان في إخراجهم إلى أضداد ذلك إن قيل: لم قال: أولياؤهم وما يفعل بهم الطاغوت هو بالمعاداة أشبه منه بالموالاة؟

قيل: لعمرى إن ذلك نهاية المعاداة وتسميته بالموالاة أولى لمقابلة اللفظ، وثانياً: لتحريمهم ما يقع بوفاقه، وميلهم^(٨) إلى حزبه، فجعله موالاهم في اللفظ لا في الحقيقة، ألا ترى أنه قال: ﴿أَلَمْ

١ - سورة الحج : الآية (٤٦).

٢ - سورة الأنعام : الآية (١).

٣ - سورة الحديد : الآية (٢٨).

٤ - سورة الأنعام : الآية (٦٣).

٥ - سورة النور : الآية (٤٠).

٦ - سورة محمد : الآية (١٧).

٧ - سورة المائدة : الآية (٥٤).

٨ - في (و - ج) ومثلهم وهو خطأ من الناسخ.

أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١﴾، فسماه عدواً، وعلى حد جعله أوليائهم جعلهم حزبه في قوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿٢﴾، وقال للمؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ﴿٣﴾.

إن قيل: فكيف قال هاهنا: ﴿أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾، وقال في آخر ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ﴿٤﴾.

قيل: إن من وليه الشيطان، فلا ولي له، ولا فرق بين أن يقال: وليه من نصره، وبين أن يقال: لا ولي له، وقول من قال: الله ولي المؤمنين بتوقيفه وعصمته، ومن قال بإقامة البرهان لهم، ومن قال بنصرتهم على عدوهم، وإظهار دينهم على دين مخالفيهم، ومن قال بثوابهم، فكله صحيح ومراد، لأن ذلك متلائم، وإنما اختلفت العبارات عليهم بحسب النظرات ونحو ذلك في استعمال النور والظلمة في العلم والجهل والإيمان والكفر.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿٥﴾ الآية.. إن قيل: كيف؟ قال (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) وقد قلت: النور: العلم والإيمان، والكفار لم يكونوا في هذا النور، والإخراج عن الشيء يعد لكون فيه، قيل: إن الله تعالى خلق الإنسان على فطرة، ركز فيه العلم والإيمان بالقوة، وهو المعنى بقوله: (فطرة الله)، و(صبغة الله)، وقول النبي - عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة» ﴿٦﴾، والإنسان متى أهلك ﴿٧﴾ نفسه وأفسدها بالهوى والتدليس بالجهالات، فقد أخرج من النور إلى الظلمة، وقال الحسن إخراجهم إياهم منهم من الدخول فيه كقوله:

١ - سورة يس : الآية (٦٠).

٢ - سورة المجادلة : الآية (١٩).

٣ - سورة المائدة : الآية (٥٥).

٤ - سورة محمد : الآية (١١).

٥ - سورة إبراهيم : الآية (٥).

٦ - الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب القدر - ج : ٦ - حديث ٢٦٥٨ وقد سبق تخريجه .

٧ - في (و - ج) أهل، وهو تصحيف.

﴿لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾^(١) فجعل صيانتهم^(٢) من العذاب كشفنا عنهم، وروي عن مجاهد أن ذلك في قوم ارتدوا عن الإسلام، وقيل إن ذلك نزل في قوم كفروا بعبسى ثم آمنوا بمحمد - عليهما الصلاة والسلام- فأخرجهم الله من الظلمات إلى النور، وقوم آمنوا بعبسى -عليه الصلاة والسلام-، ثم كفروا بمحمد- عليه الصلاة والسلام-، فأخرجهم الطاغوت من النور إلى الظلمة..^(٣)

إن قيل: لم قال: يخرجونهم بلفظ الجمع؟

قيل: قد قال بعضهم: الطاغوت يقع على الواحد والجمع كالفلك، ووجه ذلك من حيث المعنى أن الطاغوت إشارة إلى المضلات من الشيطان والهوى وسائر ما يضل، وقد قال بعض الحكماء ما هو كالتفسير، لذلك إنه متى يخالف العقل والهوى شيئاً ما، أعنى: مؤلماً - جميلاً ولذاً قبيحاً، يبادر الملك إلى نصرة العقل، فيصير من حزبه، والشيطان إلى نصرة الهوى، فيصير من جنده وإن استشار صالحاً من عباد الله، أشار عليه بمقتضى العقل، وإن استشار شريكاً، أشار عليه بمقتضى الهوى، ولذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٦).

١ - سورة يونس : الآية (٩٨).

٢ - في (و - ج) عن.

٣ - أورد السيوطي في أسباب النزول ما أخرجه ابن جرير عن عبدة بن أبي لبابة في قوله : (الله ولي الذين آمنوا) قال : هم الذين كانوا آمنوا بعبسى ، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وأنزلت فيهم الآية ، كما أورد ما أخرجه ابن جرير عن مجاهد قال : كان قوم آمنوا بعبسى ، وقوم كفروا به ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، آمن به الذين كفروا بعبسى ، وكفر به الذين آمنوا بعبسى ، فأنزل الله هذه الآية . أسباب النزول - السيوطي - ص ٣٥ - ط . دار المنار بالقاهرة

٤ - سورة الأنعام : الآية (١١٢).

٥ - سورة الزخرف : الآية (٣٦).

٦ - سورة : النور الآية : (٢١).

إن قيل: كيف نظم هذه الآية مع ما قبلها؟

قيل: لما قرر عظمته بالآية المتقدمة، بين في هذه أن الذي له العظمة هو مولى المؤمنين تشريفاً لهم، وتعظيماً لمكانتهم، وأن الشيطان مولى الكافرين تدليلاً لهم، فقد قالت العرب:

«أشرف الموالى أشرفهم سيداً، وأكرم السائلين أكرمهم مسؤولاً».

وعلى هذا قال الشاعر:

يضع الزيارة حيث لا يزدي بنا شرف المزور ولا بحسب الزور^(١)

قوله - عز وجل :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الآية : (٢٥٨) - سورة البقرة .

المحاجة: المقاومة في إظهار الحجة، أي محجة الرشد، والشمس اشتق عنها شمس فلان إذا نفر تشبيهاً بالشمس التي لا يمكن أن يقبض عليها، وعلى ذلك قوله:

كالشمس ضوءها قريب ولكن في تناولها بُعدٌ وقيل: شمس إذا عادى..

وذاك أن حقيقة المعادة تنافر طبع المتعاضدين بعضها من بعض من عداه إذا تجاوزته، والشمسة في القلادة تشبيهاً في الحسن والهيئة، والبهت أن تفعل بالإنسان ما يحيره، وسمي الكذب المستقبلي به الإنسان بهتاناً، لتحير صاحبه فيه..

والذي حاج إبراهيم في ربه، قيل كان نمروذ بن كنعان، وكان قد ملك الدنيا،^(٢) ويقال: إنه ما

١- البيت قائله هو حميد بن ثور - كما قال محمد بن أبيدمر في مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد في ج : ٥ ص ١٧٤.

٢- أورده القرطبي وقال : هو النمروذ بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة . وهذا قول ابن عباس ومجاهد ، وقتادة ، والربيع ، والسدي وابن إسحق ، وزيد بن أسلم وغيرهم الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج : ٢ - ص ١٢٠٧.

ملكها إلا أربعة مؤمنان: وهما سليمان، وذو القرنين، وكافران: نمرود وشداد..^(١)

إن قيل: ما الذي ادعى هذا الكافر؟

ادعى نفي الخالق؟ أم ادعى لنفسه الربوبية؟ أم الأمرين؟ فإن ادعى الربوبية، فعلى أي وجه ادعى، فبعيد أن يزعم من وجد بعد أن لم يكن أنه موجد الخلائق..

قيل: قد ذكر المخلصون في ذلك وجهين، أحدهما: أن هذا الكافر نمرود، وكان الناس حينئذ يعظمون ملكهم حتى كانوا يسمونه الرب والإله، ولهذا قيل: (الله رب الأرباب وإله الآلهة)، وكانوا يدعون له أفعالاً إلهية تقصر قدر البشر عنها، وقد حكى الفرس عن ملوكهم شيئاً كبيراً من ذلك كما ادعوا لكنخسرو أنه ألجأه عدو له إلى سفح جبل، فحملته الملائكة، وأن شابور لما حارب التنين، فأظلم عليه الدنيا، أنزل عليه ناراً، فصارت على عرف فرسه، فاستضاء بها حتى قتل التنين، وكان نمرود لما طغى سام الناس أن يعبدوه عبادتهم لله، إذ هو بزعمهم سايسهم، وملكهم، وربهم، وإلههم، فهذا أحد الوجهين، والثاني: أنه كان يذهب مذهب من يقول باللول^(٢)، أن الباري -تعالى عن ذلك- يحل في أشخاص الأئمة حسب ما ادعى بعض المنتصرة وبعض المتشيعه الملاحدة، وكان نمرود يدعي الربوبية على أحد هذين الوجهين، لا أنه ينكر رب العزة..

١ - أورده ابن كثير في تفسيره وقال: مجاهد: «ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان، وكافران، المؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: نمرود وبختنصر». تفسير القرآن العظيم - ج: ١ - ص ٣١٣.

٢ - اللول والاتحاد وهو الاعتقاد الفاسد بأن روح الإله حل في أناس بعينهم وتتحد معها، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وقد حدد الإمام عبد القاهر البغدادي فرق اللولية بعشر فرق، وفي ذلك يقول: في الفصل العاشر تحت عنوان في ذكر أصناف اللولية وبيان خروجها عن فرق الإسلام (اللولية في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الإسلام، وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع، وتفصيل فرقها في الأكثر يرجع إلي غلاة الروافض)، ثم يفصل القول في عقائد هذه الفرق الضالة في كتابه «الفرق بين الفرق»، من ص ١٩٣ إلى ص ١٩٧، وقد تناول ذلك أيضاً كل من فخر الدين الرازي في كتابه إعتقادات فرق المسلمين والمشركين، والحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه «تنزيه الاعتقاد عن اللول والاتحاد، الحاوي للفتاوى ج ٢ - من ص ١٣٣، إلى ص ١٣٧.

إن قيل: ما الذي حاج إبراهيم؟

فإن المحكي عنه ليس بأكثر من ادعى إبراهيم دعوى، فعارضه بمثلها فانتقل إلى دعوى أخرى، وإن كان ما ذكره إبراهيم ثانياً حجة، فهلا كان يعكس عليه، ويقول: فليأت ربك بشمس من المغرب، فإن الآتي بها من المشرق حتى كان لا يبيته، قيل: قد تقدم أن ما يمكنه الله عن الأمم لا يكاد يستوفي القصة من أولها إلى آخرها، بل يورد نكتة، ويشير^(١) إليها إشارة وهو لم يستوف ذكر ما حاجه به كله، وقد تقدم أن نمرود لم يدع أنني شخص وحشى موجد السماوات والأرض، وإنما كان ذلك على أحد الوجهين المتقدم ذكرهما، وكان قد ادعى أن كل ما هو داخل تحت قدرته، فهو أو مثله أو قريب منه داخل تحت قدرتي، فقال إبراهيم: ربي الذي يحي ويميت فقال أنا أحي وأميت، فأخرج رجلين من الحبس، فخلّى أحدهما، وقتل الآخر، فقال: هذا أحياء وهذا^(٢) أماته، وقد كان إبراهيم يمكنه أن يزيد أن الذي ادعاه لربه ليس هو الجنس الذي ادعيته لكن عدل إلى فعل ليس في طرق البشر هو ولا قريب منه ولا ما يشاركه اسماً، فقال: قد ثبت باتفاق أن الله يحرك الشمس من المشرق، فحرك أنت تحريكاً من المغرب، فلم يجد شيئاً يدعيه كما ادعى في الأحياء والإماته، فبهت حينئذ، وظهر عجزه إذ لم يكن من جنس إطلاع الشمس وإغرابها شئ ممكن للملوك كما ادعى الأحياء والإماته، ولم يمكنه أن يعكس ذلك، فقد كان أقر بالباري، وإنما كان يدعي أنه يفعل فعله، إن قيل: أليس العدول من حجة إلى حجة يعده أهل الجدل انقطاعاً؟ فما وجه ما فعل إبراهيم؟

قيل: أما أولاً، فما ذكره إبراهيم كان معارضة، وذلك أن الكافر ادعى أن في وسعه أن يفعل كل جنس من الفعل يفعلُه الباري - عز وجل، وذلك ادعاء حكم موجب كلي، والكلي ينقض بالجزئي، نحو أن يقال: كل إنسان كاتب، فمتى وجد إنسان غير كاتب فقد ظهر كذبه، وللمعارض إذا أراد المناقضة أن ينتقل عن مثال خفي إلى مثال جلي، ولا يكون ذلك منه انتقلاً، وهذا باب قد أحكمه أهل الجدل، على أن ذلك لو كان ابتداء حجة، لم يكن على شرط أهل النظر بمذموم، فالحجج المعدول عنها ضربان.

١ - في (و - ج) ويشين وهو تصحيف.

٢ - في (و - ج) هذا أحياء أو أماته، وما أثبتناه هو الأصح.

حجة يذكرها، ثم يتركها لظهور فسادها، وذلك مما لا يرتضيه أهل النظر، وحجة يذكرها، فيقصر فهم سامعها عن إدراكها، أو يكثر مشاغبتها فيها، فيعدل عنها إلى ما هو أوضح، إذ كان كل يتبين الحق وإزالة الشبهة، وهذا ليس بمذموم، وقوله: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ قال بعضهم: أراد إبراهيم لأن الله تعالى لا يؤتي الملك الكفرة، لأن ذلك مفسدة ينزه الله تعالى عنها، وأكثر المفسرين على أنه النمرود (١) وذلك أن السلطان من الأغراض الدنيوية، كالمال، والجاه، والأولاد، وذلك مما يؤتي المؤمن والكافر امتحاناً واختباراً... إن قيل: أليس قلت: إن الملك اسم لما فيه العدالة، فكيف يصح أن يقال ذلك لما يتوارد للكافر؟

قيل: إن الملك الحقيقي الذي يجوز للإنسان المتسمي به هو ذاك لكن الناس يستعملونه فيمن يتسلط على الناس على أي وجه كان فتسمية الله تعالى إياه بذلك إنما هو على زعمه، وزعم أتباعه، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٢)، فسماه عزيزاً لا بالحقيقة لكن على ما كان يتسمى به..

إن قيل: كيف قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، والظالم أولى بأن يهدي؟

قيل: قد تقدم أنواع الهداية وأحوالها، وأنه قد يراعى في إطلاقها مبدؤها تارة، فتستعمل في الجميع الذي يمكنهم الاهتداء، وعلى ذلك قال ﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَبُذِّمَتْهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (٣)، ومرة يعتبر منتهاها الذي هو الاهتداء، فيقال: "هدى الله المؤمنين"، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَفْرَحْ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (٤)، فقوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، أي: لا يقبلون منه هدايته لهم، وإذا لم يقبلوا منه لم يعطهم، وإذا لم يعطهم فهو لم يهدهم، وأيضاً فالظلم هاهنا منافٍ للهداية، فإنه جحود آلاء الله، والامتناع من قبولها والهداية تقتضي تحري العدالة، فإذا الهداية والظلم

١- قاله القرطبي وابن كثير بأن الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وهذا قول مجاهد، وغيره، وقال مجاهد ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران وقد سبق ذكره، تفسير القرآن العظيم ج - ١ - ص ٣١٣ ط - دار الفكر العربي .

٢ - سورة الدخان : الآية (٤٩).

٣ - سورة فصلت : الآية (١٧).

٤ - سورة الأنعام : الآية (١٢٥).

كالتضادين لا يجتمعان..

إن قيل: لم أفرد النور وجمع الظلمة، قيل: لما كان النور عبارة عن الحق، والحق من حيث ما هو حق شئ واحد لا يتنافى ولا يتناقض، والباطل من حيث ما هو باطل يتضاد ويتعاند صار فيه كثرة، ولهذا شبه الحق بالمقرطس من المرىء في أنه واحد واحد، والخطأ ما عداه، وهو كثير بلا نهاية، فلذلك أفرد النور وجمع الظلمة..

قوله تعالى :

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية (٢٥٩) - سورة البقرة .

الخوا: خلو الوعاء، يقال: خوت الدار، تخوي خواء، وخوى النجم وأخوى إذا لم يكن منه عند سقوطه مطر تشبيهاً بذلك، وأخوى أبلغ من خوى، كما أن أسقى أبلغ من سقى، وخوى جوف فلان خوى، والتخوية: ترك ما بين الشيئين خالياً..

والعرش: ما ارتفع من البناء، ويقال ذلك للسقف والسطح، وسمي السرير به تشبيهاً، أو عبر به عن أمر الإنسان، فقيل: استوى عرشه، وتل عرشه، والتعريش بناء ذلك وبه شبهه تعريش الكرم، وسمي المعرش منه عريشاً، وقيل: عرش الحمار إذا رفع رأسه وجعله كعرش، وعرشان الفرس شعر عرفه تشبيهاً بعريش الكريم..

والعام: مدة تعوم الشمس في أفلاكها المختصة بها، وذلك اعتباراً بنحو ما قال - عز وجل - ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١) والاعتيام اختيار الشئ، وأصله أن يسير الإنسان كسباح فيه يتناول ما

يريد..

ولهذا قال الشاعر

وكنت في نعمائه سابحاً..^(١)

والحمار سمي للونه اعتباراً بعامة جنسه، لأن الوحشيات منها، وكثيراً من الإنسيات حمر، فسمي بذلك كما سمي العجم حمراً، والعرب سوداً، لكون أكثرهم كذلك، وحمار السرج، والحماره لجر عظيم تشبيهاً بالحمار في الهيئة، والحمرة: طائر أحمر اللون، وحمارة القيظ أشد ما يكون حراً تشبيهاً بالجمر المتوقد لوناً، والنشز من نشزك الثوب، ونشز الريح العرف، وقاره تعدي نشر، ومصدره النشر كقوله تعالى: ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(٢)، وتارة لا يعدي، ومصدره النشر، كقوله - عز وجل - ﴿وَالْيَبِ النَّشُورُ﴾^(٣)، ويقال: أنشره، كأنه جعل له نشرأ، كقولك: (أسقاه: جعل له سقياً، ونشر الخشب، تشبيهاً بذلك، لجعل أجزاء الخشب منشورة، وإذا قرئ "ننشزها"^(٤) فمعناه: نرفعها من النشز، أي المرتفع من الأرض، ومنه نشوز المرأة أن تطيح ببصرها إلى بشر صارفة له عن زوجها.

كقول الفرزدق:

إذا جلست عند الإمام كأنها

بهارفة من ساعة يستحيلها^(٥)

١ - لم أهد إليه .

٢ - سورة الأعراف : الآية (٥٧)، وسورة الفرقان الآية (٤٨)، وسورة النمل : الآية (٦٣).

٣ - سورة الملك : الآية (١٥).

٤ - قرأ بهذا ابن عباس ، وقتادة ، والنخعي ، وذلك كما في الإملاء للعسكري - ج : ١ - ص ٦٤، والبحر المحيط - ج : ٢ - ص ٢٩٣.

والجامع لأحكام القرآن - ج : ٢ - ص ١٢١٨، وانظر : معجم القراءات القرآنية - ج : ١ - ص ٢٠٠.

٥ - البيت للفرزدق يخاطب به زوجته النوار وهي من قصيدة مطلعها :

لعمري لقد أردى نوار وساقها
إلى الغور أحلام قليل عقولها

والبيت بعده :

إذا جلست عند الإمام كأنها
ترى رفقة من ساعة تستحيلها

وهو في ديوانه ص ٤١٦، كما أورده المبرد في الكامل - ج : ٢ - ص ٤٣، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٠٦.

وكقول الآخر:

إذا الليل عن نشز تخلق رميته

بأمثال أبصار النساء القواري..^(١)

قوله: "لم يتسنه": أي لم يتغير بمرور السنين عليه، وذلك من لغة من يجعل المحذوف من السنة الهاء (سينهه وسانهه)، وقيل هو من "سانيت"، والهاء للاستراحة، وعلى هذا يجب أن يحذف إذا وصل الكلام كذا، على قول من قال: المسنون: المتغير، ويقال: يتسنى، وأصله يتسنن فعلت تخفيفاً، كقولك: "تطنيت، وتعضيت، وتسريت".

إن قيل: ما الذي شبه بالذي مر على قرية؟ وعلى ماذا عطف؟ قيل: قد قال بعضهم: إن ذلك متعلق بما بعده، وهو قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(٢) ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(٣)، وذلك بعيد لفضل "وإذ" بينهما، وقيل: الكاف زائدة، وليس بشئ، والوجه أن الكاف ههنا ليس للتشبيه المجرد بل هو للتحديد والتحقيق كما هو في قولك الاسم كزيد وعمر وعلي أنه وإن جعل للتشبيه، فعلى سبيل المثل والمشبه غير مذكور، كما أنه غير مذكور في قولهم كالْمَهْمُورَةِ إحدى خدمتيها، ويحتمل أن تكون الآية من كلام إبراهيم معطوف على ما تقدم، وهو أنه لما قال للكافر: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾^(٤)، قال له بعد: ﴿أَوُ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(٥)، أي إن كنت تحي فأحي كما أحي الله من وصفه في هذه الآية..

ويحتمل أن تكون آية مستأنفة، وضرب الله مثلين لشيئين أحدهما في ادعاء الربوبية، وهو ما تقدم، والثاني في إنكار البعث، وهو هذه، ويكون في قوله: ﴿كَالَّذِي﴾ في موضع الجر على ما تقدم،

١ - لم أهد إلى نسبه .

٢ - سورة البقرة - الآية : (٢٦٠).

٣ - سورة البقرة - الآية : (٢٥٩).

٤ - سورة البقرة - الآية : (٢٥٨).

٥ - سورة البقرة - الآية : (٢٥٩).

كأنه قال: (ألم تر إلى الذي حاج..) إلى مثل الذي مر على قرية، فإن قيل: فهل في تخصيص القصة الثانية بحرف التشبيه وإخلاء الأولى منه فائدة؟

قيل: بلى، فإن ادعاء الربوبية إنما قل في الناس، حتى إنه لم يعهد ذلك إلا في نفس أو نفسين، وقال: (ألم تر إلى الذي) والتشكل في الإحياء من الجم الغفير، فنبه بقوله: ﴿أَوَكَلَّذِي مَرٌ﴾ تنبيهاً أنه نظر إليه وإلى مثاله، وجعل ذلك مثلاً لمن نحى نحوه، كقولك للكافر: كفلان، فتأتى بواحد على سبيل المثال، ولما ذكر تعالى إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور، جعل اعتبار ذلك هذين، كأنه قال: اعتباران تثبت إبراهيم وإخراجه له من ظلمة الكفر إلى الإيمان مما جعلت له من الحجج، وإن شاء. فيمن أخرجه من شبهة البعث بما جعلت له من العيان، والذي مر على القرية، قيل كان عزيزاً عن قتادة والربيع، وقيل: "كان أرمنيًا عن وهب^(١)، وروي أنه مات ضجىً وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام، وقيل له: كم لبثت؟"

قال: لبثت يوماً، فلما نظر إلى الشمس قال: أو بعض يوم، وقيل: بدأ تعالى بعينيه، فنفخ فيهما، ثم بعظامه، فأنشزها، ثم وصل بعضها ببعض، فنظر إلى حماره، وأجزأه تجى من سهل وجبل، حتى اجتمعت فاتصل بعضها ببعض، وكسى لحمه، وجرى فيه الروح، فقام ينهق، فقال: أعلم: أي: اعترفت بقدرة الله تعظيماً له، ومن قال: أعلم، فقد قيل: هو من قول الله عز وجل - له، وقيل: هو من قوله وقد خاطب به نفسه على طريق التبكيت، وقال بعض الناس بعزوه إلى بعض الأئمة أن الإشارة بالإحياء والإماتة إلى العلم والجهل، ومعنى القرية الرجال، بدلالة قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَمْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٤)، وجعل الخوى حلواً ينم

١- أورد القرطبي قول سليمان بن بريدة وناحية بن كعب وقاتادة وابن عباس والربيع وعكرمة والضحاك أن الذي مر على القرية هو...
وقول وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الله بن بكر بن معز أنه إرهبا. وكان نبياً، تفسير القرطبي ج ٢ - ص ١٢١٢

٢ - سورة الطلاق: الآية (٨)

٣ - سورة الكهف: الآية (٥٩)

٤ - سورة يوسف: الآية (٨٢).

عن العلم والإيمان، وكذلك الإمامة والإحياء، إفادته العلم والإيمان، نحو قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾^(٢).. الآية، قال: وكان قد رأي قوماً متناهين في البعد عن العلم والإيمان، فاستبعد رجوعهم إلى الحق، فقال: ﴿أَنْتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ أي: أني يفيدهم الإيمان، فأماته الله مائة عام، ثم أحياه، وأعلمه أن الذي يقدر على إحياء الرمم عن الموت الحيواني لقادر على إحياء النفس الميتة بالجهل..

قوله - عز وجل :-

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْحَنِي أَبْنِي كَيْفَ تُخَبِّرُ الْمُرْتَى قَالَ أَوْلَمْ تَأْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

الآية (٢٦٠) - سورة البقرة .

الاطمئنان: السكوت، واطمأن، وطمأن يتقاربان لفظاً ومعنى من مكان مطمئن..

قيل: ويدل على ذلك أنه قال في مكان آخر (مخبتين)، والمخبت: المطمئن من الخبت، أي المطمئن من الأرض، وطار، وطيّر، نحو راكب وركب، و"تطايروا" أي تفرقوا، استعارة وفجر مستطير، وغبار مستطار، خولف بين بيانهما لإختلاف التصويرين في كون الفجر فاعلاً والغبار مفعولاً، وفرس مطار يقال: للسريع، ويقال لجديد، الفؤاد كأنه أطيّر قلبه، كقولهم شهم ومروع، وقوله: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَانُهُ طَائِرَةٌ﴾^(٣) أي ما يدمن أفعاله وصرته أصوره، أي أملتة وصرته: قطعتة صورة صورة، وقيل: صرّت، وصرّت: لغتان، والصوار سمي اعتباراً بالقطع كالقطيح والصرمة والصور النخل الصغار، إما لانقطاعها عن لحوق الكبار، أو كأنها مقطوعة في نفسها، والصور قيل: سمي لأن فيه صور الناس

١ - سورة الأنفال : الآية (٢٤).

٢ - سورة الأنعام : الآية (١٢٢).

٣ - سورة الإسراء : الآية (١٣).

كلها، وقيل: بل لإعادة الصورة، وذكر أبو بكر النقاش المقرئ أنه قرئ (فصرهن)^(١) بضم الصاد وتشديد الراء وفتحها من الصر، أي الشد، ومنه الصرة، وقال: قد قرئ: (فصرهن)^(٢) بكسر الصاد وفتح الراء وتشديدها، من الصرير من الصوت، أي. صح بهن، وروي أن إبراهيم مر على ساحل البحر بميعة، والسباع والطيور والحيات يتوزع لحمها، فتفكر، فسأل الله تعالى إحياء مثله، فأمره تعالى أن يأخذ أربعة طيور^(٣)، فيقطعها، فيخلطها لحومها وريشها، ويبيدها على جبال (خزاجرا)، ثم يدعوها، ففعل ذلك، فاجتمعت كلها، فتبين إبراهيم ما اعتراه فيه الشبهة، وقال بعضهم:

أمره أن يأخذ أربعة طيور، فيضعهن على أربعة جبال، ومعنى لجزء واحد منها، ثم يدعوها، فتجتمع لديه، فأشار إلى أنه كاجتماع هذه الطيور لديك، كذلك يجتمع من الجوانب الأربع الأموات، قال: ولو كان (فصرهن) قطعهن، لما قال: إليك، لأن ذلك لا تعدي بالباء..

إن قيل: لم لما سأل إبراهيم، أراد ذلك على أقرب الوجوه لما سألته عزيز، أماته مائة عام حتى تفرقت أوصاله، ونخرت عظامه؟

قيل: قد ذكر بعض الصوفية أن إبراهيم كان خليلاً، فمجاز له أن ينبسط لما سلف له من قدم صدق، فلما سأل ذلك، أعطاه سؤله في الوقت على أقرب الوجوه، ولم يكن العزيز من الخلّة ما يجور: هذا الانبساط، قلما أقدم أبلاه الله تعالى في نفسه، وأراه ذلك في ذاته، ولأن إبراهيم تضرع، وسأل، وقال أرني، وغيره أخرج الكلام مخرج المنكر المتعجب من قدرة الله عز وجل وقال: (أني يحي)، ولا يخفى ما بين اللفظين من الضراعة والغلظة، ولهذا ختم آية عزيز بقوله: ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وآية إبراهيم بقوله: ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وقال الأصم: تفهموا عن الله حجب

١ - قرأ بذلك ابن عباس وعكرمة معجم القراءات القرآنية - ج : ١ - ص ٢٠٢، ٢٠٣

٢ - قرأ بذلك ابن عباس معجم القراءات القرآنية ج : ١ - ص ٢٠٣، وكل منهما قراءة شاذة .

٣ - أورد ابن كثير مروي عن ابن عباس أنه قال أن هذه الطيور الأربعة هي : الغرنوق ، والطاووس ، والديك ، والحمامة ، وقول مجاهد وعكرمة بأنها كانت حمامة وديكاً وطاووساً وغراباً . تفسير القرآن العظيم ج ١ - ص ٢١٥ ط . دار الفكر العربي . وذكر القرطبي نحو ذلك في تفسيره ج ٢ - ص ١٢٢٤ ط - دار الفد العربي .

الرسول، إن عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله، ويريه العباد ليثبت بذلك رسالته ويخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله)، وإبراهيم كان يطلب أن يرى ما كان عيسى يريه قومه، قال: وفي هذا دليل أن الله عز وجل منع بعض الرسل من الآيات ما أعطاه بعضاً..

إن قيل: إن كان إبراهيم في هذه الحال شاكاً في البعث، فلم لما قيل له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾، والشاك في الشيء لا يجوز أن يكون مؤمناً به، وإن كان موقناً فلا معنى لقوله: ﴿وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فلا إضطراب للقلب مع اليقين، فإذا: هذا قول متناقض، قيل: إن إبراهيم كان موقناً بالبعث أنه كائن للإستدلال أولاً، وللوحي ثانياً، وإنما التمس غاية التفسير، وهو العيان الذي تنقطع عنده الخواطر كلها، فالخاطر ضربان، خاطر في ثبوت الشيء ونفيه، وخاطر في كيفية ثبوته، والأول يزول بالخبر، والثاني لا يزول إلا بالعيان، وهذا هو حال إبراهيم، وقيل: اليقين ثلاثة أضرب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، فعلم اليقين: ما وصل إلينا على سنة رسول الله ﷺ، وعين اليقين: ما وصل إلينا بأنوار هدايته، وحق اليقين: ما اجتمع فيه الأمران، وبه تزول عوارض الخواطر عن جملته وتفصيله، وقيل: إن إبراهيم كان طلب كذلك، لأن قومه سألوه، وذلك كما قيل في سؤال موسى، حيث قال: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(١) وقيل: إن نمرود كان ممن يعتمد المحسوس، ولما قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُخَبِّرِي وَفَعَلْتُ﴾^(٢) قال له: أرايت ذلك بحاستك؟ فعدل إلى غيره من الحجج، إذ لم يكن يمكنه أن يدعي عيان ذلك، ثم سأل الله بعد ليريه ليمكنه أن يخبره، وقيل: إن إبراهيم أحب أن يريه الله إحياء نفسه معرة من الأصل والزنا والفحش والحرص، فبين الله أن ذلك لا سبيل إليه بأدلة الإنسان في هذا العالم، ومخلوق خلقه للتكليف، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير، نسراً: إشارة إلى طول الأمل، وطاوساً: إشارة إلى زينة الدنيا، وغراباً: إشارة إلى الفحش النفسي، وديكاً: إشارة إلى الحرص، وقال: قطعهن، ووزعهن على جبال، ثم صرهن، فقد عادت إليك، إشارة إلى أن هذه القوى وإن اجتهدت في إفنائها، فلا سبيل إلى إزالتها، مادامت في دار الدنيا، وقيل: إن إبراهيم لما رش:

١ - سورة الأعراف : الآية (١٤٢).

٢ - سورة البقرة : الآية (٢٥٨).

للمرسالة وإرشاد البرية، ورأي قوماً في نهاية الجهالة والكفر، استعظم رجوعهم إلى الحق، فقال: ﴿أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي ترشد الضالّ الذين هم كالموتى، وأراد كيف أحيي، ولكن نسب الفعل إلى الله - عز وجل - على طريقة ما تقدم أن أولياء الله - عز وجل - يتحرون في أفعالهم - رضى الله ويرون أفعالهم فعله، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه - عز وجل - (حتى أكون عينه التي يبصر بها)^(١)، ولأن الأفعال المحمودّة للعباد كلها منسوبة إلى الله من حيث أنه سبب إيجادها، ولهذا قال: ﴿أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٢)، فعلى هذا معنى "أرني كيف تحيي الموتى" أي: كيف حال ما أمرتني به، وبعثتني فيه، فقال له: أألم تؤمن؟ أي أو لم تتحقق أنك ستهدى لذلك؟ فقال: بلى، ولكن أريد ما أسكن إليه في أن تجاب دعوتي، فقال: خذ أربعة من الطير، إشارة إلى قلع هذه القوى من نفسك، وسمى بذلك كل موتان الفؤاد كالجيل فليس يعسر عليك ذلك..

والله أعلم بالصواب ..

إن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ في هذه الآية: "نحن أحق بالشك من إبراهيم"^(٣)؟

١ - الحديث أخرجه البخاري في صحيحه - ج : ٨ - - ص ١٠٥ - باب التواضع كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري

ج-١٧- ص ٣١٧ ، وسبق تخريجه .

٢ - سورة الواقعة : الآية (٦٤) .

٣ - الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج: ١ - ص ٣٣٥ ، وصححه الألباني في الجامع الصغير - ج: ٦ - ص ٢٦ ، ورواه بلفظه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)، ويرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طوال ما لبث يوسف لأجبت الداعي). وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظه وسنده - ج: ٤ - ص ١١٩ ، ج: ٥ - ص ١٦٣ في كتاب التفسير، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٢ - ص ٣٢٦ . وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري - كتاب التفسير ج : ١٢ - ص ٥٢٠ ، كما أورده القرطبي وابن كثير في تفسيريهما وعلق عليه ابن كثير بقوله : ليس المراد هاهنا بالشك ما قد يفهمه من لاعلم له ونورد ما روي من أنه لما نزلت هذه الآية قال قوم : شك إبراهيم ولم يشكو بنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول تواضعا منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه ، تفسير القرآن العظيم ج - ١ - ص ٣١٥ . ونعتقد أن جزءاً سقط من الناسخ بعد الحديث الشريف

قوله - عز وجل:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (٢٦١) - سورة البقرة .

يقال النبت لما له نموُّ في أصل الحلقة، يقال: تُنْبِتُ الصَّبِيَّ والشَّعْرَ والسن، وفلان حسن النبتة، ويستعمل النبات فيما له ساق، وما ليس له ساق وإن كان في التعارف قد يختص بما لا ساق له، وأنبت الغلام إذا راهق، كأنه صار ذا نبتة، وفلان في منبت خير، كناية عن الأصل، والسنبلة فيعطة من السبل يقال: أسبل الزرع، وسنبِل، ومن أصله السبيل، وقد تقدّم أن سبيل الله ليس بمقصود على الجهاد، بل هو لكل ما يتوصل به إلى الله عز وجل، والمائة عدد معروف، يقال: أماعت الدراهم وألغت وإمايتها وألفتها..

إن قيل: كيف تعلق هذه الآية بما قبلها؟ قيل: إن ذلك متعلق بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾^(١)، وما بينه وبين هذه الآية اعتراضات مرغبة للإنسان في فرضه من حث على قناعة هي أس الجود، وذكر عظمة المستقرض وإرشاده لمن يستقرض منهم، وبين في هذه أن فرضه هو الإنفاق في سبيله، وأن مضاعفته هو بأن يجعل للواحد سبع مائة، وأنه يضاعف مع ذلك لمن يشاء مضاعفة لا يضبط عدها، ولا يعرف حدها..

إن قيل:

كيف قال في موضع: "يضاعف"، وفي موضع: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٢)، وقال هاهنا ما يدل على أنه يحادي بواحد سبع مائة، قيل: في ذلك طريقتان: إحداها أن الخيرات تختلف باختلاف العالمين واختلاف نياتهم، والثاني: أن تختلف باختلاف الأعمال، فالأول: هو أن الناس فيما يتحرونه من أفعال الخير بالقول المجمل ثلاثة أضرب على ما قصد تعالى من ظالم، ومقتصد، وسابق^(٣) أما الظالم: فالمتحري للخير مخافة سلطان ومذمة إنسان، وتخويف عالم إياه من النار ونحو

١ - سورة البقرة : الآية (٢٤٥)، وسورة الحديد : الآية (١١).

٢ - سورة الانعام : الآية (١٦٠).

٣ - اقتباس من الآية رقم (٣٢) سورة فاطر.

ذلك... وأما المقتصد: فالمتحري للخير مخافة عقاب الله ورجاء ثوابه من حيث ما قد تحقق وعده ووعيده، وأما السابق: فالمتحري للخير قصداً لوجه الله خالصاً. وثوابهم يختلف باختلاف مقاصدهم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في السابقين حاكياً عن الله عز وجل- (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)^(١) الخبر. والثاني.

وهو أن يختلف باختلاف الأعمال، وبيان ذلك أن السخاء أفضل أفعال العباد، بدلالة قول النبي ﷺ: «السخاء شجره من أشجار الجنة، أغصانها متدايات في الدنيا، فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار، فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى النار»^(٢).

وقيل لبعض الحكماء:

«أي شئ من أفعال العباد أشبه بفعل الله؟»

فقال: «السخاء، وأفضل الجود ما كان عن ضيق»..

١ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي - صلي الله عليه وسلم - قال : « قال الله تعالى : (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فاقراءوا إن شئتم ؛ (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) مسند الإمام أحمد - ج : ٢ - ص ٤٢٨ ، كما أخرجه المنذري في « الترغيب والترهيب » في فصل (شجر الجنة وثمارها) عن أبي هريرة بلفظه ، ولكن فيه . (اقرأوا إن شئتم) : (وظل ممدود) ، وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، وقرأوا إن شئتم (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) ، وقال : رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وروى البخاري ومسلم بعضه - ج : ٤ - ص ٥٢١ ، وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين بلفظه وعلق عليه بقوله : « أغفله العراقي وسبب إغفاله أنه يوجد في بعض نسخ الكتاب : وقال الله عز وجل - بدون وفوله - صلي الله عليه وسلم وهو حديث قدسي رواه أحمد ، والشيخان ، والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة ، ورواه ابن جرير من حديث أبي سعيد ورواه أيضاً عن قتادة مرسلاً ، ورواه أيضاً عن الحسن بلاغاً بلفظ قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما لا عين رأت .. الحديث إتحاف - ج . ٨ - ص ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور بسنده ولفظه - ج : ٦ - ص ١٧٦ - ط : داو المعرفة - بيروت

٢ - الحديث أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٦٢٠٨ ، كما أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات - ج ٢ - ص ١٨٣ ، و... الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ج : ٨ - ص ١٧٢ ، كما أخرجه الخطيب البغدادي في ج : ١ - ص ٢٥٣ ، ج : ٢ - ص ٣٠٤ ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج : ٦ - ص ١٩٧ .

ولهذا قال الشاعر:

ليس العطاء من الفضول سماحةً

حتى تجود وما لديك قليل^(١).

وقد علم أن أصحاب النبي ﷺ كانوا مضيئين سيما في ابتداء الإسلام، وأفضل الإنفاق ما يقصد به وجه الله عز وجل-، وأفضل ما يقصد به وجهه ما يجعل في سبيل الله، وأفضل سبيل ينفق فيه ما كان أكثره غنى، وقد علم أنه لاجهاد أكبر من جهاد النبي ﷺ، ولا قوم أكفر ممن كان يحاد بهم، ولا زمان أحوج إلى محاربتهم من زمانه، وكل واحد من هذه الخصال يجري مجرى فعل يستحق مثوبة محددة، فعظم الله تعالى أمر الإنفاق في سبيله في زمانه، وجعل له من الثواب ما لم يجعل لغيره من الأعمال، ووجه ثالث، وهو أن الإنسان متى تحرى فعل الخير على ما يجب وكما يجب يدعوه ذلك إلى أن يزيد في فعل الخير، فلا يزداد، حتى إنما يصير مثل ملك في الفضيلة، وبارز ياداه في الإيمان وفعل الخيرات يزداد ثوابه، فحيث ما ذكر التضعيف، فأشار إلى الحالة الأولى، وحيث ما ذكر عشرة أمثالها وسبعمئة فألى الأحوال المتوسطة وحيث ما ذكر، ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢)، فألى المنتهيات والغايات، وأنها لا يحصرها عدد، كما قال: عليه الصلاة والسلام: «مَالَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ»^(٣).

١- البيت للمقنع الكندي، وهو في العيني-ج: ٤-ص ٢٤١٢، وحاشية الشيخ يس ج: ١-ص ٢٧٢، وهمع الهوامع -ج: ٢-ص ٩.

والدر-ج: ٢-ص ٦ والدر المصون -ج: ٢-ص ٣٧.

٢ - سورة البقرة - الآية: (٢٦١) .

٣ - الحديث سبق تخريجه في ص ٨

قوله - عز وجل :

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية (٢٦٢) - سورة البقرة .

المن على ضربين: أحدهما ما يوزن به والأكثر مناً بالتخفيف، والثاني قدر الشيء ووزنه، ومنه المنة، فإنها تستعمل على ضربين، أحدهما: اسماً للعطية - لكونها ذات قدر، بالإضافة إلى سائر الأفعال، وذلك لما تقدم أنفقاً في صفة الجود وأنه أشرف فضيلة، والثاني: اسماً لقدر العطية عند معطيها واعتداده بها، وهو المنهى عنه بقوله، ﴿لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(١)، وقوله - عليه الصلاة والسلام: «والامتنان بالمعروف، فإن ذلك مما يبطل الشكر ويمحق الأجر»^(٢)، وقيل: «تعداد المنة من ضعف المنة»، والمنة تهديه للصنيعة، والعطية متى استعظمها المعطي، فشكر منه، ومتى استعظمها المعطي، فهدم منه، فقوله: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ﴾ يجوز أن يكون خبر ابتداء مضمرة، أي الذين مثل إنفاقهم كمثل حبة منهم الذين ينفقون أموالهم، ويكون قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في موضع الحال، ويجوز أن يكون "الذين" هذا يفسر "الذين" المتقدم، ويكون الذين ابتداء، وما بعده خبراً، وقوله: ﴿وَلَا أَذَى﴾ الأظهر الأكثر أنه معطوف على قوله: "مننا"، وهو أعم منه، لأن كل من أذى، وليس كل أذى مناً، وقيل: هو أن يظهر المسئول تبرماً بالسائل، نحو أن يقول: "أراحني الله منك"، أو: "من أبلاني بك" فعلى هذا قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ استئناف، وقوله: ﴿لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا﴾ تام، وقوله: "ولا أذى لهم" كلام مستأنف من صفة المعطي كأنه قيل: "الذين ينفقون ولا يمنون، ولا ينادون بالإنفاق، فإن تمام فضيلة المنفق في سبيل الله أن يصير سلس الطبع بالعطاء، مستلذاً، يصرف المال إلى الوجوه المحموده"، كما روى أن يكون الرجل محموداً حتى يكون ما ينفق في سبيل الله أحب إليه مما تركه، وروى هشام بن عروة عن النبي ﷺ «من أعطى عطية وهو طيب النفس بها بورك فيها للمعطي والمعطي»^(٣).

١- سورة البقرة : الآية (٢٦٤).

٢- الحديث .

٣- الحديث .

قال بشار:

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ فِ وَلَكِنْ يَلْذُ طَعْمَ الْعَطَاءِ^(١)

والبخيل يتألم بما يعطي غيره، فضلاً عما يعطيه هو، ولهذا قيل: "الحر يعطي واللئيم يألم إسته".

وقوله: ﴿أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ضمن ضمان يلي، وفي يؤمن إخلافه وإفلاسه، وقوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ليس يراد به الخوف في الآخرة فقط، بل يريد مع ذلك الخوف الذي ابتلى به أبناء الدنيا الذين ينفقون بما في أيديهم دون ما في يد الله - عز وجل-، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من: "خفت على فلان" أي أشفقت عليه، أي: لا إشفاق عليهم لما هم فيه من النعيم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فعلى هذا قوله: ﴿أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ إلى آخر الآية، ذكر مالهم من الثواب، ويجوز أن تكون الآية كلها وصفاً للإنفاق في سبيل الله، وبيان ذلك أن حق المنفق في سبيل الله أن تطيب به نفسه، وأن لا تتعقبه بالمرن، وأن لا تشفق من فقر تناله من بعد، بل تثق بكفاية الله - عز وجل-، ولا يحزنون إن يناله فقر، وبين تعالى أن ما تقدم ذكره من مجازاة واحد بسبع مائة هو لن هذا وصفه..

قوله - عز وجل :

﴿قُلْ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ الآية: (٢٦٣) - سورة البقرة...

الغنى: فقد الحاجة، وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس واختلاف نظرهم، فمنهم من يرى الغنى كثرة عرض الدنيا، حصلت معه الحاجة أو لم تحصل، ومنهم من عده القناعة، وإليه يوجه قوله عليه الصلاة والسلام: «الغنى غنى النفس»^(٢)، ومنهم من لا يعده إلا ارتفاع الحاجة، وقال: «لا غنى

١- هذا البيت لبشار بن برد ، وهو من قصيدة قالها يمدح فيها عقبة بن سلم ، ومطلعها :-
حييا صاحبني أم العلاء واحذرا طرف عينها الحوراء

إلى أن يصل إلى قوله :

يسقط الطير حيث ينتشر الحب وتفشى منازل الكرماء

ديوان بشار - ج : ١ - ص ١٣٦.

٢- الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ونصه : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، وإنما الغنى غنى النفس » رواه أحمد وهنادين السري والترمذي وابن ماجه ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، ورواه أبويعلي والطبراني في الأوسط والضياء من حديث أنس ، وروى الديلمي بلاسند من حديث أنس « الغنى غنى النفس ، والفقر فقر النفس » وأخرج البخاري في صحيحه - ج : ٨ - ص ١١٨ ، والإمام أحمد في مسنده - ج : ٢ - ص ٣٩٠ ، ٤٢٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، وأورده الزبيدي في تحاف السادة المتقين - ج : ٨ - ص ١٥٩ ، ورواه المنذري في الترغيب والترهيب - ج : ١ - ص ٥٨٩ ، ج : ٢ - ص ٥٣٥ .

في الحقيقة في الدنيا يوجه ولأجله» قيل: الغنى غنى الآخرة، ومنهم من قال: "لا غنى في الحقيقة لغير الله- عز وجل- لا في الدنيا ولا في الآخرة، وعلى هذا" قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(١)، والمعنى المنزل كأنه موضع غنى الناس، ولكون الغنى مقيماً فيه على مراده، وعلى هذا قال الشاعر:

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم

ويرمي النوى بالمقتربين المراميا..^(٢)

وأما الغناء فللتشبيه على نحو نظر من قال: الغناء غذاء الأرواح، كما أن الطعام غذاء الأشباح، وقال بعضهم: "من مدح الغناء إنما مد الغناء وقصر الغنى تفضيلاً للمدود"، فقد حصل له منفعة ليست في شيء من اللذات، وذاك أن اللذات الحسنة أربع، أكل، وشرب، ونكاح، وغناء... وكل يوصل إليه بتعب إلا الغناء، واختلف في قوله: ﴿مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾.

فمنهم من قال: خطاب للمسئول ومعناه: لأن تبذل للسائل قولاً حسناً، وتغفر له أن ذاك بمراجعة وإلحاف خير من أن تعطيه وتمتن عليه، كقول الشاعر:

ومنعك الندى بجميل قول

أحب إلي من بذل ومنة^(٣)

وقيل: معنى المغفرة الترك، أي الاقتصار على القول الحسن، وترك الصدقة خير من صدقة هكذا، وقيل معناه: وإن تسأل الله الغفران لتقصيرك في إعطائه، وقيل: معناه ستر الخلة عليه، وقيل: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ وسلامة من المعصية خير من المعصية خير من صدقة هكذا، فإن هذه الصدقة فيها

١ - سورة محمد : الآية (٣٨).

٢ - هذا البيت لإياس بن القايص ، وقيل وجد هذا البيت مكتوباً على باب مدينة بأقصى المغرب يقول إياس منها :

فاكرم أخاك الدهر مامشتما معاً كفي بالمعات فرقة وتثائيباً

إذا زدت أرضاً بعد طول اجتتابها فقلت صديقي والبلاد كما ميا

مخطوط كتاب الدر الفريد وبيت القصيد - ج:٥-ص١٩ - لمحمد بن أيمن .

٣ - لم أعثر على نسبه .

عصيان الله، ونحو قوله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ قوله: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضُنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٢)، وقيل: القول المعروف أن تحت غيرك على إعطائه، وقيل: ذلك خطابٌ للسائل وحثٌ له على إجمال الطلب، كما قال عمر بن عبدالعزيز: «لن تدعوا لمريم ما قسم له، فأجملوا في الطلب»، فأراد تعالى لأن يقول قولاً حسناً من تعريض بالسؤال أو إظهار للغنى، حيث لا ضرورة، ويكتسب خير من مثال صدقة يتبعها أذى، كما قال الشاعر:

لأن أرجى عند العرى بالخلق

وأجتزى من كثير الزاد بالعلق

خير وأكرم لي من أن ترى نعم

معقودة للثام الناس في عنقي..^(٣)

وقيل: معناه: لأن تنال أيها السائل قولاً معروفاً من المسئول ومغفرةً من الله خيرٌ من صدقة

هكذا..

ومنهم من قال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ خطاب للمسئول، أي: "انتقل قولاً حسناً في رده، ومغفرة خطاب للسائل" أي: اغتفر رده لك ولا تثقلن قلبك عليه، ونبه بقوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ أن استقراضه ليس بحاجة به، بل حاجة المقرض إلى الثواب، وبقوله: "حليم"، أنه ليس يجب أن يغتر المذنب بتأخير العقوبة عمن قصر في الإنفاق أو في المنة على السؤال أو في سؤاله وليس بأهله..

١ - سورة الإسراء : الآية (٢٨).

٢ - سورة الضحى : الآية (١٠).

٣- قائل البيتين هو محمد بن بشير ، وذلك كما في الشوارد - عبد الله بن خميس - ج: ٢، ص ٢٨٢ - ط: دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة - السعودية .

وفي البيت الثاني يقول الشاعر :

خير وأكرم لي من أن أرى منناً خوالداً للثام الناس في عنقي

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُفْقِ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية : (٢٦٤) - سورة البقرة .

التراب أصل في بابه، وترب يخصص بالتراب، وعبر به عن الفقر، وأترب صار ذا تراب، وعبر به عن المختص بالمال الكثير، فكأنه عبر عن المال بالتراب، كما عبر بالثرى، وقول الشاعر في مخاطبة الدلو:

"واغترفي من تربها الألق"^(١)

تصور منه معنى ترب وأترب، ففسر مرة بأنه دعاء عليها، كأنه قال: تربت فلا تخرجين إلا تراباً، ومرة بأنه دعاء لها، والمعنى أتربت، فأخرجت ماء كثيراً، والترب للذة على بناء القبل والقرن أي المقابل والمقارن، وكأنه الواقع مع غيره في التراب عند الولادة، وقيل معنى الترب الملاعب مع غيره بالتراب في الصغر، كقوله:

كما قسم الترب الصبي المقابل^(٢)

والتربية لعظم الصدر، حيث التفت عظام كأنها أتراب، أي لدات، ولهذا قيل لها: أتراب بلفظ الجمع، والوايل الذي يبيل الأرض، أي يأتيها بالويل، ويقال للمطر وابل ومرعى وبيل للنبات اليابس الذي يأتيه المطر، فيصير أذى للغنم، وهو الذي يقال له النشر^(٣)، ومنه اشتق الويال، وعنه استعير "أخذه أخذاً وبيلاً"^(٤) ويقال للعصا الثقيلة، وبيله الصلد، والصلت، والصلب تتقارب، لكن الصلد

١- لم أعثر عليه .

٢- لم أعثر عليه .

٣- قال الراغب في كتابه المفردات: النشر: الكلا اليابس إذا أصابه مطرفينشر أي يحيا، فيخرج منه شئ كهيئة الحمة، وذلك داء للغنم، يقال منه: نشرت الأرض فهي ناشرة.. الخ.. مفردات ألفاظ القرآن- ص ٨٠٦.

٤- هذا اقتباس من قوله تعالى: (فعمسى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً) سورة المزمل الآية (١٦).

خاص في الأرض والصخر وشبه به ما لا يجدي، فقيل: زند صلد، ورجل مصلد، وصد: بخيل، وقدر صلود ذات صلدة يتباطأ غليانها، وفرس صلود: لا يعرق... وصفوان: أبلغ من الصفات، وهو كل حجر صاف من التراب، وواحد قليل: صفوانه: نحو سعدان وسعدانة، ومرجان ومرجانة، وقليل واحد، وجمعه صفوان، نحو كروان، وليعظم الله تعالى فتح المنة، أعاد ذلك في معارض من الكلام، فأثنى على تاركها أولاً، وفضل المنع على عطية يتبعها المن.. ثانياً: وصرح بالنهي عنها بالياء، وخص الصدقة بالنهي إذ كان المنة فيها أعظم وأشبع ولكون ذلك فظيماً مستتبشعاً قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يجدون ربح الجنة، وإن ربحها لتوجد من مسيرة خمس مائة عام: العاق لوالديه، وممن الخمر، والمنان»^(١)، وقوله: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾ في موضع الحال للمؤمنين، لا تبطلوها مثل منفق ماله مرئياً- تنبيهاً أن إنفاق الممتن كإنفاق المرئى الكافر بالله لأنه قال: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ﴾، وذلك كله من صلة "الذي"، وقد عظم مزاياه حتى جعل المرئى بفعل الخير شراً من تاركة- سيما في العبادات، ولهذا قال- عليه الصلاة والسلام- «المتشيع بما لم ينل كلابس ثوبي زور»^(٢) تنبيهاً أنه كاذب بمقاله وفعاله، وشبه المرئى بصفوان وماله بتراب، وإنفاقه بالوابل، وبين أن إنفاق هذا المرئى مع كون الإنفاق في نفسه شيئاً نافعاً لم يفده إلا زوال ترابه، كما أن المطر الذي أتى على الصفوان مع كون المطر نافعاً في نفسه لم يفده إلا زوال ثراه، وقال تعالى في ضياع أعمال الكافر: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(٣)، وفي الآيتين دلالة أن

١-أورد هذا الحديث الحافظ بن كثير في تفسيره من رواية ابن مردويه وبن حبان والحاكم في مستدركه والنسائي من حديث عبد الله بن يسار الأعرج عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، وممن الخمر، والمنان بما أعطى)، كما أورد بن كثير رواية النسائي بسنده إلى مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يدخل الجنة مومن الخمر ولا عاق لوالديه ولا منان) وقد رواه بن أبي حاتم عن مجاهد أيضاً عن أبي هريرة نحوه. تفسير القرآن العظيم ج: ١ ص ٣١٨.

٢- الحديث رواه البخاري في باب النكاح ص ١٠٦، وأخرجه مسلم في باب اللباس ص ١٢٦، ١٢٧ ورواه الترمذي في باب البر ص ٨٧ وأخرجه الإمام أحمد في ج: ٦ ص ١٦٧، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٢ ونص الحديث: «قالت أسماء: سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالت: إن لي ضرة، وإنني أتكثر من زوجي بمالم يفعل أضرارها بذلك، فهل علي فيه شيء؟ فقال: المتشيع بمالم يعط كلابس ثوبي زور» وقال العراقي: متفق عليه من حديث أسماء بنت أبي بكر، ورواه أحمد وأبو داود، ورواه مسلم من حديث عائشة، ورواه العسكري في الأمثال من طريق ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي الباب سفيان بن الحكم الثقفي وجابر.

٣- سورة إبراهيم: الآية (١٨).

العبادات والأعمال الصالحة غير معنية مالم يكن على الإيمان، ولا حجة في الآيتين مالم احتج بهما على المرجئة، حيث قالت: إن المعاصي لا تحبط الطاعات، لأنهم قالوا ذلك بشرط الإيمان، والله تعالى شرط في الآيتين الكفر، لأنه قال: ﴿كَالَّذِي يُفِقُّ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، وقال في الأخرى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١). وهذا ظاهر، وقوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾ راجع - إلى قوله: كالذي، أي المرائي بإنفاق ماله، لا يقدر يوم القيامة على اجتناء ثمرة ما اكتسبوا، فإن قيل: وكيف يجوز أن يكون ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ فعلاً للذي، والذي هو فعلاً للواحد؟ قيل: قد يُقدر أن الذي قد يقع على الجمع، وأنه إذا أُريد به الجمع، فقد يخبر عنه كما يخبر عن الواحد وقوله: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

قد تقدم أن الهداية على أربعة أضرب، هداية بالفطرة، وهداية ببعث الرسل، وهما عامان لكل مكلف، وهداية بالتوفيق لمن يستحق الاهتداء، وهداية هي ثواب الآخرة، وهاتان لا تكونان للكافر.

قوله - عز وجل :

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآية (٢٦٥) - البقرة.

يقال: رَبْوَةٌ، وَرَبْوَةٌ، وَرَبْوَةٌ، وربما حصل في ربوة، وسميت الربوة رابية، كأنها ريت بنفسها في مكان بسيط، ويقال لكل ما زاد وعلا ربا، ومنه الربوا والطل^(٢) أثر الندى، والطلل: الأثر الباقي بسا بلي، وطلت الأرض، أصابها طل، نحو وبلت، ومطرت، وطل دمه: ترك أثره، وعلى ذلك ما قيل: إرر سألته بمرشكرها وشبرك أفسأت تطلها وتضلها، وقيل: للشجر طل وندى، لأنه من النبت والنبت منهما وبالعكس من ذلك قيل للندى والمطر شحم، لأنهما يؤديان إليه، بين تعالى أن المنفق ماله في سبيل الله ينبغي أن يكون قاصداً به الوجهين اللذين لأجلهما أوجب على الناس الزكاة، أحدهما ابتغاء

١ - سورة البقرة : الآية (١٧١).

٢ - في (و - ج) والطل، وهو تصحيف.

مرضاة الله وطلب التوجه للوصول إليه المشار إليه بقوله: مخبراً: ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾^(١) والثاني: بتثبيت النفس، أي رياضتها، لأداء الأمانات، وبذل المعونات، والتمسح لأبواب المصالح، فإن النفوس مالم ترض لم تسمح، إذ هي مجبولة على الشح والكسل، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾^(٢)، وببذل الصدقة وفعل الخير يتطهر ويتزكى، ولهذا قال: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(٣)، فهذان الوجهان أعنى ابتغاء وجه الله وتثبيت النفس وإن اختلفا اختلاف الاعتبارين فهما واحد، وحق الإنسان أن يقصد ذلك في جميع ما يفعله من العبادات، فاما أن يطلب شكر مخلوق ومباهاة نظير وطلب نفع دنيوي وقضاء شهوة وإبقاء معزة، فليس ذلك بمرتضى، وبين أن مثل نفوس المنفقين أموالهم على هذا الوجه كمثّل روضة بربرة، فشبه نفوسهم بالروضة وما يأتيهم من التوفيق والهداية من حهة الله بسبب الانفاق بما يأتي الروضة من الواابل والطل، وشبه تزكية النفوس بزكاة الأكل، وقال جابر: الطل مثل للفرائض، والواابل مثل للنوافل معهما، ومعناه: إن حق المنفق ماله أن يتحرى النوافل والفرائض، فإن من لم يتحرهما معاً، لم ينفك من الفرائض، تنبيهاً أن الفريضة هي مالابد منه، وتخصيص البربرة، لأن تأثير الشمس فيها أكثر، ولما كان قد ينقطع عن البربرة فيحترق نباتها، بين أنها لا تنفك من وابل وطل، وعلى هذا قول الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن معشبة

خضراء جاد عليها مسبل هطل^(٤).

١ - سورة الإنسان : الآية (٩).

٢ - سورة المعارج : الآيات (١٩)، (٢٠)، (٢١).

٣ - سورة التوبة : الآية (١٠٣).

٤ - البيت للأعشى، وبعبده قوله:

يوماً بأبهج منها وجه ناظرة ولا بلحسن منها إذ دنا الأصل

وذلك كما في ديوان الأعشى - ص ٥٧ ويقول الأعشى بعده بيت :

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بلحسن منها إذ دنا الأصل

والبيت الأول هو الرابع عشر ، والبيت الثاني هو السادس عشر من القصيدة السادسة في ديوانه ، وهما مع بيت آخر في تفسير

الطبري - ج : ٢١ - ص ١٧، وفي تفسير القرطبي ج : ١٤ ص ١١.

فوصفها بأنها في حزنة ومجودة...، إن قيل: ما وجه قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ أَكْثَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ والضعف يقال في عددٍ ما يصح أن يوجد نصفه ولم يجرها هنا ذكر عدد ولا ما يقتضي عدداً، قيل: إنه لما كان لكل قطعة أرض قدرٌ من الربيع لا يكاد يزيد عليه، بين تعالى أن دخل هذه الجنة ضعفاً ما يقتضي مثلها من الأرضين..

إن قيل: لم قال: ﴿وَتَنْبِيْهَا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؟، فجمع جمع القلة؟ قيل: تنبيهاً أن ذلك الفعل لا يكاد يوجد إلا في قليل من الناس، فصار في تخصيص الأنفس إشارة إلى نحو قوله -عز وجل- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١)، ولهذه النكتة - قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾^(٢) قال: عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «الشرك أخفى فيكم من ديب النملة على الصفاة في الليلة الظلماء»^(٣)، تنبيهاً أنه قل ما ينفك عمل من رياء وإن قل.

وبين تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أنه لا يخفى عليه شئ من أسرار العباد..

قوله - عز وجل :

﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية (٢٦٦) - سورة البقرة.

النخيل: سمي بذلك لأنه منخول الأشجار وصفوها، وذاك أنه أكرم ما ينبت، لكونه مشبهاً بالحيوانات في الاحتياج، الأنثى منها إلى الفحل في التلقيح، وأنه إذا قطع رأسه لم يثمر بعده.

١- سورة سبأ - الآية (١٣) .

٢ - سورة يوسف - الآية (١٠٦) .

٣ - الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج: ٤ - ص: ٥٤، كما أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ج: ٢ - ص: ٢٧٣، ج: ٧ - ص: ٣٠٤، ج: ٨ - ص: ١٥٣، ٢٣١، ٢٨١، وأخرجه ابن كثير في تفسيره - ج: ٤ - ص: ٣٤٤، كما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد - ج: ١٠ - ص: ٢٢٤ .

ولأجله قال، عليه الصلاة والسلام: « أكرموا عنكم النخلة »^(١) وقيل: نخل السماء الثلج عند وقوعه على الأرض قطن أو دقيق يغربل، والعنب والعناب نظر إليهما نظراً واحداً، وشورك بينهما في الحروف الأصلية مشاركتها في الهيئة والصيغة، وزيد في لفظ العناب لزيادة جرمه على جرم العنب، وهذا طريق اعتبروه في الاشتقاق وتحت نقيض فوق، وفي الحديث: « لا تقوم الساعة حتى تظهر التحوت »^(٢)، أي ما تحت الأرض، وذلك إشارة إلى ما قال الله - عز وجل - ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾^(٣).

والعصر: مصدر "عصرت العنب"، وسمى آخر النهار ومدة من الزمان عصراً كأنه مدة عُصرت، فجمعت، وقيل للعطية عصر تشبيهاً بعصر الريح السحاب، وسمى الإلجاء عصراً، والاعتصار الالتجاء، والمعصر سحاب ذات عصر للمطر، والمرأة فوق الكعب معصر، لكونها ذات عصر، أي زمان

١ - الحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات في باب: "خلق النخلة من طين لآدم"، وهو مروي عن علي وابن عمر، ونصه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أكرموا عنكم النخلة، فإنها خلقت من فضلة طينة آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران، فأطعموا نسائك الولد الرطب، فإن لم يكن رطباً فتمرّاً".
الموضوعات - ابن الجوزي - ج: ١ - ص ١٨٣، ١٨٤، ورواه العقيلي في الضعفاء - ج: ٤ - ص ٢٥٦، ورواه كذلك ابن عدي في الكامل للضعفاء - ج: ٦ - ص ٢٤٢٤، ورواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة - ص ٤٢، وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ج: ٢ - ص ٦٦، كما رواه ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات ص ١٣٢.

٢ - الحديث تمامه: (لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين، ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول، وتظهر التحوت) قالوا يارسول الله، وما الوعول والتحوت؟ قال (الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم)، أخرجه الطبراني في الأوسط ج: ١ - ص ٤٢٠ - كما أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري - باب ظهور الفتن ورجال رجال الصحيح غير محمد بن الحارث وهو ثقة ج: ١٨ - ص ٦١١، وأخرجه أيضاً أبو عبيد في غريب الحديث ج: ٣ - ص ١٢٥ كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ١٦٤ - تحقيق صفوان داوودي .

٣ - سورة الانشقاق الآيتان (٤، ٣) .

للتمتع إشارة إلى قول الشاعر:

مطيات السرور فوق عشر

إلى عشرين ثم قف المطايا^(١).

والإعصار: أصله مصدر أعصر، فسمى به الريح، والاحتراق مطاوعة حرق، وحرق الثوب أن تحرقه الدق^(٢)، وحرق البعير حك إحدى نابيه بالأخرى، وريش حرق كالمنقطع بالإحراق، والحرقة احتراق البدن بحرارة فيه، والحراق معروف، والحرقات سفن يرمى عنها بالنيران، ضرب الله مثلاً لأعمال المنافق والمرائي، وأن لها في الدنيا شارة ونضارة، فإذا احتاج إليها وجدها باطلة، كمن له جنة هكذا يعتمدها، فلما اختل حاله، وكثر عياله، وانقضى شبابه، بقي خالياً عنها، وعلى هذا دل ما روى أن عمر-رضي الله عنه قال: "إنني لأجد في نفسي من هذه الأشياء"، وكان في القوم ابن عباس، فقال: هذا مثل ضربه لمن يعمل عمره كله بعمل أهل الخير حتى إذا كان في آخر أيامه، وفي أحوج ما يكون إلى الخير، ختم عمله بعمل أهل الشقاء، فبطل ما عمل،^(٣) وقيل: إن ذلك مثل ليس للمال فقط،

١- هذا البيت قاله دعبل الخزاعي وذلك كما في مخطوط كتاب الدر الفريد - لمحمد بن أيمن ج : ٥ - ص ١١٤، وورد في أمالي الزجاجي منسوباً لمحمد بن عبد الله بن طاهر بلفظ :

مطيات السرور بنات عشر إلى عشرين ثم قف المطايا

وبعده :

فإن جاوزتني فسر قليلاً بنات الأربعين من الرزايا

إلى أن قال :

مقاساة النساء مع الليالي إذا أولدتني من البلاء

وانظر مقدمة جامع التفاسير - ص ٥٣ - تحقيق : الدكتور أحمد حسن فرحات - ط : دار الدعوة بالكويت.

٢- أورد القرطبي بإخراجه البخاري عن عبيد بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيم ترون هذه الآية نزلت « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فغضب عمر وقال: قولوا نعلم أولاً نعلم ! فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل . قال عمر أي عمل ؟ قال ابن عباس : لعمل رجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله - عز وجل - له الشيطان فعمل في المعاصي حتى أحرق عمله ، في رواية ، فإذا فني عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من أعمال الشقاء ، فرضي ذلك عمر . تفسير القرطبي - ج : ٢ - ص ١٢٤١ ، ص ١٢٤٢ ، وأورده ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس : ج . ١ - ص ٣١٩.

٣ - في المجلد - ج : ١ - ص ٢٢٧ . والحرق في الثوب من الدق .

بل للصحة والجمال وسائر الأمور البدنية والجارحة والسلطان، فإنه يفجع به الإنسان أخرج ما يكون إليه، فيكون بمنزلة من إذا كثر عياله فسد بالصاغة بستانه، فبقى ضعيفاً لأفضل فيه لعمل، وسعى في تصرف، وإنما ذكر أنه فجع بها، ولم يقل : مات عنها، فالنفوس مطبوعة على استعظام ذهاب المال عن الإنسان أكثر من استعظام ذهاب الإنسان عن ماله، قالوا: حلف للأعداء، ولا يجنح إلى الأصدقاء، إن قيل: كيف قال: "أيود" وهو مستقبل، ثم قال: "وأصابه الكبر"، فأتى بلفظ ماضٍ؟

قيل: قد قال الفراء: لما كان يود يتلقى مرة بأن يكون، ومرة بلو كان، جاز أن يقدر أحدهما مكان الآخر، لانفاق المعنى، فكأنه قيل: "أيود أحدكم لو كان له جنة، وأصابه الكبر"، إن قيل: ولم قال: "وأصابه الكبر" ولم يقل: "وكبر"؟ في قوله: "وأصابه الكبر تنبيه على معنى التأثير والنكاية فيه، كقول الشاعر:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى..^(١)

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَمْمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ الآية : (٢٦٧) - سورة البقرة .

الطيب يقال تارة باعتبار الحاسة، وباعتبار العقل تارة، والخبيث في نقيضه، والأظهر أن المعنى به هاهنا المعقول الذي هو الحلال، فقد روى: «ثلاث إذا كن في التاجر طاب كسبه، لا يعيب إذا اشترى، ولا يمدح إذا باع، ولا يكذب»، وروى: لا يحلف.

١- هذا شطر بيت قاله عمرو بن قميئة ، والبيت :

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى وليس برام
وبعده : فلو أنها نبل إذا لا تقيتها
ولكنني أرمى بغير سهام

ويرويان للبيد بن ربيعة أيضاً ...

مخطوط كتاب : الدر الفريد وبيت القصيد - ج : ٣ - ص ٣٢٤ .

وقال - عليه الصلاة والسلام:

«إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه»^(١)، وأصل التيمم قصد اليم أي لجة البحر، ثم صار في التعارف القصد نحو، ﴿فَتَيْمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٢)، ويممته، وأممته، قيل هما واحد يقال الخليل: أممته: قصدته من أمامه، ويممته: قصدته من أي جهه كان، والإغماض والتغميض غضر البصر، ويستعمل في الترخص كالإغضاء، ذكر تعالى فيما تقدم فضل النفقة في سبيله، وحث عليها، يقبح المنة، ونهى عنها، وحث في هذا أن يكون الإنفاق من طيبات الكسب، قيل: من أجوده، بدلالة ما روي أنه لما أمر بالصدقة، جاء قوم من أهل المدينة من صدقة التمر بالحشف، ومن الطعام بالزوان، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣)، وقيل: الطيبات تتناول مع ذلك الحلال، وحقيقة الطيب من الكسب ما ليس فيه ارتكاب محظور واكتساب محجور، بل منح العقل والشرع تناوله، ودخل في قوله: "ما كسبتم" كل ما يناله الإنسان بريح أو أجره عمل، وفي قوله: ﴿مِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ أنواع الحبوب والثمار والمعادن، وتخصيص المكتسب دون الموروث لأن الإنسان مما يكتسبه أضن منه مما يرثه، فإذا الموروث معقول من فحواه.

إن قيل: ما فائدة : لكم؟

قيل: تنبيه أن المقصود بإتخاذ هذه الأشياء نفعنا، ليلبغنا بها إلى سعادة الدارين، كقوله:

١- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج ٦: ص ٤٢، ١٢٧، وأخرجه النسائي في سننه في كتاب البيوع من حديث عائشة - ج ٧: ص ٢٤١، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج ١: ص ٢٤٧، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ج رقم ٢٢٢٤، وأخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ج ٩: ص ٣٠٨.

٢ - سورة المائدة : الآية رقم (٦) ، سورة النساء: الآية رقم (٤٣).

٣- ذكر السيوطي سبب نزول هذه الآية في مارواه الحاكم والترمذي وابن ماجة وغيرهم عن البراء قال : نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، كنا أصحاب نخل ، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته ، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الصيص والحشف، وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » .. الآية . كما أورد السيوطي أيضاً مارواه أبو داود والنسائي والحاكم عن سهل من حنيف قال : كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها في الصدقة ، فنزلت : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، ومارواه الحاكم عن جابر قال : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بركة الفطر بصاع من تمر ، فجاء رجل بتمر ردي ، فنزل القرآن : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » الآية ، ومارواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون به فأنزل الله هذه الآية. أسباب النزول - للسيوطي - ص ٣٥ ، ص ٣٦ ط . دار المنار بالقاهرة .

﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١)، ويجوز أن يتضمن مع ذلك أن الذي تجب فيه الزكاة، وهو ما قصد به قوام الإنسان دون ما قصد به البهائم كالحشيش ونحوه، وقوله: ﴿أَنْفِقُوا﴾ عام في الواجب والتطوع..

إن قيل: لم قال: ﴿وَلَا تَمُمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ ولم يقل: (ولا تنفقوا الخبيث) مع أن اللفظ كان أوجز؟

قيل: لأن القبيح من الإنسان أن يقصد الخبيث أي الرديء من جملة ما في يده، فيخصه^(٢) بالإنفاق في سبيل الله، فأما إنفاق الرديء لمن ليس له غير ذلك، أو لمن لا يقصده خصوصاً فغير مذموم.

قوله - عز وجل :

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مِّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

الآية : (٢٦٨) - سورة البقرة .

الفقر أربعة: فقر الحسنات في الآخرة، وفقر القناعة في الدنيا، وفقر المقتني، وفقرها جميعاً، والغني بحسبه، فمن حصل له في الدنيا فقد القناعة والمقتني، فهو الفقير المطلق على سبيل الذم، ولا يقال له غني بوجه، وهو المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(٣)، ومن فقد

١ - سورة البقرة : الآية (٢٩).

٢ - في (و - ج) فيحصنه وهو خطأ من الناسخ.

٣ - الحديث أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال في باب : « الفقر الاضطرابي » في الحديث رقم ١٦٦٨٢ وأورده العجلوني في كشف الخفاء - ج : ٢ - ص ١٠٨، وقال : في سنده يزيد الرقاشي ضعيف ، ورواه الطبراني عن أنس مرفوعاً ، وأخرجه السيوطي في جامع الاحاديث والحديث عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كاد الحسد أن يغلب القدر ، وكاد الفقر أن يكون كفراً » . أخرجه أبو نعيم في الحلي . ج ٣ - ص ٥٣، وابن عدي في الكامل ج ٧ - حديث رقم ٢٦٩٢، وهو ضعيف وفيه يحيى بن اليمان العجلي الكوفي ، وهو سريع النسيان وحديثه خطأ عن الثوري . وقد أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٦٤١.

لقناعة دون القنية، فهو الغني بالمجاز فقير بالحقيقة،

ولهذا قال: قد يكثر المال والإنسان مفتقر^(١).

وقيل لبعضهم: أفلانٌ غني؟ فقال: لا أدري غناه، ولكنه كثير المال، ومن فقد القنية دون القناعة، إنه يقال له فقير وغني، وكلاهما يقالان على طريق المدح، فقد قيل: ليس الغني بكثرة العرض وإنما لغني غني القلب^(٢)، والمشهور من الفقر عند العامة الحاجة وأصله كثير الفقر، ومن قولهم: فقرته، حو كبذته، وبطنته، وبهذا النظر سمي الحاجة والداهية فاقرة، نحو: ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾^(٣)، الفحش والفحشاء كل منكر من المقال والفعال وإن كان قد خصها بعضهم هاهنا بالبخل، كقول شاعر:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي

عَقِيلَةَ مَالٍ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٤)

فقلوه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾، قيل: غنى فقر الآخرة، وهو أن يخيل إليه أن لا جزاء ولا نورا، وقيل: هو بأن يخوفه الفقر في آخر عمره.

إن قيل: على أي وجه يتصور وعد الشيطان؟

قيل: إن ذلك تسليط النفس ووساوسه، ولهذا قال هاهنا في الشيطان: ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾، مال في غيرها: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٥) لما جرى مجرى واحداً،

- هذا عجز بيت وصدره:

العيش لا عيش إلا ما قنعت به

وفي التمثيل والمحاضرة للثعالبي بدون نسبة - ص ٨٥، وهو أيضاً في نهاية الأرب ج - ٣ - ص ٨٤، كما أورده الراغب في مفردات الفاظ القرآن بدون نسبة ص ٦١٦.

- هذا حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غنى النفس) أخرجه البخاري في صحيحه ج ١١ - ص ٢٢١، وأخرجه الطبراني الأوسط، ورجاله رجال الصحيح وأبو يعلى وأحمد ج ٢ - ص ٢١٥. وانظر مجمع الزوائد للهيتمي ج ١ - ص ٢٤٠ وقد أورده الراغب في كتاب المفردات ص ٥٩٧: ص ٦١٥، ص ٦٤٢.

- سورة القيامة - الآية : (٢٥).

- البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه - ص ٥٨، وأورده الطبري في ج : ٣ - ص ١٥٤، وأورده القرطبي في تفسيره - ج : ٢ - ص ١٦٢. وأورده أبو عبيد في مجاز القرآن - ج : ٢ - ص ٣٠٨، وورد في شواهد الكشاف - ص ١٠٣.

- سورة يوسف : الآية (٥٣).

قال: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(١)، وقال في أخرى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(٢) الآية.

إن قيل:

من حق مقابلة اللفظ في قوله ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ أن يقول (والله يعدكم لغنى)، ويأمركم بالمعروف أو بالبر، فليست المغفرة مقابلة للفقْر، ولا الفضل للفحشاء وإن كان مقابلاً، فلم لم يذكر في : (الله يأمركم)، والله يأمركم، والله في الحقيقة يأمر، فأما الشيطان فهو المسؤول الموسوس؟

قيل: قابل الفقر بالمغفرة والفضل، والفضل أعم من الغنى، لأنه يتناوله وغيره، فبين أنه يعد الغنى وزيادات فضل، فأتى في مقابلة وعد الشيطان بالمغفرة، أنه يغفر مع ذلك انقيادكم للشيطان بسائر الذنوب، ولما كان أمر الشيطان بالفحشاء إنما هو لأجل وعده بالفقر، لأن من خاف بخل بماله، بالبخل سبب ارتكاب سائر الفواحش، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام: «وَأَيُّ دَاءٍ أَلْوَى مِنْ الْبَخْلِ؟»^(٣)، صار مستغنى أن يذكر في مقابلة: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ بما ذكر من قوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْهُ وَفَضْلٌ﴾، لأن أمر الله تعالى بالخيرات والحسنات معلوم، وإنما المجهول أمر الشيطان، إذ كان أمره يخفى على الجاهل، وإنما يعرفه أولوا الأبواب..

١ - سورة يس : الآية (٦٠).

٢ - سورة الجاثية : الآية (٢٣).

٣- الحديث رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سيدكم يابني مسلمة ؟ قالوا : سيدنا جد بن قيس ، إلا أنه رجل فيه بخل ، فقال صلى الله عليه وسلم : (وأى داء ألوى من البخل ؟) بل سيدكم بشر بن البراء ، أخرجه الحاكم في المستدرک ح : ٣ ص ٢١٩ ، وقال : صحيح علي شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وأورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٧٦٥ .

قوله - عز وجل :

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

الآية (٢٦٩)-سورة البقرة .

قد تقدم أن الحكمة معرفة الموجودات، وفعل الخيرات بقدر طاقة البشر، وذاك عام فيما يدرك بالعقل وبالوحي، وإن كان قد خص في بعض المواضع بما يدرك بالعقل في نحو قوله: ﴿وَيُعَلِّمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١)، فقول ابن عباس: "الحكمة هاهنا: علم القرآن، ناسخه، ومحكمه، ومتشابهه"^(٢).

وقول ابن زيد: "إنها علم آياته وحكمه ومتشابهه"، وقول السدي أنها النبوة، وقول إبراهيم: إنها الفهم، وقول غيرهم إنها الخشية كلها صحيح، وإشارة إلى أبعاضها، ومن قال: عني بالخير الجنة، ومن قال: هو العلم الظاهر والباطن فصحيح، والحكيم يقال بمعنى الفاعل والمفعول نحو: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٣) أي محكم، ثم بين أن حقيقة ذلك لا يتذكرها إلا أولوا الألباب، وقد تقدم حقيقة اللب وماله من المزية على مقتضى لفظ العقل، وإليه أشير بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٤)، وأما من قال: "كل مكلف ذو لب" حاصل له، فبعيد عن معرفة حقيقته، وما تقدم يغني عن بسط القول فيه هاهنا.

١ - سورة البقرة : الآية (١٥١).

٢ - أورد القرطبي اختلاف العلماء في معنى الحكمة، فأورد قول السدي بأنها النبوة ، وقول ابن عباس بأنها المعرفة بالقرآن فقهه، ونسخه ، ومحكمه ومتشابهه وغريبه ، ومقدمه ، ومؤخره ، وقول قتادة ومجاهد بأنها العقل في الدين ، وقول مالك بن انس بأنها المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له ، وقال الربيع بن أنس : الحكمة : الخشية ، وقال إبراهيم النخعي : الحكمة : الفهم في القرآن ، وقال زيد بن أسلم ، وقال الحسن : الحكمة : الورع. ثم علق القرطبي بقوله : « وهذه الأقوال كلها ما عدا السدي والربيع والحسن قريب بعضها من بعض ، لأن الحكمة مصدر من الإحكام ، وهو الإتيان في قول أو فعل فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس ، فكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه حكمة ، وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة (تفسير القرطبي - ج ٢ - ص ١٢٥٢ ، وأورده ابن كثير بهذا المعنى في تفسيره ج ١ - ص ٣٢٢ .

٣ - سورة الدخان: الآية (٤).

٤ - سورة ق : الآية (٣٧).

قوله - عز وجل :

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

الآية (٢٧٠)-سورة البقرة .

إن قيل: كيف قال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ ، ثم قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾، ثم رجع إلى ذكر النفقة، وذلك كلمات متباينة في النظم متفاوتة في السرد؟ قيل: بل ذلك في نهاية حسن النظم، فإنه تعالى لما بين فضل الإنفاق في سبيله، وحث عليه حذرنا من الجنوح إلى الشيطان وإلى شرور النفس، وحثنا على الاعتماد على الحق بقوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ الآية، ثم بين بقوله : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ أن ذلك أمر يعرفه المتخصص بالحكمة التي يؤثر الله بها من يشاء، ثم رجع إلى ذكر النفقة، وبين أن ذلك موضوع عند من لا يسهو أولاً ينسى، وصار ذلك الحكمة مع كونه متعلقاً بما تقدم، كالاستطراد والتنويه بذكرها والحث على معرفتها والتخصيص بها..

إن قيل: ما وجه تعقيب الإنفاق بالنذر، ووجه الآيتين بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ بعدهما؟

قيل: النذر عقد الإنسان على نفسه فعل البر بشرط أو بغير شرط، ولما كان فعل الخيرات ضربين مفروغاً منه ومعزوماً عليه بين أن كلا الأمرين لا يخفى عليه، وذلك كلام متضمن للوعد والوعيد، وقال بعضهم: ليس النذر هاهنا ما يلتزمه الإنسان بالتطوع فقط، بل كل ما التزمه بالعقل أو بالشرع فنذر، وقيل الإشارة بالنذر إلى التطوع وبالإنفاق إلى الواجب، ثم بين أن من ظلم نفسه بتقصيره فيما يلزمه من ذلك أو ظلم غيره، فماله أنصار، وهو جمع نصير نحو: شريف، وأشراف، وفي ذلك تنبيه على ما قال:

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(١).

قوله - عز وجل :

﴿إِنْ تَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُزَوِّهَا لِلْفُقَرَاءِ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الآية (٢٧١) - سورة البقرة .

خفى الشئ صار في خفية، والخفاء ما يستر به كالغطاء، وخفيته: أزلت خفاءه وذلك إذا أظهرته، وأخفيته أوليته ما دون القوائد من الريش...، قال الخليل: لأنها تخفى إذا وقع الطائر قد أثنى الله تعالى على إبداء الصدقات بقوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾، وقال ابن عباس: هذا في صدقة التطوع، فأما الفرض، فأظهاره أفضل، لثلايتهم، وقال الحسن وقتادة: إخفاء جميعه أفضل، ومن الناس من يحتج بذلك في جواز إعطاء الصدقات في الصامت والناطق الفقراء دون الإمام، لقوله: ﴿وَتُزَوِّهَا لِلْفُقَرَاءِ﴾، وقال بعضهم: ليس القصد بذلك إعطاء الفقراء يداً بيد، بل القصد إخفاؤه، فإنك إن آتيت الساعي فقد آتيتهم لأن يده يدهم في الحكم، وبين أن إخفاء الصدقة أحمد، لأن قوله: "خير" إن جعلته في تقدير "افعل" فتفصيله ظاهر، وإن جعلته في تقدير: "فعل"، فالخير أبلغ معنى من مقتضى نعم، ولا قال في الإخفاء "فهو خير لكم"، فأكد به بلكم، ثم قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ﴾، ولم يصف الإبداء بذلك، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ تنبيهاً أنه إن أخفى لا يخفى عليه ولا يضل عنه، ويؤكد فضل إخفائه قوله:- عليه الصلاة والسلام «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه... وذكر رجلاً تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تصدقت به يمينه...»^(١)، وقوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ قريء مكسور النون والعين، وكسر النون

١ - الحديث أخرجه ابن عبد البر في التمهيد - ج : ٢ - ص ٢١٨، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري - ج : ٢ - ص ١٤٤. وأخرجه الإمام مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري في باب : ما جاء في المتحابين في الله ص ٩٥٢، وأخرجه الشيخان عن أبي هريرة ، والبخاري في ص ٨٦ - كتاب الحدود ، وفي ص ١٩ باب : فضل من ترك الفواحش، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب : الزكاة ص ١٢ ، وفي باب : فضل إخفاء الصدقة - حدث رقم ١٩ - ص ٣٠.

اتباع لكسر العين، وقرىء بفتح النون وكسر العين، وقرىء بسكون العين وكسر النون وتشديد الميم ويتخفيف الميم أيضاً، والسكون بعيد لالتقاء الساكنين، وليس أحدهما حرف مدولين^(١)، والتخفيف كذلك لحذف لام الفعل أو الميم من ما، وكلاهما لا ينقاس، وقوله: ﴿وَيَكْفُرُ﴾ إذا جزم فعطف على موضع الفاء، وإذا رفع فعطف على موضع الفاء، وإذا رفع فعطف على ما بعد الفاء نحو: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾^(٢)..

إن قيل : ولم قال: ﴿وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾؟ فأدخل فيه من قبل (قد): قال بعضهم : من زائدة وقيل تنبيهاً أنه لا يكفر جميع المعاصي، لأنه يكفر الصغائر بشرط اجتناب الكبائر عند قوم ويكفر الكل عن المسلمين بشرط اجتناب الكفر إن شاء عند قوم..

١ - قرأ بفتح النون وكسر العين كل من ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، والأعمش ، وقرأء بكسر النون وسكون العين كل من أبي عمرو ، ونافع ، وعاصم ، وقالون ، وأبي جعفر ، واليزيدي ، والحسن ، وشعبة ... معجم القراءات القرآنية - إعداد الدكتور / عبد العال سالم مكرم - الدكتور / أحمد مختار عمر - ج : ١ - ص ٢١٠ ، ٢١١ - الطبعة الأولى - سنة ١٩٨٢ .

٢ - سورة الاعراف - الآية (١٨٦) .

قوله - عز وجل :

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الآية: (٢٧٢) - سورة البقرة .

إن قيل: ما وجه اتباع هذه الآية لما تقدم؟

قيل: روى عن النبي ﷺ إنه والمؤمنين تخرجوا من مواساة الكافرين ومواصلة أقاربهم منهم، حتى إن النبي ﷺ سألته يهودي، فقال: لاحق لك، وإن "أسماء بنت أبي بكر" امتنعت من مواساة جدها وامراته، وإن الأنصار امتنعوا من الإنفاق على أصهارهم من الكفار، فأنزل الله تعالى ذلك تنبيهاً أن ليس عليك هداهم، وأن يهتدي الكافر، وإنما عليك أن تهديهم أي تدعوهم إلى الهدى على الوجه المأمور به - تنبيهاً أنه لا يجب أن تمتنع من مواساتهم^(١) لذلك، ومن الناس من قال: هذا كان عاماً في جميع الصدقات، فرضها ونفلها، ثم نسخت الفريضة بقوله:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾^(٢) .. الآية، ومنهم من قال: هو مخصوص في النافلة دون الواجبة، وإليه ذهب ابن عمر والحسن، وروي أبو حنيفة أنه لما أنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ تصدق الناس على الكفار من غير الفريضة، وقيل: عنى بالهداية الغنى، أي ليس عليك أن تهديهم، وإنما عليك مواساتهم، فإن الله يغني من يشاء وتسمية الغنى، هداية على طريقة العرب في نحو قولهم:

١- أورد السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام ، فنزلت: (ليس عليك هداهم، الآية فأمر بالتصدق على كل من يسأل من كل دين ». كما أورد السيوطي ما رواه النسائي والحاكم والبزار والطبراني وغيرهم ما روى عن ابن عباس قوله: « كانوا يكرهون أن يخضعوا لأنسابهم من المشركين ، فسألوا فرخص لهم ، فنزلت هذه الآية »، أسباب النزول - ص ٣٦ ط - دار المنار - القاهرة ، وكذلك أورد القرطبي ما ذكره النقاشي من أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصدقات ، فجاء يهودى فقال أعطنى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس لك من صدقة المسلمين شئ» فذهب اليهودى غير بعيد، فنزلت : « ليس عليك هداهم» فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم فأعطاه ، ثم نسخ الله ذلك بآية الصدقات ، تفسير القرطبي ج ٢ - ص ١٢٥٩ .

٢ - سورة التوبة : الآية (٦٠).

«رشدت واهتديت» لمن ظفر، و«غويت» لمن خاب وخسر، وعلى هذا قال الشاعر:

«ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً»^(١).

وقيل: ليس لقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَذَا هُمْ﴾ تعلق بالإنفاق، وإنما هو تسلية للنبي ﷺ، وتنبيهه أنك إن أمرت أن تكثر حثهم على الإنفاق، فليس يرجع عليك ملامة في تقصيرهم، كقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿لَأَنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ كقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ﴾، أي: أهل دينكم.

قال سفيان بن عيينة:

بين أن ما تنفقوا من صدقة فلأنفسكم، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٧) يعني: أهل دينكم - تنبيهاً أن حكم الفرض من الصدقة بخلاف حكم التطوع، فإن الفرض لأهل دينكم دون الكافرين، وقال غير معناه: ما تنفقونه فإنه يحصل لكم ثوابه سواء أوصلتم إلى مؤمن أو كافر، وقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، قيل: هي جملة في موضع الحال، كأنه قال:

١- هذا عجز بيت قاله الشاعر المرقطش الأصغر وشطره الأول:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

وقد ورد في ديوان الفضليات - ص ٥٠٢ - وفي شرح مايق فيه التصحيف والتحريف - ص ٤٦٠، ٤٦١ وخزانة الأدب للبغدادي - ج ٤: ص ٥٨٩، ٥٩٠، وورد في التلويح في شرح الفصيح للهرودي - ص ٢، وورد غير منسوب في تفسير الطبري - ج ١٦: ص ١٠، وفي ديوان الحطيئة، ص ٢٩٢، وورد في إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس - ج ١: ص ٢٨٢ تحقيق الدكتور زهير غازي.

٢ - سورة يونس : الآية (٩٩).

٣ - سورة البقرة : الآية (١١٩).

٤ - سورة النور : الآية (٥٤).

٥ - سورة يونس : الآية (٩٩).

٦ - سورة الانعام : الآية (٣٥).

٧ - سورة النساء : الآية (٢٩).

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾ إذ لم تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، أي إذا قصدتم به وجهه، وقيل: ذلك جملة معطوفة على جملة، ومعناه: "ما تنفقوا من خير فلأنفسكم وأنتم تقصدون به قصدكم به وجهه فقط لكون عوض" ..

إن قيل: ما معنى قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾ وهذا معناه كمعنى قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾، ما ذكره النبي ﷺ حيث يقول: «اللهم اجعل لمنفق خلفاً، ولمسك تلفاً»^(١)، ويعني به المنفق حيث ما يجب، وكما يجب، لا المنفق في عبارة وخسارة، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾، وهو تعالى يجعل لكم بالواحد سبع مائة، كما ذكره في الآية المتقدمة، والوجه هاهنا قيل معناه القصد والجهة، وقيل معناه القصد به الذات، نحو النفس، ومعناه: يقصد به ذات الله، لا طلب جزاء، ولا خوف عقاب، ولا غير ذلك من الوجوه التي يقصدها أبناء الدنيا بالإنفاق ..

قوله - عز وجل :

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

الآية: (٢٧٣)-سورة البقرة .

العفة : حبس النفس عن فضول الشهوات الرديئة من المأكّل، والمنكح، والاقتصار علي البلغة التي لا بد من المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾^(٢).

١- الحديث متفق عليه وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري كتاب الزكاة باب قول الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) - ج: ٥ ص١٤١ ولفظه : حدثنا اسماعيل حدثني أخى ، عن سليمان عن معاوية بن أبي مزرد، عن أبي الحباب عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مامن يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فتقول أحدهما : (اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً) كما أخرجه مسلم فى الزكاة عن القاسم بن زكريا وأخرجه النسائي فى عشرة النساء عن محمد بن نصر ، وفى الملائكة عن عباس بن محمد ، وهو فى فتح البارى ج ٥ - ص١٤١ كما أورده النووى فى رياض الصالحين فى باب «الكرم والجد والإنفاق فى وجوه الخير ثقة بالله تعالى» ص١٩١.

٢ - سورة طه : الآية (١١٨).

ويقول النبي ﷺ الله فيما يرويه سفيان:

«أربع من جاوزهن، ففيه الحساب: ما سد الجوعة، وكف العطشة، وستر العورة، وأكن البدن»^(١)..

ويدخل في العفة الجود، لأنه قد قيل: الجود ضربان: أن يكون بما في يدك متبرعاً، وأن يكون عما في يد غيرك متورعاً، والزهد يقاربه إلا الزهد، يقال اعتباراً بترك عرض الدنيا، والعفة تقال اعتباراً بحبس النفس عن الشهوات، وتتلازمان بالعفافة بقية ما في الضرع، كأنه قدر يمكن التعفف به، والإلحاف استشعار المسألة والاستقصاء فيها وتذرعها، يقال: لحفته: أي ألبسته إلحافاً، ككسوته، أي ألبسته كساءً، والوسم والسيما تتقاربان لكن الوسم علامة محسوسة كسمة البعير، والسيما علامة متفرسة، وأصلها من السوم، أي طلب الكلاء، وطلب المبيع، وسوم الماشية أن تطلب لها المرعى وإن كان قد يستعمل في إرسالها.

إن قيل: بم يتعلق قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾؟

قيل: هو على ما ذكر سنين بدل من قوله: ﴿لِأَنْفُسِكُمْ﴾، فقد ذكر أنه يعني بأنفسكم أهل دينكم، فصار الفقراء بعضهم، فصح أن يبدل منه بدل البعض من الكل، وقيل: يتعلق بقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، أي ما تنفقون لهم إلا تقرباً إلى الله عز وجل، فمعلوم أن من خص بنفقته هؤلاء، فإنه لم يقصد إلا وجه الله، وقيل: ذلك يتعلق بفعل مضمر يدل عليه: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، أو بقوله: ﴿يُوفُ إِلَيْكُمْ﴾، أي يوف إليكم، ويوسع لأجل الفقراء إشارة إلى ما قال - عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا تُنْصَرُونَ بِضَعْفَانِكُمْ وَتُمْطَرُونَ وَتَرْزُقُونَ»^(٢).

١- لم أجده .

٢- الحديث رواه الزبيدي في الإتحاف في باب الإخلاص، وروى أن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه - ظن أن له فضلاً علي من هو دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا نَصَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعْفَانِهَا وَدَعَوْتَهُمْ وَإِخْلَاصَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ»، وروى قول العراقي: رواه النسائي، وهو عند البخاري بلفظ: «هَلْ تَنْصَرُونَ وَتَرْزُقُونَ إِلَّا بِضَعْفَانِكُمْ» ورواه الحافظ أبو بكر البرقاني في صحيحه متصلاً عن مصعب بن سعد عن أبيه عن أبي الدرداء رفعه: «أُبْغَوْنِي الضُّعْفَاءُ، فَإِنَّمَا تَنْصَرُونَ وَتَرْزُقُونَ بِضَعْفَانِكُمْ». ورواه أبو داود بإسناد جيد، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق عاصم بن علي عن محمد بن طلحة بن مصرف عن أبيه عن مصعب بن سعد قال: رأي سعد أن له فضلاً علي من هو دونه، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا يَنْصَرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعْفَانِهَا بِدَعَوَاتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ» .

وقال بعض الناس : اللام تتعلق بقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ المذكور من بعد، وهذا لا يصح، لأن ما يتعلق بمعمول حرف الشرط لا يقدم عليه، وكذلك ما يتعلق بما بعد حروف العطف، وقد تقدم الكلام في الحصر والإحصار، وأن الإحصار أعم من الحصر، فإن الحصر يقال في منع العدو، والإحصار يقال فيه وفي منع الذي يكون من ذات الإنسان من العقل، أو الهوى، أو المرض، أو الخوف، فكل حصر إحصار، وليس كل إحصار حصرًا، ولأجل عموم الإحصار قال قتادة وابن زيد: "منعوا أنفسهم من التجارة خوفاً من الكفار"، وقال السدي: "منعهم الكفار بالخوف، وقيل: منعهم المرض، وقيل: حملوا على الحصر...، وقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي : ذهاباً لمنع العدو إياهم، وقيل: لمنع الله لهم وإلزامهم أنفسهم المراقبة في سبيله، ولم ينف عنهم القدرة، ولكن بين أن إيمانهم وأحوالهم تمنعهم عن الإخلال عما هم بصده، كقولك: "أمرني الأمير بكذا، فلا أستطيع أن أدخل به"، وقوله تعالى: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾، أي الجاهل بحالهم، وقيل: إن ذلك فيمن له استغناء في الظاهر وبه فقر في الباطن أو فقر إلى الله لمعرفة بحقائق الأمور، وقوله: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾، أي تتفرس فيهم أحوالهم، وذلك مما يدل على أن للفراسة حكماً صادقاً، وعليه دل قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(١)، وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾^(٢)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»^(٣)

إن قيل: ما وجه ذكر ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في ثلاثة مواضع متقاربة وتعليق كل واحد بحكم غير حكم الآخر، قيل: إنه بين أولاً ما ابتغى به الإنسان وجه الله، فنفعه راجع إلى نفسه، وبين في الثاني أنه وإن لم يقصد به وجه الله خالصاً، بل قصد به طلب ثواب، أو اتقاء من نار، أو غير ذلك من وجوه المصالح، فله ما قصده، وآتاهم الثواب في الثالث، حيث ذكر الإنفاق للفقراء الذين أحصروا،

١ - سورة محمد : الآية (٣٠).

٢ - سورة الفتح : الآية (٢٩).

٣- الحديث عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله » أخرجه الطبراسي ، وإسناده حسن وهو في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - ج : ١٠ - ص ٢٧١ ، كما أورده الراغب في مفردات ألفاظ القرآن - ص ٨٧١ .

فقال: (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم)، إشارة إلى ما قال:

(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت).^(١)

قوله - عز وجل :

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية (٢٧٤)-سورة البقرة .

قد تقدم أن إنفاق الأموال عند بعضهم ليس إنفاق المقتنيات فقط، بل كل ما خص الله به الإنسان من النفس والبدن في العبادة والعلم والجاه وغير ذلك، لكن الأظهر أنه إنفاق المقتنيات، وروي أنه لما نزل ذلك، كان مع أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فقليل له في ذلك ،^(٢) فقال: "أردت أن أستوجب من الله ما وعد به الذين يفعلون ذلك"، والإنفاق في سبيل الله ضربان، ضرب ظاهر، وهو الصدقة على الفقراء، وضرب غير ظاهر، وهو الإنفاق في المباحات إذا كان متناولاً من حيث يجب ومنفقاً على ما يجب وكما يجب، وقد تقدم ما قال بعضهم أن مباحات الأولياء كلها فرائض، فعني بقوله: علانية ما عرفه الناس أنه صدقة، وبالسري ما لا يعرفه صدقة إلا أولوا البصائر، وإلى هذا أشار من قال إنها نزلت في النفقة على الخيل، فإن الإنفاق على الخيل في الظاهر ليس بقربة، وقوله: ﴿بِاللَّيْلِ﴾ إشارة إلى نحو ما روي أن بعض الأنصار نزل به ضيف، وكان عنده طعام طفيف، فقدمه إليه في الظلمة بالليل يري أنه يؤاكلة وهو يؤثر به حتى أثنى الله عليه، والقصد بالآية في الجملة نفقة من لا يراني، أن لا يداحي، وإنما يُقصد به مرضاة الله فقط..

١- الحديث سبق تخريجه - ص (١٤٢)

٢- أورده السيوطي في أسباب النزول بسنده إلى الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب ، كانت معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً ، وبالنهار درهماً ، وسراً درهماً ، وعلانية درهماً كما أورد ما أخرجه ابن المنذر عن سعيد بن المسيب قال : «نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة» ، أسباب النزول - السيوطي - ص ٣٦، وكذا أورد ابن كثير ما أخرجه ابن مريويه عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب وما رواه ابن جرير عن طريق عبد الوهاب بن مجاهد ، كما أورد ما يوضح نزولها في أصحاب الخيل من طريق ابن شهاب عن ابن عباس فسموا رواه ابن أبي حاتم وأبو أمانة وابن المسيب ومكحول - تفسير القرآن العظيم ج ١- ص ٣٢٦.

قوله - عز وجل :

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الآية (٢٧٥) - سورة البقرة.

الخبط: الضرب على غير استقامة، كخبط البعير بيده، والرجل الشجر بعصاه، وقيل لمس الشيطان الإنسان الخبط والتخبط، لكون أفعال المتخبط على غير استقامة، والخباط سمة على غير استواء، والسلف من الأفعال المضايقة، ويراعى فيه معنى التقدم، يقال: أصم سالفه، والسالفه من الإنسان لتقدمها على ما دونها من الأعضاء إذا اعتبر من الأعلى، وأسلفته في المال، وسلافة الخمر صفوها الذي يتقدم خروجه من العصير، والعود الرجوع، وأصله من العود، فعاد: رجع إلى عوده، أي أصله، وسمي البعير المسن عوداً، لأنه لما كان غاية سنّها ذلك كآئه عاد إليه، وبيان ذلك أن الغرض والغاية بالذات شئ واحد، لأن الغاية هي بلوغ الغرض، وكان عرض الإنسان بناء دارما، فبناها على ما بوأها عاد بفعله إلى غرضه، فبناها على ما نواها الذي كان منه، وعلى هذا سمي الثوب لكونه ثابياً إلى ما كان الغرض من الغزل، وبهذا النظر قال: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾^(١) فسمي انتهاء الإنسان الذي هو الهرم "أردل العمر"، وعلى هذا قال: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾^(٢)، فسمي ذلك رجوعاً لما كان الغرض من الإنسان تلك الغاية، وسمي العادة عادة، لكونها معاداً للإنسان فيما يتعاطاه أو لكونها عائداً إلى الإنسان، ولهذا قال: **إِن التخلق يأتى بونه الخلق وهو يقال.. للبريط عود^(٣) والمتحرية** عود.

١- سورة الحج - الآية : (٥) .

٢ - سورة المائدة : الآية (٤٨).

٣ - البريط: العود من آلات الموسيقى. ومعناه صدر البط، والجمع برباط.. المعجم الوسيط: ج: ١- ص ٤٦.

كما يقال للنبيد شراب، واستعارة اسم الجنس والنوع لبعض منهما من أجل الكناية أحد ما يجب أن يراعى في الاشتقاق، والربا الزيادة على رأس المال من الربوة على ما تقدم، لكن في تعارف العرب هو لدفع دين بزيادة أو لزيادة ثمن لزيادة في الأجل، وصار في شريعتنا اسماً لذلك، ولبيع الأجناس الستة بعضها ببعض متفاضلاً ولا يجري مجراه على مقتضى العلة على حسب اختلاف الآية الثالثة، وقال بعض الفقهاء: البيع والربا لفظان عامان نظراً منهم إلى مقتضى، وقال بعضهم: هما مجملان، نظراً منهم إلى اعتبار شرائط فيهما لم تكن العرب تعتبرها، فصارت الأعراب لا تعرفها من دون المراجعة إلى صاحب الشرع، وكلا القولين صحيح بنظر ونظر، فإنهما عامان من وجه، ومجملان من وجه، ولذلك وصفهما الشافعي بالصفتين، فظن كثير من أصحابه أن قوله اختلف في ذلك، وروي في تفسير الآية أن المربى يقوم من قبره يوم القيامة مجنوناً، وأنه في المحشر يصرع ويوطأ بالأرجل إلى أن يحاسب الله الخلائق، ثم يدخل النار، وفي قراءة ابن مسعود: **"لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم"**،^(١) وقيل: معناه: من سوى بينهما يخرج في الآخرة من حد الأبرار إلى حد الذين اتبعهم الشيطان وكانوا من الغاوين، كما قال الله تعالى: **﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾**^(٢)، وقيل: هو تشبيهه من لم يفرق بين البيع والربا مع شدة تضادهما وتباين ما بينهما في أن البيع سبب العدل والعمارة للعالم، والربا سبب الجور وخراب العالم فنه أن قبح الربا مركز في العقول، بحيث أن من سوى بينه وبين البيع فقد بلغ به الجهل إلى حد الجنون، وقوله: **﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾**، أي من انتهى بعد الوعظ، فما أخذه من قبل ملكه، لا اعتراض عليه، ولكن أمره في الآخرة إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، وقيل: بل معناه: لا يؤخذ به في الدنيا ولا في الآخرة، ومعنى: **﴿وَأْمُرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾** على طريق الوعد له والسكون منه وأنه قد خرج من حزب الشيطان إلى حزب الله، كقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾**^(٣).

١- هي قراءة عبد الله بن مسعود، وقد أوردها أبو حيان في تفسير البحر المحيط - ج ٢: ص ٣٣٣، كما أوردها القرطبي في تفسيره - ج ٣: ص ٣٥٤، وأوردها معجم القراءات القرآنية - ج ١: ص ٢١٥ - إعداد: الدكتور / عبد العال سالم مكرم، والدكتور /

أحمد مختار عمر . ط : مطبوعات جامعة الكويت - سنة ١٩٨٢.

٢ - سورة النساء: الآية (٣٨).

٣ - سورة المائدة : الآية (٥٥).

وكقوله: **(الصوم لي وأنا أجزي به)**،^(١) وقوله: (ومن عاد)، قيل: من عاد إلى تحليله وقيل: إلى تحليله أو إلى فعله من غير استحلال، وقوله **﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾** مما يدل أن للشيطان تأثيراً في الإنسان بخلاف ما زعمت المعتزلة، حيث قالوا أن لا تأثير في الإنسان للشيطان إلا بالوسوسة، قالوا: وهو أن يغلب عليه من المره السوداء الضعف والقرع ما يحدث في المجنون، فمن قبل الله أومن قبل ذاته، وقال الجبائي: "لو كان الشيطان يتخبطه بمسه لوجب أن يخبط كل واحد، فقد ثبتت عداوته للصالحين، ولوجب أن يسلب الإنسان ما في داره من أثاثه ومتاعه، فكان يحمل متاعهم إلى المسىء الكاذب"، وقال أبو هاشم: "لو قدر على ذلك لقدرة على الصوت الرفيع، فكان يفشي سر المؤمنين ويضرب بينهم"، فنقول وبالله التوفيق: إن أول ما في قولهم هذا إبطالهم لنحو ما حكى عن أيوب: **﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾**^(٢)، وعن موسى: **﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾**^(٣)، ولا يكذبهما تعالى فيما قال، وقال: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**^(٤)، وقال مخبراً عن الشيطان: **﴿وَلَا ضِلَّيُهُمْ وَلَا مَنِّتُهُمْ﴾**^(٥) واستثنى الله تعالى أولياءه بقوله: **﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾**^(٦)، هذا مع غيره من الآيات الباهرة الظاهرة، فإن قيل: على أي وجه يكون سلطانه؟

١ - الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج: ٢ - ص ٢٨ كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والنسائي في سننه كما أورده السيوطي في الدر المنثور - ج: ١ - ص ١٨٠، كما أورده الزبيدي في إتحاف السادة المتقين - ص ٢٢، ٢٣، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال - حديث رقم: ٢٣٦٢٨، حديث رقم: ٤٣٦١٢ ونص الحديث: (عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل، فإن شاتمته أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه).

٢ - سورة ص: الآية (٤١).

٣ - سورة القصص: الآية (١٥).

٤ - سورة يوسف: الآية (٥).

٥ - سورة النساء: الآية (١١٩).

٦ - سورة الحجر: الآية (٤٢).

قيل: على الوجهين اللذين ذكرهما الله، أحدهما بالوسوسة، وهو أن يلقي في روع الإنسان أمراً ما يصير داعياً له إلى فعل يريده ويختاره، وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾^(١).

والثاني: بدخوله في خلال جسده، وإياه عنى بقوله: ﴿الَّذِي يَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى دَمِهِ»^(٢)، وما قالوه من أن الشيطان لو قدر على خبط الإنسان لسرق ثيابه فلجملهم بأمر الشيطان وجهة عداوته للإنسان وخصائص فعله إلا أننا نرى أن الحيات والعقارب تعادينا ولا تسرق أمتعتنا، وقد تقدم في ذكر السحر أن السحرة والشيطان لا يمكنها أن تفعل كل فعل كما ظنته المعتزلة، ولا أن تؤثر في كل واحد، وإنما تقدر على أفعال مخصوصة في أقوام ضعاف القلوب ومختلي العقول قليلي العبادة، وإذا أثرت أثرت تأثيراً ضعيفاً، ويقوى ذلك ما روي في قصة خالد بن الوليد أنه لما وجهه النبي ﷺ لهدم العزى تصور أنه خيال كان يفزع منه غيره إذا أبصره ويدبر عنه، فأقدم خالد لقوة قلبه وشدة شكيمته في الدين، فهدمه، وإلى تخويف الشيطان الإنسان يرجع قوله مخبراً عن قوم هود: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾^(٣)، ولولا تلبيس الشيطان عليهم لما أقاموا على عبادة أجسام أموات وأشباح جماد، وقد وصف الله سبحانه ضعف سلطان الشيطان على المؤمن فقال: ﴿إِنَّمَا السُّجُوتُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٤)، الآية... واستبعاد المعتزلة تأثير الشيطان، إنما هو لخروجهم بتحديقهم عن حد العامة في التزام ما تلزمهم الشريعة الإقرار به، وقصورهم بسوء تصورهم وفساد طريقتهم عن إدراك حقائق ما وردت به الشريعة حسب ما أدركه الحكماء الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَمَنْ يُزُنْ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٥)، فصاروا في كثير من ذلك كما قالوا: "لا مال أبقيت، ولا حرك أبقيت".

١ - سورة الناس : الآيتان (٤).

٢ - الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بسنده إلى ثابت البناني فيما يرويه عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من نسائه فمر رجل فقال : يا فلان هذه امرأتي ، فقال : يا رسول الله : من كنت أظن به فإني لم أكن أظن بك قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم - مسند الإمام أحمد - ج : ٣ - ص ١٥٦ وأورده القرطبي في تفسيره ج : ١ - ص ٣٠١ ، ٣١١ ، ج : ٢٠ - ص ٢٦٣ ، وأورده الزبيدي في الإتحاف ج : ٥ ص ٣٠ ، ج : ٦ - ص ٤ ، ٢٧٣ ، ج : ٧ - ص ٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠

٣ - سورة هود : الآية (٥٤).

٤ - سورة المجادلة : الآية (١٠).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢٦٩).

قوله - عز وجل :

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ الآية (٢٧٦) - سورة البقرة.

المحق نقصان الشيء حالاً فحالاً بحيث تخفى تفاصيله، يقال: محقه، فالمحق ومنه قيل: المحاق لآخر الشهر، وتربية الصدقات في الدنيا أن يثمر مال صاحبها، وذلك أدنى غنى النفس، ويدخر له لواحد سبع مائه ثم قد يزيد زيادة بلا حساب كما وعد، وعلى هذا ما روي عن النبي ﷺ. «إن الله يقبل الصدقات، ولا يقبل منها إلا الطيب، ويربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد»..^(١)

قيل: ما الفرق بين الربا والبيع وكل واحد منهما أخذ ربحاً على رأس المال؟

قيل: الفرق بينهما ظاهر، وذاك أنه قد تقدم أن الناس مفتقر بعضهم إلى بعض وإن كل واحد قائم بأمر آخرين، فلو أمروا أن لا يأخذ بعضهم ربحاً على رأس ماله، لرغبوا عن التجارة لضياح سعيهم، فكان يتعذر لأحدنا أن يتحصل له في حالة واحدة أشياء محمولة من آفاق متباينة، والبائع يأخذ ما يأخذه من غير عوض ولا سعي، بل بتضييق فضلات ماله على المحتاجين من حيث لا يلحقه ضرر، فصار ذلك منه أكل مال الناس بالباطل المنهي عنه بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(٢) ولأن المواساة واجبة بالشرع والعقل، فلو أبيع للناس الربا مع الشح الذي جبلوا عليه^(٣) لأدى إلى سد باب المعروف وإلى أن لا يوقى الإنسان شح نفسه المذكور في قوله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْهُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤)

١- الحديث أورده الإمام أحمد في مسنده - ج : ٢ - ص ٤٠٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ج : ١ ص ٣٦٥ ، وأورده القرطبي في

تفسيره - ج : ٨ - ص ٢٥١ ، وأورده ابن عدي في الكامل في الضعفاء - ج : ٤ - ص ١٦٤٦ .

٢ - سورة البقرة : الآية (١٨٨) .

٣ - في (و - ج) جبلوا عنه وهو خطأ من الناسخ .

٤ - سورة الحشر - الآية : (٩) ، وسورة التغابن - الآية : (١٦) .

فإنه كان يدعو إلى أن يبخل، وبخله يدعو إلى منع الزكاة وترك المواساة، وذلك يؤدي به إلى حرص على تناول المال من كل وجه، كالسرقة، والخيانة، والغصب، وعلى هذا قال جعفر بن محمد: **"إنما حرم الله الربا ليتقارض الناس"** وروي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ: **"مكتوب على باب الجنة : القرض بثمانية عشر، والصدقة بعشر أمثالها"** (١).

قال جعفر:

"لأن المستقرض لا يأتيك إلا وهو محتاج، والصدقة ربما وقعت في يد الغني".

إن قيل: لما قال: **﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾** ولم يقل: كل كافر وهو تعالى لا يحبهما جميعاً؟ قيل هو تنبيهاً على معنى لطيف، وهو أن الربا يدعو الإنسان إلى ترك الصدقة والزكاة وترك مواساة الناس، وإلى أن يأخذ مال الغير بالباطل، كما أن فعل الصدقة يدعو إلى الاستكثار من الخير، ولهذا قيل: عوداً مرأً ما اعتاد، ومتى تعود الإنسان فعل الشرور يصير ذلك مانعاً له عن الخيرات ومن الصدقة التي تطهر النفس، فنبه الله بقوله: **﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾** أن المرابي يؤدي به رباؤه إلى أن يصير كفاراً أثيماً وهما بناءان للمبالغة، فإذا صار كذلك، فإنه لا يكاد يتوب، وإذا لم يتب لم يحبه الله المحبة التي وعد بها التوابين في قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** (٢)، فهذا وجه تخصيص بناء المبالغة في ذلك.

١- الحديث أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده - ج ١: ص ٧٢، كما أورده ابن قدامة في المغني في كتاب البيوع - باب القرض فيه: رواه بن ماجة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأيت ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت يا جبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة.» المغني - ج ٤: ص ٥٨٦ - ط دار الفد العربي.

٢- سورة البقرة - الآية : (٢٢٢).

قوله - عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية : (٢٧٧) -سورة البقرة .

قد تقدم أن الإيمان في الأصل هو التصديق، ولا يكون التصديق إلا عن تحقيق، والتحقيق يقتضي العلم، فإذا: الإيمان مقتضى للعلم، وهو وإن كان في التعارف للعلم والعمل بحسبه، ففي الأصل، للإعتقاد النفسي، ولهذا قيل ما جاء الإيمان في القرآن إلا مقروناً بالعمل الصالح، ومما يؤكد ذلك خبر جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان ، لم يذكر النبي ﷺ الله في تفصيله شيئاً من الأعمال، فإذا قول من قال: ليست الأعمال البدنية من الإيمان، فصحيح على وجه، وقول من قال: هي من الإيمان فصحيح على وجه، ولكن لا يعتد بعلم لا يضامه العمل، وما أصدق في ذلك قول الشاعر:

لا يطمع المرء أن تجتاب غمرته بالقول إلا له جسراً له العمل^(١)

وأتبع قوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وإن كانا غير خارجين عن عمل الصالحات تخصيصاً لهما لكون إحداهما أشرف العبادة البدنية، والأخرى العبادة المالية، وفائدة تعقيب آية الربا بهذه الآية تنبيه على منافاة ما يستحق بهذه الأعمال، وما يستحق بتعاطي الربا..

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

الآية (٢٧٨) سورة البقرة .

أمر تعالى بالاعتصاف من الربا على رأس المال بقوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾، وقيل معناه:

١- الرواية الصحيحة البيت هي :-

لا يطمع أن يجتاب غمرته بالقول ما لم يكن جسراً له العمل

معلوماً وقوعه، فبين أن "إن" هاهنا لم يكن لوقوع شبهه في إيمانهم.

قوله - عز وجل :

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ الآية (٢٧٩) - سورة البقرة.

الحرب معلوم، والحرب السلب، لكون ذلك واقعاً فيها، وسمي بعض آلاتها الحربة. والأصل في الحربة اسم الفعلة، والتحريب إثارتها، والمحارب: قيل سمي لكونه موضع محاربة النفس والشيطان، وتسمية أشرف البقاع بالمحارب تشبيه لمحارب الصلاة بالإضافة إلى غيره من الأمكنة. والحرباء: دويبة تتلقى الشمس كأنها تحاربها. والحرباء: مسمار تشبيهاً بالدويبة في الهيئة، كقولهم: ضبة وكلب تشبيهاً بالضب والكلب.

ومعنى الآية: إن لم تفعلوا أمر الله، ولم تنقادوا له بعد، يزول الأمر بتركه، فأنتم في حكم المحاربين. قال ابن عباس: يقتضي ذلك أن المربي يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، ولا يقتضي كفرهم، فإن المحاربة قد تطلق على ما دون الكفر، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾^(١)، اتفق الفقهاء أن ذلك حكم المسلمين، ونبه بقوله: ﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ ﴾ أن من ترك ذلك، فلا بد أن يرد إليه رأس المال لا يظلمهم الناس بأن يفوزوا بأصول مالهم، ولا يظلمونهم بأن يأخذوا زيادة على أصل مالهم، وقريء (فأذنوا)^(٢) أي: أعلموا ذلك غيركم، وذلك يقتضي معنى (فأذنوا)، لأنه لا يكون الإنسان مؤذناً حتى يكون آذناً.

وفي قوله: (ولا تظلمون) ما دل عليه قوله - عليه الصلاة والسلام - «مطل الغنى ظلم»^(٣)، وقوله إلى الواحد يحل عرضه وعقوبته فأحلال عرضه التغليظ عليه بالمطالبة وعقوبته حبسه.

١ - سورة المائدة - الآية : (٣٣).

٢ - قرأ بهذا الوجه كل من حمزة، وعاصم، والأعمش، وشعبة، وطلحة.. معجم القراءات القرآنية-ج: ١-ص ٢١٧.

٣ - أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري في كتاب في الاستقراض باب (مطل الغني ظلم) وذلك في أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مطل المغني ظلم) ج: ٧-ص ٤٢٦. كما أورده في كتابه الحوالة رواية عن أبي هريرة أيضاً-ج: ٧-ص ٢٥٩، كما أخرجه مسلم في البيوع، وأخرجه النسائي أيضاً وأخرجه الترمذي وابن ماجة والنسائي من رواية سفيان ابن عيينة.

ذروا العمل به، وكلاهما يصح له اللفظ، فيحمل عليهما، وروي أن النبي ﷺ قال في خطبته بمكة: «ألا إن كل ربا كان في الجاهلية، فهو موضوع، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب»^(١) وروي أن أهل الطائف صالحوا على أن لهم رباهم في الناس، فلما أسلموا امتنع بنو المغيرة من دفع الربا، وترافعوا في ذلك إلى عتاب بن أسيد عامل النبي ﷺ على مكة، فكتب في ذلك إلى النبي ﷺ الله، فكتب عليه الصلاة والسلام بالآية،^(٢) ونبه تعالى بالآية أن المربي غير متقي لله، فإن تقواه انتقاء معاصيه من المحظورات العقلية والشرعية، وقد تقدم أن تعاطي الفعل يدعو إلى جنسه خيراً كان أو شراً، فمن انتقاء في شئ ما فهو أقرب إلى أن يتقيه في غيره..

إن قيل: كيف قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ؟

قيل: سماهم مؤمنين لإقرارهم بالإيمان، ثم بين بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أن من شرط الإيمان التزام أحكامه، فإن (فإن كنتم مؤمنين) فلا بد من التزام ذلك، وقيل: معناه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قولاً التزموا ذلك إن كنتم مؤمنين فعلاً، وهذا يرجع إلى الأول، وقال مقاتل: معنى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم مؤمنين، ووجه قوله: إن (إن): مترددة فيما يتحقق وقوعه، وفيما لا يتحقق، و(إن): تقال فيما كان

١- الحديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب البيوع - باب: وضع الربا من حديث سليمان بن عمرو عن أبيه قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول: (ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، ألا وإن كل دم من دم الجاهلية موضوع، وأول دم أضع منها دم الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل، وقال: اللهم هل بلغت، قالوا: نعم ثلاث مرات قال: (اللهم اشهد ثلاث مرات) كما أخرجه الترمذي في تفسير القرآن حديث رقم ٣٠٨٧ وقال: حسن صحيح. كما أخرجه ابن ماجة في المناسك حديث رقم ٣٠٥٥ باب: (الخطبة يوم النحر) ونسبة المنذرى للنسائي أيضاً وأخرجه أبو داود حديث رقم ١٩٠٥ باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرجه مسلم في الحج حديث رقم ١٢١٨، وأخرجه النسائي مختصراً في الحج حديث رقم ٢٧١٣ باب: الكراهية في الثياب المصبغة للمحرم وأورده الدارمي في سننه ج: ٢، ص ٢٤٦، كما أورده الطبري في تفسيره، ج: ٣، ص ٧٢ والقوطي في تفسيره ج: ٢، ص ٢٥٦، ص ٣٦٥ وأورده ابن كثير في تفسيره ج: ١، ص ٤٩٠، والسيوطي في الدر المنثور ج: ١ - ص ٣٦٧.

٢- ذكر السيوطي في أسباب النزول مأخرجه أبو يعلى في مسنده وابن مندة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة، وكان بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسالته على مكة وضع يومئذ الربا كله، فأتى بنو عمرو وبني المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: أما جعلنا أشقى الناس بالربا، ووضع الناس غيرنا، فقال بنو عمرو: صولحنا أن لنا ربانا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، كما ذكر السيوطي وأخرجه ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في ثقيف، منهم مسعود، وحبيب، وربيعه، وبني عمرو، وبني عمير. أسباب النزول - السيوطي - ص ٣٦، ٣٧ - ط: دار المنار - القاهرة.

قوله - عز وجل :
﴿وَأَن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

الآية (٢٨٠) - سورة البقرة .

كان هاهنا بمعنى وقع، أي وإن وقع معسر، وقيل: هي ناقصة، وتقديره وإن كان ذو عسرة غريباً لكم، فحذف الخير لكون المعنى مفهوماً، وهذا أجود، فإن التامة أكثر ما يعلق بها الأحداث دون الأشخاص، نحو: كان الخروج كقولك: اتفق للخروج، ولا تقول كان زيد، وأنفق زيد، وقيل: قراءة أبي: (وإن كان ذا عسرة)^(١) . وقوله: فنظرة إلى ميسرة) أي: فعليكم انتظار، فقرأ الحسن: (فنظرة) بسكون الظاء^(٢) . وقرئ مناظرة^(٣) نحو: فاقرة، وكاذبة.

واختلف هل يجب الانتظار في رأس مال الربا أو في كل دين؟ فمنهم من قال: النص يقتضي ذلك في كل، فإنه تمم حكم الربا، ثم ذكر اعتبار من عليه دين رباً كان أو غيره، وهو قول ابن عباس، والضحاك، والحسين. ويؤكد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً كَانَ فِي ظِلِّ اللَّهِ، أَوْ فِي كَنْفِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ شَدَّدَ عَلَىٰ إِمْرِي فِي التَّقَاضِي إِذَا كَانَ مُعْسِراً، شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ».

وقال شريح وإبراهيم، وروى عن ابن عباس أن ذلك في الربا خاصته والتصدق على المعسر ترك رأس المال عليه، نحو قوله في القصاص: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾^(٥) أي تتصدقوا، فأدغم، وقرئ: (تصدقوا) بتخفيف الصاد على حذف إحدى التاءين بدلالة الأخرى عليه، وقرئ: (ميسرة)^(٦) بضم السين، وذلك لغتان نحو: مشربة، ومشربة وقرئ مجاهد (ميسرة)، ولم يجوزه البصريون لعدم مفعل في كلامهم، وذكر الكوفيون ألفاظاً يسيرة من ذلك ليوم ردع أو فعال مكرم.

١- قرأ بهذا الوجه أيضاً كل من عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وعثمان، والمعتز، وحجاج الوراق. معجم القراءات القرآنية ج: ١ ص ٢١٨.

٢- قرأ بهذا الوجه أيضاً كل من أبي رجاء، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، معجم القراءات القرآنية ج: ١ ص ٢١٨.

٣- قرأ بهذا الوجه عطاء، نفس المرجع السابق - ص ٢١٨.

٤- سورة المائدة - الآية: (٤٥).

٥- سورة النساء - الآية: (٩٢).

٦- قرأ بهذا الوجه كل من نافع، وابن محيصن، ومجاهد، وشيبة، وعطاء، والحسن، وأبي رجاء، وحيد بن قيس، نفس المرجع - ص ٢١٩.

وقوله - عز وجل :

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

الآية (٢٨١) - سورة البقرة .

قال ابن عباس:

هي آخر آية نزلت من القرآن،^(١) فقال جبريل للنبي ﷺ: "ضعها في رأس الثمانين والمائتين من سورة البقرة، وقد تقدم الكلام في الفرق بين: (اتقوا الله)، (واتقوا ربكم)، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾ وما يجري مجراه؟ ومعنى الرجوع فليس على تصور رجوع إلى مكان بعد المقارنة كيف يكون ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^(٢)، وإنما ذلك رجوع، إما على ما ذكرنا في العود آنفاً، وإما على تصور خلقة أبانا المشار إليه بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣)، وعلى هذا: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَالَى اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَاللَّهِ يَرْجِعُ الْأُمُورَ كُلَّهُ﴾^(٦) وتوفية كل نفس ما كسبت جزاءها، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرّاً، كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٧) الآية، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، أي: لا ينقص ثوابهم، ولا يزداد عقابهم..

١ - أورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في كتاب التفسير- باب: (اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) قال حدثنا سفيان، عن عاصم، عن الشعبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (آخر آية نزلت عن النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا) فتح الباري ج: ١٢، ص ٥٣٦. وكذا أخرجه الطبري عن طريق جماعة من التابعين وزاد عن ابن جريج قال: يقولون: إنه مكث بعدها تسع ليال، ونحوه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

٢ - سورة المجادلة : الآية (٧).

٣ - سورة الأعراف : الآية (١٧٢).

٤ - سورة الأنبياء : الآية (١٠٤).

٥ - سورة البقرة : الآية (٢١٠)، سورة آل عمران : الآية (١٠٩)، سورة الحديد : الآية (٥).

٦ - سورة هود: الآية (١٢٣).

٧ - سورة الأنبياء : الآية (٤٧).

قوله - عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقُوكُمْ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية (٢٨٢) سورة البقرة..

دنت الرجل : أخذت منه ديناً، وأدنته: جعلته دايماً، وذلك بأن تعطيه ديناً، والتداين والمداينة تدافع ذلك، والبخس والنخس يتقاربان، لكن النخس أن يصيب بدنه، أي مكان كان والبخس أن يصيب عينه، وعنه استعير بخس حقه، كقولهم عورحقه، وتباخسوا في البيع تغابنوا كأن كل واحد يبخس صاحبه عما يريد منه باحتياله، والسفه خفة في العقل ومقتضياته، ولهذا يقال: "سفيه الرأي"، وسفيه اللسان"، و"زام سفيه" علي التشبيه..

والسامة ملك يورث الضجر، والصغر خلاف الكبر، وأصله أن يستعمل في المقدار، ثم يستعمل في الأحوال، ومنه صغر صغراً أو صغاراً إذا تحاقر لإحتمال ضيم والقسط النصيب على سبيل العدالة، فإن قيل: فإذا كان القسط ما يقول، فكيف قيل: قسط إذا جار؟

قيل: معنى قسط أخذ قسط غيره، وذلك عدل، فصار قسط وأقسط في التناول والمناولة، كقولهم عطاء، وأعطى..

إن قيل: لم قال: ﴿إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنَكُمْ﴾، وتدايتم ينبئ عن الدين والمدين، والتداين يقال في

المجازاة، فبين بلفظ الدين المراد والمقصود في هذا المكان أنه لما عقب بقوله: فاكتبوه، ذكر لفظ الدين، ليبين أنه هو الذي حث على كتبه، وكتب ذلك واجب عند الربيع، وإليه ذهب عامة الفقهاء، ومنهم من قال: هو في السلم خاصة، وحقيقة: (اكتبوه) حث على الاعتراف به وحفظه، فإن الكتاب خليفة اللسان، واللسان خليفة القلب، فلما قال: فاكتبوه، فقد حث على غاية ما يكون في ذلك من الاحتياط، وقوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، قيل: واجب على كل حال على كل كاتب، وقيل: واجب على الكفاية كالجهاد، وهو الصحيح، والكتابة بين المتتابعين وإن كانت غير واجبة، فقد تجب على الكاتب إذا أتوه، كما أن الصلاة النافلة وإن لم تكن واجبة على فاعلها، فقد تجب على العالم - تنبيهاً إذا أتاه مستفتي، وقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ حث على بذل جهده في مراعاة شروطه مما قد لا يعرفه المستكتب، وقوله: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، أي: ليقر، ولولا وجوب الحكم بإملائه، لم يكن إملائه أولى من إملاء غيره، ولهذا قال: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ وذلك نظير قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾^(١)، لما كان قولهن مقبولاً، وعلى هذا قوله: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾، إن قيل: لم جمع بين لفظ (الله) ولفظ (الرب) في قوله: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾؟ قيل: إن لفظ الله يقال اعتباراً بالوله إليه أو العبادة له، ولفظ "الرب" يقال اعتباراً بكونه تعالى مربياً لعباده ومنعماً عليهم، وقد تقدم أن الإنسان يعرف الله رباً قبل أن يعرفه معبوداً وذلك بمعرفة نعمه يتوصل إلى معرفته، فجمع هاهنا بين اللفظين، كأنه قال: "اتقوه معتبرين بذاته ومعتبرين بنعمه"، وأما تقديم لفظ (الله) على (الرب)، فقد تقدم في بيان قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، ولأن مراقبة ذاته تعالى أبلغ وأشرف من اعتبار نعمه، فكأنه قيل: "إن لم تلاحظوه، فلاحظوا نعمه اللازمة لكم"، وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً﴾ أي مبذراً، لقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾^(٣)، وقيل: عني بالسفيه النساء، وبالضعيف الصغير، وبالذي لا يستطيع أن يمل هو المغلوب على عقله، ومنهم من حمل السفيه والضعيف على شئ واحد، وقال أو زائده، وذلك ظاهر الفساد في اللغة، وقوله: ﴿وَلِيَّهِ﴾ أي: ولي أحد هؤلاء الثلاثة، ولا يجوز أن

١ - سورة البقرة : الآية (٢٢٨).

٢ - سورة الفاتحة : الآية (٢).

٣ - سورة النساء : الآية (٥).

يكون ولي الحق كما قال بعضهم، لأن قوله لا يؤثر، إذ هو مدع.

وقوله: ﴿بِالْعَدْلِ﴾ حث على تحريره لصاحب الحق وللمولى عليه، وقوله: ﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قال بعضهم: تقتضي هذه الإضافة الإيمان والحرية والبلوغ لتخصيص الرجال، ويقتضي "من ترضون من الشهداء" العدالة، لأن المقصد من الاستشهاد إقامة الشهادة، أما شهادة العبيد والصبيان، وشهادة النساء في غير، وشهادة الأعمى والفاسق وغير ذلك من أحكام الشهادة، فكتب الفقه به أولى، وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي وليشهد رجل وامرأتان، وقوله: ﴿فَتَذَكَّرَ أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ أي تذكر الأخرى إذا نسيت، وقال سفيان بن عيينة: يجعلها كذكر في الحكم.. إن قيل: ما وجه قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ أَحَدُهُمَا فَتَذَكَّرَ﴾، وذلك يقتضي أن يكون القصد بالاستشهاد الضلال، قيل: قد قال سيبيويه في ذلك: لما كان الضلال سبب الأذكار، وهو متقدم عليه، صار لتعلق كل واحد منهما بالآخر في حكم واحد، قال: ومثل ذلك من قال أعددت هذا الخشب ليميل الحائط فأدغمه، قال الفراء: تقديره: فتذكرها إن ضلت، لكن لما قدم أن -فتح، فصار متعلقاً بما قبله: وهذا طريق في مسائل، وقرأ حمزة (أن تضل)، وقرئ (أن تُضِلَّ)^(١) من أضلت، لتقارب ضل، وأضل تقارب نسيت وأنسيت، وقيل: (أن تضل) أي تضعيع شهادتها ما لم تضامها الأخرى إشارة إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام: «أما نقصان عقلهن فشهادتهن على النصف من شهادة الرجال»^(٢). وقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال قتادة والربيع: "إذا ما دعوا لتحمل الشهادة"، وقال مجاهد: لإقامتها، وقيل: لهما، وهو الصحيح، وقال بعضهم: لا يجوز أن تكون للتحمل، لأنه حينئذ لا يكون شاهداً، وهذا سوء تصور منه، ألا ترى أنه قال: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾؟

١ - قرأ بهذا الوجه كل من الجحدري، وعيسى بن عمران، وقرأ أن (تُضِلَّ) كل من الجحدري والنقاش. معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ٢٢٢.

٢ - الحديث أخرجه الإمام مسلم من حديث ابن عمر ومن حديث أبي هريرة كذلك، ولفظه: (تمكث الليالي ماتصلي وتفطر في شهر رمضان فهذا نقصان دينها)، كما أخرجه أبو داود في مسنده من حديث عبد الله بن عمر - حديث رقم: ٤٦٧٩، كما أخرجه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - في كتاب الحيض، وذكر قول ابن مندة: ذكر بعضهم هذا الحديث ولا يثبت بوجه من الوجوه، وقال في قريب من هذا المعنى ما تفق عليه من حديث أبي سعيد قال: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تقم فذلك من نقصان دينها»، كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج: ١ - ص ٢٧١.

فسماهما شهيدين، قيل: إن استشهد وبين قوله: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ إن قليل الدين وكثيره يستحب كتابته، وبين علة ذلك بقوله: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي أعدل، وأقوم للشهادة أي أثبت، ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي أبعد من أن تقع شبهة، ثم استثنى ما كان حاضرة، وخفف الأمر فيما لا أجل فيه وما لا يكون له ثبات في مكان كما الدور والعقار، نحو الطعام والشراب، وقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ - قيل: "هو يرجع إلى الأول دون ما يكون تجارة حاضرة، وقيل: يرجع إلى الكل حتى قال بعضهم. يشهد على سامع حتى على ناقة.

قيل وقوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قرئ بفتح الراء "لا يضار" ^(١) بأن يدعي وهو مشغول، عن ابن مسعود ومجاهد، وقيل: هو يضار، أي: لا يمتنع الكاتب من الكتابة، والشهيد من إقامة الشهادة عن الحسين وقتادة وابن زيد، لئلا يؤدي إلى ابطال الحقوق، وقوله: ﴿وَأَن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ خطاب للجميع على سبيل الوعيد، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ إعادة للوصية، إن قيل: كيف قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وكرر لفظ (الله) ثلاث متواليات ولم يعدل إلى الكناية، وهل ذلك في استقبح الإعادة لولا شرف لفظ (الله).

كقول الشاعر: «فما للنوى جد النوى قطع النوى» ^(٢)

حتى قيل: «سلط الله على هذا البيت شاة ترعى منه النوى» .

وكقول الآخر:

بجهل كجهل السيف والسيف منتضي وحلم كحلم السيف والسيف مغمد ^(٣)

فاستردل البيت لإعادة لفظ «السيف» مراراً...، قيل: إن ذلك بعيد عن الآية، فإن البيت الأول استقبح لا لإعادة النوى فقط، بل له، ولأن قوله «جد النوى قطع النوى» بمنزلة واحدة، ولهذا الباب

١ - قرأ بفتح الراء «ولايضار» ابن كثير، ومجاهد، والحسن، وعمر، والضحاك، وابن مسعود انظر: إتحاف الفضلاء -

ص ١٥٨ - إعراب القرآن - للنحاس - ج: ١ - ص ٣٠١ - البحر المحيط ج: ٢ - ص ٣٠٣، ٣٥٤ - تفسير الطبري - ج: ٦ - ص ٨٧،

٨٨، الكشف - ج: ١ - ص ١٦٩ - معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ٢٢٦، وأوردها الراغب في مفردات ألفاظ القرآن -

ص ٥٠٤.

٢ - لم أهتم إلى نسبته .

٣ - لم أعثر عليه.

قانون يعرف به المستقبح من المستحسن، وهو أن كل تكرير على طريق تعظيم الأمر وتحقيره في جمل مواليات كل جملة، ومنها مستقلة بنفسها، فذلك غير مستقبح، وإذا كان ذلك في جملة واحدة أو في جمل في معنى واحد، أو لم يكن فيه التعظيم أو التحقير، فذلك مستقبح، وهذا ظاهر في الآية والأبيات المذكورة، فإن قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حمل في معان مفترقة، فإن الأول: حثٌّ على تقوى الله، والثاني: تذكير بنعمه، والثالث: تعظيم له متضمن لوعده ووعيد شديد وقصد لعظيم كل واحد من هذه الأحكام، فأعيد لفظ (الله) فيها..

فأما البيت الثاني: فهو جملة واحدة، لأن قوله: كجهل السيف في موضع لقوله: يجهل، وكذلك قوله: "والسيف مغمّد" جاء لقوله: الحلم للسيف، وعلى قول الآخر:

"لا أرى الموت يسبق الموت شيء"^(١)

فإن قوله: (يسبق الموت) "مفعول ثان" لقوله: (لا أرى)، والكلام كله جملة واحدة، وهذا ظاهر..

١- هذا شطر بيت وتامه :

نقص الموت ذا الفنى والفقيرا

لا أرى الموت يسبق الموت شيء

وهو من قصيدة لعدي بن زيد، وقيل لابنه سودة بن عدي وينسب أيضاً لامية بن أبي الصلت والصحيح القول الأول، وهو:

قصيدة أولها :

أرقب الليل بالمصباح بصيرا

طال ليلى أراقب التنويرا

ديوان عدي بن زيد - ص ٦٥.

وعدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن بني امرئ القيس ابن زيد مناة بني تميم انظر : الكتاب - لسبويه - ج : ١ - ص ٣٠ - أمالي ابن الشجري - ج : ١ - ص ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٤٣ - الخصائص - ج : ٣ - ص ٥٣ ، ٤٢ شواهد المغني - ص ٢٩٦ - خزانة الأدب - ج : ٢ - ص ٥٣٤ ، ج : ٤ - ص ٥٥٢ ، ج : ١ - ص ١٨٣ ، ٣٧٩ - إملاء العكبري - ج : ١ - ص ٥٤ ، لسان العرب - مادة : (نقص) - ومغني اللبيب - ص ٥٠٠ - ومعاني القرآن - للأخفش - ج : ١ - ص ٢١٢ - المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى - لأبي النصر السمرقندي المعروف بالحدادي - ص ٢٩٨ ، شرح أدب الكاتب - للجواليقي - ص ١١٤ - إعراب القرآن - لأبي جعفر النحاس - ج : ١ - ص ٣١٠ ، ٣١١ - إعراب القرآن - المنسوب للزجاج - ج : ٣ - ص ٩١٣ ، واستشهد به غير منسوب في تفسير الطبري - ج : ٤ - ص ٤٢ ، ومغني اللبيب - رقم ٨٤٢.

قوله - عز وجل :

﴿وَأَن كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَلَمَ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

الآية (٢٨٣) - سورة البقرة .

الرهن: حبس السلعة بحق، ثم يستعمل في غيره على طريق التشبيه، وأؤتمن: أخذه واستوفاه كقولهم اكتحل واغتسل إذا استوفى ذلك، وقيل: رهن، ورهن، ورهن فرهن، نحو ثمر، ورهن على التخفيف^(١)، قيل: رهان، كقولهم: ثمار، وكلاب، وقال بعضهم: ليس الرهان إلا في المخاطرة، وحكم الرهن ثابت في الحضر والسفر عند عامة الفقهاء، وبعضهم خص حكمه بالسفر عند عدم الكاتب، وقرأ ابن عباس: (فلم تجدوا كاتباً..)^(٢) أي صحيفة ودواتاً، وقوله: "فرهان" أي فليدفع رهاناً، أو فليوجد رهاناً، واشترط كونها مقبوضة تنبيه أن الرهن لا يثبت حكمه ما لم يكن مقبوضاً لأمرين..

أحدهما: أن ذلك معطوف على الشهادة، فكما أن الشرط في الشهادة معتبر كذلك هاهنا. والثاني: أن حكم الرهن مأخوذ من هذه الآية، وقد أجاز به هذه الصفة، فيجب أن تعتبر الصفة فيه. وأما حكم ما يجوز رهنه وما لا يجوز، وما يصححه ويفسده، فكتب الفقه أولى به، وقوله: ﴿فَإِن أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يحث من يؤتمن على حفظ الأمانة، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٣)، وحذر غاية التحذير بقوله: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ خطاب لمن عليه الحق، وللشاهد جميعاً، لأن الشهادة إعلام، ويقال للإقرار شهادة، ولهذا قال تعالى: ﴿كُونُوا قَرَامِينَ بِالْقَسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤)، وكما أن كتمان الشهادة محرم، فما هو منه بسبب

١ - قرأ (فرهان) بضم الراء والهاء (فرهن) كل من : ابن كثير، وأبي عمر، وابن محيصن، واليزيدي، وابن عباس، وقرأها بضم الراء وتسكين الهاء (فرهن) كل من عاصم، وابن كثير، وأبي عمرو، معجم القراءات القرآنية ج-١ ص٢٢٧.

٢ - قرأ بهذا الوجه ابن عباس، ومجاهد، وأبي، وأبو العالية، وعكرمة، والضحاك بن مزاحم. انظر : إعراب القرآن - لابي جعفر النحاس - ج : ١ - ص٣٠٢، والبحر المحيط - ج : ٢ - ص٣٥٥، وتفسير الطبري - ج : ٦ - ص ٩٤، الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ج : ٣ - ص٤٠٧، الكشف - للزمخشري - ج : ١ - ص ١٦٩، معجم القراءات القرآنية - ج : ١ - ص٢٢٧.

٣ - سورة النساء : الآية (٥٨).

٤ - سورة النساء : الآية (١٣٥).

محرم كالتأخر عن إقامتها عن تحملها في بعض الأحوال، وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبُهُ﴾، أي يَأْتِمُ بذلك قلبه، ويجوز أن يكون معناه: "إنما يكتُم الشهادة، ومن يكتُم لأنه قد آثَمَ قلبه" قيل فحمله ذلك على ارتكاب المحارم، واحتقَاب المآثِم، وإضافة الإثم إلى القلب مبالغة في الذم، فالقلب مقر البر والإثم، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾^(١)، وقال بعضهم: "في آية الدين صلاح الدين والدنيا"، فالإنسان بمراعاة ما أرشده الله إليه فيهما يبعد عن جحود الحق الذي هو سبب التنازع، والتنازع سبب كل شر، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٢)، ومن هذه الوجه منع من البيعات المجهولة وجهل المدة وسائر الأشياء المؤدية إلى المنازعة، أوجب الإشهاد من أوجبه، لأن كل ما يؤدي إلى فساد فحسم مادته واجب..

قوله - عز وجل :

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية (٢٨٤) - سورة البقرة .

قد تقدم ما هو جواب عن سؤال من قال: لم قال الله: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ودلالة خطابه تقتضي أن ليس له السماوات والأرض، وقال بعض الصوفية في قوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تنبيه أنه لا يجب الاشتغال بهما، بل يجب الاشتغال بمن أوجدهما وملكهما - تنبيهاً أن من تركها وأقبل عليه ملكه إياهما وما هو أفضل منهما، وإياه قصد بقوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾^(٣)، إن قيل: ما وجه نظم هذه الآية مع ما قبلها؟ قيل: إنه لما فرغ من حكم الإيمان والعبادة والأحكام المذكورة في هذه السورة، ختمها بالموعظة، ونبه على وجوب تفويض الأمر إليه، ولما كانت حقيقة العبادة متعلقة بالقلب، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "أخلص يَكْفِكَ القليل من العمل"^(٤)، وهو أحد ما أفاد قوله - عليه الصلاة والسلام: «البر ما اطمأن إليه

١ - سورة التغابن : الآية (١١).

٢ - سورة الأنفال : الآية (٤٦).

٣ - سورة فصلت : الآية (٣٧).

٤ - الحديث سبق تخريجه في ص ٢١٨

القلب»^(١) وقوله: ﴿وَلَا تَبْذُرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، كقوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَعَلِّمُوا أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(٣)..

إن قيل: هذه الآيات تقتضي أن يكون الإنسان مؤاخذاً بما تتحرك به الخواطر، وقول النبي - عليه الصلاة والسلام ينافيه في الظاهر «إن الله تجاوز عن أمتي عما حدثت به أنفسها»^(٤)، وكذلك قوله: من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه...^(٥)

قيل: قد تقدم إن أول ما يعرض من حديث النفس السابح، ثم الخاطر، ثم الإرادة والهم، ثم العزم، وإن السابح والخواطر متجافي عنهما بكل وجه، وأنه متى صار نية، فذلك عمل مأخوذ به، وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنِّمِ وَبَاطِنَهُ﴾^(٦) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾^(٧)، وألهمه متى كانت من وسوسة الشيطان وتصدي الإنسان لدفعها وقمعها فهو المتجافي عنها، بل هو الموعود بالإثابة على دفاعها، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»^(٨)، ومتى كانت نفس وإجماع من النفس، فذلك فعل منه، ولذلك قال بعض الصالحين: "عليكم

١- الحديث سبق تخريجه في ص

٢- سورة الزعد - الآية : (١٠) .

٣- سورة البقرة - الآية : (٢٣٥).

٤- الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة في كتاب : (الإيمان)، ونصه : « إن الله - عز وجل - تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به » ، كما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الطلاق) - ج : ٦ - ص ١٦٩ ، كما أخرجه النسائي في سننه في كتاب الطلاق - باب : (من طلق في نفسه) - ج : ٦ - ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج : ١ - ص ٢٧٥ ، كما أخرجه أبو حيان في البحر المحيط - ج : ٢ - ص ٧٥٠ - ط : دار الفكر .

٥- الحديث : (من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرة إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة أو يحوها الله ولا يهلك على الله تعالى إلا هالك) ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروى عن ربه ج : ١ - ص ٢٧٩ ، ٣٦١ ، ج : ٢ - ص ٢٣٤ كما أخرجه الزبيدي في الإتحاف ، ج : ٧ - ص ٢٩٣ ، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور - ج : ٣ - ص ٦٤ .

٦- سورة الأنعام : الآية : (١٢٠) .

٧- سورة الأنعام - الآية : (١٥١) .

٨- الحديث سبق تخريجه في ص ٤٤٨

بحفظ الهمة، فإنها أول ما تظهر من الإنسان، وهي تقدمه الأشياء، وقال عليه الصلاة والسلام: «لينظر أحدكم ما يتمنى، فإنه لا يدري ما كتب له»^(١)، ومن تصور هذه الجملة علم أن قول من قال هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وجعل علة النسخ أن حديث النفس وما يهجز فيها غير مقدور على صرفه، وإنما استعمل لفظ النسخ في معنى التخصيص، فأما أنه أمر بما لا يقدر عليه، ثم نسخ، فمجال، وعلى هذا ما روي أنه قيل لابن عباس إن ابن عمر يبكي لقوله: ﴿وَأَن تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فقال ابن عباس: "رحم الله ابن عمر، لقد وجد المسلمون منها ما وجدوا"، حتى نزل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٢)، فإنه عنى أن هذه الآية مخصصة ومبينة للأولى، ونبه بقوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ﴾ على سعة قدرته وعدله وفضله، ثم من الذي يغفر له والذي لا يغفر له لا يعقل من ظاهر الآية^(٣).

١- الحديث أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال - ج ٢ حديث رقم : ٣٢٢٤ ، وألفظه : لينظر أحدكم ما الذي يتمنى فإنه لا يدري ما كتب له من أمنيه .

٢- أورد السيوطي في أسباب النزول ما أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال : « لما نزلت الآية : (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) اشتد ذلك على الصحابة فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ثم جثوا على الركب ، فقالوا : قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها ، فقال : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ، سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم وذلك بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها - (آمن الرسول) الآية ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) إلى آخرها ، وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه أسباب النزول - ص ٣٧ .

وأورد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن الزهري أنه سمع سعيد بن مرجانة يقول : « كنت عند ابن عمر ، فتلا هذه الآية : (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) فقال : « والله لئن واخذنا الله بهذا لتهلكن ، ثم بكى حتى سمع نشيجه ، فقامت حتى أتيت ابن عباس ، فذكرت له ما قال ابن عمر وما فعل حين تلاها ، فقال : « يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمرى لقد وجد المسلمون حين نزلت مثل ما وجد فأنزل الله : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

فتح الباري بشرح صحيح البخاري - كتاب التفسير - ج : ١٢ - ص ٥٢٨ - ط : دار الفد العربي - العباسية .

٣ - أورد الدكتور مصطفى زيد رد ابن الأنباري لدعوى النسخ في هذه الآية بأن الآية خير، والنسخ إنما يدخل على الأمر والنهي، كما أورد قول أبي جعفر النحاس الذي يعتمد على أن الآية خبر، ويؤول قول مدعي النسخ: (فمنسخ ذلك قوله تعالى: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) بقوله: أي نسخ ما وقع بقلوبهم منه، أي أزاله ورفع. وهذا ما يؤكد بطلان دعوى النسخ على الآية، وما يتفق مع ما ذهب إليه الراغب في رأيه من عدم وقوع النسخ فيها. النسخ في القرآن الكريم- ج: ٢- ص: ٦٠٨.

قوله - عز وجل :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الآية (٢٨٥) - سورة البقرة .

إن قيل: لم لم يذكر هاهنا اليوم الآخر، وقد ذكره في قوله: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾^(١) ..

الآية؟

قيل: لأمر: أحدها أنه نبه عليه بذكرها في غيرها، والثاني: أن الإيمان بكتبه ورسله مقتضى للإيمان باليوم الآخر أظهر عند المؤمنين من أن يحتاج إلى ذكره مفصلاً، ألا ترى أنه قال: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ، فاقصر على ذلك ولم يصفه بما وصف به المؤمنين بقوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ تنبيهاً على أن ذلك بحيث يستغنى عن ذكره، وهذا الجواب على قراءة من وقف على قوله: ﴿ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ..

والرابع: إن في قوله: ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ دلالة على إيمانهم باليوم الآخر، وقال بعضهم: إنما أفرد إيمان النبي ﷺ، فقال: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾، ثم قال: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾، تنبيهاً على شرف إيمانه -عليه الصلاة والسلام-، وأنه سابق لإيمانهم، وأن لا واسطة بمنه - عليه الصلاة والسلام-، وبين الإيمان كما بين إيمان المؤمنين وبين الإيمان به واسطة، وقرأ "ابن عباس" وكتابه^(٢)، قال: وهو أبلغ، لقوله: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾^(٣)، ولأن الكتاب للجنس، ولأنه ليس مع

١- سورة النساء - الآية (١٣٦).

٢- قرأ بهذا الوجه كل من حمزة والكسائي، وخلف، والأعمش، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، انظر: إتحاف الفضلاء - ج: ١ -

ص ١٦٧، الإملاء للعكبري - ج: ١ - ص ٧١، البحر المحيط - ج: ٢ - ص ٣٦٤ - التبيان - للطوسي - ج: ٢ - ص ٢٨٢ -

التيسير - للداني - ص ٨٥ - تفسير الطبري - ج: ٦ - ص ١٢٥ - الجامع لأحكام القرآن - ج: ٣ - ص ٤٢٦ - الحجة - لابن

خاليه ص ١٠٥ - الحجة لأبي زرعة - ص ١٥٢ - السبعة في القراءات - لابن مجاهد - ص ١٩٦ - الكشف للزمخشري: ج

١ - ص ١٧١ - النشر في القراءات العشر - لابن الجزي - ج: ٢ - ص ٢٣٧ - معجم القراءات القرآنية - ج: ١ - ص ٢٢١.

٢ - سورة الحديد - الآية (٢٥).

كل نبي كتاب مفرد، بل في الأنبياء من استعبد بكتاب الله من يقدمه، وقوله: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾، أي: يقولون ذلك، ولم يعن أنهم يتفوهون به فقط، بل يعتقدون ويتحرون مقتضاه بخلاف اليهود والنصارى، حيث آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، ولأن تابع الحق والحقيقه هو الذي يعرفه، ومن عرفه تبعه حيث وجده، فالحق من حيثما هو حق لا يخالف بعضه بعضاً، وإنما الباطل هو الذي يتناقض ولا يتطابق، ومن هذا الوجه قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١)..

وإذا كانت الأنبياء على الحق، فلا يعاند بعضهم بعضاً، إذ لا معاندة في الحق..

إن قيل: لم قال: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ وبين تستعمل في شيئين فصاعداً، فكيف قال: ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾؟ أيتناول الجنس على طريق الجملة والتفصيل ولذلك لا يستعمل إلا في الاستفهام والنفي فنبه بذكره هاهنا أنه لا يفرق بينهم لا على طريق الجملة وعلى طريق التفصيل..

وقال في الكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢) الآية..

وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي سمعنا قولك، وأطعنا أمرك بخلاف من قال: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾^(٣)، وقوله: ﴿غُفْرَانِكَ﴾ أي: "أنزل غفرانك"، أو نسألك غفرانك، واغفر لنا غفرانك، وكل ذلك متقارب، "وإليك المصير" اعتراف بما وعدهم بقوله: ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ﴾^(٤).

١- سورة النساء : الآية (٨٢).

٢- سورة النساء - الآية : (١٥٠).

٣- سورة البقرة - الآية : (٩٣) ، وسورة النساء - الآية : (٤٦) .

٤- سورة هود : الآية (١٢٣).

قوله - عز وجل :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ الآية: (٢٨٦) - سورة البقرة .

القدرة والجهد والاستطاعة قد تقدم الكلام فيها، وكسبت واكتسبت قد يجريان مجرى واحداً، ويقال لما أخذته لنفسك ولغيرك كسبت، ولهذا قد يُعدَّى إلى مفعولين، فيقال: "كسبت فلاناً كذا"، واستقبح: "اكتسبته كذا"، والاكتساب لا يقال إلا لما استفدته لنفسك، فكل إكتساب كسب، وليس كل كسب اكتساباً، ولهذا نظائر في اللغة نحو: "خبر، وطبخ، وشوى" إذا فعل ذلك لنفسه أو فعله لغيره، ويقال: "اخبز، واطبخ، واشتوى" إذا فعل ذلك لنفسه..

والإصر: الثقل، وأصله من أصره إذا عطفه، وقيل للعهد والرحم وكل ما يوجب عليك حماية ما إصر، وكل أصر عاطف لمن مر به، والإصر كساء يجعل فيه حشيش، فيثني على السنام^(١) بين الله تعالى أنه كلف عبده دون ما تنوء به قدرته، فإن الوسع هو القدرة على أكثر من قدر المكلف، وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ قيل. عنى بالكسب ما عمله من الخير، وبالاكتساب ما عمله من الشر، وقيل: عنى بالكسب ما يفعله الإنسان من فعل خير وجلب نفع من حيثما يجوز إلى غيره، والاكتساب ما يحصله لنفسه من نفع يجوز تناوله، فنبه أن ما يفعله الإنسان من نفع غيره فله الثواب، وليس عليه فيه الحساب، وأن ما يحصله لنفسه وإن كان متناولاً من حيثما يجوز على الوجه الذي يجوز، فعليه فيه الحساب يؤيده ما ذكرنا من الفرق بين كسب واكتسب، وقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، فإنه عنى النسيان الذي هو الترك أو ذهاب الذكر الذي الإنسان سببه لقلّة مراعاته، وكذا الخطأ إنما أراد به ما يكون سبب حصوله، وقد تقدم الكلام في حقيقتهما، وقوله: ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ يعني: ما يتقّل

١ - قال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن. الإصر: عقد الشئ وحبسه بقره، يقال: أصرته، فهو مأصور، والمأصر والمأصر: محبس السفينة، قال الله تعالى: (ويضع عنهم اصرهم) (الأعراف الآية: ١٥٧) أي الأمور التي تثبطهم وتقيدهم عن الخيرات، وعن الوصول إلى الثواب، والايصر: كساء يشد فيه الحشيش فيثني على السنام ليكن ركوبه. مفردات ألفاظ القرآن- ص ٧٨.

حملة من الأمور الشاقة التي كلف كثيراً منها بني إسرائيل، كقتل الأنفس، وقال بعضهم: يجوز أن يستعبدنا الله تعالى سؤاله أن لا يفعل ما يعلم أنه لا يفعله..

إن قيل: ما الفرق بين العفو والغفران والرحمة؟ وما وجه هذه الترتيب؟

قيل: العفو: إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران ستر الذنوب، وكشف الإحسان الذي غطى به، والرحمة إفاضة الإحسان عليه، وقد علم أن الثاني أبلغ من الأول، والثالث أبلغ من الثاني...

وقوله: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ كقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)، وقوله: ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، فنصرة الله للمؤمنين على وجهين، أحدهما: من حث الحجة، وقد فعل.

والثاني: من المداولة التي قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢)، وهذا هو المسؤول أن يجعل لنا عليهم دولة، ولا يجعل لهم علينا دولة، ووجه ثالث، وهو أن الله قد نصر المؤمنين كافة، حجة وملجأ، ومعونة وظهوراً على الدين كله، لكن قد يلحق المسلم غلبة من جهة كافر، وهو المشار إليه بقول أمير المؤمنين - رضي الله عنه: «إن للباطل جولة ثم يضمحل»، فكان الاستعاذة بالله أن يقينا من هذه الجولة من الكفار.. هـ.هـ.هـ.

"ترجمه الله تفسیر سورة البقرة"

١ - سورة البقرة : الآية (٢٥٧).

٢ - سورة آل عمران : الآية (١٤٠).

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(١) سورة الفاتحة ﴿﴾		
١	٥١، ٥٠، ٤٧	﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
٢	٥٤، ٥٢، ٥	﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾
٤	٥٥	﴿ مالك يوم الدين ﴾
٥	٥٧	﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾
٦	٦٠	﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾
٧	٦٤	﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾
٧	٦٨، ٦٦	﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾
(٢) سورة البقرة ﴿﴾		
١	٧٠، ٤٤	﴿ آلم ﴾
٢	٧٥، ٤٤	﴿ ذلك الكتاب ﴾
٢	٧٦	﴿ لا ريب فيه ﴾
٢	٤٩٠، ٧٦	﴿ هدى للمتقين ﴾
٣	٧٩	﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾
٣	٤٩٣، ٨١	﴿ ويقيمون الصلاة ﴾
٣	٤٤٤	﴿ وما رزقناهم ينفقون ﴾
٤	٨٥، ٨٣	﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾
٤	٨٠	﴿ وبالأخرة هم يوقنون ﴾
٥	٨٤	﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾
٦	٨٧	﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾
٦	٨٩	﴿ سواء عليهم ءأنذرتهم ﴾
٧	٨٩	﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٨	٨٠ ، ٩٣	﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾
٩	٩٥
٩	٩٨	﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾
١٠	٩٨	﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾
١٠	٩٩	﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾
١١	١٠٠	﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾
١٢	١٠٠	﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾
١٣	١٠١	﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾
١٤	١٠٢	﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾
١٤	٨٠	﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾
١٥	١٠٣	﴿الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾
١٥	١٠٥	﴿في طغيانهم يعمهون﴾
١٦	١٠٥	﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مهتدين﴾
١٦	١٠٦	﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾
		﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾
١٧	١٠٦
١٨	١٠٧ ، ٣٦٩	﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾
١٩	١٠٧	﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾
٢٠	١٠٧	﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾
٢٠	١٠٩	﴿وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾
٢١	١٠٩	﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٢	١١١، ١٥٨	﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء﴾.....
٢٢	١١٣	﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾.....
٢٣	٤٣، ١١٥	﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾
٢٣	١١٧	﴿وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.....
٢٤	١١٩	﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾.....
٢٥	١٢٢	﴿وبشر الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾.....
٢٥	١٢٣	﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾.....
٢٥	١٢٧	﴿ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾.....
٢٦	١٢٨، ١٢٤	﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾
٢٦	١٣٠	﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾
٢٧	١٣١	﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به﴾
٢٨	١٣٤	﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم﴾.....
٢٩	١٣٥، ٤٢٩، ٥٦٤	﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء﴾
٣٠	١٣٨	﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾.....
٣٠	١٥٤، ٣٥	﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾.....
٣١	١٤٢	﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾.....
٣١	١٤٢	﴿إن كنتم صادقين﴾.....
٣٢	١٤٢	﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣٣	١٤٢	﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾
٣٤	١٤٨	﴿ وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ... مِنْ الْكَافِرِينَ ﴾
٣٥	١٥٢	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ... وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾
٣٦	١٥٦	﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾
٣٧	٣٠٩، ١٦٠	﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْي هُدًى ... وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
٣٨	١٦٣	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
٣٩	١٦٦	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾
٤٠	٣٤٤، ١٦٧	﴿ وَعِائِمُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَاذِبِينَ ﴾
٤١	١٦٩	﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
٤٢	١٧١	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ..
٤٣	١٧٣	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثُلُوفٌ نَكِلُونَ ﴾
٤٤	٢٥٣، ١٧٦، ١٧٤	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ...
٤٥	٣٨٦، ٣٥٢، ٣٤٧، ١٧٧	﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾
٤٦	١٧٨، ١١٦	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾
٤٧	٣٤٤، ١٧٩	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾
٤٨	١٨١	﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾
٤٨	٣٠٨

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٩	١٨٣	﴿ وَإِذْ يُخَيِّلُكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكُونُ بِكُمْ سِوَىٰ مُوسَىٰ سِوَىٰ الْعَذَابِ ﴾.....
٥٠	١٨٧	﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾.....
٥١	١٨٩	﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾.....
٥٢	١٩٠	﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.....
٥٣	١٩١	﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.....
٥٤	١٩٢	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ﴾.....
٥٥	١٩٥	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾.....
٥٥	١٩٩	﴿ فَأَخَذْتُمْ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾.....
٥٦	١٩٩	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.....
٥٧	١٩٩	﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ... يَظْلُمُونَ ﴾.....
٥٨	٢٠٢	﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾.....
٥٨	٢٠٥	﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾.....
٥٨	٢٤	﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾.....
٥٩	٢٠٤	﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾.....
٦٠	٢٠٦	﴿ إِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾.....
٦١	٢١١، ٢١٠	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعْ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ..... وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.....
٦٢	٢١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ..... وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.....
٦٣	٢١٦	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾..

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٦٤	٢١٧	﴿ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾.....
٦٥	٢١٩	﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾.....
٦٦	٢٢١	﴿فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾.....
٦٧	٢٢٢	﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة... من الجاهلين﴾.....
٦٨، ٦٩، ٧٠	٢٢٧، ٢٥٥، ٢٤٤	﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا... وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾.....
٧١	٢٢٨	﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض... وما كادوا يفعلون﴾.....
٧٢، ٧٣	٢٢٩	﴿وإذ قتلتم نفسا فادّارءتم فيها... لعلكم تعقلون﴾.....
٧٤	٢٣٢	﴿ثم قسست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة﴾.....
٧٥	٢٣٥	﴿أفتظنم أن يؤمنوا لكم... وهم يعلمون﴾.....
٧٦	٢٣٦	﴿وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا... أفلا تعقلون﴾....
٧٧	٢٣٨	﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾.....
٧٨	٢٣٨	﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾.....
٧٨	١٧٨	﴿وإن هم إلا يظنون﴾.....
٧٩	٢٤٠	﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم.. وويل لهم مما يكسبون﴾.....
٨٠	٢٢٥، ٢٤٢	﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾.....
٨١	٢٤٥، ٢٤٣	﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة﴾.....
٨٢	٢٤٥	﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.....
٨٣	٢٤٥	﴿وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٨٤	٢٤٨	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾
٨٥	٢٤٩	﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾
٨٥	٢٥٢	﴿ وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾
٨٥	٢٥٧	﴿ أَفْتُزِمُونُ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾
٨٦	٢٥٣	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾
٨٧	٢٥٥	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرِّسْلِ ﴾
٨٨	٢٥٦، ٩١	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾
٨٩	٢٤٠، ٢٥٧	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾
٨٩	٣٤٠	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾
٩٠	٢٥٨	﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾
٩١	٢٥٩	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾
٩٢	٢٦١	﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ..
٩٣	٢٦٢	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾
٩٣	٥٩٨	﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾
٩٣	٢٠٧	﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾
٩٤	٢٦٤	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدَّارَ الْآخِرَةَ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ﴾
٩٥	٢٦٦	﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَهْلُهَا قَدْ خَلَتْ مِنْ قُدَمَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾
٩٦	٢٦٧	﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾
٩٧	٢٦٩	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾
٩٨	٢٧٠	﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ ﴾
٩٩	٢٧١	﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ ..
١٠٠	٢٧٢	﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ...

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٠١	٢٧٢	﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ﴾
١٠٢	٢٧٣	﴿ واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾
١٠٢	٩	﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾
١٠٢	٢٨٠	﴿ وليئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعملون ﴾
١٠٣	٢٨١	﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾
١٠٤	٢٨١	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾
١٠٥	٢٨٢	﴿ ما يورد الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ﴾
١٠٦	٢٨٣	﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ﴾
١٠٧	٢٨٨	﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾
١٠٨	٢٨٩	﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ﴾
١٠٩	٢٩١	﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم ﴾
١٠٩	٢٩٢	﴿ فاعفوا واصفحوا ﴾
١١٠	٢٩٢	﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾
١١١	٢٩٣، ٢٦٥	﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾
١١٢	٢٩٣، ٢٩٤	﴿ بلى من أسلم وجهه لله ﴾
١١٣	٢٩٦	﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ﴾
١١٤	٢٩٧	﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ﴾
١١٥	١٦، ٢٩٨، ٣٢٨	﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾
١١٦	٣٠٠	﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون ﴾
١١٧	٣٠٢	﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾
١١٨	٣٠٣، ٣٠٧	﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١١٩	٣٠٥	﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا﴾
١١٩	٥٧٢	﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾
١٢٠	٤٤٧، ٣٠٥	﴿ولن ترضي عنك اليهود﴾
١٢١	٣٠٧	﴿الذين ءاتيناهم الكتاب﴾
١٢١	١٧٥	﴿يتلونه حق تلاوته﴾
١٢٢	٣٠٨	﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي﴾
١٢٣	٥٢١، ٣٠٨	﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا﴾
١٢٣	٣٠٨	﴿ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾
١٢٤	١٦١، ٣٠٨	﴿واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن﴾
١٢٥	٣١١	﴿واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾
١٢٥	٣١	﴿أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين﴾
١٢٦	٣١٢	﴿واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً﴾
١٢٧	٣١٤	﴿واذ يرفع ابراهيم القواعد﴾
١٢٨	٣١٨، ٣١٥	﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾
١٢٩	٣٤٣، ٣١٦	﴿ربنا وابعث فيهم رسولا﴾
١٣٠	٣١٧	﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم﴾
١٣١	٣١٨	﴿إذ قال له ربه أسلم﴾
١٣٢	٣١٩	﴿ووصى بها ابراهيم بنيه﴾
١٣٣	٣٢٠	﴿أم كنتم شهداء﴾
١٣٣	٥٨	﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾
١٣٤	٣٢١	﴿تلك أمة قد خلت لها﴾
١٣٥	٣٢٢	﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى﴾
١٣٦	٣٢٢	﴿قولوا ءامنا بالله وما أنزل إلينا﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٣٧	٣٢٣	﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَآمَنْتُمْ بِهِ ﴾
١٣٨	٣٢٤ ، ٤٤٠	﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾
١٣٩	٣٢٥	﴿ قُلْ أَتَحَاجِرُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا ﴾
١٤٠	٣٢٦	﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾
١٤١	٣٢٧	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾
١٤٢	٣٢٧ ، ٣٤٠	﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾
١٤٣	٢٢٨ ، ٢٨٦ ، ٢٦	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾
١٤٣	٣٣١	﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾
١٤٤	٣٤٤	﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾
١٤٥	٣٣٦ ، ٣٣٧	﴿ وَلَمَنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾
١٤٥	٣٣٨	﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾
١٤٦	٣٣٧	﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾
١٤٦	٢٥٨	﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾
١٤٧	٣٣٨ ، ٧٦	﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾
١٤٨	٣٣٩	﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾
١٤٩ ، ١٥٠	٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٢٩٩	﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾
١٥٠	٣٤١	﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾
١٥٠	٣٤٥	﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾
١٥١	٣٤٣	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾
١٥١	٥٦٧	﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ الْحَكِيمَةَ ﴾
١٥٢	٣٤٤ ، ١٦٩	﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾
١٥٣	٣٤٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٥٤	٣٤٧	﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله﴾
١٥٥	٣٥٠	﴿ولبلونكم بشيء من الخوف﴾
١٥٦	٣٥٣	﴿والذين إذا أصابتهم مصيبة﴾
١٥٦	٣٥٣	﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾
١٥٧	٣٥٤	﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾
١٥٨	٣٥٥	﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾
١٥٩	٣٥٦	﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات﴾
١٥٩	٣٥٨	﴿أولئك يلعنهم الله﴾
١٦٠	٣٥٧	﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا﴾
١٦٢، ١٦١	٣٥٨	﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾
١٦٣	٣٥٨	﴿والأهكم إله واحد﴾
١٦٤	٣٥٩	﴿إن في خلق السموات والأرض﴾
١٦٥	٣٦١	﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾
١٦٦	٣٦٣	﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا﴾
١٦٧	٣٦٤	﴿وقال الذين اتبعوا﴾
١٦٨	٣٧٠، ٣٦٥، ٢٠١	﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا﴾
١٦٩	٣٦٦	﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء﴾
١٦٩	٥٢٦	﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾
١٧٠	٣٦٧	﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله﴾
١٧١	٥٥٧، ٣٦٩، ٦	﴿ومثل الذين كفروا﴾
١٧١	٣٦٩	﴿صم بكم عمي﴾
١٧٢	٣٧٠، ٢٠٠	﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات﴾
١٧٢	٢٠١	﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٧٣	٣٧٠	﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾.....
١٧٤	٣٧٢	﴿إن الذين يكتُمون ما أنزل الله﴾.....
١٧٥	٣٧٤	﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾.....
١٧٦	٣٧٥	﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾.....
١٧٧	١٧٤، ٣٧٥، ٤٠٢	﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾.....
١٧٧	٤٤٣	﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾.....
١٧٨	٣٨٠	﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص﴾.....
١٧٩	٣٨١	﴿ولكم في القصاص حياة﴾.....
١٨٠	٤٤٤، ٣٨٢	﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾...
١٨١	٣٨٣	﴿فمن بدله بعد ما سمعه﴾.....
١٨٢	٣٨٤، ١٩	﴿فمن خاف من موص جنتاً أو إثماً﴾.....
١٨٣	٣٨٥، ٣٠	﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام﴾.....
١٨٤	٣٨٨	﴿أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً﴾.....
١٨٥	٣٩١، ٣٨٧	﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾.....
١٨٥	٢٨٨	﴿يريد الله بكم اليسر﴾.....
١٨٦	٣٩٥	﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾.....
١٨٧	٣٩٧، ٣٨٧	﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾.....
١٨٧	٤١٢	﴿ثم أقموا الصيام الى الليل﴾.....
١٨٨	١٧٢، ٤٠٠، ٥٨١	﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.....
١٨٩	٤٠١	﴿يسألونك عن الأهلة﴾.....
١٨٩	٢٠٤	﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾.....
١٩٠	٤٠٤	﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾.....
١٩١	٤٠٥	﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٩١	٤٠٦	﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾.....
١٩٢	٤٠٧	﴿فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم﴾.....
١٩٣	٤٠٦، ٤٠٨	﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾.....
١٩٤	٤٠٨	﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾.....
١٩٤	٢٥١، ٢٠٧، ١٠٣	﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾.....
١٩٥	٤١٠	﴿وانفقوا في سبيل الله﴾.....
١٩٦	٤١٢	﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾.....
١٩٦	٣٠٨	﴿تلك عشرة كاملة﴾.....
١٩٧	٤٧٢، ٤١٦	﴿الحج أشهر معلومات﴾.....
١٩٨	٤١٩	﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾.....
١٩٨	٤٢٢	﴿فإذا أفضتكم من عرفات﴾.....
١٩٩	٤٢١	﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.....
٢٠٠	٤٢٣	﴿فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله﴾.....
٢٠١	٤٢٥	﴿ومنهم من يقول ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة﴾.....
٢٠٢	٤٢٥	﴿وأولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾.....
٢٠٣	٤٢٦	﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾.....
٢٠٤	٤٢٧	﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾.....
٢٠٥	٤٢٨	﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾.....
٢٠٦	٤٢٩	﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾.....
٢٠٧	٤٣٠	﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾.....
٢٠٨	٤٣٢	﴿يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة﴾.....
٢٠٨	٢٥٤	﴿ولا تبغوا خطرات الشيطان﴾.....
٢٠٩	٤٣٦، ٤٣٣	﴿فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢١٠	٤٣٤، ٢٠٠	﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾
٢١٠	٥٨٧	﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾
٢١١	٤٣٦	﴿ سل بني إسرائيل ﴾
٢١٢	٤٣٦	﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾
٢١٣	٤٤٠	﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾
٢١٤	٤٤٢	﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾
٢١٥	٤٤٤	﴿ يسألونك ماذا ينفقون ﴾
٢١٦	٤٤٥	﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾
٢١٦	٢٨٧	﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا ﴾
٢١٧	٤٤٦	﴿ يسألونك عن الشهر الحرام ﴾
٢١٨	٤٤٨	﴿ إن الذين ءامنوا والذين هاجروا ﴾
٢١٩	٤٤٩، ٣٢	﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ﴾
٢١٩	٢٥٠	﴿ قل فيهما إثم كبير ﴾
٢٢٠	٤١٨	﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾
٢٢٠	٤٥٣	﴿ في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى ﴾
٢٢١	٤٥٤	﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾
٢٢١	٣٣	﴿ ولا تنكحوا المشركين ﴾
٢٢١	٤٥٤	﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ﴾
٢٢٢	٤٥٦	﴿ ويسألونك عن الخيض قل هو أذى ﴾
٢٢٢	٥٨٢، ٥٢١، ١٧٣، ١٦١، ١٤٠	﴿ إن الله يحب التوابين ﴾
٢٢٣	٤٥٨	﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾
٢٢٤	٤٦٠	﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾
٢٢٤	٤١٨	﴿ والله سميع عليم ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٢٥	٤٦١	﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾.....
٢٢٦	٤٦٣	﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾.....
٢٢٧	٤٦٥، ١٢	﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾.....
٢٢٨	٤٦٥	﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ﴾.....
٢٢٨	٥٨٩	﴿ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله ﴾.....
٢٢٨	٤٧٢	﴿ وبعولتهن أحق بردهن ﴾.....
٢٢٩	٤٧١	﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف ﴾.....
٢٣٠	٤٧٥، ٤٧٢	﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾.....
٢٣١	٤٦٩	﴿ ولا تمسكوهن ضرازا لتعتدوا ﴾.....
٢٣٢، ٢٣١	٤٧٨، ٤٧٦	﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ﴾.....
٢٣٣	٤٨٠	﴿ والوالدت يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾.....
٢٣٤	٤٨٤	﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ﴾.....
٢٣٥	٤٨٧	﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾.....
٢٣٥	٥٩٥	﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾.....
٢٣٦	٤٨٩	﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ﴾.....
٢٣٧	٤٩١	﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾.....
٢٣٧	١٧٩	﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾.....
٢٣٨	٤٩٢	﴿ حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾.....
٢٣٨	٣٠٠	﴿ وقوموا لله قانتين ﴾.....
٢٣٩	٤٩٤	﴿ فإن خفتن فرجالا أو ركبانا ﴾.....
٢٤٠	٤٨٤	﴿ وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج ﴾.....
٢٤٠	٤٩٥	﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ﴾.....
٢٤١	٤٩٧، ٤٩٠	﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٤٢	٤٩٨	﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾.....
٢٤٣	٤٩٩	﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴾.....
٢٤٣	٥١٤	﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾.....
٢٤٤	٥٠١	﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾.....
٢٤٥	٥٤٨، ٥٢١، ٥٠٢، ٤٣٩، ٢٠١	﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ﴾.....
٢٤٦	٥٠٤	﴿ ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل ﴾.....
٢٤٧	٥٠٧	﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾.....
٢٤٨	٥٠٩	﴿ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن ياتيكم التابوت ﴾.....
٢٤٩	٥١١	﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر ﴾.....
٢٥٠	٥١٣	﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا ﴾.....
٢٥١	٥١٣	﴿ فهزمهم بإذن الله ﴾.....
٢٥١	٣١	﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾.....
٢٥٢	٥١٥	﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾.....
٢٥٣	٥١٦	﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾.....
٢٥٤	٥٢٠	﴿ يا أيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل ﴾.....
٢٥٥	٥٢٣	﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾.....
٢٥٦	٥٢٩	﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾.....
٢٥٦	٥٨	﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ﴾.....
٢٥٧	٦٠٠، ٥٣٢	﴿ الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾.....
٢٥٨	٥٣٦	﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ﴾.....
٢٥٨	٥٤٦	﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾.....
٢٥٨	٥٤٢	﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ﴾.....
٢٥٩	٥٤٢، ٥٤٠	﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٦٠	٥٤٤، ٥٤٢	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾.....
٢٦١	٥٤٨، ٣٦٩	﴿ مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.....
٢٦٢	٥٥١	﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾.....
٢٦٣	٥٥٢	﴿ قُلْ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾.....
٢٦٤	٥٥٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾.....
٢٦٥	٥٥٧	﴿ وَمِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾.....
٢٦٦	٥٥٩	﴿ أَيْدٍ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جُنَّةً ﴾.....
٢٦٧	٥٦٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ﴾.....
٢٦٨	٥٦٤	﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾.....
٢٦٨	١٨٩	﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾.....
٢٦٩	٥٦٧	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾.....
٢٦٩	٥٨٠، ٣١٧، ٣٦، ٢٥	﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.....
٢٧٠	٥٦٨	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ ﴾.....
٢٧١	٥٦٩	﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ ﴾.....
٢٧٢	٥٧١، ٣٠٥، ٦٢	﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾.....
٢٧٣	٥٧٣	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.....
٢٧٤	٥٧٦	﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾.....
٢٧٥	٥٧٧	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾.....
٢٧٦	٥٨١	﴿ يَحِقُّ لِلَّهِ الرِّبَا وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾.....
٢٧٧	٥٨٣	﴿ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾.....
٢٧٨	٥٨٣، ١١٠، ٥٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾.....
٢٧٩	٥٨٥	﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ ﴾.....
٢٨٠	٥٨٦	﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٨١	٥٨٧	﴿واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله﴾.....
٢٨٢	٥٨٨	﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا تداءيتم بدين﴾.....
٢٨٣	٥٩٣	﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً﴾.....
٢٨٣	٣٢٦	﴿ومن يكتنمها فإنه ءاثم قلبه﴾.....
٢٨٤	٥٩٤	﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾.....
٢٨٥	٥٩٧	﴿ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾.....
٢٨٦	٥٩٩	﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾.....
٢٨٦	٣٢٧	﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾.....
٢٨٦	٣٢٩	﴿ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا﴾.....
﴿سورة آل عمران﴾ (٣)		
٧	٣٣	﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾.....
١٢	٢٧٠	﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾.....
١٤	٤٣٦	﴿زين للناس حب الشهوات﴾.....
١٥	١٤٢	﴿قل أؤنبكم بخير من ذلكم﴾.....
١٨	٥٣	﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾.....
١٩	٤٣٣، ٣٣٩، ٢٩٤، ٥٧	﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾.....
٢٠	٢٩٤	﴿فقل أسلمت وجهي لله﴾.....
٢١	٤٢٩	﴿فبشروهم بعذاب أليم﴾.....
٢٦	٥٠٨، ٥٦	﴿قل اللهم مالك الملك﴾.....
٣٠، ٢٨	٤٨٨	﴿ويحذركم الله نفسه﴾.....
٣٠	٢٩٢	﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾.....
٣٣	١٨٤	﴿إن الله اصطفى ءادم ونوحاً﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣٤	١٨٤	﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾.....
٣٦	٤٦٩	﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾.....
٥٠	٣٢٩	﴿ ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾.....
٥٤	٤٠٩	﴿ ومكروا ومكر الله ﴾.....
٦٤	٣٣٠	﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ﴾.....
٧٧	١٣١	﴿ إن الذين يشترون بعهد الله ﴾.....
٧٨	١٩٥	﴿ ويقولون هو من عند الله ﴾.....
٨١	١٣١	﴿ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين ﴾.....
٨٥	٣٣٩، ٢١٥	﴿ ومن يتغ غير الإسلام ديناً ﴾.....
٩٢	٣٧٧، ٦٥	﴿ لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾.....
٩٣	٣١	﴿ كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل ﴾.....
٩٧	٣١١	﴿ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ﴾.....
١٠٢	٤٣٢، ٧٨	﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾.....
١٠٣	١٣٢، ١٧٣	﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾.....
١٠٥	٤٤٢	﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾.....
١٠٩	٥٨٧	﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾.....
١١٠	٤٦١، ٣٣٠، ٣٢٩، ١٨٠، ٢٦	﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾.....
١١٧	٣٦٩، ١٠٨	﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ﴾.....
١١٨	٤٦٣	﴿ لا يألونكم خبالاً ﴾.....
١٣١	١١٩	﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾.....
١٣٣	٣٣٩	﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾.....
١٣٥	١٩٢	﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ﴾.....
١٣٨	٩	﴿ هذا بيان للناس ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٤٠	٦٠٠	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾
١٤٦	٣١	﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾
١٥٦	٥٠٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾
١٥٩	٤٦٥	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
١٦٤	٦٧	﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفَى ضَلَالٍ مِينٍ﴾
١٦٧	٢٤١، ٨٠	﴿يَقُولُونَ بِأَفْرَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾
١٦٩	٣١٩	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمْرًا﴾
١٦٩	١١٧	﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾
١٨٣	٣١	﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾
١٨٦	٤٥٧	﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾
١٩٠	١١٢	﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
١٩٥	٤٥٣	﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾
١٩٩	٢٣٤	﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
﴿سُورَةُ النِّسَاءِ﴾ (٤)		
١	١٢٠، ١١٠، ٥٤	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾
٢	٤٥٣	﴿وَعَاثُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾
٤	٤٧٣	﴿فَإِنْ طَبُنْ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ﴾
٥	٥٨٩، ٣٥٧	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾
٦	٣٢	﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا﴾
١٠	٤٥٣، ٣٧٣، ٣٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾
١٩	٤٤٥	﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
٢٠	﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾.....	٤٧٤
٢٦	﴿يريد الله ليين لكم ويهديكم﴾.....	٣٩٥
٢٨	﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾.....	٢٨٨
٢٩	﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾.....	٥٧٢، ٤١٠، ١٩٣، ٢٤٩
٣١	﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾.....	٤٥١
٣٤	﴿الرجال قوامون على النساء﴾.....	٤٧٠
٣٦	﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾.....	٥
٣٨	﴿ومن يكن الشيطان له قرينا﴾.....	٥٧٨
٤٢	﴿ولا يكتُمون الله حديثا﴾.....	٢٣
٤٣	﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾.....	٤٥١، ١٥٣
٤٣	﴿فتيمموا صعيدا طيبا﴾.....	٥٦٣
٤٦	﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم﴾.....	٢٨١
٤٦	﴿سمعنا وعصينا﴾.....	٥٩٨
٥٤	﴿فقدءاتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وءاتيناهم ملكا عظيما﴾.....	٥١٤
٥٨	﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها﴾.....	٥٩٣
٦٩	﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾.....	٥٢٢
٧٧	﴿ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة﴾.....	٤٠٥
٧٧	﴿قل متاع الدنيا قليل﴾.....	٣١٣، ٢٤١
٧٨	﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾.....	٤٩٩
٧٩	﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾.....	٢١
٨٠	﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾.....	٩٦
٨٢	﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾.....	٥٩٨
٨٣	﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن﴾.....	١٩

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٨٣	٤١٥، ٢٥	﴿ولو رددوه الى الرسول والى اولى الامر منهم﴾.....
٩٥	٣٣	﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر﴾.....
٩٥	١٧٩	﴿فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما﴾.....
١٠١	٤٩٥	﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾.....
١٠٢	٤٥٧	﴿إن كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾.....
١٠٣	٤٩٥	﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا﴾.....
		﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
١١٠	١٩٢	رحيما﴾.....
		﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا
١١٢	٢٤٠	وإثما مبينا﴾.....
١١٣	٣٣٢	﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾.....
١١٧	٤٧٠	﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا﴾.....
١٢٥	٥٢٠	﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾.....
		﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا
١٣١	٣٨٨	الله﴾.....
١٣٥	٥٩٣، ٣٣٠	﴿يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾.....
		﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل
١٣٦	٥٩٧، ٣٢٥، ٢٨٠، ٨	ضللا بعيدا﴾.....
١٤٠	١٠٤	﴿إذا سمعتم ءايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم﴾..
١٤٢	٩٧	﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾.....
١٤٥	١٢١	﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل﴾.....
		﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله
١٥٠	٥٩٨	ورسله﴾..

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٥٣	٣٠٣، ٢٩٠، ١٩٨	﴿ يستلک أهل الكتاب أن تنزل علیهم کتابا من السماء ﴾.....
١٥٣	٣٠٤	﴿ أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾.....
		فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير
١٥٥	١٣١	حق ﴿.....
١٥٥	٢٥٧	﴿ بل طبع الله علیها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾.....
١٦٠	٣١	﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا علیهم طيبات أحلت لهم ﴾.....
١٦٢	٣٤	﴿ لكن الراسخون فی العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل الیک ﴾
		﴿ والمقیمین الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله والیوم الآخر
١٦٢	٨١	أولئک سنؤتیهم أجرا عظیما ﴾.....
١٧٦	٩	﴿ ین الله لکم أن تضلوا والله بكل شیء علیم ﴾.....
﴿ سورة المائدة ﴾ (٥)		
٣	٣٣٣، ٢٧٦	﴿ الیوم أكملت لکم دینکم ﴾.....
٥	٤٥٤، ٣٣	﴿ والخصنات من المؤمنات ﴾.....
٦	٤٢٣	﴿ إذا قمتم الی الصلاة ﴾.....
٦	٤٩٠	﴿ وإن كنتم مرضی أو علی سفر ﴾.....
٦	٥٦٣	﴿ فتیمموا صعيدا طیباً ﴾.....
٦	٣٢٩	﴿ ما یرید الله لیجعل علیکم من حرج ﴾.....
١٢	٢١٦، ١٦٨	﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ﴾.....
١٣	١٣١	﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾.....
١٣	٩٠	﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾.....
١٨	٢٦٥	﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٠	١٨٠ ، ١٦٩	﴿ اذكروا نعمة الله عليكم ﴾
٢١	٢٠٤	﴿ ادخلوا الأرض المقدسة ﴾
٢٧	٣١	﴿ وائل عليهم نأ ابني ءادم ﴾
٢٧	٧٨	﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾
٣٠	٣٨٨	﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه ﴾
٣٣	٤٣٢ ، ٥٨٥	﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾
٣٥	٤٤٩ ، ١١٠ ، ٥٤	﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله ﴾
٣٥	٨٥	﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾
٤٥	٣١	﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾
٤٨	٣٣٩ ، ٤٦	﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾
٤٨	٥١٨	﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾
٤٨	١٨٥	﴿ ليلوكم ﴾
٤٨	٥٧٧	﴿ إلى الله مرجعكم ﴾
٥١	١٨٣	﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾
٥٢	٢٥٧	﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر ﴾
٥٤	٥٣٣ ، ٤٩	﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾
٥٥	٥٧٨	﴿ إنما وليكم الله ورسوله ﴾
٥٥	٨١	﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾
٥٧	٢٨٢	﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا ﴾
٥٧	٢٨٣	﴿ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾
٦٠	٦٨	﴿ من لعنه الله وغضب عليه ﴾
٦٠	٢٢٠	﴿ وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾
٦١	٩٤	﴿ وإذا جازاكم قالوا ءامنا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٦٤	٧	﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾.....
٦٤	٩٩	﴿ وليزیدن كثيرا منهم ﴾.....
٦٦	٨١	﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة ﴾.....
٦٧	٢٧٦	﴿ والله يعصمك من الناس ﴾.....
٦٨	٩٩	﴿ وليزیدن كثيرا منهم ﴾.....
٧٧	٣٠٦	﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾.....
٨٩	٤٦٢	﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾.....
٩٠	٢٠٥، ٣٢	﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾
٩٠	١٥٣	﴿ فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾.....
٩١	٢٧٩	﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ﴾.....
٩٥	١٨١	﴿ أو عدل ذلك صياما ﴾.....
٩٩	٣٠٥	﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾.....
١٠٥	١٧٦	﴿ يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم ﴾.....
١١٤	٣٠٤	﴿ أنزل علينا مائدة من السماء ﴾.....
١١٦	٣٢١	﴿ ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾.....
		(٦) ﴿ سورة الأنعام ﴾
١	٥٣٣، ١١٢	﴿ خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾.....
٩	١٣٩	﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾.....
٢٣	٢٣	﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾.....
٣٥	٥٧٢	﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾.....
٣٨	١١	﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣٨	٣٩٢، ٣٣٠، ٢٥	﴿ ما فرطنا من الكتاب من شيء ﴾
٤٣	٤٣٦، ١٠٠	﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾
٤٤	٢٥٧	﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾
٤٤	١٤٩	﴿ فإذا هم مبلسون ﴾
٥١	٧٨	﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾
٥١	٧٨	﴿ لعلمهم يتقون ﴾
٥٦	٣٠٦	﴿ قل لا أتبع أهواءكم ﴾
٦٣	٥٣٣	﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾
٧٥	٣٠٣، ٨٤	﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾
٧٩	٢٩٤	﴿ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ﴾
٨٩	٣٣٧	﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة والنبوة ﴾
٩٠	٦١، ٣٨	﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾
٩٤	٣٦٣	﴿ لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾
١٠٣	١٢	﴿ لا تدركه الأبصار ﴾
١٠٨	٤٣٧	﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾
١١٠	١٠٥	﴿ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾
١١٢	٥٣٥، ٢٧٤	﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ﴾
١١٥	٣٠٩	﴿ وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا ﴾
١٢٠	٥٩٥	﴿ وذروا ظاهر الأثم وباطنه ﴾
١٢٢	٥٤٤، ٥٠٠، ٢٥٥، ١٣٥، ١٣٤	﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به ﴾
١٢٤	٥٠٨	﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾
١٢٥	٥٣٩، ٥٠٤، ١٧٤	﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾
١٤٠	٢٤٩	﴿ قد خسر الدين قتلوا أولادهم سفها ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٤٦	٣٢٩	﴿ومن البقر والغنم حرمت عليهم شحومها﴾.....
١٥١	٥	﴿قل تعالوا آكل ما حرم ربكم﴾.....
١٥١	٥٩٥	﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾.....
١٥٢	٤٥٣	﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾.....
١٥٢	٤٧٦	﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾.....
١٥٣	٦٣، ٥	﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾.....
١٦٠	٥٤٨، ٢٤٣	﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾.....
١٦٤	٤٩٦، ٣٢٧، ٣٢١	﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.....
١٦٥	١٨٥	﴿ليبلوكم﴾.....
﴿ سورة الأعراف ﴾ (٧)		
٢	٧٦	﴿فلا يكن في صدرك حرج منه لتلد به وذكرى للمؤمنين﴾.....
٦	٣٧٣	﴿فلنستلن الذين أرسل إليهم ولنستلن المرسلين﴾.....
١٢	١٦	﴿قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه﴾.....
٢٠	١٥٦، ١٥١	﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾.....
٢١	١٥٦	﴿إني لكما لمن الناصحين﴾.....
٢٣	١٦٠	﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.....
٢٧	١٥٩	﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾.....
٢٩	٤٣٥، ٣٥٤	﴿كما بدأكم تعودون﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣١	١٧٩	﴿ولا تسرفوا﴾.....
٣٢	٢٠١	﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾....
٣٢	٣٧١	﴿قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾.....
٣٥	٧٨	﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.....
		﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا
٤٣	٦٢	الحمد لله﴾.....
٤٤	٢٤٣	﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم﴾.....
		﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من
٥٣	٣٤	قبل﴾.....
٥٤	٤٣٥	﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾.....
٥٦	٢٠٧، ١٠٠	﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾.....
٥٧	٥٤١	﴿بشرا بين يدي رحمته﴾.....
٦٩	١٣٩	﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾.....
٧٤	١٣٩	﴿خلفاء من بعد عاد﴾.....
٨٠	٤٥٩	﴿أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾.....
		﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم
٨٥	١٠٠	مؤمنين﴾.....
٩٩	٩٧	﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾.....
١١٦	٢٧٦، ٢٧٤	﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾.....
١١٦	٢٧٥	﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾.....
١٢٩	١٥٤، ٣٥	﴿ويستخلفكم في الأرض﴾.....
١٣٤	٢٠٥	﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾.....
١٤١	١٨٦	﴿وإذا أنجيناكم من ءال فرعون﴾.....

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾.....	١٤٢	١٨٩
﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾.....	١٤٣	١٩٧، ٥٤٦
﴿وخر موسى صعقا﴾.....	١٤٣	١٩٩
﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾.....	١٤٦	٩١
﴿إنا هدنا إليك﴾.....	١٥٦	٢١٣، ٢٩٣
﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾.....	١٥٧	٢٥٨، ٣٢٩، ٣٣٨
﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾.....	١٦٠	٢٠٠، ٢٠١
﴿وادخلوا الباب سجدا﴾.....	١٦١	٢٠٥
﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾.....	١٦٨	١٨٥، ١٨٦، ٢٤٣
﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم﴾.....	١٧١	٢١٧
﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾.....	١٧٢	١٣١، ٣٥٠، ٤٤٠، ٤٥٥، ٥٨٧
﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾.....	١٧٦	٢٥٤
﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾.....	١٧٨	٣٠٦
﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾.....	١٧٩	٢٢٠
﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.....	١٨٠	٣٩٦
﴿من يضل الله فلا هادي له ويدرهم في طغيانهم يعمهون﴾.....	١٨٦	٥٧٠
﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾.....	١٨٩	٩٣
﴿سواء عليكم أذعرتهم أم أنتم صامتون﴾.....	١٩٣	٨٩
﴿إن الذين عند ربك﴾.....	٢٠٦	١١٧

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		(٨) سورة الأنفال ﴿
٢	٣٩٧, ٣٢٤, ٨٩, ٧٩, ٢٥	﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾
٣	٨١	﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾
٣	٤٤٤, ٨١	﴿ وما رزقناهم ينفقون ﴾
٧	١٨٩	﴿ وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾
		﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى
١٧	١٨٥, ٢٢, ٢١	وليبلّى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم ﴾
٢٤	٥٤٤, ٣٤٨, ١٣٤	﴿ استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾
٣١	٤٣	﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾
٣٢	٧٥	﴿ إن كان هذا هو الحق ﴾
		﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا
٣٤	٤٤٧	أولياءه إن أوليائه إلا المتقون ﴾
٣٨	٤٠٧	﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾
٤٦	٥٩٤	﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾
٥٥	٢٢١	﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾
٥٧	١٠	﴿ فإذا تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم ﴾
٥٨	١٠	﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ﴾
٦٠	٢١٩	﴿ لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾
		﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف
٦٣	١٣٢	بينهم ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		(٩) ﴿سورة التوبة﴾
٥	٢٩١	﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾
٢٨	٢٠٤	﴿ إنما المشركون نجس ﴾
٣٢	١٥٠	﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾
٣٤	١٧٧	﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾
٣٤	٤٢٩	﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾
٣٦	٤١٦	﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ﴾
٣٦	٤١٧، ٤٠٤	﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة ﴾
٣٧	٤٠٣، ٢٨٣، ١١	﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾
٤٠	٥٩	﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾
٤٩	٢٩٦	﴿ وإن جهنم لحيطه بالكافرين ﴾
		﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في
٥٥	٢٥٤، ١٥٥	الحياة الدنيا ﴾
٦٠	٥٧١	﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾
٦٧	٢٧١، ١٠٧	﴿ نسوا الله فأنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾
		﴿ فأعقبهم الله نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما
٧٧	٢٤٤	وعادوه ﴾
٧٩	١٠٤	﴿ سخر الله منهم ﴾
		﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز
١٠٠	٦٥	العظيم ﴾
١٠٣	٥٥٨، ٤١٨	﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾
١٠٨	٤٥٨	﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٠٩	٣١٢	﴿ أَمِنَ أُسَسَ بَنِيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ ﴾.....
١١١	١٠٥، ١١٦، ١١٧، ٢٠١، ٢٩٥، ٥٢١، ٥٢٠، ٤٣٠، ٤١١	﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾.....
١١٢	١٦١	﴿ النَّاتِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.....
١١٣	٣٠٥	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾.....
١١٩	١١٠، ٥٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾.....
١٢٤	٧٧	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴾.....
١٢٥	٢٠٥، ٩٩، ٧٧	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾.....
		﴿ (١٠) سُورَةُ يُونُسَ ﴾
٥	٤٠١	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ السَّمَاءَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابِ ﴾.....
٧	٢٥٤	﴿ وَرِضْوَانًا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾.....
٩	٦١، ٦٣	﴿ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾.....
١٥	٤٤	﴿ أَتَيْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ﴾.....
٢٤	٤٢٥	﴿ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾.....
٢٥	٣٣١، ٤٣٢	﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.....
٢٦	١٧٩	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.....
٣١	١١٥	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمِنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ..... فَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾.....
٣٢	٢٨٦	﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٨	٤٣	﴿وادعو من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.....
٣٩	١٠٠	﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾.....
٤٩	٥٠٠	﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.....
٦٢	١٦٥، ٢٦	﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.....
٨٨	٦٩	﴿ربنا اطمس على أموالهم
٨٩	٦٩	﴿قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما﴾.....
٩٢	١٨٨	﴿فاليوم ننجيكَ بيدنك لتكون لمن خلقت آية﴾.....
٩٣	٤٤١	﴿ولقد هوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات
٩٨	٥٣٥، ٤٨٩، ١٥٩	﴿لما آمنوا اكشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين﴾.....
٩٩	٥٧٢	﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾.....
		﴿سورة هود﴾ (١١)
١٣	٧٤	﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾.....
٤٦	١٨٤	﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾.....
٤٦	٣٣٨	﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾.....
٥٤	٥٨٠	﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلها تنابها﴾.....
٦١	٤٢٩، ٣١٥، ١٥٥، ١٣٩، ٣٥	﴿واسـتـعـمـرـكـم فيها﴾.....
٨٨	١٧٦	﴿وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه﴾.....
١١٢	٦٧	﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾.....
١١٨	٥١٨	﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾.....
١٢٠	٥١٥	﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾.....
١٢٣	٥٩٨، ٥٨٧	﴿واليه يرجع الأمر كله﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		(١٢) ﴿سورة يوسف﴾
٢	٤٤	﴿قرآنا عربيا﴾.....
٥	٥٧٩	﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾.....
٣١	١٣٨	﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾.....
٣٦	٩٤	﴿إني أراني أعصر خمرا﴾.....
٣٨	٥٠١	﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾.....
		﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف أيها الصديق أفنتا في سبع
٤٦، ٤٥	١٤٠	بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾.....
٥٣	٣٩٩، ٣٨٥	﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾.....
٨٢	٥٤٣	﴿وأسأل القرية﴾.....
١٠٠	١٤٨	﴿وخرؤا له سجدا﴾.....
١٠١	٤٣٣، ٣١٥، ٢٩٤	﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾.....
		﴿وكأين من ءاية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها
١٠٥	١٦٦	معرضون﴾.....
١٠٦	٥٥٩، ٢٦٧، ١٨٩، ١١٤	﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾.....
١٠٨	٣٩٣، ٣٢٣، ٨٥	﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾.....
		﴿ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل
١١١	٣٩٢، ٢٥	شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾.....
		(١٣) ﴿سورة الرعد﴾
٤	٢٧	﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.....
٦	٢٤٣	﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٧	٦١	﴿ولكل قوم هاد﴾.....
		﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله
١٣	١٩٨، ٩٧	وهو شديد المحال﴾.....
١٥	٣٠١	﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها﴾.....
١٧	١١٢، ٦٢	﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾.....
٢١	١٦٥	﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾.....
٢٦	٢٢٦	﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾.....
٢٨	٩٥	﴿الذين ءامنوا وطمئن قلوبهم بذكر الله﴾.....
٢٩	١٦٦، ٣٨	﴿الذين ءامنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب﴾.....
٤٠	٣٠٥	﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾.....
﴿سورة إبراهيم﴾ (١٤)		
٤	٢٧	﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾.....
		﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى
٥	٥٣٤	النور﴾.....
		﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم
١٨	٥٥٦	عاصف﴾.....
٢٢	١٨٩	﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾.....
٢٢	٣٦٣	﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي﴾.....
		﴿ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في
٢٤	١١٣	السماء﴾.....
٢٥	١٥٩	﴿تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٨	٨٩	﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار
٣١	٥٢١	البوار﴾.....
٣٤	٣٤٥، ٦٤	﴿ولا خلال﴾.....
٣٥	٣٢٠	﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها﴾.....
٣٦	١٨٤	﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾.....
٤٣	٤١٩	﴿فمن تبعني فإنه مني﴾.....
		﴿وأفندتهم هواء﴾.....
﴿سورة الحجر﴾ (١٥)		
٢	٢٥٢	﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.....
٤٠	٥٨	﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾.....
٤٢	٥٧٩، ٣٩٦، ٥٨	﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾.....
٤٩	١٤٢	﴿نبي عبادي أنا الغفور الرحيم﴾.....
٩٣، ٩٢	٢٣	﴿فوريك لنسألهم أجمعين - عما كانوا يعملون﴾.....
﴿سورة النحل﴾ (١٦)		
١٨	٣٤٥، ٦٤	﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.....
٢٤	٤٣	﴿أساطير الأولين﴾.....
		﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم
٢٥	١٧٠	بغير علم﴾.....
٢٦	٤٣٤	﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٠	٤٣٥، ٢١٩	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
٤٤	٣٨	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾
٥٠	١٦٥	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾
٥٣	٥٢، ٤٩	﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾
٦٢	٤٧٠	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾
٦٣	٤٣٠	﴿ فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
٦٥	١١٢	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾
٦٨	٦٠	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾
٧٢	٣٠١	﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾
٨١	١٢١	﴿ سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾
٨٩	٢٣٠	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾
٩٠	٤٥٦، ٤١١، ٢١٨، ١٧٩، ٣٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
١٠٢	٥١٧	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ ﴾
١٠٣	٧٤	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾
١٠٦	٥٣١	﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾
١٠٨	٩٢، ٩٠	﴿ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ أَبْصَارُهُمْ ﴾
١٢٠	٤٢٢، ٣٢١	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾
١٢١	٣٤٥، ٣١٨	﴿ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
١٢٣	٣١٠	﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٢٥	٢٤٧، ٤٠٤، ٣٩٣، ٨٥	﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن﴾
١٢٨	٧٨	﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.....
﴿سورة الإسراء﴾ (١٧)		
٣	٣٤٥	﴿إنه كان عبدا شكورا﴾.....
٤	٣٠٢	﴿وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب﴾.....
٩	٦١	﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾.....
١١	١٥٥	﴿وكان الإنسان عجولا﴾.....
١٣	٥٤٤، ٣٢٧	﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾.....
١٥	٤٩٦، ٣٢٧، ٣٢١	﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.....
٢٣-٣٩	٣٠٢، ٢٩	﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ... فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾.....
٢٤	٢١٢	﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾.....
٢٦	١٧٩	﴿ولا تبذر تبذيرا﴾.....
٢٨	٥٥٤	﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا﴾.....
٢٩	٤١١	﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾.....
٣٢	١٥٣، ٣١	﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة﴾.....
٣٤	٤٥٣، ١٥٣	﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾.....
٤٤	٥١٥، ٣٠١، ٥٣، ٤٩، ٤٢	﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾.....
٤٦	٩٠	﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٧	٢٧٧	﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾.....
٥٥	٥١٧	﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وءاتينا داود زبوراً﴾.....
٥٧	٤٨٨، ٤٤٩، ٢٩٥، ١٦٥، ١١١	﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾.....
٦٧	٢٨٨	﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾..... ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾.....
٧٠	١٨٠، ١٧٩، ٣٥	﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾.....
٧١	٣٠٩	﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾.....
٧٢	٩٩	﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر﴾...
٧٨	٤٩٢، ٨١	﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾.....
٨٢	٣٠٧، ٧٧	﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾.....
٨٥	٥٢٨، ٤٣٥	﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾...
٨٨	١٢١، ٤٣	﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾.....
٩٠	٣٠٤	﴿ولن نؤمن لرفيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾.....
٩٣	٢٩٠	﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً﴾.....
٩٧	٢٣	﴿ولقد ءاتينا موسى تسع آيات بينات﴾.....
١٠١	٢٦١	﴿وقراءنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾.....
١٠٦	٤٩٤، ٣٩٢	﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾
١١٠	٥٠	
		(١٨) ﴿سورة الكهف﴾
١٣	٢٠٩	﴿إنهم فتية ءامنوا بربهم وزدناهم هدى﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٤	٢٠٩	﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾
٢٤، ٢٣	٢٢٧	﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ﴾
٢٨	٤٩	﴿ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾
٢٨	٩٠	﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾
		﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته
٥٠	٢٧١، ١٥٠	أولياء من دوني ﴾
٥٢	٣٧٣	﴿ ويوم يقول نادوا شركائي ﴾
٥٣	٢٣	﴿ وراءهم النار فظنوا أنهم مواقعوها ﴾
٥٩	٥٤٣	﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ﴾
٦٦	٢٠٩	﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾
		﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به
٦٨، ٦٧	٣٥٣	خبرا ﴾
٧٧	١٥٢	﴿ جدارا يريد أن ينقض ﴾
٨٨	٢٢	﴿ وأما من ءامن وعمل صالحا ﴾
١٠٣	١٣٣	﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾
١٠٤	١٠٠	﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾
١٠٩	٣٠٩	﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ﴾
		﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
١١٠	٣١٩، ٢٦٧	أحدا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(٢٩) ﴿سورة مريم﴾		
٢٦	٣٨٥	﴿إني نذرت للرحمن صوما﴾
٣١	٣٠	﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾
٤٠	٥٦	﴿نرث الأرض ومن عليها﴾
٤٤	١٥٧	﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا﴾
		﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا
٥٨	٦٦	مع نوح﴾
٥٨	٣٣٧	﴿هدينا واجتبينا﴾
٥٩	٣٧٥	﴿فخلف من بعدهم خلف﴾
٦٥	٤٨	﴿هل تعلم له سميا﴾
٧١	٢٣	﴿وإن منكم إلا واردها﴾
٧٩	١٠٤	﴿ونعد له من العذاب مدا﴾
٩٣	٣٩٦، ٥٨، ٥٧	﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آتاني الرحمن عبدا﴾
(٣٠) ﴿سورة طه﴾		
١٧	٢٥٠	﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾
٢٤	١٥١	﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾
٤١	٢٤٦	﴿واصطنعتك لنفسي﴾
٤٤	٢٤٧	﴿فقولا له قولا لينا﴾
٤٩	١٥٢، ١٤	﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٥٠	١٤ ، ٦٠	﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه لم هدى ﴾
٧٧	١٨٧	﴿ فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا ﴾
٩٧	٩٧	﴿ وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ﴾
١٠٨	١٤٨	﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾
١٠٩	١٨٢	﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ﴾
١١٣	٤٤	﴿ قرءانا عربيا ﴾
١١٤	٢٣٩	﴿ ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾
١١٥	١٥٤	﴿ ولقد عهدنا الى ءادم من قبل فنسى ﴾
١١٨	٥٧٣	﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾
١٢٠	١٥٦	﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾
١٢٦	١٧٥	﴿ قال كذلك أتتك ءاياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾
١٣٣	٤٤	﴿ أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴾
﴿ سورة الأنبياء ﴾ (٢١)		
٢٨	٥٢٧ ، ١٨٢	﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾
٣٥	٣٥٢ ، ١٨٥	﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾
٤٧	٥٨٧	﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾
٤٨	١٩١	﴿ ولقد ءاتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين ﴾
٤٩	٨٠	﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾
٦٣	١٧	﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا ﴾
٧٣	٦٢ ، ٦١	﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾
٩٦	٩	﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١.١	٢٣	﴿إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى أولئك عنها معدون﴾.....
١.٤	٥٨٧	﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾.....
﴿سورة الحج﴾ (٢٢)		
١	١٢٠، ١١٠، ٥٤	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾.....
٤	٦٠	﴿كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾.
٥	٥٧٧	﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾.....
		﴿إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
١٧	٢٦٧	والذين أشركوا﴾.....
١٨	١٤٨	﴿يسجد لله من في السموات ومن في الأرض﴾.....
١٨	٢٣٤	﴿والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾.....
٢٤	٨٥، ٦١، ٣٩	﴿وهذوا إلى الطيب من القول وهذوا إلى صراط الحميد﴾.....
٢٥	٣٩٧	﴿سواء العاكف فيه والباد﴾.....
٢٦	٣٠٩	﴿وإذ برأنا لإبراهيم مكان البيت﴾.....
٢٧	٤٢٠	﴿وأذن في الناس بالحج﴾.....
٢٨	٤٢٠	﴿ليشهدوا منافع لهم﴾.....
٣٠	٢٨٢	﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾.....
		﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به
٣١	٢٩٨، ٢٥٢	الريح في مكان سحيق﴾.....
		﴿ولكل أمة جعلنا منسكا لذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
٣٤	٣٠	الأنعام وبشر المختين﴾.....
٣٥	٤٤٤، ٨١	﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٠	٥١٤، ٣١	﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ﴾
٤٦	٩٢	﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾
٤٦	٥٣٣	﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾
٥٢	٢٣٩	﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾
٥٢	٢٨٣	﴿ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾
٥٦	٥٦	﴿ الملك يومئذ لله ﴾
٥٧	١٦٦	﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين ﴾
٧٣	١٢٩	﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ﴾
٧٥	٥١٧	﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾
٧٧	١١١	﴿ واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾
٧٨	٥٠٢، ٨٥	﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾
٧٨	٣١٠	﴿ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾
﴿ سورة المؤمنون ﴾ (٢٣)		
١	١٦١	﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾
٢	١٤٨	﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾
١٠	١٦١	﴿ أولئك هم الوارثون ﴾
١١	١٦١	﴿ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾
٢٥	٤٦٣	﴿ فتربصوا به حتى حين ﴾
٤٠	٣١٣	﴿ عما قليل ليصبحن نادمين ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٥٦، ٥٥	٤٣٩، ١٠٣	﴿ أَيْحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ نَسْأَعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾
٧١	٣٠٤	﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾
١٠١	٢٣	﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾
١١٧	١١٤	﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾
﴿ سُورَةُ النُّورِ ﴾ (٢٤)		
٢	٤٦٨	﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾
٤	٣٩٠	﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾
٥٠٤	٢٧١، ١٢	﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾
١٣	٢٣٧	﴿ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾
٢١	٥٣٥	﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾
٢٢	٤٦٣	﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولَئِكَ الْفَضْلَ مِنْكُمْ ﴾
٢٥	١٢٩	﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾
٣٤	٩	﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ ﴾
٣٥	٦٢	﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾
٣٨	٤٣٨	﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
٣٩	٢٩٢، ٣٦٤	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ ﴾
٤٠	٥٣٣، ٢٢	﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾
٤٤	٣٥٩	﴿ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾
٥٤	٥٧٢	﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ﴾
٥٥	٣٥	﴿ لَيْسْتَخْلِفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾
٦٣	٢٨٢	﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		(٢٥) ﴿سورة الفرقان﴾
٥	٤٣	﴿أساطير الأولين﴾.....
١٢	٢٣	﴿سمعوا لها تغيطا وزفيرا﴾.....
١٣	٢٣	﴿دعوا هنالك ثبورا﴾.....
٢٣	٤٤٧، ٤٣٤، ٤٢٦، ٣٦٤، ٢٩٢	﴿وقدما الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾.....
٢٤	٤٣٨	﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا﴾.....
٤٤	٢٢١	﴿إن هم إلا كالأنعام﴾.....
٤٨	٥٤١	﴿بشرا بين يدي رحمته﴾.....
٦٢	٣٥٩	﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾.....
٦٣	٣٩٦، ٥٨	﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾.....
٦٧	٤١١	﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾.....
٦٨	٤٥٩	﴿ومن يفعل ذلك يلق آثاما﴾.....
٦٩	٢٥٩	﴿يضاعف له العذاب﴾.....
		(٢٦) ﴿سورة الشعراء﴾
٢٠	٦٧	﴿فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾.....
٦١	١٨٧	﴿فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى﴾.....
٦٢	٥٩	﴿إن معي ربي﴾.....
٦٣	١٨٧، ٢٦	﴿فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾.....
٨٤	٣١٨	﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾.....
٨٨	٣٦٣	﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٨٩	٣١٥	﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.....
١٣٧	١١٠	﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾.....
١٥٣	٢٧٧	﴿إنما أنت من المسحرين﴾.....
١٩٤، ١٩٣	٥١٧	﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾.....
١٩٥	٩	﴿بلسان عربي مبين﴾.....
٢٢١	٢٧٤	﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾.....
٢٢٢	٢٧٤	﴿تنزل على كل أفك أثيم﴾.....
﴿سورة النمل﴾ (٢٧)		
٣	٨١	﴿الذين يقيمون الصلاة﴾.....
٤	٤٣٦، ٤٣٧	﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيناهم أعمالهم فهم يعمهون﴾....
١٢	٢٦١	﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء... إلى فرعون وقومه﴾....
٢٤	٤٣٧	﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾.....
٥٠	٩٧	﴿ومكروا مكرا﴾.....
٥٩	٥٢	﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾.....
٦١	١٥٨	﴿أمن جعل الأرض قرارا﴾.....
٦٣	٥٤١	﴿بشرا بين يدي رحمته﴾.....
٨١	٦٢	﴿وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم﴾.....
٨٢	٥	﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(٢٨) سورة القصص ﴿﴾		
٤	١٨٦	﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم﴾
٨	٧٧	﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾
١٠	٤١٩	﴿وأصبح فرّاد أم موسى فارغا﴾
١٥	٥٧٩	﴿هذا من عمل الشيطان﴾
٢٤	٥٢٠	﴿ربي إني لما أنزلت الي من خير فقير﴾
٣٥	٥١٤	﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكم سلطانا﴾
٤١	٣٠٩	﴿وجعلناهم أئمة يدعونه الى النار﴾
٥٤	٨١	﴿ومما رزقناهم﴾
٥٦	٦٢	﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾
٧٣	٢٩٣	﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾
٧٥	١١٨	﴿ونزعنا من كل أمة شهيدا﴾
٧٧	٤٢٥، ٣٣٩	﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾
٧٧	٤٢٥	﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾
٨٨	٢٩٤	﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾
(٢٩) سورة العنكبوت ﴿﴾		
٢، ١	٤٠٦، ٣٥٢	﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾
٢٥	٣٦٣، ٣٥٨	﴿يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣٨	٤٣٧	﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾.....
٤١	١٢٩	﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا﴾.....
٤٣	٢٨	﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾.....
٤٥	٤٩٤، ٣٤٦، ١٧٧	﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾.....
٥١، ٥٠	٣٠٤، ٤٣	﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾.....
٥٤	٢٩٦	﴿وإن جهنم لحيطه بالكافرين﴾.....
٥٥	١٢٤	﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾.....
٦٤	٤٣٨، ٣٥٢، ٢٦٩، ١٩٤، ١٩، ٨٦	﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾.....
٦٧	٣١١	﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾.....
٦٩	٥٠٢، ٦١	﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾.....
﴿سورة الروم﴾ (٣٠)		
١٠	٢٤٤	﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله﴾.....
١٧	١٥٩	﴿حين قمسون وحين تصبحون﴾.....
٢١	٤٥٤	﴿أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.....
٢٧	١٣٥	﴿وهو أهون عليه﴾.....
٢٨	٦	﴿اضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم كخيفتكم أنفسكم﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣٠	٣٢٤، ٤٤٠، ٤٩	﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾.....
٥١	٣٣٧	﴿ ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا ﴾.....
﴿ سورة لقمان ﴾ (٣١)		
٤	٨١	﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾.....
		﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ولا تمش في
١٨-١٣	٤٥١، ٣١	الأرض مرحا ﴾.....
١٤	٥١	﴿ اشكر لي ولوالديك ﴾.....
٢٠	٦٥	﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾.....
٢٢	٢٩٤	﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله ﴾.....
٢٧	٤٢	﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام مانفدت كلمات الله ﴾.....
٣٣	١٢٠، ١١٠، ٥٤	﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾.....
		﴿ واخشوا يوما لا يعزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
٣٣	١٨٢	والده شيئا ﴾.....
﴿ سورة السجدة ﴾ (٣٢)		
١١	٤٣٥، ٣٣٢، ٢٠	﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾.....
١٦	١١١	﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾.....
١٦	٨١	﴿ وما رزقناهم ﴾.....
١٧	١٢٦، ١٢٣، ٣٦	﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
﴿ سورة الأحزاب ﴾ (٣٣)		
٥	٢٤٤	﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾.....
٧	١٣١	﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﴾.....
١٦	٤٩٩	﴿ قل لن ينفكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ﴾.....
١٩	١٩	﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم ﴾.....
٣٣	٤٥٨، ١٢٧	﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾.....
٣٧	٣٤٢	﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾.....
٤٣	٥١	﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾.....
٤٩	٤٦٧	﴿ يا أيها الذين ءامنوا إذا نكحتم المؤمنات من عدة تعتدونها ﴾.....
٧٠	١١٠، ٥٤	﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله ﴾.....
٧٢	١٦١	﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ﴾.....
﴿ سورة سبأ ﴾ (٣٤)		
١٣	٥٥٩، ٥٠١، ٣٥٦، ٢٤٥، ٥٢	﴿ اعملوا ءال داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(٣٥) ﴿سورة فاطر﴾		
٨	١٠٠	﴿أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسنا﴾
٨	٣٠٥	﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾
١٨	٤٩٦، ٣٢٧، ٣٢١	﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾
٢٤	١١	﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾
٢٨	٣٤٣	﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾
﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه		
٣٢	١٢٠، ٦٤	منهم مقتصد ومنهم سابق في الخيرات﴾
٣٤	١٦٥	﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾
٣٧	١٩٩	﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾
٤١	٥٢٣	﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾
(٣٦) ﴿سورة يس﴾		
١١	٤٧٦	﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾
١١	٨٠	﴿وخشى الرحمن بالغيث﴾
١٢	٢٥	﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾
٤٠	٥٤٠	﴿وكل في فلك يسبحون﴾
٤٧	١٠٢	﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾
٥١	٤٢٨	﴿إلى ربهم ينسلون﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٦٠	٥٣٤، ٥٣٠، ٥٦٦	﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾
٦٩	٤٦	﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ مَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾
٧١	٢٤٠	﴿ مِمَّا عَمِلْتَ آيِدِينَا ﴾
﴿ سُورَةُ الصَّافَّاتِ ﴾ (٣٧)		
٢٢	٢٧٩، ١٢٧	﴿ احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾
٢٣	٦٠	﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾
٢٥، ٢٤	١٨٢	﴿ وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتَوِلُونَ وَمَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾
٢٧	٢٣	﴿ وَأَقْبِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾
٤٧	٢٦	﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾
١٠٦	١٨٦	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾
١٥٣	٤٧٠	﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾
١٦٥، ١٦٦	١٤٠	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾
﴿ سُورَةُ ص ﴾ (٣٨)		
٢٢	١٧	﴿ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾
٢٦	٥٣٠، ٣٦٥، ٣٠٦، ١٨٩	﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٢٩	٣٧، ٣٦، ١٢	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾
٣٩	٤٣٩	﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
٤١	٥٧٩	﴿ مَسْنِي الشَّيْطَانِ بِنَصَبٍ وَعَذَابٍ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٧٢، ٧١	١٩٢	﴿إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾
٧٥	٢٤٠	﴿لما خلقت بيدي﴾
٨٣، ٨٢	٣١٨	﴿لأغويهم أجمعين إلا عبادة منهم المخلصين﴾
﴿سورة الزمر﴾ (٣٩)		
٥	٣٥٩	﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾
٦	٨٤	﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾
٦	١٩٢	﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾
٧	٣٢٧، ٣٢١	﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾
١٥	٢١٨، ١٣٣، ١٠٦	﴿إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾
١٨	٣٩	﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾
٢٢	٨٥	﴿أفمن شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾
٢٨	٤٤	﴿قرءانا عربيا﴾
٢٩	٣١٥	﴿ورجلا سلما لرجل﴾
٤٢	٢٠	﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾
٦٤	٥٩	﴿قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾
٦٨	١٩٨	﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾
٧٣	٧٨	﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(٤٠) ﴿سورة غافر﴾		
١١	١٣٥	﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾
١٦	٥٦	﴿ لمن الملك اليوم ﴾
١٨	٥٦٨	﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾
٤٠	٣٨	﴿ ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ﴾
٤٠	٤٣٩	﴿ فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾
٤١	٤٥٥	﴿ مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴾
		﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل
٤٦	٣٥٠، ١٨٤، ١٢١	فرعون أشد العذاب ﴾
٥١	٤١٥	﴿ إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا ﴾
٦٠	٣٩٦	﴿ ادعوني استجب لكم ﴾
٦١	٥٠١	﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾
(٤١) ﴿سورة فصلت﴾		
٣	٤٤	﴿ قرءانا عربيا ﴾
٥	٢٥٧، ٩١	﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ... وبينك حجاب ﴾
٧، ٦	٣٠	﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾
١١	١٣٧	﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾
١٢	٣٠٢	﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾
١٣	١٩٨	﴿ أنذرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾
١٧	٥٣٩، ٦١	﴿ أما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٥	٤٣٧	﴿ وقضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾
٢٦	٧٤، ٤٣	﴿ وقالوا الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾
٣٠	١٦٥	﴿ ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾
٣٤	٢٤٣	﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾
٣٧	٤٩	﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾
٤٠	٢١٣	﴿ اعملوا ما شئتم ﴾
٤٢، ٤١	٧٠، ٤٥	﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾
﴿ سورة الشورى ﴾ (٤٢)		
٧	٤٤	﴿ قرءانا عربيا ﴾
١١	١١٤، ١٦	﴿ ليس كمثله شيء ﴾
١٣	٣٠	﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ... ولا تتفرقوا فيه ﴾
١٦	٣٤١	﴿ حجتهم داحضة عند ربهم ﴾
١٧	٨٤	﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾
٢٣	٨٥	﴿ ومن يقترب حسنة نرد له فيها حسنا ﴾
٣٨	٨١	﴿ ومما رزقناهم ﴾
٤٠	١٠٣	﴿ وجزاؤا سيئة سيئة مثلها ﴾
٥١	١٤٣، ٨٣	﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ... إنه على حكيم ﴾
٥٢	٢٥٥	﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾
٥٢	٦٢	﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		(٤٣) ﴿سورة الزخرف﴾
٤٤	٣	﴿قرأنا عريسا﴾.....
١٠٧	١١	﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾.....
		﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾.....
٤٧٠	١٧	﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾.....
٤٧٠	١٩	﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾.....
٣٢٧	٢٢	﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾.....
٣١٠	٢٨	﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾.....
٢٢٣، ٢٠٩	٣٢	﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة... سقفا من فضة﴾.....
٤٣٨	٣٣	﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾.....
٥٣٥، ٢٧٤	٣٦	﴿وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك﴾.....
٢٧٦	٤٩	﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾.....
٣٦٣، ١٥٨	٦٧	﴿وفها ما تشتهي النفس وتلد الأعين﴾.....
٤٣٩	٧١	﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾.....
٣٢٨	٨٤	﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾.....
٧٩، ٤٠	٨٦	﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾.....
١١١	٨٧	

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ سورة الدخان ﴾ (٤٤)		
﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾	٣	٣٩٢
﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾	٤	٥٦٧
﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون ﴾	١٧	٢٧٧
﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾	٢٧، ٢٦، ٢٥	٢٦
﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾	٣٨	٤٧٧
﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ﴾	٤١	١٨٢
﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾	٤٩	٥٣٩
﴿ سورة الجاثية ﴾ (٤٥)		
﴿ من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ﴾	١٠	٢٥٤
﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾	١٨	٣٠٦
﴿ أفترءيت من اتخذ إلهه هواه ﴾	٢٣	٥٦٦، ٣٠٦
﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾	٢٣	٩٢، ٩٠
﴿ إن هم إلا يظنون ﴾	٢٤	٢٣٩، ١٧٨
﴿ سورة الأحقاف ﴾ (٤٦)		
﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾	١٥	٤٨١

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٤	٤٣٥	﴿ هذا عارض ممطرنا ﴾.....
٣٥	٥١٦، ٥١٥	﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾.....
﴿ سورة محمد ﴾ (٤٧)		
١	٣٦٤	﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴾.....
		﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى تضع
٤	٤٠٨	الحرب أوزارها ﴾.....
		﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح
٥، ٤	٦٢	بالهم ﴾.....
١١	٥٣٤	﴿ ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾...
١٢	٢٢٠	﴿ يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾.....
١٣	٤٠٦	﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ﴾.....
١٤	٢٩١، ١٥٥	﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾.....
١٧	١٦٨، ٢٠٩، ٧٨، ٦٢، ٦١، ٣٩	﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتاهم تقواهم ﴾.....
	٥٣٣،	
٢٤	٩٠	﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾.....
٢٥	٤٣٧	﴿ الشيطان سول لهم ﴾.....
٣٠	٥٧٥	﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾.....
٣١	٣٥٢، ٣٥٠	﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾
٣٨	٥٥٣	﴿ والله الغني وأنتم الفقراء ﴾.....

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
(٤٨) ﴿سورة الفتح﴾		
﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾	١	٢٥٧
﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾	١٠	٩٦
﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾	١٠	١٣١
﴿والهدى معكروفا﴾	٢٥	٣٩٨
﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ... لعذبنا الذين كفروا﴾	٢٥	٦
﴿والزمهم كلمة التقوى﴾	٢٦	٣٢٥
﴿سيماهم في وجوههم﴾	٢٩	٥٧٥
(٤٩) ﴿سورة الحجرات﴾		
﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾	٢	٢٨٢
﴿إنما المؤمنون إخوة﴾	١٠	٤٥٣
﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل		
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾	١٣	٤٢٣، ١٢٠
﴿قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾	١٤	٢٩٤
﴿لا تقنوا على إسلامكم بل الله يمكن عليكم أن هداكم﴾	١٧	٢٢

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(٥٠) ﴿سورة ق﴾		
١١	١٣٤	﴿وأحيينا به بلدة ميتا﴾
١٦	٣٩٥	﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾
٣٧	٥٦٧، ٩٢	﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾
٣٧	٥٠	﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾
(٥١) ﴿سورة الذاريات﴾		
٦	٥٧	﴿وإن الدين لواقع﴾
١٤	٢٧٦	﴿ذوقوا فتنتكم﴾
٢١	٣١٧	﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾
٢٢	٨١	﴿وفي السماء رزقكم﴾
٤٤	١٩٨	﴿فأخذتهم الصاعقة﴾
٤٧	٢٤٠	﴿والسما بيناها بأيدي﴾
٤٩	١٢٧	﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾
٥٣	٣٠٤	﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾
٥٦	١٣٩، ٥٧	﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾
(٥٢) ﴿سورة الطور﴾		
٢٢	١٠٣	﴿وأمددناهم بفاكهة﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٥	٢٣	﴿واقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾
٤٨	٣٤٧	﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾
﴿سورة النجم﴾ (٥٣)		
١١	١٩٧	﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾
١٤، ١٣	١٩٧	﴿ولقد رءاه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى﴾
١٧	١٩٧	﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾
٢١	٤٧٠	﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾
٢٨	١٧٨	﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾
٣١	٢٩٢	﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾
٣٢	١٧٣	﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾
٣٧	٣١٠	﴿وابراهيم الذي وفى﴾
٣٩	١٨٢، ٢٢	﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾
﴿سورة القمر﴾ (٥٤)		
١٤	٧	﴿تجري بأعيننا﴾
٤٧	٦٧	﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾
٥٥، ٥٤	١٩٦	﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(٥٥) ﴿سورة الرحمن﴾		
٢٠١	٤٣٤	﴿الرحمن علم القرآن﴾.....
٩	٨١	﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾.....
١٥	١٠٣	﴿وخلق الجن من مارج من نار﴾.....
٢٢	٤٧٥	﴿يخرج منهما اللؤلؤ﴾.....
٢٧	٢٩٤	﴿ويبقى وجه ربك﴾.....
٣٩	٢٣	﴿فيومئذ لا يستل عن ذنبه إنس ولا جان﴾.....
(٥٦) ﴿سورة الواقعة﴾		
		﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما﴾.....
٢٥	١٩	﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾.....
٣٣	٢٦	﴿وننشئكم في ما لا تعلمون﴾.....
٦١	١٢٥	﴿أفرءيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾.....
٦٤، ٦٣	٤٥٨	﴿ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾.....
٦٤	٥٤٧	﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾.....
٨٢	٨١	
(٥٧) ﴿سورة الحديد﴾		
٣	٥٢٨	﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾.....
٥	٥٨٧	﴿والى الله ترجع الأمور﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٧	٢٢	﴿وآمنوا بالله ورسوله﴾.....
٨	٥٠٧	﴿ما لكم لا تؤمنون﴾.....
١١	٥٤٨، ٤٣٩، ٢٠١	﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا﴾.....
١٢	١٠٧	﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾..
١٣	١٠٦	﴿نقتبس من نوركم﴾.....
١٧	١٣٤	﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾.....
		﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
٢٠	٤٣٧	الأموال والأولاد... ثم يكون حطاما﴾.....
٢٥	٥١٤	﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾.....
٢٥	٨٤	﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾.....
٢٥	١٣٩	﴿وليعلم الله من ينصره﴾.....
٢٦	٣١٠	﴿وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾.....
٢٨	١٢٠، ١١٠	﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا لله﴾.....
٢٨	٥٣٣، ٦١	﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾.....
﴿سورة المجادلة﴾ (٥٨)		
٢٠، ٥	٣٩٧، ٣٢٣	﴿إن الذين يحادون الله﴾.....
٧	٥٨٧	﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾.....
٨	٩٤	﴿ويقولون في أنفسهم﴾.....
١٠	٥٨٠	﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين ءامنوا﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٩	٥٣٤، ٢٥٤	﴿أولئك حزب الشيطان﴾.....
٢٢	٤٥٤	﴿يؤادون من حاد الله﴾.....
٢٢	١٣٩	﴿أولئك حزب الله﴾.....
﴿سورة الحشر﴾ (٥٩)		
٢	٤٣٤، ١٣٧	﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾.....
٨	٤٠٦	﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾.....
٩	٣٧٧	﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.....
٩	٥٨١	﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.....
١٨	١٢٠، ١١٠، ٥٤	﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله﴾.....
١٩	٢٥٦، ٥٥	﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾.....
		﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية
٢١	٢٣٤	الله﴾.....
٢٤	١٩٢	﴿الخالق الباريء المصور﴾.....
٢٤	٥٣	﴿يسبح له ما في السموات والأرض﴾.....
﴿سورة الصف﴾ (٦٠)		
٢	١٧٦	﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾.....
٦	٣١٦	﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.....
١٤	٢١٤	﴿من أنصاري الى الله قال الخواريون نحن أنصار الله﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
﴿ سورة الجمعة ﴾ (٦١)		
٢	٦٧	﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾
٥	٢٢٠	﴿ كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾
٩	٤٢٠	﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾
١٠	٤٢٣	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشَرُوا ﴾
١١	١٧٧	﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾
﴿ سورة المنافقون ﴾ (٦٢)		
١	٤٢٨، ٢٤٩، ١١٧، ١٠٠، ٤٠	﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾
٣	٩١	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾
٦	٨٩	﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾
١٠	٤٤٤ ، ٨١	﴿ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاهُمْ ﴾
﴿ سورة التغابن ﴾ (٦٣)		
١١	٦٢	﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾
١٦	٥٨١	﴿ وَمَنْ يُوْكَ شَيْخٌ نَفْسُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
﴿ سورة الطلاق ﴾ (٦٤)		
١	٤٨٠ ، ٤٠	﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ﴾
١	٤٧٥	﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾
٢ ، ٣	١٢٠	﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ..
٧	٤٨٢	﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾
٨	٥٤٣	﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ﴾
١٢	٣٦٠	﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾
١٢	٥٢٧	﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾
﴿ سورة التحريم ﴾ (٦٥)		
٣	١٤٢	﴿ نبأني العليم الخبير ﴾
٤	١١	﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾
٦	٤٩٧	﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾
٦	٢٢٠ ، ١٥١ ، ١١٦	﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾
١٢	٢٥٥	﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾
﴿ سورة الملك ﴾ (٦٦)		
٣	٥٢٥	﴿ الذي خلق سبع سموات ﴾
١٥	٥٤١	﴿ وإليه النشور ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
﴿ سورة القلم ﴾ (٦٧)		
١٠	٤٦٠	﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾
١١	٤٢٨	﴿ همار مشاء بنميم ﴾
٤٢	١٢	﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾
٤٥، ٤٤	٩٧	﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين ﴾
٤٨	٥١٦	﴿ ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾
﴿ سورة الحاقة ﴾ (٦٨)		
١١	١٠٤	﴿ إنا لما طغيا الماء حملتناكم في الجارية ﴾
٢٨	٢٥٤	﴿ ما أغنى عني ماليه ﴾
٣٧	٢٤٤	﴿ لا يأكله إلا الخاظرون ﴾
٤١	٤٦	﴿ وما هو بقول شاعر ﴾
﴿ سورة المعارج ﴾ (٦٩)		
١٩	٥٥٨	﴿ إن الإنسان خلق هلوعا ﴾
٢٠	٥٥٨	﴿ وإذا مسه الشر جزوعا ﴾
٢١	٥٥٨	﴿ وإذا مسه الخير منوعا ﴾
٢٣، ٢٢	١٦١	﴿ إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾
٣٥	١٦٢	﴿ أولئك في جنات مكرمون ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		﴿سورة نوح﴾ (٧٠)
١٥	٥٠١	﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾.....
		﴿سورة المزمل﴾ (٧١)
٢	٣٣٦	﴿قم الليل إلا قليلا﴾.....
٧	١٤٠	﴿إن لك في النار سباحاً طويلاً﴾.....
٢٠	٥١٢، ١١٦	﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾.....
٢٠	٤٢٠	﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾.....
		﴿سورة المدثر﴾ (٧٢)
٤	١٢٧	﴿وثيابك فطهر﴾.....
٤٩	٥٠٧	﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾.....
		﴿سورة القيامة﴾ (٧٣)
١٦	٢٣٩	﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾.....
٢٥	٥٦٥، ١١٦	﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(٧٤) سورة الانسان		
١	١٥٩	﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾.....
٣	٦١	﴿ إنا هديناه السبيل ﴾.....
٩	٥٥٨، ٣٧٧	﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾.....
٢٤	٤٩٠	﴿ ولا تطع منهم ءائما أو كفورا ﴾.....
(٧٥) سورة المرسلات		
٢٦، ٢٥	١٥٨	﴿ ألم نجعل الأرض كفئاتا أحياء وأمواتا ﴾.....
٣٥	٢٣	﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾.....
٣٦	٣٧٤	﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾.....
(٧٦) سورة النازعات		
١٧	١٥١	﴿ اذهب الى فرعون إنه طغى ﴾.....
٢٧	١٣٦	﴿ ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ﴾.....
٢٨	١٣٦	﴿ رفع سمكها فسواها ﴾.....
٣٠	١٣٦	﴿ والأرض بعد ذلك دحاهبا ﴾.....
٣١	١٣٦	﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾.....
٣٨، ٣٧	٢٥٤	﴿ فأما من طغى وءاثر الحياة الدنيا ﴾.....
٤١، ٤٠	٥٣٠، ١٦٥	﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		(٧٧) ﴿سورة عبس﴾
٣٥ ، ٣٤	١٨٢	﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه﴾.....
		(٧٨) ﴿سورة الإنفطار﴾
١٣	٣٧٦	﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾.....
١٩	٥٦	﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾.....
		(٧٩) ﴿سورة المطففين﴾
٥ ، ٤	١٧٨	﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾.....
١٤	٩٠	﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.....
٢٢	٣٧٦	﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾.....
٣٤	١٠٤	﴿فالיום الذين ءامنوا من الكفار يضحكون﴾.....
		(٨٠) ﴿سورة الانشقاق﴾
٤ ، ٣	٥٦٠	﴿وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾.....
٢٤	٢٤٠ ، ١٢٢	﴿فبشرهم بعباب اليم﴾.....

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		﴿ سورة البروج ﴾ (٨١)
١٠	٢٥٤	﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾
		﴿ سورة الأعلى ﴾ (٨٢)
٣	٦٠	﴿ والذي قدر فهدى ﴾
١٤	٤٧٩، ٣١	﴿ قد أفلح من تزكى ﴾
١٥	٣١	﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾
١٩، ١٨	٣١	﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى - صحف إبراهيم وموسى ﴾
		﴿ سورة الفجر ﴾ (٨٣)
١٤	٤١٨	﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾
٢٢	٤٣٤	﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾
		﴿ سورة البلد ﴾ (٨٤)
١٠	٦١	﴿ وهديناه النجدين ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
(٨٥) سورة الشمس		
٢	٢٧٣	﴿والقمر إذا تلاها﴾
٩	٤٧٩، ٣٣، ٩١	﴿قد أفلح من زكاها﴾
١٠	١٠٥، ٤٩	﴿وقد خاب من دساها﴾
(٨٦) سورة الضحى		
٦	٢٤٦	﴿ألم يجدك يتيما فأوى﴾
٧	٤٢٠، ٦٧	﴿ووجدك ضالا فهدى﴾
١٠	٥٥٤	﴿وأما السائل فلا تنهر﴾
(٨٧) سورة القدر		
١	٣٩٢	﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾
(٨٨) سورة البنية		
٥	٦٥	﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾
٧	١٨٠، ١٢٠، ٦٥	﴿إن الدين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾
٨	٦٥	﴿جزاءهم عند ربهم جنات عدن ... ورضوا عنه﴾

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ سورة الزلزلة ﴾ (٨٩)		
﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾	٥	٦٠
﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ ...	٨، ٧	٤٤٤ ، ٢٩٢
﴿ سورة التكاثر ﴾ (٩٠)		
﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾	٧	١٩٦
﴿ ثم لتستلن يومئذ عن النعيم ﴾	٨	٧٣
﴿ سورة الناس ﴾ (٩١)		
﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾	٤	٥٨.

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث	مسلسل
٤٧٣	- أبغض الحلال عند الله الطلاق	١
٢٧٥	- أتانى ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله	٢
٦٦	- اتقوا الغضب فإنه جمرة.	٣
٥٧٥	- اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.	٤
٤٤٧, ٤٠٦	- أحلت لى ساعة من النهار.	٥
٥٩٤, ٥٣١, ٣٩٠, ٣١٨	- أخلص يكفيك القليل من العمل.	٦
٨٤	- أخوف ما أخاف على أمتى.	٧
٩٠	- إذا تقرب الناس الى خالقهم بالصلاة.	٨
٤٦٠	- إذا حلف أحدكم على شئ فرأى غيره	٩
٤١٨	- إذا صام أحدكم فلا يجهل	١٠
٥٧٤	- أربع من جاوزهن ففيه الحساب	١١
٥١١, ٣٤٩	- الأرواح جنود مجندة	١٢
٩٢	- استفت قلبك وإن أفنوك.	١٣
٦٧	- استقيموا ولن تحصوا	١٤
٤٠٧	- الإسلام يجب ما قبله	١٥
٤١٧	- أشهر الحج شوال وذو القعدة	١٦
١٥	- أصبحت مؤمناً حقاً	١٧
٤٥٧	- اصنعوا كل شئ إلا الجماع	١٨
٧٩	- أعتقها فإنها مؤمنة	١٩
٥٧٦, ٥٥٠, ٥٤٩, ١٢٦	- أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت	٢٠
٥٠٢	- أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك	٢١
٢٥٣	- أعطيت أمتى ما لم يعط أحد	٢٢
٥٥	- أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه	٢٣

رقم الصفحة	طرف الحديث	مسلسل
٣٤٠ ، ٤٦	- اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٢٤
٥٣١ ، ٣١٨ ، ٩٧	- الأعمال بالنيات	٢٥
٢٢٨	- أفسحوا السلام بينكم تدخلوا الجنة ربكم	٢٦
٤٢٧	- أكثر أهل الجنة البله	٢٧
٥٦٠	- أكرموا عمتكم النخلة	٢٨
٥٢٦	- أكون سمعه الذي يسمع به	٢٩
٥٨٤	- ألا إن كل ربا في الجاهلية فهو موضوع	٣٠
٣٥٢	- اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة	٣١
٤٧٤	- أما الزيادة فلا	٣٢
٥٩٠	- أما نقصان عقلهن فشهادتهن	٣٣
٥٥١	- والامتنان بالمعروف فان ذلك يبطل الشكر	٣٤
٤٣٢ ، ٧٩	- أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا	٣٥
١٧	- إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات	٣٦
٣١٦	- أنا دعوة أبي إبراهيم	٣٧
٥١٧	- أنا سيد ولد آدم ولا فخر	٣٨
٥٦٣	- إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه	٣٩
٥٩٥	- إن الله تجاوز عن أمتي عما حدثت به نفسها	٤٠
٤٢٣	- إن الله تعالى أذهب عنكم	٤١
٤٦٢	- إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم	٤٢
٣٤٩	- إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد	٤٣
٣٧٢	- إن الله عز وجل لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم	٤٤
٨٢	- إن الله لا يقبل نافلة	٤٥
٤٩٨ ، ١٤٢	- إن الله لما خلق العقل قال له أقبل	٤٦

رقم الصفحة	طرف الحديث	مسلسل
٥٨١	- إن الله يقبل الصدقات	٤٧
٤٠٢، ٢٠٤	- أنا مدينة العلم وعلى بابها	٤٨
١٢٥	- إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون	٤٩
٣٧٧	- إن تتصدق وأنت صحيح صحيح	٥٠
٥٠٣	- إن تصدقت بحدیقتی	٥١
٨٣	- إن روح القدس نفث في روعي	٥٢
٥٨٠	- إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى دمه	٥٣
١٦٧	- انظر الى من هو دونك	٥٤
٨٢	- إن علما لا يقال ككنز لا ينفق منه	٥٥
٦٦	- إن الغضب من الشيطان	٥٦
٨٣	- إن في أمي المروعين	٥٧
٤٦٢	- إن في الإنسان مضغة	٥٨
٣٩٩	- إنك لعريص الوساد	٥٩
٤٦٩	- إنكن ناقصات الدين والعقول	٦٠
٢٢٥	- إنما أهلك من قبلكم	٦١
٥٧٤	- إنما تنصرون بضعفائكم وتمطرون	٦٢
١٧٠	- إنما مثلي ومثل الأنبياء	٦٣
٤٠٦	- إن مكة حرمها الله عز وجل	٦٤
٢٢٥	- إن من البيان لسحرا	٦٥
٩٠	- إن المؤمن إذا أذنب ذنباً	٦٦
٣٤٩	- إن الميت ليرد على جماعة من الأموات	٦٧
٦٤	- إنهم يدخلون الجنة قبل آخرين	٦٨
٨٣	- إن يك في هذه الأمة محدث	٦٩

مسلسل	طرف الحديث	رقم الصفحة
٧٠	- أوتيت جوامع الكلم	٢٦
٧١	- أى الصلاة أفضل	٣٠٠
٧٢	- أيؤذيك هو أم رأسك	٤١٣
٧٣	- بعثت بالحنفية السهلة	٣٢٩
٧٤	- بين يدي الساعة سنون خداعة	٩٥
٧٥	- ترون ربكم عز وجل كما ترون القمر ليلة البدر	١٩٦
٧٦	- تعس عبد الدينار	٥٨
٧٧	- تناكحوا تكاثروا	٤٥٩
٧٨	- ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق	٤٧٧
٧٩	- ثلاثة لا يجدون ريح الجنة	٥٥٦
٨٠	- جثتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر	٥٠٢
٨١	- جاهدا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم	٥٩٥، ٥٠٢، ٤٤٨
٨٢	- جرد مرد مكحول	١٢٥
٨٣	- جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا	٢٩٧
٨٤	- جهادك هواك	٥٠١
٨٥	- حافظوا على الصلوات وصلاة العصر	٤٩٣
٨٦	- حفت الجنة بالمكاره	٤٤٣
٨٧	- دعى الصلاة أيام إقرائك	٤٦٦
٨٨	- رأس الدين الورع	٣٨٦
٨٩	- رأيت ربي في بعض طرقات المدينة	١٩٦
٩٠	- رأيت نسمة آدم	٣٥٠
٩١	- رب ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره	٣٩٦
٩٢	- رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر	٤٤٨، ٤٤٥، ٥٦

رقم الصفحة	طرف الحديث	مسلسل
٢٠٣، ١٧٥	- رفع عن أمتي الخطأ والنسيان	٩٣
٢٩٦	- روى أنه لما قدم مضاري نجران	٩٤
٣٢٤	- سائل العلماء وخالف الكبراء	٩٥
٥٦٩	- سبعة يظلهم الله في ظل عرشه	٩٦
٤٧٨	- سمعا لربي وطاعة	٩٧
١٤	- سميت محمدا وأحمد وخاقا	٩٨
٥٥٩	- الشرك أخفى فيكم من ديبب النملة	٩٩
٤٩٣	- شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	١٠٠
٥٢٢	- شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	١٠١
٦٧	- شيبتي هود وأخواتها	١٠٢
١٧٧	- صيام شهر الصبر وثلاثة أيام	١٠٣
٦٣	- ضرب الله مثلا صراطا مستقيما	١٠٤
٥٣١	- عجب ربيكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل	١٠٥
٥٥٢	- الغنى غنى النفس	١٠٦
٦٧	- فاستقم كما أمرت	١٠٧
٥١٦	- فضلت على الأنبياء بست	١٠٨
٤٩٦	- فقد كانت أحدا كن تلبث سنة ثم ترمى ببعة	١٠٩
٣٣٣	- فكنت موضع اللبنة	١١٠
٥٠٦	- قال: بل للأبد	١١١
٢٤	- قال في الجارية التي أشارت إلى السماء إنها مؤمنة	١١٢
٤٣، ٢٦	- كادت أمتي تكون أنبياء	١١٣
٥٦٤	- كاد الفقر أن يكون كفرا	١١٤
٤٥٥	- لاتترائي نارهما	١١٥

رقم الصفحة	طرف الحديث	مسلسل
٢٠٨	- لا ترفع عصاك عن أهلك	١١٦
١٣٢	- لا تقاطعوا ولا تدابروا	١١٧
٥٦٠	- لا تقوم الساعة حتى تظهر التحوت	١١٨
٤٧٥	- لا حتى تذوقى عسيلته	١١٩
٤٨٢	- لا رضاعة بعد الحولين	١٢٠
٢٢٦	- لا صفر	١٢١
٨٦	- لا عيش إلا عيش الآخرة	١٢٢
٢٨٣	- لا وصية لوارث	١٢٣
٢٧٩	- لا يقبل الله صدقة وذو رحم محتاج	١٢٤
١٨١	- لا يقبل منه صرف ولا عدل	١٢٥
٤٥١	- لعن الله عشرة، مشتريها وبائعها	١٢٦
٥١	- لما خلق الله الرحم قال أنا الرحمن	١٢٧
١٤١	- لما خلق الله العقل	١٢٨
٤٢٩	- لما خلق الله المعيشة جعل البركة فى الحرث والنسل	١٢٩
٥١٢, ٢٨٤	- لو أن لابن آدم واديين من مال لا بتغى ثالثا	١٣٠
٥٣	- ليس شئ أحب الى الله من الحمد	١٣١
٥٩٦	- لينظر أحدكم ما يتمنى فإنه لا يدري ما كتب له	١٣٢
٢١٥	- ماتوا وهم فى النار	١٣٣
٥٢٥	- ما السموات السبع فى جنب الكرسي إلا كحلقة	١٣٤
٥٥٠, ١٦٨	- ما لا عين رأت ولا أذن سمعت	١٣٥
٦٧	- ما الذى شريك يا رسول الله	١٣٦
٨٠	- ما يمنعكم ورسول الله بين أظهركم	١٣٧
٥٥٦	- المتشبع بما لا ينل كلابس ثوبى زور	١٣٨

رقم الصفحة	طرف الحديث	مسلسل
٤٤٨	- المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله	١٣٩
٥٨٥	- مظل الغنى ظلم	١٤٠
٥٨٢	- مكتوب على باب اللجنة القرض بشمانية عشر	١٤١
٢٠٣	- من اجتهد فأخطأ فله أجر	١٤٢
٦٧	- من اجتهد فأصاب فله أجران	١٤٣
٢٦٦	- من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	١٤٤
١٥٦	- من أزلت إليه نعمة فليشكرها	١٤٥
٣٥٤	- من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتة	١٤٦
٥٥١	- من أعطى عطية وهو طيب النفس بها بورك فيها	١٤٧
٥٨٦	- من أنظر معسرا كان فى ظل الله	١٤٨
٤٢٦	- من حج ولم يرفث ولم يفسق	١٤٩
١٧٥	- من حفظ القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجزم	١٥٠
٣٥٦	- من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلكلام من نار	١٥١
٢٤١	- من سن سنة حسنة فله أجرها	١٥٢
٣٨٣	- من سن سنة سيئة فعليه وزرها	١٥٣
١٧٠	- من سن سنة فى الإسلام	١٥٤
٥٨٦	- من شدد على امرئ فى التقاضى إذا كان معسرا	١٥٥
٣٣٥	- من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل	١٥٦
٨١	- من صلى ركعتين مقبلا بقلبه	١٥٧
٤٩٣	- من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر ماله وأهله	١٥٨
٣٧	- من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ	١٥٩
٣٧	- من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده	١٦٠
١٦٨	- من قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ودمه	١٦١

رقم الصفحة	طرف الحديث	مسلسل
٧٩	- من قال لا إله إلا الله مخلصا	١٦٢
١٢٨	- من لحياء له فلا إيمان له	١٦٣
٤٥١	- من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله	١٦٤
٢١٥	- من مات على دين عيسى قبل أن يسمع بى	١٦٥
٥٩٥	- من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة	١٦٦
٧٧	- من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه	١٦٧
١٣٢	- المؤمن مآلف ولا خير فيمن لا يؤلف	١٦٨
١٠	- نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها	١٦٩
٤٥٨	- نعم الرجل منهم خريم	١٧٠
٩٧	- نية المؤمن خير من عمله	١٧١
٣٨٦	- هذا شهر الصبر	١٧٢
٢٣٦	- هذا مصرع فلان غدا وهذا مصرع فلان	١٧٣
١٥٤	- هذان حرام على ذكور أمتى	١٧٤
٣٤٩	- هل وجدتم ما وعد ربكم حقا	١٧٥
٢٥١	- والإثم ما حاك في صدرك	١٧٦
٥٦٦، ٩٩	- وأى داء أدوى من البخل	١٧٧
١٢٦	- والذى نفسى بيده إن فيها أكلا وشربا	١٧٨
٢٢٧	- والذى نفس محمد بيده لو لم يستثنوا	١٧٩
٤٩٩	- يا على إذا تقرب الناس إلى خالقهم بالصلاة والصوم	١٨٠
٣٩٠	- يقول الله عز وجل الصوم لى وأنا أجزي به	١٨١

فهرس الأبيات الشعرية

(فهرس الأبيات الشعرية)

م	البيت	قائله	الصفحة
{حرف الألف}			
١	إذا أثنتى عليك المرء يوماً	أمية بن أبى الصلت	٣٣٦
٢	وإنما أمهات الناس من أوعية	-	٤٨٢
٣	فليس الرزق عن طلب حثيث	أبو الأسود	٤٠٠
٤	ليس من مات فاستراح بميت	عدي بن علاء	٥٠٠
٥	ليس يعطيك للرجاء ولا للخو	بشار بن برد	٣٧٧
٦	والحوت يسبح فى السما	ابن هرمة	٤١
{حرف الباء}			
٧	با مرسل الريح جنوباً وصبا	الأخطل	٦٩
٨	وإن أتوك فقالوا إنها نصف	-	٢٢٥
٩	قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم	الحطيئة	٤٢٦
١٠	حبانا به جدنا والإله	-	٦٠
١١	وقد جعلت قلوب بني سهيل	رجل بن بحتري	١٨٣
١٢	أما عظامها فبيض	علقمة	٩١
١٣	فلاينة حطان بن عوف منازل	الخنس بن شهاب التغلبي	١٠٨
١٤	تخف بهم بيض الوجوه وعصبة	-	٣٢٤
١٥	وما مثله فى الناس إلا مملكا	الفرزدق	٦
١٦	رعتة الفيافي بعدما كان حقبة	أبو تمام	٦٣
١٧	أخوك الذى إن ربتة قال إنما	بشار بن برد	٧٥
١٨	وما الحسب الموروث لادر دره	ابن الرومى	٥٠٨
١٩	إذا الغصن لم يثمر وإن كان شعبة	ابن الرومى	٥٠٨
٢٠	تخرصاً وأحاديثاً ملفقة	أبو تمام	٩١
٢١	من كان فى الدنيا بغير حبيب	ديك الجن	٩٢

م	البيت	قائله	الصفحة
٢٢	ما كان في صور الجنان لأدم	ديك الجن	٩٣
٢٣	قد كان في الفردوس يشكو وحشة	ديك الجن	٩٣
٢٤	ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	النايفة	٣٤٢
{حرف التاء}			
٢٥	بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم	الفرزدق	٥٩
٢٦	جهلت ولم تعلم بأنك جاهل	-	١٠٢
{حرف الحاء}			
٢٧	ألم تر أن جمع القوم يخشى	ناهض الكلابي	٥٠٠
٢٨	تجلي غطاء الرأس عني ولم يكد	-	٣٦٤
{حرف الدال}			
٢٩	ففي كل شئ له آية	أبو العتامة	٥٣
٣٠	إن الكريم من تلفت حوله	حاتم الطائي	٤٢٧ ١٥٠
٣١	بجهل كجهل السيف والسيف منتضى	-	٥٩١ ١٦٤
٣٢	إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد	حاتم الطائي	٤٥٢
٣٣	فثم الفتى كل الفتى كان بينه	-	١٧٥
٣٤	وقد أسمعت لو ناديت حيا	كثير عزة	١٢٤
٣٥	والصبر بالأرواح يعرف فضله	أبو تمام	٢١٠
٣٦	أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى	طرفة بن العبد	٥٦٠
٣٧	إنك لو ذقت الكسى بالأكباد	-	٣٦٠
٣٨	وليس على الله بمستنكر	أبو نواس	٢٢١
{حرف الراء}			
٣٩	لا أرى الموت يسبق الموت شئ	عدى بن زيد	١٦٤
٤٠	كما أسلم السلك من نظمه	-	١٩٢

م	البيت	قائله	الصفحة
٤١	إن الليالى والأيام لو بحثت	-	٤٣٣
٤٢	تغلغل حيث لم يبلغ شراب	عبيد الله	٢٦٣
٤٣	قضى الله فى بعض المكاره للفتى	حميد بن ثور	٤٤٦
٤٤	مخلفون ويقضى الله أمر هموا	الأخطل	١١٨
٤٥	إنما نعمة المرء متعة	الأقوه الأودى	١٠٠
٤٦	جمالية تعلى بالردف	الأعشى	٢٥٠
٤٧	ولى مائح لم يورد الماء قبله	العجير السلولى	٤٠٠
٤٨	وأراك تفرى ما خلقت وبعد	زهير بن سلمى	١١٠
٤٩	النازلين بكل معترك	الخرنق بنت هفان	٣١٨
٥٠	والستر دون الفاحشات ولا	زهير بن أبى سلمى	٤٨٧
٥١	يضع الزيارة حيث لا يزرى بنا	حميد بن ثور	٥٣٦
٥٢	إذا الليل عن بشر تضى رميته	-	٥١١
٥٣	ويسلب قوماً آخرين به	-	٥٠٤
٥٤	إلى الحول ثم اسم السلام عليكما	ليبيد بن ربيعة	٤٧
{حرف السين}			
٥٥	كأن الخلق ركب فى مثال	أبو العتاهية	٥٠٦
٥٦	الناس جسم وإمام الهدي	العكوك	٣٧٦
{حرف الضاد}			
٥٧	يارب ذى ضغن علي فارض	-	١٠٦
{حرف العين}			
٥٨	مريضات أدبات التهادى كأنما	السعيد	١١٠
٥٩	فالنفس راغبة إذا رغبتها	أبو ذؤيب	٣٨٦
٦٠	فإن نك أهملنا فأضعف بسعيننا	أبو تمام	٤٦

م	البيت	قائله	الصفحة
٦١	فإذا هم طعموا فالأم طاعم	رجل جاهلي	١٧٠
٦٢	قالت ولم تصد لقليل الخناهلا	-	٢١٧
٦٣	وخيل قد دلفت لها بخيل	عمرو بن معد يكرب	٦٠
{حرف القاف}			
٦٤	عمرى لقد نصح الزمان وإنه	أبو تمام	٣٦٦
٦٥	وإني في بئى ثنائك جاهداً	-	٥٦٧
٦٦	كمن قال إن الثلج أبيض بارد	-	٥٦٧
٦٧	وهذا وهذا بنيان كلاهما	-	٥٦٧
٦٨	إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت	أبو نواس	٣٦٦
٦٩	لأن أرجى عند العرى بالخلق	محمد بن بشير	٥٥٤
٧٠	خير وأكرم لي من أن ترى ممن	محمد بن بشير	٥٥٤
{حرف الكاف}			
٧١	ويقبح من سؤال الشئ عندي	أبو نواس	٦٠٠
٧٢	نالوا السماء فأمسكوا بعنانها	-	١١٧
٧٣	فتي ملك اللذات أن تعتبدنه	أبو العتاهية	٣١٠
{حرف اللام}			
٧٤	قد تخللت مسلك الروح مني	بشار	٥١٠
٧٥	وجاعل الشمس مصراً لاخفاء به	عدي	٥١٢
٧٦	أصبحت لا رجلاً يقدو لمطلبه	أبو نصر بن نباته	٥٦٧
٧٧	ولم أر كالمعروف أما مذاقه	أبو تمام	٤٧١
٧٨	جزى الله بالخيرات ما فعلا بكم	زهير بن سلمى	١٨٥
٧٩	أرى العمر كنزاً ناقصاً كل ليله	طرفه بن العبد	٢٦٩
٨٠	ليس العطاء من الفضول سماحة	المقتنع الكندي	٥٥٠

م	البيت	قائله	الصفحة
٨١	ماروضة من رياض الخزن معشبة	الأعشى	٢٠٨
٨٢	ربما تجزع النفوس من الأم	أمية بن أبي الصلت	١٢٨
٨٣	لايطمع المرء أن تجتاب غمرته	أبو تمام	٥٨٣
٨٤	إن التي ناولتني فرددتها	حسان بن ثابت	١١٣
٨٥	وما المرء مادامت حشاشة نفسه	امريء القيس	١
٨٦	جهلت ولم تعلم بأنك جاهل	-	١٠٢
{حرف الميم}			
٨٧	ثقال الحفان والعلوم رحاهم	-	٤١
٨٨	لايكتمن ذاك الطبيب	-	٥٢٠
٨٩	لعلى إن مالت بي الريح ميلة	ثابت قطنة	٤٨٦
٩٠	تسلف الجار شرباً وهى حاتمة	-	٤٦٠
٩١	إذا كان الشباب يعد شيباً	المتنبى	٣٥١
٩٢	لاتنه عن خلق وتأتى مثله	أبو الأسود	١٧٦
٩٣	ترى الأرض منا بالفضاء مريضة	أوس	٢٧٨
٩٤	ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم	-	٣١٣
٩٥	أعطيت مالم تعطه ولو انقضى	أبو تمام	٢١
٩٦	الريح يبكى شجوها	يزيد بن مفرع	٣٣
٩٧	أناة فإن لم يغن عقب بعدها	-	٤٠٤
٩٨	فسقى ديارك غير مفسدها	طرفه بن العبد	١٠٨
٩٩	رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى	عمرو بن قتيبه	٥٠٢
١٠٠	إذا أيقظتك حروب العدا	بشار بن برد	٥٢٤
{حرف النون}			
١٠١	ألا لا يجهلن أحد علينا	عمرو بن كلثوم	٤٠٩
	فنجهل فوق جهل الجاهلينا		

م	البيت	قائله	الصفحة
١٠٢	ومن أعظم الرزء فيما أرى	البحتري	١٨٦
١٠٣	حولى بكل مكان منهم خلق	المتنبى	٢٢١
١٠٤	ما بالمدينة دار غير واحدة	الفرزدق	٣٤٢
١٠٥	فأشربتها الأقران حتى وقصتها	لص أسدى	٢٦٣
١٠٦	ولقد أمر على اللئيم يسبنى	شمر بن عمرو الحنفى	٢٦٠
١٠٧	يقول إذا درأت لها وضيئى	المتنبى العبدى	٣٥١
١٠٨	أخذت بحبل من حباك محمد	أبو نواس	٥٣١
١٠٩	فقلت كفى لك رهن بالرضا	-	٤٦٠
١١٠	ومنحك للندى بجميل قول	-	١٥٣
{حرف الهاء}			
١١١	إذا جلست عند الإمام كأنها	الفرزدق	٥٥١
١١٢	ولا تدفنى بالفلاة فإننى	أبو محجن الثقفى	٤١١
١١٣	أفتلك أم وحشية مسبوعة	الأخنس بن شهاب	١٨
١١٤	بحر وجود بمالة وجاهه	مسلم بن الوليد	٨٢
{حرف الياء}			
١١٥	يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم	إياس بن القايف	٥٥٣
١١٦	مطيات السرور فويق عشر	ابن طاهر	١٤ ٥٦١

(فهرس أنصاف الأبيات)

أ - الأءجاز

م	العجز	قائله	الصفءة
	[ءرف الءاء]		
١	وكنء في نعمائه سابءا		٥٤٢
٢	إذا هبء لقارئها الرياح	ءأبط شرأ	٤٦٦
	[ءرف الءال]		
٣	ونءل نجوانا نءاة من العءا	-	١٨٣
٤	ءءها ءءيف فأنء السبء الصمء	-	٩٦
٥	والءوء بالنفس أقصى غاية الءوء	مسلم بن الولبء	٨٢
٦	وءقبم سالفء العءو الأصبء	-	٤٢٧
٧	وءرء للسان كءرء البء	امرؤ القبس	١٦٠
	[ءرف الراء]		
٨	وفلاح بسوق لها ءمارا	عمرو بن أءمء الباهلب	٨٦
٩	كما ألعبء في الءبء الءوارا	ءو الرمة	٤٦١
١٠	وبومأ شهءناه سلبمأ وعامرأ	-	١٨٢
١١	ونرجو النءاة بعء عاء وءمببرا	لببء	٨٦
١٢	عطاياه بءصى قبل إءصائها القطرُ	ءعبل الءزاعب	٤٣٨
١٣	وهم بببب وفي عمباء ما شعروا	الأءطل	٢٣
١٤	فإن ءلهم أوكلهم بقرُ	أبو ءمام	٢٦٥
١٥	وما ءنبه إن عافء الماء باقره	الأعشب الكببر	٢٢٢
١٦	ءاهبء قء صءرء من الكببر	النابغة الءببانب	: ٨٩
١٧	ألقت ءكاء بببببها فب كافر	ءعلبة بن صءببر المازنب	٨٧
١٨	ءربى الأكم فبب سءءأ للءوافر	زبء الءبل	١٤٨
١٩	كالكرم إذا ناءب من الكافور	-	١٧

م	العجز	قائله	الصفحة
	[حرف العين]		
٢٠	وبعد عطائك المائة الرتاعا	القطامي	٤٧
٢١	له من عدو مثل ذلك شافعُ	النابة	١٨١
٢٢	تحية بينهم ضرب وجيع	عمرو بن معد يكرب	١٢٢
٢٣	لقد نطقت بطلاً على الأفارع	النابة الذبياني	١٧٢
	[حرف القاف]		
٢٤	قالا جناحاه لرجليه الحقا	-	٢٦٢
٢٥	نجوت وهذا تحملين طليق	يزيد من مفرغ	٢٥٠
٢٦	ألقيت ليلة خبت الرهط الرواقي	تأبط شراً	١٨٣
٢٧	واغترفي من تربها الأدق	-	٥٥٥
	[حرف الكاف]		
٢٨	كنبذك نعلأ أخلقت من نعالكا	أبو الأسود الدؤلي	٢٧٢
٢٩	يبرك الناس ويفخرونكا	رؤية بن العجاج	١٧٤
	[حرف اللام]		
٣٠	ويرى فيحسبه القتل قتيلاً	-	٤٢١
٣١	لا يستطيع بها الفراد مقيلاً	الراعي النميري	٤٥٦
٣٢	كما قسم الترب الصبي المقابل	-	٥٥٥
٣٣	دويهة تصغر منها الأنامل	ليبد	٥٨٩
٣٤	كانك تعطيه الذي أنت سائله	زهير بن أبي سلمى	١٩٠
٣٥	إنما الدنيا كظل زائل	ابن الزيات	٦٤
٣٦	ولا بد دون الشهد من إبر النحل	المتنبي	٢٠٣
٣٧	أقر كما قر الخلية للبعل	-	١٠٠

م	العجز	قائله	الصفحة
	[حرف الميم]		
٣٨	ومن يغو لا يعدم على الغي لائما	المرقش الأصغر	٥٧٢
٣٩	فواحدهم في الوردى عالم	-	١٨٠
٤٠	وما ليل المطي بنائم	جرير	٢١
٤١	خلاص الخمر من نسج القدام	المتنبى	٢٦٤
٤٢	والكلم الأصيل كأرغب الكلم	طرفة بن العبد	١٦٠
	[حرف النون]		
٤٣	فقلنا أحسنى ملا جهينا	ابن عبد العزيز الجهيني	٥٠٥
٤٤	فنجهل فوق جهل الجاهلينا	عمرو بن كثوم	٩٦
٤٥	إذا الناس ناس والزمان زمان	عرقلة الكلبى	١٠١
٤٦	كأن الخلق في تمثال إنسان	أبو نواس	٤٢١
	[حرف الهاء]		
٤٧	وكيف أذكر من لست أنساه	أحد الصوفية	٣٤٤

(فهرس أنصاف الابيات)

ب - الصدور

م	الصدر	قائله	الصفحة
١	أأن ترسمت من خرقاء منزلة	ذو الرمة	٧٢
٢	أري الماء أفياء الظلال عشية	-	٤٦٣
٣	ألا أيها الزاجري أحضر الوغى	طرفة بن العبد	٢٤٦
٤	ألم تر أن الله أعطاك سورة	الناطقة	١١٦
٥	امتلاً الحوض وقال قطني	-	٢٦٢، ٩٤
٦	إن تصدق الطير نك لميسا	ابن عباس	٤١٧
٧	باسم الذي في كل سورة اسمه	رؤية بن العجاج	٤٨
٨	بكرت تلومك بعد وهن في الندى	ابن خمرة النهشلي	٢٢٥
٩	بلغنا السماء بأحسابنا	-	١٠٨
١٠	جزيناك ضعف الود	أبو ذؤيب الهذلي	٥٠٣
١١	درس المنا بمقالع فأبان	لبيد بن ربيعة	١٦
١٢	رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى	عمرو بن قميئة	٥٦٢
١٣	طافت ثلاثاً بين يوم وليلة	-	٥٨٦
١٤	فاقطع لبانة من تعرض وصله	لبيد / في المعلقة	
١٥	فلست بإنسى ولكن الملاك	علقمة بن عبدة	١٢٨
١٦	فما للنوى جذ النوى قطع النوى	-	٥٩١
١٧	قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا	-	١٣٠
١٨	كذبتك عينك أم رأيت بواسط	الأخطل	٢٨٩
١٩	كل امريء راجع يوماً بشهية	-	٥٠٥
٢٠	كل امريء مقاتل عن طوقه	-	٣٨٨
٢١	كل امريء يبدي الذي في خلقه	-	١٠٥
٢٢	كلوا في بعض بطنكم تعفوا	-	١٠٣
٢٣	لا أري الموت يسبق الموت شيء	عدي بن زيد	١٩٠
٢٤	نبال كستها ريشها مضرحية	-	٢٠
٢٥	وصاعد في هضاب المجد يطلعها	البحثري	١٥٨

فهرس الأمثال

رقم الصفحة	المثل	مسلسل
٥١٠	- إجعل سرك فى وعاء غير سرب	-١
١٨	- أحشفا وسوء كيلة	-٢
٩٥	- أخدع من ضب	-٣
٨٨	- تسمع بالمعيدى خير من أن تراه	-٤
١٨	- الصيف ضيعت اللبن	-٥
٢١	- يداك أوكتا وفوك نفخ	-٦

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة الواردة بها
(١)	
إبراهيم عليه السلام	١٧، ٤٢، ١٦١، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤١، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٥٣٨، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٦٧.
ابليس	١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ٢٧١.
أبى بن كعب	٢١٢، ٢٤٦، ٤٤٠، ٥٨٦.
أحمد	١٤، ٦٢، ٩٢، ١٦٨، ١٧٠، ١٩٧، ٢١٤، ٢٤١، ٢٥٨، ٢٧، ٢٧٢، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٩، ٤٠٣.
الأخفش	٦٨، ٦٩، ٧٤، ٢٤٦، ٣٣٧، ٥٠٧.
آدم	١١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠، ٢٠٠.
إسحق	١٤٩، ٣٢٢.
أسماء بنت أبى بكر	٥٧١.
إسماعيل عليه السلام	٣١٤، ٣٢٢.
الأصم	٣٨٩، ٣٩٨، ٤٠٦، ٤١٨، ٤٨٥، ٥٤٥.
أبو أمامة الباهلى	٥٨٢.
الأوزاعى	٤٧٤.
أيوب	١٤٩، ٥٧٩.
(ب)	
البراء	٤٩٣.
أبو بكر الصديق	٣٧، ٥٢٨، ٥٧٨.

الاسم	الصفحة الوارد بها
أبو بكر النقاش	٥٤٥
البلخي	٢٣٣، ٩٢
(ث)	
ثابت بن قيس	
(ج)	
جابر	٤٩٢، ٤٨٨، ٤٨١
الجاحظ	٣٨١
الجبائي	٥٧٩، ٢٣٣، ١٦٠، ٩٤، ٩١، ٨١، ٦٨
جبريل	٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٥٥، ١٨٧، ١٤٣، ٨٤، ٧٤، ١٦
	٥٨٧، ٥١٧، ٤٧٧، ٤٣٤، ٢٧١
ابن جريج	٢٦٣، ٢٣٤، ١٨٦، ٧٤
جعفر الصادق	٥٨٢، ٢٦٧، ١٩٣، ٦٩، ٥٤
أبو جمعة	٧٩
(ح)	
حارثة	١٥
ابن حبيش	٣٩٣
حذيفة	٤٧٤
الحسن بن علي	٣٢٨، ٣٢٤، ٣٠٣، ٢٣٥، ١٣٧، ١٠٠، ٩٩، ٧٤، ٦٨
	٤٨٥، ٤٧٤، ٤٦٤، ٤٥٢، ٤٣٦، ٤٢٥، ٤٢١، ٣٧٤، ٣٧٣
	٥٨٦، ٥٧١، ٥٣٤، ٤٨٨،
الحسين بن علي	٥٩١، ٥٨٦، ٥٠٠
أبوحنيفة	٤٦٢، ٤٢٦، ٤١٧، ٤١٤، ٤١٣، ٤١٢، ٣٩٣، ٢٦٧، ٩٤
	٥٧١، ٤٩١، ٤٩٠، ٤٨٥، ٤٦٤، ٤٦٣،

الاسم	الصفحة الوارد بها
(خ)	
خريم	٤٥٨
الخضر	٢.٩, ١٤.٥
الخليل	٥٦٩
(د)	
داود عليه السلام	٥١٣
ابن داود	٤٦٧
(ذ)	
أبو ذر الغفاري	٥٢٥, ٣٧٦, ١٧٤
(ر)	
الربيع بن أنس	٥٨٩, ٣٨٤, ٣٧١, ٣٥٠, ٢٣٥, ٢١٨, ٢٠٠, ٨٨, ٧٥
	٥٩٠
(ز)	
الزبيرى	٢٤٤, ٢٣٥, ٧٥
الزجاج	٤٨٦, ٣٣٤, ٢٣٤, ٢.٦
زيد بن ثابت	٤٩٢
زيد بن مسلم	٤٨٨, ٤٤٣
ابن زيد	٥٧٥, ٥٣٠, ٥١٢, ٣٧١, ٥٣٠, ٣٣٤, ٣.٧, ٢٩٩, ٢٣٥
	٥٩١,
(س)	
السدي	٤٤٠, ٣٢٨, ٣١١, ٢٦٣, ٢٣٥, ٢٣١, ٢.٥, ٢٠٠, ١٨٦
	٥٧٥, ٥٣٠, ٥١٢, ٥٠٠,

الاسم	الصفحة الوارد بها
سعيد بن جبير	٥٢٩ , ٤٩٨ , ٤٨٨ , ٤٧٤ , ٤٦١ , ٦٩
سعيد المسيب	٤٧٥ , ٤٧٤ , ٤٦٤ , ٢١٥
أبو سعيد الخدرى	٢٤٠ , ٢١٥
سفيان بن عينية	٥٩٠ , ٥٧٤ , ٥٩٠ , ٥٧٢
سلمان الفاروسى	٤٣٩ , ٢٧٧ , ٢١٥ , ١٠٠
ابن سلمة	٥٥
سليمان عليه السلام	٥٣٧ , ٤٣٩ , ٢٧٧
سيبويه	٥٩٠ , ٣٣٧ , ٩٤ , ٧٢ , ٤٩ , ٤٠ , ٤
ابن سرين	١١٢
(ش)	
الشافعى	٤١٤ , ٤١٣ , ٤١٢ , ٣٩٣ , ٣٨٩ , ٣٨٠ , ٣٧١ , ٢٨٧ , ٤٠
	٤١٧ , ٤٢٦ , ٤٢٢ , ٤٦٤ , ٤٦٦ , ٤٦٧ , ٤٧٣ , ٤٧٩
	٤٨٥ , ٤٩٠ , ٤٩١
شداد بن أوس	٥٣٧
شريح	٥٨٦
الشعبى	٤٨٨ , ٤٨٥ , ٣٨٩
شعيب عليه السلام	١٧٦
(ص)	
صهيب بن سيار	٤٣١
(ض)	
الضحاك بن مزاحم	٥٨٦ , ٥٣٠ , ٥٠٠

الاسم	الصفحة الوارد بها
عطية بن الأسود	٣٩٢
على بن أبي طالب	٣٩٣, ٣٨٩, ٣٤٩, ٢٦٦, ١٨٥, ٩٠, ٦٣, ٣٩, ١١
	٥١٠, ٤٧٣, ٤٣٩
أبو علي الغنوي	٨٧, ٦٨
عمر بن الخطاب	٤٤٣, ٣٩٨, ٣٥٤, ٣١١, ٣٠٧, ٢٧١, ٢٧٠, ١٨٧, ٨٣
	٥٦١, ٥٢٩, ٤٦٤,
عمر بن عبدالعزيز	٥٥٤
ابن عمر	٥٩٦, ٥٧١, ٤٩٢, ٤٨٥, ٤٧٣, ٤٦٤, ٤١٤
عيسى عليه السلام	٣٢٥, ٣٠٤, ٣٠١, ٣٠٠, ٢٨٥, ٢٦٧, ٢٥٦, ٢٥٥, ٣١
	٥٤٦, ٥٤٥, ٥٣٥, ٥١٧, ٣٢٩,
(ف)	
الفراء	٥٦٢, ٣٠٩, ٢٤٦, ٢٣٠, ٢٢٥, ٧٠, ٦٨
فرعون	٣٥٠, ١٨٨, ١٨٦, ١٤
(ق)	
قتادة	٣٢٥, ٣٠٧, ٣٠٣, ٢٩٩, ٢٩٨, ٢٤٨, ٢٠٠, ١٠٦, ٩٩
	٥٩٠, ٥٧٥, ٥٣٠, ٥٢٩, ٥١٢, ٤٦٤, ٣٨٧, ٣٧١,
قرة بن خالد	٤٢٨
قطرب	٢٤٦, ٧٤, ٧٠
(ك)	
الكسائي	٢٤٦, ٢٠٥, ١٩٢, ١٨٢
كعب بن عجرة	٤١٣

الاسم	الصفحة الواردة بها
(ل)	
لبيد	١٠٨
الليثاني	١٩
الليث	٤٩٠
ابن أبي ليلي	٤٩٠
(م)	
ماروت	٢٧٨
مالك بن أنس	٤٩٠، ٤٧٤، ٤٧٣، ٤٢٦، ٣٨٠
المبرد	٤٨٦
مجاهد	٢٨٢، ٢٥٣، ٢٣٩، ٢٣٤، ٢٠٠، ١٨٦، ٧٤، ٦٩، ٥٤
محمد صلى الله عليه وسلم	٥٩١، ٤٨٨، ٤٢١، ٣٥٠، ٣٣٤، ٣٢٥، ٣٠٧، ٣٠٣، ٢٩٧
	٢٧٠، ٢٥٨، ٢١٤، ١٩١، ١٨٧، ١٨٤، ١٧٠، ١١٨، ٦٢
	٥٣٥، ٣٢٩، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣١٠، ٢٩٦،
ابن مسعود	٤٩٧، ٤٦٤، ٣٨٩، ٣٠٧، ١٧٥، ٩٩، ٨٢، ٣٣
	٥٧٨، ٥١٠
أبو مسلم الأصفهاني	٣٩١، ٢٣٣
أبو المطيع البلخي	٤١٨
معاذ بن جبل	٣٨٧
المفضل بن سلمة	٥٥
موسي عليه السلام	١٩١، ١٦٩، ١٤٣، ٩٧، ٨٣، ٦٩، ٥٩، ٤٢، ٢٦، ١٤، ٥
	٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٣، ١٩٧، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣،
	٢٨٥، ٢٧٣، ٢٦٣، ٢٥٥، ٢٤٧، ٢٣٥، ٢٣٠، ٢٢٨، ٢١٧
	٥٤٦، ٥٢١، ٥١٤، ٣٩٥، ٣٣٥،

الاسم	الصفحة الواردة بها
ميكائيل	٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ٨٤ ، ٧٤ ، ١٦
(ن)	
ناجية بن جندب	٤١٣
نمرود	٥٣٩ ، ٥٣٧
نوح عليه السلام	٤٤١ ، ١١٠
(هـ)	
هاروت	٢٧٨
هارون عليه السلام	٦٩ ، ٦٨
هشام بن عروة	٥٥١
أبو هاشم	٥٧٩
ابن هرمة	٤١
(و)	
أبو وائل	٢٤٤
وابصة	٣٧٦
ابن وهب	٢٣٠
(ي)	
يعقوب عليه السلام	٣٢٧ ، ٣٢٠ ، ٣٠١
يوسف عليه السلام	٤٣٣ ، ٢٩٤ ، ١٤٨ ، ١٤٠ ، ٥٣
يونس عليه السلام	٥١٦

تم بحمد الله تعالى

